نهاية أحداث التاريخ البشري

موسوعة بقية الله الأعظم

الإمام المهدي [عج]

المصلح الرباني وصانع العالم الجديد

الشيخ جعفر حسن عتريسي

المجلد الثاني

دار الهادي

موسوعة

بقية الله الأعظم

نهاية أحداث التاريخ البشري

موسوعة

بقية الله الأعظم

الإمام المهدي (عج)

المصلح الرباني وصانع العالم الجديد

الجزء الثاني

الشيخ جعفر حسن عتريسي

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

978 - 9953 - 540 - 01 - 6

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٤٨٧٠٥٥ / ٠١ - ٨٩٦٣٢٩ / ٠٣ - فاكس: ٦١١٩٤ - ص.ب: ٢٨٦٠ / ٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http://www.daralhadi.com

نصيحة لأهل الدنيا :

كثيرة هي مطاوي الحقيقة ،
والإعجازُ ينطوي على الإعجاز ،
مُذ بُعثَ محمّد ، توهّج الكون ،
وارتسم مِن المعالم ما خشعت منه العقول ،
هي توراة موسى ، وإنجيل عيسى ،
هي الصحف المحمولة اليوم بيد القوم ،
كلُّها مُثقَلةٌ من الإقرار بما كان ويكون عليه الزمن ،
مِن بعثة محمّد الخاتم ،
إلى مخلّص البشرية المهدي في آخر الزمن ،
لا يحتاجُ البشر أكثر مِن أن يلتفتوا إلى صحف الوجود ،
إلى أبجدية المتون ،
إلى كتاب الكون وأسفار الحياة ،
إلى تاريخ البشر وإقراراتهم ،
إلى الشهادات الحيّة ذات التنوُّع المذهل ،
وها نحن في زمن الزحف نحو المقصد المحتوم ،
نبوءةُ محمّدٍ شمسٌ كاملةٌ وإعجازٌ مذهل ،
أخبار الزمان أدهشت العقول ..
وتزحفُ الحقائقُ نحو محرابِه ،

تقرُّ معترفةً أنّها هي الوصف المذكور ،
فتكون هذه وتلك مِن باب شاهد الفعل على نبوءة ما بقي مِن مستقبل أكيد ،
فإذا تبدّد التاريخُ الأخلاقي ،
وتحوّلت الأمم إلى نزاةٍ على غريزة ، وذئاب على مال ،
ونزا الرجالُ على الرجال ، والنساءُ على النساء ،
وتعاوت المرأةُ تدلُّ على فرجها ، عاريةً مختلعةً بين قومِها ، بلا منكرٍ أو مانع ،
وتغاير الرجالُ على الولدان كما يتغاير الذكر على الأنثى ،
وحُرِّم الحلال ، وحُلِّل الحرام ،
وشاع الزنا ، وكثرت المعازف ،
وعُصِي اللهُ جهرة ، وعمّ الفسادُ البلاد ،
وحكم الظَّلاّم ، وشاعت المنكرات ،
وظهرت أمورٌ عظام ،
وتغرَّب الدِّين ، وتسلطن الفاجر ، وأُبعِد الأمين ،
وعمَّ الظُّلم : جوعاً ووجعاً ، حكماً وحكرةً ، قتلاً وغزواً ،
وتقاتلت الأمم ، ونُهِشَ الضعفاء ،
وعمّت الفتن ، فتنة المال والسوق والجوع الأغبر والموت الأحمر ،
واستطال الفزع والوجع ، وكثرت الدماء ،
وخرج السفياني ،
وقُتِل الحسني ،
وأختلف بنو العباس على المُلك ،

وسالت الدماءُ بمنى ، في ملحمةٍ عظيمة ، وانقسم أهلُ الحجاز ،
وكُسِفَت الشمسُ في النصف من شهر رمضان ، وخُسفَ القمر من آخرِهِ
على خلاف علم الفلك وقواعده ،
وظهر خسفٌ في البيداء ، وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بالمشرق ، وكثرت
الزلازل ، والهدات ،
وركدت الشمسُ من عند الزوال إلى أواسط العصر ، وطلعت من
المغرب ،
وقُتِلت نفسٌ زكيةٌ بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين ،
وعمٌ قتلٌ في العراق ،
وتجهّزت الجيوش ، وانتشر الحرب بالأرض ،
وانقلب الناسُ على دينهم ، فلا تجد أكثر غربة من دين الإسلام ،
وكان للروم الصولات ،
وللترك خرجة ، وفتق ،
وللخراساني مسيرٌ عظيم ، حتى يبلغوا إيلياء ،
وهُدِم حائطُ مسجد الكوفة ،
وأقبلت الرايات السود من قبل خراسان ،
وظهر المغربي بمصر وتملّكه الشامات ،
ونزل الترك الجزيرة ، ونزل الروم الرملة ،
وخرج اليماني ،
وزحفت الراية المغربيّة ، وظهر السفياني ، وكثر القتل ، وتذابحت الأمم ،
وطلع نجمٌ بالشرق يضيئ كما يضيئ القمر ، ثم ينعطف حتى يكاد
يلتقي طرفاه .

وظهرت حمرةٌ في السماء، تنتشر في آفاقها ،
وشبت نارٌ بالمشرق ، ظهرت طويلاً ، تبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيّام ،
وخلع العرب أعنّتها ، وهشّ سلطانها واضطرب ،
وبدا المسلمون أذلّة إلا قلّة منهم ، وخلعوا ما هم فيه من دينٍ وإيمان ،
وركبتهم الأمم من غربٍ وشرق ، وتنابحتهم الروم وأحكمت الرقاب ،
وظهر النجباء في مصر ، والأبدال في لبنان ، والعصائب في العراق ،
وقتل أهل مصر أميرهم أو خلعوه ، وجاءت الروم إلى الأسكندريّة ،
وثارت فتنة الأحزاب ،
وخربت الشام ، واختلفت ثلاث رايات ، وكثر القتل ،
ودخلت رايات قيس والعرب إلى مصر ، ورايات كندة إلى خراسان ،
وورد الجمع من قبل الغرب حتى يربطوا بفناء الحيرة ، وأقبلت راياتٌ سود من المشرق نحوها ،
وفاض الفرات حتى يدخل الماء أزقّة الكوفة ،
وخرج ستّون كذاباً كلّهم يدّعي النبوّة ، وخرج إثني عشر كلّهم يدّعي الإمامة كذباً ،
واحرق رجل عظيم القدر من بني العباس بين جلولاء وخانقين ،
وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد ،
وارتفعت ريحٌ سوداء في بغداد أوّل النهار ، وزلزلة حتى ينخسف كثيرٌ منها ،
وخوفٌ يشمل أهل العراق وبغداد ، وموت ذريعٌ فيه ، ونقصٌ من الأموال ، والأنفس والثمرات ،

وجراد يظهر في أوانه وغير أوانه ، حتى يأتي على الزرع والغلات ،
وأجدبت الأرض ، وارتفعت الأسعار ، وقلّة الرزق ، وانتشر الجوع ،
وظهرت الأمراض ،
ومسخ قوم من أهل البدع حتى يصبحوا قردةً وخنازير ،
وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم ، وقتلهم مواليهم ، وغلبة العبيد على
بلاد السادات ،
وخوف واسع ، وجوعٌ قاطع ، وبلاءٌ عظيم ،
وقتل لم تشهده قرقيسيا مِن قبل ، راياتٌ تقتل بعضها بعض ، من أهل
الشرق والغرب ،
وموت ذريع ، وقتلٌ فظيع ،
وبكاء هائل ، وويل صائل ،
ونداء مِن السماء يسمعه أهل الأرض كلّهم ، كلٌّ بلغته ، يبشّر الأمم
بظهور المهدي المنتظر ، ووجهٌ وصدر يظهران للناس في عين الشمس ،
وأموات ينتشرون من القبور حتى يرجعوا على الدنيا فيتعارفون
ويتزاورون ، ومطر في غير أوان ، وجفاف في زمن الإمطار ،
وذُبحَ الهاشميٌّ بين الركن والمقام ،
و٣١٣ رجلاً صفتهم خاصّة ، يلتقون بمكّة ، يبايعون المهديَّ الذي يظهر
قرب الكعبة ، بين الركن والمقام ،
فإذا ظهر أشعَّ الوجود ، وكبُر الكون ، وبدأت رحلة الحياة العظيمة ، وبها
يكون الكمال .
فإذا بدأ المهديٌّ أمره ، قاتله أهل الشرق وأهل الغرب ، كلٌّ بحسبه ،
يجمع ما أمكن لقتاله ،

وتقع الملاحم ، وترى الناسُ من بأسهِ الأمر العظيم ، ومن عدلهِ الأعظم ،
وكلٌ يرى في السماء دليلاً .
فإذا أتمَّ أمرهُ وغلب الروم وحطم اليهود وأذلَّ أهل الفساد أقام دولة العدل الأكبر في خير عباد ..
فيا أهل الدنيا ،
هي هي مطيَّة الوجود ،
لا تتركوها ،
هو الكون يمدُّ أذيالَ المجد إليه ،
لا تقتلوا الأمل في بطن السماء ،
لا تنتحروا ،
اعقلوا الغريزة برباط العقل والبيّنات المُعجِزَات ، طيروا نحو الأفق الأعلى ،
إنَّ هناك مَا لا عين رأت ولا أُذُن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..
أفلا تعقلون ..!

علامات ظهور المهدي عليه السلام

ظهور المهدي يُشَكِّل أعظم حدث في الحقبة الأخيرة من زمن البشر، وأهم مفصل تاريخي بعد الإنحراف الهائل الذي شَكَّل سمة الزمن الأخير.

في هذا المجال الكبير أشير إلى أنَّ لِعصرِ الظهور علامات، منها ما هو متَّصل بصفات العالَم آخر الزمان كوصف شمولي عن ذلك الزمن، ومنها ما هو علامة كاشفة عن قرب ظهورِهِ عليه السلام. أي إشارة إلى الظهور مباشرةً. بل بعضها واضح في تحديد وقت الظهور على أثر بعض تلك العلامات.. وفي النصوص جَمَعَ المعصومُ عليه السلام بين الصفتين، بين هذه وتلك، والتفريق بينهما شديد الوضوح.. ففي الرواية عن الاصبغ بن نباتة قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول:

[.. إنَّ بين يدي القائم سنين خدّاعة، يكذبُ فيها الصادق، ويصدُقُ فيها الكاذب، ويُقرَّبُ فيها الماحل - وفي حديث: وينطق فيها الرويبضة - فقلت: وما الرويبضة وما الماحل؟ قال عليه السلام: أوَ ما تقرؤونَ القرآن قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾، قال: يريد المكر، فقلت: وما الماحل، قال عليه السلام: يريد المكّار][1].

---

[1] النعماني: ص ٢٧٨ ب ١٤ ح ٦٢

وقد أشرنا إلى هذا الصنف في الشروحات الواردة سابقاً . ومعناها أنَّ السلطنة والحكم تكون بيدِ فئةٍ إن حكمت أضلَّت ، وإن قادت حرَّقت ، فهي تضرب ضرب عشواء ، نخبةٌ سفيهة ، يقودها الهوى وإنكار معالم الوجود ، تتنكَّر لمسيرة الركب الكوني ومعانيه المتَّصلة برسالة السماء ، بزمنٍ تكون فيه القيم على نحوٍ صدامي مع قيم ومعارف وقوانين الشريعة .. وفي النصِّ إشارةٌ إلى صفتين مهمَّتين في الحاكم والحاشية ، وهما : المكر والخديعة ..

وفي نصٍّ آخر عن الإمام أبي عبد الله ﷺ – في حديث طويل عن أمير المؤمنين ﷺ – قال في آخره :

[.. ثم يقع التدابر والاختلاف بين أمراء العرب والعجم ، فلا يزالون يختلفون إلى أنْ يصير الأمرُ إلى رجلٍ من وُلْدِ أبي سفيان – إلى أن قال ﷺ – : ثم يظهر أميرُ الامرة ، وقاتل الكفرة ، السلطانُ المأمول الذي تحيَّر في غيبته العقول ، وهو التاسعُ من وُلْدِكَ يا حسين ، يظهر بين الركنين ، يظهرُ على الثقلين ، ولا يترك في الارض الأدنين (دمين) ، طوبى للمؤمنينَ الذين أدركوا زمانه ولحقوا أوانه ، وشهدوا أيامه ، ولاقوا أقوامه ![1] .

والمحصَّل أنَّه يقع خلافٌ بين أمراء العرب والعجم . وكلمة عجم تنطبق على كلِّ ما ليس عربيّاً . وهل هنا مقصودة كذلك ..؟ أم أنَّها ناظرة إلى الفرس ..؟ الأرجح الأوَّل وهو الشمول لغير الفرس أيضاً نزولاً على قانون الوضع والإستعمال في لسان العرب . وانَّ الإختلاف بين هؤلاء

---

[1] كتاب الغيبة ، الفضل بن شاذان : عفى ما في كشف النوري . * : كشف النوري : ص ٢٢١ – ٢٢٢ –

الأمراء يظلُّ سارياً حتى ظهور السفياني الذي ينتمي إلى سلاسة أبي سفيان بالنُسب .

ثم يشيرُ ﷺ إلى ظهور الإمام الحجَّة القائم أمير الامرة ، وقاتل الفجرة ، والسلطان المأمول الذي تحيَّر في غيبته العقول . الذي يحكم ويقيم العدل ويبطل حكم الأدنين أهل الفسق والباطل أو سفَّاكي الدماء وقادة الإنحراف . وبهذا يكون النصُّ ليس بوارد الإشارة إلى العلامات على نحوٍ مباشر ..

وفي الرواية عن علقمة بن قيس قال : خطبنا أمير المؤمنين ﷺ على منبر الكوفة خطبة اللؤلؤة فقال فيما قال في آخرها :

[.. أنَا وإنِّي ظاعنٌ عن قريب ، ومنطلق إلى المغيب ، فارتقبوا الفتنة الأمويَّة والمملكة الكسروية ، وإماتة ما أحياهُ اللهُ ، وإحياء ما أماتَهُ اللهُ .. واتَّخذُوا صوامعكم بيوتكم ، وعضُّوا على مثل جمر الغضا ، فاذكروا اللهَ ذكراً كثيراً فذكرُهُ أكبر لو كنتم تعلمون .

ثم قال ﷺ : وتُبنى مدينة يُقال لها « الزوراء » بين دجلة ودجلية والفرات ، فلو رأيتموها مشيَّدةً بالجص والآجر ، مزخرفةً بالذهب والفضة واللازورد المستسقا والمرمر والرخام وأبواب العاج والابنوس والخيم والقباب والعشارات ، وقد عليت بالساج والعرعر والصنوبر والخشب ، وشيِّدت بالقصور ، وتوالت عليها ملك (ملوك) بني الشيصبان ، أربعةٌ وعشرونَ ملكاً ، على عدد سني الملك الكديد ، فيهم السفَّاح والمقلاص والجموع والخدوع والمظفر والمؤنث والتظار والكبش والمهتور والعشار والمصطلم والمستصعب والعلام والرهباني والخليع والسيار والمسرف

والكديد والاكتب والمترف والاكلب والوشيم والظلام والعيوق ، وتعمل القبة الغبراء ذات القلادة الحمراء ، في عقبها قائم الحق ، يُسفِرُ عن وجهه بين الأقاليم كالقمر المضيئ بين الكواكب الدرية .

ألَا وإنَّ لخروجه علامات عشراً : أوَّلُهَا طلوعُ الكوكب ذي الذنب ويقارب من الحاوي ، ويقع فيه هرج ومرج وشغب ، وتلك علامات الخصب ، ومن العلامة إلى العلامة عجب ، فإذا انقضت العلاماتُ العشر إذ ذاك يظهر بنا القمر الأزهر وتمَّت كلمة الاخلاص لله على التوحيد ..

نعم إنَّهُ لَعَهْدٌ عهده إليَّ رسولُ الله ﷺ أنَّ الأمر يملكه اثنا عشر إماماً ، تسعة من صلب الحسين عليه السلام . ولقد قال النبيُّ ﷺ : لمَّا عُرِجَ بي إلى السماء نظرتُ إلى ساق العرش فإذا مكتوبٌ عليه : لا اله إلا الله ، محمد رسول الله ، أيَّدتُهُ بعلي ، ونصرته بعلي ، ورأيت اثني عشر نوراً فقلتُ : يا ربِّ ، أنوارُ مَن هذه ؟ فنُوديتُ : يا محمَّد ، هذه الانوارُ الائمةُ من ذريَّتك ، قلتُ : يا رسول الله ، أفلا تُسمِّيهم لي ؟ قال ﷺ : نعم ، أنت الإمامُ والخليفة بعدي ، تقضي ديني ، وتُنجز عداتي ، وبعدك : ابناك الحسن والحسين ، وبعد الحسين ابنه علي زين العابدين ، وبعد علي ابنُهُ محمَّد يُدعى الباقر ، وبعد محمَّد ابنُهُ جعفر يُدعَى بالصادق ، وبعد جعفر موسى يُدعى بالكاظم ، وبعدَ موسى ابنه علي يُدعى بالرضا ، وبعد عليٍّ ابنُهُ محمَّد يُدعَى بالزَّكي ، وبعد محمَّد ابنُهُ علي يُدعى بالنَّقي ، وبعده ابنُهُ الحسن يُدعى بالأمين ، والقائم من وُلد الحسن سميِّي وأشبهُ النَّاس بي ، يملؤُها قسطاً وعدلاً كما ملئتَ جوراً وظلماً][1] .

---

[1] كفاية الاثر : صد ٢١٢ - ٢١٩ - عن فتن السليلي ، وقال : ذكر السليلي أنه خطب بها قبل خروجه من البصرة بخمسة عشر يوماً ، وفيه [.. وتمثل الفئة الغبراء والقلادة الحمراء وفي عنقها قائم الحق ثم يسفر

والناتج العام من الحديث أنّ الإمام علي ﷺ قام يخطب في « العالم المستقبلي » ، يبيّنُ تاريخ الأحداثِ في الحقبة الأخيرة من شوط الإنسان ، فوضع بين يدي القوم علاماتٍ وصفات ، فأمّا الصفات فمنها : ظهور الفتنة الأمويّة والمملكة الكسرويّة على يد طاغيةٍ أموي ، يُميت ما أحياهُ الله ويُحي ما أماته الله ، أي يُحرّم الحلال ويحلّل الحرام ..

ثم يشير إلى حدثٍ قريبٍ من الزمن الأخير ، فيحدّث القوم عن مدينة تُدعى « الزوراء » ، تُشيّد بالجصّ والآجر وتزيّن بالذهب والفضّة والمرمر والرخام وغيرها مما ذُكر في النصّ بالتفصيل المدهش ، وهي بغداد ، مع الإشارة إلى أنّه لو افترضنا أنّ الإمام علي ﷺ خطب بالقوم عام ٢٧ أو ٢٨ للهجرة ، فإنّ بغداد لم يكن لها وجود[1] . فقد بُنيت بغداد على يدِ المنصور

عن وجه بيّن . أصبحت الاقاليم كالقمر المضيء .. علامات عشراً غاولهن .. المذنب .. وأي قرب ويتبع به هرج وشغب فتلك اول علامات المغيب .. العشر فيها القمر الازهر وتمت كلمة الاخلاص بالله رب العالمين) وقال (هذا آخر ما ذكره عنها) .

[1] من الأعمال التي قام بها المنصور بناء مدينة بغداد . وقد ظلّ العباسيّون طيلة ١٣ عام دون عاصمة حتى بنوا بغداد . وكان المنصور يهدف من وراء بناء بغداد حماية نفسه وأسرته ، وحشد الجيش والقادة في مكان يضمن له الإحتفاظ بعرشه ومحاربة الخارجين عليه . ولم يرض أن يتّخذ من الحجاز أيّ مقام خشيةً من الطالبين الذين كانوا الأكثر صيتاً في تاريخ الحكومات منذ يوم السقيفة وصولاً إلى يوم العباسيين . وهذا ما كان يؤثّر بشدّة في نفوس العباسيين الذين انتقموا من الطالبيين أشدّ انتقام ولم يكتفوا .. وقد تمّ بناء المدينة في وادي الرافدين على الضفّة الغربيّة لنهر دجلة في أعلى المكان على نحو ضخم وعسكري وأحيطت بالسور ، والأبواب الضخمة والدهاليز والخنادق .. وكان في موضع بغداد قبل الإسلام قصر ساساني وجسر من البواخر على دجلة وقرى نصرانيّة صغيرة متناثرة على الضفّة الغربيّة لنهر حولها أديرة للنصارى النسطوريين فضلاً عن سوقٍ موسمي يجتمع فيه التجّار .. استخدم المنصور الآلاف الكثيرة من جنده والخبراء لبناء بغداد واستقدم المزيد من الأمصار بهدف إقامة مدينة مستديرة ضخمة تشكّل مركز العاصمة ومركز التحصانة والقوّة .. وقد استغرق بناء مدينة بغداد ٤ أعوام تقريباً في عام ١٤٦ هجريّة .. وهي مدينة على شكل حصن كبير ضخم ، تتألف من التحصينات والأسوار الخارجيّة ثمّ المنطقة السكنيّة الداخليّة ، وقد ضمّ وسط المدينة قصر الخليفة والجامع وقصور أولاده ودواوين

العباسي في العام ١٤٦ للهجرة وسُكتت في العام ١٤٩ للهجرة . أي بعد أكثر من مائة عام من إخبار الإمام علي ﷺ القومَ عنها ..

هذه المدينة تقوم بين دجل ودجيلة والفرات ، وفعلاً شُيِّدت هناك . فقد تمَّ بناء المدينة في وادي الرافدين على الضفَّة الغربيَّة لنهر دجلة في أعلى المكان على نحوٍ ضخم . مؤكِّداً ﷺ أنَّ هذه المدينة التي تحكم أقطاراً واسعة يسكنها ٢٤ ملك (رموز) من بني الشيصبان (بني العباس) على عدد سني الملك الكديد . وأنَّ هؤلاء الحكَّام لهم صفات مختلفة ، رغم اجتماعهم على صفة الظلم والفساد والإضطهاد والإنحراف ، لكن لكلٍّ منهم خصوصيَّة يُعرف بها ، فهناك السفَّاح والمقلاص ، والجموع والخدوع ، والمطفر والمؤنث ، والنظَّار والكبش ، والمهتور والعثار ، والمصطلم والمستصعب ، والعلام والرهباني ، والخليع والسيار ، والمسرف والكديد ، والاكتب والمترف ، والاكلب والوشيم ، والظلام والعيوق . عبارات تشير إلى معانٍ مختلفة من سفك الدماء والإسراف في نهب الأموال ، والإنبطاح أمام الجنس والشهوة ، والإشراف في التهوّر بالقتل والمال . وهناك الأكلب الذي يحكمه جنون العظمة وحبُّ القتل ، وهناك من يكون أكبر همّه نهب الأموال وسلب الناس عبر الضريبة والرسوم أو غيرها ، أو نهب ثروات الأرض الباطنيَّة والظاهريَّة ، ما إلى ذلك من صفاتٍ تعني التوحُّش في الحكم . على أنَّ واحداً منهم أشار إليه الإمام ﷺ بالكبش ، وهو تعبير قد يُرادُ منه أنَّهُ يُقتل بانقلاب أو شبه ذلك من أنواع الحيلة والمغيلة ..

الحكومة ، ولم يكن مسموحاً لأحد أن يركب الخيل أو غيرها من الدواب داخل المدينة الداخليَّة إلا الخليفة .. ولمَّا فرغ المنصور من بناء بغداد أقطع أهل بيته وأعيان دولته قطائع من الأرض خارج المدينة قريباً منها ، كما منح جنوده الأرياض ليبنوا عليها دورهم ، وسرعان ما عمرت القطائع وازدحمت بالسكان .. وقد بنت مدينة بغداد في غاية الروعة والفن والعظمة ..

ثم تعمل القبة الغبراء ذات القلادة الحمراء ، التي يُستفاد منها عبر نصٍّ آخر أنّها فتنة صعبة تتبعها دماء ، فإذا تمّت كان في عقبها ظهور قائم آل محمّد المهدي المنتظر ﷺ جعلنا اللهُ من أنصاره وأعوانه والمستشهدين بين يديه ، ومن الذين يُسلِّمون تسليماً له ولنوابه بالحقّ زمنَ الغيبة الكبرى ..

ثم يشيرُ إلى الإمام الغائب الذي يسفر عن وجهه ﷺ في الأقاليم ، أي يراهُ أهلُ الأرض كلّهم ، فيظهر على الوجود بفرادته ، فهو كالقمر المضيء في سماء الأرض وبقاعها .. تعتزُّ به السماء ، وتخشع لقدومه الأرض ، وتسبّح كلُّ الخلائق ..

ثم يعدّد الإمام ﷺ بين يدي خروجه ﷺ علاماتٍ عشراً ، أوّلها طلوع الكوكب ذي الذنب ، أي كوكب مذنّب ، وقد رأينا هذا الكوكب أكثر من مرّة ، وهو كبير ، دوماً يقترب من الأرض ، ويبدو واضحاً أنّه زمن ظهوره ﷺ يظهر . النص في وارد الإشارة إلى العلامة الكاشفة للظهور ببعد النظر : هل ظهوره عادي أم استثنائي .

ويتبع ذلك : هرج ومرج ، اختلال في النظام ، وسفك دماء ، وتداعي الأحوال ، وانفراط سلطنة الحال ، وشغب مبسوط ظاهر ، وما بين العلامة إلى العلامة عجب ، اشارة إلى احداثٍ دامية ، ورعب خطير يقع بين العلامات .. فإذا تمّت العلامات خرج ﷺ ، والعالَم قد أنهكته الحروب والجبهات والصدامات ، والصعق بين الشعوب والأمم بما تعنيه من جندٍ وحسم وقذف ودمار ونار وجوع ووجع .. ثمّ يعرُجُ ﷺ على حادثةٍ كبرى ، نقلها إليه النبيُّ ﷺ حين رفعه اللهُ إلى سدرة المنتهى ، فيخبرهم الإمام ﷺ

ما قاله النبيُّ وشاع وذاع على لسان المسلمين ، وهو أنَّ الله تعالى أخبر النبيَّ ﷺ انَّ الأمر من بعدهِ لإثني عشر إماماً ، منهم تسعة من صلب الحسين عليه السلام ، قبلهم الإمام علي عليه السلام والثاني الحسين ، والثالث الحسين ، ثم التسعة من صلبه عليه السلام ، وأنَّ المهدي من ولدهِ ، وهو الذي يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً . ويعدُّد اللهُ على النبيِّ أسماءهم وصفاتهم لتكون حجَّته على الخلق أجمعين ، وحتى لا يكون للناس على الله حجَّة ..

وعن العلامات العشر بالتفصيل التي تكون قبيل ظهور مولانا القائم عليه السلام قال في المشارق : ومن ذلك ما ورد عنه عليه السلام في خطبة الإفتخار ، رواها الأصبغ بن نباتة قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال في خطبته : وفي آخرها :

[.. وإنِّي ظاعنٌ عن قريب ، فارتقبوا .. الدولة الكسرويَّة ، ثم تُقبِلُ دولةُ بني العباس بالفرح والبأس ، وتُبنى .. الزوراء (بغداد) .. ملعونٌ مَن سكنها (يشيرُ إلى فئة الحكَّام الذين يسكنونها ويحكمون النظام منها) ، منها تخرجُ طينةُ الجبَّارين (حُكَّام الباطل والظلم الشديد) تُعلى فيها القصور ، وتُسبَّلُ الستور ، ويتعلَّونَ بالمكر والفجور (إشارة إلى الظلم الفادح والإنحراف الواضح الذي يمتاز به هؤلاء) ، فيتداولها بنو العباس ٢٤ ملكاً ، على عدد سني المُلك ، ثم الفتنة الغبراء ، والقلادة الحمراء (فتنة تنشب عبرها حروبٌ دمويَّة هائلة) ، في عنقها قائمُ الحقِّ عليه السلام ، ثم يسفر عن وجهه عليه السلام بين أجنحة الاقاليم كالقمر المضيئ بين الكواكب ، أنَا وإنَّ لخروجه علامات عشر .. أوَّلُها تحريف الرايات في أزقة الكوفة ، وتعطيل المساجد ، وانقطاع الحاج ، وخسفٌ وقذفٌ بخراسان ، وطلوعُ الكوكب

المذنَّب ، واقتران النجوم ، وهرج ، ومرج ، وقتل ، ونهب ، فتلك علاماتٌ عشر ، ومن العلامة إلى العلامة عجب .. فإذا تمَّت العلامات قام قائمنا ، قائم الحق (يعني المهدي عليه السلام) ،][1] .

فالعلامات العشر التي أشار لها عليه السلام – وهي على سبيل البيان غير الحصري – : أولها تحريف الرايات في أزقة الكوفة (إشارة إلى حرب وفتنة ومعارك) ، وتعطيل المساجد (إشارة إلى منع إقامة الشعائر وإبطال وظيفة المساجد) ، وانقطاع الحاج ، (إشارة إلى منعه أو وقوع ما من شأنه أن يمنع منه ، وفي النصوص ما يشير إلى اختلاف على الملك وانقسام القوم هناك فرقتين ، والتهيُّئ للحرب ، بل سيلان دم في منى) وخسف (في الأرض) وقذف بخراسان ، وطلوع الكوكب المذنب ، واقتران النجوم ، وهرج ومرج وقتل ونهب (إشارة إلى عنفٍ وحروبٍ وفتنٍ واقتتالٍ واختلال النظام) ، فتلك علامات عشر ، ومن العلامة إلى العلامة عجب .. فإذا تمت قام قائم الحق عليه السلام ..

ويبدو من المتون أنَّ فتنةً واسعةً تحيط بالبلاد ، يصيب الناس على أثرها جوعٌ ووجعٌ وقتل وإبادة ، وفتن متفرِّقة في الآفاق والبلاد ، واختلاف بين الأمراء ، من عربٍ وعجم ، ويظهر أنَّ العراق يكون منطقة رئيسيّة في تلك اللحظات الحاسمة من التاريخ ما قبل ظهوره عليه السلام .

ومن مجموع النصوص يظهر أنَّ حرباً تتدخَّل فيهم الروم والترك ورايات مختلفة من الشرق والغرب ، منها السفياني والراية المغربيّة وغيرهم في ظل اختلاف جبهات ، وتذابح على الثروة والمال والمواقع ما

---

[1] مشارق النور : صد ١٦٤ - ١٦٦ .

عدا الراية الخراسانيّة التي تسير في خطٍّ تريد عبره تحرير إيلياء بيت المقدس بفلسطين وتنجح في ذلك ثم تتكاتف عليها الروم والترك والسفياني والراية المغربيّة وغيرها وحصول مجموع أمور معقّدة فتنسحب من تلك البلاد إلى خراسان وتخوض غمار حرب عنيفة ، ثم بعد ذلك تظهر الراية اليمانيّة ، ثم مجموع أحداث سريعة يكون على أثرها ظهور مولانا القائم المهدي عليه السلام ..

ومن تلك العلامات ما نقله الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أنّ عليّاً عليه السلام قال : [.. إذا وقعت النّارُ في حجازكم ، وجرى الماءُ بنجفكم ، فتوقّعُوا ظهور قائمكم ..][1] .

فهذا من العلامات الإضافيّة . وكما ترى : هنالك علامات تقع في زمانٍ واحد ، وعلامات أخرى تتلو علامات . وقد وردت الإشارة لموضوع النّار بأكثر من نص ، فما هو المقصود بها ..؟ هل معناها اللغوي الحقيقي ، أم كناية عن دمارٍ ونار وحريقٍ وفتنٍ وسفك دماء ..؟ أم المقصود فيها نار ضخمة تلتهب ناحية الحجاز مثل حريق ضخم في آبار النفط كمثال تقريبي مثل الذي حصل في الكويت على أثر الحرب الأمريكيّة ضدّ صدام حسين بعد اجتياحه للكويت ؟

أقول : الظاهر من النص التأكيد على النار بمعناها المتبادرة من اللفظ ، وأنّها نار ليست من نوعٍ عادي ، بل من الضخامة بمكان ، لأنّ النصّ يشير إليها على اعتبار أنّها من العلامات البارزة الدالّة على قرب الظهور وأنّها تكون آخذة بالأنظار .. نعم سياق النصّ وطبيعتُهُ العرفيّة تتضمّن

---

[1] عجائب البلدان : على ما في الصراط المستقيم . * : الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٢٥٨ ب ١١ ف ١١ –

إشارة إلى بيئة فتنة أو حرب أو صراع على مُلك أو أي شيء آخر يكون سبباً في التهاب الجبهة والتحام الرجال ونشوب الإقتتال وتوابعه ..

كما أنّ جريان الماء بالنجف يدلُّ على المعنى الحرفي الظاهر فيه ، لكنّه بمساعدة الفهم العرفي الذي هو أيضاً من مداليل اللفظ يعني جريان ماء على نحوٍ غير عادي ، وبصورةٍ تشيرُ إلى نتاجٍ محدّد عن حدثٍ محدّد ، بطبيعة الحال يتضمّن الإشارة إلى فتنة أو اقتتال وشبه ذلك . بل النص وسياقه ظاهرٌ في ذلك ، بل هذا تابع لطائفة من النصوص التي تتضمن بيان الفتن والحروب والإقتتال والعنف الذي يجوب البلاد ، فيكون بضميمة الطوائف إلى بعضها البعض دالاً بشكلٍ أكيد على ما أشرنا إليه .

وهل جريان الماء يكون من سدود أو من شيءٍ آخر ، المهمّ أنّ النصّ دالٌّ على جريان ماء من نوعٍ غير عادي ، سواء كان من جهة إمطارٍ استثنائي وتغيُّر غير عادي في الدورة المائيّة اتّجاه تلك البقعة من الأرض في ذلك العام أو من ناحية تفجير سدود تجمع الماء أقامها البشر في تلك البقعة ، أو ما هو قريب منها أو في موقعٍ من شأنه أن يؤثّر بانهيار تلك السدود على نحو جريان الماء في النجف ونواحيها .. النص ظاهر في الدلالة الإستثنائيّة على أمرٍ استثنائي ..

فإذا تمّ ذلك قال ﷺ : توقّعوا ظهور قائمكم . وبطبيعة الحال هذه علامات إضافيّة إلى تلك العلامات ، من الموت الأحمر والجوع الأغبر والموت الأبيض ، أي موت الأمراض ، فضلاً عن حروب الروم والترك والرايات الثلاث في الشام : السفياني والأصهب والبقع ، والراية المغربيّة ، ودولة بني العباس الجديدة ، وغير ذلك من الرايات والدُّول ، ضمن معالم

الفتن التي أشرنا إليها سابقاً ، فتنة خاصة ، ثم عامة ، ثم خاصة ثم عامة ، ثم فتنة لا تُبقي ولا تذر ، صماء عمياء ..

وفي خطبة للإمام عليه ﷺ تُسمّى التطنجيّة ، خطبها ﷺ بين الكوفة والمدينة ، فقال :

[.. يا جابر إذا صاحَ الناقوس ، وكُبِسَ الكابوس ، وتكلّم الجاموس ، فعند ذلك عجائبُ وأيُّ عجائب ، إذا أنارت النّار ببصرى (صوب الشام) ، وظهرت الراية العثمانية بوادي سوداء ، واضطربت البصرة ، وغلب بعضهم بعضاً ، وصبا كلُّ قومٍ إلى قومٍ ، وتحرّكت عساكر خراسان ، وتبع شعيب بن صالح التميمي من بطن الطالقان (قائد عسكري مهمّ له دور ضخم في دولة المُوطّئين بين يدي الخراساني) ، وبُويع لسعيد السوسي بخوزستان ، وعُقدت الراية لعماليق كردان ، وتغلّبت العرب على بلاد الأرمن والسقلاب ، وأذعن هرقل بقسطنطينة لبطارقة سينان ، فتوقّعُوا ظهور مكلّم موسى من الشجرة على الطُّور ، فيظهر هذا ظاهر مكشوف ، ومعاين موصوف ..

ثم بكى صلوات الله عليه وقال : واهاً للأمم ، اما شاهدت رايات بني عتبة مع بني كنام السائرين أثلاثاً ، المرتكبين جبلاً جبلاً مع خوفٍ شديد وبؤسٍ عتيد ، ألَا وهو الوقت الذي وُعدتُم به ، لأحملنّهم على نجائب ، تحفُّهم مراكب الأفلاك ، كأنّي بالمنافقين يقولون : نصّ عليٌّ ﷺ على نفسه بالربّانية . ألا فاشهدوا شهادةً أسألكم بها عند الحاجة إليها ، أنّ عليّاً نورٌ مخلوق ، وعبدٌ مرزوق ، ومَن قال غير هذا فعليه لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنين . ثم نزل وهو يقول : تحصّنت بذي المُلك والملكوت ، واعتصمتُ بذي العزّة

والجبروت ، وامتنعتُ بذي القدرة والملكوت ، مِن كلِّ ما أخافُ وأحذر ، أيُّها الناس ما ذكر أحدكم هذه الكلمات عند نازلةٍ أو شدَّةٍ إلَّا وأزاحها اللهُ عنه][1] .

هذه الخطبة تفرَّد بروايتها رجب البرسي ، ولم يذكر لها سنداً ، وفيها ألفاظ عديدة لم نعرف معناها ، منها مثلاً : سعيد السوسي ، لكنَّها تشير إلى ذلك العالم ، عالم ما قبل الظهور . واللافت في هذه الخطبة أنَّها تذكر خروج شعيب بن صالح من جبال الطالقان الواقعة غربي طهران ، وقد وردت روايات أنه يكون قائد قوات الخراساني الذي يظهر سنة ظهور المهدي ﷺ ويمهِّد له ، ثم يكون شعيب هذا قائد قوات الامام المهدي ﷺ ..

وعباراتُها تشير إلى رهبة تلك اللحظات التاريخيَّة الكبرى ، فالناقوس والكابوس والجاموس ، وما يتبعها من عجائب أيُّ عجائب ، ونار بصرى ، والرايسة العثمانيَّة ، واضطراب البصرة ، وغلبة البعض على البعض ، وصبا كلُّ قومٍ إلى قومٍ ، في ظل حروبٍ ونار ودمار ، واختلاف الرايات ، واشتعال في الجبهات ، ثمَّ تحرُّك عساكر خراسان ، ونبع شعيب بن صالح التميمي مِن بطن الطالقان ، وهو كنز من كنوز آل محمَّد آخر الزمان وقائد من القادة الإستثنائيين لا يرهبه الموت ولا تحافل الأمم من الروم واليهود ولا الترك والسفياني ولا غيره يسير بجيش الخراساني حتى

---

[1] مشارق البرسي : صد ١٦٦ – ١٧٠ – مرسلاً قال عندها : ومن خطبة له ﷺ تسمَّى التتنجية ، ظاهرها أنيق ، وباطنها عميق ، فليحذر قارئها من سوء ظنه ، فإنَّ فيها من تنزيه الخالق ما لا يطيقه أحد من الخلائق ، خطبها أمير المؤمنين ﷺ بين الكوفة والمدينة ، فقال : .. – الايقاظ من الهجعة : صد ٣٧٥ ب ١٠ حـ ١٤ – بعضها ، عن مشارق البرسي أيضاً .

يطأ البلاد المرسومة فيفتحها في ظلّ مسيرٍ جبّار ، كلُّ ذلك في ظلِّ أهوالٍ ودمار ، وحروب ونار ، ورايات متنازعة مختلفة ، منها راية عماليق كردان ، في حين يشير في بعض فقراته إلى تغلُّب العرب على بلاد الأرمن والسقلاب ، وإذعان هرقل بقسطنطينة لبطارقة سيتان .. عندها قال ﷺ : توقَّعُوا ظهور مكلِّم موسى من الشجرة على الطُّور ، فيظهر هذا ظاهر مكشوف ، ومعاين موصوف .. إشارة إلى المهدي ﷺ .. ويشيرُ ﷺ إلى خوفٍ شديد وبؤسٍ عتيد ، مؤكِّداً أنَّهُ الوقت الذي وُعدتُم به ..

إنّه إخبارٌ بالأحداث ومفهوم التعاقب الزمني على طول جبهة الفعل البشري ، كبيان مفصلي لزمن التطوّرات حتى عالم الظهور .

وفي رواية الحسن عمَّن أخبره أنَّ علي بن أبي طالب ﷺ قال لابن عباس : [.. يا ابن عباس قد سمعت أشياء مختلفة ، ولكن حدِّث أنت رضي اللهُ عنك ، قال نعم . قال ﷺ : أوَّلُ فتنة من المائتين إمارةُ الصبيان ، وتجاراتٌ كثيرة وربحٌ قليل ، ثم موتُ العلماء والصالحين ، ثم قحطٌ شديد ، ثم الجورُ وقتلُ أهل بيتي الظماء بالزوراء الشقاق ، ونفاق الملوك وملك العجم . فإذا ملَكَتْكُم الترك ، فعليكم بأطراف البلاد وسواحل البحار ، والهرب الهرب ، ثم تكون في سنة خمسين ومائتين وخمس وثلاث فِتَنُ البلاد ، فتنة بمصر ، ألويلُ لمصر . والثانية بالكوفة ، والثالثة بالبصرة . وهلاك البصرة من رجلٍ يُنتَدبُ لها لا أصلَ له ولا فرع ، فيصير الناس فرقتين ، فرقة معه وفرقة عليه ، فيمكث فيدوم عليهم سنين ، ثم يولَّى عليكم خليفةٌ فظٌّ غليظ ، يُسمَّى في السماء القتَّال ، وفي الارض الجبَّار ، فيسفك الدماء ، ثم يمزج الدماءَ بالماء ، فلا يقدر على شربه ، ويهجم عليهم الاعراب ، وعند هجوم الاعراب يُقتَلُ الخليفة ، فيفشو الجورُ والفجورُ بين

الناس ، وتجيئكم راياتٌ متتابعاتٌ كأنهنَّ نظامٌ منظومات ، انقطعنَ فتتابعنَ . فإذا قُتِلَ الخليفة الذي عليكم فتوقَّعوا خروجَ آل أبي سفيان ، وإمارته عند هلال مصر ، وعند هلال مصر خسفٌ بالبصرة ، خسفٌ بكلاها وبأرجائها . وخسفانِ آخرانِ بسوقها ومسجدها معها ، ثم بعد ذلك طوفانُ الماء ، فمن نجا من السيف لم ينجُ من الماء ، إلا مَن سكن ضواحيها وترك باطنها . وبمصر ثلاثة خسوف ، وست زلازل ، وقذفٌ من السماء ، ثم بعد ذلك الكرفة ، ويكون السفياني بالشام ، فإذا صار جيشُهُ بالكوفة ، توقَّع لخير (لخبر) آل محمد ﷺ تحت الكعبة ، فيتمنَّى الاحياء عند ذلك أن أمواتهم في الحياة ، يملؤها (أي المهدي ﷺ) عدلاً كما مُلئت جوراً][1] .

في هذا النص يشيرُ الإمام ﷺ إلى علاماتٍ مختلفة ، يبدو أنَّ بعضها أكثر تفصيلاً ، بل مساعد في تكون صورة أوسع ذات تكامل حول العلامات والمواصفات التي تكون قبل ظهور الإمام ﷺ .

ففيها يشيرُ إلى فتنةٍ يكون على أثرها إثارة الصبيان ، وهي إشارة مركزيَّة إلى تهوُّر الحكم ، وهشاشة القيادة وسفاهتها ، وانهيار الشرط الضروري في قيادة الإجتماع السياسي على نحوٍ آمن وفق معايير الشريعة ومقاصدها .

فإذا تمَّت هذه الفتنة التي يبدو منها أنَّها تطبع مناطق واسعة من العالم بقيادة سفيهة ، ذات بُعد غريزي ، ومطامع ذاتيَّة ، تبدأ ملامح وجه جديد منعكس عنها ، منه شيوع نمط التجارات الكثيرة والربح القليل ، وهو إشارة إلى كسادٍ من جهة ، ومشكلة سلعة من جهةٍ أخرى ، الربح القليل ،

---

[1] فتن السليني : على ما في ملاحم ابن طاووس . * : ملاحم ابن طاووس : ص ١٢٤ ـ ٢٩ –

يعني كساد البضاعة ، معروض كثير لا يقابله بيع كثير ، خلل واضح في معادلة العرض والطلب في الأسواق لصالح جبابرة يحكمون السوق ، ويبدو انّه يشير إلى أزمة إقتصاديّة ، إلى جوع وحاجة ومستوى معيشي صعب ، وربّما يساعدنا على هذا المعنى ما أشارت إليه نصوص أخرى من انهيار في قيمة الأسواق سلعاً وأثمان ، وجوع وأمراض وشبه ذلك ..

ثم يضيف ﷺ صفةً أخرى تتمثّل بموت العلماء والصالحين ، وهي تعني واحداً من إثنين : إمّا الموت الفعلي الحقيقي لعلماء بارزين ، يشكّلون قيادة رائدة في مجال الدعوة إلى الدّين والشريعة ، أو أنّها كناية عن إجهاض مشروع الدين ، وتنحية أهل الحق من العلماء والفقهاء عن سدّة النفوذ والسلطنة والإمرة ولو الإجتماعيّة الدينيّة .

بتعبير آخر : يريد النص الإشارة إلى أنّ أهل الحقّ يصبحون في تلك الفترة من الزمن لا وجود فاعل لهم في مجتمعاتهم ، بلا دور ناشط ، بلا سلطنة مؤثّرة ، وكأنّهم أموات أو هم في عداد الأموات فعلاً ، والقدر المتقيّن من المعنى هو أنّ الفقهاء الصالحين يخسرون أدوارهم في المجتمع العام ، لصالح فئة الضالّين المُضلّين والطغاة المستبدّين ، من إمارة الصبيان ، وحيتان الأسواق ، وعلماء السوء ومدّاح السلاطين ..

وعلى أثر إمارة الصبيان ، بما تعنيه من سفاهة وهشاشة مثيرة في قيادة المجتمع ورأس الحكم ، ثم خلل كبير في الأسواق والمعيشة ، وتنحية الفقهاء والعلماء الصالحين ، على أثر ذلك يفشو « قحط شديد » ، بطبيعة الحال هو مردود إلى سلسلة الأحداث الجديدة والظواهر الحادثة ، من نمط الحكم ، وطغيان الإحتكار السوقي ، وخلل عنيف في معادلة

العرض والطلب على أيدي وحوش المال وحيتانه . وإذا احتُكرت الثروة ، وطغى أهلُ المال والحكم ، وسيطرت معاقل قليلة على السلع والأسواق ، فإنّ من النتائج اللازمة ظهور جوع وحاجة وفاقة شديدة ومسكنة ، وظلم تجاري مالي ومعيشي هائل . ومع قلّة الإنفاق من طبقة الشعب ، فإنّ الإستثمار سيقلّ ، وبالتالي تفشو الحاجة ، وتعلو أصوات البائسين ، بالإضافة إلى أنّ النصّ يشيرُ إلى أمرٍ آخر ، يكمن في تركيز معناه على قحط شديد ، أي قلّة عطاء من الأرض ، واليد العاملة ، ضعف شديد في الفائض المحلّي لتلك البقاع ، ركود إقتصادي ، فشل في الإستثمارات الماليّة ، تفشّي البطالة ، زيادة التضخّم ، كلُّ هذه المعاني تقع تحت لفظ القحط الشديد ، ويكون ضحيّتُه طبقة الشعب ، الذين يعانون الجوع والوجع والفاقة ولهيب الأنفس ، وحريق الذلّ والخسران ..

وهذا بطبيعة الحال نتيجة تلك الفتنة في نمطها العام ، وهو مردود على الإنسان ، سببهُ نوع محدّد من سلوك الإنسان ، نعم ربّما يكون للطبيعة جزء السبب فيه ، كأن تمتنع عن الإمطار ، في ظلّ جفاف شديد وشبه ذلك ، أو انّ قانون غلّة الأرض يكون على اتصالٍ بأثرين : بشري وطبيعي ، لكنّ النصّ واضحة الإشارة إلى الترابط بالسلوك البشري ، بإمارة الصبيان ، بحكرة الأموال والأسواق ، بموت الفقهاء والعلماء الصالحين ، أو تنحيتهم ومنع نفوذهم ، وهذا لا يمنع شراكة الطبيعة في تحقيق القحط الشديد ، لكنّه قطعاً شامل لفعل الإنسان وسوء القيادة ، والتوحّش في السياسة أو المال أو الأسواق أو النقد أو حكم الجماعة والإجتماع . النص في واردة الإشارة إلى هذه المعاني .. ثمّ يشير الإمام ﷺ إلى نوعٍ خاص من الجور ، أي جور بارز على نحوٍ استثنائي ، جور يكون على أثره قتل أهل بيت الإمام

علي ﷺ العطاشي بالزوراء ، أي بمنطقة العراق ، وكما ترى ما أشار له الإمام ﷺ بهذه الصفات انطبق ووقع ، سواء من إمارة الصبيان وموت الفقهاء الصالحين وتنحيتهم ، أو حكرة المال وتداوله بين أهل الغنى والسلطان ، وصولاً إلى قتل أهل بيت الإمام علي ﷺ عطاشي على يدِ أسوأ خلق الله تعالى في ناحية العراق ..

ثم يشير إلى الشقاق ، الخلافات ، الإفتراق ، وتصدّع الأمر في مملكة أهلِ الحكم ، كما يشيرُ إلى مُلك العجم ، مُلك خاص وإشارة خاصة جديرة بالإنتباه ، ثمّ إلى مُلك الترك ، بل في التعبير عنه ﷺ : فإذا ملَكَتْكُم الترك فعليكم بأطراف البلاد وسواحل البحار ، والهرب الهرب . وهذا أمرٌ حصل بشكلٍ مذهلٍ . والتاريخ مليئ بهذهِ الوقائع وشهاداتها ..

من هنا أشار بعض المفسّرين والشرّاح لمثل هذهِ الفقرات على انّ هذه العلامات حصلت .

ثمّ أشار ﷺ إلى ثلاث فتَن بعد ذلك : فتنة في مصر ، وثانية في الكوفة ، وثالثة بالبصرة ، أيضاً اعتبر بعض الشرّاح هذهِ الفتن وقعت وانتهت ، وهي غير فتن ما قبل الظهور الشريف ، أي الفتنة القريبة جداً من عصر الظهور . ومن يقرأ التاريخ حول فتنة مصر والكوفة والبصرة يجد فيها الكثير الكثير من الدم والجثث والعنف والقتل على التهمة والتنكيل المبيد ، لكن يبدو واضحاً من النصوص أنّ مصر والكوفة والبصرة لها حوادث عظيمة زمن الظهور ولم تقع بعد .

بعد ذلك يشيرُ ﷺ إلى هلاك البصرة عبر رجل يُنتدب لها ، لا أصل له ولا فرع ، وكأنّه يشيرُ إلى رجلٍ أجنبيٍّ عنها ، جبّار ، أو رجل طاغٍ

سفْك ، لا أصل له أي غير معروف النسب ، يحكم بالحديد والنار ، همُّه القتل والسفك والإبادة ، عندها يصير الناس فرقتين ، فرقة معه وفرقة عليه ، فيمكث فيدوم عليهم سنين ، ثم يُولَّى عليكم خليفة فظٌّ غليظ ، يُسمَّى في السماء القتَّال ، وفي الارض الجبَّار ، فيسفك الدماء ثم يمزج الدماء بالماء ، فلا يقدر على شربه ، إشارة إلى شدّة الدماء التي يهرقها ، وكثرة النفوس التي يقتلها ، حتى يعظم الأمر ويكبر ، وتعبير « قتَّال » إشارة إلى تعاظم أمرهُ في القتل والسفك والتنكيل والإبادة . وتعبير يُدعى في السماء « جبَّار » ، لشدّة تسفه للحقوق وهتكه للأعراض وسفكه للنفوس وولوغه في ذبح ونحر الشعب الذي تطاله يدهُ .

ثم هناك إشارة إلى « هجوم الأعراب » ، يراد بهذا اللفظ الإشارة إلى القوم الذين لم يدخلْ الإيمانُ قلوبهم ، يدَّعون الإيمان وليس في قلوبهم إيمان ، أي هم مسلمون بالظاهر ليس أكثر ، فإذا هجم الأعراب قُتِل الخليفة في تلك البقاع ، فإذا قُتِل على أثر تلك الفتن والحروب يفشو الجور والفجور بين الناس ، أي يختلُّ النظام القائم لصالح فوضى عارمة ، فيكثر الجور والفساد ، وتختلُّ معيشة العباد أكثر فأكثر ، ثمَّ تجيئكم رايات متتابعات ، إشارة إلى حروب متتالية وصدامات متوالية ، كأنهنَّ نظامٌ منظومات ، انقطعن فتتابعن ، أي تأتي رايات الحرب على نحوٍ متتابع ، فتشهد تلك البقاع صدامات دمويّة هائلة ، إلى ان يُقتل الخليفة الجديد ، أي الحاكم الجديد ، فإذا قُتِل توقَّعُوا خروج آل أبي سفيان ، أي السفياني الجديد ، وإمارة السفياني تكون على أثر أحداث تاريخيّة ضخمة ، وأهوال حرب وظروف دوليّة شديدة التعقيد ، منها إعلان حروب ، ومجيء الجيوش إلى هذه المنطقة ، وبداية معالم حرب واسعة البقاع والأطراف ، تكون أوّلاً ضمن ما

نسميه اليوم منطقة الشرق الأوسط ، بحيث يبدو الخلل عنيفاً ، والمشكلة الحربيّة متوسّعة ، والأطراف متعدّدين ، بل زمن خروج السفياني تظهر راياتٌ عدّة منها راية الأصهب وراية الأبقع اللتين ينتصر عليهما السفياني الذي يأتي مُنتَصِراً تدعمه الروم . ثم بعد انتصاره في الشام يزحف نحو مصر فيقتل الرجال ويذبح الأطفال ويسبي النساء ، ويفعل ما تهتزُّ منه العقول ، ثم يعطف على بقاع أخرى فيحتلّ ما تطلق عليه الروايات إسم الكُوَر الخمس ، ويدوم ملكهُ مدّة حمل إمراة أي تسعة أشهر .

وبهذا المجال يشير النصّ إلى ميزة محدّدة من علامات ملكه فيقول : إمارته عند هلال مصر ، وعند هلال مصر خسف بالبصرة ، خسف بكلاها وبأرجاها . وخسفان آخران بسوقها ومسجدها معها ، ربّما هي إشارة إلى نكبة طبيعيّة تطال هذه المنطقة ، أو نكبة جراء فعل بشري هائل عسكري تدميري ، يكون من شأنه الخسف المتعدّد في هذه المنطقة ، المهمّ أنّ خسفاً يقع ، يتلوه خسفانِ آخرانِ ، ثم بعد ذلك طوفان الماء ، وهل طوفان الماء طبيعي ؟ أو على أثر حرب ؟ هل هو أثر لموسم شتوي استثنائي أم لانهيار سدود مائيّة ضخمة تنهار على أثر الحروب والفتن التي تصيب تلك المنطقة ؟ الأقرب إلى الإستفادة أنّ ذلك يحصل على أثر تدخّل بشري تدميري أو حربي وشبه ذلك ما يساعد على تحويل الفهم نحو انهيار سدود أو شبه ذلك ، دون أن يمنع النص من شموله لمصاديق أخرى .

على أنّ المقطوع به هو جريان الماء في تلك المنطقة (البصرة ونواحيها) على نحوٍ جارفٍ إلى درجة انّ من نجا من السيف لم ينجُ من الماء – كبيان تغليظي – إلا مَن سكن ضواحيها وترك باطنها . أي قلبها ..

فإذا وقع ذلك كان هناك سلسلة متتابعة من الأحداث التي يبدو أنّها تكون مطبقةً على المنطقة من مصر إلى ما بعد العراق ، في طول سلسلة هذه المنطقة وتجمّعاتها المختلفة . وعليه : يشير النص إلى أنّ مصر أيضاً تُصابُ بثلاثة خسوف ، وست زلازل وقذف من السماء . لكن ما هي طبيعة القذف ، وبأي لحظة ، وفي أيّ مرحلة من مراحل الفتن واشتدادها ؟ هذه الأمور لا يشيرُ إليها النص ..

وهل القذف والزلازل والقذف من السماء مردود إلى فعل بشري ، أي يكون مصدرهُ الإنسان أم الطبيعة ؟ هنا تختلُ معادلة الفهم من هذه النصوص التي يختلف تاريخُ صدورها عن تاريخ انطباقها ، فزمن الصدور لم يكن لهذه الألفاظ أي معنى لشمول فعل الإنسان ، في حين اليوم هي تقبل أن يكون وراء هذه الزلازل والقذف من السماء بحمم ضخمة تدميرية مثلاً ، تقبل أن يكون وراءها الإنسان ..

والخلاصة : أنّ ما يستفاد من النصّ – خاصّة أنّ نصوص الإنباء والبشارة والإخبار المستقبلي يأتي على نوعٍ من الألفاظ الممكنة القادرة على الإستيعاب المتعدّد – ممكن أن يطال كلا المعنيين ، من فعل الطبيعة وفعل الإنسان ، وإذا قلنا : فعل الطبيعة ، فإنّه يُستفاد من النصّ أنّه فعل عقابي مردود إلى الله تعالى في بعض عناوينه ، لأنّه يشيرُ إلى القذف من السماء ، وهذا لا يكون إلا بشكلٍ متّصل بفعلٍ إعجازي كما هو مستفاد من استعمالات هذه العبارات بلسان النصوص الشريفة السابقة على الأمم السابقة وعذاباتها .. ولا تقف سلسلة الأحداث هنا ، فهناك جبهات متعدّدة ، وأحداث شديدة الإتّصال والتتابع ، بحيث يبدو العالم آنذاك على نحوٍ من ترابط شديد في سلسلة الأحداث ومفاعيلها ، لكنّ ما نطلق عليه اليوم منطقة

الشرق الأوسط تكون مهد الحرب الأولى ونواة التوسُّع العالمي الذي تطاله تلك الحرب بأطرافها الجبهويَّة المتعدِّدة .

فمن تلك السلسلة ما يصيب الكوفة ، وهو لفظاً يشمل الكوفة وناحيتها ، في وقت يكون السفياني قد استحكم أمرهُ في الشام ، فيبعث بجيشٍ على الكوفة ، يريد قتل أنصار آل محمّد فيها ، ثم يختم نصُّ الإمام ﷺ بالإشارة إلى أنّه إذا وصل جيش السفياني إلى الكوفة وفعل ما فعل توقّع خير أو خبر آل محمّد تحت الكعبة ، وهو إشارة إلى إعلان ضخم يهزُّ العالم من انّ المهدي قد خرج ..

والذي يُستفاد عندنا من النصوص أنّ المهدي ﷺ له خروجين ، خروج خاص أوّل الأمر يكون فيه على تدبيرٍ من أمره ، ثم الخروج العام الضخم الذي يتمُّ فيه الإعلان عن ظهوره العظيم ..

وكما ترى : في هذا النص إشارات مختلفة ، متعدّدة ، تطال المنطقة من مصر إلى العراق ، في حين نصوص أخرى تركّز على العلامات التي تحصل في الحجاز واليمن والشام وخراسان وإيلياء ومنطقة الترك وجبهة الروم وشبه ذلك .

وبمجموع هذه النصوص يحصل تشابك عالمي وانزلاق تام في مجال الحرب الجديدة من الزمن الجديد . على أنّ منطقة العراق تكون رئيسيَّة جداً في معترك تلك السلسلة . كما أنّ الفتن التي اشار إليها ﷺ تركّز على ما قبل هذه الحقبات الأخيرة ، بل تشير إلى أزمانٍ ذكرها ﷺ في أوقاتٍ مختلفةٍ من تاريخ الإنسان في هذه المناطق وغيرها ، منها إمارة الصبيان والحكرة والإستغلال والقحط الشديد وموت الفقهاء والعلماء

الصالحين ، ثم الفتن المختلفة التي يختلط فيها السيف بالجوع والظلم والفساد ..

أمّا ما ورد في الرواية عن معتمر بن سليمان عن عمر بن علي أنّ علياً ﷺ قال : [تكون فتنٌ ، ثم تكون جماعة على رأس رجل من أهل بيتي ، ليس له عند الله خلاق ، فيقتل أو يموت فيقوم المهدي][1] . أوّلاً معتمر بن سليمان بن خراش يخطئ في حفظه كما قال في ميزان الإعتدال . وقالوا فيه : استحقّ حديثُه الترك[2] .

وعلى كلّ حال : ليس في أحاديث الفريقين من العامّة والخاصّة ما يشتمل على ذمّ رجلٍ من آل بيت النبي ﷺ تكون على يده جماعة . ويشتبه أن تكون هذه الرواية موضوعة لمصلحة الامويين بعد نجاح ثوره العباسيين . فقد حاول الأمويّون دسّ ما من شأنه أن يساعد في تقويض حكم بني العباس في مثل هذه الأنماط ، كما فعل الأمويون ذلك من قبل في محاولة منهم لتدعيم سلطانهم ..

لكنّ الأهم في هذا الحديث هو تأكيدهُ على ضرورة خروج المهدي ﷺ ، وأنه الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً .. بل بعض النصوص التي حاول بعضهم الدسّ عبرها كانت ترتكز على هذه القيمة الثابتة من تواتر أمر المهدي ﷺ .. بل العباسيين بالذات حاولوا أن يستفيدوا من معاني بعض النصوص وأن

---

[1] ابن حماد : ص ٩٢ -

[2] قال في ميزان الاعتدال : ج ٤ ص ١٤٢ - في معتمر بن سليمان (بن خراش) أنه يخطئ من حفظه . وقال في : ج ٣ ص ١٦٨ - في عمار بن محمد (الثوري الجوزجاني) عن ابن حبان أنه استحق الترك . وقال في الجرح والتعديل : ج ٦ ص وقال ابن حبان : ممن فحش خطأوه وكثر وهمه فاستحق الترك) .

يطبّقوها عليهم ، وكلّما فشلوا حاولوا ان ينسبوا أنفسهم إلى النبي ﷺ .. ما يعني أنّ الذهن العام ظلّ محصراً على تلك الطائفة المتواترة من النصوص التي صدرت عن النبيّ ﷺ بخصوص المهدي ﷺ ، وكانت كلُّ طبقة تسأل عنها وتتحدّث فيها ، وتنتظر في العلامات لِمَا ثبت التواتر من أمر المهدي ﷺ الذي يكون من نسل عليٍّ وفاطمة ، فيخرج في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظلماً ..

حال الشيعة قبل ظهور المهدي ﷺ

ممّا تجدرُ الإشارةُ له أنّ الشيعة زمن الظهور يكونون في هذا العالم الذي يحكمهُ الجبابرة والأباطرة وأهل الباطل حيث مفاصله وهياكلهُ قائمة على نحوٍ من ظلمٍ واضطهادٍ مواثيقي عرفي اجتماعي سياسي عام إلا ما خلا بعض البقاع التي تدعو إلى أمر الله في ظلّ تعبٍ وعناءٍ كبيرٍ أشارت له النصوص بشيءٍ واضحٍ من الجهد ..

ومن يقرأ النصوص التي تتحدّثُ عن الشيعة زمن الغيبة يجد فيها فرقتين : فرقة آمنت بالله ورسوله ، وتابعت نهج أهلِ البيت ﷺ وصبرت على ما أصابها من أذىً ولظىً وجهدٍ هائلٍ كما يُستفادُ من النصوص ، وفرقة أتّبعت شهواتها ، وغفلت عن مقصدها ، وانفرط أمرها ، فهم مع أهل الباطل ، ومنهم سواء .

ولأنّنا سنتحدّثُ عن الشيعة من أهل الحقّ الذين يكونون آخر الزمان ويقيمون أمرهم على شرعِ الله تعالى ، والدعوة إلى ولاية أهلِ البيت ﷺ ، بالإضافة إلى طوائف منهم يكونون هنا وهناك ويصبرون صبراً عظيماً حتى خروج القائم ﷺ ، لذلك سأقتصر هنا بالإشارة إلى أصل النصوص التي تشيرُ إلى اختلاف الشيعة ، وهي تشيرُ إلى ضياع فئة منهم ، تمتهن الدنيا رزقاً لها ، فتحاول بطريقةٍ وأخرى أن تتشوّش على

أهل الحقِّ من الشيعة ، فضلاً عن أنّهم يكونون على صحبةٍ ومودّةٍ مع أهلِ الباطل ..

ففي رواية مالك بن ضمرة قال : قال أمير المؤمنين ﷺ : [.. يا مالك بن ضمرة ، كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا - وشبك أصابعه وأدخل بعضها في بعض - فقلت : يا أمير المؤمنين ما عند ذلك من خير ، قال ﷺ : الخير كلّه عند ذلك ، يا مالك ، عند ذلك يقوم قائمنا ﷺ فيُقدَّم سبعينَ رجلاً يكذّبونَ على الله وعلى رسوله ﷺ فيقتلهم ، ثم يجمعهم الله على أمرٍ واحد][1] .

إشارة منه ﷺ إلى اختلاف الشيعة على فئتين ، واحدة على الحقّ وواحدة على الباطل ، وأنّ من بين أهل الباطل يبرز سبعون ، يبدو أنّهم يتزعّمون قيادة الإنحراف ، ولعلّه إشارة عدديّة ليست حصريّة ، ويمكن أن يكون عدداً حصرياً كاملاً ، أي سبعون رجلاً ، الإحتمالان ممكنان . لأنّ الإستعمال اللغوي في مثل هذه السياقات يفيد الإثنين معاً ، في حين أصل الإستعمال يعني الإشارة حصراً إلى العدد ، لكنّ كثرة الإستعمال في مثل هذه السياقات كان تشير إلى نوعٍ من الإشارة إلى الرقم على نحوٍ من البيان لا الحصر .

وعليه : الإمام ﷺ يشيرُ إلى قومٍ بارزين من الشيعة يكونون مع أهل الباطل ، يكذبون على الله ورسوله ، وهو معنى يُرادُ منه أنّ قسماً منهم أو هؤلاء البارزون يتقمّصون الدّين ويتّخذونه شعاراً في ادّعاءاتهم وكذبهم ، فيروّجون للباطل وأهله عن طريق التقنّع بالدّين والشريعة . فإذا

---

[1] النعماني : ص٢٠٦ ب١٢ ح ١١ -

خرج المهدي ﷺ قتلهم جميعاً .. المهمّ في النصّ إشارته إلى اختلاف بين الشيعة ، قسمٌ منهم مع الحقّ وقسمٌ منهم على الباطل ، وقسمٌ من أهل الباطل من هؤلاء يتّخذ الدّين قناعاً للكذب والتزوير والتحريق وتثبت سلطان أهل الباطل وتحريم الحلال وتحليل الحرام ، فإذا انتهت مدّة الأجل وظهرت علامات الخروج خرج المهدي ﷺ ..

ولا يشير النصّ إلى تفاصيل في الفترة والمدّة من هذه الناحية ، نعم يشيرُ أنّه إذا وصل الإختلاف بينهم على نحوٍ صارخٍ وكان منهم هؤلاء الذين لبسوا الدّين مقلوباً لتثبيت أركان الفساد بالإضافة إلى علامات الخروج الناظرة إلى أهل الكفر والفساد والإنحراف من جميع الملل والأديان ، عندها يأذن اللهُ للمهدي ﷺ بالخروج ..

وفي الرواية عن الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين ﷺ قال : [.. كونوا كالنّحلِ في الطير ، ليس شيءٌ من الطير إلا وهو يستضعفها ، ولو علمت الطيرُ ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك ، خالطوا النّاسَ بألسنتكم وأبدانكم ، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم ، فوالذي نفسي بيده ما ترونَ ما تحبُّون حتى يتقلَ بعضكُم في وجوهِ بعضٍ ، وحتى يُسمّي بعضكُم بعضاً كذّابين ، وحتى لا يبقى منكم – أو قال من شيعتي – إلا كالكحل في العين ، والملح في الطعام ، وسأضرب لكم مثلاً وهو مثلُ رَجُلٍ كان له طعامٌ فنقّاهُ وطيّبَه ، ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله ، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابه السُّوس ، فأخرجه ونقّاهُ وطيّبَهُ ، ثم أعاده إلى البيت فتركه ما شاء الله ، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس فأخرجه ونقّاهُ وطيّبَهُ وأعاده ، ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمةٌ كرزمة الأُندر لا يضرُّه السوسُ شيئاً ، وكذلك أنتم تُميَّزُون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا

تضرُّها الفتنةُ شيئاً [1] . أي أنَّ الشيعة زمن الغيبة سيُصابُون ببلاءات مختلفة ، منها بلاءات الأمم وهيكلة العالم على الفساد والإضطهاد ، وتغيير المواثيق والقيم على نحوٍ يُصادِمُ قيمَ الشريعةِ الشريفة ، بالإضافة إلى بلاءاتٍ مفادها اختلافُ الشيعة وانقسامهم على قسمين : قسمٌ هم أهل الحقّ . وقسمٌ مع أهلِ الباطل لا يلتزمون قيم الشريعة ، عراة ، نزاة ، أعوان الظلمة ، فسقة ، فجرة . وقسمٌ آخر من أهل العفّة والدِّين والإعتقاد واليقين ، ملتزمون مواثيق الشريعة الفرديّة والإجتماعيّة والسياسيّة والمعرفيّة وغيرها ، وأنَّ الشيعة سيغربلون ويُغربلون بالبلاءات العامّة والخاصّة ، حتى يكذّب بعضهم بعضاً ، ويفسّق بعضُهُم بعضاً وما يتّصل بهذا المعنى ، إشارة إلى خروج فئةٍ منهم نحو الباطل وتأصيلهم في هذا المناخ الظالم .. وهذا يعني نوعاً من الإحتكاك والإصطدام بين الشيعة ، فلا يبقى من اهل الإيمان الذين يتّبعون نهج الإسلام الشريف وولاية أهل البيت عليهم السلام إلا قلّة . والمعنى هنا نسبي .

وفي رواية عباية بن ربعي الاسدي قال : سمعتُ أمير المؤمنين عليه السلام يقول : [2] .. كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمامِ هدى ، ولا علمٍ يُرى ، يبرأ بعضُكُم من بعضٍ [2] ..

وكما ترى : عمليّة صِدام واختلاف وتبرٍّ بين فرقتين : واحدة على الحقّ والثانية على الباطل ، وآخر المطاف لا يبقى من أهل الحقّ إلا القليل .. وعن عبد الله الشاعر – يعني ابن عقبة – قال : سمعتُ عليّاً عليه السلام يقول :

---

[1] النعماني : صـ ٢٠٩ – ٢١٠ ب ١٢ ح ١٧ – المفردات : زايلوهم : أي انفصلوا عنهم وتميزوا . الانذر : بضم الهمزة وفتح الذال : الكدس أو الكومة من القمح خاصة .

[2] غيبة الطوسي : صـ ٢٠٧

[.. كأنّي بكم تجُولُونَ جولانَ الابل تبتغونَ مرعىً ولا تجدونها يا معشر الشيعة][1] . إشارة إلى ضياعهم وانفراط نظم أمرهم ، وضبابيّة ما يحيط بهم ، كأنّهم لا قائدٍ أو رائد ، في عالمٍ تملأهُ المفاسد ..

وفي نفس المصدر عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني رضي الله عنه عن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ عن أبيه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين ﷺ قال :

[للقائمِ منّا غيبة أمدها طويل ، كأنّي بالشيعة يجُولُونَ جولانَ النعم (الإبل) في غيبته ، يطلبون المرعى فلا يجدونه ، ألَا فمَن ثبتَ منهم على دينه ولم يقسُ قلبُهُ لطُولِ أمدِ غيبة إمامه ﷺ فهو معي في درجتي يوم القيامة . ثم قال ﷺ : إنّ القائمَ منّا إذا قام لم يكن لأحدٍ في عنقه بيعة ، فلذلك تخفي ولادته ويغيب شخصه][2] .

إشارة إلى تغيُّراتٍ كبيرة تصيب فئةً مهمّة من الشيعة بالإضافة إلى غيرهم من المسلمين بالنسبة إلى تهاونهم بأمر المهدي ﷺ والشريعة ، على الأقل يتركون دينَ الله ودينَ جدّه ﷺ ، فيخرجون على نحوٍ لا يمتُّ للدين بصلة ، سواء في مجال الأخلاقيّات (تعرّي وسفور) أو الإجتماع أو السياسة أو نظم المال والتجارة والنقد والإقتصاد وغيره .. وعن عكرمة بن صعصعة عن أبيه قال : كان علي ﷺ يقول : [.. لا تنفكُّ هذه الشيعة حتى تكونَ بمنزلة المعزا لا يدري الخابس على أيها يضع يده ، فليس لهم شرف

---

[1] النعماني : ص ١٩٢ ب ١٠ ح ٢ -

[2] النعماني : ص ١٩٢ ب ١٠ ح ٣ -

يشرفونه ، ولا سند يستندون إليه في أمورهم][1] ، أي ينفرط عقدهم ويضعف يقينهم ، إلا فئة تظلُّ على أمرِ الله ورسوله والأئمة ﷺ لا يبالون ما خالفهم الناس ، وعلى الله يتوكَّلون ..

وفي رواية عميرة بنت نفيل قالت سمعت الحسن (الحسين) بن علي ﷺ يقول : [.. لا يكون الامر الذي ينتظر حتى يبرأ بعضكم من بعض ، ويتفلُ بعضكم في وجوه بعض ، فيشهد بعضُكم على بعضٍ بالكفر ، ويلعن بعضكُم بعضاً . فقلت له : ما في ذلك الزمان من خير ، فقال ﷺ : الخيرُ كلُّه في ذلك الزمان ، يقومُ قائمنا ، ويدفع ذلك كله][2] .

يشير ﷺ إلى خطورة الزمن ، وسطوة القيم المخيفة ، والإنقسام الذي يصيب الشيعةَ بين مؤمنٍ وضالّ ، بين صاحب يقين وصاحب هوى ، بين طالب آخرة وطالب دنيا .. أمّا الآخرون من أهل هذا العالم ..؟ فالأعظمُ منهم على فسقٍ وانحرافٍ وجورٍ وكفرٍ واتجراف . بحيث ينطبق عليه قوله ﷺ : يملأ ﷺ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً .. جعلنا اللهُ تعالى من أهل الدِّين واليقين والآخرة ، من الذين يُسلِّمون تسليماً للمهديِّ ﷺ ولنوابه العامِّين زمن الغيبة بمحمّدٍ وآل محمّد ﷺ ..

---

[1] النعماني : ص ١٩١ ب ١٠ ح ١

[2] الفضل بن شاذان : كما في غيبة المؤسسي . ** : النعماني (الطبعة القديمة) - ص ٩-١ ب ١٢

النداء باسم المهدي عليه السلام ظرف النداء

ممّا لا شكّ فيه أنّ المهدي عليه السلام يُنادى به في السماء . ويكون جبرائيل عليه السلام هو الذي ينادي به . وكلُّ مَن في الأرض يسمع البشرى بالمهدي عليه السلام .. هذه الخطوة تعتبر شديدة التقدُّم والتأثير ، وبرهان ساطع على شمس الوجود الجديدة التي سيفتح اللهُ على يدها آفاق الكون البشري من جديد ليملأه قسطاً وعدلاً كما امتلأ ظلماً وجوراً .. وقد أشارت النصوص إلى صورة مختصرة من ذلك المشهد العظيم ، منه ما ورد عن أبي رومان عن علي عليه السلام قال : [.. إذا نادى منادٍ من السماء : إنّ الحقّ في آلِ محمد ، فعند ذلك يظهر المهدي عليه السلام على أفواهِ الناس ، ويشربون حبّهُ ، ولا يكون لهم ذكرٌ غيره][1] ..

ومعلوم أنّ هذا النداء يأتي على أثر فتنٍ وحروبٍ طاحنة وجبهاتٍ متذابحة فيما بينها ، وثار ودمار يشمل بلداناً واسعة وأحداثاً تاريخيّة كبرى تمتدّ إلى نواحٍ واسعة من العالم .. وفي ذيل النص ما يشير إلى انّ الناس يشربون حبّ الإمام عليه السلام ، أي متعطّشون إليه . وربّما يعود السببُ إلى ظهور آيات محدّدة أو جرّاء القتل والدمار والموت والذبح والإبادة التي تطال الناس ، فهم بالفطرة يفتّشون عمّن ينقذهم ويضمن لهم سعادة العاجل

---

[1] ابن حماد : ص ٩٢ -

والآجل ، فإذا ظهرت الآية في السماء حيث النداء بالمهدي على لسان جبرائيل ﷺ عندها لا يكون حديثٌ على ألسن الناس إلا المهدي ﷺ ، ويشربون حبّه ، أي يتعطشون إليه لما هم فيه من جور وقتلٍ وإبادة ودمار ونار وأهوال فظيعة .. وهذا الحب والتأييد الشعبي يبدو من بُنى التمهيد له ﷺ ولحركته العالمية التي تستقطب الدنيا ..

وفي النص عن الإمام علي ﷺ ورد فيه : [.. وتذكروا أنّ نداء المنادي يسمعه مَن بالمشرق والمغرب حتى لا يبقى راقدٌ إلا استيقظ][1] . إشارة إلى ظهور آية مذهلة ، تلفت أنظار البشر كلّهم ، وتحوّل انتباههم إلى القضيّة الجديدة الضخمة التي ستكتب تاريخهم الجديد بنمطٍ وبقفٍ وجوديٍّ يضمن كمالهم الكوني ..

وهناك نص يشيرُ بنوعٍ تفصيلي أكثر إلى ساعة النداء وفيه قال الإمام علي : [.. إذا التقى السفياني والمهدي للقتال ، يومئذ يُسمع صوتٌ من السماء : ألا إنّ أولياءَ الله أصحاب فلان يعني المهدي][2] .. وكأنّه يشير إلى ما بعد الظهور الخاص وقبيل الظهور العام .

وقال : قال الزهري : قالت أسماء بنت عميس : [إنّ إمارة ذلك اليوم أنّ كفّاً من السماء مدلّاة ينظر إليها الناسُ ..][3] . ما يعني أنّ النداء يصاحبهُ

---

[1] فرائد فوائد الفكر : صـ ٨ ب ٣ – بعضه ، مرسلا – وفي عقد الدرر : صـ ٥٢ ب ٤ ف ١ – كما في ابن حماد ، وقال : « أخرجه الامام أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي في كتاب الملاحم ، وأخرجه الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن انتهى حديثه عند قوله فتلك إمارة خروج السفياني » . وأخرجه الامام أبو عمرو الداني في سننه في حديث عمار بن ياسر ، بمعناه . وفيه « .. ويشربون ذكره » .

[2] ابن حماد : صـ ٩٣ عن الزهري ..

[3] ابن حماد : صـ ٩٣ عن الزهري ..

أمرٌ آخر . علامة تشيرُ إلى حدثٍ وجوديٍّ إعجازيٍّ ضخم ، بحيث تبدأ سلسلة احداث تتأثَّر به ، بل إنَّ البشر آنذاك لا يجدون حديثاً إلا عنه ، فيما يشرب حبَّهُ كثيرون ، وهم الفئة التي تعلن ولاءها للمهدي حتى في أقطارٍ مختلفة ..

ونقرأ في متون روايات عدَّة أنَّ أنظمة سياسيَّة بما تعنيه من عسكر وجبهة تعلن عداءها للمهدي فيما تعلن شعوب أو بعض شعوب تلك الأنظمة ولاءها للمهدي . وهذه مفارقة جديرة بالإنتباه ..

وعن أخبار المهدي لأبي العلاء الهمداني روى مرسلاً عن أبي رومان قال : قال علي ﷺ : [.. إذا التقى فلان المهدي ، يسمع صوت من السماء][1] .

يبدو أنَّهُ يشير إلى ما أشار إليه النص الوارد أعلاه من ملاقاة المهدي للسفياني أو وشك ذلك ، وانَّ هذا يكون بعد الظهور الخاص وقبيل الظهور العام . بل يكون ذلك بعد الخسف بجيش السفياني في البيداء ..

ففي رواية أبي رومان عن علي ﷺ قال : [.. بعد الخسف ينادي منادٍ من السماء : إنَّ الحق في آل محمد – في أول النهار – ، ثم ينادي منادٍ – في آخر النهار – : إنَّ الحقَّ في وُلْدِ عيسى ، وذلك نخوة من الشيطان][2] . نداءٌ مقابل نداء ، فيما النداء الأوَّل سماوي حقَّاني إعجازي ، في حين يكون النداء الثاني تضليليَّاً اصطناعيَّاً ..

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٣ عن الزهري ..

[2] ابن حماد : صـ ٩٣ –

وعن أخبار المهدي لأبي العلاء الهمداني قال ﷺ : [.. وفي آخر النهار : الحقُّ في وُلدِ عيسى ، وذلك ونحوه من الشيطان ، ويظهر المهديُّ على أقواه الناس ، ويشربون حبَّه ..][1] .

بحيث يُفهم من هذه الرواية وأمثالها أنَّ النصارى هم الذين يُدبِّرُون أمرَ النداء الأرضي التضليلي في آخر النهار ، وذلك لإبطال تأثير النداء السماوي الذي صدر أوَّل النهار عبر جبرائيل ﷺ . وهو نداء إعجازي سماوي . والفارق بين النداءين أنه مع النداء بالمهدي لا يبقى للناس حديث إلا بالمهدي ، بحيث يتحوَّل الأمر إلى قضيَّة عالميَّة بما يلازمه من تكوين رأي عالمي . وتعبير « يشربون حبَّه » الوارد في أكثر من نص يشير بضميمة نصوص أخرى إلى أنَّ فئاتٍ مختلفة واسعة من الناس تعلن ولاءها الضمني له ..

وهذا كما ترى : من التحوُّلات الرئيسيَّة ببنى المعركة وحركة الجبهات ..

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٣ عن الزعبي ..

المهدي عليه السلام ونسبه وبعض أوصافه

ممّا لا شكّ فيه أبداً أنّ المهديّ عليه السلام هو من وُلد رسول الله صلى الله عليه وآله عبر إبنته فاطمة عليها السلام . هذا ما تُطبقُ عليه نصوص السنة والشيعة ، كما تتّفق النصوص على انّ المهدي من وُلد عليٍّ عليه السلام ، لكنّ بعض السنّة يختلفون مع الشيعة في أنّه هل من وُلد الحسن أم من وُلد الحسين ؟ وتشهد النصوص الكثيرة جداً عند الطرفين أنّه عليه السلام من وُلد الحسين عليه السلام لا من وُلد الحسن عليه السلام ..

وفي الحديث قال الإمام علي : [إنّ ابني هذا سيد – وأشار إلى الحسين عليه السلام – كما سمّاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله سيّداً ، وسيُخرِجُ اللهُ من صلبه رجلاً باسم نبيّكُم ، يشبهه في الخَلْقِ والخُلُق ، يخرج على حين غفلة من الناس ، وإماتة للحق وإظهار للجور ، والله لو لم يخرج لَضُرِبَت عنقُهُ ، يفرح بخروجه أهلُ السماوات وسكّانُها ، وهو رجلٌ أجلى الجبين ، أقنى الانف ، ضخم البطن ، أزيل الفخذين ، بفخذه اليمنى شامة ، أفلج الثنايا ، ويملأ الارضَ عدلاً كما مُلئَت ظلماً وجوراً][1] .

---

[1] ابن حماد : ص ١٠٢ – وهنا روايات قليلة رواها العامّة باسانيد ضعيفة تتضمّن مكان اسم الحسين عليه السلام إسم الحسن عليه السلام . أي يكون المهدي عليه السلام من وُلد الحسن لا من وُلد الحسين . في حين مجامع الحديث عند العامّة فيها الكثير من النصوص التي تشير إلى أنّه من ولد الحسين عليه السلام . أمّا بالنسبة إلى نصوص الشيعة فهي مطبقة على أنّ المهدي هو من وُلد الحسين عليه السلام لا من وُلد الحسن . وإليك عيّنة ممّا أشار السنّة به

وعن الباقر عن أبيه عن جده ﷺ قال : قال أمير المؤمنين ﷺ - وهو على المنبر - : [.. يخرج رجل من ولدي - واشار إلى الحسين - في آخر الزمان أبيض اللون ، مشرب بالحمرة ، مبدح البطن عريض الفخذين ، عظيم مشاش المنكبين ، بظهره شامتان ، شامة على لون جلده ، وشامة على شبه شامة النبي ﷺ ، له إسمان : إسم يخفى وإسم يُعلن ، فأمّا الذي يخفى فأحمد ، وأما الذي يُعلن فمحمّد ، إذا هزّ رايته أضاءَ لها ما بين المشرق والمغرب ، ووضع يده على رؤوس العباد فلا يبقى مؤمنٌ إلا صار قلبُهُ أشد من زبر الحديد ، وأعطاه اللهُ تعالى قوّة أربعين رجلاً ، ولا يبقى ميت إلا دخلت عليه تلك الفرحة وهو في قبره ، وهم يتزاورون في قبورهم ، ويتباشرون بقيام القائم صلوات الله عليه][1] .

وعن وصفه الجسماني ؟ قال الإمام علي : [.. رجل أجلى الجبين ، أقنى الانف ، ضخم البطن ، أزيل الفخذين ، أبلج الثنايا بفخذه اليمنى شامة ..][2] .

وفي النصّ عن أبي جعفر ، محمد بن علي ﷺ قال : خطبَ أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بالكوفة بعد منصرفه من

من الله من ولد الحسن ﷺ : فعن محمد بن جعفر ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : [سمى النبي صلى الله عليه وسلم الحسن (الحسين) سيدا ، وسيخرج [الله] من صلبه رجلا اسمه اسم نبيكم ، يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا]. وعن أبي إسحاق قال : قال علي رضي الله عنه . ونظر إلى ابنه الحسن فقال : [إن ابني هذا .. النبي صلى الله عليه وسلم .. يسمى باسم نبيكم ، يشبهه في .. ثم ذكر قصة يملأ الارض عدلا] . أقول : واضح الوهن في هذه المتون . ومن المقطوع به في الروايات المذكورة عند السنّة والشيعة أنّ المهدي هو من ولد الحسين ﷺ لا الحسن ﷺ .

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٦٥٣ ب ٥٧ ح ١٧

[2] الغريبين ، للهروي : على ما في نهاية ابن الاثير . * : غريب الحديث ، ابن الجوزي : ج ١ صـ ٤٤٩

النهروان ، وبلغه أنّ معاوية يسبُّهُ ويلعنه ويقتل أصحابه ، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على رسول الله ﷺ وذكر ما أنعم اللهُ على نبيّه وعليه ﷺ ثم قال – في حديث طويل –:

[.. ومن وُلْدي مهديُّ هذه الامة][1] . وهذا ممّا تتّفق الأمّة وعلماؤها عليه ، دون فرق بين أهل السنّة أو الشيعة في أنّ المهدي من ولد عليٍّ وفاطمة ، وأنّه الثاني عشر من الأئمّة الذين حدّثهم النبيُّ بمجاميع الفريقين ..

وروى الأصبغ عن أمير المؤمنين ﷺ قال : [الحادي عشر من وُلدي ، يملؤها عدلاً كما مُلئتْ جوراً وظلماً][2] . يعني التاسع من وُلد الحسين ﷺ[3] ..

---

[1] معاني الاخبار : صـ ٥٨ – ٦٠ ح ٩

[2] العدد القوية : صـ ٧٠ ح ١٠٧

[3] وفي الرواية عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ قال : [سأل عُمَرُ أميرَ المؤمنين ﷺ عن المهدي ؟ فقال : يا ابن أبي طالب أخبرني عن المهدي ما اسمه ؟ قال ﷺ : أما اسمه فلا ، إنّ حبيبي وخليلي عهد إليّ أن لا أحدث باسمه حتى يبعثه الله عزوجل ، وهو مما استودع الله عزوجل رسوله في علمه] (عقد الدرر : صـ ٤١ ب ٣ ؛ أقول : ربّما هذا نوع من الإحتجاج من عليٍّ ﷺ على عمر ، خاصّة أنّ عمر يعلم انّ المهدي من ولد عليّ ﷺ .. – وهناك بعض النصوص القليلة جداً التي تذكرُ أموراً تدلّ على خطأ الراوي أو وهمه منه ، وشبه ذلك والتي تخالف النصوص الكثيرة المعتبرة ، من تلك النصوص نصّ يريد نسب ولادة الإمام المهدي ﷺ إلى المدينة في حين الولادة الحقيقيّة القطعيّة له ﷺ في سامراء . ففي الرواية عن الهيثم بن عبد الرحمن عمّن حدّثهُ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : [المهدي مولده بالمدينة ، والصحيح في سامراء ، نعم منزله الأول زمن الظهور يكون في المدينة ، ومنها يخرج إلى مكّة] من أهل بيت النبي ﷺ ، إسمه اسم أبي ، ومهاجره بيت المقدس ، كثُّ اللحية ، أكحل العينين ، براق الثنايا ، في وجهه خال ، أقنى أجلى ، في كتفه علامة النبي ، يخرج براية النبي ﷺ من مرط مخملة سوداء ، مربعة فيها حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تنشر حتى يخرج المهدي ، يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفهم وأدبارهم ، يبعث وهو ما بين الثلاثين إلى الاربعين]

ومن القطعيّات عند الفريقين التي لا تحتاج إلى تأكيد أنّ المهدي ﷺ هو الأخير من الأئمّة الإثني عشر من وُلدِ عليٍّ وفاطمة ﷺ .

وفي رواية زر بن حبيش قال : سمعتُ عليّاً رضي الله عنه ، يقول : [المهدي رجلٌ منّا ، من ولد فاطمة رضي الله عنها][1] .

وهنالك بعض النصوص القليلة جداً – التي قطعاً يشتبه الراوي فيها بخصوص الإسم – فيذكر اسم أبي المهدي بشكلٍ خاطئ – ففي رواية خثيمة بن عبد الرحمن أنّ علي بن أبي طالب ﷺ قال : [لَيخرُجنّ رجلٌ مِن ولدي ، عند اقتراب الساعة ، حتى تموت قلوبُ المؤمنين كما تموت الابدان ، لِمَا لحقهم مِن الضرّ والشدة في الجوع والقتل ، وتواترِ الفتن والملاحم العظام ، وإماتة السنن ، وإحياء البدع ، وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فيحيي الله بالمهدي – محمد بن عبد الله – [الصحيح محمّد بن الحسن – والوهم من الراوي أو الناسخ] السُّنَن التي قد أُميتت ، ويسرُّ بعدله وبركته قلوب المؤمنين ، وتتألّف إليه عصب من العجم وقبائل من العرب ، فيبقى على ذلك سنين ليست بالكثيرة ، دون العشرة ، ثم يموت][2] ..

المشكلة في العديد من روايات العامّة أنّها لا تُعطي عمراً طويلاً للمهدي ﷺ رغم اعترافها به واقرارها بأنّه هو الذي يقيم العدل في العالم

[المصدر : ابن حماد : ص ١٠١) . أقول : هذا الحديث يتفرد بأنه يذكر أنّ مولد المهدي ﷺ في المدينة ! بينما الروايات الواردة في مصادر السنة لا تعيّنُهُ ، والواردة من مصادرنا يجمع على أنه ولد في سامراء ، وإن كان مسكنه المدينة كما ورد في بعضها .

[1] ابن حماد : ص ١٠٣

[2] [المصادر : ملاحم ابن المنادي : ص ٩١) .

ويقضي على جبهات الضلال ..! في حين نصوص أهل البيت ﷺ تعطيه العمر الطويل ، وهي أسلم من حيث السند والمتن ، كما انّها من أهلِ بيتٍ زُقُّوا العلم زَقّاً ، كبيرهم لا يُقاس وصغيرهم جمرةٌ لا تُداس ، وفوق هذا وذاك : هم أهلُ بيتٍ يهبطُهُ جبرائيل ، وتعرجه الملائكة الكرام ..

الوصيّة بالإمام المهدي ﷺ ومعالم الصفات والخصائص فيه

من يتابع النصوص التي تُوصي بالمهدي ﷺ يجد الكثير منها ناظر إلى تاريخ البشريّة المستقبلي المحتوم وما يكون عليه . ففي الحديث عن الاصبغ بن نباتة قال : كُنّا مع علي ﷺ بالبصرة ، وهو على بغلة رسول الله ﷺ وقد اجتمع هو وأصحاب محمّد ﷺ فقال :

[ألا أُخبركم بأفضل خلق الله عند الله يوم يجمع الرُّسُل ؟ قلنا : بلى يا أمير المؤمنين . قال ﷺ : أفضل الرُّسُل محمّد ، وإنّ أفضل الخلق بعدهم الاوصياء ، وأفضل الاوصياء أنا ، وأفضل النّاس بعد الرُّسُل والاوصياء الاسباط ، وإنّ خير الاسباط سبطا نبيّكم ، يعني الحسن والحسين ﷺ ، وإنّ أفضل الخلق بعد الاسباط الشهداء ، وإنّ أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، قال ذلك النبي ، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ، مخضّبان ، بكرامة خصّ الله عزّ وجلّ بها نبيّكم ، والمهديُّ منّا في آخر الزمان لم يكن في أمة من الأمم مهديٌّ يُنتَظَرُ غيره][1] . تأكيد على أنّ المهديّ ﷺ من المحتوم ، وانّه الثاني عشر من أئمة آل محمّد ﷺ ، وأنّه الذي يخرج في

---

[1] دلائل الامامة : ص٢٥٦ -

آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً . واللافت أنّ الإمام علي ﷺ يشيرُ إلى أمرِ المهدي ﷺ باليسرة ، أي يستحضر من تلك البقعة التي خاض فيها حرب الناكثين ما سيؤول إليه أمرُ العالم وتعقيدات الشوط البشري في آخر الزمان ..

بل ترى في غيره من النصوص إصراراً على إبراز أمر المهدي ﷺ في مقامات تاريخيّة مختلفة ، للتأكيد على أنّ شوطَ الأحداث واصلٌ إلى محطّته ، وأنّه من المحتوم الذي لن تنتهي خاتمةُ الأرض إلا بعد خروجه الميمون ، ومتابعة سلسلة المحتومِ الذي بيّنهُ اللهُ تعالى في هذا المجال على أثر خروجه .

ففي النصّ عن جعفر ، عن أبيه قال : قال علي بن أبي طالب ﷺ : [.. منّا سبعةٌ خلقهم اللهُ عزّ وجل ، لم يُخلَق في الأرض مثلهم : منّا رسولُ الله ﷺ سيّدُ الاولين والآخرين وخاتم النبيين ، ووصيُّه خيرُ الوصيين ، وسبطاهُ خيرُ الأسباط حسناً وحسيناً (كذا) وسيّدُ الشهداء حمزة عمُّه ، ومَن قد طاف مع الملائكة جعفر ، والقائم ﷺ][1] .

وما هذا إلا توكيداً منه ﷺ لأمرِ المهدي وتبشيراً به ولفتاً لأنظارِ الأمّة إلى حلقة محتومة من أزمانِ آل محمّد ، وإبرازاً لمعالم جديدة من تاريخ الأرض تظهر على يده في بناء العالم الجديد من الحقبة الأخيرة من عمر الشوط الإنساني على ظهر هذا الكوكب[2] .

---

[1] قرب الاسناد : صد ٦٢ - ٦٤

[2] وهناك كثيراً من البشارات المتّصلة بهذا المعنى من تبشير الأمم بالمهدي ﷺ ، من مجاميع العامة وغيرها ، منها ما ورد في الرواية عن أبيه الحسين بن علي ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قال : خطب أبي أمير المؤمنين يوما بجامع الكوفة خطبة بليغة في مدح رسول الله ﷺ فقال : [إنّ الله حين

شاء تقدير الخليقة وذرء البرية وإيداع المبدعات نصب الخلق في صور كالهباء قبل دحو الارض ورفع السماء ، وهو في انفراد ملكوته وتوحد جبروته فأنتج [فأسماح] نوراً من نوره فلمع ، وبزغ [قبسماً من ضيائه فسطع ، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك مصورة نبينا محمد ، فقال الله عز من قائل : أنت المختار المنتخب ، وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي . من أجلك أسطح البطحاء ، وأمرج الماء ، وأرفع السماء ، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار ، وأنصب أهل بيتك للهداية . وأوتيهم من مكنون علمي ما لا يشكل عليهم دقيق ولا يعييهم خفي ، وأجعلهم حجتي على بريتي ، والمنبهين على قدرتي ووحدانيتي ، ثم أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبية والاخلاص بالوحدانية فبعد أخذ ما أخذ من ذلك شاب بيصائر الخلق انتخاب محمد وآله [فقبل أخذ ما أخذ جل شأنه ببصائر الخلق انتخب محمد وآله] وأراهم أن الهداية معه والنور له والامامة في آله ، تقديما لسنة العدل ، وليكون الاعذار متقدما ، ثم أخفى الله الخليقة في غيبه ، وغيبها في مكنون علمه ، ثم نصب العوامل وبسط الازمان ، ومرج الماء ، وأثار الزبد ، وأهاج الدخان ، فطفا عرشه على الماء ، فسطح الارض على ظهر الماه [وأخرج من الماء دخانا فجعله السماء] ثم استجليهما إلى الطاعة فأذعنتا بالاستجابة ، ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار أبدعها ، وأرواح اخترعها ، وقرن بتوحيده نبوة محمد فشهرت في السماء قبل بعثته في الارض ، فلما خلق آدم أبان فضله للملائكة ، وأراهم ما خصه به من سابق انعلم من حيث عرفه عند استنبائه إياه أسماء الاشياء ، فجعل الله آدم محراباً وكعبة وباباً وقبلة أسجد إليها الابرار والروحانيين الانوار ، ثم نبه آدم على مستودعه ، وكشف له [عن] خطر ما التمسه عليه ، بعد ما سماه إماما عند الملائكة ، فكان حظ آدم من الخير ما أراه من مستودع نورنا ، ولم يزل الله تعالى يخبئ النور تحت التزمان إلى أن فضل محمدا في ظاهر الفترات ، فدعا الناس ظاهرا وباطنا . وندبهم سرا وإعلانا ، واستدعى عليه السلام انتنبيه على العهد الذي قدمه إلى الذر قبل النسل ، فمن وافقه وقبس من مصباح النور المقدم اهتدى إلى سعود ، واستبان واضح أمره ، ومن أبلسته الغفلة استحق السخط ، ثم انتقل النور إلى غرائزنا ، ولمع في أئمتنا ، فنحن أنوار السماء وأنوار الارض ، فينا النجاء ، ومنا مكنون العلم ، وإلينا مصير الامور ، وبمهدينا تنقطع الحجج ، خاتمة الائمة ، ومنقذ الامة ، وغاية النور ، ومصدر الامور ، فنحن أفضل المخلوقين ، وأشرف الموحدين ، وحجج رب العالمين ، فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا ، وقبض على عروتنا] . مروج الذهب : ج ١ ... ٣٢ - ٣٣] الحسين بن علي عليهم السلام قال : خطب أبي أمير المؤمنين يوما بجامع الكوفة خطبة بليغة في مدح رسول الله فقال : - وفيه [وبمهدينا تقطع الحجج ، فهو خاتم الائمة . . وغامض السر ، فليهن من استمسك بعروتنا وحشر على محبتنا] . ومنها أيضاً ما قاله الإمام علي : [.. وأخذوا يميناً وشمالاً ، ضعنتاً في مسالك الغي ، وتركاً لمذاهب الرشد ، فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ، وتستبطئوا ما يجيء به الغد . فكم من مستعجل بما إن أدركه ودّ أنه لم يُدركْهُ . وما أقرب اليوم من تباشير غدٍ ، يا قوم هذا أوانُ ورود كلّ موعود ، ودنو من طلعة ما لا تعرفون . ألا إنّ من أدركها حدّا يسري فيها بسراج منير ، ويحدو فيها على مثل الصالحين ، ليحلّ فيها ربقاً ، ويعتق فيها رقّاً ، ويصدع شعباً ، ويشعب صدعاً ، في سترة عن الناس ، لا يبصر القائف أثره ولو تابع نظره ، ثم ليشحذنّ فيها قومٌ شحذ القين النصل ، تجلى بالتنزيل أبصارهم ،

وعن المهدي ﷺ وظروف الحال ؟ يشيرُ إلى واحدةٍ من عناوين أمرهِ يختصُ بالقربة والوحدة ، منها ما رواه الاصبغ بن نباتة قال : سمعتُ أميرَ المؤمنينَ ﷺ يقول : [.. صاحب هذا الامر الشريد الطريد الفريد الوحيد][1] . إشارة إلى ظرفٍ محددٍ يمرُّ على الإمام ﷺ قبل أن يسطع نورُ ظهورهِ الجلي ويتابع مسيرة الفتوحات التي تتجلّى بمواقف ومواقع تاريخيّة متعددة ومتتابعة ..

واللافت أنّ العديد من النصوص أشارت إلى موضوع ظهور المهدي ﷺ على اعتبار أنّه قرين الساعة ، أو قريبها ، تأكيداً لمعنى الحقبة الأخيرة من عمر التجربة البشريّة التي بدأت منذ زمن الإستخلاف .

ففي الرواية عن خثيمة بن عبد الرحمن أنّ علي بن أبي طالب ﷺ قال :

[.. لَيخرجنَّ رجلٌ من وُلدي ، عند اقتراب الساعة ، حتى تموت قلوبُ المؤمنين كما تموت الابدان ، لِمَا لحقهم من الضرّ والشدة في الجوع والقتل ، وتواتر الفتن والملاحم العظام ، وإماتة السنن ، وإحياء البدع ، وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فيحيي اللهُ بالمهدي ﷺ السننَ التي قد أُميتت ، ويسرُّ بعدله وبركته قلوب المؤمنين ، وتتألف إليه عصب من العجم وقبائل من العرب][2] .

ويدمى بالتفسير في مساءهم ، ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح ؛ نهج البلاغة -- صبحي : صـ ٢٠٨ ، خطبة ١٥٠

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٣٠٣ ب ٢٦ ح ١٣

[2] ملاحم ابن المنادي : صـ ٦١ -- وهناك رواية عن أبي عبد الله الجدلي قال : قالوا : استقر علي بن أبي طالب ﷺ الناس في قتال معاوية في الصيف ، وذكر الحديث مطولاً ، وقال في آخره أبو عبد الله الجدلي ،

أي أنَّ أمر المهدي قريبٌ من الساعة ، وبالتالي هو من أشراطها ، دون تحديد لمدّة في ذلك ، نعم على أثر ظهورِهِ الشريف تقع أحداثٌ تصفها النصوص بالمحتومة ، وهي عديدة ، ولا يوجد بين يدينا هويّة زمنيّة كاملة حول طبيعة الأحداث ومنشئاتها وآثارها ، بل لا يوجد بين يدينا شريطٌ كاملٌ عن كافّة الأحداث ومجرياتها ، سوى محطّات بارزة ركّزت عليها النصوص ، وهي كما ترى : جزء من الأحداث ، وعنوان من عناوينها فيما خطوط الجبهات وتفاصيلها ، وممارسة الكيانات المختلفة ، والمشروع الدبلوماسي والسياسي والأممي في خيارات السلم والحرب تبقى طيَّ الكتمانِ في كثيرٍ من معانيها ..

والنصوص تشيرُ مرّةً إلى أمرِ المهدي كعنوان خاص من المحتوم وبشارة كبرى ، ومرّةً إلى كلّياتٍ ناظرة إلى بعض الأحداث الرئيسيّة بنمطٍ إخباري وصفي بلسان أقرب إلى الكليات من الجزئيّات .. نعم لدينا الكثير عن أخبار ذلك الزمن ، لكنَّ الكثير هذا قليلٌ جداً بجنب ما يقع وما يحدث

وقد حضره عليه السلام وهو يوصي الحسن فقال : [يا بُنيَّ ، إنّي ميّتٌ من ليلتي هذه ، فإذا أنا متُّ فغسّلني وكفّني وحنّطني بحنوط جدّك ، وضعني على سريري ، ولا يقربنَّ أحدٌ منكم مقدم السرير ، فإنّكم تكفونه ، فإذا المقدمُ ذهب فاذهبوا حيثُ ذهب ، فإذا وُضع المقدمُ فضعوا المؤخّر . ثم تقدّم أبي بُنيَّ فصلّ عليَّ وكبّر سبعاً ، فإنّها لن تحل لأحد من بعدي إلا لرجلٍ من ولدي يخرج في آخر الزمان يقيم اعوجاج الحق ، فإذا صلّيت فخطّ حول سريري ، ثم احفر لي قبراً في موضعه إلى منتهى كذا وكذا ، ثم شقّ لحداً فإنك تقع على سماجة منقورة ، ادخرها لي أبي نوح ، وضعني في الساجة ، ثم ضع عليَّ سبع لبنات كبار ، ثم ارقب ناحية ثم انظر فإنّك ترى تراثي في لحدي] المصادر : المدائني : على ما في سند فرحة الغري . فرحة الغري : ص ٣٢ -- ٣٤ البحار : ج ٤٢ ص ٢١٥ ب ١٢٧ ح ١٦ -- عن فرحة الغري ، بأسانيد المدائني الثلاثة إلا أن فيها عن الصعافا بن عبد السلام ، وفي : ص ٢٩٢ ب ١٢٧ – عن بعض الكتب القديمة عن محمد بن الحنفية : – في حديث طويل وفيه (. . واعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان ، اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين ، يقيم اعوجاج الحق) .

على طول الجبهات السياسية العسكرية الصدامية أو الحوارية في أزمانٍ مختلفة . لكنَّ فيما لدينا من نصوص يظهر تصويراً هامّاً عن هويّة ذلك الزمن ومجرياته تكفي لتكوين ذاكرة وتاريخ مستقبلي كبير عن معالم زمن المهدي عليه السلام .

وترى الطوائف الناظرة إلى زمن المهدي عليه السلام ذات كثافة وحضور كبير في كتب الحديث والتاريخ على ألسن الرواة ومجامعي الأثر ..

وعن مجريات ذلك الزمن ؟ هناك إشارات كثيفة ذات تعدُّد جهتي ، متنوّعة ، تتناول أخبار وأحداث ذات أهميّة بالغة ، واللافت فيها أنَّ النصَّ يشير ببعضها إلى أصل ولاية أهل البيت ، إلى حقّانيّتهم ، إلى أصل تنصيبهم من قبل الله والوحي ، إلى أصل وجوب الإلتزام بهم ، ثم يشيرُ ببعضها كعنوانٍ تفريعي إلى أمر المهدي عليه السلام ، إلى ما يجري على بعض أتباعه من ظلمٍ واضطهادٍ وقتلٍ وفتكٍ وشبه ذلك على يدِ جبابرة آخر الزمان .

ففي الرواية عن الاصبغ بن نباتة قال : خطب أميرُ المؤمنينَ علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال :

[.. أيها الناس إنَّ قريشاً أئمةُ العربِ ، أبرارها لأبرارها ، وفجّارها لفجارها ، ألَا ولا بدَّ من رحاً تطحن على ضلالة وتدور ، فإذا قامت على قطبها طحنت بحدّها ، ألَا وإنَّ لطحنها روقاً ، وروقها حدّتها ، وقلها على الله عزَّوجلَّ ، ألَا وإني وأبرار عترتي وأهل بيتي : أعلمُ النَّاسِ صغاراً ، وأحلمُ الناسِ كباراً ، معنا رايةُ الحق ، مَن تقدّمها مرق ، ومَن تأخّرَ عنها محق ، ومَن لزمها لحق ، وإنّا أهلُ بيتِ الرحمة ، وبنا فُتحَت أبوابُ الحكمة ، وبحكم

الله حكمنا ، وبعلم الله علمنا ، ومن صادق ﷺ سمعنا ، فإنْ تتّبعُونا تنجوا ، وإنْ تتولّوا يعذّبكُم اللهُ بأيدينا ، بنا فكّ اللهُ ربقَ الذلّ من أعناقكم ، وبنا يختمُ لا بكم ، بنا يلحقُ التالي وإلينا يفيءُ الغالي .

ولولا أن تستعجلوا وتستأخروا القدرَ لأمر قد سبق في البشر ، لحدّثتكم بشباب من الموالي وأبناء العرب ونبذ من الشيوخ كالملح في الزاد وأقل الزاد الملح ، فينا معتبر ، ولشيعتنا منتظر ، وإنّا وشيعتنا نمضي إلى الله عزّوجلّ بالبطن والحمى والسيف ، وإنّ عدونا يهلك بالداء والدبيلة وبما شاء الله من البليّة والنقمة . وأيم الله أنّ لو حدّثتكُم بكلّ ما أعلم لقالت طائفةٌ : ما أكذب وأرجم ، ولو انتقيتُ منكم مائةً قلوبهم كالذهب ثم انتقيتُ من المائة عشرةً ثم حدّثتهم فينا أهل البيت حديثاً ليّناً لا أقولُ فيه إلا حقّاً ولا أعتمد فيه إلا صدقاً ، لخرجوا وهم يقولون : عليٌّ من أكذب الناس ، ولو اخترتُ من غيرهم عشرة فحدّثتهم في عدونا وأهل البغي علينا أحاديث كثيرة لخرجوا وهم يقولون : عليٌّ من أصدق الناس ! هلكَ خاطبُ الخطب ، وحاصَ صاحبُ العصب ، وبقيت القلوب تقلب ، منها مشغب ، ومنها سجدب ، ومنها مخصب ، ومنها مشتت . يا بَنِيَّ ليبرّ صغارُكُم كبارَكُم ، وليرؤف كباركم بصغاركم ، ولا تكونوا كالغواة الجفاة الذين لم يتفقّهُوا في الدّين ولم يعطوا في الله عزّوجلّ محضَ اليقين ، كبيضٍ في أداحي .

ثم قال ﷺ : وبيع الخرانج ، فراخ آل محمد ، من خليفة جبّار عنريف مترف مستخفّ بخلقي وخلف الخلف ، وبالله لقد علمتُ تأويل الرسالات وإنجاز العداة وتمام الكلمات ، وليكوننّ من أهل بيتي رجلٌ يأمر بأمر الله ، قويٌّ ، يحكمُ بحكم الله ، وذلك بعد زمانٍ مُكلحٍ مُفضحٍ يشتدّ فيه البلاء ، وينقطع فيه الرجاء ، ويقبل فيه الرشاء . فعند ذلك يبعثُ اللهُ عزّ وجلّ رجلاً

من شاطئ دجلة لأمر حزبه ، يحمله الحقدُ على سفك الدماء ، قد كان في ستر وغطاء ، فيقتل قوماً هو عليهم غضبان ، شديد الحقد حران .. يسومهم خسفاً ويسقيهم كأساً مصبرة سوط عذاب وسيف دمار ، ثم يكون بعده هنات وأمور مشتبهات .

ألا إنَّ من شط الفرات إلى النجفات باباً إلى القطقطانيات ، في آيات وآفات متواليات ، يُحدثنَ شكّاً بعد يقين يقوم بعد حين ، تُبتى المدائن ، وتفتح الخزائن وتجمع الامم ، ينفذها شخص البصر وطمح النظر ، وعنت الوجوه ، وكشف البال حين يُرى مقبلاً مدبراً ، فيالهفاه على ما أعلم ، رجب شهر ذكر ، رمضان تمام الستين ، شوال يُشال فيه مِن القوم ، ذو القعدة يقتعدون فيه ، ذو الحجة الفتحُ مِن أوّل العشر .

ألا إنَّ العجب كلّ العجب بعد جمادي في رجب ، جمع أشتات وبعث أموات ، وحديثات هونات هونات بينهنَّ موتات ، رافعة ذيلها ، داعية عولها ، معلنة قولها ، بدجلة أو حولها .

ألَا إنَّ منا قائماً عفيفةٌ أحسابه ، سادة أصحابه ، تنادوا عند اصطلام أعداء الله باسمه واسم أبيه في شهر رمضان ثلاثاً ، بعد هرج وقتال ، وضنك وخبال ، وقيام من البلاء على ساق ، وإني لأعلم إلى مَن تُخرجُ الارضُ ودايعَهَا ، وتسلّم إليه خزائنها ،

ولو شئتُ أن أصرخ برجلي فأقول أخرجوا من هيهنا بيضاً ودروعاً . كيف أنتم يا بني هنات إذا كانت سيوفكم بأيمانكم مصلتات ، ثم رملتم رملات ليلة البيات ،

ليستخلفنَّ اللهُ خليفةً يثبت على الهدى ، ولا يأخذ على حكمه الرشا ، إذا دعا دعوات بعيدات المدى ، دامغات المتافقين ، فارجات عن المؤمنين . ألا إنَّ ذلك كائن على رغم الراغمين ، والحمد لله رب العالمين]١ .

في هذا الحديث ركَّز الإمام علي ﷺ على القيمة الربانيّة المتّصلة بأهل البيت ﷺ . مشيراً أنّهم البابُ الذي منه يُؤتى الله ، والقنطرة التي يجوز عبرها الناسُ إلى خالقهم ، والطريق التي توصلُ إلى الجنّة ، وأنَّ هؤلاء المُنصَّبين من قبل الله ورسوله هم إثنا عشر إماماً ، أوّلهم علي ﷺ وآخر المهدي القائم الذي يخرج في آخر الزمان .

وفي هذا المجال يقول ابن ابي الحديد :

[أمّا تتمّةُ المرويّة عن جعفر بن محمد ﷺ فواضحة الالفاظ ، وقولُهُ في آخرها : « وبنا يختم لا بكم » إشارة إلى المهدي ﷺ الذي يظهر في آخر الزمان ، وأكثر المُحدّثين على أنَّهُ من وُلد فاطمة ﷺ ، وأصحابنا المعتزلة لا يُنكرُونَهُ ، وقد صرحوا بذكره في كُتُبِهِم ، واعترف به شيوخهم ، إلا أنَّهُ عندنا لم يُخلق بعد وسيُخلق]٢ .

---

١ ملاحم ابن العنائي : صـ ٦٤ - ٦٥ البيان والتبيين : صـ ٢٣٨ - بعضه ، قال : قال أبو عبيدة : وروى فيها جعفر بن محمد : ان أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغارا وأعلمهم كبارا ، ألا وإنّا من أهل بيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمنا ، ومن قول صادق سمعنا ، وإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا ، معنا راية الحق من تبعنا لحق ومن تأخر عنا غرق . ألا وإن بنا ترد عبرة كل مؤمن ، وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم ، وبنا فتح وبنا ختم لا بكم » . * : ابن أبي الحديد : ج ١ صـ ٢٧٦ - عن البيان والتبيين ، وفيه « . . أعلم الناس . . وإنا أهل بيت . . من تأخر عنها غرق . . ألا وبنا يدرك ثورة . . وبنا فتح لا بكم ، وبنا يختم لا بكم » .

٢ في شرحه صـ ٢٨١

ابن أبي الحديد يؤكّد أنّ المهديّ ﷺ من المحتوم ، وهو من وُلد علي وفاطمة . ويشير إلى أنّ المعتزلة تعتقده اعتقاد اليقين ، سوى أنّه يخالفون فقط بمسألة أنّه لم يُخلق وسيُخلق . مع أنّ نصوص ولادة المهدي وإسمه وإسم أبيه مما ذُكر في مجاميع القوم وذاع وشاع .. وعلى كلّ حال : هو في مقام الإقرار بأنّ أمر المهدي من المحتوم ، وأنّه من وُلد فاطمة وعلي ﷺ ..

ثم بعد أن ينتهي ﷺ من ذكر عظيم الإحتجاج بأهل البيت المنصوبين من قبل الله تعالى يشيرُ إلى أمرِ القائم ﷺ من وُلده ، الذي أعدّهُ اللهُ للحدث الأعظم في آخر الزمان ، فيُوزّع ﷺ إشاراته في جهات متعدّدة ، منها ما يُصيب فراخَ آلِ محمّد من حاكمٍ جبّارٍ منقم ، مستبدٌ ، دموي ، مستخفٌ بخلف أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء ﷺ ، كما يشير إلى ما يجري من انتقام على أتباع هذا المذهب في زمانٍ عنيد فاسد ، أي أهلُه فاسدون ، مكلح ، يشتدُّ فيه البلاء ، وينقطع فيه الرجاء ، شديد الوطأة على أتباع آل محمّد ﷺ ، شديد الغربة على المؤمنين ، يبدو فيه الدّين على نحوٍ من وحشةٍ قاسية ، بل من سمة ذلك الزمان أنّه يشيع فيه الربا والرشا والزنا والخمر وقطيعة الأرحام واتّخاذ المرأة فرجها معاشاً ، والرجل دبرهُ وشهوته للإرتزاق ، وتكثر الغانيات المُفسدات ، العاريات السافرات ، وتتسارع الأراجيف ، ويُكفرُ بالله علانية ، ويُسخرُ من الدّين ، في زمنٍ تغيّرت فيه المواثيق ، فتصادمت مع قيم الشريعة ، في ذلك الزمن يقوم رجلٌ من شاطئ دجلة ، معه عصابةٌ تجتمع عليه ، تملك من الأدوات والإمكانيّات ما يحملها على سفك الدماء ، وإنزال البلاء ، وتسعير النار ، والبطش والإنتقام الجبّار ، ويشبّه الأمر يفعل بخت نصر ، أو هو في مقام

بيان التناسخ بين الصور والوقائع بمقاييس قريبة من ذهن الأحداث ، وهذه من الأمثلة التشبيهيّة المعروفة ، ثم بعد هذه الوقائع الدمويّة الهائلة تكون هنات وأمور متشابهات ، ويبدو أنّ هذه الفقرة تشيرُ إلى تعقيد الأحداث ، وتلوُّنها ، واختلاط بعض المعايير .

ثم يعطف البيان إلى أمرٍ حادث فيقول ﷺ : « ألَا إنّ من شطّ الفرات إلى النجفات باباً إلى القسطنطينيات ، في آياتٍ وآفات متواليات ، يُحدثنَ شكّاً بعد يقينٍ ، يقوم بعد حينٍ ، تُبنَى المدائن ، وتُفتح الخزائن ، وتُجمعُ الأمم » . إشارة إلى ألوان مختلفة من البلاء والمحن والإضطرابات ، تبدو عبرها الآيات ، وتلحقها الآفات المتواليات : خراب ، أزمات ، اضطهاد ، ظلم ، مواثيق فاسدة ، تشييد لمعالم النظام الجائر ، وسلسلة منظومة من قلاع ومؤسسات حكم تابعة للذي يتولّى تشييد النظام البوليسي ومديرياته وسجونه وحصونه ، فإذا وقع ذلك ظهر الشكّ واختلط باليقين عبر عاصفة من ثقافة جديدة ، وقيم فاسدة يصرُّ النظام على غرسها في العقول ، ويجعلها ميزان الميثاق الجديد ونمط التقاليد والأعراف ، وذلك في ظلّ عمارة لمجتمع تُبنى فيه المدائن التابعة لنظامه ومفهوم قيادته ، الناظر بشقّ الجفن إلى الناس يعين الإضطهاد إلا مَن وافقه وتابعه .

ثم يشيرُ ﷺ إلى فتح الخزائن ، أي إلى ظهور الأموال والثروات الوفيرة ، سواء كان ذلك إشارة إلى ثروةٍ باطنيّة من نفط وغاز ومعادن أم غيره من الثروات الظاهريّة ، فإذا كان ذلك كذلك ، حصل من الأحداث ما حصل ، من خلاف الأمم على الثروات ، وصدام عنيف يجري على ثروة ينكشف عنها الفرات (الفرات وناحيتُهُ) ، تختلف عليها رايات من المشرق والمغرب ، فتزحف الجيوش ، وتتبارى بقذف الحمم ، وتقع أعنف حرب بين

راياتٍ ثلاثة بل أكثر ، ينتصر فيها السفياني على راية الروم والترك في تلك المعركة من منطقة قرقيسيا على الحدود التركية السوريّة العراقيّة ، وتتوالى الأحداث منظومات ، وتجوب الحروب في البلاد وتتوسّع لتشمل مناطق أوسع بكثير من منطقة ما نطلق عليه اليوم تسمية الشرق الأوسط ، وتبدأ معالم حرب جديدة ، وفي رجب العجب ، وبعده جوعٌ ووجعٌ وخوفٌ وبلاء ، وتتوالى الأحداث على شكلٍ شديد الترابط والتعقيد إلى ان يصدع الصوت في الثالث والعشرين من شهر رمضان بأنّ المهدي ، محمّد بن الحسن ، الإمام الثاني عشر من آل محمّد قد ظهر ، فيكون الصوتُ صوتَ جبرائيل ﷺ ، فلا يبقى نائم إلا استيقظ ولا قائم إلا جلس ، ولا قاعد إلا قام ، إشارة إلى انتباه البشر ، وظهور الآية ، وبروز الإعجاز العظيم ..

وفيما قبل الظهور من توالي الأحداث يقول ﷺ : « فيالهفاه على ما أعلم ، رجبٌ شهر ذكر ، رمضان تمام السنين ، شوال يُشال فيه من القوم ، ذو القعدة يقتعدون فيه ، ذو الحجة الفتح من أول العشر . ألا إنّ العجب كلّ العجب بعد جمادى في رجب ، جمع أشتات وبعث أموات ، وحديثات هونات هونات بينهن موتات ، رافعة ذيلها ، داعية عولها ، معلنة قولها ، بدجلة أو حولها » . إشارة إلى أهوالٍ عظيمة ، وجثث كثيرة ، وخراب ودمار ونار ، وجوع وفقر وقتل وبوار .. على أثرهِ يكون النداء بقائم آل محمّد الذي يعيد إلى الأرض أهلها وإلى الناس هداهم ، وإلى الكون تعظيمه ، يخرج بعد هرج وقتال ، وضنك وخبال ، وقيام من البلاء على ساق ، فتُخرجُ الارضُ ودايعها ، وتسلّم إليه خزائنها . به يكون الفرجُ عن المؤمنين ..

وعن عظيم تلك البلاءات والفتن ، والنكبات والوهنات قبل الظهور يشيرُ الإمام علي ﷺ إلى صورةٍ شديدة الصعوبة ، ونموذج شديد البلاء

وذلك لما ولّي الامر ، وهو بذلك يرسم علامات أحداث آخر الزمان ، ومطويات الأيام ، ومعالم ما قبل نهاية التاريخ ، لكنّه يعطف الكلام مباشرةً بعد ذكر تلك العلامات والأوصاف إلى أصل البلاء الذي حلّ بأمّة محمّد ، حيث انحرفت القيادة وولّي من القوم مَن هو إنْ قالَ ضلّ وأضلّ ، ليس له من العلم ما يستطيع عبرهُ أن يحمل الناس على الهدي السليم ، فتراه خبّاط في عشواء ، سالك في ظلمات ، محتار في رايه ، قاضي بلا دليل ، قائد لا هدى ، محتار في أمره ، ومع ذلك مصرٌ على ما هو عليه . في ذلك يقول ﷺ في خطبة جليلة عظيمة – منها – :

[.. أهلك اللهُ فرعونَ وهامانَ وقارونَ ، والذي نفسي بيده لَتُخلخلنّ خلخلةً ، ولَتُبلبلنّ بلبلةً ، ولَتُغربلنّ غربلةً ، ولَتُساطُنّ سوطةَ القدر حتى يعودَ أعلاكم أسفلكم وأسفلكم أعلاكم ، ولقد عُدتُم كهيئتكم يومَ بُعِثَ فيكم نبيكم ﷺ ، ولقد نُبِّئتُ بهذا الموقف وبهذا الأمر ، وما كتمت رحمة ولا سقطت وسمة ، هلكَ مَن ادّعى ، وخاب مَن افترى ، اليمين والشمال مُضِلّة ، الطريقُ والمنهج ما في كتابِ الله وآثارِ النبوة .

ألَا إنّ أبغض عبد خلقَهُ اللهُ إلى الله لَعبدٌ وكّلهُ إلى نفسه ، ورجلٌ قمشَ في أشباه الناسِ علماً ، فسمّاهُ الناسُ عالماً ، حتى إذا ورَدَ مِن آجنَ ، وارتوى مِن غيرِ طائل ، قعد قاضياً للناسِ لتخليص ما اشتبه مِن غيره ، فإنْ قاس شيئاً بشيئ لم يكذب بصره ، وإنْ أظلم عليه شيئ كتم ما يعرف مِن نفسه لكيلا يُقال لا يعرف ، خبّاط عشوات ، ومفتاح جهالات ، لا يسأل عمّا لا يعلم فيُسأل ، ولا ينهض بعلمٍ قاطع ، يذري الرواية إذراء الريح الهشيم ، تصرخ منه المواريث ، يحلُّ بقضائه الفرجَ الحرامَ ، ويحرّمُ بقضائه الفرجَ الحلال ، لا يبالي بتصديرِ ما ورد عليه ، ولا ذاهل عمّا فرط عنه . ألَا إنّ

العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فُضِّلَت به الانبياء ﷺ (هـو) فـي عترةِ نبيِّكُم . فأين يُتَاهُ بكم وأين تذهبون .! يا معشر مَن نجا مِن أصحاب السفينة هذا مثلها فيكم ، كما نجا في هاتيك مَن نجا ، فكذلك مَن ينجو في هذه منكم من ينجو ، ويلٌ لِمَن تخلَّفَ عـنهم ، إنَّهـم لكـم كـالكهف لأصـحاب الكهـف ، سموهم بأحسن أسمائهم ، وبما سمَوا به في القرآن ، هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُهُ اشربوا ، وهذا ملحٌ أجاجٌ فاحذروا ، إنَّهم بابُ حطَّة فادخلوا ، ألَـا إنَّ الأبرار مِن عترتي وأطائب أرومتي أعلمُ الناس صغاراً وأعلمهم (وأحلمهم) كباراً ، مِن علمِ اللهِ علمنا ، ومن قولِ صادقٍ ﷺ سمعنا ، فإنْ تتَّبِعُوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وإنْ تُدبِرُوا عنَّا يُهلككم اللهُ بأيدينا أو بما شاء ، معنا رايةُ الحقِّ مَن تبعها لحق ، ومَن تخلَّفَ عنها محق ، وبنا ينيرُ اللهُ الزمان الكلـف ، وبنا يدرك الله ثـرة كـلُّ مـؤمن ، وبنـا يفـكُّ اللهُ ربقـة المـذلِّ عـن أعنـاقكم ، وبنا يختم الله لا بكم][1] .

في صدر خطبته يشيرُ ﷺ إلى أمرِ فرعـون وهامـان وقـارون ، بالصفات المعروفة عنهم مِن ظلم القيادة وطغيانها وفسادها واستبدادِها في استغلال العسكر والثروة والغرائز والرجال والمال والعباد والـبلاد ، قيـادة حاكمة قتَّالة دون أن يهتز منها صدر .! متهوِّرة في حقوق الله والإنسان إلى حدّ أنَّه تقتل الرجال وتذبح الأطفال وتستحيي النساء لتستعبدها وتضطهدها وتستغلَّها في شأنِ خدمتِها وشهوتِها .

---

[1] المسترشد : ص ٧٥ – ٧٦ – عن الإمام علي ﷺ – تحف العقول - صـ ١١٥ – بعضـه ، مرسـلا عـن علـي عليه السلام : – وفيه (.. بنا فتح الله عزوجل وبنا يختم الله وبنا يمحو الله مـا يشـاء وبنـا يـدفع الله الزمـان الكلب وبنا يتزل الغيث لا يغرنكم بالله الغرور ، لو قد قام قائمنا لأنزلت السماءُ قطرهـا ولأخرجـت الارض نباتها ولذهبت الشحناء من قلوب العباد ، واصطلحت السـباع والبهـائم ، حتـى تمشـي المـرأة بـين العـراق والشام لا تضع قدميها إلا على نبات ، وعلى رأسها زنبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه) .

ثم يعطفُ بيانه إلى هويَّةٍ جديدة من البلاءات الجديدة فيخص بها أمّة محمّد ﷺ ، مؤكّداً أنّ محنة ما بعد وفاة النبيِّ ﷺ كبيرة ، ومتواصلة ، فيها تُغربلون غربلةً ، وتمحّصُون خضّاً ، كما تُخضُّ الماءُ في الإناء ، فيصبح أعلاكم أسفلكم وأسفلكم أعلاكم ، بما في ذلك من انحراف وفتن وعنف يتبعه ، ودماء تسيل ، وحقوق تُنتهك ، وأموال تُنهب ، وإثرة على حساب الدِّين والشريعة ، وانفراط تظلم أمر الأرض بنظم السماء إلا من قلّة ، حتى تعودون كيوم بعث الله فيكم نبيّكم ، على شرّ ما أنتم فيه ، فسادٌ في حكمٍ ورعيّة ، وباطل مستشرٍ ، وانحراف متطاول ، كلما ذهب شيءٌ من الهدى حلَّ محلّه فسادٌ بقدره ، حتى يتطاول أمرُ الفساد إلى زمنٍ بعيد ..

حتى يقوم مَن إذا حكم ضلَّ وأضلَّ ، خبّاط عشوات ، يمشي على غير هدي ، في ظلمةٍ لا نور فيها ، يفتح على الأمة الجهالات ، لا ينهض بعلمٍ قاطع ، تراهُ شديد الإضطراب بعلمه ، خاوٍ متنه ، يذري الرواية ذري الريح الهشيم ، لا يعرف وجهها وصحة متنها ودليل لفظها ومكانها من الفقه والإحتجاج . ومع ذلك فهو يحكم بالمواريث والحقوق ، ومنه تصرخ المواريث .! ويحلُّ من الفرج حرامه ، والحرامُ من الفرجِ يحلُّهُ .! ظالمٌ قاسد ، لا يدري فقه الدِّين ومتن الشريعة ، ومع ذلك يهتف بالناسِ انّه الإمام الراشد الهادي ..! تنذهل منه العقول ، وتهتزُّ من حكمه السموات ، وهو غير ذاهلٍ ..! جبّار ، فاسد ، مُفسد ، آثمٌ مَن تبعه ، آثمٌ مَن تبّتَهُ ، آثمٌ مَن ضمنه ، يُقوّي الباطل ، ويضعّف الحقّ ، والدِّين منه في غربة ، والشرعُ منه في ضجيج .

ثم بصريح القول يشيرُ ﷺ إلى الأمّة بأنّ العلم الذي هبط به آدم ، والذي أنزله اللهُ على النبيين هو حصراً في بيت آل النبي ﷺ ، في الأئمّة

الذين أوصى بهم النبيُ وسمّاهم وبشّر بهم ، الأئمّة الإثني عشر ، مؤكّداً أنّهم هم السفينة ، التي مَن ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق وهوى ، وأنّ أهل البيت ﷺ بالنسبة إلى أمة محمّد والناس أجمعين كالكهف بالنسبة إلى أصحاب الكهف ، وأنّ الناس إمّا يأخذون دينهم من عذب فرات سائغ شربه ، وهو حصراً بآل البيت ﷺ أو من ملح أجاج وهو في غيرهم . مشيراً أنّ أهل البيت ﷺ هم الأعلم صغاراً وكباراً ، وعلمهم من علم الله ، وقولهم من قول رسول الله ﷺ فمن تبعهم اهتدى ، ومن تخلّف عنهم هوى ، هم أصحابُ الراية ، مَن تبعها لحق ، ومَن تخلّف عنها محق ، بهم بدأ اللهُ وبهم يختم ، فتكون الخاتمة بالمهديّ محمّد بن الحسن ، الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً .

وفي رواية « تحف العقول » يضيف على هذا الكلام : [.. لو قد قام قائمنا ﷺ لأنزلت السماءُ قطرها ، ولأخرجت الارض نباتها ، وذهبت الشحناءُ من قلوب العباد ، واصطلحت السباعُ والبهائم ، حتى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضعُ قدميها إلا على نبات ، وعلى رأسها زنبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه] . إشارة إلى مأمن الزمان ، وحفظ موكب الأنام ، وما به تمام حجّة الديّان وخالصُ الإيمان ، حتى الحيوانات تفقد غريزة التوحُّش في ذلك الزمن ، فتصطلح السباعُ والبهائم ، وتُرفَعُ المشاحنة والبغضاء ، ويأمن العباد ، حتى أنّ المرأة تمشي بين العراق والشام لا تضع قدميها إلا على نبات ، إشارة إلى الرزق الهائل والنعم العظيمة التي تزيّن الأرض ، والخير الذي يفترشُهُ مسحن الوجود بشراكة الأرض والسماء ، فضلاً عن انّ المرأة في ذلك الزمن تأمن الأمان الذي لا خوف فيه ، والإشارة إلى المرأة إشارة إلى الأمان على العنصر الضعيف الذي

يُخشى عليه من المشي في الأرض منفرداً في الأقطار والآفاق البعيدة التي من المفترض أن يكثر فيها قطاع الطرق وأهل الفساد ..

وهذا المعنى من الأمن والأمان والإطمئنان يأخذ موقعه العظيم إذا تصفَّحنا الخراب والدمار والظلم والفساد والنهب والهتك الهائل الذي يصيب المال والنفس والعرض ما قبل حكم المهدي ﷺ من قِبَلِ الجبابرة وأهل الفساد ، لذلك كان الإمام علي ﷺ – حين يُخبرُ عن المهدي ﷺ – يشيرُ إلى عظيم الصفة التي أودعها اللهُ فيه ، وهي الصفات الكفيلة بتحويل العالم إلى بقعةٍ واسعة من الأمن والأمان والرحمة والإحسان ، بما يضمن عدالة الكون وتمام النعمة . ففي النص عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدِّه عن الحسين بن علي ﷺ قال :

[جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين ﷺ فقال له : يا أمير المؤمنين ، نبِّئنا بمهديكم هذا ؟ فقال ﷺ : إذا درج الدارجون ، وقل المؤمنون ، وذهب المُجلِبُون ، فهناك هناك . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ممَّن الرجل ؟ فقال ﷺ : من بني هاشم ، من ذروة ملوك العرب ، وبحر مغيضها إذا وردت ، ومخفر أهلها إذا أتيت ، ومعدن صفوتها إذا اكتدرت . لا يجبن إذا المنايا هكعت ، ولا يخور إذا المنون اكتنعت ، ولا ينكل إذا الكماة اصطرعت ، مشمر مغلولب ، خلفر ضرغامة ، حصد مخدش ، ذكر ، سيفٌ من سيوف الله ، رأس قتم ، ينشو رأسه في باذخ السؤدد ، وغارز مجده في أكرم المحتد ، فلا يصرفنَّك عن بيعته صارفٌ عارضٌ ينوصُ إلى الفتنة كلُّ مناصٍ إنْ قال فشر قائل وإنْ سكت فذو دعاير . ثم رجع ﷺ إلى صفة المهدي ﷺ فقال : أوسعكم كهفاً ، وأكثركم علماً ، وأوصلكم رحماً ، أللهم فاجعل بعثه خروجاً من الغمَّة ، وأجمع به شمل الامة . فإنْ خارَ اللهُ لك فاعزم ولا تنثنِ عنه إنْ وُفِّقتَ

له ، ولا تجوزنّ عنه إنْ هُديت إليه ، هاه – وأومأ بيده إلى صدره – شوقاً إلى رؤيته][1] .

ففي هذا المتن تأكيد على الوصف الوظيفي الذي خالَطَ الوصف الجسماني ، الذي يعني انّ العدل المطلق مرهونٌ في الأرض بظهوره الشريف ﷺ .

---

[1] النعماني : ص٢١٢ – ٢١٤ ب١٣ ح١

غيبة المهدي عليه السلام

تصدَّر موضوع غيبة الإمام المهدي عليه السلام نصوص أهل البيت ، فلم يذكرهُ إمام منهم عليهم السلام إلا أشار إلى غيبتِه ، وغيبتُهُ عليه السلام غيبتان : واحدةٌ صغرى انتهت في العام ٣٢٩ للهجرة ، والثانيةُ بدأت منذ تلك اللحظة الشريفة وما زالت حتى الآن إلى يوم يأذن اللهُ تعالى بالظهور ، وظهورهُ من المحتوم المُبرم ، كحتم السموات والأرض ، وحتم النبوّات وبعثة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ..

لكنَّ الأهم في تلك النصوص الإشارات الرهيبة إلى ذلك الزمن ، زمن الحيرة في عالمٍ يقوم هيكله ومفصلهُ على حكم الجبابرة ، وقادة لا يرون لله في دنياهُ أثراً ، منحرفون ، فاسدون ، يُنكرون اللهَ في مواثيقهم ، يُبطلُون أمرهُ في عهودهم ، يشرّعون من منظومة الحقوق ما يعاند فقه الشريعة وشروطها ..

من هنا يأتي الضغط الشديد على أتباع آل محمّد المنادين بالمهدي آخر الزمان ، حيث يضلُّ قومٌ ويهتدي آخرون ، ويمكنني تصوير تلك المشاهد بما ورد عن الاصبغ بن نباتة قال : أتيتُ أميرَ المؤمنين عليه السلام

فوجدته متفكّراً ، ينكتُ في الأرض ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، مَا لِي أراكَ متفكّراً تنكتُ في الارض ، أرغبةً منك فيها ؟ فقال عليه السلام :

[لا واللهِ ما رغبتُ فيها ولا في الدنيا يوماً قط ، ولكنّي فكّرتُ في مولودٍ يكونُ مِن ظهري ، الحادي عشر مِن وُلدي ، هو المهدي الذي يملؤُ الارض عدلاً وقسطاً كما مُلئَت جوراً وظلماً . تكون له غيبةٌ وحيرةٌ يضلُّ فيها أقوامٌ ويهتدي فيها آخرون ..

فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، وإنَّ هذا لكائن ؟ فقال عليه السلام : نعم كما أنَّه مخلوق ، وأنّى لك بهذا الامر يا أصبغ ، أولئك خيارُ هذه الأمّة مع أبرارِ هذه العترة . فقلت : ثم ما يكون بعد ذلك ؟ فقال : ثم يفعل الله ما يشاء ، فإنَّ له بداءات وإرادات وغايات ونهايات][1] ..

ففي النص تأكيد على المهديّ عليه السلام وأنّه من المحتوم ، ثم إشارة إلى الغيبة والحيرة وعظيم البلاء ، خاصّةً أنَّ مناهج وثقافة العالم آنذاك تقوم على نحوٍ ساخرٍ من أهلِ الدِّين والإيمان واليقين ، بل شديد التعارض معه . وبهذا يكون الرأي العام العالمي شديد النفرة والحقد على أهل الإعتقاد ، ولهذا يضلُّ قومٌ من أهلِ الإسلام ، فيما يصبرُ آخرون ، فيحملون الأذى والغربة وشدّة الأثر في سبيلِ انتظار قائم الله في أرضه .. وكذا ورد هذا المتن في رسائل المفيد[2] ، وقال : هذا الخبر الذي روته العامة والخاصة وهو

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٣٣٨ ح ٧ عن جعفر بن محمد بن يحيى الرهاوي ، عن سعيد بن المسيب ، عن الاصبغ ، – كما في الكافي بتفاوت ، وفيه (. . من يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي وهو المهدي . . ثم ماذا ؟ قال يفعل الله ما يشاء ، من الرجعة البيضاء والكرة الزهراء ، وإحضار الانفس الشح ، والقصاص ، والاخذ بالحق والمجازاة بكل ما سلف . ثم يغفر الله لمن يشاء) .

[2] : صـ ٤٠٠ –

خبر كميل بن زياد . وفيه : [. . ما رغبتُ فيها ساعة قط ... التاسعُ من ولدِ الحسين ﷺ هو الذي يملؤُ الارضَ قسطاً وعدلاً .. يكون له غيبة يرتاب فيها المُبطلُون ، يا كميل بن زياد ، لا بدَّ لَهُ من حجّة ، إمَّا ظاهر مشهور شخصه ، وإما باطن مغمور ، لكيلا تبطُل حججُ الله][1] ..

تأكيداً منه ﷺ أنَّ للمهديِّ من ولده غيبةً ، وحيرة ، خاصّةً إذا علمنا أنَّ ذلك الزمن يكون على نحوٍ نقيضٍ من فقه القيم واشتراع النِّعم ..

وعلى كلٍّ حال : فقد ورد في النصوصِ الكثيرةِ أمرُ المهدي ﷺ وأنَّه يغيبُ غيبةً عظيمةً تكون فيها حيرة ، يتقسم على أثرها الناسُ ، وتكون عامّةُ أهلِ الأرضِ على نحوٍ ساخرٍ من الدِّين والإعتقاد ، في حين المهدي ﷺ بينهم ، يراهم ولا يرونَهُ ، يسير بين السكك والمدن ، بين القرى وأشخاصها ، وهو حتمٌ محتوم ، يَرى ولا يُرى إلى أن يأذن اللهُ له بالظهور . وقد قام أميرُ المؤمنين ﷺ يوماً في أصحابه خطيباً ، يذكِّرهم أيَّام الله وميزانَ حُجَجِه ، وما يؤولُ إليه الزمان ، وما ينتظرُ العالَم من حدثٍ عظيم وآياتٍ بيّنات ، وأنَّ الأئمّة كالنجوم ، كلَّما مالَ واحدٌ منهم للمغيب طلَّ آخر ، لإتمام الأمر ، وإنفاذ الحجّة ، فقال ﷺ – كما في نهج البلاغة – :

[.. الحمدُ لله الناشرِ في الخَلْقِ فضلَهُ ، والباسطِ بالجودِ يدَهُ ، نحمده في جميع أموره ، ونستعينُهُ على رعاية حقوقه ، ونشهد أن لا إله غيره ، وأنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بأمرِهِ صادعاً ، وبذكرِهِ ناطقاً ، فأدَّى

---

[1] والظاهر أن ما ذكره أول حديث الاصبغ المذكور ، وآخره حديث كميل المشهور . * : غيبة الطوسي : صـ ١٠٢ – ١٠٤ – كما في الكافي بتفاوت يسير ، بسندين آخرين عن الاصبغ

أميناً ، ومضى رشيداً ، وخلف فينا راية الحقّ مَن تقدَّمَها مرق ، ومَن تخلَّف عنها زهق ، ومَن لزمها لحق ، دليلها مكيث الكلام ، بطيءُ القيام ، سريعٌ إذا قام . فإذا أنتم ألنتم له رقابكم ، وأشرتم إليه بأصابعكم ، جاءه الموتُ فذهب به ، فلبثتم بعده ما شاء الله ، حتى يطلع الله لكم مَن يجمعكم ويضمُّ نشركم . فلا تطمعوا في غير مقبل ، ولا تيأسوا من مدبر ، فإنّ المدبر عسى أنْ تزلَّ به إحدى قائمتيه وتثبت الأخرى ، فترجعا حتى تثبتا جميعاً .

ألا إنّ مثَلَ آل محمد ﷺ كمثل نجوم السماء إذا خوى نجمٌ (مال للمغيب) طلع نجم ، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع ، وأراكم ما كنتم تأملون][1] .

وقد قال « ابن ميثم البحراني » عند ذيل هذه الخطبة :

[.. وهذا الفصلُ يشتمل على إعلامهم بما يكون بعده من أمر الائمة وتعليمهم ما ينبغي أن يفعل الناس معهم ، ويمنّيهم بظهور إمام من آل محمد عقيب آخر ، ووعدهم بتكامل صنايع الله فيهم بما يأملونه من ظهور إمام منتظر .. إشارة إلى منّة الله عليهم بظهور الامام المنتظر وإصلاح أحوالهم بوجوده ، وقال : وجدتُ له ﷺ في أثناء بعض خطبه - في اقتصاص ما يكون بعده - فصلاً يجري مجرى الشرح لهذا الوعد ، وهو أن قال ﷺ : « يا قوم ، اعلموا علماً يقيناً ، أنّ الذي يستقبلُ قائمنا ﷺ من أمر جاهليّتكُم ليس بدونِ ما استقبلَ الرسول ﷺ من أمرِ جاهليّتكُم ، وذلك أنّ الأمّةَ كلُّها يومئذ جاهليةٌ إلا مَن رحمَ اللهُ ، فلا تعجلوا فيعجل الخرق بكم ،

---

[1] ابن ميثم البحراني : ج ٣ ص ٦ خطبة ٩٧ – من نهج البلاغة

واعلموا أنَّ الرفق يُمْنٌ ، وفي الأناة بقاءٌ وراحة ، والامام أعلم بما ينكر ، ولَعمري لَينزعنَّ عنكم قضاةَ السوء ، ولَيَقبضنَ عنكم المراضين (كذا) ، وليعزلنَّ عنكم أمراءَ الجور ، ولَيُطهِّرَنَّ الأرضَ من كلِّ غاشٍّ ، ولَيعملنَّ فيكم بالعدل ، وليقومنَّ فيكم بالقسطاسِ المستقيم ، ولَيتمنَّى أحياؤُكم لِأمواتكم رجعةَ الكرَّة عمَّا قليل ، فيعيشوا إذن ، فإنَّ ذلك كائن]١ .

وهو كما ترى : ناظرٌ إلى أمرِ المهدي عليه السلام ، وأنَّ آل محمَّد عليهم السلام حججُ اللهِ وعنوانُ فضلِه ، وأنَّ الأرضَ لا تخلو منهم أبداً ، وأنَّهم سلسلةٌ منظومة ، كلما غاب منها واحد ظهر الآخر وانتشر ؛ لكيلا يكونَ للناسِ على اللهِ حجَّة . وأنَّهُ إذا ظهر المهدي عليه السلام تكاملت من الله فيكم الصنائع ، ورأيتم ما كنتم تأملون من الظهور الشريف الذي يقيم العدل في كون الإنسان ويحقِّق ضمانة الوجود وغايته وفق معايير الشريعة ومعاني الإستخلاف ..

ويلفت عليه السلام إلى أنَّ الذي يستقبلُ القائم عليه السلام في ذلك العالم يكون على نحوٍ شديد من الإنحراف والجور والفساد بحيث يكون العالَمُ مُحاطاً بقيم الجاهليَّة بما تعنيه من طغيانٍ وانحراف وتقسُّخ سابق أو لاحق ، قديم أو متجدِّد ، تماماً كالحال التي استقبلَ الرسولُ صلى الله عليه وآله من الناس أمرَ جاهليَّتِهم ، وذلك أنَّ الأمَّةَ كلَّها يومئذ جاهليةٌ إلا من رحمَ اللهُ ، فإذا تكاثرت الآيات ، وجابت الفتنُ البقاعَ ، والتحمت أدواتُ الحرب ، وتفاني الناس ، وتذابحت الجبهات ، وسارت قوافل الموت هنا وهناك ، وتلاحقت علامات الظهور ، وإذا أوشك الظهور تتابعت الأحداثُ بشدَّةٍ متواصلة ، حتى إذا ظهر عليه السلام أقام الحقَّ وأبطل الباطل ، وأعلن حكم الإسلام منظومةً تامَّةً لأهل

---

١ ج . س .

الأرض ، وتحقّقَ أمرُ الله للمستضعفين بأنْ ورثوا الأرض ، عندها ينزع ﷺ قضاةَ السوء ، ويمنع المرابين ، ويعزلُ أمراءَ الجور ، ويُطهّرُ الأرضَ من كلّ غاشٍّ أو مُفسد ، ويقيم العدل شاملاً كاملاً ، ويحكم بالقسطاس المستقيم . فإذا رأى أهلُ الأرض هذه النِّعم وتلك القيم ، تمنّى الأحياءُ الأموات ، ورأى أهلُ الرجعة نعيمَ الله العظيم ووعده القديم . وإنّ الرجعةَ حقٌّ يقين ، رجعة الكرّة عنّا قليل ، حتى يبعث اللهُ أقواماً من قبورهم ، وإنّ ذلك كائن في آخر الزمان[1] .

---

[1] عن الرجعة روى الحفضل بن عمر قال : ذكرنا القائم ﷺ ومن مات من أصحابنا تنتظره ، فقال لنا أبو عبد الله ﷺ : [إذا قام أتي المؤمن في قبره فيقال له . يا هذا إنه قد ظهر صاحبك فإنْ تشأ أن تلحق به فالحق ، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم] . [الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . ه : غيبة الطوسي : صـ ٢٧٦ –] وعن موسى الحناط ، قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [أيام الله ثلاثة : يوم يقوم القائم عليه السلام ، ويوم الكرة ، ويوم القيامة] . [مختصر بصائر الدرجات : صـ ١٨ –] ثم هناك ما يشير من النصوص إلى أنّ الرجعة غير عامّة ، ففي المرسل عن الصادق ﷺ قال في الرجعة : [إنما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم ﷺ مَن محض الايمان محضاً ، أو محض الكفر محضاً . فأما ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب] . [تصحيح الاعتقاد ، الشيخ المفيد (المطبوع مع أوائل المقالات) : صـ ٢١٥ – أجوبة المسائل السروية (عدة رسائل للشيخ المفيد)] : صـ ٢٠٧ وفي المرسل عن الامام الصادق ﷺ قال : [ليس منا من لم يقل بمتعتنا ويؤمن برجعتنا] . وقال : وأما قوله ﷺ من لم يقل برجعتنا فليس منا فإنما أراد بذلك ما اختصه من القول به في أن الله تعالى يحيي قوماً من أمة محمد ﷺ بعد موتهم قبل يوم القيامة ، وهذا مذهب مختص به آل محمد ﷺ . وقال : [.. وذلك مما أجمع عليه الامامية ، نقل الاجماع من الشيعة على هذه المسألة الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه ، ونقل الاجماع أيضا السيد المرتضى رضي الله عنه ، فقد نقلا إجماع الامامية على رجعة جماعة من المؤمنين من قبورهم بعد موتهم مع الامام ﷺ إذا ظهر] . مع التأكيد على أنّ تحديد أمر الرجعة متواترة عند الإمامية عن النبي وأهل البيت ﷺ . وغرابتها عن أذهاننا ليست بأعظم من غرابة القيامة عن أذهاننا القاصرة . وبالتالي : وجود الغرائب في احداثها أو الصعب من مظان البشر لا يصح أن يكون مُضَعِّفاً لاحاديثها ، لأنّا لم نُؤتَ من العلم إلا قليلاً ، ولأنّ ما هو ممنوع أو غريب على البشر هو نفسه مقدور غير مستهجن عند الله تعالى . ولقد كان أهل البيت ﷺ يجاهرون بالرجعة . وفي النص عن علي بن أحمد العقيقي [قال (أي يروي عن الصادق ﷺ) : [كان ﷺ مجاهداً (مجاهراً) في الرجعة] . [الرجال ، لابن داود الحلي : صـ ٢٥٨ الرقم ١٥٩٩] – عن عبد الله بن بكير ، عن أبي عبد الله ﷺ أنه يجاهر في الرجعة] .

وفي الخلاصة عن العقيقي أنه قال : أثنى عليه (ميسر بن عبد العزيز) آل محمد صلى الله عليه وآله وهو ممن يجاهد في الرجعة » . وفسر بعضهم ما في ذيل الحديث بانه ﷺ يجاهد أي يقاتل مع المهدي ﷺ . ومعلوم انّ المهدي ﷺ يظهر أولاً ثم يرجع بعد رجعة الائمة ﷺ وجهاده إنما هو في ظهوره لا في رجعته . وإطلاق الرجعة على ظهوره أرواحنا فداه خلاف الظاهر . وإنما الظاهر من الرجعة حيث تُطلق في الاخبار هي رجعة النبي ﷺ والائمة ﷺ التي هي من خواص مذهب الشيعة وضروريّاتهم . وعليه : معنى انّه يجاهد أي يصرّ على رجعة الائمة ﷺ ويقيم البراهين عليها في وجه منكريها . ويمكن أن يكون ما ورد في لفظ يجاهد مصحّف من كلمة يجاهر . وهذا يوافق مجموع طوائف وردت بهذا المعنى انّ أهل البيت ﷺ كانوا يجاهرون بالرجعة . ومن يتتبع سيرة الائمة ﷺ وأصحابهم في أمر الرجعة يلاحظ أنها كانت كثير جداً من مخالفيهم فيسكتون عن القول بها ويأمرون بالسكوت لعدم المصلحة في إثارة الخلاف . ثم يجهرون بها ويأمرون بالجهر بها عندما يفسح المجال لتثبيت واحدة من عقائد الاسلام التي يصرون عليها " . . وهناك ما يشير من الروايات انّ أول مَن يرجع هو الحسين ﷺ ففي رواية محمد بن مسلم قال : سمعت حمران بن أعين وأبا الخطاب يحدّثان جميعا قبل أن يُحدث أبو الخطاب ما أحدث أنهما سمعا أبا عبد الله ﷺ يقول : [أول مَن تنشق الارض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي ﷺ ، وإن الرجعة ليست بعامة ، وهي خاصة ، لا يرجع إلا من محض الايمان محضا أو محض الشرك محضا] . [بصائر الدرجات : لسعد بن عبد الله : على ما في حلية الابرار . أيضاً : مختصر بصائر الدرجات : صـ ٣٤] . وفي رواية المعلى بن خنيس وزيد الشحام عن أبي عبد الله ﷺ قالا سمعناه يقول : [إنّ أول من يكر في الرجعة الحسين بن علي ﷺ ، ويمكث في الارض اربعين سنة] . [بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله القمي : على ما في حلية الابرار . * : مختصر بصائر الدرجات : صـ ١٨] - وفي رواية أحمد بن عقبة عن أبيه عن أبي عبد الله ﷺ : [ويقبل الحسين في أصحابه الذين قتلوا معه ومعه ، سبعون نبياً ، كما بعثوا مع موسى بن عمران ، فيدفع إليه القائم الخاتم ، فيكون الحسين ﷺ هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ، ويواري به (ويواريه) في حفرته] . [مختصر بصائر الدرجات : صـ ٤٨ -] . وعن يونس بن ظبيان ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي (عليهما السلام) فأما يوم القيامة فإنما هو يَعِثُ إلى الجنة ويَبْعَثُ إلى النار] . [مختصر بصائر الدرجات : صـ ٣٧ -] . وعن جابر بن يزيد ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إن لعلي ﷺ في الارض كرة مع الحسين ابنه صلوات الله عليهما يقبل برايته حتى ينتقم له من أمية ومعاوية وآل معاوية ومن شهد حربه ، ثم يبعث الله إليهم بأنصاره يومئذ من أهل الكوفة ثلاثين ألفاً ومن سائر الناس سبعين ألفاً ، فيلقاهم بصفين مثل المرة الاولى حتى يقتلهم ، ولا يبقى منهم مخبر . ثم يبعثهم الله عزوجل فيدخلهم أشد عذابه مع فرعون وآل فرعون ، ثم كرة أخرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يكون خليفة في الارض وتكون الائمة عليهم السلام عماله ، وحتى يعبد الله علانية ، فتكون عبادته علانية في الارض كما عبد الله سرا في الارض . ثم قال : إي والله وأضعاف ذلك ، ثم عقد بيده أضعافا يعطي الله نبيه صلى الله عليه وآله ملك جميع أهل الدنيا منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم يفنيها ، حتى ينجز له موعده في كتابه كما قال :

﴿ ويظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾]. بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله : على ما في البرهان . * : مختصر بصائر الدرجات صـ ٢٩ -] . وعن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [إن إبليس قال : أنظرني إلى يوم يبعثون ، فأبى الله ذلك عليه ، فقال : إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم . فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم .. إلى أن قال - بخصوص الإمام علي ﷺ - : هي أخر كرة يكرها أمير المؤمنين ﷺ ، فقلت : وإنها لكرات ؟ قال : نعم ، إنها لكرات وكرات ، ما من إمام في قرن إلا ويكر معه البر والفاجر في دهره ، حتى يديل الله المؤمن من الكافر . فإذا كان يوم الوقت المعلوم كر أمير المؤمنين في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه ، ويكون حيفاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال لها : الروحا قريب من كوفتكم ، فيقتتلون قتالا لم يقتتل مثله منذ خلق الله عزوجل العالمين . فكأني أنظر إلى أصحاب أمير المؤمنين قد رجعوا إلى خلفهم القهقري مائة قدم ، وكأني أنظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات .. ورسول الله بيده حربة من نور ، فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقرى ناكصا على عقبيه ، فيقولون (كذا) له أصحابه : أين تريد وقد ظفرت ؟ فيقول : إني أرى ما لا ترون . إني أخاف الله رب العالمين ، فيلحقه النبي صلى الله عليه وآله فيطعنه طعنة بين كتفيه ، فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه . فعند ذلك يُعبد الله عزوجل ولا يشرك به شيئا . ويملك أمير المؤمنين ﷺ أربعا وأربعين ألف سنة ، حتى يلد الرجل من شيعة علي ﷺ ألف ولد من صلبه ذكراً في كل سنة ذكراً . وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله] . [مختصر بصائر الدرجات : صـ ٣٦ - ٢٧ -] . وهناك ما يشير إلى رجعة أعداء المؤمنين للانتصاف منهم . ففي رواية المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله : [إذا قام قائمنا رد الله كل مؤمن للمؤمنين في زمانه في الصورة التي كانوا عليها وفيها بين أظهرهم ، لينتصف منهم المؤمنون] . [دلائل الامامة : صـ ٢٤٧ -] . وفي رواية أبي بصير ، قال : دخلت على أبي عبد الله ﷺ فقلت : إنا نتحدث أن عمرو بن ذر لا يموت حتى يقاتل قائم آل محمد ﷺ فقال : [إن مثل ابن ذر مثل رجل في بني إسرائيل يقال له عبد ربه ، وكان يدعو أصحابه إلى ضلالة فمات ، فكانوا يلوذون بقبره ويتحدثون عنده ، إذ خرج عليهم من قبره ينفض التراب من رأسه ويقول لهم كيت وكيت] [مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢١ -] . ملاحظة : لا تدري المقصود بعمرو بن ذر المذكور ولعله أحد الفجار الذين كانوا معروفين آنذاك ، وإن الراوي ذكر للامام أنا رويتا حديثا عن آبائك عليهم السلام أنه لا يموت حتى يقاتل المهدي ﷺ ، ففسر له الامام الصادق ﷺ ذلك بأنه يرجع بعد موته كما حدث في بني إسرائيل . وفي رواية خالد بن يحيى ، قال : قلت لابي عبد الله ﷺ .. فقال : [إتقوا دعوة سعد ، قال : نعم ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إن سعدا يكر فيقاتل عليا ﷺ] [مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢٩ -] . وعليه : رجعة سعد المذكور وعمرو بن ذر في الرواية المتقدمة اللذين يبدو أنهما كانا من أشد أعداء الائمة ﷺ وكذا رجعة أمثالهم من الطغاة والمنافقين مصداق مما تقدم من رجعة أعداء الانبياء في العصور المختلفة واقتصاص النبي ﷺ والائمة ﷺ منهم . وفي رواية المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله : [يا مفضل ، أنت وأربعة وأربعون رجلا تحشرون مع القائم ، أنت عن يمين القائم تأمر وتنهى ،

والناس إذ ذاك أطوع لك منهم اليوم] . [دلائل الامامة : ص ٢٤٨] . وعن أبي عبد الله البرقي رفعه قال : نظر أبو عبد الله عليه السلام إلى داود الرقي وقد ولي فقال : [من سره أن ينظر إلى رجل من أصحاب القائم عليه السلام ، فلينظر إلى هذا . وقال في موضع آخر : أنزلوه فيكم بمنزلة المقداد رحمه الله] [الكشي : ص ٤٠٢ ح ٧٥١ -] . وعن عمار بن مروان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : [منكم والله يقتل وبكم والله يفقر ، إنه ليس بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور وقرة العين إلا أن تبلغ نفسه هاهنا - وأومأ بيده إلى حلقه - ثم قال : إنه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله صلى الله عليه وآله والائمة وعلي وجبرئيل وملك الموت عليهم السلام ، فيدنو منه علي فيقول لرسول الله صلى الله عليه وآله إنّ هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبه فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل : إنّ هذا كان يحب الله ورسوله وآل رسوله فأحبه وارفق به] ويقول جبرئيل لملك الموت : إنّ هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبّهُ وارفق به] فيدنو منه ملك الموت فيقول له : يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك ، أخذت أمان برائتك ، تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا ؟ قال : فيوفقه [فيرفعه] الله عزوجل فيقول نعم ، فيقول له : وما ذاك ؟ فيقول . ولاية علي بن أبي طالب فيقول : صدقت أما الذي كنت تحذره فقد آمنك الله منه ، وأما الذي كنت ترجوه فقد أدركته ، أبشر بالسلف الصالح ، مرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والائمة من ولده عليهم السلام ، ثم يسل نفسه سلّا رفيقا ، ثم ينزل بكفنه من الجنة وحنوطه ، حنوط كالمسك الاذفر ، فيكفن [بذلك الكفن] ويحنط بذلك الحنوط ، ثم يكسى حلة صفراء من حلل الجنة [فإذا وضع في قبره فتح الله له بابا من أبواب الجنة] يدخل عليه من روحها وريحانها [ثم يفسح له عن أحامه مسيرة شهر وعن يمينه وعن يساره] ثم يقال له : نم نومة العروس على فراشها ، أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ، ورب غير غضبان [ثم يزور آل محمد في جنان رضوى فيأكل معهم من طعامهم ويشرب معهم من شرابهم ويتحدث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا أهل البيت ، فإذا قام قائمنا بعثهم الله فأقبلوا معه يلبون زمرا زمرا ، فعند ذلك يرتاب المبطلون ويضمحل المحلون - وقليل ما يكونون - هلكت المحاضير ونجا المقربون . من أجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : أنت أخي وميعاد ما بيني وبينك وادي السلام] قال : وإذا حضر الكافر الوفاة حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والائمة وجبرئيل [وميكائيل] وملك الموت عليهم السلام فيدنو منه جبرئيل [علي عليه السلام] فيقول : يا رسول الله إن هذا كان مبغضا لكم أهل البيت فابغضه فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل إن هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فابغضه [واعنف عليه] [ويقول جبرئيل : يا ملك الموت إن هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فابغضه واعنف عليه] فيدنو منه ملك الموت فيقول يا عبد الله أخذت فكاك رهانك [رقبتك] أخذت أمان برائتك [من النار] تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا ؟ [فيقول : لا] فيقول : أبشر يا عدو الله بسخط الله عزوجل وعذابه والنار ، أما الذي كنت ترجو فقد فاتك ، وأما الذي كنت تحذره فقد نزل بك ، ثم يسل نفسه سلّا عنيفا ، ثم يوكل بروحه ثلاثمأة شيطان [يمزقون] - [يبصقون] [كلهم يبزق في وجهه] ويتأذى بريحه [بروحه] فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار فيدخل عليه من [نفح ريحها]

أقول : في شرح هذا الحديث قال ابن أبي الحديد[1] : [. . ثم يطلع الله لهم مَن يجمعهم ويضمُّهم : يعني مِن أهل البيت ﷺ . وهذا إشارة إلى المهدي ﷺ الذي يظهر في آخر الوقت ، وعند أصحابنا أنه غير موجود الآن وسيُوجد ، وعند الامامية أنه موجودٌ الآن . وعن قوله ﷺ : فلا تطمعوا في غير مقبل ، ولا تيأسوا مِن مدبر .. تأويله أنَّه نهاهم عن أن يطمعوا في صلاح أمورهم على يد رئيسٍ غير مستأنف الرياسة ، وهو معنى مقبل أي قادم ، تقول : سوف أفعل كذا في الشهر المقبل وفي السنة المقبلة ، أي القادمة ، يقول : كلُّ الرئاسات التي تشاهدونها فلا تطمعوا في صلاح أموركم بشيئ منها ، وإنما تنصلح أموركم على يدِ رئيسٍ يقدمُ عليكم ، مستأنف الرياسة خامل الذكر ، ليس أبوه بخليفة ، ولا كان هو ولا أبوه مشهورين بينكم برياسة ، بل يتبع ويعلو أمره ، ولم يكن قبل معروفاً هو ولا أهله الادنون ، وهذه صفة المهدي الموعود به . ومعنى قوله : ولا تيأسوا من مدبر ، أي وإذا مات هذا المهدي وخلفه بنوه بعده ، فاضطرب أمر أحدهم فلا تيأسوا وتتشككوا ، وتقولوا لعلنا أخطأنا في اتباع هؤلاء ، فإنَّ المضطرب الامر منَّا تستثبت دعائمه ، وتنتظم أموره ، وإذا زلَّت إحدى رجليه ثبتت الاخرى فثبتت الاولى أيضا . ويروى : فلا تطعنوا في عين مقبل ، أي لا تحاربوا أحداً منَّا ولا تيأسوا من إقبال مَن يدبر أمره منا . ثم ذكر ﷺ أنهم كنجوم السماء ، كلمَّا خوى نجم طلع نجم ، خوى : مال للمغيب . ثم وعدهم بقرب الفرج فقال : ان تكامل صنائع الله عندكم ، ورؤية ما تأملونه أمرٌ قد قرب وقته ، وكأنَّكُم بهِ وقد حضر وكان ، وهذا على نمط

[فتح ريحها] قيحها ولهبها ' لهيبها ' [الزهد ، الحسين بن سعيد : ص ٨١ - ٨٢ ح ١٥ ح ٢١٩ -] . [المعجم] .

[1] : ج ٧ ص ٨٤ خ ٩٩ - وفي : ص ٩٤ - قال في شرح قوله

المواعيد الالهية بقيام الساعة ، فإنَّ الكُتُبَ المنزَّلةَ كلَّها صرَّحت بقربها ، وإن كانت بعيدة عندنا ، لأن البعيد في معلوم الله قريب ، وقد قال سبحانه : ﴿ إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ﴾] . وقد علَّق الشيخ علي كوراني – في معجمه – على هذا الشرح قائلاً : « أوردنا تفسير ابن أبي الحديد للنص ليُعلم كم ابتعد عن معناه الواضح ، فأمير المؤمنين ﷺ لم يتحدَّث أبداً عن صوت المهدي ﷺ وملك أولاده بعده وانحرافهم ، بل تحدَّثَ عن مرحلة الانحراف في الأمَّة وعودة الجاهلية ثم ظهور الاسلام والعدل على يد المهدي ﷺ » .

وهذا ما أشرنا إليه في شرحنا الوارد أعلاه . ومن المقطوع فيه – بالنصوص الكثيرة – أنَّ المهديَّ ﷺ يحكم بالعدل الإلهي العظيم فيبسطه على الأرض كلِّها ، بل أين تطأ قدمُ إنسان ، وأنَّ حكم المهدي ﷺ يطول ، وأنَّ الرجعة تكون في عهده أو بعد وفاته ﷺ ، فتبقى الأرض على حكم العدل ما شاء اللهُ أن تكون ، حتى يأتي أمرُ الله بالساعة .. في حين المشكلة ببعض نصوص العامَّة أنَّها رغم اعتقادها وإقرارها بأنَّ المهدي ﷺ هو الذي يقيم القسط والعدل في العالم بعدما مُلئت بالجور والفساد ، لا تعطيه من العمر إلا القليل ، بل بعضُها يعطي ميزات حكم وقيادة للنبي عيسى بن مريم ﷺ في نفس الوقت الذي تصرِّحُ فيه النصوص أنَّه وزير في جبهة آل محمَّد .! بل يصلِّي خلفَ المهدي ﷺ .! على اعتبار أنَّ الإمارة تكون في المهدي ﷺ ، وبذلك وردت نصوصٌ صحيحةٌ صريحة في كُتُبِ الفريقين .. لكنَّ نَفَسَ الإسرائيليَّات والوهم أحياناً بدا في نصوص قليلة تحاول أن تُبَدِّل بالأدوار من المهدي إلى المسيح ﷺ .!

ومهما يكن من أمر فقد اشارت النصوصُ إلى أنَّ للمهدي ﷺ غيبةً على أثرها تكون حيرة ، في ظلِّ نمط من كهنوت خطير ، وفقهاء موظَّفين

لخدمة السلاطين ، يبيعون آخرتهم بدنياهم ، ويرمون ببطونهم أمام موائد السلطان في دنياً لا في دين ، ويلبسون الدّين مقلوباً ، ويُعلنُونَ في الظاهرِ ما يُروِّج في الباطنِ للباطلِ والآثام ، ويعملون مع أئمّةٍ ضالّين مضلّين ، في حين العالم يكون على نحوٍ من ممالك ودول وأنظمة لا تجيد في متونها القانونيّة إلا تثبيت هويّة الإنفصال عن فقه السماء ، وما يتبعه من عرفٍ وسلوك اجتماعي شديد التعارض مع قيم الشريعة وغايات الإستخلاف البشري الذي أصلّه اللهُ في رحلة الإنسان نحو شاطئ الوجود ..

ويبدو من بعض النصوص أنّ هناك فترةً حرجةً ، ذات صفة بالغة في الصعوبة تطال أتباع هذا الأمر ، لجهة تعقيدات مختلفة أهمُّها الرأي العام العالمي الذي ينعقد على ظاهرة التشديد اتّجاه أتباع هذا الدّين ومُعتقدي هذا المذهب ، بل نقرأ في النصوص عجباً من غرائب التُّهم والإستخفاف الذي يطال هذه الفئة .

وعلى كلٍّ حال : الفترة فترة حيرة صعبة ، تحملُ فيها الأبواق وثقافة العالم على أهل هذا النداء الذين يُصرُّون على موعد الإمام وغيبته وحتميّة ظهوره .. لذلك نجد الأئمّة ﷺ يجيبون عن هذه الفترة بنوعٍ عظيمٍ من التثبيت ، وبوصيّةٍ حاسمة في الإنتظار ، بل نجد الإمام ﷺ ينتقل بالناس من زمنه إلى زمن الغيبة بشكلٍ مفاجئ فيشير إليها ، ليثبّت في الأمم حتميّة وقوعها وضرورة انتظارها ، مؤكّداً أنّ انتظار الفرج من أعظم العبادة . وفي الرواية عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن آبائه ﷺ قال : زادَ الفراتُ على عهدِ أمير المؤمنين ﷺ فركب هو وابناهُ الحسن والحسين ﷺ فمرَّ بثقيف ، فقالوا : قد جاءَ عليٌّ يردُّ الماءَ ، فقال عليٌّ ﷺ :

[.. أما والله ، لأُقتَلَنَّ أنا وابناي هذانِ ، ولَيبعثَنَّ اللهُ رجلاً مِن وُلدي في آخر الزمان يُطالِبُ بدمائنا ، ولَيغيبَنَّ عنهم تمييزاً لأهل الضلالة حتى يقولَ الجاهل : ما للهِ في آل محمد من حاجة ![1] .

لَاحِظ إجابة الإمام علي ﷺ وسؤال الناس ..! الإمام ﷺ انتقل بشكل دقيق وعن حكمة فائقة لبيان أمر عظيم ، بدءاً منه ﷺ وصولاً إلى ختام كوكبة الأئمة بالمهدي القائم ﷺ وما يكون من معالم تلك الفترة الحرجة من زمن الغيبة . مؤكداً أنَّ الزمن يكون على نحوٍ عنيد ، أي أهلهُ يكونون على صفة الإنحراف والجحود ، ينكرون الحقائق ، يفصلون نظرتهم الوجودية عن منطق الأفق ومعالم السماء ، يُصرُّون على اتِّخاذ ثقافة الهوى شعاراً للحكم ومهداً للقانون ، ومع هذا الفكر الهابط يصبحُ الدِّينُ غريباً كما بدأ ، وحاملهُ كحامل الجمرة ، والمُتَلَبِّسِ به ذليلٌ أو مُصاب بالجهد والبلاء الثقيل ..

ومعه يصبح أمرُ آلِ محمَّد ﷺ في غيبتِهم من أسبابِ التهكُّم عند بعض القوم لما يتبعه من جحودٍ وكفر . وفي الرواية عن فرات بن أحنف قال : قال أمير المؤمنين ﷺ – وقد ذكر القائم ﷺ من وُلدِه – : [.. أمَا إنَّهُ لَيغيبَنَّ حتى يقولَ الجاهلُ : ما لي في آل محمد حاجة][2] . إشارة إلى المكوِّنات الثقافية في جيل ذلك العالم القائم على نكران أمرِ آلِ محمَّد ، وإبطال حاجة المسيرة لهم ، ومنع ضرورات الجماعة والإجتماع السياسي التعددي أو البشري لحضورهم ..

---

[1] النعماني : ص ١٤٠ - ١٤١ ب ١٠ ح ١

[2] كمال الدين : ج ١ ص ٣٠٢ وص ٣٠٣ ب ٢٦ ح ٩ وح ١٥

ومعنى هذا أنَّ قلَّةً قليلةً من أبناء هذا العالَم يثبتون على دينه ومذهبه ، حتى يقول القائل : هلك في أيِّ وادٍ سلك ! وقد قال الإمام علي عليه السلام لولده الحسين عليه السلام : [.. التاسعُ من وُلْدِكَ يا حسين هو القائمُ بالحق ، المُظهر للدِّين ، والباسط للعدل . قال الحسينُ : فقلت له : يا أمير المؤمنين . وإنَّ ذلك لكائن ؟ فقال عليه السلام : إي والذي بعثَ محمَّداً صلى الله عليه وآله بالنبوَّة ، واصطفاهُ على جميع البريَّة ، ولكن بعد غيبةٍ وحيرة ، فلا يثبتُ فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ اللهُ عزَّوجلَّ ميثاقهم بولايتنا ، وكتب في قلوبهم الايمان ، وأيدهم بروحٍ منه][1] .

وأشكال الحيرة في الغيبة كثيرة ، ومُكوِّناتها عديدة ، أقلُّها أنَّ العالم في ظلِّ ذلك العصر يكون شديد الإرتباط بثقافة النكران الوجودي ، جاحداً لقيمومة الله ، مصرَّاً على نبذ أي صلة للسماء بمكوِّنات فقه أهل الأرض ..

ويعجبني حديث يفتتحهُ الإمام علي عليه السلام بالإشارة إلى العلم اليقيني وحجِّيته وركيزته في تأسيس مشروع الصواب وشروط الإستخلاف ودامغيَّته في تثبيت الحقائق ، وأنَّ قوماً من آخر الزمان يستوثقون العلم ، فيميِّزون بين الحقِّ والباطل ، ويرفعون اصواتهم عالياً بأمر الحجَّة المهدي عليه السلام رغم ضجيج الناس بالباطل والسخرية من أهل الحقِّ ، ثم يشيرُ عليه السلام في ذيله إلى مولانا المهدي عليه السلام وما يؤول إليه الأمر من غيبة وحيرة والجماعة من أهل الحقِّ لا يضرُّهم شيئ : إلى أن يكون الظهور

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ٣٠٤ ب ٢٦ ح ١٦

المفاجئ والنداء العظيم بإسمه ﷺ في الليلة الظلماء من دهر الإنسان . ففي الرواية عن أبي مخنف عن كميل النخعي عن الإمام علي قال :

[يا كُمَيل ، إنَّ هذه القلوب أوعيةٌ ، فخيرُها أوعاها ، إحفظ عنّي ما أقول : الناسُ ثلاثةٌ ، عالمٌ ربّانيٌ ، ومتعلّمٌ على سبيل نجاة ، وهمجٌ رعاعٌ أتباعُ كلّ ناعقٍ ، يميلونَ مع كلّ ريحٍ ، لم يستضيئوا بنورِ العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيقٍ . يا كميل ، العلمُ خيرٌ من المال : العلمُ يحرسُكَ وأنت تحرسُ المال ، والعلمُ يزكو على الانفاقِ والمال تُنقِصُهُ النفقة . يا كميل ، محبّةُ العلمِ دينٌ يُدانُ به ، تكسبُهُ الطاعة في الحياة وجميل الاحدوثة بعد الموت ، ومنفعةُ المالِ تزول بزواله . والعلمُ حاكمٌ والمالُ محكوم عليه . يا كميل ، ماتَ خُزّانُ المالِ وهم أحياء ، والعلماءُ باقون ما بقي الدهر ، أعيانُهُم مفقودةٌ وأمثالهم في القلوبِ موجودة ، ها إنَّ ههنا لعلماً جمّاً – وأومأ إلى صدره بيده – لو أصبْ له حَمَلَةً ، بلى أصيب لقنا غير مأمونٍ (عليه) يستعمل آلة الدِّينِ في الدنيا ، يستظهر بحججِ الله على أوليائه ، وبنِعَمِ الله على معاصيه ، أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه ، يقدحُ الشكُ في قلبه بأول عارض من شبهة ، ألَا لا ذا ولا ذاك ، أو منهوماً باللذة سلس القياد للشهوة ، أو مغرماً بالجمع والإدّخار ، ليسا من رعاةِ الدِّين في شيئ ولا من ذوي البصائر واليقين أقرب شيئ شبهاً بهما الانعام السائمة . كذلك يموتُ العلم بموتِ حامليه . أللهم بلى لا تخلو الارضُ من قائم لله بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مغموراً ، لئلّا تبطل حججُ الله وبيِّناتُه . وكم ذا وأين أولئك ؟ أولئك والله الأقلّون عدداً ، والأعظمون عند الله قدراً ، بهم يحفظُ اللهُ حججَهُ وبيِّناتِه حتى يودعوها نظراءهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هَجَمَ بهم العلمُ على حقيقة الامر فباشروا روحَ اليقين ، فاستلانوا ما

استوعره المُترَفُون ، وآنسُوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُهَا معلَّقَةٌ بالمحلِّ الأعلى ، أولئك خلفاءُ الله في أرضه والدعاة إلى دينه . آهٍ آهٍ شوقاً إلى رُؤيتهم . أستغفر الله لي ولك (يا كميل) ، إنصرف إذا شئت][1] ..

في هذا المتن تأكيد عظيم على أثر العلم ، العلم الذي يكون مطيَّة حقيقيَّة لكشف الوجوديَّة الصادقة ، لمعرفة الأثر النبوي ومعالم الغيب الذي أخبر به عن الله تعالى ، العلم الذي لا يشوبه شكٌ ، العلم الذي تتقصب أمامه شواهد الحقيقة دون ريب ، العلم الذي يرفعه النور إلى منصَّة اليقين ورتبها ، فمن أخذ به أخذ حظّاً عظيماً من الرحمة والبركات ، وهي صفةُ فئةٍ من أهل الإيمان في آخر الزمان ..

هذا هو العلم الذي يعبر منه الناسُ إلى الشاهد الغائب بينهم ، أعني به المهدي ﷺ ، يوم يتحيَّر الناس ، وتتوسَّعُ أفلاكُ الضلالة ، وتتعالى أصواتُ الباطل ، وتحكم ثقافة الرأي الغالب على الأثير والشاشة وبناء العقول بدواعي أهل الفساد .. أي هذا العلم هو ركيزة الفئة الثابتة على القول بالمهديِّ زمن الغيبة والحيرة .

وقد ورد عن عمرو بن سعد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال يوماً لحذيفة بن اليمان :

[. . حتى إذا غابَ المُتغيَّب مِن وُلدي عن عيونِ الناس ، وماجَ الناسُ بفقده أو بقتله أو بموته ، اطَّلعت الفتنةُ ، ونزلت البليَّةُ ، والتحمت العصبيَّة ،

---

[1] العقد الفريد : ج ٢ ص ٨٦

وغلا الناسُ في دينهم ، وأجمعوا على أنَّ الحجة ذاهبةٌ ، والإماسةَ باطلةٌ ، ويحجُّ حجيجُ الناسِ في تلك السنةِ من شيعةِ عليٍّ ونواصبِه للتجسُّسِ والتجسُّسِ عن خلفِ الخلفِ فلا يُرى له أثر ، ولا يُعرف له خبر ولا خلف ، فعند ذلك سُبِيَت شيعةُ عليٍّ ، سَبَيَهَا أعداؤُها ، وظهرت عليها الأشرار والفسَّاقُ باحتجاجها ، حتى إذا بقيت الأمّة حيارى ، وتدلَّهت وأكثرت في قولها انَّ الحجة هالكةٌ والإمامةَ باطلة ، فَوَرَبِّ عليٍّ : إنَّ حجَّتَهَا (المهدي) عليها قائمةٌ ، ماشيةٌ في طُرقِهَا ، داخلةً في دُورِهَا وقصورها ، جوَّالَةٌ في شرقِ هذه الأرضِ وغربها ، تسمعُ الكلامَ وتسلِّم على الجماعة ، تَرَى ولا تُرَى إلى الوقتِ والوعد ونداء المنادي من السماء ، ألَا ذلك يومٌ (فيه) سرورُ وُلدِ عليٍّ وشيعته][1] .

الله أكبر ما أدلَّ وأعظم وأبين هذا الحديث ، إنَّه يشيرُ إلى حيرةٍ مطبقة ، وظلمة مستغرقة ، ودعاية هائلة ، تجوب البلاد والعباد تهوِّل على الذين يؤمنون بالمهدي ، وتسخر منهم ، بل تشتمهم ، وترى في أمرهم نكبةً على الحقائقِ وأهلها ، وترجف عليهم بالأراجيف ، فلا تدعهم . هذا يشيرُ إلى نوعٍ مثيرٍ من التدخُّلاتِ في شؤون هذه الفئة التي تعاني أشدَّ العناء من قيم العالم المثقلِ بثقافة الأرض ، وشهوة التراب ، وربوبيّة المادّة والهوى ..

ومن لحن هذا النص يشيرُ عليه السلام إلى أنَّ حجّة المُبطلين تقوم وتنهض ، فتتصدَّر ثقافة العالم ، فيما أهل الحقّ حجّتُهم في صدورهم بسبب غلبةِ أهلِ الباطلِ ونفوذِ أمرهم .

---

[1] النعماني : ص ١٤٢ ب ١ ح ٣

هذه إشارة دقيقة تصف حال العباد والبلاد آنذاك . ويتضمّن المتن إشارة إلى عصف ثقافي هائل ، إلى حرب تغيير عقول . إلى قصف دعائي مهمّتُهُ الأولى والأخيرة اجتثاث أمر المهدي ﷺ من عقول الناس ..

فيما المهدي ﷺ بينهم ، كالشمس وإن سترتها الغيوم . هنا يُقسم الإمام علي ﷺ فيقول : وَرَبِّ عليٍّ : إنَّ حجّتَهَا (المهدي) عليها قائمةٌ ، ماشيةٌ في طُرقِهَا ، داخلةٌ في دُورِهَا وقصورها ، جوّالَةٌ في شرقِ هذه الأرضِ وغربها ، تسمعُ الكلامَ وتسلّم على الجماعة ، تَرَى ولا تُرَى إلى الوقتِ والوعد ونداء المنادي مِن السماء ، ألَا ذلك يومٌ فيه سرورٌ وُلْدِ عليٍّ وشيعته . أي إمامكم بينكم ، شاخصٌ في الأرض ، كالطودِ العظيم ، براهينُهُ أكثر سطوعاً من اشخاصكم ، كلُّ شيءٍ دليلٌ عليه ، ينكره القومُ وهو بينهم ، يجحدونه وهو في أسواقهم ومدائنهم وقرائهم يجوب الأرض وينظر إليها مِن عينِ الوجوديّة الموعودة وهم لا يرونَه ، فيما بيّناتُهُ شاهدٌ دامغٌ وبرهانٌ ساطع ..

بذلك تكون الغيبة واحدة من معاني البلاءات التي تصيب كون هذا الإنسان في ختام واحدة من مراحل الوجوديّة المتّصلة بأحداثٍ متعدّدة . بطبيعة الحال منها الظهور الأعظم وما يتلوه من أحداث كبرى ما قبل نهاية التاريخ ، وبذلك تبدأ المرحلة الأهم في بناء العالم الجديد ..

فضل انتظار ظهور المهدي عليه السلام

وردت نصوصٌ كثيرة تشير إلى عظيم الأجر على انتظار الفرج ، الذي يتجسّد بالظهور الشريف لمولانا المهدي عليه السلام ، وهي تعني في كثير من المتون العملَ الدؤوب على امتثال فقه الشريعة ، وإعداد القوّة بكلّ ما تعنيه وتشمله وتهيئة ما أمكن من ثقافة الأجيال وشرعنة الأعمال وأسلمة المجتمعات وبذل أقصى الطاقات توطئةً لموعده الشريف عليه السلام ..

أمّا النصوص الواردة في فضل الإنتظار فكثيرة ، منها : ما رواهُ أبو بصير ومحمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : حدثني أبي ، عن جدي ، عن آبائي عليهم السلام أنّ أمير المؤمنين علّم أصحابَهُ في مجلس واحد أربعمائة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه ، جاء فيها : [. . إنتظروا الفرجَ ، ولا تيأسوا من روح الله ، فإنّ أحب الأعمال إلى الله عزّوجل انتظار الفرج ما دام عليه العبدُ المؤمن ، والمنتظرُ لأمرنا كالمتشحّطِ بدمه في سبيل الله][1] .

والنصوص في هذا المجال كثيرة ، وهي شديدة الوضوح في ضرورة انتظار أمر المهدي عليه السلام وإعلان كلمة الإسلام وامتثالها وتوثيق العلاقة بها .

---

[1] الخصال : ج ٢ ص ٦١٠ - ٦١٦ و ٦٢٥ ب ٤٠٠ ح ١٠

خصوصيّة أصحاب الرايات السود الخراسانيين

من الأمور اللافتة جدّاً كثرة النصوص التي تحدّثت عن الرايات السود وهي راية أهل خراسان . ولو ضممنا إليها الطائفة الأخرى التي تتحدّثُ أنّه من نسل سلمان الفارسي يخرج قومٌ يضربونَ العرب على التأويل كما ضربوهم على التنزيل ، كما في أكثر من نصٍّ عن النبيّ ﷺ بالإضافة إلى شواهد روائيّة متنوّعة في هذا المجال تشيرُ إلى قومٍ يكونون آخر الزمان ينتج معنا أنّ قوماً من الخراسانيين ، من تلك الأرض – في آخر الزمان – يقيمون دولةً تدعو إلى آل محمّد ﷺ ، يوطّئون للمهدي سلطانه ، ويحكمون في دولتهم وفق أمر الشريعة وفقه الإسلام .

وأنّ هؤلاء يعانون أشدّ المعاناة من أشكال الحرب والإضطهاد والمحاصرة والجهد المتنوّع الذي يصبهم . إلا أنّهم يصمدون ، وتكون لهم وقعاتٍ موفّقة ، ونفوذ بالإمكانات يبدو على نحوٍ متصاعدٍ ، وصفة في الممانعة تعطيهم القدرة على الصمود مرّة ، وعلى خوض غمار الحرب مرّةً أخرى حتى أنّهم يخترقون الحدود السياسيّة ، ويثبتون أمام جبهات عالميّة قادرة ، وفي لحظةٍ تاريخيّة في ظلّ فتنٍ وحروبٍ مختلفةٍ يخرجون من حدودهم نحو القدس ، فلا يردّون رايتهم حتى ينصبوها في إيلياء ، أي في القدس ..

أمّا العالَم .. ؟ فيكونُ في تلك افترة مجزّءاً إلى دولٍ وكياناتٍ ، وبين تلك الجبهات تنافس وتناحر ، كما بينها مصالح ، تماماً كما هي حالُ العالَم اليوم من فرقٍ وجبهاتٍ مختلفة : هذه تغتال المصلحة وتلك تنافس عليها ، ما يساعد جبهة الخراسانيين على استغلال الوضع الدولي ، لإعداد قوّتهم لحماية أطروحتهم التي تعاني دولة الخراسانيين بسببها الكثير .

فإذا تفاقم الأمرُ ، وتداعت قيمُ الأمن ، وكثُرَ الفسادُ ، واختلفت الرايات ، واعتُدي على حقٍّ يخصُّ الخراسانيين ، وحصل في منطقة العراق وما يتّصل بها حرب ونار ودمار ، وكان في الشام خلاف الرايات ، وامتدّت الفتنةُ إلى الآفاق ، كانت دولة الخراسانيين في قلب الحدث ، مرّةً تنتظر للحدث فلا ترى أنّه يخصُّها ، ومرّةً تجد أنّها المطلوب منه ، لذلك تشير الرواياتُ إلى صولاتٍ وجولاتٍ لأهل الحقّ من خراسان ، في حين تشير نصوصٌ أخرى إلى عناء وعذاباتٍ مختلفة تصيب هذه الدولة بسبب حقّانيّتها ودعوتها إلى الإسلام المحمّدي الأصيل في عالمٍ يرزح تحت عبء الفساد والإضطهاد والإنحراف والبلاء ..

وفي الرواية عن ابن عباس قال : قلتُ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : متى دولتُنا يا أبا حسن ؟ قال ﷺ : [إذا رأيتَ فتيان أهل خراسان ، أصبتم أنتم إثمها ، وأصبنا نحن برها][1] . إشارة إلى دولة العباسيين من جهة ، ودولة الخراسانيين شيعة آل محمّد من جهة أخرى التي تكون آخر الزمان قبل ظهور المهدي ﷺ فتوطّئ له الأمر ..

---

[1] ابن حماد : ص ٥٢

والحديث عن راية الخراسانيين ومشاركتهم وظهورهم الفاعل في آخر الزمان متعدد متشعّب ، من هنا فإنني سأشير إلى بعض العناوين على أن أشير إلى الباقي حسب المواصفات . ففي الرواية عن أبي رومان عن علي ﷺ قال : [تخرج راياتٌ سودٌ تُقاتِلُ السفياني ، فيهم شاب من بني هاشم ، في كَتِفِه اليسرى خال (علامة) ، وعلى مقدّمته رجلٌ من بني تميم ، يُدعَى « شعيب بن صالح » فيهزم أصحابه][1] ..

هذا النص يشير إلى وقعةٍ تكون بين الخراسانيين الذين يحملون الرايات السود وجيش السفياني الذي يظهر على أثر انقلاب في الشام ، حيث يقاتل راية الأصهب والأبقع وينتصر عليهما ، ويسيطر على مقاليد الحكم في الشام ويتوسّع منها إلى غيرها ، إلى الكور الخمس .

وإذا كان السفياني يحكم قبيل ظهور الإمام ﷺ بقليل جداً ، أو فترة ظهوره ، كما في لسان نص آخر ، ذاك ينتصر على ما يليه ، وذاك ينتصر على ما يليه ، فإنّ دولة الخراسانيين ليس بين يدينا من النصوص ما يشير إلى زمن قيامها ، لكنّها تشيرُ ضمناً إلى مدّةٍ وفيرة ، إلى زمنٍ لا بدّ منه ، فهي منذ زمن الأحداث الكبيرة قبيل الظهور تكون على نحوٍ كبيرٍ من القوّة والبطش والممانعة ، بل قادرة على شنّ حرب خارجيّة نحو إيلياء (فلسطين) التي تخترق قبلها عدّة دول وتدخل بيت المقدس ، وعلى الأثر تتحرّك الروم والترك والراية المغربيّة والسفياني وجملة من جيوش هذه المنطقة لإخراج الجيش الخراساني من إيلياء ، ما يعني أنّها تكون على نحوٍ كبيرٍ من القوّة والأدوات القتاليّة ..

---

[1] ابن حماد : ص ٨٥

وهذا بطبيعة الحال يستدعي ضمناً أنّ هذه الدولة لها فترة من الزمن تبني فيها نفسها ، وكلُّ من يقرأ النصوص يجد فيها إشارة واضحة إلى قيام دولة لها تاريخ من الزمن دون تحديد ، تقوم على بناء قوّتها ، تعاني أشدّ المعاناة ، إلى أن تظفر بإمكانات وأدوات حرب فضلاً عن أدوات تخوّلها أن تكون على نحوٍ بارزٍ من امتلاك وسائل عصرها في العسكر وغيره ، من تكنولوجيا مدنيّة أو حربيّة ، تسمح لها بتكوين قوّة إقليميّة ضخمة ، بل قوّة تحسب لها القوى الكبرى حسابات غير عاديّة ، مثل الروم والترك وغيرهما .

ويكون بين يدي الخراساني الذي يقود المجتمع السياسي قائد عسكري قادر إسمه شعيب بن صالح يملك من أدوات التخطيط والتنفيذ والإرادة ما يصدم به الأمم آنذاك .

يشار إلى أنّ السفياني بعد معركة قرقيسيا - في المثلّث التركي العراقي السوري - التي يخوضها ضدّ الروم والترك وينتصر فيها ، يبني مجداً من القوّة يسيطر على « الكور الخمس » ، ويعلن نظاماً إقليمياً جامحاً ، فإذا هو يبعث جيشاً إلى العراق ليسيطر على إمكاناتها ، ويقتل آل محمّد فيها ، عندها يدخل جيش الخراساني المعركة لنصرة أتباع آل محمّد ، وتقع معارك عدّة في العراق ، يتبعها معركة فاصلة في منطقة اصطخر تنتهي بانهزام هائل لجيش السفياني .

عن هذا المشهد قال الإمام علي : [.. إذا خرجت الراياتُ السود إلى السفياني ، التي فيها شُعيب بن صالح ، تمنّى الناسُ المهدي ﷺ فيطلبونَهُ ، فيخرج من مكة ومعه رايةُ رسول الله ﷺ فيُصلّي ركعتين بعد أن ييأس

الناسُ من خروجه لِمَا طالَ عليهم من البلايا ، فإذا فرغ من صلاته انصرف فقال : يا أيها الناسُ ألِمَ البلاء بأمّة محمّد وبأهل بيته خاصة ، فهو باغٍ بغى علينا [1] ..

وفي رواية أخرى عن ابن حماد – وفيه – : [.. إذا هزمت الراياتُ السودُ خيلَ السفياني ..] [2] . ثم يتابع النصّ إلى آخره . تأكيداً على أنّ المعركة التي تحصل بين جيش الخراساني وجيش السفياني يكون الإنتصار فيها للخراسانيين .

على أنّ النصّ الوارد أعلاه اشار إلى أنّ هذه المعركة تكون زمن المهدي ﷺ أو قريباً منه ، أو ضمن الفترة الخاصّة التي يخرج فيها ﷺ ، خاصّةً إذا قرأنا الروايات التي تقول بأنّ السفياني يُجهّزُ من الشام جيشين ، واحد يبعثه إلى العراق (الكوفة) والثاني يبعثه إلى المدينة . الأوّل يقتل أتباع آل محمّد في الكوفة ويدركه الجيش الخراساني فيهزمه ويقتله شرّ قتلة بعد سلسلة معارك ، آخرها معركة اصطخر الفاصلة . والثاني يفتح المدينة ويقتل آل محمّد واتباعهم ، صغيراً وكبيراً فلا ينجو منهم إلا مَن هرب إلى البراري ورؤوس الجبال . وهذا الجيش الثاني يكون بعد هزيمة السفياني في منطقة اصطخر الإيرانيّة .

ويكون المهديُّ ﷺ في هذه الفترة قد ظهر في المدينة ، ومنها انتقل إلى مكّة . والسفياني إنّما بعث جيشهُ ليقضي على حركته ﷺ .. ويشهد لقرب زمن هذه المعركة من الظهور الخاص أنّ الإمام علي ﷺ يقول : تمنّى

---

[1] ابن حماد عرف السيوطي . الحاوي : ج ٢ ص ٧٧ - عن ابن حماد

[2] ابن حماد عرف السيوطي . الحاوي : ج ٢ ص ٧٧ – عن ابن حماد

الناسُ المهدي ﷺ فيطلبونَهُ . فيخرج من مكَّة بعد أن يُعدَّ جيشهُ ويتابع فتح الجبهات على ناحيته ..

وفي روايةٍ يُستفاد منها مشاركة المهدي ﷺ أو جيشه ، وفي متن آخر : اليماني لنصرة الإيرانيين في منطقة اصطخر بمواجهة السفياني . ويؤكِّد النص أنَّ هذا الظهور للمهدي ﷺ يكون بعد اضطهاد وبلاء شديد يُصيب آل محمَّد وأتباعهم . حتى دولة الخراسانيين تعاني من التحام القوى عليها في تلك الفترة الحرجة زمن دخول الترك إلى بعض أراضيها على أثر دخول الجيش الخراساني أرض إيلياء (بيت المقدس) ..

وفي نص أكثر تفصيلاً عن أبي رومان عن الإمام علي ﷺ قال : [.. يظهر السفياني على الشام ، ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسيا حتى تشبعُ طيرُ السماء وسباعُ الأرضِ مِن جيفهم ، ثم يفتق عليهم فتقٌ مِن خلفهم ، فتقبل طائفةٌ منهم حتى يدخلوا أرض خراسان ، وتقبل خيل السفياني في طلبِ أهل خراسان فيقتلون شيعةَ آل محمد بالكوفة ، ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي][1] ..

يشير هذا النص إلى أمورٍ عدَّة ، منها : ظهور السفياني في الشام ، وضمناً انتصاره على الرايات التي تناوئه فيها ، ثم إلى وقعة قرقيسيا التي تقع بينه وبين الروم والترك بعدما ينقلب تكتيكياً على الروم لتحصين نفوذه وامتلاك الثروة التي تنكشف عنها منطقة قرقيسيا على المثلث التركي السوري العراقي ، تلك الملحمة التي يُقتل فيها أغلبيّة موصوفة وكبيرة

---

[1] ابن حماد : ص ٨٢ – عن ابن حماد ، وفيه [.. وتقبل خيل السفياني في طلب أهل خراسان ، وأهل خراسان] في طلب المهدي] ..

جداً . كما أنّ قتل شيعة آل محمّد في الكوفة يكون بعد هذه المعركة . وبالأحرى بعد غزو السفياني للعراق زمن الإقتتال العباسي على المُلك . ومن العراق يغزو السفياني بعض المناطق الخراسانيّة . فإذا فعل فعلته في الإنتقام من شيعة آل البيت ﷺ في العراق ، هبّ الجيش الخراساني – على نحو فجأة كما يُستفاد من النصوص – فيخوض معارك مع السفياني تنتهي بانتصار الخراسانيين في منطقة اصطخر .. على أنّ الخراسانيين يخوضون بعد ذلك أعنف معركة لفتح العراق .

وفي حديث أبي الحيرة سجة بن عبد الله قال : سمعتُ علي بن أبي طالب ﷺ يقول : [.. والذي نفسي بيده لا يذهبُ الليلُ والنهارُ حتى تجيئ الراياتُ السود من قِبَل خراسان حتى يُوثِقُوا خيولهم بنخلاتِ نيسان والفرات][1] . إشارة إلى انتصارهم وفتحهم لتلك المنطقة ، ولفظ الخيل إشارة إلى أدوات الإنتقال والقتال في تلك المعركة ، ببعد النظر عن تفاصيل وشكل وكُنه أدوات النص زمن المهدي . نعم أشارت بعض النصوص إلى شيءٍ منها ، بتعبير تُطوى الأرض ، وتطير فوق الغيم ، وهو لفظ شديد الظهور بالمركبات البريّة والجويّة اليوم ..

وعن بداية ظهور السفياني ؟ روى أبو رومان عن الإمام علي ﷺ قال : [.. إذا اختلفت الراياتُ السود[2] خُسِفَ بقرية من قرى إرم (دمشق) ، وسقط جانب مسجدها الغربي ، ثم تخرجُ بالشام ثلاثُ رايات : الأصهب ،

---

[1] ملاحم ابن المنادي : ص٦٦

[2] يظهر أنّ المقصود هنا باختلاف الرايات السود بني العباس . فقد ورد في روايات أخرى أنّ اختلافهم بين علامات ظهور المهدي ﷺ ، وينبغي الالتفات إلى أنه حدث – بسبب استغلال العباسيين لحديث الرايات السود .. أن اختلطت الرواية الاصلية بالروايات المجعولة ، وبعضها يسهل تمييزها وبعضها يصعب هنا .

والابقع ، والسفياني ، فيخرج السفياني من الشام ، والأبقع من مصر ، فيظهر السفياني عليهم][1] ..

وهل الخسف هو معناه في اللغة من الزلزلة الخاسفة أم غيرهُ من المعاني ، بحيث يكون وارداً على سبيل الكنايةِ في الإشارة إلى أدوات دمار خاسفة ، ذات قدرة تدميريّة واسعة ؟ يبدو لي المعنى الأوّل أوفى في الدلالة والظهور . وإن كان لا يمنع من شمول الثاني . لكنّ الأوّل أوفى وأتم في جملة الإشارات . أي حصول خسف في الأرض . ثمّ يكون على أثرهِ تطوُّرات مختلفة على مستوى الجبهات والكيانات السياسيّة ، فمصر تعني وحدة سياسيّة ، كما تعني الشام وحدةً مغايرة ايضاً ، والنص في تمام الوضوح أنّ خلافاً يقع على المُلك ، كما يُستفاد من معركة السفياني مع الأصهب ، في حين تكون المعركة الثانية بين الأبقع من مصر والسفياني من الشام ، وينتصر السفياني في تلك المعركتين ، على أنّ معركة السفياني مع الأبقع القادم من مصر تكون على أرض الشام ..

وفي رواية ابن لهيعة عن أبي قبيل عن أبي رومان عن علي عليه السلام قال : [.. تخرج بالشام ثلاث رايات : الاصهب ، والابقع من مصر ، فيظهر السفياني عليهم][2] . أي خلاف على سلطان البلاد ، وتكون الشام مهد الحرب لتلك الرايات ، فينتصر فيها السفياني ، ويسيطر على السلطان في الشام ، كما يدخل بلاد مصر فاتحاً ويرتكب مجازر عنيفة هناك .. ثمّ النصوص التي تُفَرِّق بين راية بني العباس التي خرجت على الأمويين فانتصرت عليهم وأسّست دولتها في العام ١٣٢ للهجرة وبقيت حتى عام

---

[1] ابن حماد : ص ٧٧

[2] ابن حماد : ص ٧٧

٦٥٦ للهجرة ، وبين راية الخراسانيين التي تكون في آخر الزمان ، التصوص المفرّقة بينهم كثيرة وهي شديدة الوضوح . حتى حاول بنو العباس أن يستغلّوا بعضاً منها لإعلانها على الناس في عمليّة بناء الرأي العام وكسب جهود الشعب المسلم آنذاك . لكنّهم فشلوا لأسباب تتعلّق بوضوح الفرق بين الرايتين والدولتين ، دولة بني العباس ، ودولة آخر الزمان التي يقيمها أهل خراسان الذين ينادون بالمهدي ﷺ .

يبقى ان نعرف ما هو مقصود أنّ أهل خراسان يبعثون في طلب المهدي ﷺ ، وقد ورد ذلك في أكثر من نصّ ؟ يبدو واضحاً من النصوص أنّ المهدي ﷺ في تلك الفترة التاريخيّة يكون قد ظهر ، أو في أوّل ظهوره ، والنصوص تشيرُ إلى ذلك بعد المعركة العنيفة والكبيرة التي تخوضها الدولة الخراسانيّة فتفتح على أثرها بيت المقدس ، فتتحرك قوى عالميّة مختلفة لإخراجها من بيت المقدس ، مثل الروم والترك والراية المغربيّة وجيش السفياني وجيوش عدّة من هذه البلاد ، بل يصل الأمر بالترك أنّهم يهاجمون قسماً من الأراضي الخراسانيّة فيحتلّونها ، ويبدو أنّ الأمور تضيق على الخراسانيين الذين يقرّرون سحب جيشهم من فلسطين والعودة إلى أرض خراسان للدفاع عنها ، ويخوضون حرباً ضارية مع الترك لتحرير أرض خراسان ، في وقت يقوم فيه السفياني بإعداد جيش ضخم ليبعث به إلى العراق لقتل شيعة آل محمّد والسيطرة على إمكانات العراق ، فإذا أطبقت أكثر من رايةٍ على الخراسانيين خاصّةً جيش السفياني طلبوا المهديّ ﷺ . بعضُها يُستوحى منه أنّ المهدي ﷺ يكون بعد أو أثناء معركة اصطخر في جنوبي إيران ، فيطلبه الإيرانيُّون ويبايعوه . ومنها يدخل إلى العراق ، بعضُها الآخر يُستفاد منه أنّ اليماني هو الذي يتجه

الإيرانيين في معركة اصطخر حتى يُهزم جيش السفياني . في حين بعض النصوص صريحة في أنَّ الإيرانيين أنفسهم الذين يخوضون هذه المعركة التي يبذلون فيها أعظم التضحيات حتى يمزّقوا جيش السفياني تمزيقاً . السفياني يندهشُ من هول تلك المعركة ، ثمَّ يشقُّون طريقهم نحو العراق فيفتحونه بعد معركةٍ ضارية ، لا يبقون فيها عيناً في العراق لا للسفياني ولا للعباسيين .

وإذا سار المهديُّ ﷺ نحو العراق ساعده الخراسانيُّون من الجهة الأخرى ، خاصّةً بعدما يخسفُ اللهُ تعالى بجيش السفياني الذي يتوجّه من الشام إلى المدينة فيقتل فيها شيعة آل محمد شرَّ قتلة إلا من هرب ، ثم يأمرهُ أن يتوجَّه نحو مكّة ، فإذا أصبح في الصحراء خُسف به فهلك . ومنذ تلك اللحظة يبدأ جيش المهدي ﷺ بالزحف نحو منطقة العراق والشام . طائفة من النصوص صريحة في أنَّ جيش المهدي ﷺ يدخل من الحجاز إلى العراق أوّلاً .

وفي الرواية عن أبي رومان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : [.. إذا خرجت خيلُ السفياني إلى الكوفة ، بعث في طلب أهل خراسان ، ويخرجُ أهلُ خراسان في طلب المهدي ﷺ ، فيلتقي هو (أي جيش السفياني) والهاشمي برايات سود على مقدّمته شُعيب بن صالح ، فيلتقي هو وأصحاب السفياني بباب « إصطخر » ، فتكون بينهم ملحمةٌ عظيمةٌ ، فتظهر (تنتصر) الراياتُ السود ، وتهربُ خيلُ السفياني ، فعند ذلك يتمنّى الناسُ المهديَّ ﷺ ويطلبونهُ][1] .

---

[1] ابن حماد : ص٨٦

يبدو النص صريحاً في أنَّ الإيرانيين يخوضون المعركة تلك في منطقة اصطخر ، وبعدها يطلبون المهدي ﷺ ، كما يُستفاد من طائفة أنَّ المهديَّ ﷺ يحطُّ في جنوبي إيران قبل نزوله العراق ، ومنها ينتقل إلى العراق بسبع قباب من نور لا يُدرى المهديُّ في أيٍّ منها . وهناك أي في جنوبي إيران يبايعه الإيرانيّون . أي يطلبونه .

ويبدو أنَّ التميمي شُعيب بن صالح - القائد العسكري للخراساني - يكون على نحوٍ من عزيمةٍ وإرادةٍ ضخمة ، تعبِّر عنه النصوص بأوصافٍ تشير إلى إرادةٍ صلبةٍ جداً ، هذا التميمي يكون على رأس الجيش الذي يبعثه الخراساني لملاقاة جيش السفياني ، فينتصر بإذن الله تعالى . ففي النص عنه ﷺ : [.. يلتقي السفياني والرايات السود ، فيهم شاب من بني هاشم في كفِّه اليسرى خال (علامة) ، وعلى مقدِّمته رجلٌ من بني تميم ، يُقال له شُعيب بن صالح ، بباب اصطخر ، فتكون بينهم ملحمة ..][1] . وورد في عقد الدرر - وفيه - : [. . يلتقي السفياني ذا الرايات السود][2] .

وهذه النصوص واضحة ، العديد منها لا غبار عليه في السند أو المتن .. بل عن رواية ابن حماد - كما في عرف السيوطي - قال : [. . فانظر إلى حديث الرايات (السود) ، كم له من طريق ، بعضُها صحيحٌ ، وبعضُها حَسَنٌ ، وبعضها ضعيف ، ثم تأمَّل هل يُمكن أن يُحكَمُ عليه بأنه لا أصل له مع وجود هذه الطرق الكثيرة المتباينة المخارج] . أي انظر إلى كثرتها

---

[1] : صـ ٨٨ - : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن بريدة ، أنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، أنا أبو زيد عبد الرحمن بن حاتم المرادي بمصر سنة ثمانين ومائتين ثنا نعيم بن حماد ، ثم بقية سنده ، وفيه : ويذكر النص الوارد أعلاه

[2] : صـ ١٢٧ ف ٥ - عن رواية ابن حماد الثانية .

وصحتها ودلالتها البالغة على ضرورة راية خراسان .. بل في بعض النصوص عنهم ﷺ كانوا يشددون على ضرورة نصرة هذه الراية التي تخرج في آخر الزمان ، ففي الرواية عن أبي الطفيل أنّ علياً ﷺ قال له : [يا عامر ، إذا سمعتَ الرايات السود مُقبلةً ، فاكسر ذلك القفل وذلك الصندوق ، حتى تقتل تحتها ، فإن لم تستطع فتدحرج حتى تقتل تحتها][1] . إشارة إلى تأكيد عظمة هذه الراية . خطاب يُراد منه استنهاض الأمم القادمة ، جاء بلسان الحثّ للحاضر ، وهو قانون عرفي استعمالي بليغ ، تستعمله العرب للتأكيد على علوّ الأمر الذي تريد أن تشير إليه ..

وفي الكثير من النصوص تحييد كامل لراية بني العباس عن راية آخر الزمان ، بل فيها تأكيد على أنّها راية تزول إذا حان زمنُ زوالها ولا دخل لها بأحداث آخر الزمان . ففي الرواية عن أبي صادق عن أمير المؤمنين ﷺ قال : [.. مُلك بني العباس يسرٌ لا عسرَ فيه ، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلسان لن يزيلوه ، ولا يزالون في غضارة من مُلكهم حتى يشذّ عنهم مواليهم وأصحاب دولتهم ، ويسلّط الله عليهم علجاً يخرج من حيث بدأ ملكهم ، لا يمرُّ بمدينة إلا فتحَهَا ، ولا ترفع له راية إلا هدّهَا ، ولا نعمة إلا أزالها . ألويلٌ لِمَن ناواهُ ، فلا يزال كذلك حتى يظفر ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به][2] .. أي راية

---

[1] جمع الجوامع : ج ٢ ص ٢١٢

[2] النعماني : ص ٢٤٩ ب ١٤ ح ٤ – عقد الدرر : ص ٤٧ ب ٤ ف ١ – مرسلاً ، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وليس فيه (.. والبربر والطيلسان ..) وفيه (.. ولا يزالون يتمتعون في ملكهم .. إلا مزقها .. يقوم بالحق) . عن النعماني . وفيه (.. عشر عشر ليس فيه يسر ، تمتد دولتهم ، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند لم يزيلوهم ولا يزالون يتحولون ويتنعمون في غضارة من .. أصحاب آلويتهم) .

بني العباس من الأحداث التي لا دخل لها بتاريخيّة آخر الزمن وأحداثها ، بل هي راية منقرضة تأتي بعد فترة الأمويين ، وتزول ، ثمّ تتبدّل الأحداث ، وتنقرض الأزمان ، على ان يقوم المعلم الجديد من الحقبة الأخيرة التي تتكوّن فيها الجبهات والرايات ، والتي يكون من بينها راية أهل خراسان الموالين لآل محمّد ، المتادين بالمهدي ، الموطّئين لظهوره الشريف ، والنصوص في هذا المضمون كثيرة ، بل النصوص المفرّقة بين راية بني العباس وراية الخراسانيين كثيرة واضحة ومعتبرة . على أنّ للعباسيين دولةً تكون في العراق قبل الظهور .

ثم هناك بعض النصوص التي تشيرُ إلى خرابٍ وأحداثٍ مختلفة تطال مدناً عديدة في الشرق ، تتضمّن الإشارة إلى معارك وحروب ، دون تحديد أزمان ، وهي بطبيعة الحال ضمن خريطة ما يجري في تلك الأزمنة التي تنتشر فيها الفتن من القلب إلى الأطراف ، وتتطاحن فيها الرايات ، من تلك النصوص نصٌ يصلح عرضهُ رغم أنّه خالٍ من التفاصيل الزمنيّة التي لو وُجِدَت لساعدتنا على تكوين سلسلة أفضل لمعالم الأحداث وتداعياتها وطبيعة انفلاشها وأسبابها ، لكنّه يحتوي على معالم وأحداث وعناوين مهمّة ، في ذلك الحديث المُرسل يقول الإمام علي ﷺ للسائل :

[.. فإن كانت قد بعدت عنك خراسان فإنّ لله عزوجل مدينة بخراسان يُقال لها « مرو » ، أسّسَهَا ذو القرنين وصلّى بها عزير ، أرضُها فيّاحة ، وأنهارها سيّاحة ، على كلّ بابٍ من أبوابها ملكٌ شاهرٌ سيفهُ يدفع عنها الآفات إلى يوم القيامة ، لا تُؤخذ عنوةً أبداً ، ولا يفتحها إلا القائمُ من

بشارة الاسلام : ص ٤٥ ب ١ - عن النعماني ، وفي سنده [أحمد بن بندار .. أحمد بن بلال .. سفيان بن إبراهيم الحميري ..] وفيه (والطليان .. ولا يزالون يتصرغون ويتنعمون .. وأصحاب ألويتهم) ..

آل محمد ﷺ ، وإنَّ لله عزَّ وجلَّ مدينةً بخراسان يُقال لها « خوارزم » ، النازلُ بها كالضارب بسيفه في سبيل الله عزَّ وجلَّ ، فطُوبى لكلِّ راكعٍ وساجدٍ بها ، وإنَّ لله عزَّ وجلَّ مدينةً بخراسان يُقال لها « بخارا » ، وأنَّى ببخارا سيُعرَكُون عركَ الأديم ، ويحاً لكِ يا سمرقند ! غير أنه سيقلب عليهم في آخر الزمان الترك فمن قبلهم هلاكها ، وإنَّ لله عزَّ وجلَّ مصالح بالشاش وفرغانة ، فطُوبى للمصلي بهما ركعتين ، وإنَّ لله عزَّ وجلَّ مدينة بخراسان يقال لها « أبيجاب » ، فطُوبى لمَن مات بها ، فإنَّهُ عند الله شهيد . وأما مدينة « بلخ » فقد خربت مرة ، ولئن خربت ثانية لم تعمر أبداً ، فليت بيننا وبينها جبل قاف وجبل صاد ، ويحاً لك يا طالقان ، فإنَّ لله عزَّ وجلَّ بها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة ، ولكن بها رجالٌ مؤمنونَ عرفُوا اللهَ حقَّ معرفتِه ، وهم أنصارُ المهديِّ ﷺ في آخر الزمان ، (أما مدينة هرات فتمطر عليهم السماء مطر) ، حيَّات لها أجنحة فتقتلهم عن آخرهم ، وأما مدينة الترمذ فإنهم يموتون بالطاعون الجارف فلا يبقى منهم أحد ، وأما مدينة واشجردة فإنَّهُم يُقتلون عن آخرهم قتلاً ذريعاً من عدو ، يغلب عليهم أعداؤهم فلا يزالون يقتلون أهلها ويخربونها حتى يجعلوها جوف حمار ميت . وأما سرخس فيكون بها رجفة شديدة وهدَّة عظيمة ، ويهلك عامتهم بالفزع والخوف والرعب ، وإما سجستان فإنه يكون قومٌ يقرؤن القرآن لا يُجاوزُ تراقيهم ، يمرقون من دينِ الاسلام كما يمرق السهمُ من الرمية ، ثم يغلب عليها في آخر الزمان الرمل فيطمّها على جميع مَن فيها ، بؤساً لك يا سوج ! ليخرجنَّ منها ثلاثونَ دجالاً كلُّ دجالٍ منهم لو لَقِيَ اللهَ بدماء العباد جميعاً لم يُبَالِ ، وأما نيسابور فإنَّها تهلك بالرعودِ والبروقِ والظُّلمةِ والصواعق حتى تعود خراباً يباباً بعد عمرانها وكثرة سكانها ، وأما جرجان وأيُّ قومٍ بجرجان لو كانوا يعملون لله عزَّ وجلَّ ، ولكن قست

قلوبهم وكثر فسّاقُهُم . ويحاً لك يا قومس ! فكم فيكِ مِن عبدٍ صالح ، ولا تخلو أرضُكِ مِن قومٍ صالحين ، وأما مدينة الدامغان فإنّها تخرب إذا كثر خيلُهَا ورجلها ، وكذلك سمنان لا يزالون في ضنكٍ وجُهدٍ حتى يبعثَ اللهُ هادياً مهدياً فيكون فرَجُهُم على يديه ، وأما طبرستان فإنّهَا بلدةٌ قلّ مؤمنوها وكَثُرَ فاسقوها ، قربٌ بحرها ينفَعُ سهلَهَا وجبلها . وأما الري فإنها مدينة افتتنت بأهلها ، وبها الفتنة الصماء مقيمة ، ولا يكون خرابها إلا على يد الديلم في آخر الزمان ، ولَيُقتلَنّ بالري على باب الجبل في آخر الزمان خلقٌ كثيرٌ لا يحصيهم إلا مَن خَلَقَهُم ، ولَيُصيبنّ على باب الجبل ثمانية مِن كبراء بني هاشم كلٌّ يدّعي الخلافة ، ولَيُحاصرنّ بالريّ رجلٌ عظيمٌ اسمه على اسم نبي ، فيبقى في الحصار أربعين يوماً ثم يُؤخذ بعد ذلك فيُقتَل ، ولَيُصيبنّ أهلَ الريّ في ولاية السفياني قحطٌ وجهدٌ وبلاءٌ عظيم . ثم سكت علي ﷺ فلم ينطق بشيئ . فقال عمر : يا أبا الحسن ، لقد رغّبتني في فتح خراسان . قال علي ﷺ : قد ذكرتُ لك ما علمتُ منها ممّا لا شكّ فيه فالْهُ عنها وعليك بغيرها . فإنّ أوّلَ فتحها لبني أمية ، وآخر أمرها لبني هاشم ، وما لم أذكر منها لك هو أكثر مما ذكرته والسلام][1] .

في هذا النص إشارة إلى بلاد المشرق الواسعة ، وقيام المهدي ﷺ ، وطالقان التي فيها كنوز ليس من ذهب أو فضّة بل رجالٌ مؤمنون عرفوا الله حقّ معرفته وهم أنصار المهدي ﷺ في آخر الزمان ، ثم يشير إلى مدن مختلفة ، منها ما يقع فيها الحرب ، ومنها ما تصيبها

---

[1] الفتوح : ج ٢ صـ ٧٨ -- ٨١ – ملاحظة : لا توجد أحاديث أخرى تؤيد ما جاء في هذا الحديث إلا فيما يتعلق بالطالقان والري ..

الفزعة ، ومنها ما تمتنع على الأعداء ، ومنها من يكون فيها قوم يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية ، وخروج ثلاثين دجّالاً كذّابين ، كلٌّ واحدٍ منهم لو لقي الله بدماء العباد جميعاً لم يُبالِ ، إشارة إلى سفكهم الدماء وتعطّشهم للقتل والإبادة .

كما فيها إشارة إلى أن بعض المدن تهلك بالرعود والبروق والظلمة والصواعق ، وهل المقصود فيها المعنى المتبادر من اللفظ أم معنى آخر ينطق عليه سلاح الدمار الشامل أو سلاح تقليدي عنيف ؟ الأوّل هو ظاهر اللفظ ، في حين لا يمنع من انطباق الثاني . كما يشير إلى ثمانية من كبراء بني هاشم كلٌّ يدعي الخلافة ، بما يعنيه ذلك من خلط اليقين بالشك ، ولبس الإسلام مقلوباً ، ومساعدة اهل الباطل ، كما يشير إلى رجل عظيم اسمُه على إسم نبي يُحاصَر بالري فيبقى في الحصار أربعينَ يوماً ثم يُؤخذ بعد ذلك فيُقتَل ..

وحين يقول له عمر بن الخطاب : يا أبا الحسن رغّبتني في فتح خراسان ، قال له ﷺ : إنّ أوّلَ فتحها لبني أمية ، وآخر أمرها لبني هاشم ، وما لم أذكر منها لك هو أكثر مما ذكرته . أي أنّ الأيام والليالي تدور فلا تكون هذه الأرض إلا لأتباع آل محمّد الذين يحوّلونها دولةً عظيمةً تمهّد وتوطّئ لظهور المهدي ﷺ ..

وكما أشرت : النص لا يشيرُ إلى حقبات زمنيّة محدّدة ، وربّما العديد من هذه العلامات وقع . فيما بعضها الآخر واضح الإشارة إلى زمن المهدي ﷺ ، وكأنّ في النص فقرات ، منها ما هو ناظر إلى طول الزمن ، ومنها ما هو ناظر إلى فترة ما قبل المهدي ﷺ ، مع التأكيد على أنّنا لم نجد

أحاديث أخرى تؤيّد ما جاء في هذا الحديث إلا فيما يتعلق بالطالقان والري ..

منطقة الشام زمن حركة السفياني

السفياني : قائد جبهة تكون في آخر الزمان ، قبيل أو ساعة ظهور الإمام المهدي ﷺ ، يشهر العداء لآلِ محمّد ، يعلن البراءةَ منهم وممّن تبعهم ، يأمر بقتلِ الشيعة ، يحكم فيبطش ويسفك الدماء ، ويبقر البطون ، ويكثير من القتل والصلب ، وينشر الزنا والفساد ، ويحرم ما أحل الله ، ويحلّل ما حرّم ..

ويشكّل كياناً عسكرياً سياسياً له امتدادٌ نافذ في الشام وبرّها . يسيطر على الكور الخمس .

يتّخذ من الشام مركزاً رئيسياً له ، وعاصمة القرار ، يبدو من النصوص أنّه يأتي من عند الروم متنصّراً ، فتدعمه الروم ، في أوقاتٍ مختلفة ، ويسمح له الإهتزاز السياسي العنيف الذي يصيب القرار في الشام أن يقوم بمحاولةٍ عسكريّة للسيطرة على السلطان فينجح في ذلك .. هو رجلٌ سفياني ، من نسل أبي سفيان ، يكون حكمه طارئاً ، أي لا يكون قبل ذلك على رأس الدولة ، بل يطرأ من الأزمات والفتن التي تعصف بالشام والمنطقة ما يسمح له باستثمار الفراغ ليحوّله إلى نصرٍ خاصٍ به ..

ما إنْ يُعرَف خبرُ المهدي ﷺ وأنّه ظهر ، حتى يُعلن الحربَ عليه . يدخل إلى مصر فيبيد فيها الرجال ويذبح الأطفال ويسبي النساء ، يبعث

بجيش إلى العراق فيقتل فيها ويفتك فتكاً لم تشهدهُ العراق من قبل . كما يبعث جيشاً إلى المدينة يفعل فيها ما فعله جيشُهُ في العراق ، ثم يأمره بالمسير إلى مكّة فيخسف اللهُ به الأرض . وبذلك تبدأ مرحلة الإنهيار في دولته ..

هناك نصوص عديدة تشيرُ إلى السفياني وأمره ونفوذه السريع كما تشير إلى زوال ملكه السريع ، الذي يدوم حملة إمرأة . ففي الحديث عن الإمام علي ﷺ قال: [الحمدُ لله الأوّل قبل كلّ أول ، والآخر بعد كلّ آخر ، وبأوّليّته وجب أن لا أوّلَ له ، وبآخريّته وجب أن لا آخر له . وأشهد أن لا إله إلا اللهُ شهادةً يُوافقُ فيها السرُّ الاعلانَ ، والقلبُ اللسانَ .

أيها الناس : لا يجرمنّكم شقاقي ، ولا يستهوينّكم عصياني ، ولا تتراموا بالأبصار عندما تسمعونه منّي ، فوالذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، إنّ الذي أنبئكم به عن النبيّ الأمي ﷺ ، ما كذّب المبلّغُ ، ولا جهل السامعُ ،

لكأنّي أنظرُ إلى ضليلٍ قد نعقَ بالشام (السفياني) ، وفحص برایاته في ضواحي كوفان ، فإذا فغرت فاغرتُهُ ، واشتدّت شكيمتُهُ ، وثقلت في الأرض وطأته ، عضّت الفتنةُ أبناءها بأنيابها ، وماجت الحربُ بأمواجها ، وبدا من الأيام كلوحُهَا ، ومن الليالي كُدوحُهَا ، فإذا أينع زرعُهُ ، وقام على ينعه ، وهدرت شقاشقه ، وبرقت بوارقه ، عُقِدَت رايات الفِتَن المعضلة ، وأقبلنَ كالليل المظلم ، والبحر الملتطم هذا ، وكم يخرق الكوفة من قاصف ، ويمر عليها من عاصف ! وعن قليلٍ تلتف القرون بالقرون ، ويحصد القائم ، ويحطم المحصود [1] .

---

[1] نهج البلاغة : صـ ١٤٦ - ١٤٧ خطبة ١٠١ . وشرح ابن أبي الحديد : جـ ٧ صـ ٩٦ – ١٠٠

قال ابن ميثم البحراني[1] : « اعلم أنه ليس في اللفظ دلالة واضحة على أن المراد بالضليل المذكور معاوية ، بل يحتمل أنه يريد به شخصاً آخر يظهر فيما بعد بالشام كما قيل : أنّه السفياني الدجال » . وهو الصحيح ، انّه يريد السفياني الذي يكون في آخر الزمان ، وهناك قرائن عديدة في النص وفي غيره من النصوص تدلُّ على أنه يريد السفياني ، ثم لعلَّ مقصود ابن ميثم وصف السفياني بصفة الدجّال ، أي الكذّاب ، وإلا فهما شخصان مختلفان كما نصت الاحاديث الكثيرة ، لا شخص واحد . هناك السفياني الذي يخرج في زمن المهدي ﷺ ثم يقتله ﷺ ، ثم الدجّال الذي يخرج في مرحلةٍ متأخّرةٍ عن ظهوره ﷺ أي بعد الملحمة فيقتله أيضاً ﷺ ..

أما مضمون الحديث ؟ فالإمام ﷺ كان في مقام بيان أمر هذا الرجل الذي يقود جبهةً دمويّةً زمن المهدي ﷺ فيؤكّد على الأمور التالية : ينعق السفياني في الشام ، فيتبعه قومٌ ينصرونهُ فينتصر ، ويحكم أمرهُ على سلطان الدولة ، ثم يبدأ مرحلة التوسعة لملكه ، كما يبدأ مرحلة تطهير ما يراهُ مضاداً لمعتقده وملكه ، فيبعث إلى الكوفة مَن يقتل فيها أهلها لأنّهم من شيعة آل محمّد ﷺ ..

يُشيرُ الإمام ﷺ إلى نفوذ كبير له آنذاك ، حيث تشتدّ شكيمتُهُ ، وتثقلُ الأرضَ وطأتُهُ ، أي يحكم سيطرته بشدّة وجبروت ، فإذا سيطر بإطباقٍ على تلك البقاع ، عضّت الفتنةُ أبناءها بأنيابها ، فتنة يكون فيها السفياني رأس الحربة ، يقتل ويسفك الدماء ، ويقتل دون أن يُسأل ، يتّخذ

---

[1] ابن ميثم البحراني ج ٣ صـ ٩ – كما في نهج البلاغة ، وقال في صـ ١٢

القتل طريقاً لتثبيت ملكه وحكمه وتوسيع رقعة سلطانه ، لكنّ السفياني جزء الفتنة ، فالحروب متوسّعة ، والأمم تنادي بجيشها ، والجبهات تهيّئ لإشعال الحرب ، فإذا كان الأمر كذلك : ماجت الحربُ بأمواجها ، وبدا من الأيام كلوحها ، ومن الليالي كدوحها ، بما تعنيه من قتل ونار ودمار وصدام وعنف وغزو واحتلال وحصار وجوع ووجع وجراد كما في بعض النصوص .

وألفتُ هنا إلى أنّني - أمام التقدُّم العلمي الجبار - كنتُ أظنُّ انّ الجراد أصبح من عصور الإنسان الماضية ، لكن في العام ٢٠٠٤ حين غزت أسراب الجراد الهائلة بعض دول أفريقيا مثل اريتريا واثيوبيا ثم امتدّت إلى دولٍ أخرى مثل الجزائر ومصر ووصل بعضُها إلى لبنان ، انذهلت من منظرها ، فهي بأرقامٍ مذهلة لا تُحصى ، تكسف وجه الشمس ، شاهدتها على شاشة التلفزة حيث تقع على حقلٍ ضخمٍ من الشجر والخضار فتقضي عليها بساعة ..! هنا عرفت معنى أن تبدأ الحروب وتشاركها الجراد معركتَها . فإنّ ذلك يعيد إلى أذهاننا ما اصاب البلاد عام ١٩١٦ بعد بداية الحرب العالميّة الأولى بسنتين ، حيث شنّت أسراب الجراد الضخمة هجمةً شرسةً على كلّ شيءٍ أخضر ، فأحالتهُ إلى عدم ، ومات الناسُ جماعات جماعات في هذه المناطق جراء الجوع والأمراض[1] ..

---

[1] مثلاً على ذلك : قال لي أبي مدّ الله في عمره - بمحمّد وآل محمّد - : كان لدى جدّي (والد أبي) ٧ أخوات ، وقد أخذهُ العثمانيون جبراً إلى الحرب . وقد استطاع في فترةٍ ما أن يهرب من الحرب فعاد إلى بلدته شيحين ، فوجد أخواته الستّة متوفّين من الجوع . ثم ألقى الأتراك القبضَ عليه مرّةً ثانيةً فساقوه إلى الحرب . وقد سنحت الفرصة ثانيةً - بعد مدّة - لأن يهرب فهرب ، وعندما عاد إلى بلدته ، مرّ قرب قبر جديد في حديقة قريته شيحين التي توجد فيها الآن سنديانة القرية المشهورة . فحدّثه قلبُهُ أنّ هذا القبر

ثم يشيرُ الإمام ﷺ إلى عظيم البلية جرّاء حكم السفياني الذي يمتهن القتلَ والإبادةَ طريقةً لتثبيت حكمه : فإذا أينع زرعه ، وقام على ينعه ، بعد أن قاد حرب السيطرة على الحكم فنجح في ذلك وبثّ جنده ، وأحكم سيطرته على مؤسسات الحكم والجيش ، وهدرت شقاشقه ، مهدّداً مرعداً ، وبرقت بوارقه ، منذراً بالحروب والفتوحات ، عُقدَت راياتُ الفتن المضللة ، وأقبلن كالليل المظلم ، والبحر الملتطم . عندها يشنّ حروباً مختلفةً على البقاع فيسيطر على الكُوَر الخمس إلا منطقة الأبدال ، ويبعث إلى العراق مَن يقتل فيها بما تهتزّ منه السماء ، فلا يهمّه من قتل ، يهمّهُ أن لا يترك أحداً .. كما يبعث جيشاً إلى المدينة فيأمر بقتل كل من فيها على حبّ آل محمّد ..

وفي نفس الفترة تكون ظروف البلاد والعباد على شرّ خوف وفزع وجوع ووجع وانهيار ، والجبهات مشتعلة ، في أكثر من ناحية ، فالحجاز مات خليفتها أو هي على الأقل في خلاف وانقسام على مُلك وتنازع على شرعيّة ، كلٌ متسلّحٌ بأدوات الحرب ، ثم تقع حرب تصفية بينهما ، واليمن اختلفت فيها الأوضاع ، وهي التي يظهر فيها اليماني ، ومصر مهزومة شرّ هزيمة أمام جحافل السفياني ، والروم في المنطقة تحكم سيطرةٌ متنوّعة ، بل هم الذين يحملون السفياني إلى هذه المنطقة ، على اعتبار أنّه وكيل من وكلاءهم ، والعراق تحت وابل النار والدمار ، وجبهة الخراسانيين على نحو مشتعل بينها وبين السفياني ، وألوية مختلفة تريد إبطال وجودها وإلغاءها . الفتن تتنقّل من العراق إلى الأطراف ، ومن الشام إلى البلاد الأوسع منها .

الجديد هو قبرُ أخته الأخيرة . فلما وصل إلى بيت أهله سأل عن أخته فبكت أمه وابوه وأخبروهُ أنها ماتت بسبب الجوع ..! هكذا كان الناس يموتون بسبب الجوع والمرض ..!

فيطال البلاد من حكم السفياني ما تهتزُّ منه الأبدان ، وما تغضب له السماء ، في هذا يقول الإمام علي ﷺ : [.. وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف ! وعن قليل تلتفُّ القرونُ بالقرون ، ويحصد القائم ، ويحطم المحصود][1] . إشارة إلى العصف الهائل من الفتن والحروب وبالأخص ما يصيب آل محمد في تلك البقعة من الأرض ، وهو يعني بذلك ناحية الكوفة ، أي ارض العراق ، بالإضافة إلى غيرها من الأرض التي تشتعل فيها نار الحرب والدمار والقتال على نحو صارخ ..

على انَّ تلك الفتنة الحربية المتنقّلة من بقعةٍ إلى بقعة – في ظلِّ عنف غير عادي ، ومفهوم متوحّش عن القتل والإبادة ، بالإضافة إلى اختلاف الرايات ، ووقوع الصِّدام الدموي ، بما يعنيه من تصفية واسعة للقاعدة المدنيّة بخلاف أهل الحرب والقتال – لا تنجلي إلا وفي العلامات والآيات ما يشيرُ إلى أحداث غير عاديّة تتضمن الإشارة إلى أحداث جبّارة ..

بل في النصوص ما يشيرُ إلى علاماتٍ محدّدة قبل ظهور السفياني ، منها ما في رواية المغيرة بن سعيد عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال : قال أمير المؤمنين ﷺ : [.. إذا اختلف الرمحانِ بالشام لم تنجلِ إلا عن آيةٍ من آيات الله . قيل : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال ﷺ : رجفةٌ تكون بالشام ، يهلك فيها أكثر من مائة ألف ، يجعلها اللهُ رحمةً للمؤمنين وعذاباً على الكافرين . فإذا كان ذلك ، فانظروا إلى أصحاب البراذين الشُّهب المحذوفة ، والرايات الصفر تُقبل من المغرب حتى تحلّ بالشام ، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر . فإذا كان ذلك ، فانظروا خسفةً قريةٍ من دمشق يُقال لها

---

[1] م . س .

« حرستا » ، فإذا كان ذلك ، خرج ابنُ آكلة الاكباد من الوادي اليابس (يعني السفياني) ، حتى يستوي على منبر دمشق ، فإذا كان ذلك ، فانتظروا خروج المهدي ﷺ][1] ..

النصُّ يشيرُ أنَّ هذا الإختلاف لا ينجلي إلا عن آيةٍ من آيات الله تعالى ، هي عبارة عن رجفةٍ أي زلزلة تكون في الشام ، يهلك على أثرها جمعٌ كثير ، يقدِّرهم النصُّ بمئة ألف ، وهل النص ناظر إلى العدد أم إلى الكثرة ؟ كلاهما قانون مستعملٌ في لسان العرب . وأقل معانيه أنَّ مئة ألف يلقون حتفهم على أثر الزلزلة التي تصيب الشام في ظلِّ حربٍ عنيفة بين رايتين تتصارعان على السلطان والمؤسسات السياسيَّة في تلك البلاد ..

ثم يشيرُ إلى انَّ هذه الرجفة (الزلزلة) تكون رحمةً للمؤمنين وعذاباً للكافرين ، ويمكن تفسير هذا اللفظ بأنَّ الذين يُقتلون من الزلزلة هم من الفئة الظالمة التي تمتشق سيف القتل والإبادة بالباطل ، أو أن يُراد منها أنَّها علامة على أحداثٍ كبرى يكون فيها الفرج على المؤمنين والتضييق على الكافرين ، خاصَّة بقرب الظهور . وأنَّهُ إذا وقع السيف بين الرايتين وتبعه زلزلةٌ عنيفة ، فانظروا إلى أصحاب البرادين الشهب المحذوفة ، إشارة إلى جبهةٍ عسكريَّة أخرى تشارك بقوَّة وإمكانات بارزة ، عبَّر النصُّ عنها

---

[1] النعماني : صد ٢٠٥ - ٢٠٦ ح ١٨ - البدء والتاريخ : ج ٢ صد ١٧٧ - قال (وفيما خبر عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في ذكر الفتن بالشام قال : (فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الاكباد على أثره ، ليستولي على منبر دمشق ، فإذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدي) . غيبة الطوسي : صـ ٢٧٧ عن أبي جعفر محمد بن علي قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام : وفيه (. . رمحان . . فهو آية قيل ثم مه ؟ قال ثم رجفة . . حائة ألف يجعله . . الشهب والرايات . . حتى تحل بالشام ، فإذا كان ذلك فانتظروا خسفا بقرية من قرى الشام . . خرشنا ، وإذا كان ذلك فانتظروا ابن آكلة الاكباد بوادي اليابس) .

بألفاظ تناسب قوة امكانات زمن صدور النصّ ليشير إلى ميزة إمكاناتها زمن انطباق النص ، وهو زمن بعيد تختلفُ فيه الأدوات والإمكانات وحقيقة الأشياء من بدائيّة إلى تقنيّة . ثم النص يسكت عن نسبة هذه البرازين ، ويبدو من مضمون نصوص عديدة انّها إشارة إلى جيش خراساني (لكن لا بدّ من لحاظ الزمن وتعاقب الأحداث) . ثم يضيف النص أمراً آخر ، وهو زحف « الرايات الصفر » تقبل من المغرب ، وهي التي نعبّرُ عنها بالرايات المغربيّة ، تأتي حتى تحل بالشام ، وتعلن عداءها للجيش الخراساني كما في نصوص عديدة ، فاذا حصل ذلك وحلّت بالشام ، يقول النص : عند الجزع الاكبر والموت الاحمر . إشارة إلى التحام الجبهات ، وتذابح الجُند ، وتطاحن الأدوات ، وفي أكثر من نص وصف لحرب عنيفة ذات خراب واسع ، فضلاً عن قتلٍ وإبادة وسفك للدماء تضجُّ منه الأرض والسماء . فإذا كان ذلك ، فانظروا خسف قريةٍ من دمشق يقال لها « حرستا » . أي زلزلة أخرى على نحوٍ عنيف ، يصل الأمر معها إلى حدّ الخسف ، وإلى هذا الحدّ تكون راية السفياني غير موجودة ، فإذا وقع ذلك تغيّرت ظروف عدّة ، وتشكلت أمور طارئة ، وظهر الخلل العنيف في ميزان الدولة التي تكون في الشام ، وأصابها خلل في رأس الهرم وشبه ذلك ، عندها يخرج السفياني الذي يعود بنسبه إلى ابن آكلة الاكباد ، يخرج من الوادي اليابس في الأردن ، فيقاتل جبهاتٍ عدّة ، ويخوض في الدماء أشدّ خوضٍ حتى ينتصر ويستوي على منبر دمشق . إشارة إلى تقمّصه الإسلام أوّل الأمر ، على أن يقوم بالإنتقام من الإسلام وشعائره بشكلٍ مذهلٍ آخر الأمر ..

وبهذا يبدو بين أيدينا سلسلة من العناوين تشير إلى صداماتٍ مختلفة ، وحروبٍ متكثّرة ، وزحفٍ وغزوٍ وفتوحاتٍ عدّة ، يكون على أثرها

تهيئة جوّ جديد في الشام ، بحيث تختلط الرايات من المغرب إلى مصر ، وتتلاحم في أكثر من قضيّة ما يعني صدام دولي إقليمي ، بل أكبر منه ، لما تشير إليه النصوص من دخالة واضحة للروم ، ولو عبر وكلاءها السياسيين بعض الأحيان ، مثل السفياني الذي يأتي من الروم متنصّراً فيخوض غمار حربٍ حتى ينتصر فيها ..

فإذا انتصر السفياني بدت معالم ظلمةٍ جديدة ، وحقوقٍ مهتوكة ، وأعراضٍ مفضوحة ، ونساء مغتصبة ، وأطفال مذبوحة ، وجثثٍ متروكة ، وفي تعبير رواية غيبة الطوسي الذي ساق مثله – بتفاوت يسير – مرسلاً عن الإمام علي عليه السلام وأضاف فيه :

[.. فانتظروا ابن آكلة الاكباد بالوادي اليابس ، ثم تظلُّكُم فتنة مظلمة عمياء منكشفة ، لا يغبو (لا ينجو) منها إلا النومة . قيل : وما النومة ؟ قال : الذي لا يعرف الناس ما في نفسه][1] . أي يُكثِرُ القتلَ على التهمة والظنّة والإشتباه وشبه ذلك ، في ظلّ انقسام سياسي أولاً ثم عقائدي ثانياً يبدو أنّ الشيعة يطالهم الظلم الأعظم في المرحلة الثانية من ثبات الحكم للسفياني ..

وعن وصف السفياني ؟ تشيرُ بعض النصوص إلى علامات وصفيّة ذات مفهوم انطباقي ترميزي ، ففي رواية عمر بن أذينة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قال أبي عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : [.. يخرج ابنُ آكلة الاكباد من الوادي اليابس ، وهو رجلٌ ربعة ، وحنق الوجه ، ضخم الهامة ، بوجهه أثر جدري ، إذا رأيتَهُ حسبته أعور ، اسمه عثمان ، وأبوه عنبسة ، وهو من

---

[1] م . س .

ولدِ أبـي سفيان ، حتـى يـأتي أرضـاً ذات قـرار ومعـين فيسـتوي علـى منبرها][1]

وفي رواية محمد بن جعفر عن علي قال : [.. السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان ، رجلٌ ضخمُ الهامة ، بوجهه آثارُ جـدري ، وبعينـه نكتة بياض ، يخرج مـن ناحيـة مدينـة دمشـق ، فـي واد يُقـال لـه « وادي اليابس » ، يخرج في سبعة نفر ، مع رجلٍ منهم لـواءٌ معقـود ، يعرفـون فـي لوائه النصر ، يسير (الرعب) بين يديه على ثلاثين ميلاً ، لا يرى ذلك العلم أحد يريده إلا انهزم][2] .

يبدو النص في حدود بيان علامات ظاهرة في السفياني ، ثـم ينتقل إلى صفة القوّة التي ينالها ، فيشير إلـى رعـبٍ يسـيرُ بـين يديـه يُعبِّـر عنـه بانتصاراتٍ عدّة وقتل وإبادة عظيمة .. ومعلـوم أنّ السـفياني يتبعـه جـيشٌ كبير ، لكنّ نواة ذلك الجيش وأوّل مكوّناته تكون من قبيلة كلـب ، وقـد ورد في الرواية عن النبي ﷺ قال : [.. يخرج رجلٌ يُقال له السفياني فـي عمـق دمشق وعامة من يتبعه من كلب][3] . أي من قبيلة كلب ، وبعد ذلك تتوسّـع قاعدة جنده ، إلى درجة يخوض بجنده الحرب على أكثر من جبهة .

وتتّفق النصوص على أنّ السفياني إذا ظهر تبعه البلاء والقتل وظُلَـمَ أشدّ الظلم وسفك الدماء دون رحمة . ففي الرواية عن أبي رومان عن علـي

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٦٥١ ب ٥٧ حـ ٩ عن كمال الدين . وفيه [.. وخشـن الوجـه ضـخيم الهامة .. وأبـو عينة] . وفي : صـ ٦٣٢ ب ٢٤ ف ٨ حـ ٨٠ – عن إعلام الورى ، وفيه [.. وهو رجل مربعة وخشن الوجه] .

[2] ابن حماد : صـ ٧٥ –

[3] نوائح السفاريني : ج ٢ صـ ٩ – عن فوائد الفكر وعن عقد الدرر ، ضمن حديث آخر للنبي صـلى الله عليـه وآله .

رضي الله عنه قال – : [.. إذا ظهر أمرُ السفياني ، لم ينجُ مِن ذلك البلاء إلا مَن صبر على الحصار][1] . وفي النصِّ السابق أشار إلى انّه لا ينجو من القتل إلا الذي لا يعرف الناس ما في نفسه . أي كلُّ مَن يخالف السفياني يُقتل ، المعارضة ممنوعة ، خاصّةً الإنتماء إلى أهل البيت ﷺ . ثمَّ لا بدَّ من الولاء له والتجنُّد للحرب معه . وبذلك يشير إلى البقاع التي يحكمها مباشرةً والتي يهلك فيها العباد ويعلّق المشانق ويذيع على منابرها أحكام القتل دون محاكمة أو مواثيق . أمّا قصّة الحصار ..؟ فهي تشيرُ إلى بقاعٍ يحاصرها أو بقعة ، منها راية تكون لأتباع آل محمّد ﷺ في أكناف بيت المقدس من جبل عامل ، في أطراف الشام ، يصيبهم البلاء لكنّهم يصبرون على الصحار وينجون بإذن الله ويمتنعون عليه .

وقد سُئل الإمام جعفر الصادق ﷺ : كيف يكون حال الناس في حال قيام القائم ﷺ ، وفي حال غيبته ، ومَن أولياءُهُ وشيعتُهُ الممتثلين أمر أئمّتهم والمقتفين لآثارهم والآخذين بأقوالهم ؟ قال ﷺ :

[بلدة بالشام ، قيل يا ابن رسولِ الله ، إنّ أعمال الشام متّسعة ؟ قال ﷺ : بلدة بأعمال « الشقيف أرنون » ، وبيوت وربوع تُعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال .

قيل : يا بن رسولِ الله هؤلاءِ شيعتكم ؟ قال ﷺ : هؤلاء شيعتنا حقّاً ، وهم أنصارنا وإخوانُنا والمواسون لغربتنا والحافظون لسرنا ، واللّيّنة قلوبهم لنا ، والقاسية قلوبهم على أعدائنا ، وهم كسكّان السفينة في حال غيبتنا ، تمحل البلاد دون بلادهم ، ولا يُصابون بالصواعق ، يأمرون

---

[1] ابن حماد : ص٦٥

بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويعرفون حقوق الله ، ويساوون بين إخوانهم ، أولئك المرحومون المغفور لحيِّهم وميتهم ، وذكرهم وإناثهم ، ولأسودهم وأبيضهم وحرّهم وعبدهم ، وإنّ فيهم رجالاً ينتظرون ، والله يحبُّ المنتظرين]١ .

شيئ مدهل في الدلالة ..! إنّه يؤكّد على تلك المنطقة التي يكون فيها أبدال الشام ، منطقة يعصمهم الله في وجه السفياني ، يقاتلونه ، يصبرون رغم الجهد ، فيفشل السفياني في النيل منهم . ويكونون على ولاء تام مع الخراساني . النصوص صريحة في ذلك . ويناهضون اليهود ، ومن قبلهم تدخل فرقة من الخراسانيين يُمدُّون بجند الأبدال الشاميين الإماميين لفتح بيت المقدس ..

النص صريح جداً في التأكيد على انّ لبنان يكون تحت يد الابدال الإماميين وضمن طواغيتهم وسلطانهم . يصمد في وجه السفياني رغم سقوط الكور الخمس . وانّ هذه الراية تظلُّ قويّةً نافذة حتى ظهور المهدي ﷺ الذي حين يظهر تذهب إليه قادتُها فتبايعه قرب الركن والمقام .

وعن طبيعة أوامرهُ في خوض الحروب ؟ وهل يحافظ على نُظُم أو قيم أو مواثيق ؟ تجيب المرويات الكثيرة بأنّه يخوض الحرب على جماجم الناس وجثثهم ، لا يرى في القتل والإبادة أي رادع ، بل في لفظ رواية محمد بن جعفر عن علي بن أبي طالب قال : .. يكتب السفياني إلى الذي دخل الكوفة بخيله ، بعدما يعركها عرك الأديم ، يأمره بالسير إلى الحجاز ،

---

١ محمد الحر العاملي ، أمل الأمل ، مؤسسة الوفاء بيروت ١٩٨٣ الجزء الأول ص : ٦٥/٦٦ .

فيسير إلى المدينة فيضع السيف في قريش ، فيقتل منهم ومن الانصار أربع مائة رجل ، ويبقر البطون ويقتل الولدان . ويقتل أخوين من قريش ، رجل وأخته يُقال لهما محمد وفاطمة ، ويصلبهما على باب المسجد بالمدينة][1] ..

أقول : يكفي من النص عبارة « عرك الأديم » للدلالة على القظاعة الهائلة التي يرتبكها السفياني في القتل والإبادة والسفك والطغيان دون قيد أو رادع ..!

وفي رواية محمد بن جعفر قال : قال علي بن أبي طالب ﷺ : [يبعث السفياني على جيش العراق رجلاً من بني حارثة له غديرتان ، يقال له نمر (أو قمر) بن عباد ، رجلاً جسيماً على مقدّمته رجلٌ من قومه قصير أصلع عريض المنكبين ، فيقاتله مَن بالشام من أهل المشرق ، وفي موضع يُقال له البنية (القنية) وأهل حمص في حرب المشرق وأنصارهم ، وبها يومئذ منهم جندٌ عظيم تقاتلهم فيما يلي دمشق ، كلٌ ذلك يهزمهم . ثم ينحاز من دمشق وحمص مع السفياني ، ويلتقون وأهل المشرق في موضع يُقالُ له « المدين » ممّا يلي شرق حمص ، فيقتل بها نيف وسبعون ألفاً ، ثلاثة أرباعهم من أهل المشرق . ثم تكون الدبرة عليهم ، ويسير الجيشُ الذي بعث إلى المشرق حتى ينزلوا الكوفة ، فكم من دمٍ مهراق وبطنٍ مبقور ، ووليدٍ مقتول ، ومالٍ منهوب ، ودمٍ مستحَلٍّ . ثم يكتب إليه السفياني أن يسير إلى الحجاز ، بعد أن يعركها عرك الأديم][2] ..

---

[1] ابن حماد . ص٨٨

[2] ابن حماد : ٨١ و ٨٣ -

بحيث تجد علامة بطشه الهائل بالدم المسفوح ، والبطون المبقورة ، والأطفال الذبيحة ، والجثث المتروكة ، والجماجم المحمولة ، والنسف الهائل للقيم والقوانين والقواعد الواجب في الحدّ الأدنى مراعاتها .. مع الإلتفات إلى أنّ فظاعة هذه الضربة تقع على شيعة آل محمّد ﷺ سواء في الكوفة وناحية العراق أم في المدينة ..

وعلى أثر خبر جيش السفياني القادم إلى المدينة يهرب أناس لهم قيمة عظيمة منها إلى مكّة . النص ناظر إلى المهدي عليه السلام . ففي رواية عياش بن عباس عمّن حدّثهُ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : [.. يهرب ناسٌ من المدينة إلى مكّة حين يبلغهم جيش السفياني ، منهم ثلاثة نفر من قريش منظور إليهم][1] .

وفي نفس المصدر – بسنده الاول – عنه عليه السلام : [.. يخرج ثلاثة نفر من قريش إلى مكّة ، من جيش السفياني (أي هرباً من جيش السفياني) ، منظور إليهم (لهم قيمة عظيمة) ، فإذا بلغهم الخسف اجتمعوا بمكّة لاولئك النفر الثلاثة من البلاد ، فيبايع أحدهم كرهاً][2] . وهو يعني بذلك المهدي الذي يُبايع ..

ومعلوم أنّ المهدي ﷺ يتردّد بين المدينة ومكّة فترة الظهور الخاص . وعلى الأثر يبعث السفياني جيشاً للإطاحة به وقتله ، بل يهدّد بعض أهل مكة بالقتل إنْ لم يقبضوا على المهديّ ، فيخرج منها المهدي ﷺ إلى الطائف ، ثم يعود من الطائف إلى مكّة ، بعد أن يصيب الله

---

[1] ابن حماد : ص ٨٨

[2] : ص ٩٥ –

تعالى جيش السفياني القاصد مكّة بالخسف . وفي نصٌ صريحٍ عن أبي رومان عن الإمام علي ﷺ قال : [.. يبعث (السفياني) بجيش إلى المدينة ، فيأخذون مَن قدروا عليه مِن آل محمد ﷺ ، ويُقتَلُ مِن بني هاشم رجالٌ ونساءٌ ، فعند ذلك يهرب المهدي ﷺ والمبيض من المدينة إلى مكّة ، فيبعث في طلبهما ، وقد لحقا بحرم الله وأمنه][1] ..

ومع وقعة المدينة يبدأ العدُّ العكسي لدولة السفياني ، فجيشُهُ في الكوفة الذي يخرج في طلب خراسان يكبسه الخراساني ، وجيشُهُ الخارج من المدينة والقاصد مكّة يخسفُ اللهُ به الأرض ، فلا يبقى له إلا ما بقي في بقاعِ الأرض التي يسيطر عليها في ظلِّ خللٍ كبيرٍ أصاب قوّته العسكريّة ..

ويحضرني نصٌ تفصيلي لوقعاتٍ وملاحم مختلفة ، وبقاع متعدّدة ، يشيرُ إليها الإمام علي ، سأشرحها فقرةً فقرة بسبب طول الحديث ، على أنّني أشرتُ إلى مصدره عند نهاية الحديث بالكامل . وفيه : مرسلاً عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قال :

[.. تختلف ثلاث رايات ، راية بالمغرب ، ويلٌ لمصر وما يحلُّ بها منهم ، وراية بالجزيرة ، وراية بالشام ، تدومُ الفتنة بينهم سنة . ثم يخرج رجلٌ مِن وُلدِ العباس بالشام ، حتى تكون منهم مسيرة ليلتين ، فيقول أهل المغرب : قد جاءكم قومٌ حفاة أصحاب أهواء مختلفة ، فتضطربُ الشام وفلسطين ، فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين ، فيقولون : اطلبوا ملك الاول : فيطلبونه فيوافونه بغوطة دمشق ، بموضعٍ يُقال لها « حرستا » ، فإذا أحسَّ

---

[1] ابن حماد : صـ٨٨

بهم هربَ إلى أخواله كلب ، وذلك دهاءٌ منه . ويكون بالوادي اليابس عدةُ عديدة فيقولون له : يا هذا ، ما يحلُّ لك أن تُضيِّعَ الاسلام ، أما ترى ما الناسُ فيه من الهوان والفتن ! فاتَّقِ اللهَ واخرج ، أمَا تنصرُ دينك !

فيقول : لستُ بصاحبكم ، فيقولون : ألستَ من قريش ! من أهل بيت الملك القديم ! أما تغضب لأهل بيتك وما نزل بهم من الذلِّ والهوان !

ويخرجُ راغباً في الأموال والعيش الرغد ، فيقول : اذهبوا إلى حلفائكم الذين كنتم تدينون لهم هذه المدة . ثم يجيئهم فيخرج في يوم جمعة فيصعد منبر دمشق وهو أوَّل منبر يصعده ، فيخطب ويأمرهم بالجهاد ، ويبايعهم على أنهم لا يخالفون له أمراً ، رضوه أم كرهوه][1] .

ثم يتعرَّض له الإمام عليه السلام فيقول فيه : ملعون في السماء ، ملعون في الارض ، أشرُّ خلق الله عزَّ وجلَّ أباً ، وألعن خلق الله جداً ، وأكثرُ خلق الله ظلماً .

قال : [ثم يخرج إلى الغوطة ، فما يبرح حتى يجتمع الناس إليه ، ويتلاحق به أهلُ الضغائن ، فيكون في خمسين ألفاً ، ثم يبعث إلى كلب فيأتيه منهم مثل السيل ، ويكون في ذلك الوقت رجالُ البربر يقاتلون رجالَ الملك من ولد العباس ، فيفاجئهم السفياني في عصائب أهل الشام ، فتختلف الثلاث رايات ، رجال ولد العباس هم الترك والعجم ورياتهم سوداء ،

---

[1] فقام رجلٌ فقال : ما اسمه يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : هو حرب بن عنبسة بن مرة بن كلب بن سلمة بن يزيد بن عثمان بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس . ويقصد الإمام علي عليه السلام هنا الإشارة إلى بعض آبائه لا إلى سلسلة السند كلها ، يشهد لذلك مضامين مختلفة من النصوص .

وراية البربر صفراء ، وراية السفياني حمراء ، فيقتتلون بسيطن الأردن قتالاً شديداً ، فيقتل فيما بينهم ستُّونَ ألفاً ، فيغلب السفياني ، وإنه ليعدل فيهم حتى يقول القائل : والله ما كان يُقال فيه إلا كذب ، والله إنَّهم لكاذبون ، لو يعلمون ما تلقى أمة محمَّد ﷺ منه ما قالوا ذلك . فلا يزال يعدل حتى يسير ويعبر الفرات ، وينزع اللهُ من قلبه الرحمة ، ثم يسير إلى الموضع المعروف بقرقيسيا ، فيكون له بها وقعةٌ عظيمة ، ولا يبقى بلدٌ إلا بلغه خبره ، فيداخلهم من ذلك الجزع ..

مضمون هذه الفقرات أنَّ ثلاث رايات تختلف ، أي ثلاث جبهات ، راية بالمغرب ، تزحف من المغرب نحو مصر والشام ، ويبدو انَّ لها نفوذاً وغلبة ، وذات بطشٍ شديد . النص يقول فيها : ويلٌ لمصر وما يحلُّ بها منهم . تزحف إلى مصر لنصرة الملك المخلوع على أثر ثورة إماميَّة يقودها نجباء مصر ، ثمَّ فشل الروم في تحقيق انتصار سياسي في مصر ، عندها تستعين الروم بالمغربيين . ثم تكون هناك راية ثانية بالجزيرة . وهل هي جزيرة العرب أم جزيرة العراق ؟ الأقرب أنَّها جزيرة العراق ، لأنَّها كانت الإسم المتداول الذي عليه اللغة والإستعمال آنذاك ، وهذه الراية كما الأولى ، شاهرة للحرب ، وهي المعنى المتبادرة من لفظ الراية . تُطلق عند العرب للإشارة إلى إعلان الحرب أو الدخول فيها . وقد أشرت فيما سبق إلى فتنة تطال العراق ، تتوسَّع شيئاً فشيئاً حتى تشمل الآفاق .

ثمَّ يشيرُ النصُّ إلى رايةٍ ثالثة في الشام ، في ظلِّ فتنةٍ زاحفة ، وحروبٍ معلنة ، وأممٍ متعارضة ، واختلاط عنيف لقيم الإستقرار وميزان السلام ..

لكن لماذا تزحف الراية المغربيّة إلى مصر فتجتاحها ؟ ولماذا تتداخل الفتن وتتوسّع ، ولماذا التركيز على هذه الرايات الثلاث ؟ بين يدينا إجاباتٍ مختصرة عن ذلك ، أي إشارات ، في حين غمار الأحداث وتعددها ومسارها التاريخي والزمني غير معهود بشكلٍ تام في العناوين التي بين أيدينا ..

نعم المعروف أنّ خللاً عنيفاً يطال المنطقة من المغرب إلى مصر ، إلى سوريا والعراق إلى اسطمبول ، إلى أرض خراسان ، بالإضافة إلى معالم جديدة في اليمن ، وخواء في الحجاز يتبعه فراغ سياسي تنقسم معه الدولة أو المجتمع الحجازي قسمين ، فضلاً عن الإنهيار الذي يصيب اقتصاد الأرض وزراعتها وأسواقها كما في العديد من النصوص ، ينعكس على نحوٍ سلبي على عملتها النقديّة وسلعها وثمارها ، يكون ناتجاً عن اسباب مختلفة من الإنهيار والفتن والتبعيّة وغير ذلك ..

وتدوم الفتنة بين هذه الرايات سنة ، ثم يخرج رجلٌ من وُلدِ العباس بالشام . ومعلوم حسب النصوص أنّ لبني العباس قبل الظهور دولة تنهزم ، وهي غير دولتهم التي تكون على اثر انهيار دولة الأمويين ، حيث تكون لهم دولة قبل ظهور الإمام عليه السلام في العراق . وبعض النصوص يستفاد منها أنّه يكون لهم نفوذ وقتي في سوريا . وعلى كلٍّ حال ، يشارك السفياني في إسقاط دولة العباسيين ، ويخوض معهم معركة عنيفة في منطقة قرقيسيا ، التي تتشارك فيها أطراف دولية أخرى ..

وعليه : النصُّ يشيرُ إلى خروج رجل من وُلدِ العباس بالشام حتى تكون منهم مسيرة ليلتين ، فيقول أهل المغرب : قد جاءكم قوم حفاة

أصحاب أهواء مختلفة ، فتضطرب الشام وفلسطين ، ويدبُّ الذعر في ظلِّ أبواق تدعو إلى الحرب ورايات تنادي بضرورة خوض المعارك وفتح البلاد .

ويبدو أنَّ تحالفاً يجري بين فريقين أو أكثر ، يكون بين رؤساء الشام وفلسطين ..! في حين طبيعة الظروف الجديدة تشكِّل دعامة تكتيك يهيِّئ لانقلاب في الشام عبر السفياني الذي يبدو أنه معروف ، خاصَّة إذا ضممنا إليه الفقرات التي تشير إلى أنَّه يعود من بلاد الروم منتصراً ، أي أنَّه يعمل بواسطة الروم وتوابعها ، وحين يطلبونه يوافونه بغوطة دمشق ، بموضع يقال لها « حرستا » ، فإذا أحسَّ بهم هرب إلى أحواله كلب ، وذلك دهاء منه . شعوراً منه بعدم الأمن وخشيةً من أمرٍ ما يدلُّ على عدم الإطمئنان ، فإذا وصل إلى الوادي اليابس وجد عدَّةً عديدة من الجند والأتباع الذين يعلنون نصرته ، فيقولون له : يا هذا ، ما يحلُّ لك أن تضيِّعَ الإسلام ..! أما ترى ما الناس فيه من الهوان والفتن ؟ فاتق الله واخرج أما تنتصر دينك ؟ ويذكِّرونَه بقريش وعزَّتها ، ويأمِّلونَه أن يطلب الملك القديم لأجداده ، ويشيرون إلى ما يجري في أهل بيته من الذلِّ والهوان ..! أي الدولة ليست دولتهم والحكم ليس حكمهم ..! فهم في ذلٍّ من مجدهم الماضي وملكهم القديم ، فيمنُّونه إلى أن يقوم بهم . فيجمع من العدد والعتاد ما يحمي به نفسه وأمره الداعي إليه بدعمٍ من الروم ، ثم يخرج في يوم جمعة فيصعد منبر دمشق وهو أول منبر يصعده ، فيخطب ويختبئ وراء الإسلام ، فيأمرهم بالجهاد ، فيرونَه القائد فيهم ، المطاع الذي لا يُردُّ له قول ، ويبايعهم على أنهم لا يخالفون له أمراً ، فلا يبرحون إلا قليلاً حتى يبدِّل في أمر الدِّين ، فيخوض في الدماء ويهتك الأعراض ، ويقتل النفوس

على التهمة والظنّة ، ويأمر بإشاعة الفساد وتحريم الحلال وتحليل الحرام . ملعون في السماء ، ملعون في الارض ، أشر خلق الله أبـاً ، وألعـن خلـق الله جداً ، وأكثر خلق الله ظلماً . فاسدٌ مفسد ، يقيم أمرهُ على الظلـم والإضـطهاد وسفك الدماء وإنزال البلاء ..

ثم يخرج السفياني إلى الغوطـة مـن دمشـق ، فيجتمع عليـه الجنـد ويتكاثرون . النص يشر إلى خمسين ألف بداية جمعه لمعسكره .! أي رقـم كبير ، وكناية عن جمعٍ غفير . ثم يبعث إلـى قبيلـة كلـب فيأتيـه منهم مثـل السيل ، إشارة إلى قبيلة وأتباع مُعتقدين .! وبذلك تقـوم جبهـة عسـكريّة ضخمة جداً سيكون لها تأثيرها البالغ على هذه المنطقة المتعـددة الجبهـات والبقاع ..

فإذا كان ذلك كذلك ، خاض بهم غمرات الحروب والفتن ، في وقـت يكون رجال البربر يقاتلون رجالَ الملك من ولد العباس أي دولة العباسيين الجديدة ، فيفاجئهم السفياني في عصائب أهل الشام ، ويخوض معهم حرباً ضارية ، وتختلف الثلاث رايات : رجال وُلد العبـاس هـم التـرك والعجـم ، العجم في العربيّة تعني كل ما ليس عربيّـاً . ورايـة البربـر صفراء ، ورايـة السفياني حمراء ، فيقتتلون ببطنِ الأردن قتـالاً شـديداً ، فيقتل منهم مقتلـةً عظيمةً يقدّرها النص بـ « ستون ألفا » ولا أدري هـل التعبيـر علـى نحـو الحقيقة أم المجاز والكناية .! لكنّه قطعاً يشيرُ إلى كثـرةٍ واضحة . وبـذلك يغلب السفياني عليهم .

ومعه تتأسّس جبهة السفياني على نحـوٍ مـن نفـوذٍ كبيـر ، وكيـانٍ منتشر ، فإذا ضرب في تلك الأرض بأطنابـه ، بثّ فيهـا جنـده ، يحكمـون

بالرعب ، فتلقى منه أمّةُ محمّدٍ أمراً عظيماً ، في حين يبدو أوّل أمره مُظهِراً للإسلام حتى يقول القائل : والله ما نرى منه إلا خيراً . كذب القائلون فيه . فإذا عبر الفرات ، وجد من نفسه القوّة ، والسلطنة ، فيترك كلّ ما كان يستتر به من الدّين ، ويبدو قلبهُ على ما هو عليه من القسوة والحِقد والإنتقام والفساد .

ويسير إلى الموضع المعروف بقرقيسيا ، فيكون له بها وقعة عظيمة ، تتقاتلُ فيها الرايات حتى تتفانى ، وينتصر فيها السفياني ، ولا يبقى بلد إلا بلغه خبره وأهواله ، فيداخلهم من ذلك الجزع . ثم يرجع إلى دمشق ..

يتابع الإمام علي عليه السلام في النص فيقول : [ثم يرجع إلى دمشق ، وقد دانَ له الخلق ، فيجيّش جيشين : جيشٌ إلى المدينة ، وجيشٌ إلى المشرق ، فأما جيشُ المشرق – فيقتلون بالزوراء سبعينَ ألفاً ، ويبقرونَ بطون ثلاثمائة امرأة ، ويخرج الجيشُ إلى الكوفة ، فيقتل بها خلقاً . وأما جيش المدينة إذا توسّطُوا البيداء صاح بهم صائحٌ ، وهو جبريل عليه السلام ، فلا يبقى منهم أحدٌ إلا خسف الله به ، ويكون في أثر الجيش رجلانِ يُقال لهما بشير ونذير ، فإذا أتيا الجيشَ لم يريا إلا رؤوساً خارجةً على الارض ، فيسألانِ جبريل عليه السلام : ما أصاب الجيش ؟ فيقول : أنتما منهم ؟ فيقولانِ : نعم . فيصيح بهما ، فتتحوّل وجوههما القهقري ، ويمضي أحدهما إلى المدينة وهو بشير ، فيبشّرُهم بما سلّمَهُم اللهُ عزّوجلّ منه ، والآخر نذير ، فيرجع إلى السفياني ، فيخبره بما نال الجيش عند ذلك . قال : وعند جهينة الخبر اليقين ، لأنهما من جهينة ..] .

فإذا انتصر في وقعة قرقيسيا التي تأكل الوحوش والطيور من لحوم جثثها رجع إلى دمشق ، على نحوٍ متعاظمٍ من القوّة والجبروت ، وقد سيطر على الكور الخمس ، بدءاً من الأردن ، وصولاً إلى دمشق وحمص وحلب وفلسطين أو قسم منها . ومع انتصاره ذاك يدين له الخلق ، في تلك البقاع ، فلا ترى إلا رعباً وخوفاً وفزعاً ، ولا تسمع إلا أنباءاً عن القتل والصلب والإبادة على التهمة والظنة ..

فإذا شرب نخب الإنتصار في دمشق راقب الأوضاع في العراق ، فإذا اختلف بنو العباس على المُلك أمر بإعداد جيشين كبيرين : يأمر بالأول أن يغزو الكوفة أي ناحية العراق . والثاني يأمره أن يغزو المدينة المنوّرة . النص ناظر إلى النتائج ، هنالك بعض التفاصيل . يبدو من بعض النصوص تعاقب زمني في أمر الجيشين . والبعض الآخر فيها تساوي زمني .

فأما جيش المشرق الذي يقصد العراق ، فيقتل بالزوراء سبعين ألفاً ، يبقرون البطون ، يذبحون الرجال ، لا يرحمون صغيراً أو كبيراً . ثم يتابع إلى الكوفة فيقتل بها خلقاً ببشاعةٍ شديدة . ومن العراق يتّجه نحو أراضي خراسان . وتقع في خراسان معركة اصطخر الموصوفة التي ينهزم فيها جيش السفياني . ثم يؤكّد النص انّ جيش المدينة إذا توسّط البيداء صاح بهم جبرائيل ﷺ فخسف بهم الأرض ، وهو يعني الخسف بعد دخولهم المدينة وفتحها وقتل أتباع آل محمّد فيها . فإذا خرج منها قاصداً مكّة ليطلب المهدي ﷺ خسف اللهُ به الأرض فأصبح حصيداً كعصف مأكول .. وفي رواية أبي رومان ، عن علي رضي الله عنه ، قال : [.. إذا نزل جيش في طلب الذين خرجوا إلى مكة ، فنزلوا البيداء خسف بهم وبنادبهم ، وهو قوله عزوجل : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ،

من تحت أقدامهم ، ويخرج رجلٌ من الجيش في طلبِ ثاقة له ، ثم يرجع إلى الناس ، فلا يجد منهم أحداً ، ولا يحسُّ بهم . وهو الذي يحدِّثُ النَّاسَ بخبرهم][1].

ثم يضيف الإمام علي ﷺ في النص الذي نشرحه بقوله : [ثم يهربِ قومٌ من وُلْدِ رسول الله ﷺ إلى بلد الروم ، فيبعث السفياني إلى ملك الروم : ردَّ إليَّ عبيدي ، فيردّهم إليه ، فيضرب أعناقهم على الدرج شرقي مسجد دمشق ، فلا يُنكَرُ ذلك عليه . ثم يسير في سبعين ألفاً نحو العراق ، والكوفة ، والبصرة . ثم يدوِّر الأمصار والأقطار ، ويحلُّ عرى الاسلام عروةً بعد عروة ، ويقتل أهل العلم ، ويحرق المصاحف ، ويخرِّبُ المساجد ، ويستبيح الحرام ، ويأمر بضرب الملاهي والمزاهر في الأسواق ، والشرب على قوارع الطرق ، ويحلِّلُ لهم الفواحش ، ويحرِّمُ عليهم كلَّ ما افترضه الله عزَّوجلَّ عليهم من الفرائض ، ولا يرتدع عن الظلم والفجور ، بل يزداد تمرُّداً وعتوّاً وطغياناً ، ويقتل مَن كان اسمه محمَّداً ، وأحمد ، وعليّاً ، وجعفراً ، وحمزة ، وحسناً ، وحسيناً ، وفاطمة ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وخديجة ، وعاتكة ، حنقاً وبغضاً (لبيتِ آل) رسولِ الله ﷺ ، ثم يبعث فيجمع الأطفال ، ويغلي الزيتَ لهم ، فيقولون : إن كان آباؤنا عصوك فنحن ما ذنبنا ؟ فيأخذ منهم اثنين اسمهما حسناً وحسيناً (كذا) فيصلبهما ، ثم يسير إلى الكوفة ، فيفعل بهم كما فعله بالأطفال ، ويصلب على باب مسجدها طفلين أسماؤهما حسن وحسين ، فتغلي دماؤهما كما غلى دمُ يحيى بن زكريا ﷺ ، فإذا رأى ذلك أيقن بالهلاكِ والبلاء ، فيخرج هارباً منها ، متوجِّهاً إلى الشام ، فلا يرى في طريقه أحداً يخالفه] .

---

[1] ابن حماد : ص ٩٠

خلاصة النصّ أنّ قوماً من نسل آل النبي ﷺ تضطرهم ظروف الطلب وسهام القتل التي تلاحقهم إلى أن يلجؤوا إلى بلاد الغرب المسيحي ، فيطلبهم السفياني ، فتسلّمهم الروم إليه ، فيأمر بضرب أعناقهم عند الدرج شرقي مسجد دمشق ، وكأنّه إشارة إلى الإنتقام والثأر السفياني ، ودلالة على البغض الهائل الذي يظهره اتجاه آل محمّد والجحد الفظيع ، فلا ينكر عليه أحد !! مع أنّه يذبح نسل النبيّ دون ذنب أو داعي ..!

ثم يشير النص إلى ما يجري في الكوفة من قتلٍ وإبادة فظيعة ، ويعطف البيان إلى الأهوال التي يدور بها السفياني في الامصار والاقطار ، وما يقع من فعله على الإسلام ، حيث يحلُّ عرى الاسلام عروةً بعد عروةً ، ويقتل أهل العلم ، ويلاحق العلماء ، ويحرق المصاحف في العلن ، ويسخر من الدّين والقرآن ، ويخرّبُ المساجد ، ويعلن حرباً عنيفةً على كلّ مظاهر الدّين ، ويستبيح الحرام كلّه ، ويأمر بضرب الملاهي والمزاهر والطبل في الاسواق والفوادي ، وينادي بالتعرّي والإباحيّة ، ويأمر بإشاعة الخمور على قوارع الطرق ، فيحلل الفواحش ، ويحرّم الفرائض ، ويبدأ صداماً عنيفاً على كلّ مظاهر الشريعة والإسلام ، ويتابع شوطه في الظلم والفجور ..

ثم يشير الإمام علي ﷺ إلى مظاهر تلك البليّة العظيمة فيقول : ز فإذا دخلَ دمشق اعتكف على شرب الخمر والمعاصي ، ويأمر أصحابه بذلك . ويخرج السفياني ويبيد حربةٌ فيأخذ امرأةً حاملاً فيدفعها إلى بعض أصحابه ويقول : افجر بها في وسط الطريق !! فيفعل ذلك ، ويبقر بطنها ، فيسقط الجنين من بطن أمه ، فلا يقدر أحد أن يغيّر ذلك ، فتضطرب الملائكة في السماء فيأمر الله عزّ وجلّ جبريل ﷺ فيصيح على سور مسجد دمشق : ألا قد جاءكم الغوثُ يا أمّة محمد ، قد جاءكم الغوث يا أمة

محمد ، قد جاءكم الفرج ، وهو المهدي ﷺ خارج من مكة فأجيبوه . ثم قال الإمام علي ﷺ : ألا أصفه لكم ، ألا وإنّ الدهر (فينا قسمت) حدوده ، (ولنا أخذت) عهوده ، وإلينا ترد شهوده ، ألا وإنّ أهل حرم الله عزّوجلّ سيطلبون لنا بالقصل ، مَن عرف عودتنا فهو مشاهدنا ، ألا فهو أشبه خلق الله عزّوجلّ برسول الله ﷺ واسمه على اسمه . من ولد فاطمة ابنة محمّد ﷺ ، من ولد الحسين ﷺ . ألا فمَن توالى غيره لعنه الله .

ثم قال ﷺ : .. يجمع الله عزوجل أصحابه على عدد أهل بدر ، وعلى عدد أصحاب طالوت ، ثلاثمائة وثلاثة عشرَ رجلاً ، كأنهم ليوثٌ خرجوا من غابة ، قلوبهم مثل زبر الحديد ، لو همُّوا بإزالة الجبال لأزالوها عن موضعها ، الزيُّ واحد ، واللباس واحد ، كأنّما آباؤهم أب واحد . ثم قال أمير المؤمنين ﷺ : وإني لأعرفهم وأعرف أسماءهم . ثم سمّاهم ..]

فقرات النصّ الأولى تشيرُ إلى الفساد الهائل الذي يفرضه السفياني بقوّة سلطانه ، يمرُّ الناس باتّباعه فلا يرون إلا باطلاً وحراماً وإثماً . قد حرّم الحلال ، وحلّل الحرام ، وأمر بالإثم والعدوان ، وسيُر جنده بالعرب في الأقطار والأمصار . ومع ذلك لا يزداد إلا تمردا وعتواً وطغياناً .. يقتل على الإسم ، يتبع الشيعة على العنوان والتهمة ، يقتل ما تختصُّ الشيعة به أو ما يغلب أنّه من اسمائها : جعفراً وعليّاً ومحمّداً وحسناً وحسيناً وغيره من الأسماء التي تغلبُ في الشيعة ..!

حتى أنّه يأخذ الأطفال فيقتلهم ، ويغلي الزيت لهم ويصلب منهم طفلين إسمهما : حسن وحسين على باب المسجد في الكوفة ، تأكيداً منه على اجتثاث أتباع آل الرسول وعداءاً لله ورسوله ..! فتغلي دماؤهما كما

على دم يحيى بن زكريا ﷺ فإذا رأى ذلك أيقن بالهلاك والبلاء ، وبلحظة ما يخرج هارباً منها ، متوجهاً إلى الشام . والبلاد له آنذاك آمنة حتى الشام . فإذا دخل دمشق أمر بالفساد والطغيان ، والنكاح على الطرقات ، وتشريع الخمر ونشره وبناء المعازف في الليل والنهار ، وحرَّم الفرائض ، وأوجب المفاسد ، وأذاع في الناس الشرور ..

ودلالةٌ منه على المجاهرة في الحرام يأخذ امرأةً حاملاً فيدفعها إلى بعض أصحابه ويقول : افجر بها في وسط الطريق ..! فيفعل ذلك . والناس تراهُ ..! والسفياني مصرٌ على إشاعة الإباحيَّة في البلاد . ثم يأمر ببقر بطنها ، فيسقط الجنين من بطنها ، فلا يقدر أحد أن يغير ذلك عليه . وهو في حصنٍ من جندهِ وقومه وبلده . فتضطرب الملائكة في السماء لشدَّة فعل السفياني في الأرض ، فيأمر اللهُ عزوجل جبريل ﷺ فيصيح على سور مسجد دمشق – أي ناحة تلك البلد من قرب مسجدها – : ألا قد جاءكم الغوث يا أمة محمد ، قد جاءكم الغوث يا أمة محمد ، قد جاءكم الفرج ، وهو المهدي ﷺ خارجٌ من مكة فأجيبوه .

وبذلك تبدأ أولى مراحل العالم الجديد ، العالم الذي يقوده المهدي ﷺ بجندٍ لا يدخلون بلداً إلا دخله الأمن والسلام كما يقول النص . يكفي فيه ﷺ أنه على صفة النبيِّ في الخَلق والخُلق ، به الكون مشدود ، وهو الخاتم في الأئمَّة من نسل النبيِّ الخاتم ﷺ ..

ثم يشيرُ ﷺ إلى صفة أصحابه ﷺ وجلالتهم وعظمة أمرهم ، وكيف أنهم يدخلون مكَّة فيقول : [ثم يجمعهم اللهُ عزَّوجلَّ من مطلع الشمس إلى مغربها ، في أقل من نصف ليلة ، فيأتون مكَّة فيشرف عليهم أهل مكة

فلا يعرفونهم فيقولون : كبستنا أصحابُ السفياني . فإذا تجلّى لهم الصبحُ يرونهم طائعين مصلّين فيتكرونهم ، فعند ذلك يقيض الله لهم مَن يعرّفهم المهدي ﷺ وهو مختفٍ ، فيجتمعون إليه فيقولون له : أنت المهدي ؟ فيقول أنا أنصاريٌّ ، واللهِ ما كذب ، وذلك انه ناصرُ الدّين ، ويتغيّب عنهم ، فيخبرونهم أنه قد لحق بقبر جده ﷺ ، فيلحقونه بالمدينة ، فإذا أحسّ بهم رجعَ إلى مكة (فلا يزالون به إلى أن يجيبهم) فيقول لهم : إني لستُ قاطعاً أمراً حتى تبايعوني على ثلاثين خصلةً تلزمكم لا تغيّرونَ منها شيئاً ، ولكم عليَّ ثمان خصال ، قالوا قد فعلنا ذلك ، فاذكر ما أنت ذاكرٌ يا ابن رسول الله] .

وتكون مكّةُ آنذاك بل الحجاز على نحوٍ من غير استقرار ، بعد انقسام أهلها قسمين ، يختلفون على العرش ومعاني الحكم ، وكلٌّ مجنّدٌ بسلاحه ، والعيون مبثوثة ، والنفوس مشحونة ، والخلاف قائم ، كلٌّ ينتظر أمراً ، وفي الناسِ أمنٌ ظاهرٌ في ظلِّ اضطراب ، وفي الواقع خللٌ كبيرٌ يجرُّ البلاد إلى سفك الدماء والخراب ..

فإذا كانت البلاد على تلك الحال من الإضطراب والفراغ السياسي ، بعث اللهُ أنصار المهدي ﷺ الذين هم على عدد أهل بدر ٣١٣ رجلاً ، على عددِ أصحاب طالوت ، منهم مَن تُطوى به الأرض ، ومنهم مَن يُحمل فوق الغيم كما في بعض النصوص ، أي يتنقلون بوسائل نقل سريعة ، منها ما هو أرضي ، ومنها ما هو جوّي ، وما اسهل معاني هذه العبارات اليوم ، لكنّ معانيها متردّدة بين الإشارة إلى الوسيلة والإعجاز .. فإذا دخلوا مكّة ، ظنّ القوم أنّ جماعة السفياني كبسوهم ، فيتوجّسون منهم خيفةً ، فإذا رأوهم على ما هم عليه من العبادة ، قالت العيون التي تراقبهم : ما هؤلاءِ من

جماعة السفياني ، فينكرونهم ، ويتحدثون فيما بينهم ، فيقول بعضهم لبعض : دعوهم ما لم يتعرّضوا لأيّ أمرٍ ، فإذا بهم يطلبون المهديّ عليه السلام ، فإذا وجوده فارقهم إلى المدينة ، فيتبعونه إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله ، فيُقال لهم : انّه ذهب إلى مكة ، على ان يجدوه ويبايعوه فيشترط عليهم للبيعة شروطاً عشيّة أشار لها الإمام علي عليه السلام بقول : [فيخرجون معه إلى الصفا فيقول : أنا محكم على :

أن لا تولّوا ،

ولا تسرقوا ،

ولا تَزنُوا ،

ولا تقتلوا محرماً ،

ولا تأتوا فاحشةً ،

ولا تضربوا أحداً إلا بحقّه ،

ولا تكنزوا ذهباً ولا فضة ولا تبراً ولا شعيراً ،

ولا تأكلوا مال اليتيم ،

ولا تشهدوا بغير ما تعلمون ،

ولا تخرّبُوا مسجداً ،

ولا تقبّحُوا مسلماً ،

ولا تلعنوا مؤاجراً إلا بحقّه ،

ولا تشربوا مسكراً ،

ولا تلبسوا الذهب ولا الحرير ولا الديباج ،

ولا تبيعوها رباً ،

ولا تسفكوا دماً حراماً ،

ولا تغدروا بمستأمنٍ ،

ولا تبقوا على كافر ولا منافق ،
وتلبسون الخشنَ مِن الثياب ،
وتتوسّدُون التراب على الخدود ،
وتجاهدون في الله حقَّ جهادِه ،
ولا تشتمون ،
وتكرهون النجاسة ،
وتأمرون بالمعروف ، وتنهونَ عن المنكر .
فإذا فعلتم ذلك فعليَّ أن لا أتَّخذَ حاجباً ولا ألبس إلا كما تلبسون ،
ولا أركب إلا كما تركبون ، وأرضى بالقليل ، وأملأ الأرض عدلاً كما
مُلِئَت جوراً ، وأعبد الله عزَّوجلَّ حقَّ عبادته ، وأفي لكم وتفُوا لي .
قالوا : رضينا واتَّبعناك على هذا .
فيصافحهم رجلاً رجلاً . ويفتحُ اللهُ عزَّوجلَّ له خراسان ، وتطيعه
أهلُ اليمن ، وتقبل الجيوشُ أمامه ، ويكون همدان وزراءه ، وخولان
جيوشه ، وحمير أعوانه ، ومضر قوّاده ، ويكثّرُ اللهُ عزَّوجلَّ جمعَهُ
بتميم ، ويشدّ ظهره بقيس ، ويسير ورايته أمامه ، وعلى مقدّمته
عقيل ، وعلى ساقته الحارث ، وتخالفه ثقيف وعداف ، وتسير
الجيوش حتى تصير بوادي القرى في هدوءٍ ورفق ، ويلحقه هناك
ابن عمه الحسني في اثني عشر ألف فارس فيقول : يا ابن عم ، أنا
أحق بهذا الجيش منك ، أنا ابن الحسن وأنا المهدي (وفي نصٍّ
تفصيلي آخر صريح يكون الحسني يعلم حقيقة الحال لكنّه يريد أن
يثبت لجنده ومن معه أنّ ذاك هو المهدي عليه السلام فيقول ما يقول) ،
فيقول المهدي عليه السلام : بل أنا المهدي . فيقول الحسني : هل لك مِن
آية فتبايعك ؟ فيومئ المهدي عليه السلام إلى الطيرِ فتسقط على يده ،

ويغرس قضيباً في بقعة من الأرض فيخضرّ ويورق ، فيقول له الحسني : يا ابن عم هي لك . ويسلّم إليه جيشه ويكون على مقدّمته ، واسمه على اسمه .

وتقع الصيحةُ بالشام : ألا إنّ أعراب الحجاز قد خرجوا إليكم ، فيجتمعون إلى السفياني بدمشق ، فيقولون : أعرابُ الحجاز قد جمعوا علينا ، فيقول السفياني لأصحابه : ما تقولونَ في هؤلاء القوم ؟ فيقولون : هم أصحابُ نيلٍ وإبل ، ونحن أصحاب العدّة والسلاح ، أخرج بنا إليهم ، فيرونه قد جَبُنَ ، وهو عالمٌ بما يُرادُ منه ، فلا يزالون به حتى يخرجوه ، فيخرج بخيله ورجاله وجيشه ، في مائتي ألف وستّين ألفاً ، حتى ينزلوا ببحيرة طبرية .

فيسير المهدي ﷺ بمن معه لا يُحدِثُ في بلدٍ حادثةً إلا الأمنَ والأمان والبشرى ، وعن يمينه جبريل وعن شماله ميكائيل ﷺ ، والناس يلحقونه من الآفاق ، حتى يلحقوا السفياني على بحيرة طبرية .

ويغضبُ اللهُ عزّوجلّ على السفياني وجيشه ، ويغضب سائر خلقه عليهم حتى الطير في السماء فترميهم بأجنحتها ، وإنّ الجبال لترميهم بصخورها ، فتكون وقعة يُهلِكُ اللهُ فيها جيشَ السفياني ، ويمضي هارباً ، فيأخذه رجلٌ من الموالي اسمه صباح ، فيأتي به إلى المهدي ﷺ وهو يصلي العشاء الآخرة فيبشّره ، فيخفّف في الصلاة ويخرج ، ويكون السفياني قد جعلت عمامته في عنقه وسحب ، فيوقفه (بين يديه) فيقول السفياني للمهدي : يا ابن عمي مُنَّ عليَّ بالحياة أكون (كذا) سيفاً بين يديك ، وأجاهد أعداءك ، والمهدي جالسٌ بين أصحابه وهو أحيى من

عذراء ، فيقول : خلُّوه . فيقول أصحابُ المهدي : يا ابن بنت رسول الله ، تمنُّ عليه بالحياة ، وقد قَتَلَ أولادَ رسولِ الله ﷺ ! ما نصبرُ على ذلك . فيقول : شأنكم وإيَّاهُ اصنعوا بهِ ما شئتم . وقد كان خلَّاهُ وأقلته ، فيلحقه صباح في جماعة إلى عند السدرة فيضجعه ويذبحه ويأخذ رأسه ، ويأتي به المهديُّ ﷺ ، فينظر شيعتُهُ إلى الرأس فيكبِّرُون ويهلِّلُون ، ويحمدون اللهَ تعالى على ذلك .

ثم يأمر المهديُّ ﷺ بدفنه . ثم يسير في عساكره فينزل دمشق ، وقد كان أصحاب الاندلس أحرقوا مسجدها وأخربوه ، فيقيم في دمشق مدَّة ، ويأمر بعمارة جامعها . وإنَّ دمشق فسطاط المسلمين يومئذ ، وهي خيرُ مدينةٍ على وجه الارض في ذلك الوقت ، ألَا وفيها آثارُ النبيين ، وبقايا الصالحين ، معصومة من الفتن ، منصورة على أعدائها ، فمَن وجد السبيل إلى أن يتَّخذ بها موضعاً ولو مربط شاة ، فإنَّ ذلك خيرٌ من عشرة حيطان بالمدينة ، تنتقل أخيارُ العراق إليها . ثم إنَّ المهديَّ ﷺ يبعث جيشاً إلى أحياء كلب ، والخائب من خاب من سبي كلب][1] .

---

[1] عقد الدرر : صـ ٩٠ ـ ٩٩ بـ ٤ فـ ٢ وفي : صـ ١٢٧ – ١٢٨ بـ ٦ – بعضه ، مرسلا . وفي : صـ ١٢٩ بـ ٦ – بعضه ، مرسلا . * : برهان المتقي : صـ ٧٦ ـ ٧٧ بـ ١ حـ ١٤ و ١٥ – بعضه ، عن عقد الدرر ظاهرا . * : فرائد فوائد الفكر : صـ ١٠ بـ ٤ – بعضه ، مرسلا عنه عليه السلام . * : إلزام الناصب : جـ ٢ صـ ١٧٨ – ٢١٢ عن عبد الله بن مسعود ، رفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام .. (خطبة البيان) . وفيها : (.. ثم يسير بالجيوش ، حتى يصير إلى العراق ، والناس خلفه وأمامه . على مقدمته رجل اسمه عقيل ، وعلى ساقته رجل اسمه الحارث ، فيلحقه رجل من أولاد الحسن في اثني عشر ألف فارس ، ويقول : يا ابن العم ، أنا أحق منك بهذا الامر ، لاني من ولد الحسن ، وهو أكبر من الحسين ، فيقول المهدي : إني أنا المهدي . فيقول له : هل عندك آية أو معجزة أو علامة ، فينظر المهدي إلى طير في الهواء فيومئ إليه ، فيسقط في كفه ، فينطق بقدرة الله تعالى ، ويشهد له بالامامة ، ثم يغرس قضيبا يابسا في بقعة من الارض ليس فيها ماء فيخضر ويورق ، ويأخذ جلمودا كان في الارض من الصخر ، فيفركه بيده ويعجنه مثل الشمع ، فيقول الحسني : الامر لك ، فيسلم وتسلم جنوده ..) . ملاحظة : (لم نجد أصلا لهذا الحديث الطويل في مصادر

أقول : تعبير يفتح اللهُ خراسان ، إشارة إلى أنّهم يبعثون له البيعة ، وهم الموطِّؤون لظهوره ﷺ وأهل الدِّين واليقين ، والنصوص تمدحهم بما لا يقوم قلم له . وتطيعه أهل اليمن ، ومنها تخرج راية اليماني التي تعلن ولاءها للإمام ﷺ وتقدُّمُ الجيشِ لنصرته وتسير بين يديه . في حين تعلن جموع مختلفة ولاءها للإمام المهدي في بقاعٍ مختلفة دون أي حربٍ ، بل هي تبعث إليه بولاءها بعدما ترى من العلامات والآيات ، فيما تبقى أنظمة كثيرة وجبهات مختلفة مصرةً على حربها مع المهدي ﷺ ..

ويقصد المهديُّ الشامَ بجيشه ، وتقع فيها الصيحة والخوف من الجند القادم ، وما آل إليه الأمر من إعادة تجميع مكوِّنات مختلفة فالحجاز تعلن الولاء للمهدي ، فيما يخوض معركة في المدينة ينتصر فيها على ما بقي من جيش السفياني وفلول النظام السابق الذين يعلنون التعبئة لقتال الإمام ﷺ .. وقيل ذلك يدخل الإمام إلى العراق .

ويجبن السفياني عن مقارعة المهدي ﷺ فيما يرى بين يديه من جندٍ وجيشٍ وآيات ، وتسقط مدن من الشام ومناطق دون حربٍ أمام تراجع السفياني ، فلا يزال أصحابه به حتى يخرجونَهُ بجيشٍ كبيرٍ قدَّره النصُّ بـ « ٢٦٠ ألفاً » ، فينزل جيش المهدي البلاد ، لا يدخل بلداً إلا دخله الأمن والأمان . وأيقن الناسُ فيه بالإطمئنان ، وعن يمينه ﷺ جبرائيل ، وعن شماله ميكائيل ، والناس يلحقونه من الآفاق حتى يجتمع عليه الجميع العظيم ، فيلحقوا بالسفياني على بحيرة طبريّة ، وتقع بينهم الواقعة ،

الفريقين إلا مرسلة عقد الدرر ، ولكن جملة من مضامينه وفقراته وردت في روايات مسندة ، ولكن تفصيل الشام في عصر المهدي ﷺ على الحديثة المنورة لم نجده في رواية أخرى ولا نظن وجوده] [المعجم] .

ويغضب اللهُ على السفياني وجنده ، ويغضب سائرُ خلقه عليه ، حتى الطير من السماء ترميه بالعذاب ، والجبال ترميهم الصخور ، فتكون وقعة يهلك فيها جيش السفياني ، ويهرب السفياني إلا أنه يُلقى القبضُ عليه فيُقتل .. وبعد مقتل السفياني تبدأ مرحلة جديدة من جبهة الإمام ﷺ الذي يدخل العراق قبل الشام ، ويسيطر على منطقةٍ واسعة من خريطة الشرق الأوسط كما في تعبير اليوم ..

لكن جبهة الروم والترك ويأجوج ومأجوج والدجال وغيرها ما زالت من سمات المرحلة الجديدة التي ستخوضها جبهة الإمام المهدي في ظلِّ ظروفٍ دوليّة وتعقيدات مختلفة ، وجبهاتٍ متعددة ..

أصحاب المهدي عليه السلام [حُكّام الأقاليم في الأرض]

ممّا اتفقت عليه النصوص أنّ جماعةً كريمة لهم صفةٌ خاصّة ، وعلى نحوٍ من شأنٍ عظيم ، يكونون من أصحابِ المهدي عليه السلام ، بل هم ولاتُهُ وحُكّامُهُ على الأقاليم في الأرض بعد أن يستتبَّ الأمر ويتنشر العدل .

هؤلاء الأصحاب يأتون إليه عليه السلام من أقطارٍ مختلفة من الأرض . وفي الرواية عن جابر الجعفي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : [.. يبايع القائم عليه السلام بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيّف ، عدّة أهل بدر . فيهم النجباء من أهل مصر ، والابدال من أهل الشام ، والاخيار من أهل العراق . فيقيم ما شاء الله أن يقيم][1] .

وفي تاج المواليد قال : [وجاءت الاخبار عنهم عليهم السلام ، وفيها : [يبايعه . . من النجباء والابدال والاخيار ، كلّهم شابٌّ لا كهل فيهم ، ثم يصير إليه شيعته من أطراف الارض تُطوى لهم طيّاً حتى يبايعوه ، ويكون دار ملكه الكوفة ، وأكثر مقامه صلوات الله عليه بها][2] .

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : غيبة النعماني : صـ ٢٨٤ –

[2] : صـ ١٥١ –

وتركّز النصوص على أنّهم مجهولون في الأرض قبل ظهوره الشريف ، غير معروفين ، أي مغمورون ، ليس لهم هذا الصيت الواسع وهذا النحو من الوصف الخاص ، رغم معرفة نسبهم ونسب آبائهم . يكونون في مناطق منتشرة من العالم ، فإذا بانت العلامات ، وتحقّقت الشروط ، بعث الله بهم من مشرق الأرض ومغربها إلى مكّة ، منهم مَن تحمله الغيم ، ومنهم مَن تُطوَى له الأرض ، بسرعة قصوى ، إشارة إلى أدوات نقل سريعة منها ما هو من وسائل الجو ، ومنها ما هو من وسائل الأرض ، والتعبير يشيرُ إلى وسيلة شديدة السرعة . وكانت العرب تُعبّر بطوي الأرض لمن عنده خيلٌ سريعة .. أمّا ما هي وسيلة النقل ، ومَن يطوِّعها لهم ؟ النصوص لا تشير إلى تفاصيل من هذا القبيل ..

وفي الرواية عن أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال : [.. أصحاب القائم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، أولادُ العجم (ميزة ظاهرة للغلبة أو للنوع البارز) بعضُهُم يُحمَلُ في السحاب نهاراً ، ويُعرف باسمه واسم أبيه ونسبه وحليته ، وبعضهم نائمٌ على فراشه ، فيوافيه في مكّة على غير ميعاد][1] .

إشارة إلى انتقالٍ يتمُّ عبر الجو ، وانتقال يتمُّ عبر الأرض . ومنهم من يأتيه ﷺ في النهار ، ومنهم مَن يأتيه في الليل . وكلُّهم يعتمدون السريّة في أمرهم هذا ..

واللافت انّ العديد من النصوص تتعرّض لهم ، ولذكرهم ، وتشير إلى بعضِ الظروف التي يخرجون فيها بمكّة ، وتحدّد عددهم وصفتهم .

---

[1] النعماني : ص ٢١٥ ب ٢٠ ح ٨

وفي الرواية عن محمد بن الحنفية قال : كُنّا عندَ علي ﷺ ، فسأله رجلٌ عن المهدي ﷺ ؟ فقال علي ﷺ : [هيهات – ثم عقد بيده سبعاً – فقال : ذاك يخرج في آخر الزمان ، إذا قال الرجلُ : الله الله قُتِل ، فيجمعُ اللهُ تعالى له قوماً قزع كقزع السحاب ، يؤلّف اللهُ بين قلوبهم ، لا يستوحشون إلى أحد ، ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم ، على عدّةِ أصحاب بدر ، لم يسبقهم الأوّلُون ، ولا يدركهم الآخرون ، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر][1] .

أي أنّهم قومٌ شديدو الإخلاص للدّين ، وعلى نحوٍ خاصٍ من الصفة التي تُؤهّلُهُم أن يكونوا أصحاب المهدي ﷺ ، لهم يقين رفيع ، واعتقاد راسخ ، إلى درجة لا يستوحشون من أحد ، ولا يفرحون بأحد ، رغم أحداث العالم والتغيُّرات الضخمة التي تلفُّ الدنيا آنذاك . هم جماعة على عدد أصحاب بدر : ٣١٣ رجلاً ، يكونون في وقت ممنوع فيه ذكر الله أو إعلان أمره . وبتعبير آخر : يكون الدّين مُحارَباً بشكلٍ كبير ، إذا قال الرجلُ : الله الله قُتِل ، أي هناك حملة إرهابيّة واسعة ، تطال المتديّنين أو الدعوة إلى الدّين ، يصل معها الأمر إلى إعلان عقوباتٍ مختلفة وواسعة في المجتمعات المتنوّعة على أولئك الذين يُعظّمون أمر الدّين أو يمارسون شعائره بشكلٍ سليم .

ويبدو من طي معنى الحديث وغيره أنّ حملة الإرهاب هذه تكون شديدة التنوُّع ومنفلشة في أقطارٍ مختلفة من العالم ..

---

[1] الحاكم : ج ٤ ص ٥٥٤ وقال : [قال أبو الطفيل : قال ابن الحنفية : أتريده ؟ قلت : نعم . قال : إنه يخرج من بين هذين الخشبتين . قلت : لا جرم والله لا أريمهما حتى أموت فمات بها . يعني مكة حرسها الله تعالى] وقال : [هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه] .

وعن الإشارة إلى تعدُّد بقاعهم ومناطقهم ؟ قال الإمام علي ﷺ – وهو يصفهم – : [.. إذا قام قائمُ أهل محمد ، جمع اللهُ له أهلَ المشرق وأهلَ المغرب ، فيجتمعون كما يجتمع قزع الخريف ، فأمَّا الرفقاء فمن أهل الكوفة ، وأما الأبدال فمن أهل الشام][1] . أي : أصحابُ المهدي الخواص منتشرون هنا وهناك ، وعلى عدد أصحاب بدر ، يجمعهم اللهُ من مناطقهم المختلفة بين شرقٍ وغرب حتى يقدمون مكَّة حيث المهديُّ بانتظارهم .

ويبدو أنَّ هنالك ميزة لبعضهم ، ففي ذيل النصِّ أشار ﷺ إلى أنَّ الرفقاء فمن أهل الكوفة ، أمَّا الأبدال فمن أهلِ الشام .. وسنرى فيما بعد – إن شاء الله – أنَّ الرفقاء والأبدال لهم صفة مهمَّة رفعتهم إلى هذا العنوان ..

ويبدو من طيَّات بعض النصوص أنَّ هؤلاء الأصحاب الأجلَّاء يكونون مجهولين من قبل ، أي ليست لهم هذه الصفة الضخمة في الناس ، على أنَّهم معرفون في النسب ، لكنَّهم مغمورون في الناس . ففي كتاب « صفين » للمدائني قال : خطب عليٌّ ﷺ بعد انقضاء أمر النهروان ، فذكر طرفاً من الملاحم وقال :

[.. ذلك أمرٌ الله ، وهو كائن وقتاً مريحاً ، فيا بن حيرة الاماء ، متى تنتظر ، أبشر بنصرٍ قريبٍ من ربٍّ رحيم ، فبأبي وأمي من عدَّة قليلة أسماؤهم في الأرض مجهولة ، قد دان حينئذٍ ظهورهم ، يا عجباً كل العجب ، بين جمادي ورجب ، من جمع شتات ، وحصد نبات ، ومن أصوات

---

[1] تهذيب ابن عساكر : ج ١ ص ٦٢

بعد أصوات . ثم قال : سبق القضاء سبق]١ .. النصُّ يشيرُ إلى هؤلاء الجماعة الأجلاء الذين يكون لهم زمنَ المهديِّ ﷺ نحوٌ رفيعٌ من المعظمة ، في حين قبيل الظهور تكون أسماءُهم مجهولةً . وهل ذلك يعني عدم تصدّيهم للحكم أو الإمارة أو الدعوة بما تعنيه حاجة الشريعة أم أنّهم رغم ما هم فيه من قيادة أهل الحقّ أو البذل في سبيلِ تثبيت ما أمكن من الإسلام الشريف تجدهم قلّة ، لا ينظر العالم إليهم على نحوٍ من صفات مركزيّة رفيعة ، بل يتعاملون معهم على أنّهم قادة جيوب تعلن الإسلام لكنّها قليلة وغريبة في هذا العالم ..؟ أقول : الثاني هو الظاهر وتشهد له طائفة صريحة من النصوص . منها الروايات التي تتحدّث عن أبدال الشام وعصائب العراق ونجباء مصر ..

وعن صفة أعمارهم تشير طائفة من النصوص إلى أنّهم من جيل الشباب ، إلا قلّة قليلة منهم لهم عمرٌ في الكهولة ، فقد ورد عن أبي يحيى حكيم بن سعد قال : سمعت عليّاً ﷺ يقول : [.. إنّ أصحاب القائم ﷺ شبابٌ لا كهول فيهم إلا كالكحل في العين أو كالملح في الزاد ، وأقل الزاد الملح]٢ .. أي الكهول قلّة ، والغالب شباب . وعن فتن السليلي بسنده عن أبي يحيى الحكم بن سعيد قال : سمعتُ عليّاً يقول : [.. أصحاب المهدي

---

١ كتاب صفين – المدائني : على ما في ينابيع المودة : ينابيع المودة : صـ ٥١٢ ب ٩٩ – وقال : « قال رجلٌ من أهل البصرة إلى رجل من أهل الكوفة في جنبه : أشهد أنه كاذب . قال الكوفي : والله ما نزل عليٌّ من المنبر حتى فلج الرجل فمات من ليلته » .

٢ [الفضل بن شاذان] : على ما في غيبة الطوسي . * : النعماني : صـ ٢٦٥ ب ٢٠ ح ١٠ – ملاحم ابن طاووس : صـ ١٤٤ ب ٧٧ .

شبابٌ لا كهل فيهم [1] . أي غالبهم الأعظم شباب ، إلا قلّة قليلة كالملح في الزاد ، أي قلّة جداً لهم صفة الكهول . وعن ميزة بعضهم ..؟ قال الإمام علي عليه السلام : [الأبدالُ بالشام ، والنجباءُ بمصر ، والعصائب بالعراق] [2] .

وقد ورد هذا التعبير بأكثر من لسان .. وعنه عليه السلام : [.. قبة الاسلام بالكوفة ، والهجرة بالمدينة ، والنجباء بمصر ، والابدال بالشام ، وهم قليل] [3] .

وفيه أيضاً عنه عليه السلام : [.. الابدال من الشام ، والنجباء من أهل مصر ، والاخيار من أهل العراق] [4] .

وهذا يعني أنّ أبدال الشام ، ونجباء مصر ، وعصائب العراق ، يكون لهم دور بارز ، والنصوص تؤكّدهُ ، وهذا ما سنتحدّث عنه في فصل الرايات بشكل مستقلّ .

ويهمّني هنا أن أشير إلى أنّ هؤلاء يكونون على نهج وولاء آل محمّد ، يعلنون أمر المهدي مشروعاً استراتيجيّاً في قضيّتهم الإجتماعيّة السياسيّة الوجوديّة ، وهم الذين يعانون من أنواع البلاء زمن تمدّد دولة السفياني الدمويّة . وقبل السفياني يعانون من الروم وقوى العالم الجائرة التي تقود النظام الدولي آنذاك ..

---

[1] (الفضل بن شاذان) : على ما في غيبة الطوسي . * : النعماني : صـ ٢١٥ ب ٢٠ ح ١٠ – ملاحم ابن طاووس : صـ ١٤٤ ب ٧٧ .

[2] الخرائج : ج ١ صـ ٨٧

[3] تهذيب ابن عساكر . ج ١ صـ ٦٢ – مرسلا ، ونصه

[4] : صـ ٦٢ – مرسلا أيضا ، ونصه

وأبدال الشام – هذا التعبير ينطبق على بلاد الشام بما يقرب من أكناف بيت المقدس . وبعض النصوص صريحة جداً في بيان انّه منطقة جنوب لبنان وهو إشارة إلى لبنان – هؤلاء يعانون من حصار وعنف وبطش يمتدُّ إليهم زمن دولة السفياني فيصبرون وينجّيهم اللهُ بصبرهم وجهادهم وثباتهم ، فلا تدخلهم دولة السفياني . ويبدو أنّ هؤلاء الأبدال من بلاد الشام يكونون قريبين من أكناف بيت المقدس .

وفي الرواية عن أبي الطفيل قال : خطبنا علي رضي الله عنه ، فذكر الخوارج ، فقام رجل فلعن أهل الشام ، فقال له : [ويحك ، لا تُعِم ، إنْ كُنتَ لاعناً فلاناً وأشياعه ، فإنّ منهم الأبدال ومنهم النجباء][1] ..

وعن ظرفهم وزمنهم – أي وصف العالم - زمن ظهور أو قرب ظهور أصحاب المهدي ، فهو كما أشرنا في كثيرٍ من العناوين : عصرٌ تتلاحم فيه الفتن ، وتتكاثر فيه رايات الفساد ، وتتنكّر فيه الأمم لخالقها ، وتتنقّل الحروب من بلدٍ إلى بلد ، المرأة تجد رزقها في فرجها ، والرجل يستغلُّ دبره وشهوته ، ويُغار على الأطفال كما يُغار على الجارية ، ويكثر شرب الخمر والمسكرات ، ويفشوا المخدّر ، ويشيع الطرب واللهو بما يعصي الله جهرةً ، بل في نصوصٍ ظاهرة تامّة أنّ المخدّر يكثر . ويشيع الزنا ، ويُعصَى اللهُ بالعلن والإفتخار ، وتضييع الحقوق ، فلا يُتناهى عن منكر ، ولا يُأمرُ بمعروف . وتتغيّر المعايير ، فيحلّلون الحرام ، ويحرّمون الحلال . ويسخرون من قيم الإسلام ، ويكثر الجور والفساد ، في الأفعال والمواثيق والصيَغ التعاملية ، من ربا في التجارة إلى الرشوة على الأحكام ،

---

[1] نفس المصدر .

إلى إعلان شرائع وقيم ما أنزل اللهُ بها من سلطان .. كلُّ هذا فضلاً عن الحيرة التي تصيب الناس زمن الغيبة وسط عالَمٍ يطوف فيه الفساد والإستبداد وتقوده الشهوة والمال ، بحيث يتحوّل الجور والفساد من قيمةٍ عرفيّةٍ إلى مواثيق إجتماعيّة .. وفي الرواية عن الحارث الأعور الهمداني قال : قال أمير المؤمنين ﷺ على المنبر :

[.. إذا هلك الخاطب ، وزاغ صاحب العصر ، وبقيت قلوبٌ تتقلّبُ فمن مخصب ومجدب ، هلك المتمنّون ، واضمحلّ المضمحلّون ، وبقي المؤمنون ، وقليل ما يكونون ، ثلاثمائة أو يزيدون ، تجاهدُ معهم عصابة جاهدت مع رسول الله ﷺ يوم بدر ، لم تقتل ولم تمت][1] .

وقد قال النعماني في شرح ذلك : « معنى قول أمير المؤمنين ﷺ : وزاغ صاحب العصر ، أراد صاحب هذا الزمان الغائب الزائغ عن أبصار هذا الخلق لتدبير الله الواقع . ثم قال : وبقيت قلوبٌ تتقلّب فمن مخصب ومجدب ، وهي قلوب الشيعة المتقلّبة عند هذه الغيبة والحيرة ، فمن ثابت منها على الحقّ مُخصب ، ومن عادل منها إلى الضلال وزخرف المقال مُجدب .

ثم قال : هلك المتمنّون . ذمّاً لهم وهم الذين يستعجلون أمرَ الله ولا يُسلّمُون له ، ويستطيلون الأمد فيهلكون قبل أن يروا فرجاً ، ويُبقي اللهُ مَن يشاء أن يبقيه من أهل الصبر والتسليم حتى يلحقه بمرتبته ، وهم المؤمنون ، المخلصون القليلون الذين ذكر ﷺ أنّهم ثلاثمائة أو يزيدون ، ممّن أهمّهُ اللهُ بقوّة إيمانه وصحّة يقينه لنصرة وليّه ﷺ وجهاد عدوّه ، وهم كما جاءت الرواية : عمّالُهُ وحكّامُه في الأرض عند استقرار الدار به ووضع

---

[1] النعماني : ص ١٩٥ - ١٩٦ ب ١١ ح ٤

الحرب أوزارها . ثم قال أمير المؤمنين ﷺ : تجاهد معهم عصابةٌ جاهدت مع رسول الله ﷺ يوم بدر ، لم تقتل ولم تمت ، يريد أنّ الله عزّوجلّ يُؤيّد أصحاب القائم ﷺ هؤلاء الثلاثمائة والنيّف الخُلّص بملائكة بدر ، وهم أعدادهم . جعلنا اللهُ ممّن يُؤهّله لنصرة دينه مع وليه ﷺ ، وفعل بنا في ذلك ما هو أهله » .

وفي الرواية عن أبي الجارود قال : سمعت أبا جعفر ﷺ يقول : [.. ليس منّا أهل البيت أحد يدفع ضيماً ولا يدعوا إلى حق إلا صرعتهُ البليّة ، حتى تقوم عصابة شهدت بدراً ، لا يُوارى قتيلها ولا يُداوى جريحها . قلت : مَن عنى أبو جعفر ﷺ بذلك ؟ قال : الملائكة][1] .

وأيضاً بلفظ آخر عن أبي الجارود عن أبي جعفر ﷺ قال : قلت له ﷺ : أوصني ، فقال : [.. أوصيك بتقوى الله ، وأن تلزم بيتك ، وتقعد في دهماء هؤلاء الناس ، وإياك والخوارج منا . فإنهم ليسوا على شيئ ولا إلى شيئ . واعلم أنّ لبني أميّة ملكاً لا يستطيع الناس أن تردعه ، وأنّ لأهل الحقّ دولة ، إذا جاءت ولّاها اللهُ لمن يشاء منّا أهل البيت ، فمن أدركها منكم كان عندنا في السنام الاعلى ، وإن قبضه اللهُ قبل ذلك خار له .

واعلم أنه لا تقوم عصابة تدفع ضيماً ، أو تعز ديناً ، إلا صرعتهم المنيّة والبلية ، حتى تقوم عصابة شهدوا بدراً مع رسول الله ﷺ ، لا يُوارى قتيلهم ، ولا يُرفَعُ صريعهم ، ولا يُداوَى جريحهم . قلت : مَن هم ؟ قال ﷺ : الملائكة][2] .

---

[1] النعماني : ص ١٩٥ ب ١١ ح ٢

[2] النعماني : ص ١٩٤ ب ١١ ح ٢

تأكيداً منه ﷺ انَّ الله تعالى ينصر المهديَّ بالملائكة . وقد ثبت في نصوصٍ عديدة انَّ اللهَ ينصر المهديَّ بالرعب ، وانَّ جبرائيل واسرافيل يكونان معه بالإضافة إلى عناوين وأمور تدلُّ على معنى التدخُّل الرباني والخيار الإعجازي ، لكن أين وكيف ..؟ الأمور هنا تتوقَّف على إرادة الله تعالى ونصرة وليِّه ضمن معايير البلاء للأمم وامتحان الشعوب حتى لا يكون للناس على الله حجَّة ..

وبطبيعة الحال ، يكون أصحاب المهدي ﷺ من ضمن نخبة القادة الذين على مرحلة رفيعة من الدِّين واليقين والإخلاص والتعظيم . وفي رواية جابر بن يزيد عن أبي جعفر ﷺ قال : [.. كأنِّي بأصحاب القائم ﷺ وقد أحاطوا بما بين الخافقين ، فليس من شيء إلا وهو مطيع لهم ، حتى سباع الارض ، وسباع الطير ، يطلب رضاهم في كلِّ شيء حتى تفخر الأرض على الارض وتقول : مرَّ بي اليومَ رجلٌ من أصحاب القائم ﷺ][1] .

وهل ذلك يكون قبل نفوذ الإمام ﷺ ونشر أمره أم بعدهُ ؟ النصُّ مفتوح على المعنيين ، والثاني أرجح بدلالة النصوص . فإذا كان ناظراً إلى المعنى الأوَّل ، فهو يثبت أنَّ لديهم شيئاً من سلطة تكوينية من الله تعالى . وإذا كان المعنى الثاني فهو يعني أنَّهم الولاة والحكَّام على الأقاليم من جهة ، ومن جهة ثانية لديهم من فضل الله ما يعطيهم سلطنةً على سباع الأرض وطيور السماء . أو أنَّ النصَّ في مقام التأكيد ولو بلسان الكناية على أنَّ أمر المهديِّ ﷺ سينتشر حتى يكون سلطتُهُ شاملةً كلَّ شيء . وقد ورد عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال : [.. إنَّ الله تعالى يلقي في قلوب شيعتنا

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٧٣ ب ٥٨ ح ٢٥

الرعب ، فإذا قام قائمنا وظهر مهدينا كان الرجل أجرأ من ليث ، وأمضى من سنان][1] . تأكيداً على نحوٍ محدَّدٍ من تعاظم أمر الشيعة في زمن الظهور ، وبالأولى تعاظمُ أمرِ أصحابه[2] عليه السلام .

وفي الرواية عن سعد عن أبي جعفر عليه السلام قال : [.. حديثُنا صعبٌ مستصعب ، لا يحتمله إلا ملكٌ مقرَّب ، أو نبيٌ مُرسَلٌ ، أو مؤمنٌ مُمتَحَنٌ ، أو مدينةٌ حصينة . فإذا وقع أمرنا ، وجاء مهدينا ، كان الرجلُ من شيعتنا أجرى من ليثٍ ، وأمضى من سنان ، يطأ عدونا برجليه ، ويضربه بكفيه ، وذلك عند تزول رحمة الله وفرجه على العباد][2] .

إثباتاً لحقيقة تغيُّر ما طرأ على موازين القوى وأدواتها وطبيعة الأطراف ونماذج الصراع ، يُضافُ إلى ذلك : ثبت أنَّ الله تعالى ينصر المهدي عليه السلام بوسائل مختلفة تشيرُ إلى النوع الإعجازي ، منها ما رواه ضريس بن عبد الملك عن أبي جعفر عليه السلام قال : [.. إنَّ الملائكة الذين نصروا محمَّداً صلى الله عليه وآله يوم بدر في الارض ، ما صعدوا بعد ، ولا يصعدون

---

[1] حلية الاولياء : ج ٣ ص ١٨٤ - الاختصاص : ص ٢٦ عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام (ألقي الرعب في قلوب شيعتنا عن عدونا ، فإذا [وقع أمرنا وخرج مهدينا كان أحدهم أجرأ من الليث ، أمضى من السنان ، يطأ عدونا بقدميه ، ويقتله بكفيه] .

[2] وفي رواية يزيد العجلي ، قال : قيل لأبي جعفر الباقر عليه السلام : إنَّ أصحابنا بالكوفة جماعة كثيرة ، فلو أمرتهم لأطاعوك وتبعوك ، فقال عليه السلام : [يجئ أحدهم إلى كيس أخيه فيأخذ منه حاجته ؟ فقال : لا ، قال عليه السلام : فهم بدمائهم أبخل ، ثم قال عليه السلام : إنَّ القائم في هدنة ، تذكحهم وتوارثهم ، وتقيم عليهم الحدود ، وتؤدي أماناتهم ، حتى إذا قام القائم جاءت المزاينة ، ويأتي الرجل إلى كيس أخيه فيأخذ حاجته لا يمنعه] [الاختصاص : ص ٢٤ - - * : إثبات الهداة : ج ٣ ص ٥٥٧ ب ٢٢ ف ٣٣ ح ٥-٦٠] .

[3] بصائر الدرجات : ص ٢٤ ب ١١ ح ١٧

حتى ينصروا صاحب هذا الامر . وهم خمسة آلاف][1] . لكنّ طبيعة الإعتماد على المُعجِز وحدود استعمال الولاية التكوينيّة لم تحدّده النصوص . أمّا ماذا عن أسماء أصحابه ﷺ وبقائهم وبعض معالم ظهورهم وانتقالهم إلى مكّة ، ومبايعتهم للمهدي ﷺ ؟ روى الاصبغ بن نباتة قال : خطب أمير المؤمنين علي ﷺ خطبةً فذكرَ المهديَّ ﷺ وخروج من يخرج معه وأسماءهم ، فقال له أبو خالد الحلبي : صفه لنا يا أمير المؤمنين ؟ فقال علي ﷺ :

[ألا إنّه أشبهُ النّاسِ خلقاً وخُلُقاً وحُسناً برسول الله ﷺ . ألَا أدلُّكُم على رجالِه وعددِهم ؟ قلنا : بلى يا أمير المؤمنين ، قال : سمعت رسول الله ﷺ قال أوّلُهُم مِن البصرة ، وآخرهم من اليمامة . وجعل علي ﷺ يعدّدُ رجال المهدي ﷺ ، والناس يكتبون فقال ﷺ : رجلانِ من البصرة ورجلٌ من الاهواز ، ورجلٌ من عسكر مكرم ، ورجل من مدينة تستر ، ورجل من دورق ، ورجل من الباستان واسمه علي ، وثلاثة من اسمه : أحمد وعبد الله وجعفر ، ورجلان من عمان محمد والحسن ، ورجلان من سيراف شدّاد وشديد ، وثلاثة من شيراز حفص ويعقوب وعلي ، وأربعة من أصفهان موسى وعلي وعبد الله وغلفان ، ورجل من أبدح واسمه يحيى ، ورجل من المرج (العرج) واسمه داود ، ورجل من الكرخ واسمه عبد الله ، ورجل من بروجرد اسمه قديم ، ورجل من نهاوند واسمه عبد الرزاق ، ورجلان من الديتور عبد الله وعبد الصمد ، وثلاثة من همدان جعفر وإسحاق وموسى ، وعشرة من قم أسماؤهم على أسماء أهل بيت رسول

---

[1] العياشي : ج ١ ص ١٩٧ ح ١٢٨

الله ﷻ ، ورجل من خراسان اسمه دريد ، وخمسة من الذين أسماؤهم على أهل الكهف ، ورجل من آمل ، ورجل من جرجان ، ورجل من هراة ، ورجل من بلخ ، ورجل من قراح ، ورجل من عانة ، ورجل من دامغان ، ورجل من سرخس ، وثلاثة من السيار ، ورجل من ساوة ، ورجل من سمرقند ، وأربعة وعشرون من الطالقان وهم الذين ذكرهم رسول الله ﷺ ، وفي خراسان كنوزٌ لا ذهب ولا فضة ولكن رجالٌ يجمعهم الله ورسوله ، ورجلان من قزوين ، ورجل من فارس ، ورجل من أبهر ، ورجل من برجان من جموح ، ورجل من شاخ ، ورجل من صريح ، ورجل من أردبيل ، ورجل من مراد ، ورجل من تدمر ، ورجل من أرمينية ، وثلاثة من المراغة ، ورجل من خوى ، ورجل من سلماس ، ورجل من أردبيل ، ورجل من بدليس ، ورجل من نسور ، ورجل من بركري ، ورجل من سرخيس ، ورجل من منارجرد ، ورجل من قلقيلا ، وثلاثة من واسط ، وعشرة من الزوراء ، وأربعة من الكوفة ، ورجل من القادسية ، ورجل من سوراء ، ورجل من السراة ، ورجل من النيل ، ورجل من صيداء ، ورجل من جرجان ، ورجل من القصور ، ورجل من الأنبار ، ورجل من عكبرا ، ورجل من الحنانة ، ورجل من تبوك ، ورجل من الجامدة ، وثلاثة من عبادان ، وستة من حديثة الموصل ، ورجل من الموصل ، ورجل من مغلثايا ، ورجل من نصيبين ، ورجل من كازرون ، ورجل من فارقين ، ورجل من آمد ، ورجل من رأس العين ، ورجل من الرقة ، ورجل من حران ، ورجل من بالس ، ورجل من قبج ، وثلاثة من طرطوس ، ورجل من القصر ، ورجل من أدنة ، ورجل من خمرى ، ورجل من عزاز ، ورجل من قورص ، ورجل من أنطاكية ، وثلاثة من حلب ، ورجلان من حمص ، وأربعة من دمشق ، ورجل من سورية ، ورجلان من قسوان ، ورجل من قيموت ، ورجل من

صور ، ورجل من كراز ، ورجل من أذرع ، ورجل من عامر ، ورجل من دكار ، ورجلان من بيت المقدس ، ورجل من الرملة ، ورجل من بالس ، ورجلان من عكا ، ورجل من صور ، ورجل من عرفات ، ورجل من عسقلان ، ورجل من غزة ، وأربعة من الفسطاط ، ورجل من قرميس ، ورجل من دمياط ، ورجل من المحلة ، ورجل من الاسكندرية ، ورجل من برقة ، ورجل من طنجة ، ورجل من أفرنجة ، ورجل من القيروان ، وخمسة من السوس الاقصى ، ورجلان من قبرص ، وثلاثة من خميم ، ورجل من قوص ، ورجل من عدن ، ورجل من علالي ، وعشرة من مدينة الرسول ﷺ ، وأربعة من مكة ، ورجل من الطائف ، ورجل من الدير ، ورجل من القيروان ، ورجل من زبيد ، وعشرة من مرو ، ورجل من الاحساء ، ورجل من القطيف ، ورجل من هجر ، ورجل من اليمامة .

قال عليه الصلاة والسلام : أحصاهُم لي رسول الله ﷺ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، بعدد أصحاب بدر ، يجمعهم اللهُ من مشرقها إلى مغربها في أقل مما يتم الرجلُ عيناه ، عند بيت الله الحرام ،

فبينا أهل مكة كذلك فيقولون أهل مكة : قد كبسنا السفياني ، فيشرئبون أهلُ مكَّة فينظرون إلى قومٍ حولَ بيت الله الحرام ، وقد انجلى عنهم الظلام ولَاحَ لهم الصبح ، وصاحَ بعضهم ببعضٍ النجاة ، وأشرف الناسُ ينظرون وأمراؤهم يفكّرُون . قال أمير المؤمنين عليه السلام : وكأني أنظر إليهم والزيُّ واحد ، والقد واحد ، والجمال واحد ، واللباس واحد ، كأنَّما يطلبونَ شيئاً ضاع منهم ، فهم متحيِّرونَ في أمرهم حتى يخرج إليهم من تحت ستار الكعبة في آخرها رجلٌ أشبهُ الناس برسول الله ﷺ خلْقاً وخُلُقاً وحُسناً وجمالاً ، فيقولون : أنت المهدي ؟ فيُجيبهم ويقول : أنا المهدي ،

فيقول : بايعوا على أربعين خصلة واشترِطُوا عشرة خصال . قال الأحنف يا مولاي وما تلك الخصال ؟ فقال أمير المؤمنين ﷺ : يبايعون علي : ألا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا ، ولا يهتكوا حريماً محرماً ، ولا يسبوا مسلماً ، ولا يهجموا منزلاً ، ولا يضربوا أحداً (إلا) بالحق ، ولا يركبوا الخيل الهماليج ، ولا يتمنطقوا بالذهب ، ولا يلبسوا الخز ، ولا يلبسوا الحرير ، ولا يلبسوا النعال الصرارة ، ولا يخرّبُوا مسجداً ، ولا يقطعوا طريقاً ، ولا يظلموا يتيماً ، ولا يخيفوا سبيلاً ، ولا يحتسبوا مكراً ، ولا يأكلوا مال اليتيم ، ولا يفسقوا بغلام ، ولا يشربوا الخمر ، ولا يخونوا أمانة ، ولا يخلفوا العهد ، ولا يحبسوا طعاماً من برٍّ أو شعير ، ولا يقتلوا مستأمناً ، ولا يتبعوا منهزماً ، ولا يسفكوا دماً ، ولا يُجهِزُوا على جريح ، ويلبسون الخشن من الثياب ، ويوسّدُون التراب على الخدود ، ويأكلون الشعير ، ويرضون بالقليل ، ويجاهدون في الله حقّ جهاده ، ويشمّون الطيب ، ويكرهون النجاسة .

ويشرط ﷺ لهم على نفسه ألّا يتّخذ صاحباً ويمشي حيث يمشون ويكون من حيث يريدون ، يرضى بالقليل ، ويملأ الارض بعون الله عدلاً كما مُلئت جوراً ، يعيد اللهَ حقّ عبادته .

يفتح له خراسان ، ويطيعه أهلُ اليمن ، وتقبل الجيوش أمامه من اليمن فرسان همدان وخولان وجده يمدّه بالأوس والخزرج ، ويشد عضده بسليمان على مقدّمته عقيل ، وعلى ساقته الحرث ، ويكثر الله جمعه فيهم ، ويشد ظهره بمضر ، يسيرون أمامه ويخالف بجيلة وثقيف ومجمع وغداف ، ويسير بالجيوش حتى يترك وادي الفتن ، ويلحقه الحسني في اثني عشر ألفاً فيقول له : أنا أحق بهذا الامر منك ، فيقول له : هات علامات

دالة ؟ فيومي عليه السلام إلى الطير فيسقط على كتفه ، ويغرس القضيب الذي بيده فيخضر ويعشوشب ، فيسلم إليه الحسني الجيش ، ويكون الحسني على مقدمته ،

وتقع الصيحة بدمشق : انَّ أعراب الحجاز قد جمعوا لكم ، فيقول السفياني لأصحابه : ما يقولُ هؤلاء القوم ؟ فيُقَال له هؤلاء أصحابُ تركٍ وإبل ، ونحن أصحابُ خيل وسلاح ، فاخرج بنا إليهم . قال الأحنف : ومن أيِّ قومٍ السفياني ؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام : هو من بني أمية ، وأخواله كلب ، وهو عنبسة بن مرة بن كليب بن سلمة بن عبد الله بن عبد المقتدر بن عثمان بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس (إشارة ترميزيّة باسماء آباءه وليس عدّاً طبقيّاً كاملاً لهم) ، أشدُّ خلقِ الله شرّاً ، وألعن خلق الله حيّاً ، وأكثر خلق الله ظلماً ، فيخرج بخيله وقومه ورجاله وجيشه ومعه مائة ألف وسبعون ألفاً ، فينزل بحيرة طبريّة ، ويسير إليه المهدي عليه السلام عن يمينه وعن شماله وجبرئيل أمامه ، فيسير بهم في الليل ويكمن بالنهار ، والناس يتبعونه حتى يواقع السفياني على بحيرة طبريّة ، فيغضب اللهُ على السفياني ، ويغضب خلقُ الله لغضب الله تعالى ، فترشقهم الطير بأجنحتها ، والجبال بصخورها ، والملائكة بأصواتها ، ولا تكون ساعة حتى يُهلك اللهُ أصحابَ السفياني كلّهم ولا يبقى على الارض غيره وحده ، فيأخذه المهديُّ عليه السلام فيذبحه تحت الشجرة التي أغصانها مدلّاة على بحيرة طبرية ، ويملك مدينةَ دمشق ،

ويخرج « ملك الروم » في مائة ألف صليب ، تحت كلِّ صليبٍ عشرةُ آلاف ، فيفتح طرسوسا بأسنّة الرماح ، وينهب ما فيها من الأموال والناس ، ويبعث الله جبرئيل عليه السلام إلى المصيصة ومنازلها وجميع ما فيها فيعلّقها بين

السماء والارض ، ويأتي ملك الروم بجيشه حتى ينزل تحت المصيصة ، فيقول : أين المدينة التي كان يتخوف الروم منها والنصرانية ، فيسمع فيها صوت الديوك ونباح الكلاب وصهيل الخيل فوق رؤوسهم ..]'

في هذا النص إشارة بيانيّة إلى البقاع والأصحاب الذين أعدّهم الله تعالى لنصرة المهديّ عليه السلام ، وهم الذين يكونون ولاته وحكّامه على الأرض في ظلّ حكمه الشريف بعد أن ينتشر العدل فيها . يجمعهم الله تعالى بسرعة كبيرة في مكّة ، يكونون على زيٍّ واحد ، وهيئة واحدة ، وهيبة واحدة ، ما يلفت أنظار أهل مكّة ، الذين يكونون آنذاك منقسمين إلى حزبين بسبب خلاف مُستحكم بينهم . فيخشى القوم أوّلاً أن يكون قد كبسهم السفياني الذي تسمع به الآفاق من شدّة ما فعل وسفك وقتل وأباد ، ثم يرونهم على صفة من ايمان وعبادة ، فيطمئنّون أنهم ليسوا من أصحاب السفياني . فيتداولون أمرهم بينهم فيقول بعضهم لبعض : دعوهم ما لم يأتوا شيئاً ، أي : لم يتجاوزوا حدود ما هو معمول فيه بالبلاد . إلا انّ هؤلاء الأصحاب تبدو عليهم الحيرة ، وكأنّهم يفتّشون عن أمرٍ ضاع عنهم ، وفي حقيقة الحال : يفتّشون عن صاحبهم المهديّ ، الذي يطلبونه فيجدونه فيقول لهم أنا انصاري ، أي ناصر دين الله .

ثم يتركهم ويذهب إلى المدينة فيتبعونه ، فيُقال لهم : إنه ذهب إلى مكة ، فيتبعونه إلى أن يلتقوا به ، ثم يبايعونه على احترام الشريعة في السلم والحرب والمعاش والسلوك ، والقيم الشخصية والإجتماعيّة والمعرفيّة وغيرها ممّا تنصّ عليه شريعة الإسلام في سياسة أو قضاء أو

' عقد الدرر : على ما في ملاحم ابن طاووس . ٥ : ملاحم ابن طاووس : ص ١٤٥ و ٧٦

اقتصاد أو اجتماع أو سوق أو مال أو توزيع ثروة أو استغلال لها ، وأن يأخذوا المال من حلّه ، وأن يضعوه في حلّه ، وأن يعيشوا عيشة الناظر في أمر الآخرة ، الحامل من الدنيا ما يحصّله في مقرّه الخالد ، وصولاً إلى ساحة الحرب والتعامل مع قضايا الحقوق فيها ..

ثم يشرط لهم أن يتخذهُم أصحابه ، وأن يكون فيهم إمام الزاهدين العابدين ، ومَن أعظمُ منه وهو الإمام المُعدُّ لقطع دابر الظالمين وإحقاق الحقّ وإبطال الباطل ..! حتى هذه المرحلة تكون أحداث ضخمة قد جرت في العالم ، منها هلاك جيش السفياني في اصطخر ، وهلاك جيش السفياني الثاني بين مكّة والمدينة في البيداء ، وظهور أعلام الهدى ورايات التأييد للإمام ﷺ في أكثر من عنوان ومنطقة ، منها بروز دور مهمّ للراية الخراسانيّة ، والراية اليمانيّة ، ثم هبوب الناس من كلّ ناحية وصوب إليه ، ليكونوا في جنده وبين يديه . هذا ما يشيرُ إليه النصُّ بوضوح بارز ..

فإذا كان الأمر كذلك بدأت مرحلة جديدة على يد الإمام ﷺ الذي يحرّك جيشه لفتح الجبهات بعد أن يدعو الأمم للعودة إلى الله والإذعان لمنطق الكون والإستخلاف ، وتكون بينه وبين السفياني وقعة عظيمة قرب بحيرة طبريّة ، ينتصر فيها المهديُّ ﷺ ويقتل السفياني بعد غضب عناصر الكون والطبيعة المخلوقة على السفياني من شدّة ما يجاهر به من كفر وعناد وعصيان وسفك للدماء . ويبدو من النصّ أنّ أصحاب السفياني يفتخرون بأنّ لديهم من العدّة والعتاد والأعداد ما يكفل تفوّقهم ، بخلاف ما يرون عند ما يُسمّونهم أعراب الحجاز الذين يقصدون بهم جيش الإمام المهدي ﷺ الذي يكون بين يديه . لكنّ نتيجة الحسم تأتي مذهلة في صالح جيش المهدي ﷺ . ويملك المهدي مدينة دمشق وغيرها .

إلا أنَّ ظروف العالَم شديدة التحوُّل والتطوُّر ، فعلى أثر هذه المعركة – وبعد فترةٍ من الزمن وجملة من الأحداث – تُعلن الروم دخولها الحرب ، بإسم حرب صليبيَّة ، تعلنها حرباً دينيَّة ضدَّ الإمام المهدي ﷺ ، وتأتي بجيشٍ ضخم ، إلى هذه المنطقة ، يخرج ملك الروم في مائة ألف صليب تحت كلُّ صليب عشرة آلاف . ما يعني حملة عسكرية ضخمة جداً ، على أثرها يفتح مدينة طرسوسا كما في لفظ النص . وهذا يعني أنَّ معالم المعركة تتشتت ، وتتكاثر فيها الدواعي ، فالروم تصرُّ على حقِّها في تأمين مصالحها الإستراتيجيَّة في هذه المنطقة لذلك تتدخَّل بقوَّةٍ ضخمة .

في حين السفياني هو الذي كان قد جاء من عند الروم متنصِّراً . ودعمته الروم في حملته الإنقلابيَّة التي يرتكب عبرها ملحمةً دمويَّة هائلة ، لكنَّه يعود فينقلب على الروم ويخوض معها معركة قاسية في منطقة قرقيسيا فيربحها ، لكنَّ هويَّة الحرب التي تعلنها الروم تؤكِّد أنها موجَّهة ليست فقط لحماية مصالحها بل على نحوٍ إضافي آخر يكمن في حملها الصلبان وتفاخرها بها . وهو تعبير عن حرب دينية تعلنها ضدَّ الإمام المهدي ﷺ الذي يمثِّل عظمة الإسلام ..

ويبدو أنَّ حملة الروم تلك تستطيع أن تفتح مناطق محدَّدة من سوريا . وهل تكون الروم في معاقلها بالغرب أم أنها تكون في ذلك الزمن ضمن خريطة الشرق الأوسط ومناطق الشرق بصورةٍ عامَّة ..؟ ليس بين يديَّ معطيات تفصيليَّة . لكنَّ النصوص تشير إلى أنَّ المهدي ﷺ يخرج والروم أكثر الناس . إشارة إلى ظهورهم وانتشارهم وقدرتهم المتعاظمة . بل بعض النصوص صريحة في تواجدهم بالشرق . ثم تكون بينهم وبين المهديِّ هدنة تنتهي حيث تغدرُ بها الروم ، حيث تقتل الروم فرقاً من جيش

المهدي ﷺ في لبنان ، ثم تعمد إلى تجهيز حملة ضخمة لمهاجمة دولة المهدي ﷺ بشكلٍ ضخم . وعلى أثرها يخوض جيش المهدي معركة ضارية ضدّ الروم ، ينتصر عليها في معركةٍ أخيرةٍ يفتح على أثرها عاصمة القرار لديهم وينهي جبهة الروم بشكلٍ نهائي ..

على أنّ خريطة العالم في الجبهات لا تنتهي عند هذا الحدّ ، فهناك مسار تعدُّدي في الجبهات تتابعه جبهات مولانا المهدي ﷺ ..

بداية التحوُّل في ميزان الجبهات [خروج المهدي ﷺ من مكة]

النصوص في بيان خروج المهدي أو أصل خروج المهدي ﷺ كثيرة ، وهي تشيرُ إلى مرحلة حسَّاسة ، ذات تحوُّل كبير في ميزان القوى آنذاك لصالح جبهة المهدي ﷺ ، فخروج جيش المهدي ﷺ يأتي على أثر هلاك جيش السفياني في العراق ومنطقة اصطخر ، على أيدي الخراسانيين الذين ينتصرون لشيعة آل محمّد الذين يوقع السفياني بهم ملحمة دامية ، فيقتل النساء والأطفال والرجال ويصلب الأجساد ، ويغلي الرؤوس بالزيت ويعلن العداء الأعظم لآل محمّد . أمَّا التطوُّر الثاني فيكون في هلاك جيش السفياني بين مكَّة والمدينة ، على أثر خروجه من المدينة التي ينتهكها ويقتل فيها كلُّ موالٍ لآل محمّد ﷺ ، إلا مَن هرب إلى الصحراء والجبال ..

أما الحدث الثالث هو الخلل العنيف الذي يصيب الحجاز ، والذي يتبلور على أثرِ بيعة نظيفة تامة في مكَّة للمهدي ﷺ دون إراقة قطرة دم . بالإضافة إلى ظهور راية اليماني ، ثم تلاحق الناس من كلِّ حدبٍ وصوبٍ ناحية المهديِّ ﷺ للطاعة والمبايعة والقتل والقتال بين يديه .. بالإضافة إلى أمورٍ أخرى تكون في صالح جبهة المهدي ، بخلاف جبهة السفياني التي تعيد انتشار مواقعها وجندها لمواجهة الإستحقاق الجديد . يقول الإمام علي – عن الإمام المهدي ﷺ – : [.. يخرج ﷺ من مكة بعد الخسف في

ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً (أي على قيادة الجيش الجرار ٣١٣ هم أصحابه) ، ويلتقي هو وصاحب جيش السفياني ، وأصحاب المهدي يومئذ جُنَّتُهُم البرانع ، يعني تراسهم ، ويسمع صوت منادٍ من السماء : ألَا إنَّ أولياء الله أصحاب فلان يعني المهدي ، وتكون الدائرة على أصحاب السفياني]١ .

والنصوص في هذا المجال كثيرة . ويبدو من النصوص أنَّ أصحاب السفياني يفاخرون بأنَّ لديهم من العدة والعتاد الحربي ما ليس عند أصحاب المهدي ، وحين يجبن السفياني يصرُّ أصحابُهُ على ضرورة مواجهته للمهدي ﷺ ، وتقع المواجهة بينهم قرب بحيرة طبرية ، ويكون النصر فيها للمهدي ﷺ ..

---

١ أخبار المهدي : على ما في الصراط المستقيم . * : الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٣٦٠ ب ١١ ح ١٢

حركة المهدي ﷺ إلى العراق

تعتبر العراق مقصداً واضحاً في حركة الإمام المهدي ﷺ ، وهي بالتالي تكون من ضمن الخريطة الأولى لتحركه ﷺ .. وسيتّخذ الإمام المهدي ﷺ الكوفة عاصمةً لدولته الشريفة . ومن الكوفة سيُدير شؤون العالم الذي سيقوم على نحوٍ عظيمٍ من القسط والعدل المطلق . وفي الرواية عن الأصبغ بن نباتة قال : بينا نحن ذات يومٍ حول أمير المؤمنين ﷺ في مسجد الكوفة إذ قال :

[.. يا أهل الكوفة : لقد حباكم اللهُ عزّوجلّ بما لم يحبِ به أحداً ، ففضلُ مصلّاكُم وهو بيتُ آدم وبيتُ نوح وبيتُ إدريس ، ومصلّى إبراهيم الخليل ومصلّى أخي الخضر ومصلّاي . وإنّ مسجدكم هذا أحدُ الأربعة المساجد التي اختارها اللهُ عزوجل لأهلها ، وكأنّي به يوم القيامة في ثوبينِ أبيضينِ شبيه بالمحرم يشفع لأهله ولمَن صلّى فيه فلا تُردُّ شفاعته . ولا تذهب الأيّامُ حتى ينصب فيه الحجر الاسود (يشير إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة) ، وليأتينّ عليه زمانٌ يكون مصلّى المهدي ﷺ من وُلدي ، ومصلّى كلّ مؤمنٍ ، ولا يبقى على الارض مؤمنٌ إلا كان به أو حنّ قلبُهُ إليه ، فلا تهجروه ، وتقرّبُوا إلى الله عزوجل بالصلاة فيه ، وارغبوا إليه في قضاءِ حوائجكم ، فلو يعلم الناسُ ما فيه من البركة

لأتوه من أقطار الارض ، ولو حبواً على الثلج][1] . ومعلوم أنّ العراق يُشكّل العمق الإستراتيجي في منظومة الحكم السياسي لدولة الإمام المهدي ﷺ .. وكان الإمام علي ﷺ أوّلَ مَن اتّخذ الكوفة عاصمةً للعالم الإسلامي . في حين اتّخذ الأمويُّون الشام عاصمتهم . أمّا العباسيُّون فقد وقع اختيارهم على بناء بغداد ليتّخذوها عاصمةً ، ومنها حكموا وأداروا العالم الإسلامي آنذاك ، فإذا خرج المهدي ﷺ واستتبَّ له الأمر اتّخذ الكوفة عاصمة العالم الذي يفتحهُ بشكلٍ كاملٍ وينشر الأمن والأمان والعدل فيه ..

وأمام هذا النص وما جاء فيه من إخبار قال ابن أبي الحديد : [ومن عجيب ما وقفتُ عليه من ذلك قولُهُ ﷺ في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم ، وهو يشير إلى القرامطة : ينتحلُون لنَا الحبَّ والهوى ، ويُضمرُون لنا البغضَ والقَلَى ، وآيةُ ذلك قتلُهُم ورِاثَنَا وهجرُهُم أحداثنا ، وصدقَ ما أخبر به ﷺ ، لأنّ القرامطة قتلت من آل أبي طالب ﷺ خلقاً كثيراً . . وفي هذه الخطبة قال ﷺ وهو يشير إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة : كأنّي بالحجر الأسود منصوباً ها هنا ، ويحُهُم إنّ فضيلته ليست في نفسه ، بل في موضعه وأسّه ، يمكثُ ها هنا برهةً ثم ها هنا برهة – وأشار إلى البحرين – ثم يعود إلى مأواه ، وأم مثواه ، ووقع الامر في الحجر الاسود بموجب ما أخبر به ﷺ][2] .

وعلى كلّ حال : كان الإمام علي ﷺ يشير إلى فضل مصلّى الكوفة ، فأشار إلى عمارين لازمته ، فهو بيتُ آدم ونوح وإدريس ومصلّى إبراهيم الخليل والخضر ومصلّى الإمام علي ﷺ ، إلى أن أخبر القوم بما

---

[1] أمالي الصدوق : ص ١٨٩ مجلس ٤٠ ح ٨ .

[2] ابن أبي الحديد - ج ١٠ ص ١٣ – ١٤ –

يؤول إليه الأمر زمن المهدي ﷺ الذي يكون مصلاّهُ . وفي غيره من النصوص تكون الكوفة عاصمة مولانا المهدي ﷺ التي يحكم من خلالها العالم ..

وفي الرواية عن الاصبغ بن نباتة قال قال أمير المؤمنين ﷺ : – في حديث له حتى انتهى إلى مسجد الكوفة ، وكان مبنيّاً بخزف ودنان وطين – : [.. ويلٌ لِمَن هدمك ، وويلٌ لمَن سهّلَ هدمَك ، وويلٌ لبانيك بالمطبوخ المُقَيَّر قبلة نوح ، طُوبى لِمَن شهد هدمَكَ مع قائم أهل بيتي ، أولئك خيارُ الأمّة مع أبرار العترة][1] .

وفي النصوص أنّ المهدي ﷺ يبني مسجداً في الكوفة له ألف باب ، وفي بعضها ورد : خمسمائة باب ، ليكون فيه بعض المتّسع للمصلّين الذين يؤمّون الكوفة التي تصبح الإسم الأشهر في العالم الجديد . وفي غيرها من النصوص يبني ﷺ أربع مساجد ضخمة .. ففي رواية عمرو بن أبي المقدام عن أبيه عن حبة العرني قال : خرجَ أميرُ المؤمنين ﷺ إلى الحيرة فقال : [.. لَتصلّنّ هذه بهذه – وأومأ بيده إلى الكوفة والحيرة – حتى يُباع الذراعُ فيما بينهما بدنانير ، ولَيُبنيَنّ بالحيرة مسجدٌ لَهُ خمسمائة باب ، يصلّي فيه خليفة القائم عجّل اللهُ تعالى فرجَهُ ، لأنّ مسجدَ الكوفة لَيَضيقُ عنهم ، ولَيُصلّينّ فيه اثنا عشر إماماً عدلاً . قلت : يا أمير المؤمنين ، ويسع مسجدُ الكوفة هذا الذي تصف الناس يومئذ ؟ قال ﷺ : تُبنَى له أربعُ مساجد ، مسجدُ الكوفة أصغرها ، وهذا ، ومسجدانِ في طرفي الكوفة من هذا الجانب وهذا الجانب – وأومأ بيده نحو البصريين والغريين –][2] ..

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : صد ٢٨٢

[2] التهذيب : ج ٣ صـ ٢٥٣ – ٢٥٤ ح ١٩

والمسجد علامة الطاعة ، ومهد العبادة ، ورمز الإسلام ، وجوهر الحكومة التي يقيمها المهديُّ ﷺ لتحكم العالمَ كلَّه من مشرقه إلى مغربه على سُنَّة الله ورسوله والأئمة ﷺ .. فإذا دخل المهديُّ الكوفة قاصداً مسجد السهلة ، دخلها على النحو الذي يعلن فيه العظمة والمجد لله تعالى ، تماماً كما دخل النبيُّ ﷺ مكةَ من قبل وهو يقول : لا إله الا الله حقاً .

وفي الرواية عن علي بن محمد ، رفعه إلى أمير المؤمنين ﷺ - في صفة القائم ﷺ - قال : [.. كأنني به ﷺ قد عبرَ من وادي السلام إلى مسجد السهلة على فرسٍ محجل له شمراخ يزهو ، ويدعو ويقول في دعائه : لا إله إلا اللهُ حقّاً حقّاً ، لا إله إلا اللهُ إيماناً وصدقاً ، لا إله إلا اللهُ تعبُّداً ورقّاً . اللهم معينَ كلِّ مؤمنٍ وحيد ، ومذلَّ كلِّ جبّارٍ عنيد ، أنت كهفي حين تعييني المذاهب وتضيقُ عليَّ الارضُ بما رحبت ، اللهمَّ خلقتني وكنتَ عن خلقي غنيّاً ، ولولا نصرُكَ إيّايَ لَكُنتُ من المغلوبين ، يا مبعثَ الرحمة من مواضعها ، ومخرجَ البركات من معادنها ، ويا مَن خصَّ نفسَهُ بشموخ الرفعة ، فأولياؤهُ بعزِّهِ يتعزَّزُون ، يا مَن وضعت له الملوك نيرَ المذلَّة على أعناقها ، فهم من سطوته خائفون ، أسألك باسمك الذي قصرت عنه خلقك فكلٌّ لك مذعنون ، أسألك أن تصلِّي على محمد وعلى آل محمد ، وأن تُعجِّلَ لي أمري ، وتعجِّلَ لي الفرج ، وتكفيني وتعافيني وتقضي حوائجي ، الساعة الساعة ، الليلة الليلة ، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير][1] .

فأيُّ عظمةٍ هذه التي تزهو بها الأرض على يد إمامٍ عظيم يعلن الولاء والمجد لله وحده ، لا للجبابرة ولا لأهل الهوى والطواغيت .. لذلك

---

[1] دلائل الامامة : ص ٢٤٣ – ٢٤٤

تتطاحن الأمم السياسيّة الضخمة لإسقاط حكومتِهِ التي يرون فيها خطراً على امتيازاتهم المختلفة ..

على أنّ العراق تكون بقعة استراتيجيّة في دولة الإمام المهدي ﷺ بل في حركتِهِ التي تبدأ بعد ظهورِهِ ﷺ . ومعلوم أنّ المهدي ﷺ يسارع إلى دخول العراق ..

وقد ورد عن أبي خالد الكابلي قال : قال لي علي بن الحسين ﷺ : [يا أبا خالد ، لتأتينّ فتنٌ كقطع الليل المُظلِم ، لا ينجو إلا مَن أخذ اللهُ ميثاقه ، أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم ، ينجّيهم اللهُ مِن كلّ فتنةٍ مظلمة . كأنّي بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهر كوفان ، في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، وإسرافيل أمامه ، معه راية رسول الله ﷺ قد نشرها ، لا يهوي بها إلى قوم إلا أهلكهم الله عزوجل][1] ..

وتشكّل العراق مقصداً هامّاً لحركة الإمام ﷺ ودولته . ففي الرواية عن أبي حمزة عن أبي جعفر ﷺ قال : [.. يا أبا حمزة ، كأنّي بقائم أهل بيتي ﷺ قد علا نجفكم ، فإذا علا فوق نجفكم تشر رايةَ رسولِ اللهِ ﷺ ، فإذا نشرها انحطت عليه ملائكة بدر][2] .

وفي لفظ آخر عن أبي حمزة الثمالي قال : قال لي أبو جعفر ﷺ : [.. يا ثابت ، كأني بقائم أهل بيتي ﷺ قد أشرف على نجفكم هذا – وأومأ

---

[1] أمالي المفيد : ص ٤٥ المجلس ٦ ح ٥

[2] العياشي : ج ١ ص ١٠٣ ح ٣٠٢ –

بيده إلى ناحية الكوفة - فإذا أشرف على نجفكم نشر راية رسول الله ﷺ ، فإذا هو نشرها انحطّت عليه ملائكة بدر . قلت : وما راية رسول الله ﷺ ؟ قال ﷺ : عمودها من عمد عرش الله ورحمته ، وسايرها من نصر الله . لا يهوي بها إلى شيء إلا أهلكه الله . قلت : فمخبوءة عندكم حتى يقوم القائم ﷺ أم يؤتى بها ؟ قال ﷺ : لا بل يُؤتَى بها . قلت : مَن يأتيه بها ؟ قال ﷺ : جبرئيل][1] .

إشارة إلى التعزيز الإلهي الذي يكون مع المهدي . ومفردات النصوص واضحة في التأكيد على معاني التأييد بالنصر والعزيمة والثبات والفتح والممانعة وشبه ذلك . الألفاظ الواردة في الذيل شديدة التركيز على مثل هذه الأمور .. وفي غيرها من النصوص تأكيد على معنى الغلبة والنفوذ الذي يظهر به المهديُّ في العراق ﷺ أو ما هو لازمٌ لدخول العراق . فقد ورد في رواية أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر ﷺ قال : [.. كأنّي بالقائم على نجف الكوفة ، قد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة ، جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ، والمؤمنون بين يديه ، وهو يفرق الجنود في البلاد][2] .

تأكيداً على الوصف التصاعدي في جبهة المهدي ﷺ ، وفي الذيل إشارة إلى انّ المهدي في هذا الوقت من دخوله العراق يكون على نحو يوزّعُ

---

[1] العياشي : ج ١ ص ١٠٣ ح ٢٠٢ - وعن أبان بن تغلب قال : حدثني أبو حمزة الثمالي قال : قال أبو جعفر ﷺ : - وفيه [كأني أنظر إلى القائم ﷺ قد ظهر على نجف الكوفة فإذا ظهر على النجف نشر .. وعموده من عمد عرش الله تعالى ، وسائرها .. عزوجل ، ولا يهوي بها إلى أحد إلا أهلكه الله تعالى ، قال : قلت : أو تكون معه أو .. بلى يؤتى بها ، يأتيه بها جبرئيل ﷺ] .

[2] الارشاد : ص ٣٦٢

فيه الجند هنا وهناك ، نظراً إلى الجبهات والمناطق ، ومشروع الفتح المستمر الذي يتابعه ﷺ في ذلك الوقت .

وفي هذا إشارة إلى أنّ نواحي الحدود والجبهات تكون على نحوٍ ساخنٍ وظروفٍ مُتقلّبة وأوضاع متوتّرة ، بالإضافة إلى الملاحم الموزّعة هنا وهناك .. خاصّة أنّ طائفةً من النصوص تشير أنّ المهدي ﷺ يزحف من الحجاز إلى العراق . وبذلك تشهد العراقُ مرحلةً شديدةَ التغيُّر بعدما كانت مهد الأحداث الضخمة منذ زمن . ومن يقرأ التاريخ يجد أرض العراق شديدة الخصوبة للأحداث الكبيرة ، وكلّما طرأ تغيُّر كبير على العراق انعكس أثرهُ على النواحي المختلفة ..

وفي الإشارة إلى تراكم الأحداث واختلاط الدواعي وحكم الجبابرة وطغيان السلاطين في منطقة بغداد والآفاق وقف الإمام علي ﷺ قرب صومعة راهب في أرض العراق وبدأ يعلن على العباد بعضاً من أخبار ما قبل نهاية التاريخ . ففي رواية جابر بن عبد الله الانصاري قال حدّثني أنس بن مالك وكان خادم رسول الله ﷺ قال :

[.. لمّا رجع أميرُ المؤمنينَ علي بن أبي طالب ﷺ من قتال أهل النهروان نزل « براثا » ، وكان بها راهب في قلايته (صومعته) ، وكان اسمه الحباب ، فلما سمع الراهب الصيحة والعسكر أشرف من قلايته إلى الأرض ، فنظر إلى عسكر أمير المؤمنين ﷺ فاستفظع ذلك ، ونزل مبادراً ، قال : مَن هذا ، ومَن رئيسُ هذا العسكر ؟ فقيل له : هذا أمير المؤمنين ﷺ ، وقد رجع من قتال أهل النهروان . فجاء الحباب مبادراً يتخطّى الناسَ حتى وقف على أمير المؤمنين فقال : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين حقّاً حقّاً .

فقال له ﷺ : وما أعلمك بأنّي أميرُ المؤمنين حقّاً حقّاً ؟ فقال له : بذلك أخبرنا علماؤنا وأحبارنا . فقال ﷺ له : يا حباب ، فقال له الراهب : وما علّمك بإسمي ! فقال ﷺ : أعلمني بذلك حبيبي رسول الله ﷺ ، فقال له حباب : مُدَّ يدك ، فأنا أشهد أن لا إله إلا اللهُ ، وأنَّ محمّداً رسولُ الله ، وأنّك علي بن أبي طالب وصيُّهُ .

فقال له أمير المؤمنين ﷺ : وأين تأوي ؟ فقال أكون في قلاية لي ها هنا . فقال له أمير المؤمنين ﷺ : بعد يومك هذا لا تسكن فيها ، ولكن ابنِ ها هنا مسجداً وسمّه باسم بانيه . فبناهُ رجلٌ اسمه براثا فسمّى المسجد ببراثا باسم الباني له ، ثم قال : ومِن أين تشرب يا حباب ؟ فقال يا أمير المؤمنين مِن دجلة ها هنا . قال : فلِمَ لا تحفر ها هنا عيناً أو بئراً ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين كلّما حفرنا بئراً وجدناها مالحةً غير عذبة . فقال له أمير المؤمنين ﷺ : احفر ها هنا بئراً ، فحفر ، فخرجت عليهم صخرةٌ لم يستطيعوا قلعها ، فقلعها أمير المؤمنين ﷺ فانقلعت عن عينٍ أحلى مِن الشهد ، وألذ مِن الزبد .

فقال له ﷺ : يا حباب ستُبنَى إلى جنبِ مسجدك هذا مدينةٌ ، وتكثر الجبابرةُ فيها ، ويعظُم البلاءُ ، حتى أنه لَيُركَبُ فيها كلَّ ليلةِ جمعةٍ سبعونَ ألفِ فرجٍ حرام ! فإذا عظُمَ بلاؤُهُم سدُّوا على مسجدك بفطوة[1] ! فإذا فعلوا ذلك منعوا الحج ثلاث سنين ! واحترقت خضرهم ، وسلّطَ اللهُ عليهم رجلاً من أهل السفح ، لا يدخل بلداً إلا أهلكه وأهلك أهله . ثم لَيَعُد عليهم مرّةً أخرى ،

---

[1] ثم في بعض النص أيضاً هنا ضمن هذه المقاطع : « وابنه بنيان ثم وابنه لا يهدمه إلا كافر ثم بيتا » .

ثم يأخذُهُم القحطُ والغلا ثلاثَ سنين ، حتى يبلغ بهم الجُهد ، ثم يعود عليهم ، ثم يدخل البصرة ، فلا يدع فيها قائمةٌ إلا سخطها وأهلكها وأهلك أهلها ، وذلك إذا عمرت الخربة ، وبُني فيها مسجدٌ جامع ، فعند ذلك يكونُ هلاكُ أهلِ البصرة . ثم يدخل مدينةً بناها الحجّاج يُقال لها واسط ، فيفعل مثل ذلك ، ثم يتوجّه نحو بغداد فيدخلها عفواً (دون حرب) ،

ثم يلتجئ الناسُ إلى الكوفة . ولا يكون بلد من الكوفة إلا تشوش له الأمر ، ثم يخرج هو والذي أدخله بغداد نحو قبري لينبشه ، فيلقاهما السفياني فيهزمهما ثم يقتلهما ، ويتوجّه جيشٌ نحو الكوفة فيستعبد بعضَ أهلها ، ويجيئ رجلٌ من أهل الكوفة فيلجئهم إلى سورٍ فمن لجأ إليها أمن ، ويدخل جيشُ السفياني إلى الكوفة فلا يدعونَ أحداً إلا قتلوه ، وإنَّ الرجلَ منهم لَيَمُرُّ بالدرة المطروحة العظيمة فلا يتعرّض لها ، ويرى الصبي الصغير فيلحقه فيقتله . فعند ذلك يا حباب يُتوقَّعُ بعدها – هيهات هيهات – أمورٌ عظام ، وفِتَنٌ كقطع الليلِ المُظلِمِ . فاحفظ عني ما أقول لك يا حباب][1] .

في هذا النص يشيرُ الإمام علي ﷺ إلى أمورٍ تخصُّ آخر الزمان ، ومن أهمّها أنَّ مدينة (بغداد) تُبنى قرب ذلك المسجد الذي أوصى ببناءه الإمام علي ﷺ ذلك الراهب ، وفعلاً بُنيت بغداد في العام ١٤٦ للهجرة ، أمر ببناءها المنصور العباسي ، واتّخذها العباسيُّون عاصمة دولتهم التي استمرّت منذ عام ١٣٢ للهجرة حتى عام ٦٥٦ للهجرة . ثم بدأ ﷺ يبيّنُ ما يصيب الناس من تلك المدينة ، من ظلمٍ وجورٍ وفساد يقع على أيدٍ جبابرة ،

---

[1] اليقين : ص١٥٦ – ١٥٧ ب ١٥٧

يسفكون الدم الحرام ، ولا يرتدعون ، مؤكداً ﷺ أن الجبابرة سيكثرون فيها – وما أكثرهم حتى زماننا هذا منذ يوم بني العباس – فإذا تكاثر الجبابرة فيها تكاثر البلاءُ وتعاظم .

ثم يشيرُ ﷺ إلى أنّ الإنحراف الذي يسيطر على مقاليد هذه البلاد يصل إلى حدّ إشاعة الزنا والخمرة والفساد وتحطيم بنى الأخلاق التي نادى بها الإسلام ، فيكثر الزنا ، ويتعاظم أمرُ النساء العاريات الزانيات بدعم أهل الباطل ، حتى قال ﷺ : انه لَيُرْكَب فيها كلَّ ليلةِ جمعةٍ سبعونَ ألف فرج حرام ..! أي من زنا وسفاح ونكاح باطل وهو لفظ يُراد منه الإشارة إلى تعاظم أمر السفاح والحرام والإباحيّة والإصرار على معصية الله جهرة . ساقه الإمام علي ﷺ ليشير إلى ضخامة أمرِ الزنا والسفاح . والزلزلة العنيفة التي أصابت قيمة الأخلاق ونظريّة الإجتماع المفروض أن تقوم على أُسس وأصول الإسلام ..

ويُستفاد من هذا النص أنّ النظريّة السياسيّة الإجتماعيّة العامّة تكون على نحوٍ خطيرٍ في الجور والإستبداد والفجور والطغيان والآثام ، بحيث يكون العنصر الغريزي وإشباع الذات محوراً رئيسيّاً في فكر هؤلاءِ الجبابرة المفسدين الذين ينتهكون الأعراض ، وينتهبون الأموال ، ويسفكون الدم الحرام ، ويحرّمُون الحلال ، ويحلّلون الحرام ، ويعلنون المجاهرة بالإثم والعصيان ..

وعلى أثر ذلك يصبح المسجد بما يعنيه من رمز عظيم لدّين الله وشريعة الإسلام يصبح مدعاةً لبطش هؤلاءِ وطغيانهم وسخريتهم وذيلتهم .! وفي تعبير الإمام علي ﷺ : فإذا عظم بلاؤهم سدُّوا على

مسجدك بقطوة .! أي يشيع الزنا والسفاح في العلن لا في السرّ ، حتى يُرمى المسجدُ بأثر السفاح والزنا وفوطه ..! دلالةً على الطغيان والإنحراف الهائل الذي يقودهُ جبابرة ذلك الزمن على طولِ شوطِهم الطويل ، والمجاهرة المدهشة في عصيان الله وبثُ الفساد ، والتحريض على امتهان المقدّسات ، فلا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ومن القرآن إلا رسمه ، تزاةً يقودون الشعب على نحوٍ من الإنحراف الذي يطال النظريّة السياسيّة الإجتماعيّة الأخلاقيّة ، وما يتّصل بحياة الفرد والجماعة من سوق ومال ومعادلة ميثاقيّة في الإقتصاد والنقد .. فلا ترى إلا غربةً حقيقيّة للدّين والإسلام ..

فإذا فعلوا ذلك ، وطوّرُوا منهجهم السياسي الإجتماعي على نحوٍ من مواثيق شديدة العناد مع فقه الشريعة ومعارفها ، وأفسدوا في الأرض ، بنحوٍ يتّصل بكُنه قدراتِهم وإمكاناتِهم ، عندها يمنعوا الحج ثلاث سنين ، أما لماذا ..؟ وكيف تتطوّر الأمور ..؟ هل بسبب صدام مع السلطات التي تكون في الحجاز ..؟ أو خلاف سياسي ..؟ أو قطع للعلاقات ..؟ أو منع لأسبابٍ متّصلة بتداعيات أمنيّة وغيرها ..؟ كلُ ذلك وغيرهُ ممكن . النص شاملٌ له ولما يمكن أن يكون داعياً للمنع ..

ثم يطرأ أمرٌ آخر ، وهو أنَّ خضرهم تحترق (المزرع والشجر) ، وهي إشارة إلى أزمةٍ حربيّةٍ ما ، حيث يتسلّط عليهم رجلٌ من أهل السفح لا يدخل بلداً إلا أهلكه وأهلك أهله . يبدو عليهِ أنّه جبّار من نوعٍ يملك معه إمكانات حربيّة أكثر تطوّراً ونفوذاً من الجبار الذي يكون في تلك البلد ، ثم تعود الأمور إلى الهدوء النسبي ، ثم يعود عليهم مرّةً أخرى ، بنحوٍ حربيٍ يُهلك البلاد والعباد بوصفٍ ظاهرٍ ، وعلى أثرهِ يأخذهم القحطُ والغلاء ثلاثَ سنين ، إشارة شديدة الوضوح إلى موجةٍ من انهيار قيمة النقد ، وتداعي

زراعة الأرض وتضاءُل السِّلَع ، وركود شديد في الإقتصاد بتلك البلد ، يتبعه جوعٌ وعناء كبير ، ما يعني بطبيعة الحال شيوع التضخم وغلاء الأسعار ، في جوٍ من رعب الفقر وشبح الأمراض والموت ، حتى يبلغ بهم الجهد مبلغه ، ثم يعود عليهم مرّةً أخرى حيث يدخل البصرة ونواحيها ، فلا يدع فيها قائمة إلا سخطها وأهلكها وأهلك أهلها ، إشارة إلى القتل والإبادة الواسعة للبشر والطبيعة والحجر ، أما تلك المرحلة الإضافيّة من القتل والظلم والخراب والدمار فيكون بعدما تعمّر الخربة ، ويُبنى فيها مسجد جامع ، فعند ذلك يكون هلاك أهل البصرة .

ويمتدُّ زحفهُ نحو مدينةٍ بناها الحجاج بن يوسف الثقفي يُقال لها « واسط » ، وكان الحجّاجُ قد بناها زمن المروانيين الأمويين حيث كان والياً على العراق ، فإذا دخل هذه المدينة فعل فيها ما فعله في البصرة من القتل والإبادة والظلم والدمار الذي يغلب على وجه دخوله وفرض الأحكام البوليسيّة والقتل على التهمة والظنّة .

ثمّ يتوجّه نحو بغداد فيدخلها عفواً ، دون حربٍ أو قتال ، يفتحها دون عناء ، يدخلها دون إطلاق نار . وعلى أثر أحداث مختلفة ، وتداعيت متواصلة ، يكون المحتلُّ فيها العنصر الأبرز في إدارة الحكم بتلك البلاد ، يطرأ أمرٌ ما ، فيلتجئ الناسُ إلى الكوفة . ولا يكون بلد من الكوفة إلا تشوش له الأمر .. وهناك تتفاعل الأمور ، ويجري من الأحداث ما لم يُشر إليه النص بالتفصيل ، وإذا بحادثٍ استثنائي يطرأ ، وهو انّ المحتلَّ يخرج مع الذي أدخله بغداد نحو قبر الإمام علي ﷺ لنبشه !! أي إلى النجف المقدّسة ، وهل الإمام علي ﷺ في وارد الإشارة إلى حقيقة نبش القبر الشريف أم إلى انتهاك عظيم في النجف يريد أن يقوم به المحتلُّ والذي

أدخلهُ ؟ كِلَا المعنيين وارد وممكن ، على أنّ أصل التفسير يعني الأخذ بحقيقة اللفظ وحدود معناه ما لم يرد ما ينقله من الحقيقة إلى المجاز والكناية ، لكنّ طبيعة الإستعارة الموجودة في هذه النصوص وغيرها تفرض علينا النظر بشدة إلى الإستعارات والمجازات بسبب غلبتها وكثرتها والإعتماد عليها ..

فإذا خرجا نحو النجف لقيهما السفياني ، وهذا يعني أنّ السفياني يكون قد ظهر وشاع أمرهُ وحكم في الشام ، وانتصر على راية الأبقع والأصهب وجهّز جيشهُ نحو العراق وسار ، فتقع معركة بين المحتلّ والذي أدخله من جهة ، والسفياني من جهةٍ أخرى ، فينتصر السفياني ويهزمهما ، ويحقّق مرحلةً متقدّمةً من انتصاراته ، فإذا تثبّت من انتصاره ذاك توجّه نحو الكوفة بجيشه ، ليقتل شيعة آل محمّد ، فيستعبد بعض أهلها ، ويجيئ رجلٌ من أهل الكوفة فيلجئهم إلى سور ، فمن لجأ إليها أمن ، ويدخل جيش السفياني إلى الكوفة فلا يدعون أحداً إلا قتلوه ، وأعلنوا أعراف تبيح القتل والإبادة والإنتهاك والنهب وغيره حتى أنّ الأطفال يُأمر بقتلها في تلك المعركة الرهيبة التي يعلنها السفياني على شيعة أهل البيت في الكوفة ، حتى انّ الجندي السفياني يرى الصبي الصغير فيلحقه فيقتله ..!

والذي يهيمنُ على ذهني في قراءتي لأكثر من نصٍّ ، من خلال بعض الفقرات والعبارات أنّ العراق يبدو وكأنّه مقسّم إلى « دويلات » سواء كان بنحو كيانات سياسيّة منفصلة بشكلٍ كامل وهذا مستبعد ، أو منفصلة بشكلٍ إداري كبير لا سياسي ، أو أنّها منفصلة بشكلٍ سياسي يساوي الشكل اللامركزي الإداري . المهم انّها لا تبدو لي في بعض الفقرات على انّها دولة واحدة ذات مركزيّة إداريّة سياسيّة .

وبتعبيرٍ آخر : لا يبدو العراق لي على شكل دولة بسيطة ذات مركزيّة سياسيّة حصريّة . كما لا يبدو لي وحدة كيانيّة متماسكة ذات شكل مركزي كامل . هذا الذي يبدو عليه ، ويتّضح في أكثر من فقرةٍ ومعنى بنصوصٍ عدّة . وكأنّ العراق يكون آنذاك مُقسّماً إلى كيانٍ شيعي ، وكيانٍ سنّي وشبه ذلك .! بمعنى : قد يكون كياناً فيدراليّاً ..! هذا الذي استشفّهُ من بعض النصوص ..

ثم بعد دخول السفياني إلى الكوفة ، تقع أمورٌ عظام ، وفتن متلاحقة ، شديدة الأثر كقطع الليل ، وتتبدّل خريطة القوى والكيانات بشكلٍ سريع ، وتجوب حمم الموت والجوع في مناطق مختلفة ، ويكون الموت الأحمر والجوع الأغبر ..

على انّ المهديّ ﷺ في هذا الوقت يكون ما زال في الظهور الخاص لأسبابٍ أمنيّةٍ متصاعدة في الحجاز ، ينتقل عبرها من مكّة إلى المدينة . ومن المدينة إلى مكّة ، ومنها إلى الطائف ، في ظلّ تحوّلات مختلفة إلى أن يطرأ التطوّر الذي يهلك على أثره جيش السفياني في منطقة اصطخر على يد الجيش الخراساني . كما يطرأ الحدث الثاني المهمّ جداً ، وهو هلاك جيش السفياني في البيداء بين مكّة والمدينة حين يكون قاصداً مكّة ليفتحها ويسوم أهلها العذاب ، وهو بالذات قاصد ليقتل المهدي ﷺ الذي طلبه في المدينة فلم يجده .. وفي ذهن السفياني طموح أن يسيطر على منطقة الحجاز ومصر واليمن والشام مع برّها والعراق ..

الخوارج زمن المهدي عليه السلام

لفت نظري بعضُ النصوص التي تشيرُ إلى أنَّ الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي عليه السلام وانتهجوا تفسيرات حرفيّة شديدة الهشاشة والضعف ، وتعاملوا بشكلٍ شديد الغرابة ، وأنَّ الإمام علي عليه السلام أخبر بأنهم يخرجون بعده ، وذلك بعدما قتلهم قتلاً شديداً حين شنّوا حملات الإبادة والترهيب على الناس ، وتنادوا بالإجرام والإعتداء على الأنفس البريئة دون وجه حقّ وشكّلوا جبهة عنيفة للهرج والمرج في ذلك الزمان .. مؤكّداً أنّ لهم حضوراً حتى إلى ما قبل ظهور المهدي عليه السلام ، ثم تكون الجبهات زمن المهدي ويكونون منهم أيضاً ..

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام بعدما ركب ومرَّ بهم وهم صرعى ، فقال عليه السلام : [.. لقد صرعكم مَن غرَّكُم . قيل ومَن غرُّهم ؟ قال عليه السلام : الشيطان وأنفس السوء . فقال أصحابه : قد قطع اللهُ دابرهم إلى آخر الدهر . فقال عليه السلام : كلّا والذي نفسي بيده ، وإنَّهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء ، لا تخرج خارجةٌ إلا خرجت بعدها مثلها ، حتى تخرج خارجةٌ بين الفرات ودجلة مع رجل يُقال له الأشمط[1] ، يخرج إليه رجلٌ منّا أهل البيت فيقتله ، ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة][2] ..

---

[1] الأشمط : وهو الذي خالط بياض رأسه سواد . وقد تقال للطويل أيضاً .

[2] مروج الذهب : ج ٢ صـ ٤١٨

ومن صفة هؤلاء أنَّهم مرقوا من الدِّين كما تمرق السهم ، علانيَتُهم العبادة والتزهُّد والتنبُّس بها ، وباطنهم الهشاشة والنفاق والإفتراء وحبُّ القتل والإسراف بالدماء والنكران لدين الله . تراهم خُشَّعاً وقلوبهم ميتة . هؤلاء من أخطر الناس ..!

من الأمور التي تكاثرت فيها الروايات انّ المهديّ عليه السلام لا يخشى في الله لومة لائم ، لا تخيفه حرب ، ولا يهمّه جبابرة ، يدعو إلى الله على بصيرة من أمره ، فيخوض غمار الحروب حتى ينتصر لله تعالى ، فيلقى أعداءُهُ منه السيفَ إنْ هم أصرّوا على الباطلِ والتجنُّد بجيهات الإنحراف .. في حين طائفة ثانية تشير أنّ المهدي عليه السلام لا يدخل بلداً إلا دخله الأمن والأمان ، واستبشر الناسُ خيراً ، ورعوا النِّعم وظلّلهم السلام ..

تعني الطائفة الأولى موقف الإمام المهدي عليه السلام من الجبابرة وأهل الباطل والآثام أصحاب الجبهات التي عاثت في الأرض فساداً ، الذين يضع السيف فيهم ، أي يستعمل أدوات القتال والحرب حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يُقتلوا . وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [إنّ عليّاً عليه السلام قال : كان لي أن أقتل المُولّي ، وأُجهز على الجريح ، ولكنّي تركت ذلك للعاقبة من أصحابي ، إنْ جُرِحُوا لم يُقتَلُوا . والقائم عليه السلام له أن يقتل المولّي ويُجهزُ على الجريح][1] .. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ جبهات آخر الزمان تكون متعدّدة ، حتى انّ بعض البقاع ينتصر فيها المهدي عليه السلام فيشكّلون من جديد محاولة انقلاب ثانية ، والحديث هنا في مقام تقرير نتيجة مفادها أنّ المهدي عليه السلام

---

[1] النعماني : ص ٢٣١ ب ١٢ ح ١٥

شديد النظر في مكوّنات آخر الزمان وتعدُّد الجبهات ، ولن يسمح بإعادة تكوين تكتُّلات حرب جديدة عبر الجند أو العتاد وما له دخلٌ في ذلك ..

واللافت أنّ الإمام ﷺ يقيم الحقّ بشكلٍ عظيم ، فيلقى منه أعداءهُ جزاءهم على النحوِ الذي لم يعهدوه في علاقاتِهم الدوليّة ، حيث الزعيم يراعي الزعيم ، وهناك ما يفوح منه رائحة الصفقات ، بخلاف ما يجري على يدِ المهدي ﷺ الذي يعلن مواثيق الشريعة المباركة ، فيقيم الحقّ ويبطل الباطل ولا تأخذه بالله لومة لائم .

وفي رواية الحارث الاعور الهمداني قال : قال أمير المؤمنين ﷺ : [.. بأبي ابن خيرة الاماء - يعني القائم ﷺ من وُلدِه - يسومهم خسفاً ، ويسقيهم بكأس مصبرة ، ولا يعطيهم إلا السيف هرجاً ، فعند ذلك تتمنّى فجرةُ قريش لو أنّ لها مفاداةً من الدنيا وما فيها ليغفر لها ، لا تكفُّ عنهم حتى يرضى الله][1] ..

النصُّ يشيرُ إلى أمرِ المهدي ﷺ في أئمة الفساد وقادة الإنحراف والطغيان الذين يعيثون في الأرض فساداً فيهلكون الحرث والنسل ، فإذا أظلّتهم قوّة جيش المهدي وخسروا حروبهم حاولوا أن يعقدوا صفقات عفو على حساب مواثيق الشريعة والنهب والإنتهاك والإبادة التي أعملوها في الناس المظلومين ، وهذا ما لا يقبل به المهدي أبداً ..

---

[1] النعماني : ص ٢٢٩ ب ١٣ ح ١١ - وعن بشر بن غالب الاسدي قال : قال لي الحسين بن علي ﷺ : [يا بشر ، ما بقاء قريش إذا قدّمَ القائمُ المهديُّ منهم خمسمائة رجل فضرب أعناقهم صبراً ، ثم قدم خمسمائة فضرب أعناقهم صبراً ، ثم خمسمائة فضرب أعناقهم صبراً ، قال فقلت له : أصلحك الله أيبلغون ذلك ؟ فقال الحسين بن علي ﷺ : إنّ مولى القوم منهم . فقال لي بشير بن غالب أخو بشر بن غالب أشهد أنّ الحسين بن علي ﷺ عدّ على أخي ست عدات - على اختلاف الرواية] [النعماني : ص ٢٣٠ ب ١٣ ح ٢٣] .

وفي نصٍّ آخر يشرح عدالة المهديّ ﷺ في هؤلاء المجرمين الذين بنوا هرم كياناتهم على جماجم الناس ، واستعرضوا شهواتهم بأعراض الناس ، وعاثوا في الأرض فساداً ودماراً قال الإمام علي : (.. يفرّجُ اللهُ الفتنَ برجلٍ منّا ، يسومُهُم خسفاً ، لا يُعطيهم إلا السيف ، يضعُ السيف على عاتقه ثمانيةَ أشهر هرجاً ، حتى يقولوا : والله ما هذا من وُلد فاطمة ، لو كان من وُلدِها لرحمنا . يفريه اللهُ ببني العباس وبني أمية)[1] . أي يطال بني أميّة في دولتهم المتجدّدة في عصر الظهور (دولة السفياني) ، ودولة بني العباس المتجدّدة أيضاً في عصر الظهور ، بحيث يكون على رأس الحكم في كيانين بالشام والعراق نسلٌ من بني العباس ونسلٌ من بني أميّة . وقد تعرّضت الروايات إلى فعلة هؤلاء الذين يهتكون الأعراض ويقتلون الرجال ، ويذبحون الأطفال وينتهبون الأموال ، ويظلمون ظلماً عظيماً .. فإذا خرج المهدي ﷺ وأعلنوا الحرب عليه ولم يدخلوا فيما دخل فيه الناس أخذهم المهديُّ بعدل الله العظيم . فعرضوا عليه الصفقات التي تُعرض على الحُكّام والملوك والسلاطين ، فلم يلتفت إليهم وأنزل بهم حكم الشريعة من حدٍّ وقصاص ..

وفي النصّ عن أبي جعفر ﷺ – في حديث أنّ الحسين ﷺ – قال : (.. يُظهرُ اللهُ قائمنا ﷺ فينتقم من الظالمين . فقيل له : يا بن رسول الله ، مَن قائمُكم ؟ قال ﷺ : السابعُ من وُلد ابني محمّد بن علي ، وهو الحجّة بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابني ، وهو الذي يغيب مدّةً طويلة ثم يظهرُ ، ويملؤ الارض قسطاً وعدلاً كما

---

[1] عرف السيوطي ، الحاوي : ج ٢ ص ٧٢

مُلئَت جوراً وظلماً][1] . تأكيداً على انّ المهدي يثأر للحقّ من أئمّة الجور . على انّ هناك مَن يكون من قريشاً رأساً في هذا الجور ، وهذا الذي أشارت له مجموعة من النصوص ، فيثأر المهديُّ عليه السلام من هؤلاءِ الجبابرة . ففي رواية عبيد الله بن شريك - في حديث له اختصرتاه - قال : مرّ الحسين عليه السلام على حلقة من بني أمية وهم جلوس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فقال : [.. أما والله لا تذهب الدنيا حتى يبعث اللهُ مني رجلاً يقتل منكم ألفاً ومع الالف ألفاً ومع الالف ألفاً . فقلت : جعلت فداك إنّ هؤلاء ، أولادُ كذا وكذا لا يبلغون هذا ، فقال : ويحك في ذلك الزمان يكون الرجل من صلبه كذا وكذا رجلاً ، وإنّ مولى القوم من أنفسهم][2] . تأكيد على انّ اجتثاث الباطلِ والإنتصار للحقّ إنّما يكون بقتلِ الظالمين الذين يعلنون الحرب على إمام العدالة وتاشرها . فمن ثبت على الباطل وقاتل في جبهتِه قتله المهديُّ ونفّذَ أمرُهُ عليه ..

---

[1] إثبات الرجعة ، الفضل بن شاذان : على ما في إثبات الهداة . * : إثبات الهداة : ج ٣ صـ ٥٦٩ ب ٣٢ ف ٤٤ ح ٦٨٦ وعن أبي جعفر أن الحسين عليه السلام قال : - أن المهدي عليه السلام ثائر الحسين عليه السلام .. وفي الرواية عن مقاتل عن زين العابدين عن أبيه عليه السلام قال : [إنّ امرأة ملكت بني إسرائيل كبرت وأرادت أن تزوج بنتها منه للسنك . فاستشارَ الملكُ يحيى بنَ زكريا ، فنهاهُ عن ذلك . فعرفت المرأة ذلك وزيّنت بنتها وبعثتها إلى الملك . فذهبت ولعبت بين يديه ، فقال لها الملك : ما حاجتُكِ ؟ قالت : رأس يحيى بن زكريا . فقال الملك : يا بنيّة حاجة غير هذه . قالت : ما أريدُ غيره . وكان الملك إذا كذب فيهم عُزِلَ من مُلكِه فخيّر بين ملكه وبين قتل يحيى فقتله . ثم بعثَ برأسه إليها في طشت من ذهب . فأُمرت الأرضُ فأخذتها ، وسلط اللهُ عليهم بخت نصر فجعل يرمي عنهم بالمناجيق ولا تعمل شيئاً ، فخرجت عليه عجوز من المدينة فقالت : أيها الملك إنّ هذه مدينة الانبياء لا تفتح إلا بما أدلّك عليه . قال : لك ما سألت قالت : ارمها بالخبث والعذرة ففعل فتقطعت فدخلها فقال : عليَّ بالعجوز . فقال لها : ما حاجتك ؟ قالت : في المدينة دم يغلي فاقتل عليه حتى يسكن . فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن . ثم قال عليه السلام : يا ولدي يا علي والله لا يسكن دمي حتى يبعث اللهُ المهديَّ فيقتل على دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً] (مناقب ابن شهر آشوب : ج ٤ صـ ٨٥) .

[2] الفضل بن شاذان : على ما في منتخب غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : صـ ١١٦

وفي إشارة إلى أمر المهدي وإعلانه الحرب على رموز وأئمة الباطل ، وفي لفتة من الإمام علي ﷺ إلى مادة تكون في أرض الكوفة يخرجها المهديُّ وهي بطبيعة الحال من أدوات الحرب ، لكنّها من أي هيئة وكُنه وجوهر الله أعلم . المهم أنّه يخرج سلاحاً يناسبُ قهر سلاح ذلك الزمن وقت خروجه الشريف فيأمر بإزهاق كلّ ما يخالفهُ ويدعو إلى حكم الضلالة ودعم كيانات الجبابرة .

ففي رواية الاصبغ بن نباتة قال : خرجنا مع أمير المؤمنين ﷺ وهو يطوفُ في السوق ، يُوفي الكيلَ والميزان ، حتى إنّا نتّصف النهارَ مرَّ برجلٍ جالس ، فقام إليه فقال : يا أمير المؤمنين ، سِر معي إلى أن تدخل بيتي وتتغدّى عندي وتدعو الله لي ، وما أحسبك اليوم تغدّيت . قال علي ﷺ :

زَ عليَّ أن أشرطَ عليك . قال : لك شرطك ، قال ﷺ : عليَّ أن لا تدّخر ما في بيتك ، ولا تتكلّف ما وراء بابك . قال : لك شرطك ، فدخل ودخلناه ، وأكلنا خلّاً وزيتاً وتمراً . ثم خرج ﷺ يمشي حتى انتهى إلى باب قصر الامارة بالكوفة ، فركض رجله فتزلزلت الأرض ، ثم قال :

أما والله ، لقد علمتُ ما ها هنا ، أمَا والله لو قد قام قائمنا ﷺ لأخرج من هذا الموضع اثني عشر ألف درع واثني عشر ألف بيضة لها وجهان ، ثم ألبسها اثني عشر رجلاً من وُلد العجم ، ثم ليقتلنَّ كلَّ مَن كان على خلاف ما هم عليه ، وإنّي أعلم ذلك وأراه كما أعلم هذا اليوم [1] .

---

[1] الهداية للخصيبي : صـ ٢١

إشارة منه ﷺ إلى وسائل قتال لها أثر كبير في قهر أدوات الحرب آنذاك . وانّه ﷺ لا تأخذه في الله لومة لائم . وانّه ليس من جنس الملوك والأمراء ، بل إمامُ الحقّ الداعي إليه والقائم بالعدل الذي لا يقبل مساومة .

دخول المهدي ﷺ بيت المقدس

تؤكّد النصوص بوضوح دخولَ المهدي ﷺ بيت المقدس . فقد ورد في هذا النص عن الهيثم بن عبد الرحمن قال : حدّثني مَن سمع عليّاً رضي الله عنه يقول : [.. إذا بعث السفياني إلى المهديّ جيشاً فخُسف بهم بالبيداء ، وبلغ ذلك أهل الشام ، قالوا لخليفتهم : قد خرج المهديُّ فبايعه وادخل في طاعته وإلا قتلناك . فيرسل إليه بالبيعة ، ويسير المهدي ﷺ حتى ينزل بيت المقدس ، وتنقل إليه الخزائن ، وتدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال ، حتى تبنى المساجد بالقسطنطينية وما دونها ، ويخرج قبله رجل من أهل بيته بأهل المشرق ، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر ، يقتل ويمثل ، ويتوجّه إلى بيت المقدس . فلا يبلغه حتى يموت][1] .

اللافت ما أشار إليه أكثر من نص أنّ جموعاً من الشام تحمل السلاح على السفياني وتأمره ببيعة المهدي ﷺ ! هذا تحوّل كبير ودليل مهم على انتشار عظمة وكرامات المهدي ﷺ . في حين وردت طائفة تشير إلى أنّ قبيلة كلب وحلفاءها لا تزال بالسفياني حتى يخرج لقتال الإمام المهدي ﷺ بعدما ظهر جبنُهُ في الخروج . وفي النهاية تقع معركة ضارية بين السفياني والمهدي ﷺ قرب بحيرة طبرية ينتصر فيها المهديُّ ﷺ

---

[1] ابن حماد : صـ٩٦ عن رواية ابن حماد الأولى بتفاوت يسير ، وفيه (.. وتقبل إليه الخزائن .. بأهل الشرق)

على السفياني ويقتله .. واللافت تحصّن السفياني باليهود صوب طبريّة ..! هذا أمر لا بدّ من الإلتفات إليه . ومعلوم انّ السفياني يقاتل جيش الخراسانيين لإخراجهم من بيت المقدس إنتصاراً لليهود والروم . أمّا الأمر الآخر ، هو أنّ جبهاتٍ مختلفة تعلن بأزمانٍ مختلفةٍ حربها على المهدي ﷺ ، منها الروم والسفياني والترك ويأجوج ومأجوج والدجّال وغيرهم ، وتقع بينهم وبين المهديّ ﷺ حروب ووقعات ضارية ، ينصرُ اللهُ فيها مولانا المهدي .

وعليه ما ورد في هذا النص أنّ العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم يدخلون في طاعته من غير قتال ، لا بدّ من تأويله على بعض الشعوب ، وإلا فإنّ الثابت أنّ جبهة الروم لا تزول إلا بعد حرب ضارية بينها وبين المهدي ﷺ لا تفصل بينها إلا هدنة مع المهدي ثم على أثرها تنقلب الروم فتنشب الحرب بينها وبين المهدي الذي يواصل فتوحاته حتى يفتح عاصمة القرار في الروم ويدخلها فاتحاً في ظلّ حربٍ واسعة . وتشير النصوص إلى إيمان قسم من شعب الروم بعد الملحمة .

نعم بعض الأقطار تعلن ولاءها المطلق للمهدي ﷺ ، كما أنّ بعض الشعوب تعلن ولاءها للمهدي في حين أنظمتها تعلن الحرب على جبهة المهدي ﷺ .. التفاصيل قليلة في هذا المجال . وقد مرّ أنّ قسماً من جُند السفياني ، من شعبه في الشام يحملون السلاحَ في وجهه ويرغمونه على إرسال البيعة للمهدي ﷺ ..! وعليه : لا بدّ من فهم المضمون المجموعي من النصوص بشكلٍ يراعي القوانين والقواعد العلميّة المتّصلة بهذا الجانب ..

نزول عيسى عليه السلام

ثبت بالروايات أنّ عيسى بن مريم عليه السلام ينزل بعد ظهور المهدي عليه السلام ، وذلك بعد مجموع أحداث مفصليّة ، ويحتجُّ بعد نزولِه على النصارى واليهود ، ويكشفُ عن أناجيل يخرجها من الأرض ، ومن كهفٍ ، ينشرها للناس ، يخبرهم بها حقيقة ما أرسله اللهُ به ، وعلى هذا الأثر تؤمن طوائف من المسيحيين به ويدخلون الإسلام . وهذا يكون بعد الملحمة الهائلة مع الروم ..

ويبدو من طائفةٍ صريحاً أنّ عيسى بن مريم عليه السلام يكون من جبهة المهدي وزير دفاعها ، وينزل عليه السلام في مرحلة مهمّة ، بعد سطوح نجم الدجّال وما يعنيه في تلك الفترة من فتنةٍ عسيرة ، والنصوص على طائفتين ، طائفة تقول بأنّ الذي يواجه الدجّال هو النبي عيسى بن مريم عليه السلام ، وطائفة ثانية تقول بأنّ الذي يواجهه هو المهدي عليه السلام . وباعتقادي أن لا تعارض بين الطائفتين بعدما ثبت أنّ النبي عيسى إنّما هو وزير دفاع جبهة المهدي عليه السلام .. وتشير الروايات إلى أنّ النبي عيسى عليه السلام يموت فيما بعد ، ويصلّي عليه المهدي عليه السلام ..

وفي رواية جابر بن عبد الله الأنصاري عن أمير المؤمنين عليه السلام - ذكر خطبة طويلة جداً ، فيها علامات آخر الزمان ، وأخبار بمغيبات كثيرة

منها دولة بني أمية وبني العباس وأحوال الدجال والسفياني - إلى أن قال ﷺ :

[.. المهديُّ ﷺ من ذرّيتي ، يظهر بين الركن والمقام ، وعليه قميصُ إبراهيم ، وحلّة إسماعيل ، وفي رجله نعل شيث ، والدليل عليه قول النبي ﷺ : عيسى بن مريم ينزل من السماء ، ويكون مع المهدي من ذريتي ، فإذا ظهر فاعرفوه ، فإنّه مربوع القامة ، حلك سواد الشعر ، ينظر من عين ملك الموت ، يقف على باب الحرم فيصيح بأصحابه صيحة ، فيجمع الله تعالى عسكره في ليلة واحدة ، وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الارض - ثم ذكر تفصيلهم وأماكنهم وبلادهم - إلى أن قال ﷺ : فيتقدّم المهديُّ ﷺ من ذريتي ، فيصلّي إلى قبلة جدّه رسول الله ﷺ ، ويسيرون جميعاً إلى أن يأتوا بيت المقدس . - ثم ذكر الحرب بينه وبين الدجال - وذكر أنّهم يقتلون عسكر الدجال من أوّله إلى آخره ، وتبقى الدنيا عامرةً ، ويقوم بالقسط والعدل ، إلى أن قال ﷺ : ثم يموت عيسى ﷺ ، ويبقى المنتظر المهديُّ من آل محمد ﷺ فيسير في الدنيا وسيفه على عاتقه ، ويقتل اليهود والنصارى وأهل البدع][1] ..

وتشير طائفة من النصوص إلى أنّ عيسى بن مريم يواجه الدجّال بعدما يعيثُ في الأرض فساداً ، في ظلّ تغيرات دوليّة مختلفة ، يبدو أنّ الدجّال يستفيد من انهيار بعض الجبهات ومن دعم فئول الروم ، فيلتفّ حوله خلقٌ كثير ، كما يستفيد من انشغال جبهة المهدي ﷺ في بعض النواحي كالروم مثلاً ، فيعمل على تأليف جبهة ضخمة يكون لها حسب

---

[1] المجموع الرائق من أزهار الحدائق : هبة الله بن أبي محمد الحسن الموسوي على ما في إثبات الهداة .
إثبات الهداة : ج ٣ صـ ٥٨٧ ب ٣٢ ف ٦١ ح ٨٠٤

بعض النصوص سطوة في بعض البقاع القريبة من فلسطين ما بين النيل والفرات أو ما هو قريب من هذه المناطق ..

وهناك ما يشيرُ إلى أنَّ عيسى بن مريم ﷺ ينزل في دمشق . ففي النص عن أبي عبد الله ﷺ عن آبائه ﷺ – في قصة محاورة الامام الحسن السبط مع ملك الروم – قال ﷺ : [.. ثم عيسى بن مريم ، روح الله وكلمته ، وكان عمره في الدنيا ثلاثة وثلاثين سنة ، ثم رفعه الله إلى السماء ، ويهبط إلى الارض بدمشق ، وهو الذي يقتل الدجال][1] .

على أنَّ النصوص في مكان نزوله فيها شيء من الإختلاف ، خاصة بعضها ضعيف السند .. كلُّ ذلك مع الإتِّفاق على أصل نزول عيسى بن مريم ، ويكون وزير دفاع جبهة المهدي ﷺ ، في وقتٍ تكون فيه للدجَّال سطوة ، وظهور بارز ، وقدرة في التأثير ضمن بقاعٍ عدّة . مستغلاً مجموع تغيُّرات دوليّة تطرأ آنذاك . وفي النص عن الإمام علي – في قصة الدجال – قال : [.. ألَا وإنَّ أكثر أتباعه أولاد الزنا ، لابسو الطيجان ، ألا وهم اليهود ، عليهم لعنة الله ، يأكل ويشرب ، له حمار أحمر ، طوله ستُّون خطوةً مد بصره ، أعور اليمين ، وإنَّ ربَّكُم عزَّ وجلَّ ليس بأعور ، صمد لا يطعم ، فيشمل البلادَ البلاءُ ، ويقيم الدجالُ أربعينَ يوماً ، أوَّلُ يومٍ كسنة ، والثاني كأشهر ، فلا تزال تصغر وتقصر حتى تكون آخر أيامه كليلة يومٍ من أيامكم هذه . يطأ الأرضَ كلَّها (إشارة للنفوذ لا الإستيعاب) إلا مكَّة والمدينة وبيت المقدس . ويدخل المهدي ﷺ بيت المقدس ، ويصلِّي بالناس إماماً ، فإذا كان يوم الجمعة ، وقد أُقيمت الصلاة ، نزل عيسى بن مريم ﷺ بثوبين

---

[1] القمي : ج ٢ ص ٢٦٨ – ٢٧٢

مشرقين حمر ، كأنّما يقطر من رأسه الدهن ، رجل الشعر ، صبيح الوجه ، أشبه خلق الله عزّ وجلّ بأبيكم إبراهيم خليل الرحمن ﷺ ، فيلتفت المهدي ﷺ ، فينظر عيسى ﷺ ، فيقول لعيسى : يا ابن البتول ، صلّ بالناس . فيقول ﷺ : لَكَ أُقيمت الصلاةُ . فيتقدّم المهديُّ ﷺ فيصلّي بالناس ، ويُصلّي عيسى ﷺ خلفه ويبايعه . ويخرج عيسى ﷺ فيلتقي الدجال فيطعنه ، فيذوب كما يذوب الرصاص ، ولا تقبل الأرضُ منهم أحداً ، لا يزال الحجر والشجر يقول ، يا مؤمن تحتي كافر اقتله . ثم إنّ عيسى ﷺ يتزوّج امرأةً من غسان ، ويولد له منها مولود ويخرج حاجاً ، فيقبض اللهُ تعالى روحه في طريقه قبل وصوله إلى مكة [1] ..

وعليه : جبهة الدجّال هي جبهة اليهود الذين تكون لهم الإمرة والقيادة وبنية الجيش والمجتمع السياسي والجبهوي آنذاك . يمرُّ بمراحل من الزهوّ ، ثم يؤول أمرهُ إلى انهيار جزئي ، ثمَّ يصيبهُ انكسار عنيف في جبهته ، وتكون نهايتُهُ على يدِ المهدي سواء مباشرةً أو عبر وزير دفاعه النبي عيسى ﷺ ..

وتعبير الإمام ﷺ : يقيم الدجال أربعين يوماً ، أوّلُ يومٍ كسنة ، والثاني كأقل ، فلا تزال تصغر وتقصر حتى تكون آخر أيامه كليلة يوم من أيامكم هذه . إشارة إلى فترات زمنيّة يكون له فيها علو ونفوذ ، وهذه التعابير في اللسان العربي تعني مرحلةً من العزُ والإنتصار والثبات ، بعدها يؤول الأمر إلى ضعفٍ جزئي وصولاً إلى الإنكسار .. وتعبير : يطأ الارض كلّها إلا مكة والمدينة وبيت المقدس . إشارة إلى سطوته الواسعة ، أي

---

[1] عقد الدرر : صـ ٢٧٤ و ٢٧٥ م ١٢ ف ٢

للنفوذ لا الإستيعاب . لكنّها قطعاً ضمن منطقة الشرق كما يُستفاد من النصوص ، خاصةً أنّ جبهة المهدي في هذا الوقت تكون على نحوٍ كبيرٍ ونشيط وذات رقعةٍ واسعة جداً بسبب الفتوحات ، خاصة أنّها في هذهِ الفترة تكون قد قضت على جبهة الروم الكبيرة في عقر دارها في الغرب . من هنا يكون اللفظ ناظراً إلى المناطق ما بين الفرات والنيل وما يتّصل بها ، على أنّه يشتدّ بحصارهِ على مكّة والمدينة وبيت المقدس إلا أنّه لا يدخلها ..

ومعلوم أنّ الأحداث لا تنتهي بعد فتح الإمام المهدي ﷺ لبلاد الروم ، فهناك ما زالت جبهة الدجّال التي تظهر وتسطو ، ثم جبهة يأجوج ومأجوج ، دون معرفة تفاصيل الصراع والصدامات المختلفة ، وطبيعة الإنتشار لجيش المهدي ودولتهِ ، في ظلّ فوضوى حرب قائمة تكون آنذاك .. بغض النظر عن معنى التعدّد السياسي وعدد الدول القائمة ، والأحلاف وشبه ذلك . وما يلفت في النص تأكيدهُ على أنّ عيسى بن مريم ﷺ يتعامل مع المهدي ﷺ من بابِ أنّه إمام هذهِ الأمّة ، فيقدّمه ويصلّي خلفه .. لكن ماذا يعني النص أنّ الدجال تكون سطوتُهُ والمهدي يكون في بيت المقدس ؟

الجواب : ان بيت المقدس ومكّة والمدينة والحجاز بصورةٍ عامّة والعراق وبلاد الشام تكون في الأصل بعد هزيمة السفياني ومجموع حركات عسكرية يقودها المهدي تكون تحت سيطرة المهدي ﷺ ، كما أنّ جبهة الروم الضخمة ، التي تعتبر من الميزان الرئيسي في قوى العالم آنذاك تسقط وتتفكّك على يدِ المهديّ ﷺ ، ويدخلها جيش الإسلام فاتحاً ، ما يعني انّ رقعة دولة الإمام المهدي ﷺ تكون على ضخامةٍ بارزة جداً ،

خاصّةً إذا أخذنا بعين الإعتبار أنّ دولة الترك تسقط أيضاً على يدِ الروم ودولة المهدي من قبل ذلك ، فهذا يعني أنّ رقعة انتشار جبهة المهدي كبيرة جداً ، لكن يبدو أنّ طارئاً ما يحصل ، حيث تكون جبهة المهدي مشغولة بحربها مع الروم ، فتتكون نواة جبهة الدجّال على نحوٍ تصاعدي ، ويبدو ان بعض البقاع والأقاليم تسقط بيده ، ويستفاد أنّ منطقة الشرق الأوسط أو بقاعاً منها تعاني من جبهة الدجّال ، وتكون وقعات وحروب مع جبهات الإمام ﷺ ، وفي فترةٍ ما – قد تكون لأسبابٍ ميدانيّة ذات صلة بمفهوم الحرب ومواجهة الدجّال – يأتي الإمام المهدي ﷺ إلى القدس فيصلّي فيها ، وسط سطوة متراجعة للدجّال ، ومع نزول النبي عيسى ﷺ تشتد جبهةُ المهدي آخر معركة على الدجّال وجنده ، وتصف لنا النصوص اليهود فارّين ، مختبئين ، ما يعني أنّ معركةً عنيفة تحصل ينهزم اليهود على أثرها شرّ هزيمة فلا يجدون ملجئاً يلجؤون إليه ، فيُقتلون وراء كلّ حجرٍ ومدر . هذا معنى قوله ﷺ : لا تقبل الارضُ منهم أحداً ، لا يزال الحجر والشجر يقول ، يا مؤمن تحتي كافر اقتله . أي لا يجد اليهوديُّ مكاناً يلجأ إليه إلا وهو مفضوح مكشوف .

أمّا كيفية قتل الدجّال ..؟ النص وغيره يشير إلى أنّه يذوب كما يذوب الرصاص . وكيف ذلك ..؟ عبر أدوات حربيّة ذات تدمير عنيف ، أم بأمرٍ آخر ..؟ يبدو من مجموع النصّ وهروب اليهود وانفراط أمرهم على أنّ ذلك يحصل على أثر معركة فاصلة تنتهي بنصر المؤمنين على اليهود الذين يفرُّون في كلّ ناحيةٍ فلا يجدون مكاناً يختبؤون به فيصيبهم القتل وتكون العاقبة للمتّقين .. على انّ مفهوم النصّ في قتل الدجّال يحتمل أوسع من المعنى الذي أوردناه .

جبهة الطغيان المتجدّدة [الدجال]

(البيئة والظروف)

تحدّثنا في فصول سابقة عن الدجّال الذي يخرج في آخر الزمان بعد ظهور مولانا المهدي ﷺ ، ويكون صاحبة فتنة وُصِفت بالنصوص بفتنة خطيرة ، شديدة الأثر ، يتبعها الجوع الأغبر والموت الأحمر .. والآن سأشير إلى بعض النواحي التي لم نتعرّض لها من قبل ..

فقد اشارت نصوص إلى أنّ لخروج الدجّال علامات من الجور والباطل والفساد والإضطهاد وغير ذلك . وهذا يعني أنّ انتصار جبهة المهدي ﷺ على الدجّال وعلى الروم أيضاً أنّ العالم يظلُّ محكوماً بجبهات ضخمة يقودها أهلُ الباطل الذين يعتلون إمكانات جغرافيّة وأمميّة وعسكريّة غير عاديّة ، ويكفي أنّ آخر جبهة معروفة لدينا في النصوص هي جبهة يأجوج ومأجوج التي وصفتها النصوص بألفاظ تشيرُ إلى ضخامة وتكاثر مدهش .. وإذا ضممنا إليها جبهة الدجّال التي تسعى في الأرض فساداً ، وتحتلُّ بقاعاً واسعة ، فإنّ هذا يعني أنّ العالم رغم انتصار جبهة الإمام المهدي على الدجّال والروم يظلُّ منقسماً على جبهات مختلفة ذات سلطنة ونفوذ في الباطل والجور .. من هنا يمكننا الإشارة إلى ما رواه النزال بن سبرة – في بيانه الوصفي لزمن خروج الدجّال أو ما هو متّصل

المعالم به – قال : خطبنا أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، فحمد الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه ، وصلَّى على محمد وآله ، ثم قال : سلوني أيها الناس قبل أن تفقدوني – ثلاثاً – فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال : يا أمير المؤمنين ، متى يخرجُ الدجال ؟ فقال له علي ﷺ :

إ اقعد ، فقد سمعَ اللهُ كلامَكَ وعلمَ ما أردت ، والله ما المسؤولُ عنه بأعلم من السائل ، ولكن لذلك علامات وهيئات يتبعُ بعضُها بعضاً كحذو النعل بالنعل ، وإنْ شئت أنبأتُك بها ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال ﷺ : احفظ فإنَّ علامة ذلك :

إذا أماتَ الناسُ الصلاة ،

وأضاعوا الامانة ،

واستحلُّوا الكذب ،

وأكلوا الربا ،

وأخذوا الرشا ،

وشيَّدُوا البنيان ،

وباعوا الدِّين بالدنيا ،

واستعملوا السفهاء ،

وشاوروا النساء ، (مشورة في باطل) ،

وقطعوا الأرحام ،

واتَّبَعُوا الأهواء ،

واستخفُّوا بالدماء ،

وكان الحلْمُ ضعفاً ،

والظلمُ فخراً .

وكانت الامراءُ فَجَرَةً ،

والوزراءُ ظلَمَةً ،

والعرفاءُ خَوَنَةً ،

والقرَّاءُ فَسَقَةً .

وظهرت شهادةُ الزور ،

واستحلِّ الفجور ، وقولُ البهتان ، والإثمُ والطغيانُ ،

وحُلِّيت المصاحف ،

وزُخرِفَت المساجد ،

وطُوِّلَت المنارات ،

وأُكرِمَت الاشرار ،

وازدحمت الصفوفُ ،

واختلفت القلوبُ ،

ونُقِضَتِ العهودُ ،

واقترب الموعودُ .

وشارك النساءُ أزواجهنَّ في التجارة حرصاً على الدنيا ، (تجارة الحرام) ،

وعلت أصواتُ الفسَّاقِ واستُمِعَ منهم ،

وكان زعيمُ القومِ أرذَلَهُم ،

واتُّقِيَ الفاجرُ مخافةَ شرِّه ،

وصُدِّقَ الكاذبِ ،

وائتُمِنَ الخائن .

واتُّخِذَت القيانُ والمعازفُ ،

ولَعَنَ آخرُ هذه الأمَّة أوَّلَها ،

وركب ذواتُ الفروجِ السروج ،
وتشبَّهَ النساءُ بالرجالِ ، والرجالُ بالنساء ،
وشهد الشاهدُ من غير أن يُستَشْهَد ، وشهدَ الآخر قضاءً لذمامٍ بغيرِ حقٍّ عرَفَهُ ،
وتفقَّه لغيرِ الدِّين ،
وآثروا عملَ الدنيا على الآخرة ،
ولبسوا جلودَ الضأن على قلوب الذئاب وقلوبهم أنتنُ من الجِيَف
وأمرُّ من الصبر ،
فعند ذلك الوحا الوحا ، ثم العجل العجل ، خيرُ المساكنِ يومئذ بيتُ المقدس ، وليأتينَّ على الناسِ زمانٌ يتمنَّى أحدهم أنَّه من سكَّانه .

فقام إليه الاصبغ بن نباتة فقال : يا أمير المؤمنين ، مَن الدجال ؟

فقال عليه السلام :

ألَا إنَّ الدجَّالَ صائد بن الصيد ، فالشقيُّ مَن صدَّقَهُ ، والسعيدُ مَن كذَّبَهُ .. عينُهُ اليمنى ممسوحة ، والعينُ الاخرى في جبهته تضيءُ كأنَّها كوكبُ الصبيح ، فيها علقةٌ كأنَّها ممزوجةٌ بالدم ، بين عينية مكتوب كافر ، يقرؤهُ كلُّ كاتبٍ وأمِّي ، يخوضُ البحارَ ، وتسيرُ معه الشمس ، بين يديه جبلٌ من دخان ، وخلفه جبلٌ أبيضٌ يُرِي الناس أنه طعام ، يخرجُ حينَ يخرجُ في قحط شديد تحتَهُ حمارٌ أقمر ، خطوةُ حماره ميل ، تُطوَى لَهُ الأرض منهلاً منهلاً ، لا يمرُّ بماء إلا غار إلى يوم القيامة ، ينادي بأعلى صوته ، يُسمِعُ ما بين الخافقين من الجنِّ والإنس والشياطين يقول : إليَّ أوليائي (أنا الذي خلقَ فسوَّى وقدَّر فهدى ، أنا ربُّكُم الاعلى !) . وكَذِبَ عدوُّ الله ، إنَّهُ أعورُ ، يطعمُ الطعامَ ويمشي في الأسواق ، وإنَّ ربَّكم عزَّ وجلَّ ليس بأعور ،

ولا يطعمُ ولا يمشي ولا يزول ، تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيراً . ألَا وإنَّ أكثر أتباعه يومئذ أولادُ الزنا ، وأصحابُ الطيالسة الخضر ، يقتله اللهُ عزَّ وجلَّ بالشام ، على عقبةٍ تُعرف بـ « عقبة أفيق » لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة ، على يد مَن يُصلّي المسيحُ عيسى بنُ مريم ﷺ خلفَهُ .

ألَا إنَّ بعد ذلك الطامّة الكبرى . قلنا : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال ﷺ : خروج دابة (من) الارض ، من عند الصفا ، معها خاتم سليمان بن داود وعصى موسى ﷺ ، يضع الخاتم على وجه كلّ مؤمنٍ فينطبع فيه : هذا مؤمنٌ حقّاً ، ويضعه على وجهِ كلّ كافرٍ فينكتبُ هذا كافرٌ حقّاً ، حتى أنَّ المؤمنَ لَيُنادي : الويلُ لكَ يا كافرُ ، وأنَّ الكافرَ يُنادي طُوبَى لك يا مؤمن ، وددتُ أنّي اليومَ كُنتُ مثلَكَ فأفوزَ فوزاً عظيماً .

ثم ترفع الدابةُ رأسَها فيراها مَن بين الخافقين بإذن الله جلَّ جلاله ، وذلك بعد طلوعِ الشمس من مغربها ، فعند ذلك تُرفَعُ التوبة ، فلا توبةٌ تُقبل ولا عملٌ يُرفع (ولا ينفعُ نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) . ثم قال ﷺ : لا تسألوني عمّا يكون بعد هذا ، فإنه عهدٌ عهدَهُ إليَّ حبيبي رسولُ اللهِ ﷺ أنْ لا أُخبر به غيرَ عترتي .

قال النزال بن سبرة :

فقلتُ لصعصعة بن صوحان : يا صعصعة ما عنى أميرُ المؤمنين ﷺ بهذا ؟ فقال صعصعة : يا ابن سبرة ، إنَّ الذي يُصلّي خلفه عيسى بن مريم ﷺ هو الثاني عشر من العترة ، التاسع من ولد الحسين بن علي ﷺ ، وهو الشمسُ الطالعة من مغربها ، يظهر عندَ الركنِ والمقام ، فيطهّر الأرض ، ويضع ميزان العدل ، فلا يظلم أحدٌ أحداً . فأخبر أمير

المؤمنين ﷺ أنّ حبيبه رسول الله ﷺ عهد إليه أن لا يُخبر بما يكون بعد ذلك غير عترته الائمة صلوات الله عليهم أجمعين [1] ..

المحصّل من النص أنّ زمن الدجّال يكون ما زال على نحوٍ من مواصفات آخر الزمان التي لم يمهّدها المهدي ﷺ بعد على نظام الشريعة لما تعنيه تلك الجبهات من تجذّر في البقاع المختلفة من الأرض . لكنّ المهدي يكون قد قطع شوطاً استراتيجيّاً في غاية الأهميّة ، وفتح بقاعاً واسعة أقام فيها حكم الله تعالى .. أو انّ النص ناظر إلى الوصف العام الشامل لِمَا قبل الدجّال ، أي وصف عام لآخر الزمان وما يبقى له من أثر إلى زمن الدجّال .

وبتعبيرٍ آخر : النص يشيرُ إلى معالم آخر الزمن ، بما تعنيه ما قبل الظهور ، وما يتبعه في طول مسيرة مولانا المهدي ﷺ حال تطهيره الأرض من الشرك والفساد وأئمّة الضلال ، وصولاً إلى إعلان الأرض طاهرةً من الفساد ، خالصةً للعباد في طاعة الله ..

وعليه : أشار الإمام ﷺ إلى شيوع الربا ، وأخذ الرُّشا ، وهذا من اعنف مضارّ قيم السوق وحلّ الخصام ، وما يتّصل به من أمورٍ مختلفة في مجال الحكم ومفاهيم الإجتماع السياسي وشبهه .. ثم يشيرُ ﷺ إلى انّ ذلك الزمان تكون فيه هيئة المسكن على نحوٍ من تشييد البنيان ، أي عمارات عالية ، يصممها ويقيمها بنو ذلك العصر ، وليس في هذا تهمة لكنّ الإمام ﷺ يشير إلى واحدة من مواصفات ذلك العالم القائمة .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٥٢٥ ـ ٥٢٨ ب ٤٧ ح ١

لكنَّ تلك الجماعة التي تعيش في ذلك الزمـان - بالغالب المطلـق - تجاهر في العصيان ، تبطل الحق ، وتُحقُّ الباطل بمواثيقها وقيمها وأعرافها وتقاليدها ، بحيث تغيَّر المفاهيم والقيم ومصـادر التشـريع وأُسـس الحُكـم وبُنى الإحتكام . أهلُ ذلك الزمن صفتهم أنّهم باعوا الدِّين بالدنيا ، اسـتبدلوا الآجلة الدائمة بالعاجلة الفانية ، استبدلوا مواثيـق السـماء بمفـاهيم الأرض القائمة على نحوٍ من دواعي الهوى والغريزة ومفاهيم تتّصل بجزر المنـافع وأساطيل المال ومفاصل الإحتكار وشبه ذلك .

يسـتعملون السـفهاء الـذين يقرِّبـون البعيـد ويبعِّـدون القريـب ، ويحرفـون الأمـر عـن حقيقتـه ، ويتّخـذون الشـوط البشـري لهـواً وهـوىً وغريزة ، فيمـا قافلـة الوجـود أعمـق ، وغايـة الحيـاة منصـبّة علـى هـدف مختلف ، قوامُهُ الآخرة بما تعنيه من حساب وثواب وعقاب وخلد في جنّة أو نار .

كما من صفة ذلك العالم أنّهم يُسوِّقُون المرأة سلعةً بخسة ، تكـون في نواديهم وحفلاتهم وطقوسهم ، يتبـارون فـي بيعهـا وشـرائها بعنـاوين وأنماط مختلفة ومدهشة ، منها : تسـليع منافعهـا الجنسـية ، وبهـذا الـدافع يحشرونها في مراكز الرجال لتساق إلى خانة الإباحـة وإشـباع الشـهوات ، فيسمّونها مستشارة ، وعارضة ، وبنت هوى ، وسكرتيرا وشبه ذلـك مـن أنواع ونماذج مختلفة ، تكون فيها المرأة ساقرةً ، خالعةً ، متهتِّكة ، متجـردةً من عفّتها ، متعرّيةً من حقيقتها ، تعتمد الألـوان والـدهون والمشـفط والـنفخ والشـكل الإبـاحي قيمـةً انتمائيّـة إلـى عالمهـا ، هـذا بدقّـة مـا تـوحي بـه النصوص . بل تنص عليه مباشرةً في كثيرٍ من مداليلها ..

أهلُ ذلك العالم همُّهُم بطونُهُم وفروجُهم وثرواتُهم ، يتبارون بالربا والرشا والإحتكار وشراء الذِّمم وتسليع القيم والإتّجار بالمنافع دون قيد أو رادع . في ذلك العالم يُسخَرُ من موازين العقل في تحسينٍ أو تقبيح ، وتُنكَرُ مداليلُ الطبيعة والفطرةِ في انتماءاتِها ، فلا ترى إلا هائماً على بطنِه ، لاحقاً فرجَه ، تابعاً نفعه ، دونَ مُرشدٍ من كونٍ أو طبيعةٍ أو دينٍ أو عقل .. فإذا حلَّت الثروات مُرشِداً ، وتسلطنت الهفوات ، ونفذت الغرائز ، قُطِعت الأرحام ، وتبدلت القلوب ، وتحوّلت العواطف ، وتأسّس مشروع جديد لدواعي الفعل وعدمِه ، وبرز نموذج آخر من بني مجتمع المواطن والثروة والحكم والقضاء والتعامل ..

سمة ذلك العالم أهواءٌ مُتَّبعة ، إشارة إلى اضطراب شديد يُصيب بنى الفكر البشري في التوصيف والتصنيف ، في التحسين والتقبيح ، بحيث تتحول القيم من منابعها الضروريّة إلى الإعتبارات اللاهثة وراء بطونها وشهواتِها وغرائزها ، تماماً كمن يعلم أنَّ الزنا حرام فلا يرتدع ، أو كالذي يعلم أنَّ الزنا مُحطِّم للأسرة ونظام الجماعة والآداب فيسخر من ذلك ..!

فمع هذا تكون الموازين هشّة ، والمعايير مضطربة ، والنفوس متحوّلة ، والأحاسيس متغيِّرة ، والدوافع متَّبِعة ، في قومٍ اتبعوا اهوائهم ، فاستخفّوا بالدماء ، إشارة إلى كثرة القتل والإبادة دون ان ترى تلك الجماعة في ذلك عجباً ، بل ترى فيه خير السوق وقوّة الكيان ، وعظمة القوميّة ، وزيادة الدخل ، وتحفيزاً للإنفاق ، وتكبيراً للإقتصاد ، وهذه فعلاً دوافع حروب اليوم من غزو وفتح وإبادة لأسبابٍ سوقيّة واقتصاديّة وماليّة وشبه ذلك ..

ومتى يكون ذلك .. ؟ يكون ذلك إذا كان الحلم – بما يعنيه من أخلاقٍ وعقلٍ وإحسان – ضعفاً ، والظلمُ – بما يعنيه من جورٍ اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي أو مالي أو نقدي أو حربي أو بيئي أو أخلاقي – فخراً .

وهذا يكون حين يكون الأمراءُ فجَرَة ، همُهم شهواتُ بطونهم وفروجهم وثرواتُ ذممِهم ، دون مرجعٍ من عقلٍ أو كونٍ أو قيمٍ حسنةٍ أو دين . معهم ووزراء ظلمة ، على شاكلتهم ، ينتصرون بالقيم التي تعجب أمراءهم ، يُشرِّعون عبر المراسيم والقرارات ما يساعد على تطوير بنى مشروع الإنسان الأرضي شديد الإنفصال عن مشروع السماء بكلّ ما تعنيه هذه العبارة من معنى في الإدارة أو التنظيم أو التوصيف للأعمال والأفعال . فضلاً عن السلطان التنفيذي الذي يكون بين أيديهم فيتّخذونه معبراً لتحقيق غاياتٍ تتعارض مع قيم الطبيعة ودينِ الإسلام ، وموائيق الخير والإنسان ، وبيّنات العقل في التحسين والتقبيح ، فيزيدون من هجرة الإنسان ، ومن انحرافه وسقوطه في هواد ، في مختلف القطاعات ، من سوقٍ ونقدٍ وأخلاقيّات ونفعيّات ومكاسب وتجارات وحدود وحقوقيّات . يتبعهم عرفاء خونة ، يقومون على التدليس والغشّ والخيانة والفواتير الوهمية وتجيير الصالح العام في الصالح الخاص ، وما إلى ذلك من أمثلة لا يحصيها قلم أو بيان ، وفوق هذا وذاك يُروِّجون لسلعتهم الغريزيّة التي أعلنت انفصالها الشديد عن قيم السماء بفقهاء فسقة ، منحرفين ، يرمون بطونَهم في وجه الشمس لبيع زادهم الديني ببخس الأثمان وفق الهوى ومنافع الرشا ..

فإذا حَكَم الأمراءُ الفَجَرَة ، والوزراء الظُّلَمَة ، والعرفاء الخَوَنَة ، والفقهاء الفَسَقَة ، ضاقت الدنيا بالخير ، وشحَّ المعروف ، وأهولت العقول ،

وانتشرت البدع ، وتفاقم الظلم والفساد ، وشاع الكفر في البلاد ، وعمّ الجحود ، وبطلت العهود ، وأصبح الكذب ثقافة الغانم ، والصدق سلعة البائس ، وظهرت شهادات الزور واستحكم الفجور ، واستعلى الاثم والطغيان ، وأبطل حكم القرآن ، وانقلب المصحف من ميثاق شريعة إلى زينة وزخرف في البيوتات والمؤسسات ومقار الحكم والسلطان ، وتحوّلت المساجدُ من بيوت عبادة إلى زخارف للزينة والمنافسة وفنيا التحوير والتزوير والتجيير ، وتنافس القوم في تطويل المنارات وتضخيم العمارات علامةً منهم على تيهان المنافسة في الدنيا لا على الدّين ، وهذا هو المذموم في النصوص .

ومع ذلك تنقلبُ الآيات ، وتتغيّر مفاهيم القيم وظواهر العلامات ، وتتحوّل مصادر التشريع والإعتبار وسنن العرف وظهرت عيوب الهوى ، وضغائن النفوس ، وشاعت الفتن ، وتعاظم أمر الفساد وعمّ البلاء ، وأصبح الإنحراف كرامةً يتنافس عليها القوم ، والنساء سلعة في البيع والشراء ، والجنس نموذجاً للتكريم والتعظيم ، والمرأة وجبة للتلذّذ والإشباع ، وطغى تصميمها على لونٍ من الإباحيّة في السلوك واللباس والمظهر الذي لا يستر صدراً أو فخذاً وفرضت الأسواق تسليعها لبيعها في مسالخ الإتّجار في الهوى كموسمات ، وتبارى القوم في فصل الدّين عن الحكم ومصادر التشريع ، وانتشر السفور ، وتأصّلت العلمنةُ شعاراً للقيم ، ومصدراً للتشريع ، ومخمراً للدوافع والأحاسيس ، ومظهراً للإنتساب والإنتماء ، ومعياراً للشرعيّة والتزام القوانين ، وسبباً للثواب ، وسدّاً من العقاب ، هناك تظهر « إمارة الأشرار الطاغية » ، وحكم الجبابرة ، ويقترب الموعود .

من مظاهر ذلك العالم انّ المرأة تنخرط في التجارة التي تليق بغريزتها وصفة إباحتها ، لا يهمّها عفّة أو شرف أو أخلاق ، تنخرط في سوق التسليع ، وهذا هو المذموم بلسان النصوص . المذموم خروج المرأة إلى النشاط التجاري على نحوٍ من سطوة الغريزة ، وإباحيّة التعامل ، وتسليع خدماتها الجنسيّة ، حتى تجد رزقها في فرجها ، ونفعها في هواها ، ووجودها في سفورها ، فالويل لها ، الويل لها كما أشارت إلى ذلك النصوص . وفي هذا النص قال ﷺ : وشارك النساء أزواجهن في التجارة حرصاً على الدنيا . أي دخلت السوق كما هي ، بما تعنيه من قيم تسليع ونفع لا تفرّق بين غريزة أو هوى ، همّها بطنها وثروتها ولو في سفورها وسفودها ورزق فرجها ، حتى أنّ متاجر الأدوات المثيرة جنسيّاً – هكذا إسمها في الغرب – تُعتبر من أكبر المتاجر ، وتقوم على استغلال أسماطيل من الفتيات للعرض الدائم الإغرائي للجنس بهدف بيع الأزياء والأدوات الإباحيّة . واليوم تنفق مئات ملايين الدولارات كل موسم لإنتخاب أجمل عزباء إباحية وأجمل مومس وأجمل عاهرة – وأمور أخجل أن أخطّ قلمي بها – في أنحاء العالم ..

في ذلك العالم تعلو أصوات الفُسّاق ويُسمع منهم ، أي يكون لهم علو المنزلة في الحكم والمؤسسات الإشتراعيّة والتنفيذية والقضائيّة ومفاصل المجتمع المدني والأهلي والسياسي الكياني والأممي وشبه ذلك ..

وبهذا يصبحُ زعيم القوم أرذلهم ، ويحكم الفاجر فلا يُعصى خشية عقابه وأثر فعله وشرّ نقمته ، ويُتبذ الصادق العارف ، ويُصدَّق الكاذب ، أي يصبح من أهل السلطنة في السياسة والإجتماع والثقافة وغيرها من مفاصل

المجتمعات النافذة التي لها أثر مباشر وغير مباشر في إنتاج المواصفات وتطبيقاتها وترسيخها وتلزيمها على نحوٍ من قيمة الإلزام ..

وبهذه الصفات يُؤتمن الخائن الذي يخون الكون ومسيرة الحقائق ، وضرورات الوجود ، ولوازم المسير والبقاء ، يُؤتمن على الحكم والمؤسسات ، على اشتراع القيم ، على تسويق المفاهيم في الإعلام والإعلان ، في الدعاية وثقافة الكتاب ، في المنهج المدرسي والإجتماع وغيره ..

في ذلك العالم يشيع الهرج والمرج ، وتكثر السفاهة ويشيع الإضطهاد ، وتتحوّل مسيرة الإنسان إلى جنونٍ عابثٍ ، وهرجٍ قاتلٍ ، وفسادٍ عاجل ، ويُهيكلُ الجمعُ راحتهم وفرحهم على المعازف والعيدان ، والطبل والقيان ، على الغانيات المسافرات ، الراقصات العاريات ، وتكثر ظاهرةُ التعرّي الإباحي ، والضيّق ، والقصير ، وعرض العورات ، واستخدام الجسد كأداة للبصر ، وأسلوب لترويج العهر والإغواء .. فيلعن آخرُ هذه الامة أوّلها ، ويتقاتلون على النزوة والشهوة والمال والثراء ، ويتباربون بالفساد والباطل ، وحبُّ الهوى ، ويسخرون من القرآن ، ويتعاوتون على الآثام ، ويقدمون ثقافة التعرّي كنظرية رفيعة من مفاصل الأخلاق ..!

وتركب الفروج السروج ، تماشياً مع ثقافة السوق وإبداعاتها فتروّج لنفعها في مدن الدعارة ، ونوادي الرقص ، وبيوت التعرّي ، وصولاً إلى الأسواق والبيوت والطرقات ..! في ذلك العالم تتشبّه النساءُ بالرجال ، والرجال بالنساء ، وما أكثر هذا الصنف في عالمنا بل ما أقل ما هو خلافه ! في قومٍ يُؤثرون عمل الدنيا على الآخرة ، ينامون بأجساد بشر ويستيقظون

بقلوب ذئاب . قلوبهم أنتن من الجيف ، وأمرّ من الصبر ، لها رنينٌ في الهوى ، وتوحُّش في الغوى ، وأعلام في الحرام ..

ثم يشيرُ النصُّ إلى مأمنٍ وهو بيت المقدس . وهذا يعني أنَّ حركة الدجّال لا تكون فيه ، وفي النصوص ما يسمح باستفادة سقوط مدن وأقاليم وبقاع مختلفة تحت سطوة الدجّال ، فيعيث في الأرض فساداً ، ويحتكر الثروات ، ويضطهد العباد . وحسب النصوص يمتاز بالتدليس والغش والخداع في تزوير الحقائق وتبديل المشاهد وتزييف حقائق الأمور .. يبدو أنَّ له علاماتٍ مائزة ، بعضُ شكله فيه اختلاف عمّا عهدناه ، على الأقل فيما خصَّ العينين ، من هنا اختلط الأمر على بعض الشُّراح ، هل هو بشر أم لا ؟ والذي يبدو من مجموع متعدِّد من النصوص هو بشر ، فيه علامات مائزة ، يمكن ملاحظتُها ، وهو قائد جبهة الشرِّ في ذلك الزمن ..

وأظنّ أن ما ورد في هذا النص من عين يمنى ممسوحة ، وعين أخرى في جبهته تضيئ كأنها كوكب الصبح ، أظنُّ أنّ بعضها أو ما حولها من الخدع التي يعتمدها الدجّال في عملية الإغواء التي يمتاز فيها .. ولا خلاف في النصوص على انّ الدجّال يمتاز بالتدليس والإغواء والشعوذة وتبديل الحقائق وتزويرها ..

ومع كلِّ إغوائه يكون شديد الوضوح في الكفر ، النص شديد الصراحة في أنّ الدجّال مشهور بكفره وجحده ، يعرفه كلُّ إنسان يقرأ أو لا يقرأ . وتعبير « مكتوب بين عينيه كافر » ، يُرادُ منه الإشارة إلى أنَّ سمات الكفر فيه شديدة الوضوح لا تخفى على متعلِّمٍ أو أميٍّ .. يملك الدجّال من وسائل المواصلات وأدوات الحرب أمراً مهمّاً ، شديد التقنيّة . وهذا معنى

قوله ﷺ : يخوض البحار وتسير معه الشمس ، أي يملك من أدوات الإنتقال ما يعبُر به من نهارٍ إلى نهار ، ومن ليلٍ إلى ليل ، يختزل الزمان والمكان بما لديه من سوائل متطوّرة .. وهذا ما أشار إليه أيضاً في فقراتٍ أخرى بقوله ﷺ : تحته حمار أقمر ، خطوة حماره ميل ، تطوى له الارض منهلاً منهلاً . أي يملك أداة انتقال سريعة . وكانت العرب تعبّر بمَن يملك فرساً سريعة بأنّ الأرض تُطوى تحت قدميه ..

أمّا تعبيرهُ ﷺ : بين يديه جبل من دخان ، يمكن ان يُراد منه أنه ضروس في الحرب ، فتّاك ، قتّال ، أو أمر آخر يتّصل بالسلع الغذائيّة واعدادها في زمنٍ يكثُر فيه الجوع ويشتدُّ في بقاعٍ مختلفة من العالم . ويشهد له الفقرة التابعة له بقوله ﷺ : وخلفه جبل أبيض يُرِي الناس أنه طعام . أي يوهمهم بأنّه طعام . ويكون ذلك في ظلّ موجةٍ خطيرةٍ من قلة السلع والمواد الغذائيّة ، أي العالم آنذاك يعاني من اضطراب واضح في عرض حاجات الإنسان من الطعام ، وهذا ما أشار إليه ﷺ في قوله : يخرج حين يخرج في قحط شديد . كما يشيرُ النصُّ إلى أنّ له وسائل إعلام ذات أساطيل ضخمة تسمح بوصول صوته وبياناته ودعايته إلى الأقطار ، وفي تعبير النص : ينادي بأعلى صوته يُسمعُ ما بين الخافقين من الجن والانس والشياطين . ويدّعي الربوبيّة ، والنصُّ واضحٌ في أنّه كاذب ، يعلم كذبه حتى أتباعهُ ، العالمُ والجاهل ، يدركون حقيقة تدليسه ، كما في أكثر من نصٍّ واضح بهذا المعنى تماماً .. ما هو إلا أعور ، يمشي في الأسواق ، يأكل الطعام ، يجوع ويشبع ، يقوم وينام ، في ذاته خواءٌ لا يقيمه إلا ما يعتمدهُ من وسائل الحرب وتقنيّة الأدوات .. أكثر أتباعه يومئذ أولاد الزنا ، وأصحاب الطيالسة الخضر ، القادة في جبهته اليهود ، يقتله اللهُ عزّ وجلّ

بالشـام ، علـى عقبـة تعـرف بـ « عقبـة أفيـق » يـوم الجمعـة علـى يـد المهدي ﷺ – في نص آخر يُقتل عند باب لد – النص واضح في أنّ الذي يقتله هو المهدي ﷺ . في حين غيره يشير إلى أنّ الذي يقتله هو المسيح . على أنّ نصوص أهل البيت صريحة في انّ الذي يقتله هو المهدي . فيما النصوص الواردة عن لسان العامّة تشير إلى أنّ الذي يقتله هو المسيح ، والصحيح لدينا ما ورد عن لسان أهل البيت ﷺ لأنّه أهل الوحي والمؤتمنون عليه والمنصوبون من قبل الله تعالى .

ثم يشير ﷺ إلى الدابة التي مهمّتُها ختم الناس والتفريق بين المؤمن والكافر .. على انّ النصّ يشيرُ إلى أنّ بعد الدجّال الطاسة الكبرى ، ثم يصف ذلك بخروج الدابّة ، وهذا يعني انّ لخروجها أمراً عظيماً ، مع التأكيد على أن خروج يأجوج ومأجوج ، الجبهة ذات العدد الضخم والتسلّح الكبير التي تخوض حروباً فتنتصر بها ، ثم تتوجّه إلى قتال جبهة المهدي ﷺ تكون قبل خروج الدابّة .. إذن النص ليس ناظراً إلى الإحصاء التام في الحوادث بما تعنيه من تعاقب زمني . بل يقرّر بعض النتائج .

أمّا طلوع الشمس من مغربها فإنّه يكون قبل ظهور المهدي ﷺ وعلامة عليه . إلا أن يُقال هنا انّ هذا طلوعاً آخر ، فإذا ظهرت الدابة وطبعت الناس طلعت الشمسُ من مغربها الطلوع الثاني وعلى فرض اعتبار ما ورد فإنّ التوبة تُرفع ، ولا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل ..

وفي حديث الإمام علي ﷺ – من خطبة خطبها ﷺ بالبصرة بعد ما فتحها – روي أنه لمّا فرغ من حرب أهل الجمل أمر منادياً يُنادي في أهل البصرة : انّ الصلاة الجامعة لثلاثة أيام من غدٍ إنْ شاءَ اللهُ . ولا عذرَ لمَنْ

تخلَّفَ إلا مِن حجَّة أو علَّة فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً ، فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج ﷺ فصلَّى في الناس الغداة في المسجد الجامع ، فلما قضى صلاته قام فأسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلَّى فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلَّى على النبيِّ ﷺ واستغفر للمؤمنينَ والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، ثم قال :

[.. يا أهلَ العُوتفِكَة ، ائتفكت بأهلها ثلاثاً ، وعلى الله تمامُ الرابعة . يا جندَ المرأة وأعوانَ البهيمة ، رغا فأجبتم ، وعقر فانهزمتم ، أخلاقُكُم دقاق ، وماؤُكُم زعاق ، بلادكم أنتنُ بلادِ الله تربةً ، وأبعدُ من السماء ، بها تسعة أعشار الشر ، المُحتَبَسُ فيها بذنبه ، والخارجُ منها بعفو الله . كأنِّي أنظرُ إلى قريتكم هذه وقد طبقها الماءُ ، حتى ما يُرَى منها إلا شرفُ المسجد ، كأنَّهُ جؤجؤُ طير في لجَّة بحر .

فقام إليه الاحنفُ بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ومتى يكون ذلك . قال ﷺ : يا أبا بحر ، إنَّك لن تُدرك ذلك الزمان ، وإنَّ بينك وبينه لقروناً ، ولكن ليُبلِّغ الشاهدُ منكم الغائبَ عنكم ، لكي يُبَلِّغُوا إخوانهم إذا هُم رأوا البصرة قد تحوَّلت أخصاصُها دوراً ، وآجامُها قصوراً ، فالهربَ الهربَ ، فإنَّهُ لا بصيرةَ لكم يومئذ .

ثم التفت عن يمينه فقال ﷺ : كم بينكم وبين الابلة . فقال له المنذر بن الجارود : فداك أبي وأمي أربعة فراسخ . قال له : صدقت ، فوالذي بعثَ محمَّداً وأكرمه بالنبوة ، وخصَّهُ بالرسالة ، وعجَّلَ بروحه إلى الجنَّة ، لقد سمعتُ منه كما تسمعون منِّي أنَّ قال : يا علي ، هل علمتَ أنَّ بين التي

تُسمّى البصرة والتي تُسمّى الابلة أربعة فراسخ ، وقد يكون في التي تُسمّى الابلة موضعُ أصحاب العشور ، يُقتَلُ في ذلك الموضع مِن أمّتي سبعونَ ألفاً ، شهيدُهُم يومئذ بمنزلةِ شهداءِ بدر .

فقال له المنذر : يا أمير المؤمنين ، ومَن يقتلهم فداك أبي وأمي ؟ قال ﷺ : يقتلهم إخوانُ الجنّ ، وهم جيلٌ كأنّهُم الشياطين ، سود ألوانهم ، منتنة أرواحهم ، شديدٌ كَلَبُهُم ، قليلٌ سلبهم ، طوبى لمَن قتلهم ، وطوبى لمَن قتلوه ، ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قومٌ هُم أذلّةٌ عند المتكبّرين من أهلِ ذلك الزمان . مجهولونَ في الارض ، معروفونَ في السماء ، تبكي السماءُ عليهم وسكّانُها والأرض وسكّانُها .

ثم همّلت عيناهُ ﷺ بالبكاء وقال : ويحكِ يا بصرة ، ويلكِ يا بصرة ، مِن جيشٍ لا رهجَ له ولا حسّ . قال له المنذر يا أمير المؤمنين : وما الذي يُصيبهم مِن قبل الفرق ممّا ذكرت ، وما الويح ، وما الويل ؟ فقال ﷺ : هما بابانِ ، فالويح بابُ الرحمة ، والويلُ باب العذاب يا ابن الجارود ، نعم ثاراتٌ عظيمةٌ ، منها عصبةٌ يقتُلُ بعضُهَا بعضاً ، ومنها فتنةٌ تكونُ بها خرابُ منازل وخرابُ ديار وانتهاكُ أموال وقتلُ رجالٍ وسبيُ نساء يُذبحنَ ذبحاً يا ويل أمرهن حديثُ عجب ،

منها أن يستحلّ بها الدجالُ الاكبرُ الاعورُ الممسوح العين اليمنى والأخرى كأنّها ممزوجةٌ بالدم لكأنّها في الحمرة علقة تأتي الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية على الماء فيتبعه مِن أهلها عدّةُ مَن قُتِلَ بالابلة مِن الشهداء ، أناجيلهم في صدورهم ، يقتل مَن يقتل ويهرب من يهرب ، ثم رجفٌ ، ثم قذفٌ ، ثم خسفٌ ، ثم مسخٌ ، ثم الجوعُ الأغبر ، ثم الموت الأحمر

وهو الغرق . يا منذر ، إنَّ للبصرةِ ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزُّبرِ الأوَّل لا يعلمها إلا العلماءُ منها : الخريبة ، ومنها تدمر ، ومنها المؤتفكة . يا منذر ، والذي فلقَ الحبَّةَ وبرئ النسمة ، لو أشاءُ لأخبرتكم بخرابِ العرصات عرصةً عرصةً ، ومتى تخربُ ، ومتى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة ، وإنَّ عندي من ذلك علماً جمّاً ، وإن تسألوني تجدوني به عالماً لا أُخطئ منه علماً ولا واقياً ، ولقد استُودِعتُ علمَ القرونِ الاولى وما كائنٌ إلى يوم القيامة .

قال : فقام إليه رجلٌ فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني ، مَن أهلُ الجماعة ، ومَن أهلُ الفرقة ، ومَن أهلُ السنَّة ، ومَن أهلُ البدعة ؟ فقال ﷺ : ويحك إذا سألتني فافهم عنّي ولا عليك أن لا تسأل أحداً بعدي : أما أهلُ الجماعة فأنا ومَن اتَّبعَني وإنْ قلُّوا ، وذلك الحقُّ عن أمرِ الله وأمرِ رسوله . وأمّا أهلُ الفرقة فالمخالفونَ لي ولمَن اتَّبعَني وإنْ كثروا . وأما أهلُ السنَّة فالمتمسكُون بما سَنَّهُ اللهُ ورَسُولُهُ لا العاملونَ برأيهم وأهوائهم وإنْ كثروا ..][1] .

وكما ترى : تعرَّضَ الإمام علي ﷺ أوَّل النصِّ إلى البصرة وما صار الأمر فيها من اتّباع عائشة وطلحة والزبير ، وما حاربوا دونه في تلك المعركة ، أي الجمل الذي كانت فيه عائشة ، والذين تفانوا في الدفاع عنه ، وقد أشارت كُتب التاريخ إلى الغريب العجيب في هذا الأمر ، ثم جاز من هذه المقولة إلى أمرٍ آخر يقع في البصرة ، مؤكّداً انّه تقع فيها أمور عظيمة ، ويكون فيها قوم يحكمون تكون معهم البصرة من ابعد الأراضي عن

---

[1] شرح نهج البلاغة – ابن ميثم البحراني : ج ١ ، صـ ٢٨٩ و ٢٩٠

السماء ، أي عن رضا الله تعالى ، وتكون تربتُها شرٌ تربة ، لما تحملُ من شرٌ خلق ، وقد مرٌ عليها زمن الحجّاج بن يوسف الثقفي ما اهتزّت منه الأرض والسماء ، وهذا أضربه للتقريب والمثال .

ثم يشيرُ ﷺ إلى أمرٍ يقع فيها ، حيث يطبقها الماءُ حتى ما يُرى منها إلا شرف المسجد ، إشارة إلى طوفان ، لا أدري مصدره الأرض أم السماء ، سدود أم طوفان ، المهمّ انّ ماءاً تطوف فيها على نحوٍ عظيم ، فلا يُرى إلا شرف المسجد كجؤجؤ طير أو صدر سفينة في لجّة بحر ، أي في ماء كثيرة ، وذلك بعد قرونٍ من الأزمان كما في اللفظ ، تتحوّلُ فيه أخصاصها دوراً وآجامها قصوراً . أي تتحوّل إلى العمارات ، والمباني النوعيّة المزخرفة وشبه ذلك ..

فإذا وقعت العلامات يقول ﷺ : الهرب الهرب ، لشدّة ما سيصيبها . في منطقةٍ تسمّى الابلة موضع أصحاب العشور ، حيثُ يُقتل في ذلك الموضع من أمّة النبي والإمام علي سبعون ألفاً ، شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر . يقتلهم جماعة فجرة ، جبّارون ، مثل إخوان الجن ، أي لهم سطوة وجحود هائل ، كأنهم الشياطين ، سود ألوانهم ، منتنة أرواحهم ، شديد كَلَبُهُم ، لهم سطوةٌ وظلمٌ وتوحّشٌ بالقتل . ورغبة في الإبادة ، وطمع في سفك الدماء . ثم يدعو ﷺ للمقتولين في سبيل الله تعالى .

فإذا وقعت تلك الملحمة العظيمة نهض لجهاد هؤلاء الظلمة قومٌ أذلّة عند المتكبرّين من أهل ذلك الزمان مجهولون في الارض معروفون في السماء ، تبكي السماء عليهم وسكانها والأرض وسكانها . إشارة إلى قومٍ من أهل الإيمان لهم صفةٌ عظيمة ، وإنْ صدقني الفهم : هم قومٌ من أهل

خراسان ، بل النصُّ في أكثر من طائفة وارد في نصرة أهل خراسان لشيعة آل محمّ الذين يقتلهم جيش السفياني شرَّ قتلة ، النص هنا ليس في وارد الإشارة إلى الدجّال ، بل الفقرات الأخرى التي تشير إلى أحداثٍ متتابعة تشيرُ إلى الدجّال ..

ثم قال ﷺ : ويحك يا بصرة ، ويلك يا بصرة من جيشٍ لا رهج له ولا حس ، يبدو أنّه يشنُّ هجوماً عنيفاً إمّا بشكلٍ مفاجئ ، أو يملك من الأدوات والتقنيّة ما يسمح له بالتسلُّل من الأرض والسماء بشكلٍ مفاجئ دون ضجيجٍ أو تنبيه ، وعلى أثره تقع الواقعة ، من التحام القتال ، وموت ناس يدخلون باب الرحمة وقوم يدخلون باب العذاب ..

ثم ثاراتٌ عظيمة ، وغبارٌ كثيفٌ من الفتن والصدامات ، منها عصبةٌ يقتل بعضها بعضا ، وفتنة يكون بها خراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال وقتل رجال وسبي نساء يُذبحن ذبحاً يبدو من أمرهنَّ العجب ، في ظلِّ عنفٍ هائلٍ ، ودمارٍ مستديم ، وكوارث متتابعة ، وحمم نازلة ومقاتلة متفانية ..

ثم الدجّال الأكبر الأعور الممسوح العين اليمنى والاخرى كأنها ممزوجة بالدم كأنها في الحمرة علقة ، الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية على الماء ، حيث يستجلُّ ما يستحل ، ويتبعه من أهلها عددٌ كبير ، أناجيلهم في صدورهم ، يقتل من يقتل ويهرب من يهرب ، ثم يقع رجف ، ثم قذف من السماء ، ثم خسف في الأرض ، ثم مسخ ، ثم جوع هائل ، عبَّر عنه الإمام ﷺ بالأغبر ، ثم موت أحمر ، وهو الغرق . ثم اشار ﷺ إلى انَّ للبصرة أسماء في الزبر الأول لا يعلمها إلا العلماء منها : الخريبة ، ومنها

تدمر ، والمؤتفكة . إشارة إلى الفتن والحرب والعنف والدمار والنار التي تصيبها ..

وفي تعبيرٍ متتابع عن صفة العالم زمن الدجّال قال ﷺ : [.. فِتَنٌ كَقِطَعِ الليلِ المُظلِمِ ، لا تقومُ لها قائمةٌ ، ولا ترد لها رايةٌ ، تأتيكم مزمومةً مرحولةً ، يحفزها قائدُها ، ويُجهدُها راكبُها ، أهلُها قومٌ شديدٌ كَلَبُهُم ، قليلٌ سلبهم ، يجاهدهم في سبيل الله قومٌ أذلّةٌ عند المتكبّرينَ ، في الأرضِ مجهولون ، وفي السماءِ معروفون ، فويلٌ لك يا بصرة عند ذلك ، من جيش من نقم الله ، لا رهج له ، ولا حسٌّ ، وسيُبتَلى أهلُك بالموت الاحمر ، والجوع الاغبر][1] ..

قال ابن أبي الحديد : (. . هذا إنذار بملحمة تجري في آخر الزمان ، وقد أخبر النبي ﷺ) .

على انّ أهل الإيمان أو بعضهم – حسب النصوص – يُصابون بجهدٍ عظيمٍ زمن الدجّال ، ثمّ يفرّج اللهُ تعالى عنهم . وليس بين يديّ من النصوص ما يشير إلى حركة جبهة المهدي ﷺ على باقي البقاع والمناطق التي تكون ما زالت معتمرة بأئمة الباطل ، مثل جبهة يأجوج ومأجوج الضخمة جداً ، والتي تخوض حرباً من نوعٍ كبيرٍ تنتصر فيه على امّةٍ من تلك الأممِ التي تكون موجودة ، فإذا انتصرت عليها قالت : غلبنا أهل الأرض ، إشارة إلى تقدم كبير وقدرات هائلة تمتلكها هذه الفئة من الجبهات التي تصفها النصوص بما يشير إلى جيشٍ أعظم ..

---

[1] نهج البلاغة – صبحي الصالح : صـ ١٤٨ خطبة ١٠٢ – عبدة : صـ ١٩٦ خطبة ٩٨ ، ابن أبي الحديد : ج ٧ صـ ١٠٢ خطبة ١٠١ وفيه : (. . يجاهدهم في الله . .) .

وعلى كلٍّ حال ، ما أحبُّ أن أذكّر بهِ أنّ النصوص في خصوص حركة الجبهات ومعالمها ومفاصلها تشيرُ إلى هياكل ومفاصل هنا وهنالك ، لكنّ خريطة الأمم ، وطبيعة الجبهات ، وسمات التفاعل وظروف المجال الدولي ، وطبيعة العلاقات ، والمجال الدبلوماسي ، وما يُثار هنا وهنالك ، وما يضجُّ بهِ العالم آنذاك لم تتعرّض النصوص إليهِ بشكلٍ تفصيلي أو بنوعٍ من الإسهاب .. وبالتالي : لا نستطيع رسم خريطة كاملة ، أو تصوير تام ..

فتح المهدي ﷺ بلاد الروم

يبدو أنَّ حرب المهدي ﷺ مع الروم تعتبر من أمّ الحروب . يخرجُ المهديُّ ﷺ آخرَ الزمان والروم أكثر الناس . إشارة إلى تعاظم أمرهم ونفوذهم وانتشارهم وسطوتِهم في البقاع المختلفة . وقد أشرتُ فيما سبق إلى الحرب التي تقع بينهم وبين المهدي ﷺ التي يتخلّلها هدنة تغدر على اثرها الروم . ثم تقع معارك ضارية بينهم وبين جبهة المهدي فيصابون بهزائم متتالية ، وتقع أمُّ المعارك عند حصون وأسوار يبدو أنّها خطّ نار أعدَّه الروم قرب عاصمتِهم فتقع عنها أربع وقعات قاسية يدخل بعدها المسلمون عاصمة الروم فاتحين ..

وفي حديث الإمام علي ﷺ – في قصة المهدي وفتوحاته – قال : [.. ثم يسير ومَن معه مِن المسلمين ، لا يمرُّون على حصنٍ ببلدِ الروم إلا قالوا عليه : لا إله إلا الله ، فتتساقط حيطانه . ثم ينزل من القسطنطينية ، فيكبِّرون تكبيرات (تكبيرة) ، فينشف خليجها ، ويسقط سورها . ثم يسير إلى رومية ، فإذا نزل عليه (عليها) كبَّرَ المسلمون ثلاثَ تكبيرات ، فتكون كالرملة على نقنق][1] .. أولاً كلمة : لا إله إلا الله ، إشارة إلى الإيذان ببدء المعركة أو كلمة السرّ لبداية المعركة ، وهي عبارة عن الأصوات التي تُلازم المقاتلين المسلمين في جهادهم ضدّ الروم ، وذلك يحصل بعد معارك شديدة بين المسلمين والروم ، يبدو فيها انّ التوازن أو الظروف الدوليّة تدفع الطرفين إلى توقيع هدنة ، وحين تغدر الروم تتأرجح الكفّة لصالح

---

[1] قال السليمي : وتكرر باقي الحديث)] # ٦٦٦ – المصادر : # : عقد الدرر : صـ ١٣٩ بـ ٦

جبهة المهدي ﷺ الذي يخوض سلسلة معارك بعضها في الشرق ، القسطنطينيّة ، رمز لفظي للإشارة إلى قوّة ضخمة تكون للروم في الشرق ، والإشارة إلى كلمة رومية تأكيد على عاصمة القرار الغربي (المسيحيّة الغربيّة) التي تصمد إلى نهاية المطاف ، ثم تكون قربها عدّة معارك ضارية يفتح المسلمون على أثرها تلك البلاد ويدخلونها منتصرين بإذن الله تعالى ..

وفي حديث الإمام علي – في قصة المهدي وفتوحاته ورجوعه إلى دمشق – قال : [.. فيكبّر المسلمونَ ثلاثَ تكبيرات ، فتكون كالرملة على نشز ، فيدخلونها ، فيقتلون بها خمس مائة ألف مقاتل ، ويقتسمون الأموال ، حتى يكون الناس في الفيء شيئاً واحداً ..][1] . إشارة إلى عُنف المعركة ، وسخونة الحرب التي تقع هناك ، والتي يسقط على أثرها أناسٌ كثيرون ، بل يبدو من النصّ أنّ الروم تصرُّ على متابعة حربها إلى آخر أشواطها ، فينتصر عليهم المهدي ﷺ ..

وفي نصٍّ آخر مُرسَل للإمام علي ﷺ يقول : [.. ولا يترك ﷺ بدعةً إلا أزالها ، ولا سُنّةً إلا أقامها ، ويفتح قسطنطينية والصين وجبال الديلم ، فيمكث على ذلك سبع سنين ، مقدار كلّ سنة عشر سنين من سنيكم هذه ، ثم يفعل الله ما شاء][2] ..

هذا تأكيد على سعة الإنتشار التي تمثّلها دولة المهدي ﷺ ، من آسيا إلى أوروبا إلى أفريقيا وغيرها من بقاع العالم ..

---

[1] عقد الدرر : صـ ١٨٩ – ١٩١ بـ ٩ فـ ١

[2] عقد الدرر : صـ ٢٢٤ بـ ٩ فـ ٣ – وفي صـ ٢٢٨ – ٢٢٩ بـ ١١

تجديد المهدي ﷺ الإسلام والقرآن

[إخراجه من العزلة إلى الحكم]

من يقرأ نصوص آخر الزمان ، يجد انّ كثيراً من العلماء المُزيّفين أو وُعّاظ السلاطين أو المُتزلّفين للدنيا يلبسون الإسلام مقلوباً ، فيحرّمون الحلال ، ويحلّلون الحرام ، طلباً للهوى ومنافع الدنيا ، يدفعهم إلى ذلك السلاطين والحكّام من مشرق الأرض ومغربها .. فإذا قام المهديُّ ﷺ أعلن الإسلام كما هو ، كما أنزلهُ اللهُ على رسولهِ ﷺ ، فيقيم القرآن بعدما ابطل الناسُ – سلاطين وشعوباً – حدوده وأحكامه . ومن ينظر اليوم إلى العالَم لا يجد فيه إلا قرآناً مُعطّلاً ، لا يُقامُ حدّهُ ولا يُرعى حكمُهُ .

وفي الروايةّ عن الحارث بن حصيرة عن حبة العرني قال : قال أمير المؤمنين ﷺ : [.. كأنّي أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة ، قد ضربوا الفساطيط ، يعلّمون الناسَ القرآن كما أُنزل . أمَا إنّ قائمنا ﷺ إذا قام كسره وسوّى قبلته][1] . يعني بذلك مسجد الكوفة .. وبذلك يحلُّ حلالَ القرآن ويُحرّم حرامة . فيُعلّم القرآنَ على حدوده كاملةً . وينشر القرآن الذي بخطّ الإمام علي الذي يتوارثه الائمة ﷺ والذي جمعه الإمام ﷺ حسب ترتيب سوره وآياته كما نزلت . لكنه هو هو ، نفس القرآن الموجود بين ايدينا ، لا يختلف عنه أبداً . نعم هذا القرآنُ مُفسّر بيد الإمام علي ﷺ .

---

[1] النعماني : ص ٢١٧ – ٢١٨ ب ٢١ ح ٣

وهو القرآن الذي يتناقله الإئمّة إماماً بعد إمام ، يخرج مع المهدي عليه السلام . وهو قرآن مثل قرآننا الذي بين يدي المسلمين ، لكنّه مُفسَّر تفسيراً كاملاً ، بإملاء رسولِ الله وخطّ علي بن ابي طالب عليه السلام ..

وفي رواية أبي ذر الغفاري قال : لمّا تُوفّي رسولُ الله صلى الله عليه وآله جمع عليٌّ عليه السلام القرآنَ وجاء به إلى المهاجرين والانصار وعرضَهُ عليهم ، لمّا قد أوصاهُ بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وآله . . فلما استخلف عمر ، سأل عليّاً أن يدفع إليهم القرآن . . فقال : يا أبا الحسن إنْ جئتَ بالقرآنَ الذي كنتَ قد جئتَ به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه ؟ فقال عليه السلام : هيهات ، ليس إلى ذلك سبيل ، إنّما جئتُ به إلى أبي بكر لتقومَ الحجّةُ عليكم ، ولا تقولوا يوم القيامة : إنّا كُنّا عن هذا غافلين ، أو تقولوا : ما جئتنا به ، إنّ القرآن الذي عندي لا يمسُّهُ إلا المطهّرون والاوصياء من وُلدي . قال عمر : فهل لاظهاره وقت معلوم ؟ فقال عليه السلام : نعم إذا قام القائم عليه السلام من وُلدي ، يُظهرُهُ ويحمل الناسَ عليه ، فتجري السنّةُ به ، صلوات الله عليه][1] ..

المهمّ في هذا المجال أنّ المهدي عليه السلام يُعلن الإسلام كما هو في شريعة الله ، فيحمل الناس على احترام الشريعة والتزامها ، ويبطل بدعة المذاهب ، التي بدا فيها الإختلاف العميق ، ويُظهر الإسلام بحكمٍ واحدٍ وقانونٍ واحد وقيم ومعارف واحدة ، فيحمل المهديُّ الناسَ والأمم المختلفة التي تنضوي تحت لواء دولته العالميّة على اتّباعه وحفظ قيمه .. هذا معنى تجديد الإسلام ، أي بيان الأحكام الواقعيّة ، لا الإختلافيّة ، بيان الأحكام الحقيقيّة لا الظنيّة الوهميّة . بيان أحكام الإسلام كما هو لا المذاهب المختلفة

---

[1] الاحتجاج : ج ١ صـ ١٥٥

التي زادت إلى العشرات وابتدعها بعضها أموراً مذهلة .. ويكفي في صلابة الإمام المهدي ﷺ في حمل الناس على الحقّ ما قاله الإمام علي ﷺ في وصفه ﷺ : [.. يعطف ﷺ الهوى على الهدى ، إذا عطفوا الهدى على الهوى ، ويعطف الرأيَ على القرآن إذا عطفوا القرآنَ على الرأي .. حتى تقوم الحرب بكم على ساق ، بادياً نواجذها ، مملوءةً أخلافها ، حلواً رضاعها ، علقماً عاقبتها ، ألَا وفي غد – وسيأتي غدٌ بما لا تعرفون – يأخذ الوالي من غيرها عمّالها على مساوئ أعمالها ، وتخرج له الأرض أفاليذ كبدها ، وتلقي إليه سلماً مقاليدها ، فيريكم كيف عدلُ السيرة ، ويحيي ميت الكتاب والسنة][1] ..

وبذلك يقيمُ حكمَ الله ، فتبتهج الأرض والسماء ، وتتنزّل النِّعم . وفي النصوص الكثير من الإشارات التامّة حول النِّعم التي تخرجها الأرض وتنزلُها السماء في ذلك الزمن الكريم .. كلُّ ذلك على يد مولانا المهدي ﷺ الذي يعلن الحكمة في الأرجاء ، ويحكم بالقرآن بقاع العالم ، وينشر العدل في أرجاءه ، ويبسط العدل في آفاقه ..

وفي عظيم ما هو عليه ﷺ ، قال الإمام علي ﷺ : [.. قد لبس ﷺ للحكمة جنتها ، وأخذها بجميع أدبها ، من الاقبال عليها ، والمعرفة بها ، والتفرُّغ لها ، فهي عند نفسه ضالّته التي يطلبها ، وحاجته التي يسأل عنها ، فهو مغترب إذا اغترب الاسلام ، وضرب بعسيب ذنبه ، وألصق الارض بجرانه ، بقيّة من بقايا حجّته ، خليفة من خلائف أنبيائه][2] . قال الشيخ

---

[1] نهج البلاغة – صالح : صـ ١٩٤ – ١٩٦ خطبة ١٣٨ .. عبده : جـ ٢ صـ ٢١ . ٥ : ابن أبي الحديد : جـ ٩ صـ ٤٠ – ٤١

[2] نهج البلاغة .. صالح : صـ ٢٦٣ خطبة ١٨٢ ابن أبي الحديد . جـ ١٠ صـ ٩٥ – ٩٦ – عن نهج البلاغة ،

صالح : (هذا الكلام فسّرَهُ كلٌّ طائفةٍ على حسب اعتقادها ، فالشيعة الامامية تزعمُ أنّ المراد به المهدي المنتظر عندهم . . وليس يبعد عندي أن يريد به القائم مِن آل محمد صلى الله عليه وآله في آخر الوقت) . وهو قطعاً في المهدي ﷺ والنصوص أكثر من أن تحصى في أصل هذا المعنى ..

فإذا حكم المهديُّ ﷺ بسط سلطانهُ وأقام منظومة الحقوق الدينيّة ، وأعلن الإسلام معيارَ الشرعيّة ، ونظّم التجارات والإجتماع العام ، وقاد الإجتماع السياسي العالمي على نحوٍ من عدالةٍ كبرى . حتى الأرض التي كانت تُستغلُّ بالإحياء والإعمار يكون الأمر فيها للمهدي ﷺ ، فهو الذي يقول فيها قوله ، وله الإمرة في تحديد صيغتها وطُرق استغلالها وطبيعة انتمائها .

ففي رواية عمر بن يزيد قال : سمعت رجلاً من أهل الجبل يسأل أبا عبد الله ﷺ عن رجل أخذ أرضاً مواتاً ، تركها أهلُهَا ، فعمّرها وأكرى أنهارها ، وبنى فيها بيوتاً ، وغرس فيها نخلاً وشجراً ؟ فقال أبو عبد الله ﷺ : كان أمير المؤمنين ﷺ يقول : [مَن أحيا أرضاً من المؤمنين فهي له ، وعليه طسقها يؤدّيه إلى الامام في حال الهدنة ، فإذا ظهر القائم ﷺ فليوطّن نفسه على أن تُؤخذ منه][1] . ويكون الأمر للمهديِّ ﷺ فيقود العالم البشري الذي يخضع للمرّة الأولى لمركزيّة الحكم الديني وفق قيم الإسلام الشريف بهذا النحو من التكاثر الضخم الذي يجمع بني الإنسان .

وفي إشارة إلى السلطة التي يُوليها اللهُ للمهدي بما تعني من تنصيب إلهي له قال طاووس – ولم يسنده إلى الإمام علي ﷺ – : [.. ودَّع عمرُ بنُ

---

[1] التهذيب : ج ٤ ص ١٤٩ ب ٣٩ ح ٢٦

الخطاب البيتَ ، ثم قال : واللهِ ما أراني أدع خزائنَ البيت وما فيه مِن السلاح والمال أم أقسمه في سبيل الله ؟ فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إمضِ فلستَ بصاحبه ، إنَّما صاحبُهُ منَّا شابٌ مِن قريش ، يقسمه في سبيل الله في آخر الزمان [1] .. إشارة إلى المهدي عليه السلام وما يكون من أمره .

وبذلك تبدأ دورة جديدة من شوط الإنسان على يد حُكم وإمام يقيم الأرض بالعدل لا يضعفُهُ شيئ ..

---

[1] ابن حماد : صـ ١٠٠

بالنسبة إلى ما يصيرُ إليهِ الأمر بعد المهدي عليه السلام ليس بين يدينا إلا نصوص مختصرة تشيرُ إلى بعضِ ما يقع ، منه الرجعة ، والدابة ، أما كثرة التفاصيل فليست موجودةً بين أيدينا . هذا قانون البشارة وبيان المستقبل . وفي الرواية عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال قلت لعلي عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، أخبرني بما يكون من الأحداث بعد قائمكم ؟ قال عليه السلام : [يا ابن الحارث ، ذلك شيء نكرهُ موكولٌ إليه ، وإنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله عهد إليَّ أن لا أخبر (به) إلا الحسن والحسين][1] ..

وعليه : يبدو أنَّ هذا الأمر مطويٌّ عنَّا ، وهو من خصائص الإمامة ، أي من معارفهم عليهم السلام ..

أمَّا مدَّة حكم المهدي المباشر للناس ، فقد اختلفت فيه النصوص ، وتراوحت روايات العامَّة بين ٧ و١٠ و٣٠ إلى ٤٠ سنة ، فيما نصوص الشيعة أشارت إلى مدد طويلة . وفي رواية الهيثم بن عبد الرحمن عمَّن حدثه عن علي عليه السلام قال : [يلي المهديُّ عليه السلام أمرَ الناس ثلاثينَ أو أربعين سنة][2] ..

---

[1] كمال الدين : ج ١ ، ص ٧٧

[2] ابن حمَّاد : ص ٤٠١ –

وفي لفظٍ آخر عن الهيثم بن عبد الرحمان عن علي ﷺ قال : [يلي المهديُّ ﷺ الناسَ أربعين سنة][1] .. وفي رواية عن الإمام الصادق ﷺ ما يشيرُ إلى عمرٍ مديدٍ للمهدي ﷺ ، تتضمّن أنّ الرجعة تقع في عهده ، ومكث الرجعة أيضاً طويل . ما يعني أنّ حكم المهديّ طويل وطويل جداً . فقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال : [الاسلام والسلطان العادل أخوان ، لا يصلح واحد منهما إلا بصاحبه ، الاسلام أس ، والسلطان العادل حارس ، وما لا أسّ له فمُنهدم ، وما لا حارس له فضايع ، فلذلك إذا رجل قائمنا ، لم يبقَ أثر من الاسلام ، وإذا لم يبق أثر من الاسلام ، لم يبق أثر من الدنيا][2] .

أي أنّ أمر المهدي طويل ، ومديد .. بل في نصوصٍ أخرى انّ الناس يعيشون في حكم المهدي زمناً طويلاً ، وأمماً مستمرّة وشيه ذلك .. ويمكنني بما بين يدي من نصوص متعدّدة وفي نواحٍ مختلفة التأكيد على انّ زمن الأرض العادلة المحكومة بالإسلام يطول ، منذ زمن المهدي ﷺ إلى الرجعة إلى دابّة الأرض التي تخرج في نهاية المطاف ..

أمّا التفاصيل وما يجري وكيف وغيرها ..؟ فعلمها عند الله تعالى ، لكنّ الشيء المؤكّد انّ الزمن يكون في آخر الحقبة الأخيرة التي تبدأ بعدها معالم الزمن الآخر من مرحلة ما بعد الموت ، ومفصل البعث والقيامة ، اما الزمن الفاصل فأمرهُ وعلمه بيد الله تعالى ..

---

[1] بيان الشافعي : صـ ٤٩٥ ب ٦ - وقال : « رواه الحافظ أبو نعيم في مناقب المهدي عليه السلام عن الطبراني وجمع طرقه » .

[2] الفضل بن شاذان : على ما في أربعين الخاتون آبادي . * : أربعون الخاتون آبادي : صـ ٢٠٣ ح ٣٥

الرجعة

النصوص في هذا المجال كثيرة وشديدة الإعتبار . وتعني الرجعة انّ الله تعالى يبعثُ أقواماً من بعد موتهم فيرجعون إلى الأرض ، وان الله يبعثُ من مُحِضوا الإيمان محضاً ، ومن مُحِضوا الكفر محضاً ، وعلى رأس اهل الإيمان يبعثُ اللهُ تعالى النبيُّ والأئمة ﷺ على رأس العدل والإخلاص والوقيعة بأعداهم الطغاة الذين يُذلُّهم اللهُ تعالى .. وفي الرواية عن أبي جعفر ﷺ أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول : [.. إنّ المدثر هو كاين عند الرجعة ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، أحياةٌ قبل القيامة ، ثم موت ! فقال له عند ذلك : نعم والله ، لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشد من كفرات قبلها][1] . إشارة إلى الرجعة ودولة آل بيت محمّد والإنتقام من أعدائهم ..

وفي نصٌ آخر عن أبي جعفر ﷺ – من حديث في فضل أمير المؤمنين – عنه ﷺ : [.. أنا قسيم الجنة والنار ، لا يدخلها داخلٌ إلا على أحد قسمين ، وأنا الفاروق الاكبر ، وأنا الامام لمَن بعدي ، والمؤدّي عمّن كان قبلي ، ولا يتقدّمُني أحد إلا أحمدُ ﷺ ، وإني وإيّاهُ لعلى سبيلٍ واحد .. ولقد أُعطيتُ الست : علم المنايا والبلايا والوصايا والانصاب وفصل

---

[1] مختصر بصائر الدرجات : ص ٢٦

الخطاب ، وإني لصاحب الكرات ، ودولة الدول ، وإني لصاحب العصا ، والميسم ، والدابة التي تكلّمُ الناس]"[1] .

وقد استفاضت الأخبار من طُرُقِ أهل البيت ﷺ بالرجعة في عصر المهدي ﷺ وبعده ، أما دابّة الارض المذكورة في الآية الشريفة فالظاهر أنها تكون بعد الرجعة وقرب القيامة ، والاخبار في شأنها متعارضة ، بعضها يذكر أنها علي ﷺ حيث يخرج بأحسن صورة ، وبعضها ينفي ذلك . ولا يبعد أن يكون الحديث هذا جامعاً أو فاكّاً لهذا التعارض فهو يقول ﷺ : « واني لصاحب الكرات . . واني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس » أي هو ﷺ صاحب دابّة الارض الذي يأمرها وينهاها بإذن الله تعالى ، فتسم الناس بميسم الكفر والايمان .

وفي النصوص بيان مُركّز على الرجعة ، منها :

- بكير بن أعين قال : قال لي مَن لا أشك فيه ، يعني أبا جعفر ﷺ : [.. إنّ رسول الله ﷺ وعليّاً ﷺ سيرجعان]"[2] .

- حمران بن أعين قال : قال أبو جعفر ﷺ : [.. ولسوف يرجع جارُكُم الحسين بن علي ﷺ ألقاً ، فيملك[3] ..]"[4] .

---

[1] بصائر الدرجات : ص ١٩٩ ب ٩ ح ١

[2] مختصر بصائر الدرجات : ص ٢٤

[3] حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر ، هكذا في الرواية ..

[4] المصادر : « : بصائر الدرجات ، سعد بن عبد الله : - على ما في البرهان . * : مختصر بصائر الدرجات : ص ٢٢ .. عن حمران بن أعين ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن أول من يرجع لجارُكُم الحسين عليه السلام ، فيملك حتى . .) .

- وعن رجعة بعض المؤمنين في زمنه ﷺ ؟ قال سيف بن عميرة قال لي أبو جعفر ﷺ : [المؤمنُ لَيُخبَرُ في قبره ، فإذا قام القائم ﷺ ، فيُقال له : قد قام صاحبك ، فإنْ أحببتَ أن تلحق به فالحَق ، وإنْ أحببتَ أن تُقيم في كرامة الله فأقم][1] ..

- المفضل بن عمر قال : ذكرنا القائم ﷺ ومَن مات من أصحابنا تنتظره ، فقال لنا أبو عبد الله ﷺ : [إذا قام أُتيَ المؤمنُ في قبره ، فيقال له : يا هذا إنه قد ظهر صاحبك (يعني المهدي) ، فإنْ تشأ أن تلحق به فالحق ، وإن تشأ أن تقيم في كرامةِ ربِّك فأقم][2] .

- علي بن المغيرة عن أبي جعفر ﷺ قال : [كأنّي بعبدِ الله بن شريك العامري عليه عمامة سوداء . وذؤابتاه بين كتفيه مصعداً في لحف الجبل بين يدي قائمنا أهل البيت ، في أربعة آلاف مكرون ومكرورون][3] .

- جابر عن أبي جعفر ﷺ قال: [مَن أدرك منكم قائمنا فليقل حين يراه : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ، ومعدن العلم ، وموضع الرسالة][4] . إشارة إلى مَن يرجع منهم .

- جابر عن أبي جعفر ﷺ قال : [إنّ العلم بكتاب الله عزّوجلّ وسنّة نبيه ﷺ ليثبت في قلب مهدينا كما ينبت الزرع على أحسن نباته ،

---

[1] الفضل بن شاذان : – على ما في غيبة الطوسي . * : دلائل الامامة : صد ٢٥٧ –

[2] نفس المصدر .

[3] الكشي : صد ٢١٧ حـ ٣٩٠

[4] الفضل بن شاذان : – على ما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : صد ٢٨٢

فمن بقي منكم حتى يراهُ فليقل حين يراه : السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة والنبوة ، ومعدن العلم ، وموضع الرسالة][1] .

إلى الكثير من النصوص في المضمون العام للرجعة والمضامين الخاصة وهي كثيرة ، وهنالك من الأدعية الواردة عنهم ﷺ ما يشير بشكلٍ صريحٍ إلى طلب الخروج من القبر ، تلبيةً لنصرة المهدي ﷺ ، منها :

- مالك الجهني عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال : [. . فأسأل الله الذي أكرم مقامك أن يكرمني بك ، ويرزقني طلب ثارك مع إمام منصور من آل محمد ﷺ ، اللهم اجعلني وجيهاً عندك بالحسين في الدنيا والآخرة ، يا سيدي يا أبا عبد الله إنّي أتقرب إلى الله تعالى وإلى رسوله وإلى أمير المؤمنين وإلى فاطمة وإلى الحسن وإليك صلى الله عليك وسلم وعليهم بموالاتك يا أبا عبد الله وبالبرائة من أعدائك وممّن قاتلك وتصب لك الحرب ومن جميع أعدائكم وبالبرائة ممّن أسّسَ الجور وبنى عليه بنيانه وأجرى ظلمه وجوره عليكم وعلى أشياعكم برئتُ إلى الله وإليكم منهم وأتقرّبُ إلى الله ثم إليكم بموالاتكم وموالاة وليكم والبرائة من أعدائكم ومن الناصبين لكم الحرب والبرائة من أشياعهم وأتباعهم ، إنّي سلمٌ لمَن سالمكم وحرب لمَن حاربكم ووليٌّ لمَن والاكُم وعدوٌّ لمَن عاداكم ، فأسأل الله الذي أكرمني بمعرفتكم ومعرفة أوليائكم ورزقني البرائة من أعدائكم أن يجعلني معكم في الدنيا والآخره وأن يثبّت لي عندكم

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٣ ب ٥٧ ح ١٨

قدمَ صدقٍ في الدنيا والآخرة ، وأسأله أن يبلغني المقام المحمود لكم عند الله وأن يرزقني طلب ثارك مع إمام مهدي ناطق لكم . .][1] .

- جابر بن يزيد الجعفي قال : قال أبو جعفر ﷺ : [مَن دعا بهذا الدعاء مرة واحدة في دهره كتب في رق ، ورفع في ديوان القائم ﷺ . فإذا قام قائمنا ناداه باسمه واسم أبيه ، ثم يدفع إليه هذا الكتاب ويُقال له : خذ هذا الكتاب العهد الذي عاهدتنا في الدنيا ، وذلك قوله عزوجل ﴿ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عند الرحمن عهداً ﴾ وادع به وأنت طاهر تقول : « أللهم يا إله الآلهة ، يا واحد ، يا أحد ، يا آخر الآخرين ، يا قاهر القاهرين ، يا علي يا عظيم ، أنت العلي الاعلى ، علوت فوق كلّ علو ، هذا يا سيدي عهدي وأنت منجزٌ وعدي ، فصل يا مولاي عهدي ، وأنجز وعدي ، آمنتُ بك ، أسألك بحجابك العربي ، وبحجابك العجمي ، وبحجابك الهندي ، وبحجابك السرياني ، وبحجابك الرومي ، وبحجابك الهندي ، وأثبت معرفتك بالعناية الاولى ، فإنك أنت الله لا ترى وأنت بالمنظر الاعلى . وأتقربُ إليك برسولك المنذر صلى الله عليه وآله ، وبعلي أمير المؤمنين صلوات الله عليه الهادي ، وبالحسن السيد وبالحسين الشهيد سبطي نبيك ، وبفاطمة البتول وبعلي بن الحسين زين العابدين ذي الثفنات ، ومحمد بن علي الباقر عن علمك ، وبجعفر بن محمد الصادق الذي صدق بميثاقك وبميعادك ، وموسى بن جعفر الحصور القائم بعهدك ، وبعلي بن موسى الرضا الراضي بحكمك ، وبمحمد بن

---

[1] كامل الزيارات : ص ١٧٤ - ١٧٧ ب ٧١ ح ٨

علي الحبر الفاضل المرتضى في المؤمنين ، وبعلي بن محمد الامين المؤتمن هادي المسترشدين ، وبالحسن بن علي الطاهر الزكي خزانة الوصيين . وأتقرب إليك بالامام القائم العدل المنتظر المهدي إمامنا وابن إمامنا صلوات الله عليهم أجمعين . يا مَن جل فعظم وأهل ذلك فعفى ورحم ، يا مَن قدر فلطف ، أشكو إليك ضعفي ، وما قصر عنه أملي من توحيدك ، وكنه معرفتك ، وأتوجه إليك بالتسمية البيضاء ، وبالوحدانية الكبرى التي قصر عنها من أدبر وتولى ، وآمنت بحجابك الاعظم ، وبكلماتك التامة العليا ، التي خلقت منها دار البلاء ، وأحللت مَن أحببت جنة المأوى ، آمنتُ بالسابقين والصدّيقين أصحاب اليمين من المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً أنّا تُولّيني غيرهم ، ولا تفرّق بيني وبينهم غداً إذا قدمت الرضا بفصل القضاء . آمنتُ بسرهم وعلانيتهم وخواتيم أعمالهم فإنّك تختم عليها إذا شئت ، يا مَن أتحفني بالاقرار بالوحدانية ، وحياني بمعرفة الربوبية ، وخلّصني من الشك والعمى ، رضيتُ بك ربّاً وبالاصفياء حججاً ، وبالمحجوبين أنبياء ، وبالرُسُل أدلّاء ، وبالمتّقين أمراء ، وسامعاً لك مطيعا][1] .

وعلى كلّ حال : الرجعة من الأمر اليقين ، وتكون على قسمين كما في النصوص ، منها ما يتم زمن ظهور المهدي ﷺ ومنها ما يتم بعد زمن المهدي ﷺ .. أمّا ما قبل الظهور ؟ فيكون الكفر والجحود على نحوٍ واسع ونافذ ، ثم يكون الظهور ، وتقع الملاحم لتتابع ما قبلها ، على أنّ الراية العظيمة التي تشرق بالأرض هي رايةُ المهدي ﷺ في ظلّ عالمٍ مُتخمٍ

---

[1] كتاب محمد بن محمد بن عبد الله بن قاطر – على ما في مهج الدعوات .

بالفساد والإضطهاد والباطل ، وقد ورد في الروايات ما يشير إلى فظاعة ذلك العالم في الملاحم والجوع والوجع والخوف والفزع والحروب ، فقد ورد عن مدلج بن هارون بن سعيد قال : سمعت أمير المؤمنين ﷺ يقول لعمر – في ضمن كلام طويل – إلى أن قال : فبكى عمر ، وقال إني أعوذ بالله مما تقول ، قال : فهل لذلك علامة ؟ قال ﷺ :

[نعم ، قتلٌ فظيع ، وموتٌ سريع ، وطاعونٌ شنيع ، ولا يبقى من الناس في ذلك الوقت إلا قليلهم ، وينادي منادٍ من السماء باسم رجل من ولدي ، وتكثر الآياتُ حتى يتمنّى الأحياءُ الموتَ ممّا يرون من الأهوال ، فمن هلك استراح ، ومن يكون له عند الله خير نجا ، ثم يظهر رجلٌ من ولدي يملؤ الارض قسطا وعدلا كما مُلئت ظلماً وجوراً ، يأتيه اللهُ ببقايا قوم موسى ﷺ ويجيئ له أصحاب الكهف ، ويؤيّدُهُ اللهُ بالملائكة والجن وشيعتنا المخلصين ، وينزل من السماء قطرها ، وتخرج الارض نباتها . .][1] . النص – رغم وهن سنده – يشير إلى الزمن الفظيع ، والقتل المتتابع ، والأهوال المتراكمة ، والأحوال المضطربة ، والأمم المتصادمة ، فإذا وقع ذلك ، وتمّ الأمرُ للمهدي ، شاء اللهُ تعالى ان يطوّل حكمه ، ثم تكون في عهده الرجعة ، فيعود عظماء أهل الدّين والإيمان وأئمة الرشاد ، كما يعود أئمة أهل الكفر والضلال فيُقتَلُون مقتلةً شديدةً ، ثم تكون الوراثة للصالحين[2] ..

---

[1] الهداية للخصيبي : صـ ٣٦ – ٣٢

[2] أقول : الخبر واضح في أنّ الحسين ﷺ يرجع بعد موت المهدي ﷺ بفترة ، ويحكم عدد سنين أهل الكهف ثم يظهر بعده أمير المؤمنين ﷺ . في حين يستفاد من متن آخر أنّ الحسين ﷺ يرجع في زمن المهدي ﷺ .

حرب الأمّة اليأجوجيّة

[طغيان قوّة يأجوج ومأجوج]

ممّا مضى عند نقاشنا لموضوع يأجوج ومأجوج أشرت إلى انّهم طبقة واسعة من البشر ، يمضون في بناء مجدهم ، وهم يتابرون على ذلك ، ويبدو انّ ظروفاً عالميّة تمنعهم من المشاركة الواسعة في مقاسمة الحصص على المستوى الدولي ، وينتهي بهم الأمر أن يخرجوا من وراء حدودهم أو قيد مفروض عليهم وذلك بعدما حفروا أنفاقاً ضخمة في ميدان المسرح العالمي ، فيخوضون حروباً مختلفة تكون لهم الريادة بأشكالٍ مختلفة . ثم هم أمّة بشريّة ذات تناسل كبير .

وفي مرسل الإمام علي ﷺ قال : [.. إنّ يأجوج ومأجوج خلف السد ، لا يموت الرجلُ منهم حتى يُولَد له ألفٌ لصلبه (إشارة للكثرة) ، وهم يغدون كلَّ يومٍ على السد ، فيلحسونه وقد جعلوه مثل قشر البيض ، فيقولون : نرجع غداً ونفتحه ، فيُصبِحُون وقد عاد إلى ما كان عليه قبل أن يلحس ، فلا يزالون كذلك حتى يُولَد فيهم مولودٌ مسلم ، فإذا غدوا يلحسون قال لهم قولوا : بسم الله ، فإذا قالوا بسم الله فأرادوا أن يرجعوا حين يمسون فيقولون نرجع غداً فنفتحه ، فيصبحون وقد عاد إلى ما كان عليه ، فيقول : قولوا إنْ شاء الله فيقولون إنْ شاء الله ، فيصبحون وهو مثل قشر

البيض ، فينقبونه فيخرجون منه على الناس فيخرج أوّل مَن يخرج منهم سبعونَ ألفاً عليهم التيجان ثم يخرجون من بعد ذلك أفواجاً ، فيأتون على النهر مثل نهركم هذا يعني الفرات ، فيشربونه حتى لا يبقى منه شيئ ، ثم يجيئ الفوجُ منهم حتى ينتهوا إليه فيقولون لقد كان ها هنا ماء مرة وذلك قول الله : (فإذا جاءَ وعدُ ربّي جعَلَهُ دكّا) ، والدك التراب ، وكان وعد ربّي حقاً)]' ..

أقول : كل ما ورد في النصّ من عبارات يُراد منه الإشارة إلى بناءهم مجدهم على نحوٍ من مثابرة ، ويبدو أن بناءهم لقوّتهم يطول ، وتعبير أنّهم يجدونهم كما كان ، إشارة إلى بطئ بناء القوّة عندهم أو علو ما يريدون . فإذا تهيّأت الإمكانات والظروف خرقوا الحدود السياسيّة أو الحصار ربّما ، يمكن أن يكون التعبير وارد في لحظ قيد محدّد عليهم ، فيحاولون جاهدين كسره إلى أن يستطيعوا أخيراً تدميرهُ والخروج بقوّة إلى المسرح العالمي ..

أمّا ما ورد بخصوص مسلم يُعلّمُهُم أن يقولوا : إن شاء الله . أقول : قطعاً التفسير الحرفي فيهِ مشكلة ، وهو مردود دون أدنى ريب . إلا أن يكون وارد على طرف كناية أو مجاز أو شبه ذلك ، وإلا فهذه الأمّة الضخمة ذات التكاثر البشري الهائل ، تخرج في النهاية وهي تحملُ ايديولوجيا حرب واستعمار وفتح بلدان ضدّ مجموعة مختلفة منها جبهة الإمام المهدي ﷺ ، وحين تنتصر على أمّة ما ، لا تشير النصوص إلى اسمها ، يتوجّهون في النهاية إلى حرب الإمام المهدي ﷺ ، ويجتازون

' ابن أبي حاتم : على ما في الدر المنثور . * : الدر المنثور : ج ٤ صـ ٢٥١ -- ٢٥٢

بقاعاً مختلفة ، للقضاء على معاقل الإسلام . من هنا فإنّ تعبير : إنْ شاء الله ، لا يمكن أن يعطي نتيجة أتوماتيكيّة لجبهة تُعلن عداءها للعالم بما في ذلك جبهة الإمام المهدي ﷺ .. وعليه : لا بدّ من تأويل اللفظ ، أو أنّ الراوي خلط في النقل أو من جهة النُسّاخ ، أو هناك شيئ ما وراء هذا اللفظ ..

وبخصوص ما ورد بالولادات الضخمة ، هو تعبير مجازي يُراد منه التركيز على انّ هذه الأمّة ذات تكاثر بشري وولادات ضخمة ، سواء كانت عبر أسرةٍ واحدة في طول الزمان أو مجموع الأسر لأمّة كبيرة جداً .. وهناك نصٌ يشير إلى أنّ الترك - ربّما هنا المقصود بهم المغول - فرعٌ منهم لكنّهم ليسوا في دولتهم أو جبهتهم ، بل هم شردوا عنهم ، وشكّلوا قطاعاً آخر ، لا يساويهم في عددٍ أو تكاثر . فقد أخرج ابن المنذر عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه سُئل عن التُرك فقال : [هم سيارة (متنقّلون أو منتقلون) ليس لهم أصل ، هم من يأجوج ومأجوج ، لكنهم خرجوا يَغيُرون على الناس ، فجاء ذو القرنين فسدّ بينهم وبين قومهم ، فذهبوا سيارة في الارض][1] .. ومع أنّ هذا الحديث بلا سند لكن قد يكون المقصود به الترك المغول الذين وردت فيهم أحاديثُ ذمٌ عن النبي ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ فهم الترك السيارة .

وفي الرواية عن ابن عباس قال : سُئل أميرُ المؤمنين ﷺ عن الخلق فقال : [.. خلق اللهُ ألفاً ومائتين في البر ، وألفاً ومائتين في البحر ، وأجناس بني آدم سبعون جنساً ، والناس وُلد آدم ، ما خلا يأجوج ومأجوج][2] .

---

[1] ابن المنذر : على ما في الدر المنثور . * : الدر المنثور : ج ٤ ص ٢٥٠

[2] الكافي : ج ٨ ص ٢٢٠ ح ٢٧٤

أقول ما ورد هنا ، وكأنَّ ظاهرهُ يشيرُ إلى أنَّ نسل يأجوج ومأجوج ليسوا ببشر ، لكنّه خلاف الكثير من النصوص الواردة من طرق الطرفين التي تشيرُ بشكلٍ صريحٍ إلى أنّهم بشر . فلا بدَّ من التعامل مع ظاهره بالتأويل والتدبير ، إلا أن يكون المقصود به نوع من الكناية في الإشارة إلى ضخامتهم وإمكاناتهم ..

المهدي عليه السلام يظهر شاباً

هذا المضمون ورد عندنا في كثيرٍ من النصوص تشيرُ : أنَّ المهدي عليه السلام إذا خرج خرجَ شاباً . لسان النصوص متَّفق على هذا المعنى ، وقد ورد في طبقاتٍ مختلفةٍ وضمن مناسباتٍ عديدة ، حتى أصبح واحداً من شواهد الأئمة في مناسباتٍ مختلفة .

ففي رواية أبي سعيد عقيصا قال : لما صالح الحسن بن علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس فلامَهُ بعضُهُم على بيعته ، فقال عليه السلام : [ويحكم ما تدرونَ ما عملتُ ، والله الذي عملتُ خيرٌ لشيعتي ممَّا طلعت عليه الشمسُ أو غربت ، ألَا تعلمون أنني إمامكم مفترضُ الطاعة عليكم ، وأحدُ سيِّدي شباب أهل الجنة بنصٍ من رسولِ الله صلى الله عليه وآله عليَّ ؟ قالوا : بلى . قال عليه السلام : أما علمتم أنَّ الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتلَ الغلام ، كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفي عليه وجهُ الحكمة في ذلك ، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمةٌ وصواباً ؟ أما علمتم أنَّهُ ما منَّا أحدٌ إلا ويقع في عنقه بيعةٌ لطاغية زمانه إلا القائم عليه السلام الذي يصلِّي روحُ اللهِ عيسى بن مريم عليه السلام خلفه ؟ فإنَّ الله عزَّوجلَّ يُخفي ولادته ، ويغيِّبُ شخصَهُ لئلَّا يكونَ لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ، ذلك التاسع من وُلدِ أخي الحسين ابن سيدة الاماء ، يطيلُ اللهُ عمره في غيبته ، ثم

يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة ، وذلك ليُعلَم أنَّ اللهَ على كل شيئ قدير][1] .

وقد ورد النصُّ في أنَّ المهدي ﷺ يخرج بهيئة شاب دون أربعين سنة ، عن النبيِّ والأئمّة ﷺ ، وحوت الكُتب من مصادر الفريقين الكثير منها ..

والمفسِّرون كلُّهم مُتَّفقون أنَّ المهدي ﷺ إذا خرج خرج ابن أربعين عاماً . وفي بعض الألفاظ : ما بين ثلاثين وأربعين . أي في هذا العمر .

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ٣١٥ ب ٢٩ ح ٢

العدل والرخاء في عصر المهدي عليه السلام

تحدّثت النصوص بكثرة عن الرخاء الذي يعمُّ العالم بعد ظهور المهدي وإقامة حكم الإسلام الشريف . وفيها نصوص تشير إلى بركات تنزل من السماء ، وخيراتٍ تخرجُ من الأرض ، إلى درجة لا يجد المتصدّق فقيراً أو صاحب حاجة يتصدّق عليه ، فيدور البلدان وهو لا يجد محتاجاً ! وقد تتناثر الخيرُ في الآفاق ، وتكاثر ، فلا يجد إلا غنياً ميسوراً تتدفّقُ عليه النِّعم ..

وفي الرواية عن زيد بن وهب الجهني قال : لما طُعِنَ الحسن بن علي عليه السلام بالمدائن أتيتُهُ وهو متوجّع فقلت : ما ترى يا ابن رسول الله ، فإنَّ الناس متحيِّرون ؟ فقال : إ أرى والله أنَّ معاوية خيرٌ لي من هؤلاء ، يزعمونَ أنَّهم لي شيعة ، ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي ، وأخذوا مالي ، والله لَئن آخذ من معاوية عهداً أحقنُ به دمي وأؤمن به في أهلي خيرٌ من أن يقتلوني فيضيع أهلُ بيتي وأهلي ، والله لو قاتلتُ معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً ، والله لَئن أسالمُهُ وأنا عزيزٌ خيرٌ من أن يقتلني وأنا أسير ، أو يمنُّ عليَّ فيكون سنّة على بني هاشم آخر الدهر لمعاوية لا يزال يمنُّ بها وعقبه على الحيِّ منّا والميت . قال : قلت : تترك يا ابن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لها راعٍ ؟ قال : وما أصنع يا أخا جهينة ، إني والله أعلم بأمر قد

أدّى به إلى ثقاته انّ أمير المؤمنين ﷺ قال لي ذات يوم وقد رآني فرحاً : يا حسن أتفرحُ ؟ كيف بِكَ إذا رأيتَ أباكَ قتيلاً ؟ كيف بك إذا ولّي هذا الأمر بنو أمية ، وأميرها الرحبُ البلعوم ، الواسعُ الاعفجاج ، يأكل ولا يشبع ، يموتُ وليس له في السماء ناصرٌ ولا في الارض عاذر ، ثم يستولي على غربها وشرقها ، يدينُ له العباد ويطولُ ملكُهُ ، يستنُّ بسُنَنِ أهل البدع والضلال ، ويميتُ الحقَّ وسنَّةَ رسولِ الله ﷺ ، يقسمُ المال في أهلِ ولايته ويمنعه مَن هو أحق به ، ويذلُّ في ملكه المؤمنُ ، ويقوَى في سلطانه الفاسق ، ويجعل المالَ بين أنصاره دولاً ، ويتَّخذ عبادَ الله خولاً ، يدرس في سلطانه الحقُّ ويظهر الباطل ، ويقتُلُ مَن ناواه على الحقِّ ويدينُ مَن والاهُ على الباطل ، فكذلك حتى يبعث اللهُ رجلاً في آخر الزمان وكَلَبِ من الدهر وجهلٍ من الناس ، يؤيّدُهُ اللهُ بملائكته ، ويعصمُ أنصاره ، وينصره بآياته ، ويظهرهُ على أهل الارض حتى يدينوا طوعاً وكرهاً ، يملؤُ الارضَ قسطا وعدلاً ونوراً وبرهاناً ، يدينُ له عرض البلاد وطولها ، لا يبقى كافر إلا آمن به ولا صالح إلا صلح ، وتصطلح في ملكه السباع ، وتخرج الارض نبتها ، وتنزل السماء بركتها ، وتظهر له الكنوز ، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً ، فطوبى لمَن أدرك أيامه وسمع كلامه [1] ..

وكذا ورد في العديد من النصوص أنه في زمن المهديّ ﷺ يعمُّ الأمن الذي يتّسع حتى لاصطلاح السباع والبهائم ، وتكثر الخيرات ، وتتنزّل البركات ، وتفتح بيوت المال لمن يريد الأخذ منها ، فلا يوجد من يأخذ منها ، وفي أحد النصوص أنّ أحداً يأخذ منها ثم يقول ما أفعل فيه فيتركه . إشارة إلى الخيرات الكثيرة والبركات العامّة لأهل الأرض زمن مولانا

---

[1] الاحتجاج : ج ٢ ص ٢٩٠

المهدي ﷺ .. وفي الرواية عن بشر بن غالب الاسدي قال : حدثني الحسين بن علي ﷺ قال : قال لي : [يا بشر بن غالب ، مَن أحبَّنَا لا يحبّنا إلا لله ، جئنا نحن وهو كهاتين ، وقدر بين سبابتيه ، ومَن أحبَّنا لا يحبنا إلا للدنيا ، فإنَّه إذا قام قائم العدل ﷺ وسع عدله البر والفاجر][1] .

إشارة إلى الخير العظيم الذي يتحقَّق زمن دولة المهدي ﷺ ..

[1] المحاسن : صـ ٦١ ب ـ ٨٠ حـ ١٠٤

ظهور الإسلام كلّه زمن القائم على العالم كلّه

تواترت النصوص التي تؤكّد انّ المهدي ﷺ إذا ظهر في آخر الزمان نشر الإسلام وأعلنه ميثاق الأمم ، وبسط العدل ، وحكم بالحقّ وشبه ذلك .. وما يهمّني بعد الإشارة في كثيرٍ من الفصول إلى أحاديث النبي والإمام علي ﷺ أنّ المهدي ﷺ ينشر العدل ويقيم الحقّ في العالم أن أشير إلى نصوص وردت على لسان الأئمة في مقام التأكيد على دولة الإسلام التي تحكم العالم .. النصوص كثيرة في هذا المجال وسأشير إلى شيءٍ مختصرٍ منها :

ففي الرواية عن عبد الرحمن بن سليط قال : قال الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ : [منّا إثنا عشر مهديّاً ، أوّلُهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، وآخرهم التاسع من ولدي ، وهو القائم بالحق ﷺ ، يُحيي اللهُ به الارضَ بعد موتها ، ويُظهرُ به دينَ الحقّ على الدّين كلّه ، ولو كرهَ المشركون . له غيبةٌ يرتدُّ فيها أقوامٌ ، ويثبتُ فيها على الدّين آخرون ، فيؤذون ويقال لهم : ﴿ متى هذا الوعدُ إنْ كنتم صادقين ﴾ ، أمَا إن الصابر في غيبته على الاذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ][1] . تأكيداً منه ﷺ أنّ الدّين زمنَ المهدي ﷺ يحكُم دنيا الإنسان ،

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ٣١٧ ب ٣٠ ح ٢

ويقهر المشركين والكافرين ، وينفذُ أمرهُ ، ويعلو ميثاقه ، ويقود أناس آخر الزمان تحت قبّة الدولة الإسلاميّة المباركة بحضورِ مولانا المهدي ﷺ ..

وفي نصٌ آخر عن يحيى بن يعمر (نعمان) قال : كنتُ عند الحسين ﷺ إذ دخل عليه رجلٌ من العرب متلثّماً ، أسمر شديد السمرة ، فسلّم وردّ الحسينُ ﷺ فقال : يا بن رسول الله مسألة ؟ قال ﷺ : [هات . قال : كم بين الايمان واليقين ؟ قال : أربع أصابع . قال : كيف ؟ قال ﷺ : الايمان ما سمعناهُ واليقينُ ما رأيناهُ ، وبين السمع والبصر أربع أصابع . قال : فكم بين السماء والارض ؟ قال : دعوةٌ مستجابة . قال : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرةُ يوم للشمس . قال : فما عِزُّ المرء ؟ قال ﷺ : استغناؤهُ عَن الناس . قال : فما أقبح شيئ ؟ قال : الفسق في الشيخ قبيح ، والحدّة في السلطان قبيحة ، والكذب في ذي الحسب قبيح ، والبخل في ذي الغنا والحرصُ في العالم . قال : صدقت يابن رسول الله ، فأخبرني عن عدد الائمة بعد رسولِ الله ﷺ قال ﷺ : اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل . قال : فسمّهم لي ؟ قال : فاطرق الحسين ﷺ مليّاً ثم رفع رأسه فقال : نعم أخبرك يا أخا العرب ، إنّ الامام والخليفة بعد رسولِ الله ﷺ أميرُ المؤمنين علي ﷺ ، والحسن ، وأنا ، وتسعةٌ من وُلدي ، منهم علي ابني وبعده محمد ابنه ، وبعده جعفر ابنه ، وبعده موسى ابنه ، وبعده علي ابنه ، وبعده محمد ابنه ، وبعده علي ابنه ، وبعده الحسن ابنه ، وبعده الخلف المهدي هو التاسع من وُلدي ، يقوم بالدّين في آخر الزمان – أي ينشر الدّين – قال : فقام الاعرابي وهو يقول : مسح النبي جبينه * فله بريق في الخدود . أبواه من أعلى قريش * وجده خير الجدود][1] .

---

[1] كفاية الاثر : صـ ٢٢٢

ففي هذا النصّ ينظر الإمام الحسين إلى واحدةٍ من مفردات الكون السياسي في آخر الزمان ، فيؤكّد على انّ طابع العالم زمن المهدي هو الإسلام ، وأنّ المهدي هو الذي ينشر الدّين ويقيم الحقّ ويحكم بمواثيق الشريعة ، ويرفع الإسلام ميثاقاً للأمّة البشريّة الواحدة في ظلّ حكمٍ جامع ..

وقد ورد في النصّ عن الإمامين : زين العابدين والباقر عليهما السلام : [إنّ الاسلام قد يظهرهُ اللهُ على جميع الاديان عند قيام القائم عليه السلام][1] . أي يظهره بالمهدي ، وينشره ويقيمه ميزاناً للحكم وقيادة الشعوب ، وريادة الأمة البشريّة الواحدة تحت ظلّ قيادة المهدي عليه السلام ..

وإذا أقام أمر الإسلام نشرَ اللهُ الخير والبركات وظهرت الكنوز ولم يبقَ فقيرٌ قط ، ورفع اللهُ الضغائن ، وأذهب العاهات . وقد ورد عن أبي عبد الله عن أبيه عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال : [إذا قام القائم عليه السلام أذهبَ اللهُ عن كلّ مؤمنٍ العاهة ، وردَّ إليه قوّته][2] .. وهذا واحد من أنواع الكمال الممكن للبشر على ظهر هذا الكوكب الدنيوي ، على أنّ أنواع الكمال الأكبر تظهر للمؤمنين يوم القيامة في روضة الله وجنانه ..

وفي النصّ عن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي عن أبيه علي بن الحسين قال : كان يقول صلوات الله عليه : [أدعوا لي ابني الباقر ، وقلت : لإبني الباقر يا بني الباقر – يعني محمداً – فقلت لهُ : يا أبة ولمَ سمّيتهُ الباقر ؟ قال : فتبسم ، وما رأيته تبسم قبل ذلك . ثم سجد لله تعالى

---

[1] المحجة : – على ما في ينابيع المودة : ينابيع المودة : ص ٤٢٣ ب ٧١

[2] النعماني : ص ٢١٧ ب ٢١ ح ٢

طويلاً ، فسمعته يقول في سجوده : أللهم لك الحمد سيِّدي على ما أنعمت به علينا أهل البيت – يُعيدُ ذلكَ مراراً – ثم قال : يا بني إنَّ الامامة في وُلدِهِ إلى أن يقوم قائمنا ﷺ ، فيملؤها قسطاً وعدلا ، وإنه الامام أبو الأئمة معدن الحلم وموضع العلم يبقره بقراً ، والله لهو أشبه الناس برسول الله ﷺ . قلت : فكم الائمة بعده ؟ قال سبعة ومنهم المهدي الذي يقوم بالدين في آخر الزمان][1] .

تأكيداً منه ﷺ أنَّ المهديَّ من وُلدِ الحسين ﷺ له خصوصيّة ذات صفة شموليّة ، فهو الذي يُقيم الدّين وينشره في العالم ، ويرفع الإسلامَ ميثاقاً للأمّة التي وحّدها بكافّة أقاليمها ، والتي يقودها على نحوٍ من العدل التام والقسط الكامل ..

---

[1] كفاية الاثر : صـ ٢٢٧

تجري في المهديُّ عليه السلام سننٌ من الانبياء عليهم السلام

تعدّدت النصوص التي تشيرُ إلى الصفات الوظيفيّة المتنوّعة في المهدي عليه السلام ، وقد تضمّنت أنواعاً من الخصائص في الصبر والغيبة والجهد والنصر وغير ذلك . منها ما ورد عنهم عليهم السلام : [.. في القائم منّا سُنَنٌ من الانبياء : سنّة من أبينا آدم ، وسنّة من نوح ، وسُنّة من إبراهيم ، وسُنّة من موسى ، وسُنّة من عيسى ، وسُنّة من أيوب ، وسُنّة من محمّد صلوات الله عليهم . فأمّا من آدم ونوح فطولُ العمر ، وأما من إبراهيم فخفاءُ الولادة واعتزالُ النّاس ، وأمّا من موسى فالخوفُ والغيْبَة ، وأمّا من عيسى فاختلافُ الناس فيه ، وأما من أيّوب فالفرجُ بعد البلوى ، وأمّا من محمّد صلى الله عليه وآله فالخروجُ بالسيف][1] . وفي رواية سعيد بن جبير قال : سمعت سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام يقول : [.. في القائم سنة من نوح وهو طول العمر][2] .

ومن يقرأ النصوص الكثيرة يجد معانيها قائمة على هذا الوصف ، من الصبر والغيبة والجهد والبلاء والبذل والإنتصار وطول العمر وغير ذلك . النصوص في هذا المجال كثيرة .

---

[1] م - س .

[2] كمال الدين : ج ١ ص ٣٢١ - ٣٢٢ ب ٣١ ح ٢

بداية ظهور المهدي ﷺ

تكاثرت النصوص التي تشير إلى نواحٍ متعدّدة لظهوره الشريف ، مرّةً تشيرُ إلى علامات الظهور ، ومرّةً إلى طبيعة الظهور ، وثالثةً تشيرُ إلى صفات ما بين الظهور ، وهي بصورةٍ عامّة غير تفصيليّة ، لكنّها واضحة في مقام الإشارة والبيان . وقد أشرنا إلى بعض ذلك فيما مضى . منها مثلاً ضرورة خروج السفياني . ففي رواية زيد القمي عن علي بن الحسين قال : [يقوم قائمنا لموافاة الناس سنة . قال : لا يقوم القائمُ ﷺ بلا سفياني ؟ إنّ أمرَ القائم حتمٌ من الله ، وأمر السفياني حتمٌ من الله ، ولا يكونُ القائمُ ﷺ إلا بسفياني ، قلتُ : جُعلتُ فداك ، فيكون في هذه السنة ؟ قال : ما شاء الله ، قلت : يكون في التي تليها ؟ قال : يفعل اللهُ ما يشاء][1] .

تأكيداً منه ﷺ على عدم تحديد زمن لخروج المهدي ﷺ ، أي منع التوقيت . مع تصريح الأئمّة بشكلٍ مطلق أنّ المهديّ ﷺ هو الثاني عشر من الأئمّة . وهذا ما اتّفقت عليه النصوص ، وانّه الذي يخرج في آخر الزمان دون تحديد وقت لخروجه .

نعم أشاروا ﷺ إلى علامات تُركّز على ظهوره ، منها ما هو ظرفي ، ومنها ما هو شرطي .. أمّا ما ورد في الفقرة الاولى فيحتمل أكثر من معنى ، فقد يكون معناها أنه يقوم أوّل الامر سنةً لملاقاة الناس والتهيئة

---

[1] قرب الاسناد : صـ ١٦٤ – ١٦٥ عن قرب الاسناد إلى قوله (ولا يكون قائم إلا بسفياني)

لقورته ﷺ . وربّما هذا مفاده الظهور الخاص ، الذي يتلوه الظهور العام . وقد يكون معناها : يقوم أولاً في مكة ويطلب من الناس أن يوافوه أي يأتوه إليها أولاً فتكون كلمة « منه » في رواية إثبات الهداة بمعنى إليه ، ويؤيد المعنى الاول ما ورد عن أمير المؤمنين علي ﷺ : « يظهر في شبهة ليستبين أمره » .

وعن السيد علي بن عبد الحميد بإسناده إلى أحمد بن محمد الايادي يرفعه إلى علي بن الحسين ﷺ في ذكر القائم ﷺ – في خبر طويل – قال : [.. فيجلس تحت شجرة سمرة ، فيجيئه جبرئيل ﷺ في صورة رجل .. فيقول : يا عبد الله ، ما يُجلِسُكَ ههنا ؟ فيقول : يا عبد الله إني أنتظر أن يأتيني العشاءُ فأخرج في دبره إلى مكة وأكره أن أخرج في هذا الحر . قال : فيضحك فإذا ضحك عرفه أنه جبرائيل ﷺ ، قال : فيأخذ بيده ويصافحه ويسلّم عليه ، ويقول له : قُم ويجيئه بفرس يقال له البراق فيركبه ، ثم يأتي إلى جبل رضوى ، فيأتي محمّد وعلي ، فيكتبان له عهداً منشوراً يقرؤُهُ على الناس ، ثم يخرج إلى مكة والناس يجتمعون بها . قال : فيقوم رجلٌ منه فينادي : أيها الناس هذا طلبتكم قد جاءكم ، يدعوكم إلى ما دعاكم إليه رسول الله ﷺ . قال : فيقومون ، قال : فيقوم هو بنفسه ، فيقول : أيها الناس : أنا فلان بن فلان ، أنا ابن نبي الله ، أدعوكم إلى ما دعاكم إليه نبيُّ الله ، فيقومون إليه ليقتلوه ، فيقوم ثلاثمائة ونيّف على الثلاثمائة فيمنعونه ، منهم خمسون من أهل الكوفة ، وسائرهم من أقناء الناس لا يعرف بعضهم بعضاً ، اجتمعوا على غير ميعاد][1] .

---

[1] البحار : ج ٥٢ ص ٣٠٦ ب ٢٦ ح ٧٩

أوّلاً النص مرفوع ، أي فيه بعض الوهن في السند . كما فيه بعض العبارات المشوّشة التي تخالف بعض ما ورد معنا سابقاً ، فالنصُّ هنا يشيرُ إلى أنّ قوماً يريدون قتله ، فيما النصوص الكثيرة متّفقة على أنّه يُبايع بيعةً لا يُهرقُ فيها دم ولا توقظُ نائماً . إشارة إلى التسليم وعدم الممانعة أو الإختلاف .

نعم في مفردات أخرى هو ناظر إلى لحظة محدّدة متّصلة بالأمر والإذن بخروجه ﷺ ، جعلنا اللهُ من أنصاره وأعوانه والذابّين عنه وعن شريعته ، والمستشهدين بين يديه ، فإنْ لم يُوفّقنا لنصرته فليُمتنا على ما هو عليه من دينه الذي بعث اللهُ به النبيَّ المصطفى ﷺ ..

وبالإجمال : النصوص مرّةً تنظر إلى ظرف الخروج ، ومرّةً إلى لحظة الخروج ، ومرّةً إلى الجبهات التي تكون آنذاك في العالم ، وإلى ما هنالك من معانٍ متّصلة بزمن الخروج ووصفه ، نعم كلّها متّفقة على عدم تحديد زمن خاص لخروجه ﷺ ، وقد كثر النصُّ عنهم ﷺ : كذب المؤقّتون .

وهناك من العلامات المتّصلة بهذا المعنى التوصيفي ما يشيرُ إلى وقائع بعينها . ففي الرواية عن حذلم بن بشير قال : قلت لعلي بن الحسين ﷺ : صِف لي خروج المهدي ، وعرفني دلائله وعلاماته ؟ فقال ﷺ : لا يكون قبل خروجه خروجُ رجل يُقال له : عوف السلمي بأرض الجزيرة (العراق) ، ويكون مأواهُ بكريت ، وقتله بمسجد دمشق ، ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند (..!) ، ثم يخرج السفياني الملعون من الوادي اليابس ، وهو من وُلد عقبة بن أبي سفيان ، فإذا ظهر السفياني

اختفى المهدي ﷺ ثم يخرج بعد ذلك][1] .. أقول : حسب المعهود في مقامات متعدّدة لقوانين الإستعمال يمكن أن تكون الأسماء الأخرى غير المهدي ﷺ أو بعض تلك الأسماء قد وردت على نحوٍ من كناية خاصّة أو جهةٍ وصفيّة . لكن أيضاً معهود أن تُلقى الأسماء على نحوها الوارد ، أي على ما وردت عليه بشكلٍ صريح ..

أمّا بخصوص « كريت » ، فالغالب أنّها مصحّفة من تكريت . وهي منطقة في العراق ، أي في الجزيرة .

يبقى أنّ شعيب بن صالح معهود في الروايات التامّة انه يخرج في خراسان ، وبالأخص في طالقان ، وسنتوقّف عند خروجه بشيءٍ من التفصيل فيما بعد إن شاء الله ، ويكون بمثابة القائد العسكري في جيش الخراساني ، وهو الموصوف بلسان النصوص بالقائد الصلب ، القوي الإيمان ، الشجاع ، الذي يفتح الله على يده .

نعم المعنى العام من متن النص يركّز على شخصيّة تكون في العراق ، أي بالجزيرة ، يكون مأواه في تكريت ، وتكون نهايتُهُ قتلاً في مسجد دمشق . أمّا كيف ومتى ..؟ وماذا عن قانون الإلقاء في بيان المستقبل وحدوده ..؟ هذا أمر آخر ..

وعليه : النص يركّز على أحداثٍ شديدة الأهميّة تحصل في كلٍّ من العراق ودمشق وخراسان . يشير إلى صاحب العراق ، وصاحب الشام (السفياني) وصاحب خراسان (شعيب) . وهو في مقام الإشارة إلى قرب

---

[1] غيبة الطوسي : ص ٢٧٠

الظهور . أيضاً ورد في خصوص علامات « الوقائع » ما في المُرسَل عن الامام زين العابدين ﷺ قال : [.. إذا ملأ (هذا) نجفكُم السيلُ والمطرُ ، وظهرت النارُ في الحجارة والمدر ، وملكت بغداد التتر ، فتوقَّعُوا ظهور القائم المنتظر][1] .

أي توقَّعوا قرب ظهور المهدي ، والقرب نسبي بمعنى الزمن . واللافت في النصوص الإشارة إلى علامات مدهشة ، منها إذا ظهرت النار في الحجارة والمدر ! وغير بعيد الإشارة إلى النفط الذي يخرج من الأرض ، وربّما يكون معناهُ شيئٌ آخر يكشف عنه التطوُّر الجديد أو هو فعلاً مكشوف عنه في تقنيَّة الذرَة وشبهها . أو هو ناظر إلى نتاج حرب ضارية تستعمل فيها أدوات حرب غير تقليديّة . والأوّل عندي أظهر . أمّا التتر ..؟ فهل هم المغول ، أم المقصود فيهم نوعٌ آخر ؟ كلا المعنيين وارد ، ويمكن أن يكونوا قوماً يكونون في آخر الزمان بما ورد في سياق الدلالة من ظهور النار في الحجارة والمدر وملك التتر ، ما يعني أنّ قوماً يملكون بغداد ، عقليَّتُهم عقليَّةُ التتر ، يغزون بغداد فيفتحوها ، ويعيثون فيها فساداً كما فعل التتار من قبل . وما جبهة الروم اليوم إلا أسوأ من التتر ، حتى أنّ الغزو الأمريكي للعراق الذي احتلّ بغداد بـ « ٢٠ يوماً فقط » أوقع في عام واحد وبشهادة الأمريكيين المتخصصين بالنشرات الصحيّة الطبيّة أكثر من مئة ألف قتيل كلّه أو جلُّهم الأعظم من المدنيين .! وأكثرهم حسب البيان الطبي الأمريكي من النساء والأطفال .! فهل هذا تتر أم تقدُّم وديمقراطيّة ..! ولا أعني من ذلك تحديد التتر بالإمريكان وقوّات التحالف معهم ، فالنص مطلق من هذه الجهة . نعم النص واضح في أنّ فتح بغداد من وقائع

---

[1] عجائب البلدان : علي ما في الصراط المستقيم . الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٢٥٩ ب ١١ ف ١١

الإشارات إلى قرب الظهور . لكن مَن هم الذين يقصدهم النصُّ ..؟ وما هو الزمن المحدَّد لخروجه ﷺ بعدهم ..؟ وماذا يعني قرب الظهور .؟ قطعاً النص في الزمن واقع موقع النسبيّة والوصف الكلّي دون تحديد زمن خاص . نعم وردنا عندنا علامات شرطيّة يخرج بعدها الإمام بزمنٍ محدَّد كما في شروق الشمس من مغربها وذبح الحسني وشبه ذلك .

الإهتمام البالغ بأمر المهدي عليه السلام

(الدعاء للامام المهدي عليه السلام على لسان المعصومين عليهم السلام)

رُوِيَت أدعيةٌ كثيرة تذكر الإمام المهدي عليه السلام وتدعو له . وقد وردت عن لسان النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام ، وإليك نموذجاً شديد الإختصار ممّا ورد على لسان الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء للمهديّ عليه السلام .

فقد روى جابر عن أبي جعفر عن علي بن الحسين عليهما السلام من عملِ يوم الجمعة – يعني به الدعاء بعد الظهر الذي يقول فيه عليه السلام – : [.. أللهم اشترِ نفسي الموقوفة عليك ، المحبوسة لأمرك بالجنّة ، مع معصومٍ من عترة نبيّك صلى الله عليه وآله ، مخزون لظلامته ، منسوب بولادته ، تملؤ به الارضَ عدلاً وقسطاً ، كما مُلئت ظلماً وجوراً ، ولا تجعلني ممّن تقدّم فمرق ، أو تأخّر فمحق ، واجعلني ممّن لزم فلحق ، واجعلني شهيداً سعيداً في قبضتك][1] .

وكان الإمام زين العابدين كثيراً ما يدعو فيقول : [.. ربِّ صلِّ على أطائب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك ، وجعلتهم خزنةَ علمك ، وحفظةَ دينك ، وخلفاءك في أرضك ، وحججك على عبادك ، وطهّرتَهُم من الرجس والدَّنَس تطهيراً بإرادتك ، وجعلتهم الوسيلةَ إليك والمسلك إلى جنّتك . ربِّ

---

[1] مصباح المتهجد : ص ٢٣٤

صلِّ على محمد وآله صلاةً تجزل لهم بها من تحفك (نحلك) وكرامتك ، وتكمّل لهم الاشياء من عطاياك ونوافلك ، وتوفّر عليهم الحظّ من عوائدك وفوائدك . ربِّ صلِّ عليه وعليهم صلاةً لا أمد في أوّلها ، ولا غاية لأمدها ، ولا نهاية لآخرها . ربِّ صلِّ عليهم زنةَ عرشك وما دونه ، وملءَ سمواتك وما فوقهنّ ، وعدد أرضيك وما تحتهنّ وما بينهن ، صلاةً تقرّبهم منك زلفى ، وتكون لك ولهم رضاً ، متّصلة بنظائرهنّ أبداً . اللهم إنّك أيّدت دينك في كلّ أوانٍ بإمام أقمتَهُ علماً لعبادك ، ومناراً في بلادك ، بعد أن وصلت حبلَهُ بحبلك ، وجعلته الذريعةَ إلى رضوانك ، وافترضتَ طاعته ، وحذّرتَ معصيتَهُ ، وأمرت بامتثالِ أمره ، والانتهاء عند نهيه ، وألا يتقدّمَهُ مُتَقَدِّم ، ولا يتأخّرْ عنه مُتَأَخِّر ، فهو عصمةُ اللائذين ، وكهفُ المؤمنين ، وعروةُ المتمسّكين ، وبهاءُ العالمين . اللهم فأوزع لوليّك شكرَ ما أنعمتَ به عليه ، وأوزعنا مثلَهُ فيه ، وآته من لدنك سلطاناً نصيراً ، وافتح له فتحاً يسيراً ، وأعنْهُ بركنك الأعزّ ، واشدُدْ أزره ، وقوِّ عضدَهُ ، وراعه بعينك ، واحمه بحفظك ، وانصرهُ بملائكتك ، واسددهُ بجندك الأغلب ، وأقم به كتابك وحدودك ، وشرائعَكَ وسُنَنَ رسولك صلواتك اللهمّ عليه وآله ، وأحي به ما أماته الظالمونَ من معالمِ دينك ، واجل به صدأ الجورِ عن طريقتك ، وابن به الضراء من سبيلك ، وأزل به الناكبين عن صراطك ، وامحق به بغاةَ قصدك عوجاً ، وألِن جانبه لأوليائك ، وابسط يدَهُ على أعدائك ، وهب لنا رأفته ورحمته ، وتعطّفَهُ وتحنُّنَهُ ، واجعلنا له سامعين مطيعين ، وفي رضاهُ ساعين ، وإلى نصرته والمدافعة عنه مكنفين ، وإليك وإلى رسولك صلواتُك اللهمّ عليه وآله بذلك متقربين . اللهم وصلِّ على أوليائهم المعترفين بمقامهم ، المتّبعين منهجهم ، المُقتفينَ آثارهم ، المستمسكين بعروتهم ، المتمسّكين بولايتهم ، المُؤتمّين بإمامتهم ،

المسلّمين لأمرهم ، المجتهدين في طاعتهم ، المنتظرين أيّامهم ، المادّين إليهم أعينهم ، الصلوات المباركات الزاكيات الناميات الغاديات الرائحات ، وسلّم عليهم وعلى أرواحهم ، واجمع على التقوى أمرهم ، وأصلح لهم شؤونهم ، وتُب عليهم ، إنك أنت التواب الرحيم ، وخير الغافرين ، واجعلنا معهم في دار السلام ، برحمتك يا أرحم الراحمين ﴾[1] .

وفي دعاء « الموقف » لعلي بن الحسين ﷺ قال : [.. أللهم صلّ على محمد وآل محمد ، وفرّج عن آل محمّد ، واجعلهم أئمةً يهدُون بالحقّ وبه يعدِلُون ، وانصرهم وانتصر بهم ، وأنجز لهم ما وعدتّهُم ، وبلّغني فتحَ آل محمد ، واكفني كلَّ هولٍ دونه ، ثم اقسم اللهمّ لي فيهم نصيباً خالصاً . يا مقدّرَ الآجال ، يا مُقسّمَ الأرزاق ، إفسح لي في عمري ، وابسط لي في رزقي . أللهم صلّ على محمّدٍ وآل محمد ، وأصلح لنا إمامنا واستصلحه ، وأصلح على يديه ، وآمِن خوفه وخوفَنا عليه ، واجعله اللهم الذي تنتصر به لدينك . اللهم املأ الارضَ بِهِ عدلاً وقسطاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً ، وامنُن به على فقراء المسلمين ، وأراملهم ومساكينهم ، واجعلني من خيار مواليه وشيعته ، أشدّهم له حبّاً وأطوعهم له طوعاً ، وأنفذهم لأمره ، وأسرعهم إلى مرضاته وأقبلهم لقوله ، وأقومهم بأمره ، وارزقني الشهادة بين يديه حتى ألقاك وأنت عني راضٍ][2] .

وقد ورد في حرز الامام زين العابدين ﷺ الذكر التالي : [.. بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أسمع السامعين ، يا أبصر الناظرين ، يا أسرع الحاسبين ، يا أحكم الحاكمين ، يا خالق المخلوقين ، يا رازق المرزوقين ، يا

---

[1] الصحيفة السجادية : ص ٢٥٠ – ٢٨٢ دعاء ٤٧

[2] مصباح المتهجد : ص ٦٢٩ – ٦٤٠ --

ناصر المنصورين ، يا أرحم الراحمين ، يا دليل المتحيرين ، يا غياثَ المستغيثين ، أغثني يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، يا صريخَ المكروبين ، يا مجيبَ دعوةِ المضطرين ، أنت اللهُ ربُّ العالمين ، أنت اللهُ لا إله إلا أنت ، الملكُ الحقُّ المبين ، الكبرياءُ ردائُك . أللهم صلِّ على محمد المصطفى ، وعلى علي المرتضى ، وفاطمة الزهراء ، وخديجة الكبرى ، والحسن المجتبى ، والحسين الشهيد بكربلاء ، وعلى علي بن الحسين زين العابدين ، ومحمد بن علي الباقر ، وجعفر بن محمد الصادق ، وموسى بن جعفر الكاظم ، وعلي بن موسى الرضا ، ومحمد بن علي التقي ، وعلي بن محمد النقي ، والحسن بن علي العسكري ، والحجة القائم المهدي بن الحسن الامام المنتظر صلوات الله عليهم أجمعين . أللهم والِ مَن والاهم ، وعادِ مَن عاداهم ، وانصر مَن نصرهم ، واخذل مَن خذلهم ، والعن مَن ظلمهم ، وعجِّل فرجَ آلِ محمَّد ، وانصر شيعةَ آل محمد ، وأهلك أعداءَ آل محمد ، وارزقني رؤية قائم آل محمد ﷺ ، واجعلني مِن أتباعه وأشياعه ، والراضينَ بفعله ، برحمتك يا أرحم الراحمين][1] .

ومن دعاء الإمام زين العابدين يوم الاضحى ويوم الجمعة :

[.. أللهم هذا يوم مبارك والمسلمون فيه مجتمعون في أقطار أرضك . . أللهمَّ صلِّ على محمد وآل محمَّد إنك حميد مجيد ، كصلواتك وبركاتك وتحيَّاتك على أصفيائك إبراهيم وآل إبراهيم ، وعجِّل الفرج والروح والنصرة والتمكين والتأييد لهم . أللهم واجعلني مِن أهل التوحيد والايمان بك ، والتصديق برسولك ، والائمة الذين حتَّمْتَ طاعتهم ممَّن

---

[1] منهج الدعوات : ص١٦

يجري ذلك به وعلى يديه آمين رب العالمين [1] . تأكيداً على عظمة القائم ﷺ من آل محمّد ، ويومِهِ الأعظم الذي يخرجُ فيه بعد طولِ زمان وظلامةٍ في الأيام وكفرٍ وجحودٍ وفسقٍ هائلٍ يتّصف به فعل البشر ، ودماءٍ تعجّ ، ونفوس تضج ، فإذا خرج ﷺ أقام الحقّ وأبطل الباطل وانتقم من أئمّة الجور والفساد ، وحطّم آلة الكفر والإضطهاد ..

وعن التوسّل بالمهدي والأئمّة ﷺ ؟

قال أبو حمزة الثمالي ﷺ : انكسرت يدُ ابني مرّةً ، فأتيتُ به يحيى بن عبد الله المجبِّر ، فنظر إليه فقال : أرى كسراً قبيحاً ، ثم صعد غرفته ليجيئ بعصابة ورفادة ، فذكرتُ في ساعتي تلك ما علّمني علي بن الحسين زين العابدين ﷺ ، فأخذت يدَ ابني فقرأت عليه ومسحتُ الكسر ، فاستوى الكسرُ بإذن الله تعالى ، فنزل يحيى بن عبد الله ، فلم يرَ شيئاً ، فقال : ناولني اليدَ الأخرى فلم يرَ كسراً ، فقال : سبحانَ الله ، أليس عهدي به كسراً قبيحاً فما هذا !! أما إنّه ليس يعجب من سحركم معاشرَ الشيعة ، فقلتُ : ثكلتك أمُّك ، ليس هذا بسحر ، بل إنّي ذكرتُ دعاءً سمعته من مولاي علي بن الحسين ﷺ فدعوت به ، فقال : علّمنيه ؟ فقلت : أبعدَمَا سمعتُ ما قلتَ ؟ لا ولا نعمة عين ، لستَ من أهله . قال حمران بن أعين : فقلت لأبي حمزة : نشدتُك بالله إلا ما أوردتناهُ وأفدتناهُ ، فقال : سبحان الله ما ذكرت ما قلتُ إلا وأنا أفيدكم ، اكتبوا : [بسم الله الرحمن الرحيم ، يا حيُّ قبلَ كلّ حيٍّ ، يا حيُّ بعدَ كلّ حيٍّ ، يا حيُّ مع كلّ حي ، يا حيُّ حين لا حي ، يا حيُّ يبقى ، ويفنى كلُّ حي ، لا إله إلا أنت ، يا حيُّ يا كريم ، يا مُحيي الموتى ، يا قائم على كلّ

---

[1] الصحيفة السجادية : ص ٢٨٣ دعاء ٤٨

نفسٍ بما كسبت ، إني أتوجه إليك ، وأتوسّلُ إليك ، وأتقرّبُ إليك ، بجُودِكَ وكرمك ورحمتك التي وسعت كلَّ شيءٍ ، وأتوجّـهُ إليك وأتوسـل إليك بحرمة هذا القرآن ، وبحرمة الاسلام ، وشهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأنَّ محمّداً عبدُكَ ورسولُك ، وأتوجّـهُ إليك وأتوسـل إليك وأستشفع إليك ، بنبيك نبي الرحمة محمد ﷺ تسليما و . . بحقِّ خلف الائمة الماضين ، والامام الزكي الهادي المهدي ، والحجة بعد آبائه على خلقك ، المؤدّي عن علمِ نبيِّك ، ووارث علمِ الماضين مِن الوصيين ، المخصوص الداعي إلى طاعتك وطاعة آبائه الصالحين . يا محمد يا أبا القاسماه ، بأبي أنت وأمي إلى اللهِ أتشفع بك ، وبالائمة من وُلدِك ، وبعلي أمير المؤمنين وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي والخلف القائم المنتظر[1] .

والأدعية والأحراز كثيرة ، ذكرت القليلَ منها للإشارة إلى رسوخ أمر المهدي ﷺ في التراث والإبتهال والدعاء والتوسُّل إلى الله تعالى لما يعنيه هذا الإمام وآباءُهُ وجدُّهُ في ثقل موازين الله تعالى .

---

[1] منهج الدعوات : صـ ١٦٥

إبتلاء الشيعة وغربلتهم قبل ظهوره ﷺ

ذكرت نصوص عديدة أنّ الشيعة قبل ظهورِ المهدي ﷺ يلْقَونَ أنواعاً من العناء والجهد والعذاب ، يكون على نحوٍ من التمحيص والبلاء الشديد الذين يطالهم بنماذج مختلفة ، منها غربة الدّين ، وانقسام المسلمين ، وعلو شأن الظالمين . بل في بعضها إشارة إلى زمنٍ طويلٍ من العناء يكون منذ أزمان الأئمة ﷺ ، وقد حصل ذلك ، وما زال يحصل . أمّا خصوص الشيعة في بعض النصوص وتركيزها على هذا النحو ، فلخصوص أنّ أمّةً منهم تخرج في خراسان وطوائف في العراق وبلاد الشام (عند أكناف بيت المقدس ، لبنان) تدعو إلى المهدي ، وفي خراسان تتكوّن دولة لآل محمّد ﷺ ، فتجتمع عليهم الأمم ، ويلقون عناءاً وجهداً ، فيدعون إلى الحق حقّ الله في شرعه ، ومن البابِ الذين منه يُؤتى ، أي عن طريقِ أهلِ البيت ﷺ ، وجراء هذه الدعوة والتمسّك بهذا النهج القويم يلقون بلاءات مختلفة ، وعناءات مستمرة ، في أشكالٍ متنوّعة ، في عالمٍ يعلن عداءهُ للقيم الدينيّة ، فلا يسخر منها وحسب بل يُعلنها عدوّاً استراتيجيّاً ، يعمل على تفكيك الجماعة التي تدعو لها وإبطال أمرها وإزهاق مشروعها وقتلها وإبادتها ..

فيلقون في سبيل ذلك أنواعاً من البلاءات : حصار إقتصادي ، عقوبات إقتصاديّة ، حملات إعلانيّة عنيفة ، ثقافة إباحيّة ، كثافة عنيفة عليهم من المتناقضات والمعوّقات التي تؤثّر ببُنى الفرد والجماعة والكيان ، استعمال كل ما أمكن لتقويض أمرهم ، شنّ دعايات واسعة عبر الأساطيل لترسيخ ثقافة التعرّي والسفور والإباحية والزندقة التي تساعد بشكل كبير على ضرب بُنى العقل النفسي عند الأفراد في المجتمعات المحافظة وغير ذلك ، وصولاً إلى الحروب المتنوّعة في السوق والمال والنقد وأدوات الحرب .. وعلى هذا يلقى الشيعةُ زمن الغيبة أنواعاً عجيبة من البلاءات . فضلاً عن انّ ذلك العالم تمّ تكوينه على نحوٍ صدامي مع قيم الكون وناموس الأخلاق وضرورات المسيرة الوجوديّة ..

وفي الرواية عن جابر الجعفي قال : قلت لأبي جعفر : متى يكون فرجكم ؟ فقال عليه السلام : [هيهات هيهات ، لا يكون فرجنا حتى تُغربلُوا ، ثم تُغربلُوا ، ثم تُغربلُوا – يقولها ثلاثاً – حتى يُذهبُ اللهُ تعالى الكدر ويبقي الصفو][1] .

إشارة إلى صعوبة الظرف ، ومشكلة القيم ، وكثرة البلاء ، وشدّة المِحَن في عالمٍ تمّت هيكلتُهُ في قضاياه الأخلاقيّة والإجتماعيّة والسياسيّة والعرفيّة وغيرها على نحوٍ من التصادم مع قيم الشريعة ومقاصد الدّين ..

وفي رواية أبي بصير قال : سمعتُ أبا جعفر – محمد بن علي عليه السلام – يقول : إ والله لَتُميّزُنّ ، والله لَتُمحّصُنّ ، والله لَتُغربلُنّ كما يُغربل الزوانُ من

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ٢٠٦

القمح][1] . أي يقع في عالمكم ذاك الكثير من البلاء والمحن ، التي منها ما يكون مردوداً إلى عالم الثقافة والقضايا والمواثيق السياسيّة الإجتماعيّة ، ومنها ما يكون مردوداً إلى قيم السوق والمال والنقد ، ومنها ما يكون مردوداً إلى الدعاية والأعراف والأخلاقيّات ، ومنها ما يكون مردوداً إلى أشكال مختلفة متّصلة بحاجات الفرد وقضاياه المواطنيّة الأهليّة المدنيّة أو السياسيّة القوميّة أو الأمميّة وشبه ذلك . بحيث يتحوّل العالم إلى هيكلٍ مفصليٍّ مكوّنٍ على نحوٍ صدامي مع قيم الشريعة ومعارف الدّين الحنيف .. وبالتالي يكون الشيعة صنفان : طالبُ دين ، وطالبُ دنيا . ومع هذه المحن التي تتوالى يخرج منكم ما هو قبيح من لا أمر له في القيام زمن الغيبة ، ولا قوام له من دينٍ يركنُ إليه . أما المؤمنون فلا فيزدادون على البلاء والتمحيص إلا تقوىً وصبراً والتجاءاً إلى الله تعالى .

وفي رواية محمد بن منصور الصيقل عن أبيه قال : كُنتُ أنا والحارث بن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً وأبو عبد الله ﷺ يسمع كلامنا ، فقال لنا : [في أي شيئ أنتم ؟ هيهات هيهات ، لا والله لا يكونُ ما تمدُّونَ إليه أعينُكُم حتى تُغربلُوا ، لا والله لا يكون ما تمدُّون إليه أعينكم حتى تُمحَّصُوا ، لا والله لا يكون ما تمدُّون إليه أعينُكُم حتى تميَّزُوا ، لا والله ما يكون ما تمدُّون إليه أعينُكُم إلا بعد إياسٍ ، لا والله لا يكونُ ما تمدُّون إليه أعينكم حتى يَشقى مَن يشقى ويسعد مَن يسعد][2] .

---

[1] النعماني : ص ٢٠٥ ب ١٢ ح ٨

[2] الفضل بن شاذان : على ما في مسند غيبة الطوسي . – وفي الكافي : ج ١ ص ٣٧٠ ~ ٣٧١ ب ١٤١ ح ٦ – عن منصور قال : قال لي أبو عبد الله ﷺ : [يا منصور ، إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد إياس ، ولا والله حتى تميّزوا ، ولا والله حتى تمحّصوا ، ولا والله حتى يشقى ..] . حدثنا محمد بن منصور الصيقل ، عن أبيه قال : إ دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام ، وعنده جماعة فبينا نحن نتحدث وهو على بعض

تأكيداً لمعالم الزمن الإضطهادي ، وثقافة الإجحاف بحقّ أهل الإيمان ، وترسيخاً لفكرة البلاءات القادمة ، وتركيزاً على هويّة ما قبل آخر الزمان ، إلى درجة يبدو فيها اليأس في عيونِ طائفة حتى يقول قومٌ في المهدي : هلك . في أيّ وادٍ سلك ..

وعن علي بن هاشم عن أبيه عن أبي جعفر ﷺ قال : [ما ضر مَن مات منتظراً لأمرنا ألّا يموت في وسط فسطاط المهدي ﷺ ، وعسكره][1] . أي أعدّوا أنفسكم للإنتظار والفرج ، وكونوا على نهج الله ورسوله وأهل بيته واصبروا ، استروا الآخرة بصبر الدنيا على اليقين والإخلاص والصفاء والإيمان لو قُطّعت جلودُكم ، فإنّ الآخرة الباقية خيرٌ من الدنيا الفانية ..

وفي الرواية عن عبد الله بن بكير عن رجل عن أبي جعفر ﷺ قال دخلنا عليه جماعة ، فقلنا : يا ابن رسول الله ، إنّا نُريدُ العراقَ فأوصنا ، فقال أبو جعفر ﷺ : [ليُقوِّ شديدُكُم ضعيفَكُم ، وليَعُد غنيُّكُم على فقيركم ، ولا تبثُّوا سرّنا (أي لا تفضحونا أمام الظلمة الذين يريدونا أن يأخذونا) ، ولا تذيعوا أمرنا (لأنّ الظلمة كانوا يمنعون من الفتيا والمعارف إلا على مذاهبهم) ، وإذا جاءكم عنّا حديثٌ فوجدتم عليه شاهداً أو شاهدين من كتاب الله فخذوا به ، وإلا فقفُوا عنده ثم ردُّوه إلينا حتى يستبينَ لكم . واعلموا أنّ المُنتَظِرَ لهذا الامر له مثل أجر الصائم القائم ، ومن أدرك

أصحابه مقبل ، إذ التفت إلينا وقال : (في أي شيء أنتم ؟ هيهات هيهات لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تمحصوا ، (هيهات) ولا يكون . . أعناقكم حتى تميّزوا ، ولا يكون . . أعناقكم حتى تغربلوا ، ولا يكون . . أعناقكم إلا بعد إياس ، ولا يكون . . أعناقكم حتى يشقى من شقي ويسعد من سعد) . وفي : ص ٢٠٩ – كما في رواية الكافي الاولى ، عن الكليني بسنده الاول ولكن عن الباقر عليه السلام : وليس فيه (وعلي بن محمد) . ٭ : كمال الدين : ج ٢ ص ٣٤٦ ب ٣٣ ح ٣٢

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٧٢ ح ٦ –

قائمنا ﷺ فخرج معه فقتل عدونا كان له مثل أجر عشرين شهيداً ، ومَن قُتِلَ مع قائمنا ﷺ كان له مثل أجر خمسة وعشرين شهيداً][1] .

وصيَّةٌ منه ﷺ للشيعة لأن يعدُّوا انفسهم ليوم البلاء والصبر ، وانتظار الفرج . فإنَّ يوم المهديِّ ﷺ هو يوم الخلاص ، يوم الهدي والطمأنينة ، يوم دولة آل محمّد التي تتَّسع لمعالم الزمان والمكان كلِّه ، وإنّ الناظر يوم المهدي من الفائزين بخير الخير ورضوان الرضوان ..

النصوص كثيرة التي أشارت إلى هذه العناوين من الصبر والبلاء والمِحَن ، وهي بطبيعة الحال تصيب الذين آمنوا ، الذين يصرّون على التمسُّك بإسلامهم رغم تكالب العالم وتراكم الحدثان ، وتداعي البنيان ، وشياع الكفر والنكران ..

---

[1] الكافي : ج ٢ صد ٢٢٢ حـ ٤ – عن جابر قال : دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام ونحن جماعة بعد ما قضينا نسكنا فودعناه ، وقلنا له : أوصنا يا بن رسول الله . فقال : وفيه [ليعن قويكم .. وليعطف غنيكم . . وليتصح الرجل أخاه كتصيحه لنفسه ، واكتموا أسرارنا ولا تحملوا الناس على أعناقنا ، وانظروا أمرنا وما جاءكم عنا فإن وجدتموه للقرآن موافقا فخذوا به ، وإن لم تجدوه موافقا فردوه ، وإن اشتبه الامر عليكم فيه فقفوا عنده وردوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا . وإذا كنتم كما أوصيناكم لم تعدوا إلي غيره فمات منكم ميت قبل أن يخرج قائمنا كان شهيدا ، ومن أدرك منكم قائمنا فقتل معه كان له أجر شهيدين ، ومن قتل بين يديه عدوا لنا كان له أجر عشرين شهيدا] * : بشارة المصطفي : صد ١١٢

فضل المؤمن في غيبة المهدي عليه السلام

هذا العنوان شكّل معنىً متقاطعاً في كثيرٍ من النصوص والطبقات التي ركزت عليه ، وفي رواية يحيى بن العلاء ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : [كلُّ مؤمنٍ شهيد ، وإنْ مات على فراشه فهو شهيد ، وهو كمَن مات في عسكر القائم عليه السلام . قال : أيحبس نفسه على الله ثم لا يدخله الجنة][1] .

أي ما دام يحبسُ أمرهُ على الإعتقاد والعمل في سبيل الله ووفق المواثيق ، وعلى نسق الشريعة ، وهو ينتظر فرج آل محمّد ، المنصوص تؤكّد على شهادته وعلى فضل انتظاره ، وعلى صفة قيامه واطمئنانه .. وفي رواية أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : [.. إنّ أقرب الناس إلى الله عزّوجلّ وأعلمهم به وأرأفهم بالناس محمّد صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام ، فادخلُوا أينَ دخلوا ، وفارقوا مَن فارقوا – عني بذلك حسيناً وولده عليهم السلام – فإنّ الحقّ فيهم ، وهم الاوصياء ، ومنهم الائمة ، فأينما رأيتموهم فاتبعوهم ، وإنْ أصبحتم يوماً لا ترون منهم أحداً فاستغيثوا بالله عزّوجلّ ، وانظروا السنة التي كنتم عليها واتبعوها ، وأحبّوا مَن كنتم تحبون ، وابغضوا مَن كنتم تبغضون ، فما أسرع ما يأتيكم الفرج][2] .

---

[1] أمالي الطوسي : ج ٢ ص ٢٨٨

[2] كمال الدين : ج ١ ص ٣٢٨ ب ٣٢ ح ٨

أي جاهدوا في الثبات على أمرِ محمّدٍ وآل محمّد ، حتى وإنْ غاب الإمامُ عنكم ، فإنّ مَن انتظر الفرج عظُم ثوابُهُ . وانتظارُ الفرجِ أفضل العبادة ، فادخلوا أين دخل محمّد وآل محمّد ، وأحبّوا من أحبّوا ، وابغضوا من أبغضوا ، وكونوا على هديهم ، وتابعوا ما امروا وابتعدوا عمّا زجروا ونهوا ، فإنّهم العصمة وطريق الله ، وهدى الباري في خلقه والراية إليه والداعية إلى سبيله . ثم يؤكّد على ضرورة انتظار المهدي ، والمكث بطمأنينة انتظاراً للفرج ، على ان يتبع هذا الأمر بالمزيد من العمل ، والإلتزام بمواثيق الله ، وحفظ سنّة رسولِ الله وآله الأطهار ..

وفي رواية عيسى بن السري عن أبي الجارود قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : يا بن رسولِ الله ، هل تعرف مودّتي لكم وانقطاعي إليكم وموالاتي إياكم ؟ فقال عليه السلام : نعم ، فقلت : فإني أسألك مسألةً تجيبني فيها ، فإني مكفوفُ البصر ، قليل المشي ، ولا أستطيع زيارتكم كلّ حين فقال عليه السلام : [هات حاجتك ، قلتُ : أخبرني بدينك الذي تُدينُ اللهَ عزّوجلّ به أنت وأهلُ بيتك لأُدينَ اللهَ عزّوجلّ به ؟ قال عليه السلام : إنْ كنتَ أقصرتَ الخطبة فقد أعظمتَ المسألة ، والله لأعطينّكَ ديني ودينَ آبائي الذي نُدينُ اللهَ عزّوجلّ به : شهادةُ أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمّداً رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، والاقرار بما جاء من عند الله ، والولاية لوليّنا ، والبراءة من عدوّنا ، والتسليم لأمرنا ، وانتظار قائمنا عليه السلام والاجتهاد والورع][1] .

---

[1] الكافي : ج ٢ ص ٢١ – ٢٢ ح ١٠ - دعوات الراوندي : ص ١٢٥ ح ٢٢٥ – مرسلاً عن أبي الجارود ، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام إني أعرق ضرير البصر كبير السن . والشقة فيما بيني وبينكم بعيدة ؟ وأنا أريد أمرا أدين الله به (وأحتج به) وأتمسك به . وأبلغه من (خلفت) . (قال : فأعجب بقولي فاستوى جالسا) فقال : يا أبا الجارود كيف قلت ؟ رد علي . قال : فرددت عليه . فقال : نعم يا أبا الجارود : شهادة

اللهُ أكبر ، أيُّ عظمةٍ هذه ..! الإمام أبو جعفر ﷺ يؤكّد على الدّين الذي يُدانُ اللهُ به لصاحبه في ذلك الزمن ، فيصرُّ على إدخال المهدي القائم من آل محمّد ﷺ ، ويؤكّد على أنّ انتظارهُ من الدّين وأصله ، من قوام الإيمان وحفظه ، ويقرنُهُ بما تلا عليك من بيانٍ وبرهانٍ في اعتقاده ﷺ وهو اعتقاد الدّين والنبيِّ ﷺ والقرآن .. هذا الحديث من أنشط المعاني وأبرزها ، فكرِّر ما قاله ﷺ ، فإنّه هويّةُ المتلزمين بنهج ودين آل محمّد ﷺ ..

وكذا في النصوص إصرارٌ وتأكيد على التزام أمر المهدي ﷺ من الأزمان الأولى ، وانّ الصابر عليه كالمجاهد بين يديه .

ففي رواية عبد الحميد الواسطي قال : قلت لأبي جعفر ﷺ : أصلحك اللهُ ، والله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر حتى أوشك الرجلُ منّا يسأل في يديه فقال : [يا عبد الحميد ، أترى مَن حبس نفسه على الله لا يجعل اللهُ له مخرجاً ؟ بلى والله لَيجعلنّ اللهُ له مخرجاً ، رحم اللهُ عبداً حبسَ نفسه علينا ، رحمَ اللهُ عبداً أحيى أمرنا . فقلت : فإنْ مستُ قبل أن أُدرك القائم ﷺ ؟ فقال : القائل منكم إنْ أدركتُ القائم من آل محمد نصرته كالمقارع معه بسيفه ، والشهيد معه له شهادتان][1] .

ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، وولاية ولينا ، وعداوة عدونا ، والتسليم لأمرنا ، وانتظار قائمنا ، والورع ، والاجتهاد] .

[1] المحاسن : ص ١٧٣ ب ٣٨ ح ١٤٨ – عن عمر بن أبان / صفحة ٢٢٢ / الكلبي عن عبد الحميد الواسطي ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : قلت له : أصلحك الله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الامر حتى ليوشك الرجل منا أن يسأل في يده ؟ فقال : وفيه إضافة [.. قلت : أصلحك الله إنّ هؤلاء المرجئة يقولون ما علينا أن نكون على الذي نحن عليه حتى إذا جاء ما تقولون كنا نحن وأنتم سواء ؟ فقال : يا عبد الحميد صدقوا

وكما ترى : الإمام ﷺ يحثّهُ على التزام أمرهم ، والقيام على نهجهم ، والصبر على المحن والبلايا ، حتى وإنْ أودى الأمر ببعضِ منافعكم ، فإنّ الإنتصار لآلِ محمّد سرٌّ عظيم ، وسببٌ للمنازل الرفيعة ، وطريقٌ للخيرِ والمثوبات ..

ثمّ يُؤكّد على أمر المهدي ﷺ . ويشير إلى أنّ الإنتظار لفرج القائم وظهورِه العظيم وإعداد النفس لنصرتِه والتزام قيم آبائه لهو من أعظم النِّعم والمكارم ، وأكثرها أجراً والتزاماً في أمرِ الله تعالى ..

أهميّة هذه النصوص أنّ أهل البيت - كما ترى - كانوا يربُّون أصحابهم على أمر المهديّ ﷺ مع أنّ بينهم وبينه أزماناً كما اشار مضمون نصُّ الإمام علي ﷺ إلى ذلك ، لكنّه خطابٌ إلى الأمم ، إلى الطوائف القادمة من بطن الزمن ، إلى جماعاتٍ تأتي بعد قرون تمتثل أمر المهدي وتنتظره وتقيم سلوكها واعتقادها على ما عليه آل بيت محمّد ﷺ ..

وهناك من النصوص ما يُؤكّد على طابع العلاقة بين سلسلة الأئمة وشيعتِهم الذين يشكّلون ضمانة الدنيا والآخرة . النصوص في هذا المجال صريحة جداً ، وقويّة الإعتبار . وهي تركّز على ضرورات السعادة وشروط تكامل المسيرة ، وحماية خيار الإنسان في دنياه ليكون على نحوٍ من حقيقة ما هو عليه . تؤكد أنّ الضمانة هم أهلُ البيت ، وانّ شرط السعادة موكولٌ في ولايتِهم ﷺ للقادر العالم العارف أمرهم ﷺ . ففي الرواية عن الحكم

من تاب تاب اللهُ عليه . ومن أسرَّ نفاقاً فلا يرغم اللهُ إلا بأنفه ، ومن أظهر أمرنا أهرق اللهُ دمه ، يذبحهم الله على الاسلام كما يذبح القصاب شاته . قال : قلت فنحن يومئذ والناس فيه سواء ؟ قال : لا أنتم يومئذ سنام الارض وحكامها ، لا يسعنا في ديننا إلا ذلك . قلت : فإن مت قبل أن أدرك القائم ﷺ ؟ قال : إن القائل منكم إذا قال : إن أدركت قائم آل محمد .. والشهادة معه شهادتان) .

بن عتيبة قال : بينا أنا مع أبي جعفر ﷺ ، والبيت غاصٌ بأهله ، إذ أقبل شيخٌ يتوكّأ على عنزةٍ له حتى وقف على باب البيت فقال : السلام عليك يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته ، ثم سكت ، فقال أبو جعفر ﷺ : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ثم أقبل الشيخ بوجهه على أهل البيت وقال :

السلام عليكم ، ثم سكت حتى أجابه القوم جميعاً وردُّوا عليه السلام ، ثم أقبل بوجهه على أبي جعفر ﷺ ، ثم قال : يا ابن رسول الله أدنني منك ، جعلني اللهُ فداك ، فوالله إني لَأحبُّكم وأحبُّ مَن يحبُّكم ، ووالله ما أحبُّكُم وأحب مَن يحبكم لطمعٍ في دنيا ، والله إني لأبغض عدوَّكُم وأبرأ منه ، ووالله ما أبغضه وأبرأ منه لوترٍ كان بيني وبينه ، والله إني لَأحلُّ حلالَكُم وأحرِّمُ حرامَكُم وأنتظر أمركُم ، فهل ترجو لي جعلني اللهُ فداك ؟ فقال أبو جعفر ﷺ : [إليَّ إليَّ – حتى أقعده إلى جنبه – ثم قال : أيها الشيخ ، إنَّ أبي علي بن الحسين ﷺ أتاهُ رجلٌ فسأله عن مثل الذي سألتني عنه فقال له أبي ﷺ : إنْ تَمُت تَرِدْ على رسولِ الله ﷺ وعلي علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ﷺ ويثلج قلبك ، ويبرد فؤادك ، وتقر عينُك ، وتُستَقبَلُ بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين ، لو قد بلغَت نفسُكَ ههنا – وأهوى بيده إلى حلقه – وإنْ تَعِشْ تَرَ ما يقرُّ الله به عينك ، وتكون معنا في السنام الاعلى ، فقال الشيخ : كيف قلت : يا أبا جعفر ؟ فأعاد عليه الكلام ، فقال الشيخ : الله أكبر ، يا أبا جعفر إنْ أنا مُتُّ أرِد على رسول الله ﷺ وعلى علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ﷺ وتقر عيني ويثلج قلبي ، ويبرد فؤادي وأستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين لو قد بلغت نفسي إلى ههنا ، وإنْ أعش أرَ ما يقرُّ اللهُ به عيني فأكون معكم في السنام الاعلى . ثم أقبل الشيخ ينتحبُ ، وينشج : هاهاها حتى لصق بالارض ، وأقبل

أهلُ البيت ينتحبون وينشجون لِمَا يرون مِن حال الشيخ ، وأقبل أبو جعفر ﷺ يمسح بأصبعه الدموع من حماليق عينه وينفضها ، ثم رفع الشيخ رأسه فقال لأبي جعفر ﷺ : يا ابن رسول الله ناولني يدك جعلني اللهُ فداك ، فناوله ﷺ يده فقبّلها ووضعها على عينيه وخدّه ، ثم حسر عن بطنه وصدره فوضعَ يده على بطنه وصدره ، ثم قام فقال : السلام عليكم ، وأقبل أبو جعفر ﷺ ينظر في قفاهُ وهو مدبر ثم أقبل بوجهه على القوم فقال : مَن أحب أن ينظر إلى رجلٍ مِن أهل الجنة فلينظر إلى هذا . فقال الحكم بن عتيبة لم أرَ مأتماً قط يشبه ذلك المجلس][1] .

وعن اسماعيل الجعفي قال : دخل رجل على أبي جعفر ﷺ ومعه صحيفة ، فقال له أبو جعفر ﷺ : [هذه صحيفة مخاصم ، يسأل عن الدّين الذي يُقبل فيه العمل ، فقال : رحمك اللهُ هذا الذي أريد ، فقال أبو جعفر ﷺ : شهادةُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً ﷺ عبدُهُ ورسوله ، وتقرُّ بما جاء مِن عند الله ، والولاية لنا أهل البيت ، والبراءة مِن عدوّنا ، والتسليم لأمرنا ، والورع والتواضع ، وانتظار قائمنا ، فإنّ لنا دولةً إذا شاء الله جاءَ بها][2] . تأكيداً منه ﷺ على الإمامة ، وأمر مولانا القائم ودولة آل محمّد الواسعة ، التي تتّسع لتشمل الأرجاء كلها ، فتقيم الإجتماع والعلاقات والأسواق وقضايا السياسة والمال والإقتصاد وكل ما

---

[1] الكافي : ج ٨ ص ٧٦ ح ٣٠

[2] الكافي : ج ٢ ص ٢٢ ح ١٣ – عن جابر (بن يزيد الجعفي) قال سمعته (الصادق) يقول : دخل على أبي عليه السلام رجل وكانت معه صحيفة فيها مسائل وأشياء قيها تشبه الخصومة فقال له أبو جعفر عليه السلام : – كما في الكافي ، بتفاوت يسير ، وفيه (. . يسألني عن الدين الذي يقبل الله فيه العمل . . فطواها ثم قال له . . ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وعلى أهل بيته والاقرار . . وولايتنا . . (والبراءة) من أعدائنا . . والتواضع والورع والتمأنينة . . فإن الله إن أراد أن ينصرنا نصرنا) .

له صلة بسلوك الفرد والجماعة ، بمعارف الناس والأمم على نحوٍ من أمر الله وشريعة الإسلام ..

وفي رواية صالح بن ميثم ويحيى بن سابق ، جميعاً عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال : [هلك أصحاب المحاضير ، ونجا المقرّبون ، وثبت الحصن على أوتادها ، إنّ بعد الغمّ فتحاً عجيباً][1] .

إشارة إلى فتح المهدي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً بعدما مُلئت جوراً . وهذا لا ينفي أن يكون لآل محمّد مشروع دولة أو دولة في ناحيةٍ من الأرض ، أو طائفة في إقليمٍ ما ، يدعو إلى الله ، بل في نصوص أهل البيت ما يدعو شيعتَهم إلى ان يقيموا ما أمكنهم من الإسلام ليُطبّقوا امر الله ، ويمتثلوا أمر الشريعة ، ويجاهروا في تطبيق القرآن ومواثيق العترة النبوية ، بل في نصوصهم ﷺ لا يجوز ترك الإسلام سواء في صيغة فرد أو جماعة أو اجتماع ما امكن ، فإن اضطرّ المكلّف ، فإنّ الضرورة تُقدَّر بقدرها وضمن حدود الرخصة في ذلك .. وذلك أيضاً بضميمة ما ورد في حضّ الشيعة على امتثال أمر الشريعة والقيام بقانون وقيم ومعارف الإسلام ، والسعي في التوطئة لمولانا المهدي ﷺ ..

وفي رواية محمد بن علي السلمي عن أبي جعفر – محمد بن علي ﷺ – قال : [إنما سُمّي المهديُّ ﷺ مهدياً لأنّه يهدي لأمر خفي ، يهدي ما في صدور الناس .. ويبعث ثلاثة راكب (ركب) قال هي بلغة غطفان راكبان (ركبان) – أما راكب (ركب) فيأخذ ما في أيدي أهل الذمة

---

[1] النعماني : صـ١٩٨ ب ١١ حـ ١٠

من رقيق المسلمين فيعتقهم . وأما راكب (ركب) فيظهر البراءة منهما (من) يغوث ويعوق في أرض العرب . وراكب (وركب) يخرج التوراة من مفازة (مغارة) بأنطاكية ويعطي حكم سليمان [1] .

يعني أنَّ بعض الأمور تختلط على ذهن البعض من الناس ، وهم في حيرة وتشوُّش . بل يبدو أن اختلاط بعض الأمور يعود إلى سوء فهمهم للإسلام . من هنا ورد في النصوص انَّ المهدي إذا قام جدَّد الإسلام وأقامه كما أنزله النبيُّ ﷺ ، أي حكم بحكم الله كما هو . وبهذا يكون أمرهم ﷺ وانتظار فرجهم والعمل على منهجهم كما في النصوص من أعظم العبادة وأفضلها ..

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٤٩ – عن أبي جميلة المفضل بن صالح ، عن جابر بن يزيد قال قلت لأبي جعفر عليه السلام : لأي شئ سمي المهدي ؟ فقال : لانه هدى لامر خفي : ليبعث إلى الرجل أحد أصحابه لا يعرف له ذنب فيقتله) . (صفحة ٢٢٦) * : الغيبة ، للسيد علي بن عبد الحميد : على ما في البحار . * : إثبات الهداة : ج ٣ صـ ٥٧٣ ب ٣٢ ف ٤٨ ح ٧١١ – عن أبي جعفر عليه السلام قال : – (إنما سمي المهدي لانه يهدي إلى أمر خفي ، حتى أنه يبعث إلى رجل لا يعلم الناس له ذنبا فيقتله ، حتى أن أحدهم يتكلم في بيته فيخاف أن يشهد عليه الجدار) ..

المهدي ﷺ يشتهر بخفاء ولادته

ورد في النصوص الكثيرة أنّ المهدي ﷺ الثاني عشر من آل محمّد تخفى ولادتُهُ على الجبابرة ، فيطلبونه ويحاولون معرفة أمره ليقتلوه ، فلا يستطيعون ، ويكون أمرهُ كأمرِ موسى ﷺ في خفاءه بولادته كما ورد في مضمون أكثر من نص : فيه سنة من سنّة موسى ، وهي خفاءُ ولادته ﷺ .. وفي رواية سعد بن عبد الله بإسناده عن أبي جعفر ﷺ قال : [القائم ﷺ مَن تخفى ولادته على الناس][1] .

وقد بذل العباسيُّون جهدهم لكشف أمره ﷺ ، ووضعوا العيون ، وبثّوا النساء ، وأجروا الكشف على نساء الإمام العسكري ﷺ فلم يحيطوا بأمرِ الله ، واللهُ على كلّ شيءٍ قدير . ولقد تشدّد الإمام العسكري بأمر المهدي وولادته ، حتى حكيمة بنت الإمام الجواد عمّة الإمام العسكري ﷺ لم يكن لها علمٌ بذلك . وحين طلبها إليه وأخبرها بأنّه في هذه الليلة ليلة الخامس عشر من شعبان عام ٢٥٥ للهجرة سيولد قائم آل محمّد وحجّة الله على أرضه ، الثاني عشر من الأئمة الذين يختم اللهُ بهم الأرض ، اندهشت ، وسألته ممّن ؟ قال ﷺ : من نرجس ، فنظرت إليها وليس عليها علاماتُ الحمل ، كما ليس عليها علاماتُ الولادة .! وحين مضى من الليلُ أكثرهُ

---

[1] إثبات الوصية : صـ ٢٢٢ – ٢٢٣

وخلدت نرجس إلى نومها كانت حكيمة تُحدِّثُ نفسها دون نطقٍ : لماذا لا نرى على نرجس علامات الولادة ، وإذا بالصوت يأتيها من الحجرة ، صوت الإمام العسكري يقول لها : عمّة حكيمة ، لا تشكّ بأمر الله ، إنّ حجّة الله سيلد الليلة . فما هي إلا ساعة ، وإذا بنرجس بدأت تظهر عليها علامات الولادة ، فسقط المهديُّ ﷺ ساجداً على وجه الأرض ، وهو يقول : لا إله إلا الله ، محمّد رسولُ الله ، ويسلّم على الأئمّة إماماً إماماً . ومكتوبٌ على عضده الإيمن بالنور : « جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً » ..

وحفظه الله ، وأنجاهُ ، وجعله آيةً للعالمين ..

وفي رواية موسى بن هلال الكندي ، عن عبد الله بن عطاء ، عن أبي جعفر ﷺ قال : قلت له : إنّ شيعتك بالعراق كثيرة ، والله ما في أهل بيتك مثلك ، فكيف لا تخرج ؟ فقال : [يا عبد الله بن عطاء ، قد أخذت تفرش أذنيك للنوكى ، إي والله ما أنا بصاحبكم . قلت له : فمن صاحبنا !! قال : انظروا من عَمِي على الناس ولادتُهُ فذاك صاحبُكُم ، إنه ليس منّا أحدٌ يُشار إليه بالاصبع ويمضغ بالالسن إلا ماتَ غيظاً أو رغم أنفه][1] .. إشارة مذهلة للمهدي ﷺ منذ زمن الباقر ﷺ . يخبرهُ أنّ مَن تخفى ولادته هو ذاك صاحب الدولة الكبرى لآل محمّد ﷺ .

وفي لفظٍ آخر عن عبد الله بن عطاء المكي قال : خرجتُ حاجّاً من واسط فدخلتُ على أبي جعفر – محمد بن علي ﷺ – فسألني عن الناس ، والأسعار .؟ فقلت : تركت الناس ماذّين أعناقهم إليك ، لو خرجتَ لاتّبعك الخلقُ . فقال ﷺ : يا ابن عطا ، قد أخذت تفرشُ أذنيك للنوكى ، لا والله ما

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٤٢ ح ٣٦ –

أنا بصاحبكم ، ولا يشارُ إلى رجلٍ منّا بالأصابع ، ويمط إليه بالحواجب إلا ماتَ قتيلاً أو حتفَ أنفه . قلتُ : وما حتفُ أنفه ؟ قال : يموتُ بغيظه على فراشه ، حتى يبعث مَن لا يُؤبَهُ لولادته . قلت : ومَن لا يُؤبه لولادته ؟ فقال : انظر مَن لا يدري الناسُ أنه وُلِدَ أم لا ، فذاك صاحبكم][1] . إشارة إلى المهدي عليه السلام وخفاء ولادته وانّ هذا الأمر من المحتوم ، وانّ المهدي عليه السلام صاحب الدولة العظمى .

وقرأنا عليك طائفة من النصوص التي تشير إلى انّ أهلَ البيت عليهم السلام يعلمُون ما على كلّ إمام ، ومن منهم يخرج ، ومن لا يخرج ، ومن إذا خرج من الناسَ أصاب أم أخطأ أو دام ملكه أم انهار أو لم يصل إليه ، وتحدّثنا في غيره عن صحيفة فاطمة والجامعة والجفر وغيره الذي يحتوي على ما هو كائن ويكون إلى يوم القيامة من ملحمةٍ أو خارجٍ أو قتالٍ أو فتنةٍ أو حلالٍ أو حرام ..

وبنظرةٍ إلى تاريخ الأئمّة عليهم السلام يشهد المُنصف أنّهم كانوا أشدّ صواباً في أي شيءٍ قرّروه ببعد النظر عمّا هو بين أيديهم ، بهذا شهد القريب والبعيد والصحبُ والمبغض ..

وفي حقّ الإمام أبي جعفر عليه السلام هي شديدة الوضوح ، فلو خرج عليه السلام لما قام له أمر في زمنٍ كان الشيعةُ لا يعلمون أنّ بني العباس قد أحكموا أمرهم وجهّزوا جيشهم ، واستغلوا فرصة انشغال بني أمية بمشاكلهم من

---

[1] * : كمال الدين : ج ١ ص ٣٢٥ ب ٢٢ ح ٢ – رسائل العفيد : ص ٤٠٠ وقال (ومما روي عن الباقر عليه السلام أن الشيعة قالت له يوما : أنت صاحبنا الذي يقوم بالسيف ، قال : لست بصاحبكم ، أنظروا من خفيت ولادته ، فيقول قوم ولد ، ويقول قوم ما ولد ، فهو صاحبكم) .

جهة ، وحصارهم العنيف عبر العيون والجواسيس وغيرهم على أهل البيت ﷺ ، فدعو إلى أهل البيت ﷺ والرضا من آل محمّد ، أي إمام الحق من وُلد علي ﷺ فاتّبعهم القوم . فلمّا قام أمرهم قتلوا أولادَ عليٍّ ﷺ شرّ قتلة حتى لا تتطاول إليهم أعناق الناس ..!

وعلى كلٍّ حال : نصوص أهل البيت أطبقت على ان دولة آل محمّد ، الدولة العظيمة التي تتّسع للعالَم كلّه ، إنّما هي في آخر الزمان ، وعلى يد مولانا المهدي ﷺ . وفي رواية أبي الجارود قال : سمعت أبا جعفر ﷺ يقول : إ لا يزالون (ولا تزال) حتى يبعث اللهُ لهذا الامر مَن لا يدرون خُلِقَ أم لم يخلق][1] . يعني بذلك المهدي ﷺ الذي تخفى ولادتُهُ ، والذي احتار به بنو العباس ، هذا يقول وُلِد ، وهذا يقول : لم يلد بعد ..!

بل في بعض النصوص أخفى أهلُ البيتِ ﷺ إسمه وخاطبوه بالمهدي كما لقّبه رسولُ الله ﷺ حفظاً له ، في زمنٍ كان حتى جعفر الكذّاب يطلبه ليُلقي القبضَ عليه ، ليقتله بنو العباس ، لكنّهُ أمر الله الذي لا مردّ له .

وفي رواية أبي خالد الكابلي قال : لما مضى علي بن الحسين ﷺ دخلت على محمد بن علي الباقر ﷺ فقلت له : جعلت فداك ، قد عرفت انقطاعي إلى أبيك وأُنسي به ووحشتي من الناس ، قال : [صدقت يا أبا خالد ، فتريد ماذا ؟ قلت : جعلت فداك ، قد وصف لي أبوك صاحب هذا

---

[1] النعماني : صـ ١٨٢ ب ١٠ ح ٢١ ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : - وفيه (لا تزالون تمدون أعناقكم إلى الرجل منا تقولون : هو هذا فيذهب الله به ، حتى يبعث . . من لا تدرون ولد أم لم يولد ، خلق أم لم يخلق) . عن أبي الجارود قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : - وفيه (لا يزال ولا تزالون تمدون أعينكم إلى رجل تقولون هو هذا إلا ذهب ، حتى يبعث الله من لا تدرون خلق بعد أم لم يخلق) .

الامر بصفة لو رأيته في بعض الطريق لأخذت بيده ، قال : فتريد ماذا يا أبا خالد ؟ قلتُ : أريد أن تسمّيه لي حتى أعرفه باسمه ؟ فقال : سألتني والله يا أبا خالد عن سؤالٍ مُجهِد ، ولقد سألتني عن أمر ما كنتُ محدِّثاً به أحداً ، ولو كنت محدِّثاً به أحداً لحدَّثتُك ، ولقد سألتني عن أمر لو أنَّ بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطّعُوه بضعة بضعة [1] . أي ان إسم الإمام محفوظ لأمرٍ يتّصل بضرورات زمنيّة مأمور بها ، فضلاً عن ان أهل البيت ﷺ كانوا يمنعون محاولة استغلال إسم المهدي ﷺ على يد الدجّالين الكذابين الذين أخبرت النصوصُ أنّهم يخرجون ويدّعون المهدويّة ، وثبت بالمقابل عندنا بالنصوص الكثيرة ذكر اسم المهدي بالتفصيل وإسم آبائه لبيان أمر الحجّة ﷺ .. إذن كان الداعي الوظيفي يفرّق بين بيان إسمه ومنعه لأسبابٍ يُبرِّرها كلُّ وصف وضمن حدوده .

---

[1] النعماني : ص ٢٨٧ ب ١٦ ح ٢ - في حديث له اختصرناه - (قال) سألت أبا جعفر عليه السلام أن يسمي القائم حتى أعرفه باسمه ، فقال : يا أبا خالد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه لحرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة) .

نصوص الغيبة كثيرة ، أكثر من أن تُحصى ، عليها اتفاق أصحابنا بلا إشكال . وقد رُويت بطبقات مختلفة وبغزارة ، وهي مرويّة على لسان النبيّ والآل ﷺ . وفي رواية أبي بصير عن أبي جعفر ﷺ قال : [لا بدّ لصاحب هذا الامر ﷺ من عزلة ، ولا بد في عزلته من قوّة . وما بثلاثين من وحشة ، ونعم المنزل طيبة][1] ..

أي لصاحب هذا الأمر غيبة ، يضمنها اللهُ تعالى له ، وهي أمرُ الله فيه ، وهذه الغيبة غيبتان كما في النصوص : صغرى ، وقد انقضت ، وكبرى ما زالت إلى يومنا هذا حتى يأذن اللهُ تعالى له بالخروج . والنص يشيرُ إلى انّ بعضاً من الأولياء يكون معه ، كالخضر ﷺ وشبه ذلك . وأنّ المكان طيبة أي المدينة فهذا نوعٌ من الإشارة لا البيان ، فقد ثبت في أكثر من طائفة أنّ صاحب هذا الأمر سائح ، في المُدن والبلدان ، يرى الخلقَ ولا يرونَهُ ، وهو معتصمٌ بأمرِ الله تعالى يخفيه فلا يظهرهُ إلا بإذنه تعالى ..

وفي رواية جابر عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال : [يأتي على الناس زمانٌ يغيبُ عنهم إمامُهُم ﷺ ، فيا طوبى للثابتينَ على أمرنا في ذلك الزمان ، إنّ أدنى ما يكون لهم من الثواب أنْ يُناديهم الباري جلّ جلالُهُ فيقول : عبادي وإمائي آمنتُم بسري ، وصدّقتم بغيبي ، فأبشروا بحُسن

---

[1] الفضل بن شاذان – على ما في منتخب غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : حد ٢٠٦

الثواب منّي ، فأنتم عبادي وإمائي حقّاً ، منكم أتقبّلُ ، وعنكم أعفو ، ولكم أغفر ، وبكم أسقي عبادي الغيث ، وأدفع عنهم البلاء ، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي . قال جابر فقلت : يابن رسولِ الله ، فما أفضل ما يستعمله المؤمنُ في ذلك الزمان ؟ قال : حفظ اللسان ، ولزوم البيت [1] .

أقول : حفظ اللسان مقصودٌ فيه منعه عن الحرام والتلبُّس بالآثام ، ولزوم البيت معناهُ ترك عروش الظالمين ، ودعاية الفاسدين ، والإمتناع عن المشاركة في باطل الخائضين وشبه ذلك . وليس هو ناظر أبداً إلى لزوم البيت وترك السعي لإقامة أمرِ الإسلام ما أمكن . فقد ثبت في نصوصٍ كثيرةٍ معتبرةٍ وبطقباتٍ مختلفةٍ وبتعدّدٍ عرضي وطولي وجوب السعي لحفظ الشريعة والعمل على تهيئة أمر تطبيقها ما أمكن ، والإمتناع عن تقوية الباطل ودعمه ، بل يجب تقوية الحقّ ولا يجوزُ إضعافُهُ . النصوص الكثيرة تشرح هذا المعنى الوارد في هذا الذيل على انّه لزوم البيت مقابل خوض الخائضين أي عدم المشاركة معهم في باطلهم ، أمّا التوطئة وتقوية أمر الدّين ما أمكن فالنصوص والآيات ثابتةٌ فيه ، لازمةٌ نافذةٌ إلى قيام يوم الدّين ، وهي - في بعض مضامينها - تؤكّد انّ قوماً من خراسان يدعون إلى المهدي ، يوطّئون له ، يبقون على الحقّ ، يحكمون بأمر الله رغم الجهد والبلاء الذي يُصيبُهم ، وقد أوصى أهل البيتِ بنصرتِهم ودعمهم ، وبذل ما أمكن لتقويتِهم ..

وفي الرواية عن معروف بن خربوذ عن أبي جعفر عليه السلام قال : [إنما نحن كنجوم السماء كلّما غاب نجمٌ طلع نجم ، حتى إذا أشرتم بأصابعكم ،

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ٣٢٠ ب ٣٢ ح ١٥ -

وملتم بأعناقكم ، غيَّبَ اللهُ عنكم نجمكم ، فاستوت بنو عبد المطلب ، فلم يُعرف أيٌّ مِن أي ، فإذا طلع نجمكم فاحمدوا ربكم][1] .

أي انَّ لصاحب هذا الأمر غيبةً ، تكون فيها حيرة ، وله علامات ، فالتزموا أمر الله في الغيبة ، وانتظروا العلامات حتى الظهور . وفي زمن الغيبة يجب العمل على تطبيق أمر الله وتوطئة الأمر للمهدي ﷺ .. وفي بعض النصوص إشارة إلى أمرٍ صعب ، وظروفٍ معقّدة ، يبدو معها أنَّ العالم يعمل على طمس معالم المهدي ويسخر من القائلين بإمامته والمنتظرين لأمره ﷺ ، ما يساهم في زيادة العناء على المؤمنين به ، حتى يخرج قوم ، في حين تكون الدعاية العامّة مسلّطة لإبطال هذا الأمر وإلغاء فكرة المهدي من عقول الناس .

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ﷺ قال : قال لي ﷺ : [يا أبا الجارود ، إذا دارَ الفلك ، وقالوا ماتَ أو هلك ﷺ ، وبأيِّ واد سلك ، وقال الطالبُ له : أنَّى يكون ذلك ! وقد بليت عظامُه ، فعند ذلك فارتجوه . وإذا سمعتم به فأتوهُ ولو حبواً على الثلج][2] . أي هناك دعاية خطيرة وأصوات لها قدرة في صناعة الرأي والفكرة تعمل على تدمير بُنى الذين يطالبون بالمهدي أو يدعون له ويوطّئون لخروجه ﷺ ..

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٣٢٨ ح ٨ – عن معروف بن خربوذ قال : قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام أخبرني عنكم قال : نحن بمنزلة النجوم إذا خفي نجم بدا نجم (منا) أمن وأمان وسلم وإسلام ، وفاتح ومفتاح ، حتى إذا استوى بنو عبد المطلب فلم يدر أي من أي ، أظهر الله عزوجل (لكم) صاحبكم فاحمدوا الله عزوجل ، وهو يخير الصعب والذلول ، فقلت : جعلت فداك فأيهما يختار ؟ قال يختار الصعب على الذلول) . دلائل الامامة : صـ ٢٩٢– ورواه الحكم ، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : (كيف بكم إذا صعدتم فلم تجدوا أحدا ورجعتم فلم تجدوا أحداً)] * ٧٥٦ – المصادر : * : النعماني : صـ ١٩٢ ب ١٠ ح ٤

[2] النعماني : صـ ١٥٤ ب ١٠ ح ١٢

وعن زرارة قال : سمعتُ أبا جعفر ﷺ يقول : [إنّ للقائم غيبةً ، ويجحده أهله . قلت : ولِمَ ذاك ؟ قال : يخاف – وأومأ بيده إلى بطنه][1] .. أي يصل الأمر إلى حدّ استعمال المِهَن والإرتزاق والمنافع في عمليّة طمس معالم الإمام المهدي وذكره . في النصّ تأكيد على انّ جماعة تستغلّ الأزمات الماديّة أو البطالة أو الجوع الذي يضرب في الناس ، أو تعمد إلى عرض منافع وغيرها من أجل إلغاء فكرة المهدي من أذهان الناس ..

ويتّسع مدلول النص للتأكيد على انّ قوماً يسقطون أصنام بطونهم وفروجهم ، فيتركون امر الله ، من أجل شهوة بطن او فرج أو ميزة وسلطان ..

وفي نصوص تفصيليّة تأكيد على أنّ الغيبة للمهدي ﷺ غيبتان ، واحدة صغرى ، والثانية كبرى . النصوص في هذا المجال عديدة ، منها ما رواه إبراهيم بن عمر اليماني قال : سمعت أبا جعفر ﷺ يقول : [إنّ لصاحب هذا الامر غيبتين . وسمعته يقول ﷺ : لا يقوم القائم ولأحد في عنقه بيعة][2] .

غيبة صغرى وغيبة كبرى . وقد انقضت الصغرى ونحن الآن في زمن الغيبة الكبرى ، فإذا خرج المهديُّ ﷺ دعا إلى أمر الله رغم جحد الجاحدين ، وأقام حكم الشريعة بعد هلاك الظلمة وقتل الأباطرة والمفسدين .. وعن محمد بن مسلم الثقفي عن الباقر أبي جعفر ﷺ أنه سمعه يقول : [إنّ للقائم غيبتين ، يُقال له في إحديهما هلك ولا يُدرى في

---

[1] النعماني : ص ١٧٦ ب ١٠ ح ١٨

[2] النعماني : ص ١٧٦ ب ١٠ ح ٣ –

أي واد سلك][1] . أي يُقال انتهى أمرُ المهدي ، فلو كان فكيف يعيشُ هذا العمر كلّه .! وما إلى ذلك من قولٍ تتناثره الألسن وما زالت تتناثرهُ .! وفي آثار الماضين ما يدحض قول الجاحدين . وفي القرآنِ ما يؤكّد حقيقةَ قولِ المعصومين ، وقد أكّدت نصوصُ أهل البيت ﷺ منذ زمن النبيِّ وصولاً إلى زمن العسكريِّ انَّ في المهديِّ ﷺ من نوع سنّة ، وهي طول العمر ، هذه النصوص كثيرة ، وردت على لسان أهلِ البيت ﷺ قبل أن يُولد المهدي ﷺ ، وهذا سرُّ الإعجاز العظيم بأهل البيت الذين يتلون الغيبَ بأمرٍ من الله وبمدد منه ..

على كلٍّ حال : هذا واحد من الحرب الدعائية الثقافيّة الإعلاميّة الواسعة المدعومة بفكر سياسي اجتماعي عقيدي يستفيد من تجميع الإمكانات لإلغاء أي فكرة تتعلق بالدِّين وقيم النبيين والأئمّة المعصومين ﷺ ، بما في ذلك فكرة المهدي المنتظر ﷺ . لا فرق في ذلك بين غربٍ أو شرق ..

وعلى أثر الغيبة الكبرى تتبدّل معالم كثيرة ، وتتوسّع فجوةُ أهلِ الباطل ، ويقوم العالَمُ على نحوٍ من انحراف خطير ، عبّرت النصوصُ عنه بالكثير من العلامات والمعاني التي تُتَوِّجُهُ عالماً شديد التغيّر ، بعيد بوضوح شديد عن قيم الدِّين ومعارف شريعة المسلمين ، في ظلِّ مكوِّنات سياسيّة وتعدُّد دولي ، وكيانات تصرُّ على فصل قيم المواطن عن الدِّين ، بل يستفاد من كثيرٍ من النصوص انَّ الدِّين أو التديُّن يُصبح تهمة ، او منقصة ، ومشكلة وغير ذلك ، ويكفي أن نعطف نظرةً واحدة على عالمنا

---

[1] النعماني : ص ١٧٣ ب ١٠ ح ٨ –

هذا حتى نفهم الكثير من مصاديق تلك العلامات .. فإذا استمكنت العلامات ظهر من الدلالات الكثير ، وهي دلالات تشيرُ إلى قربِ الظهور . منها الفتن وأشباهها ، هذه الفتن التي تتنوّع حسب النصوص بين فتنة مال وفتنة سلطان وفتنة هوى ، وفتن دم وجوع ووجع وقتل وإبادة وقيادة السفهاء ونبذ العلماء وما أشبه بذلك .

وفي رواية أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله ﷺ : كان أبو جعفر ﷺ يقول : [لقائم آل محمد غيبتان ، إحداهما أطول من الاخرى ؟ فقال : نعم ، ولا يكون ذلك حتى يختلف سيفُ بني فلان ، وتضيقُ الحلقة ، ويظهر السفياني ، ويشتد البلاء ، ويشمل الناسَ موتٌ وقتلٌ يلجأون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله ﷺ][1] . فإذا ضاق الأمل ، وتوسّعت الفتن ، وتبعتها فتنة الشام ، وظهر السفياني ، وشاع القتل وسفك الدماء بدت علامات الظهور ، فيقع في العالم سلسلة أحداث منظومات ، شديدة البلاء والمحن والعرك ، على أثرها ينادي جبرائيل ﷺ في السماء في الثالث والعشرين من شهر رمضان بالمهديّ ﷺ فتهتزّ الدنيا ، وتبدأ مرحلة التغيُّر الأكبر في أحداث التاريخ ..

مع الإشارة إلى أنّ بعض أصحاب الأئمة ﷺ كان يسأل إماماً ما ، من الأئمة ﷺ : هل أنت القائم ؟ لا يعني بذلك المهدي ، بل يعني أنّ هناك دولةً لآل محمّد ، تكون لهم ، ولا يدري مَن هو القائم بها ، بعد تحصيله أنّ المهدي ﷺ الذي يخرجُ في آخر الزمان يقيم دولة الإسلام على كافّة بقاع الأرض كلّها . لكن كان في ذهنهم أنّه ممكن أن يكون من أهل البيت أيضاً

---

[1] كتاب المشيخة : الحسن بن محبوب : – على ما في إعلام الورى ، ومختصر بصائر الدرجات . * : النعماني : ص ١٧٢ ـ ١٧٣ ح ١٠ ح ٧

مَن يقيم الأرض وينتصر لمظالم آل محمّد قبل خروج المهدي ﷺ . هذا ما يُستفاد من بعض أطراف طائفة من النصوص . وكان جواب الأئمّة ﷺ أنّ المهدي هو صاحبُ دولتنا . يعنون بذلك الدولة التي تنتشر في بقاع الدنيا آخر الزمان . وهو بالتالي لا ينفي قيام دولة في كيانٍ محدّد من الأرض ، كتلك التي قامت على يد بني بويه وغيرها من البقاع المختلفة ..

وفي رواية حمران بن أعين قال : قلت لأبي جعفر الباقر ﷺ : جعلت فداك ، إني قد دخلت المدينة وفي حقوي هميان فيه ألف دينار ، وقد أعطيتُ اللهَ عهداً أنني أنفقها ببابك ديناراً ديناراً ، أو تجيبني فيما أسألك عنه ، فقال : [يا حمران ، سَل تُجَبْ ، ولا تُنفقنّ دنانيرك . فقلت : سألتك بقرابتك من رسولِ الله ﷺ أنت صاحبُ هذا الامر والقائم به ؟ قال ﷺ : لا ، قلت : فمَن هو بأبي أنت وأمي ؟ فقال : ذاك المشرَّب حمرة ، الغائر العينين ، المشرف الحاجبين ، العريض ما بين المنكبين ، برأسه حزاز وبوجهه أثر ، رحم اللهُ موسى][1] . إشارة إلى أنّه من أولاد موسى الكاظم ﷺ . أو إشارة إلى انّه فيه سنّة من سنّة موسى ﷺ ، وهي خفاء الولادة .

أيضاً ورد كذلك في رواية النعماني وقال : [أقول : المراد أنه من أولادِ موسى بن جعفر ﷺ ، أو أنه شبيه موسى بن عمران ﷺ كما صُرِّحَ به في الاحاديث المتواترة] . وهذا صحيح لما ورد عندنا في طائفة من النصوص أنّ في المهديّ ﷺ من النبي موسى ﷺ سنّةً ، وهذه السنّة هي

---

[1] النعماني : ص ٢١٥ ب ١٣ ح ٣ - عن حمران بن أعين ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام فقلت له : أنت القائم ؟ فقال : قد ولدني رسول الله ﷺ وإني المطالب بالدم ويفعل الله ما يشاء . ثم أعدت عليه فقال : قد عرفت حيث تذهب ، صاحبك الصيدح البطن ، ذو الحزاز برأسه ، ابن الارواع ، رحم الله فلاناً) .

خفاءُ ولادتِه . بالإضافة إلى ما ورد أيضاً أنّه يكون مُتَرَقّباً . وقد أوردنا عليك طائفة من النصوص التي تؤكّد طابع هذه السنّة ، كما أوردنا عليك النصوص الكثيرة عنهم ﷺ التي تشير إلى خفاء ولادة الإمام المهدي ، بل في النصوص يسأل السائل مِن أصحاب أهل البيتِ ﷺ عن المهديّ ؟ فيجيبونه بأنّه الذي تخفى ولادتُهُ .. أمّا إسم المهدي فهو محمّد بن الحسن وقد ثبت بالروايات المتواترة التي لا تقوم في وجهها أيُّ روايةٍ متعارضة على الإطلاق ..

ويمكننا أن نقرأ عدّة صفات وسُنن في المهدي ﷺ عبر مجموعة من النصوص تركّز على ذلك . فقد روى جابر الجعفي عن أبي جعفر ﷺ قال : [المهدي رجل من ولد فاطمة ، وهو رجل آدم][1] .. وفي رواية أبي بصير قال : قال أبو جعفر ﷺ – أو أبو عبد الله ﷺ : [يا أبا محمد ، بالقائم علامتان : شامة في رأسه ، وداء الحزاز برأسه ، وشامة بين كتفيه من جانبه الأيسر ، تحت كتفه الأيسر ، ورقة مثل ورقة الآس][2] .

وعن بعضِ السُّنن الجارية فيهِ ..؟ روى أبو بصير عن أبي جعفر ﷺ قال : [في القائم شَبَهٌ من يوسف . قلت وما هو ؟ قال : الحيرة والغيبة][3] ..

وعن قيام أمرهِ وإصلاحه السريع ؟ روى يزيد الكناسي قال : سمعت أبا جعفر الباقر ﷺ يقول : [إنّ صاحب هذا الأمر فيه شَبَهٌ من

---

[1] غيبة الطوسي : ص ١١٤

[2] النعماني : ص ٢١٦ ب ١٣ ح ٥

[3] غيبة الطوسي : ص ١٠٢

يوسف ، ابنُ أمَة سوداء ، يصلح اللهُ له أمره في ليلة [1] . أقول : الظاهر أنّ كلمة سوداء في نسخة النعماني زائدة حيث اتفقت الروايات على أنّ أم المهدي ﷺ رومية أو مغربية ، وليست سوداء . ولا يبعد أن يكون الشبه المقصود بين يوسف والمهدي ﷺ انه ابن أمة . وأنّ له حيرةً وغيبةً . وهذا ثبت عندنا في طوائف من النصوص . وأنّ أمرهُ ﷺ يصلحه الله في ليلة كما حصل مع يوسف الذي أصلح اللهُ أمره في ليلة . وهل يُصلِحُ اللهُ أمر المهدي ﷺ عبر تطوُّرات سياسيّة ومكوِّنات عالميّة ، أو خلاف بين الجبهات أو انهيار في مُلك بني فلان ، أو تنازع على مُلك ، أو انقسام أو سأم الناس من القتل والإبادة والدمار والنار ، أو غير ذلك من الأمور التي تطرأ وتكون في صالحه ﷺ ، أم أنّ هناك أمرٌ آخر إعجازي وشبهه ؟ النصُّ مفتوح على معاني كثيرة ، ولا شيئ على الله عسير .. وقد ورد عن أبي الجارود قال : قلت لأبي جعفر ﷺ : جُعلت فداك ، أخبرني عن صاحب هذا الامر ؟ قال ﷺ : [يمشي من أخوف الناس ، ويصبح من أمن الناس ، يُوحى إليه هذا الامر ليله ونهاره . قلت : يُوحى إليه يا أبا جعفر ؟ قال : يا أبا جارود إنه ليس وحي نبوة ، ولكنه يوحي إليه كوحيه إلى مريم بنت عمران وإلى أم موسى وإلى النحل . يا أبا الجارود : إنّ قائم آل محمد لأكرم عند الله من مريم بنت عمران وأم موسى والنحل][2] .

هذه واحدةٌ من السُّنَن التي بينهُ وبين النبي يُوسف ﷺ ، حيث تمّ صلاحُ أمره ﷺ في ساعة من الزمن ، فانقلب من السجن إلى الوزارة الكبرى .

---

[1] النعماني : ص ١٦٣ ب ١٠ ح ٣

[2] كتاب الغيبة ، للسيد علي بن عبد الحميد : على ما في البحار . * : البحار : ج ٥٢ ص ٣٨٩ ب ٢٧ ح ٢٠٩

وكذا فيه من سُنَن الأنبياء ما يؤكّد على التقاطع الوظيفي من جهة ، والإشتراك النوعي من جهة أخرى . ففي رواية أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر الباقر ﷺ يقول : [في صاحبِ هذا الامر سُنَنٌ من أربعة أنبياء : سُنَّة من موسى ﷺ ، وسُنَّة من عيسى ﷺ ، وسُنَّة من يوسف ﷺ ، وسُنَّة من محمد ﷺ . فقلتُ : ما سُنَّةُ موسى ؟ قال ﷺ : خائفٌ يترقَّب . قلت : وما سُنَّةُ عيسى ؟ فقال ﷺ : يُقال فيه ما قيل في عيسى ﷺ . قلتُ : فما سُنَّةُ يوسف ؟ قال ﷺ : السجنُ والغيبة . قلت : وما سُنَّةُ محمد ﷺ ؟ قال : إذا قام سار بسيرةِ رسولِ الله ﷺ إلا أنَّه يبيِّن آثارَ محمَّد ، ويضع السيفَ على عاتقه ثمانية أشهر هرجاً هرجاً ، حتى يرضى اللهُ . قلت : فكيف يعلم رضا الله ؟ قال : يلقي اللهُ في قلبه الرحمة][1] ..

أقول : ما ورد في ظاهر النص عند مقارنته مع النبي يوسف من السجن والغيبة ، يُقصدُ به ما اصاب يوسُف ﷺ وليس المهدي . نعم مقصود لسان النص الحيرة التي تُصيب المهدي ﷺ . وقد وردت نصوص عديدة في المقارنة مع النبي يوسف تشير إلى الحيرة لا إلى السجن . نعم السجن أصاب يوسف ﷺ ولا يصيب المهديَّ ﷺ بدلالة النصوص . والذي يصيب المهدي ﷺ هو الغيبة . فلا بدَّ من فهم مقصد النص من هذه الجهة . وإلا فالثابت عندنا بشكلٍ مطلق أنَّ المهدي لا يُسجن ، بل تكون له غيبة وحيرة ، إلا أن يكون لسان النص يعتمد الكناية للإشارة إلى الغيبة . وقد ورد لفظ الغيبة والحيرة في أكثر من طائفة وهو الثابت بلا إشكال .. وفي رواية محمد بن مسلم الثقفي الطحان قال : دخلتُ على أبي جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ وأنا أريد أن أسأله عن القائم من آل محمد ﷺ فقال لي

---

[1] علي بن أحمد العلوي الموسوي : – على ما في غيبة الطوسي . * : النعماني : صـ ١٦٤ ب ١٠ حـ ٥

مبتدءا : [يا محمّد بن مسلم ، إنّ في القائم من آل محمّد ﷺ شبهاً من خمسةٍ من الرُّسُل : يونس بن متى ، ويوسف بن يعقوب ، وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم . فأمّا شبهه من يونس بن متى : فرجوعُهُ من غيبته وهو شاب بعد كبر السن . وأما شبهُهُ من يوسف بن يعقوب ﷺ فالغيبة عن خاصّته وعامّته ، واختفاؤه من إخوته وإشكال أمرِه على أبيه يعقوب ﷺ مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته . وأما شبهُهُ من موسى ﷺ فداومُ خوفه ، وطولُ غيبته ، وخفاءُ ولادته وتعبُ شيعته من بعده ممّا لقوا من الأذى والهوان ، إلى أن أذن اللهُ عزوجل في ظهوره ونصره وأيّده على عدوه . وأما شبهُهُ من عيسى ﷺ فاختلاف مَن اختلف فيه ، حتى قالت طائفة منهم : ما وُلِدَ ، وقالت طائفةٌ : ماتَ ، وقالت طائفة : قُتِل وصُلِب . وأما شبهُهُ من جدّه المصطفى ﷺ فخروجُهُ بالسيف وقتلُهُ أعداءَ الله وأعداءَ رسوله ﷺ والجبارين والطواغيت ، وأنه يُتصرُ بالسيفِ والرعب ، وأنّهُ لا تُردُّ له راية . وإنّ من علامات خروجه : خروج السفياني من الشام ، وخروج اليماني (من اليمن) وصيحةٌ من السماء في شهر رمضان ، ومنادياً ينادي من السماء باسمه واسم أبيه][1] ..

يعتبر هذا النصُّ وافياً في الإشارة لمقام الوصف والمقارنة ، فشبهُهُ من يونس بن متى رجوعُهُ من بعد غيبته في بطن الحوت وهو شاب بعد كبر السن .! وشبهه من يوسف بن يعقوب غيبة عن أهل بيته وشيعته وقومه والناس أجمعين بعد طول حيرة ، رغم أنّه قريب المسافة بينه وبين قومه وناسه ، بل هو الأظهر بينهم ، والعَلَم في البيان ، وهكذا المهدي ﷺ ،

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ٣٢٧ ب ٢٢ ح ٧

يكون بين الناس ، يدور في العالَم بين المدن والقرى ، يرى الخلق ولا يرونَهُ وهو شديد القرب منهم كما أشارت إلى ذلك طائفة من الروايات . وأما شبهُهُ من موسى ﷺ فطول غيبته وخفاءُ ولادته وتعبُ شيعته من بعده ممّا لقوا من الاذى والهوان ، في ظلِّ عالمٍ تمّت هيكلتُهُ على نحوٍ صدامي إسقاطي لقيم الشريعة ، بل أبرز ما فيه الإنكار الشديد لقيم الكون وصلة الأفق بمعالم الوجود ، والأبرز من الذين يعانون هم المنادون بالمهدي ، السائرون على خطاه وخطى أهل بيته ، الناظرون من الأرض إلى السماء ، المصرّون على التزام الشريعة وفقه آل الرسول مهما حصل ومهما تغيّرت الهويات المختلفة في عالم القيم والإجتماع ودواقع السلوك والأعراف ومعايير الإنتماء . وأما شبهُهُ من عيسى فاختلاف مَن اختلف فيه ، هذا يقول : وُلِد ، وهذا ينفي .! هذا يقول : هلك في أي وادٍ سلك .! وهي لطول العمر على هذا الزمن . وهذا يقول هو حيٌّ باقٍ يُبقيه الله كما أبقى يونس ونوحاً والياس وكما أبقى عيسى بن مريم حيّاً منذ أن بعثه . وأمّا شبهه من النبي محمّد ﷺ ، فوقوفه في وجه الجبارين وقتله أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ وإعلان الإسلام شريعة الأمم وخيار العالم والشرط الضروري للسعادة التي يتم بها إعلان العبودية لله تعالى . وكما ترى هذه السنن شديدة التعبير والتوصيف لدور وأمر المهدي ﷺ ، وذات حجّة بالغة ، ونقابة عالية ، ووصف رفيع ..

وعن أمر المهدي وظهوره ..؟ بل عن واحدة من معاني الصفات المتّصلة بحركة الظهور ..؟ أعني بها الغلبة وإصلاح أمره بسرعة ..؟ روى علي بن أبي حمزة عن الإمام أبي جعفر الباقر ﷺ وقال : ذكرت ذلك لأبي الحسن موسى بن جعفر ﷺ فقال : [إنّ القائم ﷺ يهبط من ثنية ذي طوى

، في عدّةٍ أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً حتى يسند ظهره إلى الحجر الاسود ، ويبهن الراية الغالبة][1] . تأكيداً على انّ أمر المهديّ ﷺ إذا ظهر سريعاً ما ينفذ ويسطع وينتشر ، ويكون واحداً من أهمّ الرايات التي تبدأ صناعة التاريخ من جديدٍ بشكلٍ متماسك ، وعلى نحوٍ من بُنى ومفاهيم قيامُها الإسلام ، وعمادُها الدعوة إلى الديّان ..

واللافت في النصوص أنّ أهلَ البيت ﷺ شدّدوا بكثافة على الناس أن لا ينفتنُوا برايات العباسيين السود ، مؤكّدين أنّ رايتهم ليست على الحق ، ولا تمتُ بصلةٍ إلى راية سلسلة الأئمّة ﷺ العلويين ، وأنّ الحذر الحذر من اللجوء إليهم ، بل اللجوء يكون إلى راية آل محمّد التي تكون في آخر الزمان ، على يدِ المهدي ﷺ .. النصوص كانت في مقام بيان المقابل بين دولتي بني العباس ، ودولة المهدي . وبالتالي هي ليست ناظرة إلى الثورات التي كان يقوم بها بعض العلويين ، والتي مُدِح بعضها على لسان الأئمّة ﷺ ..

وفي رواية جابر الجعفي قال : قال لي محمد بن علي ﷺ : [يا جابر إنّ لبني العباس راية ، ولغيرهم رايات ، فإيّاك ثم إيّاك – ثلاثاً – حتى ترى رجلاً من وُلدِ الحسين ﷺ يُبايَع له بين الركن والمقام ، معه سلاحُ رسولِ الله ﷺ ومغفر رسول الله ، ودرع رسول الله ، وسيف رسول الله][2] .

النصُّ شديدُ الدقّة والوضوح بأنّ راية آل محمّد هي راية المهدي وليس راية بني العباس أو ما هو شبيه بها ، راية آل محمّد تقوم على ولاية

---

[1] النعماني : ص ٢١٥ ب ٢٠ ح ٩

[2] الاصول الستة عشر : ص ٧٩

أهل البيت ، كما أشرنا سابقاً إلى مجموعة من النصوص التي تركّز على موضوع الولاية وجوهر الإتصال بها والركون إليها والإعتماد عليها ..

وأهل البيت سلسلة منظومة ، أوّلها متّصلٌ بآخرها ، كلُّهم يأخذون من رسولِ الله ﷺ ، مُحَدَّثون ، منصوبون من الله لبيان الشريعة وقيادة الأمم ، وإعلان الإسلام شريعة الله . وشيعتُهم مأمورون بالسعي إلى تثبيت امر الإسلام في أيّ بقعة كانوا ، وضمن إمكاناتِهم ، مأمورون بتمهيد الشرط والسبب لإقامة منظومة فرد وجماعة واجتماع عمادُهُ الإسلام في كافّة معانيه من معارف وقوانين وعقائد وسلوكيّات .

بل في بعض النصوص تأكيدٌ على أنّ سلسلةَ الكُتُب التي خلّفها الإمام علي ﷺ ، وهي من فمِ رسولِ الله ﷺ إنّما هي لإقامة أمرِ الله ، والمصداق الأبرز في إعلان الدولة الواسعة سعة البقاع والأمم ، والتي تعلن العالم وحدة نوعيّة هي دولة مولانا المهدي ﷺ . وفي النص عن عبد الملك بن أعين قال : أراني أبو جعفر بعض كُتُبِ عليٍّ ﷺ ثم قال لي : [لأيّ شيئ كُتِبَت هذه الكتب ؟ قلت : ما أبين الرأي فيها . قال : هات ، قلت : علم أنّ قائمكم يقوم يوماً فأحبّ أن يعمل بما فيها ، قال : صدقت][1] .

إذن مشروع الدولة يقوم على بُنى قيميّة تشريعيّة معرفيّة ، الإسلام أصلها وأساسُها ، الإسلام الواصل من لسان أهل البيت ﷺ وعبر بابهم ، لا أيّ إسلام ، هذا هو مفاد النصّ هنا .. فإذا تمّت العلامات وأذن اللهُ للمهديّ ﷺ بالخروج جرت سلسلةٌ من احداث ضخمة ، منها ما هو مردودٌ إلى سلوك الإنسان ، ومنها ما هو علامة من الكون والطبيعة بإذن الله

---

[1] بصائر الدرجات : ص ١٦٣ ب ١ ح ٢

الديّان ، وبرز أمر شديد الدقّة ، هو الصوت من السماء ، كعلامة على صانع التاريخ الجديد ، وقائد الدنيا بقيم شديدة الإختلاف عن معالم الجبابرة والأباطرة والمفسدين . فإذا تمّت تلك العلامات شاع في الناس أمرُ المهدي ﷺ ، وتسارعت الأقدام إليه لتبايعه ، في أسرع وقت ، وفي مدّة تؤكّد صلاح أمره ﷺ في ليلة . أي في مدة شديدة القصر .

وفي رواية السيد علي بن عبد الحميد عن الإمام أبي جعفر قال : إذا خسف بجيش السفياني ، والقائم ﷺ يومئذ بمكّة عند الكعبة مستجيراً بها ، يقول : أنا ولي الله ، فيبايعونَهُ بين الركن والمقام . . وعه عهدٌ من رسول الله ﷺ ، قد تواترت عليه الاباء . فإن أشكل عليهم من ذلك الشيء فإنّ الصوت من السماء لا يشكل عليهم إذا نُودِيَ باسمه واسم أبيه][1] .

أي انّ أمر المهدي ﷺ يكون شديد الصلة بأحداث متسارعة ، وفتن مختلفة ، وآيات تظهر ، وعجائب تشير إلى حقيقة التغيُّر الكبير الذي يطرأ على هويّة الإجتماع السياسي والعلاقات الدوليّة وشبه ذلك .

ويؤكّد النصُّ أنّ المهدي إذا ظهر ، ظهر ومعه وراثة النبيّ محمّد ﷺ . بما يعني من وراثة تتّصل بالنبيين ، وبين يديه علامات ، منها سلاح النبيّ ﷺ أو عصا موسى ، إشارة إلى عمق الصلة ، وبيان لمدى اتّصال الإعجاز به ، وأنّه مؤيّد مسدّد من قبل الله تعالى .

وفي رواية محمد بن الفيض عن أبي جعفر ﷺ قال : [كانت عصى موسى لآدم ، فصارت إلى شعيب ، ثم صارت إلى موسى بن عمران . وإنها

---

[1] السيد علي بن عبد الحميد : – على ما في البحار . * : البحار : ج ٥٢ ص ٣٠٥ ب ٢٦ ح ٧٨

لعندنا ، وإنّ عهدي بها آنفاً ، وهي خضراء كهيئتها حين انتُزِعَت مِن شجرها ، وإنها لتنطقُ إذا استُنطِقَت ، أُعِدّت لقائمنا ﷺ ليصنع كما كان موسى ﷺ يصنع بها ، وإنها لتروع وتلقف . قال : إنّ رسولَ الله ﷺ لما أراد الله أن يقبضه أورثَ عليّاً علمه وسلاحه وما هناك ، ثم صار إلى الحسن والحسين ، ثم حين قُتِل الحسين استودعه أم سلمة ، ثم قبض بعد ذلك منها ، قال : فقلت : ثم صار إلى علي بن الحسين ثم صار إلى أبيك ثم انتهى إليك ؟ قال : نعم [1] ..

إذن : الأمرُ شديدُ الإتصال بمعالم الإعجاز ومقولة الأنبياء ورتبة الأوصياء ، بل أصلُ خروجِه وعمره وقدرة التغيير ذات إعجاز واضح ، ونوع من أنواع اللطف الإلهي العظيم ..

وهناك من النصوص ما يشيرُ إلى اطّلاع النبيين ﷺ على أمرِ آخر الزمان وما يُعطى المهدي ﷺ من تمكين ، فكان بعضهم يتمنّى أن يكون قائم آل محمّد . والثابت عندنا في طائفةٍ من النصوص أنّ اللهَ تعالى يُطلع أنبياءهُ وأوصياءهُ على أمورٍ من الغيب ، وفي طائفة بيّنت لهم ﷺ ما يكون للنبيِّ وآلِه ﷺ ، فكان بعضهم يتمنّى أن يكون منهم أو على عهدهم لِمَا للنبيِّ وآلِه من فضلٍ عظيمٍ في إثبات دين الله وتمكينه ، وأيُّ فضلٍ هذا الذي

---

[1] بصائر الدرجات : ص ١٨٣ – ١٨٤ ب ٤ ح ٢٦ – عن محمد بن الفيض ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : – وفيه (. . كانت عصى موسى لآدم عليه السلام . . حين انتزعت من شجرتها . . يصنع بها ما كان يصنع موسى . . وتلقف ما يأفكون وتصنع ما تؤمر به ، إنها حيث أقبلت تلقف ما يأفكون يفتح لها شعبتان : إحداهما في الارض والاخرى في السقف وبينهما أربعون ذراعا تلقف ما يأفكون بلسانها) . * : كمال الدين : ج ٢ ص ٦٧٣ ـ ٦٧٤ ب ٥٨ ح ٢٧ – كما في الكافي بتفاوت يسير ، عن أبيه ، ثم بسند الكليني ، إلى قوله (وإنها تصنع ما تؤمر ، وإنها حيث ألقيت تلقف ما يأفكون بلسانها) . * : الاختصاص : ص ٢٦٩

يكون المهديُّ ﷺ المُعدّ لنشر الدين وتمكينه في الأرض ، ليكون مفصل ختام الأرض على هذا النحو الذي بدأ بالإستخلاف الأوّل ..!

ففي رواية سالم الأشل قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ يقول : [نظر موسى بن عمران في السفر الاول إلى ما يُعطَى قائم آل محمد ﷺ من التمكين والفضل فقال موسى : ربِّ اجعلني قائم آل محمد ، فقيل له : إنّ ذاك من ذريّة أحمد . ثم نظر في السفر الثاني فوجد فيه مثل ذلك فقال مثله ، فقيل له مثل ذلك . ثم نظر في السفر الثالث فرأى مثله فقال مثله ، فقيل له مثله][1] .

تأكيداً على تعظيم التبيين لأمر الإسلام ومن يكون السبب في تمكينه .. والثابت أنّ المهدي ﷺ إذا ظهر أيّدهُ اللهُ تعالى بعلامات ، وصاحبته مجموعة من أدوات النبيين ، مثل عصا موسى أو ما هو متّصل بوراثة النبيين ، حتى انّ الدجّال الذي يخرج زمن الموت الأحمر والجوع الأغبر الذي يحاول أن يستعمل كلّ أدواته وإمكاناته لإجهاد ما أمكن من المسلمين بالأزمة الإقتصاديّة المعيشيّة التي يبدو انّها تكون من سمات وأثر حركة الدجّال ، يقابله ما أعطاهُ اللهُ للمهديّ ﷺ من قدرة ممانعة ، وأصل نفوذ وإتمام للأمر ، وغلبة على كلّ هذه الإمكانات .

من تلك الضمانات ما أشار إليه الإمام أبو عبد الله قال : قال أبو جعفر ﷺ : [إذا قام القائم بمكة وأراد أن يتوجّه إلى الكوفة نادى مناديه : ألَا لا يحمل أحد منكم طعاماً ولا شراباً ، ويحمل حجر موسى بن عمران

---

[1] النعماني : ص ٢٤٠ ب ١٣ ح ٢٤

وهو وقر بعير ، ولا ينزل منزلاً إلا انبعث عين منه ، فمن كان جائعاً شبع ، ومن كان ظمآن روى ، فهو زادهم حتى نزلوا النجف من ظهر الكوفة][1] .

وهل هذا النصُّ يُؤخذُ على إطلاقه وتمامه لمنع أي أزمة تصيب المسلمين ؟ يبدو من مجموع النصوص أنَّ هناك بلاءً يصيب المسلمين وجهداً وجوعاً ، ربَّما له طابع صِدَام الجبهات وبلاءها ضمن حدود ، بما يلازمُها من دمٍ وجوع واضطراب في الإقتصاديات والمعيشة وشبه ذلك .. وهذا يعني أنَّ امتلاك المعجز غير استعمال المعجز . فقد يوسِّع ﷺ من استعماله وقد يضيِّق من ذلك . الأمر مرهون بما يريدُ اللهُ وما يعطيه للمعصوم ، حتى لا يكون للناس على الله حجَّة ..

وفي سند آخر عن أبي الجارود زياد بن المنذر قال : قال أبو جعفر ﷺ : [.. إذا ظهر القائم ﷺ ظهر براية رسول الله ﷺ ، وخاتم سليمان ، وحجر موسى وعصاه ، ثم يأمر مناديه فينادي : ألَا لا يحملنَّ رجلٌ منكم طعاماً ولا شراباً ولا علفاً ، فيقول أصحابه : إنه يريد أن يقتلنا ويقتل دوابنا من الجوع والعطش ، فيسير ويسيرون معه ، فأوَّل منزل ينزله يضرب الحجر فينبع منه طعام وشراب وعلف ، فيأكلون ويشربون ودوابهم حتى ينزلوا النجف بظهر الكوفة][2] .

---

[1] بصائر الدرجات : ص ١٨٨ ب ٤ ح ٥٤ –

[2] عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أنه قال : – وفيه (إذا خرج القائم من مكة ينادي .. ألا لا يحمل أحد طعاما .. يحمل معه .. إلا نبعت منه عيون .. و (رويت) دوابهم حتى يتزلوا ..) . # : كمال الدين : ج ٢ ص ٦٧٠ ب ٥٨ ح ٦٧ – عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام : – وفيه (إذا قام .. حتاد .. ويحمل معه حجر موسى بن عمران الذي انبجست منه اثنتا عشرة عينا ، فلا ينزل منزلا إلا نصبه فانبعثت منه العيون .. فإذا نزلوا ظاهرها انبعث منه الماء واللبن دائما فمن كان جائعا شبع ومن كان عطشان روى) . وفي النصوص الكثير من البيان المتَّصل بأصل كرامة أهل البيت ﷺ ، منها ما ورد عن حمران عن أبي جعفر ﷺ قال : [إنَّ الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أجاجاً ، فامتزج

هذا يؤكّد امتلاك المعصوم ﷺ للمُعجزة . ويقيناً للمعصوم ولاية تكوينيّة بلا شكّ . لكنّ المعصوم لا يلجأ دوماً إلى استعمالها لأسبابٍ تتعلّق بعلم الله ووظيفة المعصوم وضرورات الحجّة على الناس . النصوص واضحة في انّ جهداً وحرباً وصداماتٍ مختلفة بل هدنة يقيمها ﷺ مع الروم وغير ذلك ، ما يعني أنّ اللجوء إلى الإعجاز وتسخير النواميس يكون ضمن حدود الوظيفة والإحتجاج .

بل يبدو من النصوص أنّ الإمام ﷺ يخوض غمار الحرب ، بما تعنيه من جُهدٍ في النفس والمال والمعيشة والإقتصاد وما يلازمهُ من تضحيات وجوع ووجع وشبه ذلك يصيب جبهته ﷺ ، ويبذل من الجهد الأمرَ العظيم حتى يتمكّن بإذن الله من تحقيق انتصاراتٍ ضخمة ، يفتح على اثرها العالم .. وفي غيبته ﷺ يكون على نحوٍ ناظرٍ للعالم وكاشفٍ لما يدورُ حوله ، يظلُّ كذلك إلى اليوم المأذون ، بل في النصوص أنّه يرى الخلق ولا يرونهُ . وفي رواية أبي نصر عن أبي جعفر ﷺ قال : إ لصاحب هذا الامر ﷺ بيتٌ يُقال له بيتُ الحمد ، فيه سراجٌ يزهر منذ يوم وُلِدَ إلى أن يقوم بالسيف [1] . أي حتى يخرج ﷺ ، وهو مشرفٌ على العالم ، مدركٌ لما

العاملين .. ثم قال إ ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين إ قال : ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال ألست بربكم ثم قال : وأنّ هذا محمّد رسول الله ، وأنّ هذا علي أمير المؤمنين ؟ قالوا : بلى ، فثبتت لهم النبوة وأخذ الميثاق على أولي العزم ألا إنّي ربّكم ، ومحمد رسولي ، وعلي أمير المؤمنين وأوصيائهُ من بعده ولاة أمري وخزّان علمي ، وأن المهدي أنتصر به لديني ، وأظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأعبد به طوعاً وكرهاً ؟ قالوا : أقررنا وشهدنا يا رب .. فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي .. ثم أمر ناراً فأجّجت ، فقال لأصحاب الشمال : ادخلوها فهابوها ، وقال لأصحاب اليمين : ادخلوها فدخلوها فكانت عليهم برداً وسلاماً ، فقال أصحاب الشمال : يا رب أقلنا ، فقال : قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها فهابوها ، فثم ثبتت الطاعة والمعصية والولاية ¦ بصائر الدرجات : صد ٧٠ و ٧ حـ ٢

[1] إثبات الوصية : صد ٢٢٦

فيه ، بل في النصوص المفسّرة لقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أنّ الأعمال تُعرض على الله وعلى الرسول وعلى الأئمة ﷺ ، بما في ذلك الإمام المهدي ﷺ .

وعلى كلّ حال : النصوص شديدة الوضوح في أنّه ﷺ متين الصلة بهذا العالم ، مشرفٌ عليه ، مطّلعٌ على ناسه وأممه وكياناته وزعاماته وما يجري فيه من سفك دمٍ وترويعٍ وتجويعٍ وشبه ذلك . وأنّه ينتظر اليوم الذي يُؤذن له بالخروج فيه ، حتى يخوض الغمرات ليملأ الأرض كلّها ميداناً لله تحكمهُ دولة الإسلام المحمّدي الأصيل ..

على أنّ ظهور المهديّ ﷺ تدلُّ عليه آياتٌ بيّناتٌ تامّة ، تؤكّد إعجاز الناموس ، وتطويع النظام وطواعيّته ، واختلاف القوانين وشبه ذلك . ففي رواية ورد أخي الكميت عن أبي جعفر محمد بن علي ﷺ أنه قال : [إنّ بين يدي هذا الأمر انكساف القمر لخمسٍ تبقى ، والشمس لخمس عشرة ، وذلك في شهر رمضان . وعنده يسقط حساب المنجمين][1] .

أي أنّ خسوف القمر وكسوف الشمس يكون على نحوٍ يُبطل حسابات أهل الفلك ، أي يخالفها . يكون على غير مجرى المعادلة المعروفة . أهل الفلك يرون عدم امكان الكسوف والخسوف ، وأنّه لا داعي لذلك حسب القوانين المعلومة لديهم ، فإذا حصل ذلك ، كان علامةً على قربِ ظهورِ مولانا المهدي ﷺ . لسان النصّ وغيره طائفة واضحة في هذا المعنى أنّ الكسوف والخسوف يكونانِ على نحوٍ غير معهود عند أهل

---

[1] النعماني : ص ٢٧١ ب ١٤ ح ٤٦

القلك ، وأنّ ذلك يحصل . فإذا حصل فهذا علامة على قرب قريب جداً لظهور المهدي ﷺ ، ويتضمّن النص إشارة إلى انّ ذلك الكسوف والخسوف يحصلان في شهر رمضان . يبدو النص في مقام البيان . أي أنّ ذلك يحصل في شهرٍ واحد هو شهر رمضان . ومعلوم انّه في شهر رمضان في ألـ ٢٣ منه ينادي جبرائيل ﷺ بالمهدي ﷺ .

وفي رواية محمد بن همام عن ورد عن أبي جعفر ﷺ قال : [.. إثنان بين يدي هذا الامر : خسوف القمر لخمس ، وكسوف الشمس لخمس عشرة ، ولم يكن ذلك منذ هبط آدم ﷺ إلى الارض ، وعند ذلك يسقط حساب المنجمين][1] . تأكيداً على أمرين : الأول أن ذلك يحصل ، والثاني : أنّه يكون على نحوٍ مختلفٍ عمّا في حساباتِ أهل الفلك وعلمهم ، وانّه علامة شديدة القرب من ظهور مولانا المهدي ﷺ . على أنّ لفظ النصّ يشيرُ إلى أنّ خسوف القمر يكون لخمس تبقى ، أما كسوف الشمس فيكون لخمس عشرة . وأنّ ذلك لم يقع من قبل وسيقع وسيكون علامةً دالّة على معالم العالم الجديد أي على ظهور صانع هيكل ومثبّت قيم العالم الجديد ..

وفي رواية بدر بن الخليل الأزدي قال : كنتُ جالساً عند أبي جعفر ﷺ فقال : [.. آيتانِ تكونانِ قبل قيام القائم ﷺ ، لم تكونا منذ هبط آدم إلى الارض : تنكسفُ الشمس في النصف من شهر رمضان ، والقمر في آخره . فقال رجل : يا ابن رسول الله ، تنكسف الشمسُ في آخر الشهر والقمر في النصف !! فقال أبو جعفر ﷺ : إني أعلم ما تقول ، ولكنهما آيتانِ لم تكونا منذ هبط آدم ﷺ][2] ..

---

[1] العدد القوية : صـ ٦٦ هـ ٩٥ – كما في كمال الدين .

[2] الفضل بن شاذان : – على ما في غيبة الطوسي . * : الكافي : جـ ٨ صـ ٢١٢ حـ ٢٥٨

وكأنّ السامع هالَهُ ما سمع ، لانطباعِ ذهنِهِ أنّ هذا من المستهجنات ، أو أنّه لم يقع بعد ، فهو من المدهش في أذهانِهم .! فأكّد الإمام ﷺ له الأمر ، مركّزاً على المفهوم الإعجازي ، وعلى النحو الإستثنائي ، بسبب بدء دورة جديدة في الحقبة الأخيرة تشيرُ إلى عالمٍ جديدٍ وقيادةٍ كبرى مهمّتُها إرساء الإسلام وقيام دولة آل محمّد كعنوان ختامي لمعالم الوجود في سلسلة من الزمن يتبعها أمور متعدّدة ، كواحدة من العلامات على قرب القيامة ..

وفي نصّ الإمام أبي جعفر ﷺ قال : [.. إنّ لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلقِ السماوات والأرض ، ينكسفُ القمر لأوّلِ ليلةٍ من رمضان ، وتنكسف الشمس في النصف منه ، ولم تكونا منذ خلق اللهُ السماوات والارض][1] . أقول : ما ورد في النص هنا يؤكّد طابع الكسوف والخسوف ، إلا انّ هناك شبه اختلاف في توقيت خسوف القمر . وقطعاً هذا خللٌ من الراوي . لأنّ النصوص الكثيرة جاءت متّفقة في تمام التوقيت ..

يبقى سؤال : وهو : هل التوقيت هنا حرفي ، أي يشيرُ المعصوم ﷺ إلى نفس اليوم والليلة أم تقريبي ؟ يبدو من النصوصِ أنّه حرفي . أي يشيرُ إلى معناهُ الدقيق وما يعنيه وينطبق عليه ..

وفي الرواية عن أبي بصير عن أبي جعفر محمد بن علي ﷺ قال : [إذا رأيتم ناراً من قبل المشرق شبه الهردي العظيم ، تطلع ثلاثة أيام أو سبعة ، فتوقعوا فرج آل محمد ﷺ إنْ شاء الله عزّوجلّ ، إنّ اللهَ عزيزٌ حكيم . ثم قال ﷺ : الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان ، لأنّ شهر

---

[1] الدارقطني : ج ٢ ص ٦٥ ح ١٠

رمضان شهرُ الله ، الصيحة فيه ، هي صيحة جبرئيل ﷺ إلى هـذا الخلـق . ثم قال : ينادي منادٍ مِن السماء باسم القائم ﷺ فيسمع مَن بالمشرق ومَن بالمغرب ، لا يبقى راقدٌ إلا استيقظ ، ولا قائم إلا قعد ، ولا قاعد إلا قامَ علـى رجليه فزعاً مِن ذلك الصوت ، فرحم اللهُ مَن اعتبر بذلك الصـوت فأجاب ، فإنَّ الصوت الأوّل هو صوت جبرئيل الروح الامين ﷺ .

ثم قال ﷺ : يكون الصوت في شهر رمضان في ليلـة جمعـة ليلـة ثلاث وعشرين ، فلا تشكُّوا في ذلك ، واسمعوا وأطيعوا ، وفي آخـر النهـار صوتُ الملعون إبليس ينادي : ألَـا إنَّ فلانـاً قُتِـلَ مظلومـاً ، ليشـكِّكَ النـاسَ ويفتنهم ، فكم في ذلك اليوم مِن شـاكٍّ متحيِّرٍ قد هـوى فـي النـار ، فـإذا سمعتم الصوتَ في شهر رمضان فلا تشكُّوا فيه إنَّه صـوت جبرئيـل ﷺ ، وعلامة ذلك أنَّهُ ينـادي باسـم القـائم ﷺ واسـم أبيـه ﷺ حتـى تسـمعه العذراءُ في خدرها فتحرِّض أباها وأخاها على الخروج .

وقال ﷺ : لا بدَّ مِن هذينِ الصوتينِ قبل خروجِ القائمِ ﷺ : صوتٌ مِن السماءِ وهو صوت جبرئيل ﷺ باسم صاحب هذا الامـر واسـم أبيـه . والصوت الثاني مِن الارض ، وهو صوت إبليس اللعين ، ينادي باسم فـلان أنَّهُ قُتِلَ مظلوماً ، يريد بذلك الفتنة ، فاتَّبِعُوا الصوتَ الأوّل ، وإيَّاكُم والأخيـر أنْ تُفتَنُوا به .

وقال ﷺ : لا يقوم القائم ﷺ إلا على :

خوفٍ شديدٍ مِن الناس ،

وزلازل ،

وفتنةٍ ،

وبلاءٍ يصيبُ الناس ،

وطاعون قبل ذلك ،

وسيف قاطع بين العرب ،

واختلاف شديد في الناس ،

وتشتُّت في دينهم ،

وتغيُّر من حالهم ،

حتى يتمنى المتمنِّي الموتَ صباحاً ومساءً مِن عُظْمِ ما يرى مِن كَلَبِ النَّاسِ وأكل بعضهم بعضاً .

فخروجه إذا خرجَ عند اليأس والقنوط مِن أن يروا فرجاً ، فيا طوبى لمَن أدركه وكان مِن أنصاره ، والويلُ كلُّ الويلِ لمَن ناواهُ وخَالَفَهُ ، وخالف أمره ، وكان مِن أعدائه .

وقال ﷺ : إذا خرج ﷺ يقومُ بأمرٍ جديد ، وكتابٍ جديد ، وسُنَّةٍ جديدة ، وقضاء جديد على العرب شديد . وليس شأنه إلا القتل ، لا يستبقي أحداً ، ولا تأخذه في اللهِ لومةُ لائم .

ثم قال ﷺ : إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم ، فعند ذلك فانتظروا الفرج ، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان ، فإذا اختلفوا فتوقَّعُوا الصيحةَ في شهر رمضان وخروج القائم ﷺ ، إنَّ اللهَ يفعل ما يشاء ، ولن يخرج القائم ﷺ ولا ترون ما تحبُّون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم ، فإذا كان ذلك طمعَ الناسُ فيهم ، واختلفت الكلمةُ ، وخرج السفياني .

وقال ﷺ : لا بدَّ لِبَني فلان (عائلة عباسية تكون في العراق) مِن أن يملكوا ، فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفرَّقَ مُلْكُهُم وتشتَّتَ أمرهم ، حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياني ، هذا مِن المشرق وهذا من المغرب ، يستبقانِ

إلى الكوفة كفرسي رهان . هذا مِن هنا وهذا من هنا ، حتى يكون هلاكُ بني فلان على أيديهما ، أما إنَّهم لا يبقونَ منهم أحداً .

ثم قال ﷺ : خروجُ السفياني واليماني والخراساني في سنةٍ واحدةٍ ، في شهرٍ واحدٍ ، في يومٍ واحدٍ ، نظامٌ كنظامِ الخرزِ يتبع بعضُهُ بعضاً ، فيكون البأسُ من كلِّ وجه ، ويلٌ لمَن ناواهم ، وليس في الرايات رايةٌ أهدى من راية اليماني ، هي رايةُ هدىً لأنَّهُ يدعو إلى صاحبكم ،

فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم ، وإذا خرج اليماني فانهض إليه ، فإنَّ رايته راية هُدىً ، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يلتوي عليه ، فمَن فعل ذلك فهو مِن أهلِ النار ، لأنَّهُ يدعو إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم .

ثم قال لي : إنَّ ذهاب ملك بني فلان كقصعِ القِحار ، وكرجلٍ كانت في يده فخارةٌ وهو يمشي إذ سقطت مِن يده وهو ساهٍ عنها فانكسرت ، فقال حين سقطت : هاه (أصابه) شبه الفزع ، فذهاب ملكهم هكذا أغفل ما كانوا عن ذهابه . وقال أمير المؤمنين ﷺ : على منبر الكوفة : إنَّ اللهَ عزَّوجلَّ ذكرُهُ ، قدَّرَ فيما قدَّرَ وقضى وحتم بأنه كائنٌ لا بدَّ منه أنَّهُ يأخذ بني أميَّة بالسيف جهرةً ، وأنه يأخذ بني فلان بغتةً .

وقال ﷺ : لا بدَّ مِن رحىً تطحن ، فإذا قامت على قطبها ، وثبتت على ساقها ، بعث اللهُ عليها عبداً عنيفاً خاملاً أصلُهُ ، يكون النصرُ معه ، أصحابُهُ الطويلة شعورهم ، أصحاب السبال ، سودُ ثيابهم ، أصحابُ رايات سود ، ويلٌ لمن ناواهم ، يقتلونهم هرجاً ، والله لكأني أنظر إليهم وإلى أفعالهم وما يلقى الفجَّارُ منهم والاعراب الجفاة يسلطهم الله عليهم بلا

رحمة ، فيقتلونهم هرجاً على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية ، جزاءً بما عملوا ، وما ربك بظلام للعبيد][1] .

في هذا النص بيان لمجموع علامات مهمّة ، تبدو ناظرة إلى مرحلة محيطة ببعض الأحداث التي تلفُّ الكيانات السياسية والشعوب في هذه الكيانات ، بما فيها القتن ، والإضطراب السياسي والأزمات التي تصيبهم في الجوع والتغريب الثقافي والدعايات المتّصلة بالمفهوم الغريزي المطبق على الأسواق والأموال والنقديات وغيرها من الأمور التي تعكس قضايا المحن والبلاءات التي تصيب المؤمن وغيره بسبب الإنقلاب التوحّشي والأنماط الذاتيّة في مفاهيم الأنا التي تتربّع على كرسي الملك والحكم والسلطنة ..

يبدأ الإمام ابو جعفر ﷺ النص بالإشارة إلى النار التي تكون من قبل المشرق ، لها بروزٌ عظيم ، تطلع ثلاثة أيام أو سبعة ، وهل هذه النار بسبب حرب أو فتنة ، أو حريق تفطي ضخم ، أو ما هو قريب من هذه المعاني ، أم غيرها كعلامة إعجازيّة وآية سماويّة ؟ النصُّ مفتوحٌ على ذلك ، لكنَّ مضامين نصوص مختلفة تشيرُ إلى الفتن وسفك الدماء والحروب يمكنُها – وليس بشكل أكيد – أن تُوَضِّح طابع هذه النار التي يمكن ان تكون نتيجة الحروب والفتن ، وهي غير النار التي تسوق الكفرة إلى المحشر ، كما ورد في بعض النصوص التي ناقشناها وناقشنا مدالیلها هناك ..

ويبدو أنَّ هذه النار التي تقع في المشرق – ويكون لها ذيلٌ كبير ، وأثر واضح ، ودلالة على فتنةٍ أو حربٍ أو أزمةٍ عنيفة – تكون علامةً على

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : النعماني : ص ٢٥٣ ب ١٤ ح ١٢

تغيُّرات مختلفة ، تصيب المنطقة والعالم . منها الفتن والملاحم التي تقع قبل ظهور السفياني ، والتي تتفاقم مع ظهور السفياني ، على أنَّ الإمام يؤكِّد ﷺ انَّه إذا رأيتم هذه النار من قبل المشرق فتوقعوا فرج آل محمد ﷺ ، يعني ظهور مولانا المهدي ﷺ . أي انَّ هذه تكون من الأحداث القريبة جداً . ومعنى ذلك : أنها قريبة من حدث السفياني واليماني وشبه ذلك ..

لكن أين تقع ..؟ في أيِّ دولة .. أو أيِّ بقعة ..؟ وهل يكون من آثارها اضطراب كبير ..؟ تبدو النصوص في سياق الإشارة إلى الإضطراب بشكلٍ واضح . وأنَّها تكون – كما في أكثر من نص – بالمشرق ، في الحجاز ..

ثم قال : الصيحةُ لا تكون إلا في شهر رمضان ، صيحة جبرائيل ﷺ إلى هذا الخلق . إعلان من نوعٍ استثنائي جداً إلى الخلق أنَّ المهديَّ ﷺ المُعدَّ لإقامة حكم الله قد خرج . لا شكَّ أن الأمر هام جداً ، وهو على نحوٍ بارز لأقصى الدرجات . أن يتدخَّل جبرائيل ﷺ لإعلان ظهور المهدي فهذا يعني عناية ربانيَّة كبرى وحدثاً استثنائياً مذهلاً .

وفي رواية أبي أيوب عن محمد بن مسلم قال : – ولم يسنده إلى الباقر أو الصادق ﷺ – : [.. ينادي منادٍ من السماء باسم القائم ، فيسمع ما بين المشرق إلى المغرب ، فلا يبقى راقد إلا قام ، ولا قائم إلا قعد ، ولا قاعد إلا قام على رجليه ، من ذلك الصوت ، وهو صوت جبرئيل الروح الامين][1] .. أكرِّر : النداء يكون بإسم المهديِّ ﷺ الذي يسمعه مَن بالمشرق والمغرب ، فلا يبقى راقد إلا استيقظ ، ولا قائم إلا قعد ، ولا قاعد إلا قام

---

[1] م - س -

فزعاً من ذلك الصوت ، وهذا يعني حدثاً عالمياً هو الأكبر على الإطلاق ، ومعه ستتحرك عجلة الإعلام وأساطيل الشاشات ومطابخ الخبراء للحديث عن المهديّ الذي نادت به السماء ، وما هو الأمر الموكول إليه ، وماذا ستفعل البشريّة . بطبيعة الحال : الروم ، الترك ، اليأجوجيين ، الدجّالين ، السفيانيين ، خاصّة الإمبراطوريّات الكبرى ، ستعالج الخبر بشيءٍ من الكثافة في مطابخها لكنّها سترُدّ عليه بأبواق تحريفيّة مكثّفة ذات تضليلٍ وتزييف واسع ، بهدف الحفاظ على قدراتها ومصالحها وربوبيّتها الخاصّة وفرعونيّتها التي تتوحّش في نهش البشر والثروة .

وكما نرى اليوم على شاشات التلفزة أفلاماً من إنتاج هوليود عن الخيال العلمي حول أناس من الكواكب القادمة من خارج العالم والأقوام الساكنين بعيداً عن كوكبنا والحروب التي يُمكن أن تُشنّ عبر كواكب أخرى على ناس هذه الأرض فإنّ الامبراطوريات الضخمة ستجنّد أساطيلها لإقناع الناس بأنّ الأمر يعني حرباً من كوكبٍ آخر ، ومن عالمٍ شديد التطوّر ، وانّ البشريّة بحاجةٍ إلى فرصة للتكاتف من أجل الرد بعنف على أي هجمةٍ فضائيّة وشبه ذلك !

هذا ما يفسّر قول الإمام ﷺ : وفي آخر النهار صوتٌ الملعونِ إبليس ينادي : ألا إنّ فلاناً قُتِلَ مظلوماً . ليُشكّكَ الناسَ ويفتنهم ، فكم في ذلك اليوم من شاكٍّ متحيّرٍ قد هوى في النار . النصّ يؤكّد أنّ صوت جبرائيل ﷺ يُواجَهُ بصوتٍ أرضيٍّ شيطاني تضليليٍّ ، همُّهُ حرف العقول عن الصوت الأوّل ..! إلغاء مقصد الصوت الأوّل ، تحريف غاية الصوت الأوّل !:

أمّا مَن صاحب الصوت الثاني ؟ هل هو إبليس مباشرةً أم انّه صوت الإمبراطوريات الظالمة المنحرفة ، مثل الروم والقاطرات التي تقود الظلم والإضطهاد العالمي ؟ الجواب منفتح على الإحتمالين . مع أنّ بعض النصوص ظاهرة جداً في انّ الصوت صوت إبليس ، إلا أن يكون استعمالهُ على نحو من أنحاء الكناية في مقام الإشارة إلى أنصاره وامبراطورياتّه التي تجوب البلاد وتحكم أثير الفضاء . على أنّ معطيات النصوص تشير إلى مجابهةٍ إعلاميّةٍ ضخمة يخوضها أئمّة وزعامات النظام السياسي الظالم الذين يحتكرون العالم ويعيثون في الأرض فساداً . وربّما يعني « صوت أرضي » أنّ الأمم الضالّة تقود مجابهة وتحوير الصوت الأوّل . أي أبالسة البشر .! تفسير غير بعيد .

المهمُّ أنّ النص يضع بين أيدينا مواجهة بين صوتين ومصدرين : الأوّل عبر جبرائيل ﷺ ، يقابله صوت انحرافي فاسد يستعمل كلّ أدواته من أجل إلغاء قيمة الصوت السماوي ، يستغل كلّ قدراتهِ من أجل الطارئ الجديد ، الذي يحرف العقول نحو السماء ، ويحوّل الأنظار نحو الترابط العميق بين عالم المادّة وعالم الروح ، ويؤكّد طابع عالميّة القضيّة الجديدة وعلى نحوٍ خاص من إمارة السماء الجديدة على يدِ الإمام المهدي ﷺ ..

وبسبب الغلبة الإعلاميّة الضخمة والسيطرة الواسعة جداً للكيانات الإنحرافيّة ذات التصادم الشديد مع قيم السماء والإعتماد الكثيف على أدواتهم الإعلاميّة وأساطيل الثقافيّة وجيش المؤسسات المختصّة ببناء الدعاية والرأي العام وما يلازمها من قاطرات دبلوماسيّة وغيرها من عناوين السلم والحرب كلّها تتجمّع على نحوٍ مشترك لتشكيك الناس وإفتانهم ، يقول النص : « فكم في ذلك اليوم مِن شاكٍّ متحيّرٍ قد هوى في

النار ». لذلك يؤكّد الإمام ﷺ بقوله : إذا سمعتم الصوت في شهر رمضان لا تشكوا فيه إنه صوت جبرئيل ﷺ ، وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم ﷺ واسم أبيه ﷺ حتى تسمعه العذراء في خدرها ، فتحرّضَ أباها وأخاها على الخروج . ويكون الصوت في شهر رمضان في ليلة جمعة ليلة ثلاث وعشرين .

الإمام ﷺ في مقام الحسم والتأكيد الذي لا يقبل جدلاً أو احتمالاً .. أمّا الصوت الثاني : صوت إبليس فيكون في آخر النهار . ويشيرُ إبليس إلى قتلِ رجلٍ ما . يبدو أنّ هذا الرجل يكون معروفاً أو مشهوراً أو شبه ذلك (بعض النصوص سمّته بعثمان) لمعهوديّة النص بأنّ إبليس يستغلُّ اسمه فيدّعي أنّهُ قُتِل مظلوماً . يبدو انّه تركيزَ أرضي على قيمة من قيم كثيرة تتعلّق بدعم جبهة كجبهة السفياني في مواجهة مدّ آل محمّد . وذلك في محاولة لإبطال مفعول صوت جبرائيل ﷺ ..!

الإمام ﷺ في مقام الإشارة إلى أنّ صوت جبرائيل ﷺ الذي يلفُّ العالَم يدفع إلى نقاشٍ هائل ، حتى المخدّرة من أتباع أهل البيت أو ممّن يصبح ذلك في حقّها تصرُّ على أهل بيتها من القادرين أن يخرجوا لنصرة المولى المهدي ﷺ .

ويؤكّد ﷺ أنّ الزمن الذي يظهر فيه المهديّ ﷺ زمنٌ عسير كنود ، يختلط فيه الخوف والفزع مع الجوع والوجع ، يقوم ﷺ والناسُ في خوفٍ شديد ، وذعرٍ مديد ، وزلازل متنقّلة ، تجوب البلاد ، وفتنة متنوّعة ، تنتقل من القلب إلى الأطراف ، وبلاء في جوعٍ ووجعٍ وخوفٍ وفزعٍ ودمٍ مسفوح ، وقتلٍ متبوع ، يُصيب الناس ، وطاعون قبل ذلك ، أي مرض متنقّل

عنيف ، شديد الأثر ، ولفظ الطاعون المستعمل في النصّ قد يكون مراداً بذاته وبمعناه الدالّ عليه ، وقد يكون من نوع الكناية والإستعارة في مقام الإشارة إلى مرضٍ فتّاك يحصد الناس . والثاني أرجح . وبين هذا وذاك سيفٌ قاطع يقع بين العرب ، تتوسّع معه الفتن ، ما يوسّع أسباب الدماء ، وتتناحر على أثره الكيانات والجماعات ، ويظهر الإختلاف الشديد في الناس ، ويبدو التشتّت واضحاً في دينهم ، والتحوّل العنيفُ يضرب في مظاهرهم وأحوالهم ، ينتقلون عبرهُ من حالٍ إلى حال ، وتكون حال الأرض على اختلافٍ شديد وتناحر واسع على الثروة والمال والأسواق والسِّلَع في ظلّ حكرةٍ عظيمةٍ وتداعٍ واضح في قيم الإنسان والطبيعة حتى يتمنى المتمنّي الموتَ صباحاً ومساءً من عُظمِ ما يرى من كَلَبِ النّاسِ وأكل بعضهم بعضاً : عنفاً ، وحرباً وفظاعةً وتدميراً ، وتناهشاً في الأموال والأسواق والأرواح .

في ذلك الزمن المتفسّخ بأهله ، المتثاقلِ بالدماء والخوف والجوع والفزع يخرج المهدي ﷺ ، خروجه ﷺ يكون عند اليأس والقنوط من الناسِ أن يروا فرجاً . فإذا انحدرت الآمال ، وانكسرت الأماني ، أمرَ اللهُ المهديَّ ﷺ أن يخرج ليعيد الأرض إلى ربوع العبودية بعد طولِ شطوطٍ فاسدٍ في الظلم والإضطهاد والباطلِ والآثام ..

فإذا خرج ﷺ يقوم بأمرٍ جديد ، يحكم بنسقٍ وبُنى ومواثيق شديدة الإختلاف عمّا هو في أيدي أباطرة النظام العالمي المتوحّشين ، فيحيل العالم إلى قيامةٍ جديدة من نهج الله وأمره ومقاصد شرعه ، وذلك عبر بيان حقيقيٍّ للقرآن والسنّة ، بيان ليس فيه اختلاف مذاهب وفظائع من هنا وهناك . بيان كامل تام ، بيان لما نزل على النبيِّ ﷺ ، ليس فيه تحريف

معنوي أو تجيير في صالح السلاطين ، أو إبطال للحدود والأحكام تحت حجّة أنّ الخطاب للأحكام تاريخي لا أبدي !

ها هو القرآن اليوم مهجور ! أحكامه ممنوعة من الدخول إلى أي ميثاق في كيانات هذا العالم بما فيها الدول الإسلاميّة بعد أن تبنّت العلمنة شعاراً استراتيجيّاً لها . لذا يعلنُ ﷺ الإسلامَ والقرآن بلا قياس فيه ولا استحسان ولا تصويب ولا رأي أو ظنون أوهام ، يعلنه كما أُنزل ، يبيّنُهُ على حقيقته . وقد لفت نظري قوله ﷺ : وقضاء جديد على العرب شديد . أي حكم وقضاء يستردُّ أموال المسلمين حتى لو زوّجت به النساء . قضاء يُسقطُ عروشَ الحكّام الضالّين ، ويسوقهم إلى المحاكم فيكشف جرائمهم كلّها وينزل بهم القضاء العادل مهما كان نوعُهُ أو صنفه . قضاء ليس شأنه إلا القتل لمن يستحقُّهُ . لا يستبقي أحداً من هؤلاء الجبابرة وأعوانهم ومختلسي مال الأمّة أو جبابرة أهل الأرض ، ولا تأخذُهُ في الله لومة لائم .

ثم أشار ﷺ إلى اختلاف بني فلان فيما بينهم وقال ﷺ : « فعند ذلك فانتظروا الفرج ، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان ، فإذا اختلفوا فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان وخروج القائم ﷺ إن الله يفعل ما يشاء ، ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم ، فإذا كان ذلك طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة ، وخرج السفياني » . ويبدو من مجموع الطوائف المتقاطعة هذا المعنى أنّه يقصد اختلاف حُكّام العراق ، والمتحصّل من النصوص أنّ خليفةً أو ملكاً أو سلطاناً أو حاكماً يكون على رأس الحكم في العراق يموت ، فيقع بعدهُ خلافٌ على المُلك ، كلٌ يدّعي أنّه الأحق ، فينقسم الناقدون وأهلُ المُلك والحكم إلى قسمين ، ويضيع

الخلاف ، وتظهر نوبةُ الإختلاف العميق ، ويعسكر كلُّ طرفٍ في وجه الآخر ، ينتظرون ساعة الحسم ، وتقع فتنة ، كما يقع دمٌ في الحجّ ، وعجبٌ بين جمادي ورجب ، وخوف وفزع ، وانهيار اقتصادي معيشي واحتكار وقلّة سلع ، وانتشار الخوف والجوع والفزع من الفتن الدموية ، ومناداة على أكثر من جهة بالحرب . وفي حالة ذلك الفراغ السياسي والإنقسام العسكري تقع ملحمة عنيفة يخوضها السفياني ، عندها يظهر الإمام المهدي عليه السلام .

وظهور المهدي على قسمين : ظهور خاص ، وظهور عام . في الظهور الخاص الذي يدوم أشهر يكون متنقّلاً بين المدينة ومكّة ، مطلوباً من السفياني . وربّما هذا هو قصد النصوص التي قالت أنه عليه السلام يكون في خوف وحيرة . ويظهر أنّ اليماني يكون على اتّصالٍ به ، بل ربّما انحدر من اليمن لنصرته قرب الحدود مع السعوديّة التي تكون في وضع هشٍّ وانقسامٍ واضحٍ ، لموت خليفة أو فراغ في سدّة الحكم أو انقسام أهلي أو أي شيئ آخر ، بل يستفاد من مضامين بعض النصوص أنّ راية اليماني يديرها المهدي عليه السلام ..

ويبدو من النصّ أنّ أهل الحجاز إنْ اختلفوا ظهر الضعفُ فيهم ، طمع بهم آخرون ، لا يشيرُ النصُّ إلى هويّةِ الطامع ، لكنّه غير بعيد أن يكون جهة أجنبيّة ، بالإضافة إلى سيطرة واضحة لجيش السفياني خاصّة في المدينة . ونفوذ كبير على أهل الإدارة هناك . نعم ثبت لدينا أنّ السفياني يطمع بملك العراق فإذا مات عبد الله العباسي وتقاتل أهل الملك هناك أمر جيشهُ بغزو العراق ، وهو العدو اللدود لشيعة أهل البيت عليهم السلام ، عند ذلك يزحف الخراساني لمنع السفياني ، وتقع معارك بين الفريقين في العراق ،

يبدو أنّ الأرجحيّة تكون فيها للسفياني الذي لا يكتفي بمعاركه ضد الخراسانيين في العراق ، فيتبعهم إلى المناطق الإيرانيّة ، وهناك تقع أعنف معركة ، معركة اصطخر التي يتبدّد فيها جيش السفياني على يدِ الجيش الخراساني .

وفي قوله ﷺ : « لا بدّ لبني فلان من أن يملكوا ، فإذا ملكوا ثمّ اختلفوا تفرّق ملكُهُم ، وتشتّتَ أمرُهُم حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياني ، هذا مِن المشرق وهذا من المغرب ، يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان . هذا مِن هنا وهذا مِن هنا حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما ، أما إنهم لا يبقون منهم أحداً » . واضح أنّه يقصدُ بني العباس الذين كنّى عنهم ببني فلان . والنصوص تؤكّد أنّ لبني العباس قبل الظهور دولة ، دولة غير دولتِهم التي ملكوها على أثر هزيمة بني أميّة في العام ١٣٢ للهجرة . النصوص شديدة الوضوح والتفريق بين دولتيهم ، دولة على أثر الأمويين ، ودولة في آخر الزمن ، أي يكون حاكمها واحداً من نسل العباسيين يقيم دولة في العراق ، ويحكم على نسقٍ من البطش السابق الذي عُرفَ به العباسيُّون من الإنحراف والطغيان والعداء لأهل البيت ﷺ . كما ثبت أنّ السفياني يشنُّ على دولة العباسيين التي تكون آخر الزمان حرباً عنيفة ، ينتصر على أثرها ، كما انّ الخراسانيين يخوضون حرباً معهم ، بل ويقاتلون أيضاً جيش السفياني الذي نهض لإبادة الشيعة في الكوفة ونواحيها .

ثم قال ﷺ : خروجُ السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة ، في شهرٍ واحد ، في يومٍ واحدٍ ، نظامٌ كنظام الخرز يتبع بعضُهُ بعضاً ، فيكون اليأسُ مِن كلّ وجهٍ ، ويلٌ لِمَن ناواهم ، وليس في الرايات

راية أهدى من راية اليماني : هي راية هدى لانه يدعو إلى صاحبكم » . من مجموع النصوص يستفاد أنّ اليماني يكون آنذاك على اتّصال بالإمام المهدي ﷺ ، ويعلن ولاءَهُ له ، ويُكَوِّن جبهته على هذا النحو ، بل يستفاد منها انّه يُهيِّئ له الدعم في تلك الفترة الصعبة ، حيث السفياني يجنِّد جيشهُ لخوض معركة فاصلة في الحجاز ، يربح معركة في المدينة ، ويخسر جيشهُ في الصحراء حين يكون متوجِّهاً إلى مكّة . وبعدها تزحف الجموع إلى المهدي ﷺ ويكون على رأسها أنصار اليماني ، بل يبدو أنّ راية اليماني تكون تابعة لإدارة الإمام المهدي ﷺ .

على أنّ خروجَ اليماني والسفياني والخراساني في سنة واحدة في شهرٍ واحدٍ في يومٍ واحد . أعتقد المقصود فيه الزحف بضميمة قوله ﷺ : فيكون البأسُ من كلِّ وجهٍ . أي تشتعل الحرب على جبهاتٍ مختلفة ، تتناثر فيها المعاركُ هنا وهناك ، على أنّ الحروب تكون أوسع من هذه الجبهات كما يُستفاد من رواياتٍ أخرى .. وعُلِم أيضاً من النصوص أنّ السفياني إذا ظهرَ ظهر المهدي ﷺ ..

أمّا قوله : ليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني ، ؟ المقصود فيها المقابلة بين راية اليماني وراية السفياني الذي يُعلن عداءه الشديد لآل محمّد ، ويأمر بقتل كلّ من يثبت ولاءه المهدي ، وبالتالي يعلن حربه على اليماني ، ويجهِّز جيشهُ لاحتلال الحجاز وقتل آل البيت ﷺ فيها ، في وقت تكون الصلة بين اليماني والمهدي على قاعدة تهيئة جيش بقيادة المهدي ﷺ . من هنا ثبت المدح لراية اليماني . لأنّها راية تدعو إلى المهدي بمقابل غيرها التي تعلن حربها على المهدي وأتباعه . لذلك قال ﷺ في راية اليماني : هي راية هدى لأنّهُ يدعو إلى صاحبكم . أي هو على صلة

مباشرةٍ معه . وليس فيها إضعاف لراية الخراساني أبداً ، لأنّ الثابت بالنصوص المختلفة والكثيرة أنّ راية الخراساني تثبت على ولاءها لآل محمّد وتعلن تأييدها للمهدي وتخوض حربها قبل وبعد ظهور المهدي تحت شرعيّة المهدي ﷺ ، ولا تسلّم الراية إلا للمهدي ﷺ . وقد امر أهلُ البيت ﷺ بنصرتها ، والزحف إليها ولو حبواً على الثلج ، مؤكّدين أنّ قتلاهم شهداء ، وانهم الأمّة التي تنصر دين الله في زمنٍ تتلاطم فيه أمواج الباطل والآثام ، وانّهم مؤيّدون ، يدعون إلى الله ورسوله وأهل بيته وأنّهم الموطّئون للمهدي سلطانه . وانّهم الذين يبذلون تضحيات مذهلة بين يدي الإمام ﷺ في وجه السفياني وملحمة الروم ومقاتلة الدجّال .. النصوص صريحة في ذلك . النصوص شديدة المدح لراية الخراسانيين . من هنا فإنّ المفاضلة لا بدّ لها من وجه مفادهُ أنّ اليماني يدعو للمهدي ﷺ مباشرةً . هذا وجه المفاضلة الممكن .

نعم راية اليماني شديدة التألّق . تكون على نحوٍ وثيقٍ بالمهديّ ، يزحفُ إليه ﷺ جندُ اليماني على أثر الزلزلة التي تصيبُ جيش السفياني بعد خروجه من المدينة متّجهاً نحو مكّة . وقد قال ﷺ : « إذا خرج اليماني فانهض إليه ، فإنّ رايته راية هدى ، ولا يحلُّ لمسلم أن يلتوي عليه ، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار » . لأنّ الجيش جيشُ المهدي ، بل إدارتُهُ في النهاية تكون للمهدي ﷺ ..

ثم قال ﷺ : « إنّ ذهاب مُلك بني فلان كقصع الفخار ، وكرجلٍ كانت في يده فخّارةٌ وهو يمشي إذ سقطت من يده وهو ساهٍ عنها فانكسرت ، فقال حين سقطت : هاه شبه الفزع ، فذهاب ملكهم هكذا أغفل ما كانوا عن ذهابه » . يعني ملك بني العباس . سرعان ما ينهار بعد عزّة

وجبروت . وفي الرواية عن أبي جعفر الباقر ﷺ حديث طويل قال : [.. لا بد أن يملك بنو العباس . . واختلفوا وتشتّت أمرهم خرج عليهم . . هذا من ها هنا وهذا من هاهنا ، حتى يكون هلاكهم على أيديهما][1] . أي السفياني والخراساني . وذلك بعد موت ملكهم أو رئيسهم عبد الله واختلافهم على الملك واقتتالهم لهذا السبب .

وهذا ما يفسّرهُ قول الإمام علي : إنّ الله عزّ وجلّ قدّرَ فيما قدّرَ وقضى وحتم ، بأنه كائن لا بد منه أنه يأخذ بني أمية بالسيف جهرة ، وأنه يأخذ بني فلان بغتة . أي بني العباس .. الإمام هنا في مقام تقرير زوال دولة بني العباس الأولى التي دامت منذ العام ١٣٢ حتى سنة ٦٥٦ للهجرة . الإمام كان في مقام التأكيد على انّ هذه الدولة لا بدّ أن تزول ، وأنّ الحدثان بعدها تتوالى ، وتتشكل دولٌ وكيانات ، إلى أن تظهر علامات وكيانات وفتن وملاحم موصوفة بلسان النصوص وشرائط يقوم معها المهدي ﷺ ..

وأنّه لا بد من رحى تطحن ، فإذا قامت على قطبها ، إشارة إلى الملاحم والفتن والحروب التي تلفّ المناطق والبلاد ، فإذا قامت وثبتت على ساقها ، ونفذ أمرها ، بعث اللهُ عليها عبداً عنيفاً خاملاً أصلهُ ، أي غير مذكور أو معروف في تلك المعالم من ذلك الزمن ، أو مخفي أصلهُ وذكره ، يكون النصر معه وعلى يده ، يكون معه رجالٌ واصحاب لهم من الدّين والإرادة والعزيمة والثبات والإمكانات ، يخوضون معارك مختلفة ، وعلى جبهات مختلفة وبأزمانٍ مختلفة ، يكون النصر حليفهم ، فيفتحون البلاد ويعلنون الإسلام وثيقة الأمم وشريعة العالم تحت إمرة المهدي ﷺ ..

---

[1] م . س .

على أنَّ اللهَ تعالى يؤيِّد المهدي بنصرهِ ، ويكون معه جبرائيل وإسرافيل وغير ذلك ، فيكون فتحُ البلاد على يده .. وفي رواية أبي حمزة الثمالي قال : سمعتُ أبا جعفر محمد بن علي ﷺ يقول : [.. لو خرجَ قائم آل محمد ﷺ لنصرهُ اللهُ بالملائكة المسوَّمين والمردفين والمنزلين والكروبيين . يكون جبرئيل أمامه ، وميكائيل عن يمينه ، وإسرافيل عن يساره ، والرعب يسير مسيرةَ شهرٍ أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ، والملائكة المقرَّبُون حذاه ، أوَّل مَن يتبعه محمد ﷺ وعلي ﷺ الثاني . ومعه سيف مخترط ، يفتح اللهُ له : الروم والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر .

يا أبا حمزة لا يقوم القائم ﷺ إلا على خوفٍ شديد .. عند الايأس والقنوط .. ثم قال ﷺ : يقوم بأمر جديد .. ليس شأنه .. ولا يستتيب أحداً ، ولا تأخذه في الله لومة لائم][1] .

أقول : قوله ﷺ : يتبعه محمد ﷺ وعلي ﷺ الثاني . معناه أنَّ النبيَّ الأول في الرجعة وعليٌّ ﷺ الثاني . والرجعة عندنا من اليقينيات ، يبعثُ اللهُ قوماً إلى الدنيا ثانيةً . والنصوص في هذا المعنى كثيرة صحيحة ..

وفي النص عن أبي جعفر محمد بن علي ﷺ قال : [.. لا يظهر المهدي إلا على خوفٍ شديد من الناس وزلزال .. وتغيُّر في حالهم .. فخروجه ﷺ إذا خرج عند اليأس والقنوط من أن نرى فرجاً ..][2] .

---

[1] م - س .

[2] كما في رواية النعماني ، بتفاوت يسير ، وتمه : [.. الصوت في شهر رمضان في ليلة جمعة فاسمعوا .. يشكُّ الناس .. متحيِّر فإذا سمعتم .. في شهر رمضان - يعني الصوت الاول - فلا تشكُّوا أنه .. باسم المهدي] .

وعن واحدة من الملاحم والحروب التي تقع قبل الظهور .؟ وهي واحدة من علامات قرب الظهور : ما رواه جابر قال : قلتُ لأبي جعفر عليه السلام : متى يكون هذا الامر ؟ فقال : [.. أنّى يكون ذلك يا جابر ولمّا يكثر القتل بين الحيرة والكوفة][1] .

تقع معركة عنيفة بين العباسيين بسبب الخلاف على المُلك ، فيزحف إليهم السفياني من جهة والخراساني من جهة أخرى . وتقع هناك سلسلة معارك ضارية ، تنتهي بين السفياني والخراساني في منطقة إيرانيّة اسمها « اصطخر » يبدّد الخراسانيُّ فيها جيشَ السفياني في تلك المنطقة ، وتشكّل منعطفاً كبيراً لما يأتي من الأحداث .

وفي نصٍّ آخر روى جابر عن أبي جعفر قال : [.. إذا بلغ العباسي خراسان ، طلع بالمشرقِ القرن ذو الشفا ، وكان أوّل ما طلع بهلاك قوم نوح حين غرقهم الله ، وطلع في زمان إبراهيم عليه السلام حيث ألقوه في النار ، وحين أهلك الله فرعون ومن معه ، وحين قتل يحيى بن زكريا ، فإذا رأيتم ذلك فاستعيذوا بالله من شرّ الفتن ، ويكون طلوعه بعد انكساف الشمس والقمر ، ثم لا يلبثون حتى يظهر الابقع بمصر][2] .

ومعلوم أنّ الخراسانيين في تلك الفترة بالضبط يعانون من تكالب الأمم عليهم ، ومن زحف الجيوش إلى منطقة الجزيرة والحجاز ، وتكاثر الجند فيما نطلق عليه اليوم منطقة الشرق الأوسط . ويعيش الخراسانيّون ضيقاً واضحاً بعد تكاتف الروم والترك والسفياني والراية المغربية وبعض

---

[1] الفضل بن شاذان : عني ما في غيبة الطوسي . * : الارشاد : صد ٣٦٠ - - ه : غيبة الطوسي : صد ٢٧٦

[2] ابن حماد : صد ٥٩

الجيوش من هذه المنطقة عليهم لإخراجهم من بيت المقدس . وبعد ذلك يخوضون معهم كما يبدو غمار فتن وحصار يطال أرض خراسان فضلاً عن دخول الترك إلى بعض الأراضي الخراسانية وتقع هناك معركة ضارية بينهم وبين الخراسانيين الذين يستبسلون في الدفاع عن دينهم ودولتهم ، وفي طور تلك التطوّرات وما بعدها تقع معركة بين السفياني والعباسي في العراق ينتصر فيها السفياني ويحاول الدخول إلى أرض خراسان ، ثم تقع ملحمة عبر جيش السفياني في الكوفة ونواحيها ضد شيعة آل محمّد فيهب جيش الخراساني لإنقاذهم وتقع هناك معركة عنيفة ..

في هذا الوقت يكون المهدي قد ظهر . وبدأت مجموعة من الأحداث الجديدة تطرأ بشكلٍ هائل في صالح جبهة المهدي وأنصاره .. إلا أنّ الخراسانيين يصمدون ويستبسلون في الدفاع عن أرضهم ، ثم تقع فتنة داخليّة دامية ، تهدّد حكم الخراساني ، فيهيّئ اللهُ له الحسني وشعيب بن صالح ، كنوز طالقان ، فينصرانه ، وبعد الإنتهاء من الفتنة الداخليّة ، يتّجه جيشُ خراسان نحو العراق . وصولاً إلى وقعة اصطخر الشهيرة ، ثمّ فتح العراق ، ونزول المهدي كما يبدو من بعض النصوص جنوبي إيران فيبايعه الإيرانيّون هناك . ثمّ الإنتقال من هناك إلى العراق . حيث ينزل الكوفة بسبع قباب من نور .

بيعة الغلام قبل ظهور المهدي عليه السلام

يبدو من بعض الروايات إشارة إلى بيعة غلام تكون قبل ظهور المهدي عليه السلام ، على أنّ هذه البيعة يكون لها حجيجٌ وضجيج ، فإذا كان كذلك رفع أقوامٌ لواءهم ، وهم مِن أوضع الناس ، أي ما لا قيمة له في إدارة بلدٍ أو تنظيم الجماعة وسياسة الحكم . ففي رواية يحيى بن سالم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : [.. صاحب هذا الامر أصغرنا سنّاً وأخملنا شخصاً ، قلت : متى يكون ذاك ؟ قال : إذا سارت الركبان ببيعة الغلام ، فعند ذلك يرفع كلّ ذي صيصية لواء ، فانتظروا الفرج][1] .

النصّ يشيرُ إلى فراغ في « سدة الحكم » ، ثم بيعة لغلام يبدو أنه غير مأهّل لقيادة البلاد ، لكنّه يرث الحكم وراثةً وتتمّ له البيعة ، أي تتصيبه على الحكم وفق إجراءات تتّصل بمفاهيم القانون والأعراف القائمة آنذاك ، لكنّ الأمر لا يتم على سعادة . فتخرج الألوية ، تنادي بمصالحها ومغانمها ، تأكيداً على رفضها ما آل إليه الأمر ..

غير بعيد أن يكون هذا النص ناظراً إلى الأوضاع في العراق . وبصورة أقل في الحجاز . وما يؤول إليه الأمر هناك من انقسام الناس ..

---

[1] النعماني : ص ١٨٤ ب ١٠ ح ٣٥

وهذا يكون من ضمن العلامات القريبة من فرج وظهور آل محمّد ، اعني المهدي عجل الله فرجه ..

ولا بدّ من التذكير بأنّه لا يجوز التوقيت ، نعم تجوز الإشارة بمقدار ما أشار النصُّ . أمّا التوقيت فهو ممنوع . والروايات في منع التوقيت كثيرة منها ما رواه الفضل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلتُ لهذا الأمر وقت ؟ فقال عليه السلام : [كَذِبَ الوقّاتُون ، كذب الوقاتون ، كذب الوقاتون . إنّ موسى عليه السلام لمّا خرج وافداً إلى ربّه واعدهُم ثلاثينَ يوماً ، فلمّا زادَهُ اللهُ على الثلاثينَ عشراً قال قومه : قد أخلفنا موسى ، فصنعوا ما صنعوا . فإذا حدّثناكُم الحديث فجاء على ما حدّثناكُم به فقولوا : صدق اللهُ ، وإذا حدّثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدّثناكم به فقولوا : صدق الله ، تُؤجروا مرتين][1] . تأكيداً منه عليه السلام على أنّ التوقيت للمهديّ إنّما هو بيد الله تعالى . نعم أشار أهلُ البيت عليهم السلام إلى علامات ودلالات ، فنقف عند كلّ علامة ودلالة ضمن حدودها ..

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في سند غيبة الطوسي . * : الكافي : ج ١ صـ ٣٦٨ حـ ٥

عن أبي مريم عبد الغفار بن القاسم قال : دخلت على مولاي الباقر عليه السلام وعنده أناس من أصحابه .. فقلت : يا سيدي ، فأي الاسلام أفضل ؟ قال : [مَن سلم المؤمنونَ مِن لسانه ويده . قلت : فما أفضل الاخلاق ؟ قال : الصبر والسماحة . قلت : فأي المؤمنين أكمل إيماناً ؟ قال : أحسنهم خُلُقاً . قلت : فأيُّ الجهادِ أفضل ؟ قال : مَن عقر جواده وأهريق دمه . قلت : فأيُّ الصلاةِ أفضل ؟ قال : طولُ القنوت . قلت : فأيُّ الصدقةِ أفضل ؟ قال : أن تهجُرَ ما حرَّمَ اللهُ عزّوجلَّ عليك . قلت : يا سيدي فما تقول في الدخول على السلطان ؟ قال : لا أرى لك ذلك . قلت : فإني ربما سافرت إلى الشام فأدخل على إبراهيم بن الوليد . قال : يا عبد الغفار ، إنَّ دخولك على السلطان يدعو إلى ثلاثة أشياء : محبَّة الدنيا ، ونسيان الموت ، وقلَّة الرضا بما قسم اللهُ . قلت : يا ابن رسول الله ، فإني ذو علية وأتّجِرُ إلى ذلك المكان لجرِّ المنفعة ، فما ترى في ذلك ؟ قال : يا عبد الله ، إني لستُ آمرُكَ بتركِ الدنيا بل آمرُكَ بترك الذنوب . فتركُ الدنيا فضيلةٌ ، وتركُ الذنوبِ فريضةٌ . وأنت إلى إقامة الفريضة أحوجُ منك إلى اكتساب الفضيلة .

قال : فقبَّلتُ يده ورجله وقلت : بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله ، فما نجدُ العلم الصحيحَ إلا عندكم ، وإنّي قد كبرت سنّي ودقَّ عظمي ولا أرى فيكم ما أسره ، أراكم مُقتّرين مُقتّرِين خائفين ، وإنّي أقمتُ على قائمكم منذ حين أقول : يخرجُ اليوم أو غداً . قال عليه السلام : يا عبد الغفار إنَّ

قائمنا عليه السلام هو السابعُ مِن وُلدِي ، وليس هو أوانُ ظهوره ، ولقد حدَّثَني أبي عن أبيه عن آبائه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : إنَّ الائمة بعدي اثنا عشر ، عددُ نقباء بني إسرائيل ، تسعةٌ مِن صلبِ الحسين ، والتاسعُ قائمهم ، يخرج في آخر الزمان فيملؤها عدلاً كما مُلئَت جوراً وظلماً .

قلت : فإنْ كان هذا كائن يا بن رسول الله ، فإلى مَن بعدك ؟ قال عليه السلام : إلى جعفر ، وهو سيِّد أولادي وأبو الائمة ، صادق في قوله وفعله ، ولقد سألتَ عظيماً يا عبد الغفار ، وإنَّك لأهل الإجابة . ثم قال عليه السلام : أنا إنَّ مفاتيح العلم السؤال ، وأنشأ يقول : شفاء العمى طول السؤال وإنما * تمام العمى طول السكوت على الجهل [1] .

---

[1] كفاية الاثر : ص ٢٥٠ – وقد روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : سأله حمران فقال : جعلني الله فداك لو حدَّثتنا متى يكون هذا الأمر فسرونا به ؟ فقال : [يا حمران ، إنَّ لك أصدقاء وإخواناً ومعارف ، إنَّ رجلاً كان فيما مضى من العلماء ، وكان له ابنٌ لم يكن يرغب في علم أبيه ولا يسأله عن شيء ، وكان له جارٌ يأتيه ويسأله ويأخذ عنه ، فحضر الرجلَ الموتُ فدعا ابنه فقال : يا بنيَّ إنَّك قد كنتَ تزهد فيما عندي ، وتقلُّ رغبتك فيه ، ولم تكن تسألني عن شيء ، ولي جارٌ قد كان يأتيني ويسألني ويأخذ مني ويحفظ عني فإنْ احتجتَ إلى شيء فأته ، وعرِّفهُ جاره ، فهلك الرجلُ وبقي ابنه ، فرأى ملك ذلك الزمان رؤيا فسأل عن الرجل . فقيل له : قد هلك ، فقال الملك : هل ترك ولداً ؟ فقيل له : نعم ترك ابناً ، فقال ائتوني به ، فبعث إليه ليأتي الملك ، فقال الغلام : والله ما أدري لِمَا يدعوني الملك ، وما عندي علم ، ولئن سألني عن شيء لأفتضحنَّ . فذكر ما كان أوصاهُ أبوه به ، فأتى الرجلَ الذي كان يأخذ العلم من أبيه فقال له : إنَّ الملك قد بعث إليَّ يسألني ولستُ أدري فيم بعث إليَّ ، وقد كان أبي أمرني أن آتيك إنْ احتجتُ إلى شيء ، فقال الرجل : ولكنِّي أدري فيما بعث إليك ، فإن أخبرتك بما أخرج الله لك من شيء فهو بيني وبينك ؟ فقال : نعم ، فاستحلفه واستوثق منه أن يفي له فأوثق له الغلام ، فقال : إنَّه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها ، أي زمان هذا ؟ فقل له : هذا زمان الذئب . فأتاهُ الغلام فقال له الملك : هل تدري لِمَ أرسلتُ إليك ؟ فقال : أرسلتَ إليَّ تريد أن تسألني عن رؤيا رأيتها أي زمان هذا ؟ فقال له الملك : صدقت فأخبرني أيُّ زمان هذا ؟ فقال له : زمانُ الذئب . فأمر له بجائزة : فقبضها الغلام وانصرف إلى منزله ، وأبى أن يفي لصاحبه ، وقال : نفسي لا أنفق هذا المال ولا آكله حتى أهلك ، ونفسي لا أحتاج ولا أسأل عن مثل هذا الذي سُئلتُ عنه . فمكث ما شاء الله ، ثم إنَّ الملك رأى رؤيا فبعث إليه يدعوه فقدم على ما صنع ، وقال : والله ما عندي علم آتيه به ، وما أدري كيف أصنع بصاحبي وقد غدرتُ به ولم أفِ له ، ثم قال : لأثنيَّنهُ على كلّ

حال ، ولأعتذرنّ إليه ولأحلفنّ له فلعلّهُ يخبرني ، فأتاهُ فقال له : إني قد صنعتُ الذي صنعت ، ولم أقبِ لك بما كان بيني وبينك ، وتفرّقَ ما كان في يدي ، وقد احتجتُ إليك فأنشدك الله أن لا تخذلني ، وأنا أوثق لك أن لا يخرج لي شيء إلا كان بيني وبينك ، وقد بعث إليّ الملكُ ولست أدري عما يسألني ، فقال : إنه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أي زمان هذا ؟ فقل له : إنّ هذا زمانُ الكبش ، فأتى الملك فدخل عليه ، فقال : لما بعثت إليك ؟ فقال : إنك رأيتَ رؤيا ، وإنك تريد أن تسألني أي زمان هذا ، فقال له : صدقت : فأخبرني أي زمان هذا ؟ فقال : هذا زمان الكبش ، فأمر له بصلة ، فقبضها وانصرف إلى منزله ، وتدبّر في رأيه فمي أن يفي لصاحبه أو لا يفي له ، فهمّ مرة أن يفعل ومرة أن لا يفعل ، ثم قال : لعلي أن لا أحتاج إليه بعد هذه المرة أبداً ، وأجمع رأيه على ما صنع على الغدر وترك الوفاء ، فمكث ما شاء الله ، ثم إنّ الملك رأى رؤيا فبعث إليه فقدم على ما صنع فيما بينه وبين صاحبه ، وقال : بعد غدر مرتين : كيف أصنع وليس عندي علم ، ثم أجمع رأيه على إتيان الرجل ، فأتاهُ فناشدهُ اللهَ تبارك وتعالى وسأله أن يعلمه وأخبره أنّ هذه المرة يفي له وأوثق له وقال : لا تدعني على هذه الحال ، فإني لا أعود إلى الغدر وسأفي لك ، فاستوثق منه فقال : إنه يدعوك يسألك عن رؤيا رآها أي زمان هذا ؟ فإذا سألك فأخبره أنه زمان الحيتان ، فأتى الملك فدخل عليه فقال له : لمَ بعثتَ إليك ؟ فقال : إنك رأيت رؤيا وتريد أن تسألني أي زمان هذا ، فقال : صدقت فأخبرني أي زمان هذا ؟ فقال . هذا زمان الميزان ، فأمر له بصلة فقبضها وانطلق بها إلى الرجل ، فوضعها بين يديه وقال : قد جئتك بما خرج لي فقاسمنيه ، فقال له العالم : إنّ الزمان الأول كان زمان الذئب وإنك كنتَ من الذئاب ، وإنّ الزمان الثاني كان زمان الكبش يهمّ ولا يفعل ، وكذلك كنت أنت تهمّ ولا تفي ، وكان هذا زمان الميزان وكنت فيه على الوفاء ، فاقبض مالك لا حاجة لي فيه ، ورده عليه] الكافي : ج ٨ ص ٣٦٧ ح ٥٥٢ . وكذا عن الكافي وقال : [بيان : قوله ﷺ إن لك أصدقاء وإخواناً ، لعل المقصود من إيراد الحكاية بيان أن هذا الزمان ليس زمان الوفاء بالعهود ، فإن عرفتك زمان ظهور الامر فلك أصدقاء ومعارف فتحدثهم به فيشيع الخبر بين الناس وينتهي إلى الفساد ، والعهد بالكتمان لا ينفع ، لأنك لا تفي به ، إذ لم يأت بعد زمان الميزان ، أو المعنى : إن لك معارف فانظر إليهم هل يوافقونك في أمر ؟ أو يفون بعهدك في شيء ؟ فكيف يظهر الامام عليه السلام في مثل هذا الزمان . أو المراد أنه يمكنك استعلام ذلك ، فانظر في حال معارفك وإخوانك ، فمهما رأيت منهم العزم على الانقياد والطاعة والتسليم التام لامامهم ، فاعلم أنه زمان ظهور القائم عجل الله تعالى فرجه ، فإن قيامه مشروط بذلك ، وأهل كل زمان يكون عامتهم على حالة واحدة كما يظهر من القصة] . علّق الشيخ الكوراني قائلاً : [يظهر من الحديث الشريف أن الامام الباقر ﷺ يعرف وقت ظهور المهدي ﷺ ولكنه يوجد مانع من إخبار حمران وأمثاله به على جلالة قدرهم ، والظاهر أن الامام الباقر ﷺ ذكر أصدقاء حمران وإخوانه ومعارفه ليتضمنه أنه موضع ثقته لولا خوف انتشار الخبر وحصول الضرر به ، والغرض من القصة التي أوردها ﷺ بيان فساد الزمان وعدم وفاء أهله مثل ابن ذلك العالم . فالوجه الاول الذي ذكره المجلسي قدس سره هو المتعين ، ويؤيده الاحاديث التي تذكر أن ظهوره عليه السلام تأخر بسبب إذاعته] .

والنصوص في هذا المعنى كثيرة . وهي تؤكّد أنّ المهدي ﷺ هو الثاني عشر من آل محمّد ، وأنّ فرج آل محمّد الموعود ودولتهم الشاملة لبقاع الأرض تكمن في تلك التي تكون على يد مولانا المهدي في آخر الزمان ..

.-

خروج الشيصباني قبل السفياني

أقرّت النصوص أنّه يخرجُ قبل المهديّ ﷺ أصحاب ألوية ودول مختلفة ، منها دولة « الشيصباني » ، وفي رواية جابر الجعفي قال : سألتُ أبا جعفر الباقر ﷺ عن السفياني ؟ فقال : [وأنّى لكم بالسفياني حتى يخرج قبله الشيصباني ، يخرج من أرض كوفان ، ينبع كما ينبع الماءُ فيقتل وفدكم ، فتوقّعوا بعد ذلك السفياني ، وخروج القائم ﷺ][1] .

وتعبير : « ينبع كما ينبعُ الماء » الواردة في النص إشارة إلى قدرته على النفوذ والتسلُّل والمباغتة والقدرة والمفاجأة ، وهو من تعابير الإستعارة التي يُراد منها الإشارة إلى قدرة التحكُّم والمباغتة ، مع التأكيد على أنّ الشيصباني يخرج أيضاً قبل السفياني ، ويبدو أنه علامة على خروج السفياني لاحقاً ..

وعليه : لا بدّ من قيام أمر العباسيين أوّلاً ، والشيصباني يكون صاحب هذه الدولة العباسيّة . وقد استخدم الإمام ﷺ هذا اللفظ للكناية بسبب وجود العباسيين آنذاك في دولتهم . هذا الشيصباني يقوم أمرهُ فجأة ، أي إشارة تؤكّد قيامه بانقلاب ربما ، لأنّ أمره يقوم فجأة . أو غيره ممّا يؤكّد طابع الإنقلاب على الدولة القائمة بشكلٍ مفاجئ . وهذه الرواية وغيرها صريحة في وجوب الحكم العباسي قبل السفياني ومعاصرته له .

---

[1] النعماني : ص ٢٠٢ ب ١٨ ح ٨

خروج مصري ويماني قبل السفياني

تشيرُ النصوص إلى خروج يمني ومصري قبل خروج السفياني ، وهذا ما أشرنا إليه من تعدُّد الألوية قبل خروج المهدي بل قبل خروج السفياني . ففي رواية محمد بن مسلم قال - ولم يسنده إلى الباقر ﷺ - : [.. يخرج قبل السفياني مصريٌ ويماني][1] .

وهذا يعني تعدُّد الألوية ، وتناثر الحروب ، واشتعال الآفاق وتنوُّع الرايات .. على انّ مصريّاً يخرج من النجباء ينادي بحقّ آل محمّد في مصر يكاد يستلم الحكم لولا الروم ثم الراية المغربية والسفياني .

كما أنّ اليماني المشهور يكون على صلة بالمهدي ﷺ وهو واحد من أهم الرايات الداعية إليه .

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الحنوسي : غيبة الطوسي : صـ ٢٧١

نواة الموطِّنين للمهدي ﷺ

(خروج أهل المشرق قبل ظهور المهدي ﷺ والصِّدام مع السفياني)

من الثابت أنَّ خروج أهل المشرق الخراسانيين يكون قبل ظهور الإمام المهدي ﷺ ، بل قبل السفياني . ويبدو من النصوص أنَّ هذه الدولة قديمة ، وهي تُقيم هيكلها وتبذل جهدها لتصميم كيان يدعو إلى آل محمَّد والتزام الإسلام . وتمارس دوراً ريادياً في أوقاتٍ مختلفة ، وتنخرط في معركة ضارية لدخول بيت المقدس ، ويكون لها من القوَّة ما يُمكِّنها للصمود في ذلك العالم الخطير ، الذي يتناقس في تدمير القوى الضعيفة ، ويصرِّح علناً بأنه شديد البغض والعداء لبيئة أهل الإيمان وأعلامهم .

ففي رواية أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر ﷺ قال : [.. كأنِّي بقومٍ قد خرجوا بالمشرقِ ، يطلبون الحقَّ فلا يُعطَونَهُ ، ثم يطلبونَهُ فلا يُعطَونَهُ ، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم ، فيُعطونَ ما سألوه ، فلا يقبلونه حتى يقوموا ، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم . قتلاهم شهداء . أما إنِّي لو أدركتُ ذلك لاستبقيتُ نفسي لصاحب هذا الامر][1] .. كلُّ ما ورد فيه دليل قاطع على أنَّ هذه الأمَّة تبذل جهوداً جبَّارة لبناء مجدها السياسي العقائدي . وبما تمتلك من مناعة وأدوات تتناسب وقدرات ذلك العصر

---

[1] النعماني : ص ٢٧٣ ـ ١٤ ح ٥٠

تستطيع أن تضمن بقاءها ضمن المجموعة الحيّة من الأمم التي تصرُّ على حقوقٍ محدَّدةٍ لها في وجه المجتمع الدولي ، فتحاول الأمم منعها منها . ويبدو هذا الحقّ على نحوٍ من شأنٍ بارز ، يستدعي تكاتف الأمم عليها ، فتصرُّ هذه الأمّة الإماميّة الخراسانيّة عليه والإنتصار له ، ويتطوَّر الأمر شيئاً فشيئاً ، إلى أن يصل إلى حدّ الإنفجار ، فتلعن هذه الأمّة الإنتصار لحقوقها ، فتخوض غمار معركة أو معارك أو محاولة معركة - ويبدو الأوّل أرجح - فتُعطى ما هو حقٌّ لها ، فتصرُّ على قيامها ضمن مشروع ضروري يتّصل بمجموعة من حقوق المظلوميّة التي تصيبها فتخوض الغمرات ولا تسلّم الراية إلا للمهدي ﷺ . إشارة إلى تعاظم أمر هذه الأمّة الخراسانيّة وتصاعد قدراتها وممارسة أشواط مميّزة بل نافذة في المجال الدولي ، على الأقل في خصوص حماية حقوقها ..

وفي رواية جابر عن أبي جعفر قال : [.. تنزل الراياتُ السودُ التي تخرج من خراسان الكوفة ، فإذا ظهر المهدي ﷺ بمكّة بعث إليه بالبيعة][1] . أي أنّها تبقى فاعلة ، قادرة ، حيّة ، لها شأن كبير حتى ظهور المهدي ﷺ فتبعث إليه بالبيعة . وتقع معركة ضارية بين السفياني والجيش الخراساني ، ويكون على رأس القيادة الخراسانيّة العسكريّة رجل إسمه شُعيب بن صالح ، وذلك بعدما يهاجم جيش السفياني الكوفة ونواحيها ويقتل شيعة آل محمّد ، فيهبّ الخراساني لنصرتهم فيقع التصادم بينهم ، وتقع بينه وبين السفياني معركةٌ ضارية ينتصر فيها على جيش السفياني في منطقة اصطخر . على انّ بعض النصوص يظهر منها انتصار الخراساني

---

[1] ابن حماد : ص ٨٥

الخراساني في العراق أيضاً ، على الأقل بعض المعارك . مع التسليم بأنّ معركة فتح العراق ينتصر فيها الخراساني على السفياني وغيره .

وفي رواية جابر عن أبي جعفر ﷺ قال : [.. يخرج شابٌّ من بني هاشم بكفّه اليُمنى خالٌ (علامة) من خراسان برايات سود ، بين يديه شُعيب بن صالح (القائد العسكري) يُقاتِل أصحابَ السفياني فيهزمهم][1] .

فإذا خرج السفياني كان علامةً على خروج مولانا القائم ﷺ .. ويكون خروج الإمام المهدي ﷺ آنذاك على نحوين : نحو خاص لعدّة أشهر ، ونحو عام ، خاصّةً بعدما يخسفُ اللهُ بجيش السفياني بين مكّة والمدينة . وفي رواية أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر ﷺ يقول : [لا يكون ما ترجون حتى يخطب السفياني على أعوادها ، فإذا كان ذلك انحدر عليكم قائمُ آل محمد ﷺ من قِبَل الحجاز][2] .

أي إذا خرج السفياني وظهر على أعوادها ، أي كان في مقام الآمر الناهي ، القائم على رأس الحكم والسلطان انحدر إليكم المهديُّ من الحجاز ، وهو ﷺ يكون قد ظهر ، لكنّه الظهور الخاص حتى الخسف بجيش السفياني بين مكّة والمدينة ، ثم بعدها ينحدر من الحجاز ..

---

[1] ابن حماد : ص ٨٤

[2] إثبات الوصية : ص ٢٢٦

السفياني وتفاقم الحروب

.. تتَّفقُ النصوص أنَّ للسفياني سطوةً على طوائف مختلفة . يخوض غمرات الحرب ضد رايات منها : راية الأصهب والأبقع ، ودولة بني العباس التي تكون في آخر الزمن وهي غير دولتهم الأولى ، ويعمل على التنكيل بالشيعة ، فينجح في الكوفة والمدينة ثم تكرُّ الأيام عليه ويرى من الهزائم الأيّامَ الصعاب ، رغم أنَّ مدّة ملكه قصيرة .

وفي رواية محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر الباقر ﷺ يقول : .. إتَّقُوا الله واستعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد في طاعة الله ، فإنَّ أشد ما يكون أحدكم اغتباطاً بما هو فيه من الدِّين لو قد صار في حدٍّ الآخرة ، وانقطعت الدنيا عنه ، فإذا صار في ذلك الحد عرف أنه قد استقبل النعيم والكرامة من الله والبشرى بالجنة ، وأمن ممَّا كان يخاف ، وأيقن أنَّ الذي كان عليه هو الحق ، وأنَّ من خالف دينه على باطل وأنه هالك . فأبشروا ثم أبشروا بالذي تريدون ، ألستم ترون أعداءكم يقتتلون في معاصي الله ، ويقتل بعضُهُم بعضاً على الدنيا دونكم ، وأنتم في بيوتكم آمنون في عزلةٍ عنهم . وكفى بالسفياني نقمةً لكم من عدوِّكُم ، وهو من العلامات لكم ، مع أنَّ الفاسقَ لو قد خرج لمكثتم شهراً أو شهرين بعد خروجه لم يكن عليكم بأس حتى يقتل خلقاً كثيراً دونكم .

فقال له بعض أصحابه : فكيف نصنعُ بالعيال إذا كان ذلك ؟ قال : يتغيَّب الرجال منكم عنه ، فإن حنقه وشرهه إنما هي على شيعتنا ، وأما النساء فليس عليهنّ بأس إنْ شاء الله تعالى . قيل : فإلى أين مخرجُ الرجال ويهربون منه ؟ فقال ﷺ : مَن أراد منهم أن يخرج يُخرج إلى المدينة أو إلى مكة أو إلى بعض البلدان (إشارة إلى ظهور المهدي ﷺ) .

ثم قال : ما تصنعون بالمدينة ، وإنما يقصد جيشُ الفاسق إليها ، ولكن عليكم بمكة ، فإنّها مجمعكم ، وإنما فتنتُهُ حملُ امرأة : تسعة أشهر ، ولا يجوزها إنْ شاء الله][1] ..

أقول : ورد في نصوصٍ مختلفة أنّ الشيعة يُلاقون منه عذاباً عظيماً . حتى انّه يصلب طفلين في الكوفة إسمهما حسن وحسين ، ويقلي رؤوسهما . ويطغى ضدّ الشيعة .. وعليه : ما ورد من حفظ النساء ، إنّما هو ناظر إلى صفة خاصّة ، أو هو منصرف عمّا أشارت له النصوص من قتل يصيب آل محمّد حتى النساء والأطفال .

ويكون خروج السفياني في زمنٍ تكثر فيه الحروب ، وتتناثر فيه الفتن ، وتتعاظم فيه البلاءات ويحكم به الظلمة . وفي رواية هارون بن هلال عن أبي جعفر ﷺ قال : [.. لا يخرج السفياني حتى ترقى الظلمة][2] . إشارة إلى سطوة الظالمين ، وتعاظم أمرهم ، وشدّة نكالهم وما يتّصل بهذه المعاني . أمّا معركة قرقيسيا فهي وقعتان : الأولى تكون بين المرواني (حاكم دمشق) ودولة بني العباس الجديدة آخر الزمن . والثانية تكون بين

---

[1] النعماني : ص ٢٠٠ - ٢٠١ ب ١٨ ح ٢

[2] ابن حماد : ص ٩١

السفياني والترك والروم ، وهي خلاف على مالٍ وثروة عظيمة . وفي رواية عبد الله بن أبي يعفور قال : قال لي أبو جعفر الباقر ﷺ : [.. إنَّ لِوُلْدِ العباس والمرواني لَوقعةٌ بقرقيسياء ، يشيبُ فيها الغلام الحزور ، يرفعُ اللهُ عنهم النصر ، ويوحي إلى طير السماء وسباع الارض اشبعي من لحوم الجبَّارين ، ثم يخرج السفياني][1] .

يسيطر السفياني على عرش المرواني ويتابع حرب قرقيسيا ، وينقلب تكتيكياً على الترك والروم ويخوض معركة ضارية هناك .

-.

[1] النعماني : ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ب ١٨ ح ١٢

خروج السفياني سنة ظهوره ﷺ

تشيرُ النصوص إلى أنَّ ظهور المهدي ﷺ والسفياني يكون في سنةٍ واحدة . وهذا يعني أنَّ مرحلة التطورات المختلفة والتعقيدات المتَّصلة بجبهات الحرب أو الفتن والأزمات التي تتواصل على نحوٍ من جموعٍ وأمراضٍ ودم وشبه ذلك تكون شديدة التعقيد .

ولا نعني بذلك أنَّ الأرض كلَّها تكون في ظل حرب ، بل مناطق مختلفة ، نعم المرض والقتل يكون بارزاً وظاهراً ، ويبدو من النصوص التركيز على الأمراض ، وأنَّها تكون بارزة ومنتشرة . وقد لفت نظري تقرير للجمعية الطبيّة الأمريكية يحذِّر بشدّة من أنَّ الميكروبات والفيروسات أصبحت تُبدي مقاومةً شديدة التنوُّع أمام الأدوية المضادَّة ، وتُعيد تكوين جيناتِها على نحوٍ قادرٍ على التفلُّت من تدميرها . وأنَّ الأمر يتطوَّر ، وحال عدم السيطرة عليها تعني كارثةً من نوعٍ استثنائي بسبب التنوُّع الخطير في سلاسة هذه الميكروبات والفيروسات خاصةً تلك التي تنتقل عبر الهواء . محذِّرةً أنَّ العالم مُقبل على أخطر الأزمات إنْ هو لم يتنبَّه لهذا الأمر . حتى أن فيروس انفلونزا الطيور من شأنِه لو انَّه تركَّز في الإنسان وطوَّر نفسه للإنتقال من فردٍ إلى آخر أن يبيد ملايين البشر بشكلٍ مثير .. الأمر الثاني الذي أُحبُّ أن أشير إليه هو ما تؤكِّد عليه النصوص في هذه الفترة ، أي

فترة ما قبل ظهور المهدي ﷺ ، بحيث يكون العالم على نحوٍ واضحٍ من الإضطراب في الميزان المناخي البيئي . النصوص عميقة التركيز على هذا المعنى ، تؤكّد أنّ الطبيعة تشهد مرحلةً خطرةً من الخلل البنيوي والتدمير المتواصل[1] .

في هذا الجو المتفاقم يخرج السفياني ، مستفيداً من مجموع اضطرابات مختلفة في المنطقة ، كما يستفيد من دعم الروم التي تعمل على توظيفه على رأس الحكم السياسي في دمشق . على انّ خروج السفياني والإمام المهدي ﷺ يكونان في عامٍ واحد . نعم حركة السفياني وتكوين

---

[1] وقد لفت نظري تقرير شاركت فيه ٨ دول وأعدّة ٣٥٠ عالماً أنّ درجة حرارة القطب الشمالي ترتفع بما يعادل مثلي سرعة ارتفاع درجة حرارة باقي مناطق الأرض بسبب تراكم الغازات المسبّبة لارتفاع الحرارة . وجعها تتسارع وتيرة ذوبان الجليد في القارة القطبية الشمالية في وقت تقف الدول الصناعية متفرّجة ، مع أنّها السبب الرئيسي في تدمير هذا التوازن الرئيسي الذي يحكم واحدةً من معالم ضبط مناخ الكرة الأرضية . ومعلوم انّ الإنبعاثات الغازية من المصانع ومحطات الطاقة والسيارات هي السبب في زيادة حرارة الأرض . وقد تقلّص الغطاء الجليدي للقطب الشمالي بنسبة ١٤و٢٠ في المئة خلال الستوات الثلاثين الماضية ، ومن المرجّح أن يذوب الجليد تماماً في المحيط القطبي الشمالي خلال الصيف مع حلول نهاية فرننا الواحد والعشرين . ويتنبّأ التقرير بارتفاع درجة الحرارة في القطب الشمالي بين ٤و٧ درجات مئوية خلال السنوات المئة القادمة ، وإذا استقرّت درجات الحرارة بعدها عند هذا المستوى فإن الغطاء الجليدي لقارة غرينلاند القطبية سيذوب خلال ألف عام ويرفع مستوى المياه في البحار حول العالم بمقدار سبعة أمتار . نعم لا يؤثر ذوبان الغطاء الجليدي الذي يطفو فوق المحيط القطبي على مستوى المياه في البحر ، لأن الثلج يشغل حيّزاً أكبر من الماء . وتستغرب إذا علمت أنّ شركات المال ترى في ذوبان الثلج أمراً مهماً ، لأنه ذوبانه هناك يعني إمكانية الوصول إلى مخزونات النفط والغاز الموجودة هناك ..! وعلى أثر هذا الإضطراب الذي يشمل الطبيعة والمناخ قالت مجموعة من المنظمات العالمية : إنّ القائمة العالمية للسلالة المهددة بالإنقراض تتزايد بمعدلات مقلقة لم يسبق لها مثيلٌ من قبل ... مصدر قائمة تحتوي على ١٢ ألف سلالة مهددة بالإنقراض . مؤكّدة انّ ٣٠ في المئة من السلالات العالمية بدأت تتعرّض للإنقراض . والمثير انّ شركات عملاقة مثل عملاق صناعة النفط « شل » وبي بي ، وشركة جنرال موتورز وهي أكبر شركة في العالم لتصميم السيارات ستشارك في المؤتمر لا ترى في الأمر ما يُقلق ..!

دولته يكون قبل تكوين دولة المهدي ﷺ . وعليه : الإمام المهدي يبدأ مسيرهُ بجيشه وإعلانه لدولته بعد الخسف بجيش يبعثه السفياني إلى مكّة وذلك بعد أن يقتل ويستبدّ في المدينة المنوّرة ..

وفي رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر محمد بن علي ﷺ قال : [السفياني والقائم في سنة واحدة][1] . ولا يدوم حكم السفياني طويلاً . حيث يدوم حمل إمرأة أي تسعة أشهر . فقد روى عمار الدهني قال : قال أبو جعفر ﷺ : [كم تعدُّون بقاءَ السفياني فيكم ؟ قلت : حمل امرأة تسعة أشهر . قال : ما أعلمكم يا أهل الكوفة][2] . تأكيداً منه ﷺ لما قاله عمار الدهني . والنصوص بهذا المعنى عديدة .

وقد قال الإمام أبو جعفر ﷺ : [إذا استولى السفياني على الكور الخمس فعدُّوا له تسعة أشهر][3] . وزعم هشام أنَّ الكور الخمس : دمشق وفلسطين والأردن وحمص وحلب . وهل يقصد ﷺ بالظهور الإعلان عن ظهوره ﷺ أو الظهور العام ؟ لأنَّ للمهدي ظهورين : خاص يعمل فيه على تكوين جبهته . وعام يبدأ فيه رحلتَهُ في إرساء العدل وإحقاق الحق وفتح الكيانات الظالمة ..؟ المقصود هو الظهور الثاني أي الظهور العام . وهذا ما تأكّدهُ مضامين النصوص . أما الظهور الخاص فهو الذي تحدّثنا عنه سابقاً ، وأنه ايضاً يكون بعد ظهور السفياني كما يفهم من بعض النصوص ، وفي غيرها يكون وإيّاه في زمنٍ واحد . والأوّل أرجح ..

---

[1] النعماني : ص ٢٦٧ ب ١٤ ح ٣٦

[2] غيبة الطوسي : ص ٢٧٨

[3] م . س .

والسفياني شديد التنكُّر للدِّين ، مستبدّ ، قتّال ، لا يهمّهُ خيرٌ حقاني في دنيا أو آخرة ، يعمل على تكريس كلّ شيءٍ من أجل أن يكون الآمر الناهي فيه ، وهذا ما يدفعه فيما بعد إلى الإنقلاب على الروم بهدف تكريس زعامة منفردة له بعد أن يسيطر على الكور الخمس . وفي النصوص ما يركز على طابع العداء الشديد لديه اتّجاه الدين ومنطق السماء .

وفي رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال : [السفياني أحمر أشقر أزرق ، لم يَعبُد اللهَ قط ، ولم يرَ مكّة ولا المدينة قط ، يقول : يا ربِّ ثاري والنار ، يا ربِّ ثاري والنار][1] . تأكيداً على جحوده ونمطه الجهنّمي ، وحبّه لسفك الدماء بهدف السيطرة على مقاليد الحكم والمؤسسات .. وهو عينه ما يدفعه إلى الإنقلاب على الروم ، وإعلان الحرب عليها بهدف الإمساك بزمام الأمور واحتكار المنافع السياسيّة والماليّة وما يتّصل بالثروة في منطقة الشرق الأوسط .

وفي الرواية عن أبي جعفر ﷺ قال : [إذا ظهر السفياني على الأبقع والمنصور اليماني خرج الترك والروم فظهر عليهم السفياني][2] . يبدو من هذا النصّ – فيه بعض الوهن في السند – أنّ معركةً تقع بينه وبين اليماني ينتصر فيها السفياني ، على انّ جبهة اليماني تظلُّ موجودة وقائمة وقويّة وهي التي تساهم في تكوين جيش الإمام المهدي ﷺ في الحجاز وتنحدر من هناك إلى الشام ، حيث تقع معركة فاصلة بين المهدي ﷺ وبين السفياني ينتصر فيها المهدي ﷺ ويقتل السفياني ..

---

[1] النعماني : ص ٣٠٦ ب ١٩ ح ١٨

[2] ابن حماد : ص ٥٩

وعن غزو السفياني للعراق ؟ تشيرُ النصوص إلى انّ هذا يحصل على أثر انتصارات السفياني المتتالية ، ففي رواية جابر عن أبي جعفر ﷺ قال : [إذا ظهر السفياني على الأبقع ، وعلى المنصور ، والكندي ، والترك والروم ، خرج وصار إلى العراق ، ثم يطلع القرن ذو الشفا ، فعند ذلك هلاكُ عبد الله . ويخلع المخلوع ويتسبّب أقوامٌ في مدينة الزوراء على جهل فيظهر الأخوص على مدينة عنوة فيقتل بها مقتلة عظيمة ، وتقتل ستة أكبش من آل العباس ، ويذبح فيها ذبحاً صبراً ثم يخرج إلى الكوفة][1] .

النص يشير إلى مجموع معارك يخوضها السفياني وبمدّة قصيرة جداً ، ينتصر فيها ويتابع فتوحاته ، فينتصر على الأبقع والأصهب ، والمنصور ، والكندي ، وعلى الروم والترك في معركة قرقيسيا حول صراع على الثروة ، ثم بعد ذلك يحوّل اتجاه جنده وآلة حربه نحو العراق . قلتُ فيما سبق : انني استشفّ من النصوص أنّ العراق وكأنّه يكون متعدّد الكيانات أو اللامركزيّات ، وهل هذا التعدُّد سياسي أم فيدرالي ، هل هو على نحو اللامحصريّة السياسيّة ، أو الفيدراليّة الأوسع ، أو الكونفيدراليّة أو الإنفصال التام لا أدري وإنْ رجح عندي كيان عراقي لامركزي على شكل فيدرالي .. لكن يبدو وكأنّ هناك تجمُّعات كيانيّة ذات اختلاف في الإنتماء ، هذه شيعية ، وهذه أو سنيّة أو عباسيّة ، وشبه ذلك ..

على أن يخوض السفياني في العراق معركةً ضارية ضدّ الدولة العباسيّة الجديدة على أثر موت حاكمهم عبد الله والإقتتال العباسي حول العرش ، أي يخوض معركة ضد حُكّام يمتّون بصلة إلى سلالة بني

---

[1] ابن حماد : ص ٨٢

العباس المشهورة ، حيث يحكمون العراق آخر الزمن ، فينتصر عليهم ، ثمّ يُوجّه حِرابَهُ نحو الكوفة ، فيدخلها ليقتل فيها شيعة آل محمّد وينجح في فتحها ويخوض غمار القتل بالشيعة ، فتهبّ جيوش الخراساني لنصرة الشيعة وتقع بينهم وبين السفياني معركة ضارية . يبدو من بعض الإطلاقات أنّ الخراساني ينتصر فيها ، ومن بعضها الآخر : لا ، وانّ الخراسانيين يخرجون من العراق وصولاً إلى منطقة اصطخر فيتبعهم جيش السفياني ويخوض معهم أعنف حرب فينتصر فيها جيش الخراساني نصراً مذهلاً ، يدهشُ السفياني الذي يدفع بجيشه نحو المدينة لقتل المهدي عليه السلام على أثر الهزيمة العنيفة التي يتعرّض لها جيشهُ على يد الإيرانيين . بعض النصوص تتحدّث عن مساعدة اليماني للإيرانيين في هذه المعركة . وهذا الأمر ربّما فيه كلام ..

النص يشير إلى تطوُّر لافت في تلك الظروف التي يخوض السفياني فيها غمار الحروب وعلى أثرها يفكّر بفتح العراق . حيث يهلك رجل بارز ، حاكم معروف ، إسمه عبد الله ، وذلك بعدما يطلع القرن ذو الشقا . كما يخلع المخلوع ، أي يخلع حاكم هناك ، ويتسبّب أقوامٌ في مدينة بغداد على جهلٍ فيظهر الأخوص السفياني على مدينة عنوةً عبر خوضه معركة قاسية يقتل بها مقتلة عظيمة ، أي الكثير من الناس ، كما يقتل ستة أكبش من آل العباس ، ثم يخرج إلى الكوفة .. إشارة إلى معركتِهِ مع بعض سلالسة بني العباس ، ثم معركته مع الشيعة أتباع آل محمّد . وكأنّه يكون في العراق كيانان أو أكثر ، أو لامركزيّة على نحو فيدرالي ..

وفي رواية جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : [.. إذا ظهر الأبقع مع قومٍ ذوي أجسام ، فتكون بينهم ملحمةٌ عظيمة ، ثم يظهر الأخوص السفياني

الملعون فيقاتلهما جميعاً ، فيظهر عليهما جميعاً ، ثم يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده وله فورةٌ شديدةٌ يستقل الناس قبل الجاهلية ، فيلتقي هو والأخوص ورياتهم صفر وثيابهم ملوَّثة ، فيكون بينهما قتالٌ شديد ، ثم يظهر الأخوص السفياني عليه ، ثم يظهر الروم وخروج إلى الشام ، ثم يظهر الأخوص ، ثم يظهر الكندي في شارة حسنة ، فإذا بلغ تل « سما » فأقبل ، ثم يسير إلى العراق . وترفع قبل ذلك ثنتا عشرة راية بالكوفة معروفة منسوبة . ويُقتَلُ بالكوفة رجلٌ من وُلد الحسن أو الحسين (التردُّد من قبل الراوي) يدعو إلى أبيه ، ويظهر رجلٌ من الموالي ، فإذا استبانَ أمره وأسرف في القتل قتله السفياني]' .

ويكون الأبقع من مصر ، بل في بعض المتون أنّه يظهر في مصر . ويبدو من النصوص أنّه ظهورهُ يكون سابقاً على ظهور السفياني في الشام . ثم يظهر السفياني ، في حين يخوض الأبقع ملحمةً عظيمةً ضد فريق قوي ، يشيرُ النصُّ إلى أجسادهم الطويلة ، أي لهم قوّة وبطش ، ومع هذا ينتصر عليهم في معركةٍ ضارية كما هو واضح في لسان النصوص ، ويقع بينه وبين السفياني معركة بالغة الشدة ينتصر على أثرها السفياني ، وتؤكّد طائفة من النصوص أنّ السفياني يدخل مصر بعد السيطرة على عرش دمشق ، فيقتل ويسفك الدماء وينهب الأموال ويسبي الذراري . وعلى أثر تلك الملاحم يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده ، ويقع بينه وبين الأخوص السفياني قتالٌ شديد كما في تعبير النص فيظهر الأخوص السفياني في تلك المعركة .

' ابن حماد : صـ٧٨ –

ثم يكون ظهور الروم وخروجٌ إلى الشام ، أي يقدمون إلى المنطقة ، فيخوضون معركةً مع السفياني فيما بعد في منطقة قرقيسيا ينتصر السفياني فيها . وهي التي يخوضها أيضاً ضد الترك وينتصر عليهم فيها .

ثم يكون ما أشرنا إليه من أحداث العراق وما يفعله السفياني هناك بعد زحفه إلى مناطقها ، على أنّ الكوفة آنذاك كما في تصوير النص تكون على نحوٍ من اضطراب أو تجهيز للمعارك ، خاصّةً أن النص يشيرُ إلى مقتلِ واحدٍ من وُلد الحسين يدعو إلى أبيه ، وكأنّ هناك اختلافاً أو ما هو قريب منه ، أو هناك افتراق بين القاعدة والحاكم الذي يكون في الكوفة فيخرج مَن يدعو إلى أبيه ، في وجه ذلك الحاكم أو غيره ، فيُقتل . النص واضح في أمرٍ غير عادي يكون في الكوفة ، وكأنّه في مقام الإشارة إلى اضطرابٍ ما ..

بل كأنّ النص يشيرُ إلى ظهورٍ بارزٍ لأتباع آل محمّد في الكوفة ونواحيها لكنّهم ليسوا هم مَن يملك الحكم هناك ، وحين يظهر مَن يدعو إلى واحدٍ من ولد الحسين يُقتل .. بل هناك ترفع قبل ذلك اثنتا عشرة راية بالكوفة معروفة منسوبة . أي تدعو إلى قلب مقاليد الحكم أو الوقوف معها . وتعبير راية يعني جهة . وهذا يؤكّد طابع الإضطراب الذي يكون آنذاك مسيطراً على الكوفة ونواحيها . على أنّ للشيعة بروزاً ونفوذاً ظاهراً . يدفع السفياني أن يتوجّه إليهم بعد خوضه غمار معارك متعددة وحروب متتالية في كل من مصر والشام ثم العراق ..

أيضاً عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا اختلفت كلمتُهُم وطلع القرن ذو الشفا لم يلبثوا إلا يسيراً حتى يظهر الأبقع بمصر ، يقتلون الناس

حتى يبلغوا إرم (دمشق) ، ثم يثور الحشوّةُ عليه ، فتكون بينهما ملحمة عظيمة ، ثم يظهر السفياني الملعون فيظهر بهما جميعاً . وترفع قبل ذلك ثنتا عشرة راية بالكوفة معروفة ، ويُقتل رجلٌ مِن وُلدِ الحسين يدعو إلى أبيه ، ثم يبثُّ السفياني جيوشه][1] . إشارة إلى نفوذ السفياني وبعثه الجيوش إلى البقاع والنواحي التي يغزوها ..

وهذا يعني أنّ المنطقة تكون على نحوٍ همشٍ كبير ، وهذه الإنتصارات الكبيرة والسريعة التي يحقّقُها السفياني لا تعني إلا ذلك .. فإذا استحكم له الأمر ، أدار طرفه نحو الحجاز الذي يكون آنذاك خاضعاً لاهتزازٍ سياسيٍّ عنيفٍ على أثر انقسام هائل في الحجاز ، بحيث تبدو الدولة معطّلة من القرار ، ويكون التعسكر سيّدَ الموقف بين الفريقين . فيستغل السفياني هذا الأمر ، خاصّةً أنّه يعلم بظهور المهدي ﷺ فيجهّز جيشاً للسيطرة على الحجاز وإنهاء أمر المهدي ﷺ . وفي رواية جابر عن أبي جعفر ﷺ قال : [.. فيبلغ أهل المدينة مخرجُ الجيشِ إليهم ، فيهرب منها مَن كان مِن آل محمد ﷺ إلى مكة ، يحمل الشديدُ الضعيفَ ، والكبيرُ الصغيرَ ، فيدركون نفساً مِن آل محمّد ﷺ فيذبحونَهُ عند أحجار الزيت][2] .

فيسيطر جيش السفياني على المدينة ، ويستبدّ بها ، ويقتل كلّ مَن وُجِدَ فيها من آل محمّد أو أتباعهم ، على أنّه يقتل نفساً معروفةً بارزةً فيها مِن آل محمد ، يذبحها ذبحاً . ثم يأمر جيشهُ بالمسير إلى مكّة لفتحها فيُخسفُ به . وبذلك تبدأ كرةُ الإنهزام العنيف الذي يطال جبهة السفياني لعنه اللهُ تعالى .

---

[1] في ص ٧٦ –

[2] ابن حماد : ص ٨٩

وفي رواية جابر عن أبي جعفر ﷺ قال : [.. يُخسف بهم ، فلا ينجو منهم إلا رجلانِ مِن كلب ، اسمهما وبر ووبير ، تقلب وجوههما في أقفيتهما][1] .

ومعها يعيد السفياني تجميع ما بقي من جيشه الذي تشير النصوص إلى انه يملك من الإمكانات وأدوات الحرب ما يسمح له بخوض معارك ضارية . فتكون أولى المفاجئات للسفياني خروج المهدي ﷺ بجيشٍ جرار من الحجاز . وتقع معركة كبيرة بينه وبين السفياني ينتصر فيها المهدي ﷺ ويقتل السفياني . وبذلك تزول جبهة السفياني بشكلٍ كامل . على انّ غمار الحروب والفتن وصدام الجبهات تكون ما زالت في أوّل الطريق ..

:

---

[1] ابن حماد : ص ٩٠

التدخُّل السماوي

(نداء جبرائيل السماوي من المحتوم)

النصوص التي تشيرُ إلى النداء بإسم المهدي ﷺ من السماء كثيرة ، ولسانُها واضح في حتميَّة النداء من السماء . ففي رواية أبي حمزة الثمالي قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : [إنَّ أبا جعفر ﷺ كان يقول : إنَّ خروج السفياني من المحتوم . قال لي : نعم ، واختلافُ وُلد العباس من المحتوم ، وقتلُ النَّفس الزكيَّة من المحتوم ، وخروجُ القائم ﷺ من المحتوم .

فقلت له : كيف يكونُ ذلك النداء ؟ قال ﷺ : ينادي منادٍ من السماء أوَّلَ النهار : ألَا إنَّ الحقَّ في عليٍّ وشيعته ، ثم ينادي إبليسُ لعنه اللهُ في آخر النهار : ألَا إنَّ الحقَّ في السفياني وشيعته ، فيرتاب عند ذلك المُبطِلُون][1] .

المحصَّل أنَّ السفياني واختلاف وُلد العباس ، وقتل النفس الزكيَّة والنداء وخروج المهدي ﷺ من المحتوم . بل خروج المهدي ﷺ حتمٌ الحتم بلا ريبٍ على الإطلاق وباتفاق جميع المسلمين وتواتر النص .

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في الارشاد ، وغيبة الطوسي . / صفحة ٢٧٨ / # : كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٢ ب ٥٧ ح ١٤

وفي رواية أبي حمزة الثمالي قال : قلتُ لأبي جعفر ﷺ : خروجُ السفياني مِن المحتوم ؟ قال : نعم ، والنداءُ مِن المحتوم ، وطلوعُ الشمسِ مِن مغربها مِن المحتوم ، واختلافُ بني العباس في الدولة مِن المحتوم ، وقتلُ النَّفْسِ الزكيَّةِ محتوم ، وخروج القائم من آل محمد ﷺ محتوم . قلت : وكيف يكون النداء ؟ قال : يُنادي مِن السماء أول النهار : ألَا إنَّ الحقَّ مع عليٍّ وشيعته ، ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الارض : ألَا إنَّ الحقَّ مع عثمان وشيعته ، فعند ذلك يرتاب المبطلون][1] .

أقول : بخصوص مضمون النداء،الأرضي التضليلي تعدَّد لسانُ النصوص ، هناك ما يتضمَّن الإشارة إلى السفياني وأنَّ الحق معه ، وهناك ما أشار إلى عثمان وأنّه قُتِل مظلوم . وهناك ما أشار إلى انّ الحق مع عيسى بن مريم ﷺ ، أي مع أنصارِه وذلك قبل نزولِه ﷺ إلى الأرض ، حيث يظهر النبي عيسى ﷺ على أثر خروج الدجّال . ومعنى ذلك انَّ النداء الأرضي يكون متنوِّعاً واسعاً يشتغل على الجبهات كلِّها التي من شأنها أن تساهم في تضليل غاية النداء الأوّل ، بحيث تجد نوعاً من تضامن بين أتباع السفياني أو العثماني مع النصارى أي الروم لبتر غاية النداء الأول الذي ينادي به جبرائيل ﷺ من السماء بإسم المهدي وآل محمّد .. وهذا يؤكِّد انّ النداء الثاني ، النداء الأرضي ، تخوضه جبهات الضلال وأساطيلها ،

---

[1] الارشاد : ص ٣٥٨ – عن أبي حمزة الثمالي (قال) قلت لابي عبد الله عليه السلام : إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول : خروج السفياني من المحتوم ، والنداء من المحتوم ، وطلوع الشمس من المغرب من المحتوم ، وأشياء كان يقولها من المحتوم . فقال أبو عبد الله عليه السلام : – وفيه (واختلاف بني فلان من المحتوم ، وقتل .. يسمعه كل قوم بألسنتهم .. في عثمان) . وقال (وروى الفضل بن شاذان ، عمن رواه عن أبي حمزة قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : – وفيه (.. مع آل علي وشيعته) وليس فيه (واختلاف بني العباس في الدولة من المحتوم) .

فتخاطب الأمم بلغة تراثها ، تخاطب الأمويين بمظلومية فلان أو فلان ، كما تخاطب الشعوب المسيحيّة بلغة تراثها . وعليه : يقع على أثر النداء لغطٌ يجوب العالم في ظل خلافات واهتزاز عنيف يجوب العالم صلةٌ بالأحداث الجارية والخلافات المتفاقمة والفتن المتتابعة التي أشارت إليها النصوص فيما سبق ..

وعن مضمون النداء روى جابر عن أبي جعفر ﷺ قال : [ينادي منادٍ من السماء : ألَا إنّ الحقّ في آل محمّد ، ويُنادي منادٍ من الارض : ألَا إنّ الحقّ في آل عيسى - أو قال العباس أنا أشك فيه – وإنما الصوت الأسفل من الشيطان ليُلبسَ على الناس . شك أبو عبد الله نعيم][1] .

وفي الحقيقة النصوص في مجال النداء السماوي منها ما يختصر ومنها ما يُوسّع ، وهذا يعني أنّ النداء يكون شاملاً لفقرات عدّة ، مثل أنّ المهدي محمد بن الحسن ، ولدُ عليٍّ وفاطمة ﷺ قد ظهر ، وانّ الحق مع آل محمّد ﷺ وهكذا .. كما أنّ النداء الأرضي يكون متنوّعاً فينتصر لجبهة السفياني كما ينتصر لجبهة الروم النصارى ..! والنداء من السماء بالمهدي ﷺ يُعتبر من الأمور التي شاعت وذاعت واستفاضت بين الناس من قبل ، وهي شديدة الإتقان والدقّة والإتّصال بالمعصوم وبالأخص بالنبيّ ﷺ .

وفي رواية سيف بن عميرة قال : كنتُ عند أبي الدوانيق[2] فسمعتُهُ يقول – ابتداءً من نفسه – : [يا سيف بن عميرة : لا بدَّ من منادٍ ينادي باسم

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٢

[2] المنصور الدوانيقي من حكام بني العباس .

رجلٍ مِن وُلدِ أبي طالب ، قلت : يرويه أحدٌ مِن الناس ؟ قال : والذي نفسي بيده لسمعت أذني منه يقول : لا بد مِن منادٍ ينادي باسم رجلٍ ، قلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ هذا الحديث ما سمعت بمثله قط ! فقال لي : يا سيف إذا كان ذلك فنحن أوّل مَن يُجيبه . أما إنه أحد بني عمّنا ، قلت : أي بني عمّكم ؟ قال : رجلٌ مِن وُلدِ فاطمة عليها السلام ، ثم قال : يا سيف ، لولا أنّي سمعتُ أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقوله ثم حدثني به أهل الارض ما قبلته منهم ، ولكنه محمد بن علي ! [1] . تأكيداً منه أنّ مصدر النصّ هو واحد مثل الإمام الباقر عليه السلام الذي شهد له العالم الإسلامي وفقهاءُه بعلمٍ أعجز العقول ، ويكفيه انّه المعصوم المنصوب من قبل الله تعالى .

وفي رواية ميمون البان قال : كنتُ عند أبي جعفر عليه السلام في فسطاطه فرفع جانبَ الفسطاط فقال : [إنّ أمرنا قد كان أبين مِن هذه الشمس . ثم قال : ينادي منادٍ من السماء : فلان بن فلان هو الامام باسمه . وينادي إبليس لعنه الله من الارض كما نادى برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة][2] .

الإمام عليه السلام في مقام التأكيد على أنّ النداء من السماء في آخر الزمان لا بدّ منه وهو حتم محتوم . وهذا النداء ينتصر للحقّ ، بالإضافة إلى النداء من الأرض الذي ينتصر للكفر . نعم كأنّ الإمام عليه السلام آنذاك كان في حال يخشى من العيون والعسس ..! وفي رواية ناجية القطان قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : [.. إنّ المنادي ينادي : إنّ المهدي من آل محمّد ، فلان

---

[1] الكافي : ج ٨ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ ح ٤٥٤

[2] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٠ ق ٥٧ ح ٤ ـ مرسلا عن ميمون اليماني ، عن الباقر عليه السلام . وفيه (.. لو قد كان لكان أبين من هذه الشمس) . عن كمال الدين . وفيه (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ، إن أمرنا لو قد كان لكان أبين) .

بن فلان ، باسمه واسم أبيه . فينادي الشيطان : إنّ فلاناً وشيعته على الحقّ ، يعني رجلاً من بني أمية][1] . ما يؤكّد طابع المصدر البشري للنداء الثاني . فيما النداء الأوّل يكون شديد الوضوح بأنّه سماوي .

وعلى كلّ حال : النداء من اليقينيّات التي تسبقُ ظهور المهدي ﷺ . يخبر بما سيؤول الأمر إليه وشيكاً من الظهور الشريف الذي يُعتبر أضخم تحوّل في العالم آنذاك . ويعتبر النداء السماوي من العلامات ، وعلى أثر الصوت يكون الفرج ، وفي رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر ﷺ قال : [.. توقّعُوا الصوتَ يأتيكم بغتةً من قبل دمشق ، فيه لكم فرج عظيم][2] .

أي يأتي فجأة ، وعلى أثره يكون الفرج . ولا يكون الصوت من دمشق ، إنّما من السماء ، إلا أن يكون القصد بذلك النداء الثاني ، أو لأمرٍ ما حصل ناحية دمشق ، وإلا فإنّ النداء يأتي من السماء ويسمعه أهلُ الأرض كلّهم ، وهذا من اليقينيّات التامّة في المنصوص .

وفي رواية شرحبيل – بعدما سأل الإمام أبا جعفر ﷺ عن القائم ﷺ – قال : [.. إنّه لا يكون حتى يُنادي منادٍ من السماء ، يسمع أهل المشرق والمغرب ، حتى تسمعه الفتاة في خدرها][3] . أي انّه نداء شامل ، يسمعه كلُّ الناس ، حتى المخدرات في بيوتهن ، أو أولئك الذين يكونون في عمارتهم أو المهن أو المؤسسات أو المصانع . صوت شامل كفيل بإنذار الأمم وتبشيرها بشكل شامل ..

---

[1] النعماني : ص ٢٦٤ ب ١٤ ح ٢٧

[2] النعماني : ص ٢٧٩ ب ١٤ ح ٦٦

[3] النعماني : ص ٢٥٧ ب ١٤ ح ١٤

هنـــاك نصـــوص تشـــيرُ أنَّ النبـــي إليـــاس عليه السلام مِـــن أصـــحابه المهدي عليه السلام . ففي رواية الحسن بن العباس بـن الحـريش عـن أبـي جعفـر الثاني عليه السلام قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : [بينـا أبـي عليه السلام يطـوف بالكعبـة إذا رجل معتجر قد قيض له . فقطع عليه أسـبوعه حتـى أدخلـه إلـى دار جنـب الصفا ، فأرسل إليَّ فكنا ثلاثة فقال : مرحبا يا ابن رسول الله ، ثم وضع يده على رأسي وقال : بارك الله فيك يا أمين الله بعد آبائـه . يـا أبـا جعفـر ، إنْ شئت فأخبرني وإنْ شئت فأخبرتك ، وإنْ شئت سلني ، وإن شئت سألتك ، وإنْ شئت فأصدقني ، وإنْ شئت صدقتك ؟ قـال : كـل ذلـك أشـاء ، قـال : فإياك أن ينطق لسانك عند مسألتي بأمر تضمر لي غيره قـال : إنمـا يفعـل ذلك من في قلبه علمان يخالف أحدهما صاحبه ، وأنَّ الله عزَّوجـل أبـى أن يكون له علم فيه اختلاف . قـال : هـذه مسـألتي وقـد فسـرت طرفـاً منهـا ، أخبرني عن هذا العلم الذي ليس فيه اختلاف ، مَن يعلمـه ؟ قـال عليه السلام : أمـا جملة العلم فعند الله جلَّ ذكره ، وأما ما لا بـد للعبـاد منـه فعنـد الأوصـياء ، قال : فتفتح الرجل عجيرته واستوى جالساً وتهلَّلَ وجهُهُ ، وقال : هذه أردت ولها أتيت ، زعمت أن علم ما لا اختلاف فيه من العلم عند الاوصياء ، فكيف يعلمونه ؟ قال : كما كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يعلمه ، إلَّا أنَّهُم لا يـرون مـا كـان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يرى ، لأنَّهُ كان نبيّاً وهم مُحَدَّثُون . وأنـه كـان يفـد إلـى الله

عزّوجلّ فيسمع الوحي وهم لا يسمعون . فقال : صدقت يا ابن رسول الله ، سأتيك بمسألة صعبة : أخبرني عن هذا العلم ، ما له لا يظهر كما كان يظهر مع رسولِ الله ﷺ ؟ قال : فضحك أبي عليه السلام وقال : أبى اللهُ عزّوجلّ أن يُطلِعَ على علمه إلا ممتحناً للإيمان به كما قضى على رسولِ اللهِ ﷺ أن يصبر على أذى قومه ، ولا يجاهدهم إلا بأمره ، فكم من اكتتام قد اكتتم به حتى قيل له : اصدع بما تُؤمر وأعرض عن المشركين ، وأيم الله أنْ لو صدع قبل ذلك لكان آمناً ، ولكنّهُ إنما نظر في الطاعة ، وخاف الخلاف فلذلك كفّ ، فوددت أن عينك تكون مع مهديِّ هذه الامة ، والملائكة بسيوف آل داود بين السماء والارض تعذب أرواح الكفرة من الاموات ، وتلحق بهم أرواح أشباههم من الاحياء . ثم أخرج سيفاً ثم قال : ها إن هذا منها ، قال : فقال : أبي : إي والذي اصطفى محمّداً على البشر . قال : فرد الرجل اعتجاره وقال : أنا إلياس ، ما سألتك عن أمرك وبي منه جهالة ، غير أني أحببتُ أن يكون هذا الحديث قوّة لأصحابك ، وسأخبرك بآية أنت تعرفها إنْ خاصموا بها فلجوا . قال : فقال له أبي : إن شئت أخبرتك بها ؟ قال : قد شئت ، قال : إنّ شيعتنا إنْ قالوا لأهل الخلاف لنا : إن الله عزّوجلّ يقول لرسوله ﷺ : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر .. ﴾ إلى آخرها ، فهل كان رسولُ الله ﷺ يعلم من العلم شيئاً لا يعلمه في تلك الليلة أو يأتيه به جبرئيل عليه السلام في غيرها ؟ فإنّهم سيقولون : لا ، فقل لهم : فهل كان لما علم بد من أن يظهر ؟ فيقولون : لا ، فقل لهم : فهل كان فيما أظهر رسولُ الله ﷺ من علم الله عزّ ذكره اختلاف ؟ فإن قالوا : لا ، فقل لهم : فمن حكم بحكم الله فيه اختلاف فهل خالف رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم ، فإن قالوا : لا ، فقد نقضوا أوّل كلامهم ، فقل لهم : ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم . فإن قالوا : مَن الراسخون في العلم ؟ فقل : مَن لا يختلف في علمه . فإن قالوا : فمَن هو

ذاك ؟ فقل : كان رسول الله ﷺ صاحب ذلك ، فهل بلّغ أو لا ؟ فإن قالوا : قد بلّغ فقل : فهل مات ﷺ والخليفة من بعده يعلم علماً ليس فيه اختلاف ؟ فإنْ قالوا : لا ، فقل : إنَّ خليفة رسولِ الله ﷺ مؤيَّد ولا يستخلف رسول الله ﷺ إلَّا مَن يحكم بحكمه وإلا مَن يكون مثله إلا النبوة ، وإن كان رسول الله ﷺ لم يستخلف في علمه أحداً فقد ضيَّعَ مَن في أصلاب الرجال ممَّن يكون بعده . فإن قالوا لك : فإنَّ علمَ رسولِ الله ﷺ كان من القرآن فقل : ﴿ حم ﴿١/٤٤﴾ والْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢/٤٤﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣/٤٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤/٤٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥/٤٤﴾ فإن قالوا لك : لا يُرسل اللهُ عزَّوجلَّ إلا إلى نبيٍّ فقل : هذا الامر الحكيم الذي يفرق فيه هو من الملائكة والروح التي تنزل من سماء إلى سماء ، أو من سماء إلى أرض ؟ فإن قالوا : من سماء إلى سماء فليس في السماء أحد يرجع من طاعة إلى معصية ، فإن قالوا : من سماء إلى أرض ، وأهل الارض أحوج الخلق إلى ذلك فقل : فهل لهم بدّ من سيّد يتحاكمون إليه ؟ فإن قالوا : فإنَّ الخليفة هو حكمهم فقل : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧/٢﴾ لعمري ما في الارض ولا في السماء وليٌّ لله عز ذكره إلا وهو مُؤيَّد ، ومن أُيِّدَ لم يُخطِ ، وما في الارض عدوٌّ لله عز ذكره إلا وهو مخذول ، ومن خُذِلَ لم يُصب . كما أن الامر لا بد من تنزيله من السماء يحكم به أهل الارض ، كذلك لا بد من والٍ ، فإن قالوا : لا نعرف هذا فقل لهم : قولوا ما أحببتم ، أبى اللهُ عزوجل بعد محمد ﷺ أن يترك العباد ولا حجة عليهم . قال أبو عبد الله ﷺ : ثم وقف فقال : ههنا يا ابن رسول الله باب غامض ، أرأيت إنْ

قالوا : حجة الله القرآن ؟ قال : إذن أقول لهم : إنّ القرآن ليس بناطق يأمر وينهى ، ولكن للقرآن أهل يأمرون وينهون . وأقول : قد عرضت لبعض أهل الارض مصيبة ما هي في السنة والحكم الذي ليس فيه اختلاف ، وليست في القرآن ، أبى الله لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر في الارض وليس في حكمه رادّ لها ومفرّج عن أهلها . فقال : ههنا تفلجُون يا ابن رسول الله . أشهد أنّ الله عزّ ذكره قد علم بما يصيب الخلق من مصيبة في الارض أو في أنفسهم من الدّين أو غيره ، فوضع القرآن دليلاً .

قال : فقال الرجل : هل تدري يا ابن رسول الله دليل ما هو ؟ قال أبو جعفر عليه السلام : نعم فيه جمل الحدود ، وتفسيرها عند الحكم ، فقال : أبى الله أن يصيب عبدا بمصيبة في دينه أو في نفسه أو في ماله ليس في أرضه من حكمه قاض بالصواب في تلك المصيبة . قال : فقال الرجل : أما في هذا الباب فقد فلجتهم بحجة إلا أن يفتري خصمكم على الله فيقول : ليس لله جل ذكره حجة ، ولكن أخبرني عن تفسير : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ ممّا خص به علي عليه السلام ، ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ قال : في أبي فلان وأصحابه واحدة مقدمة وواحدة مؤخرة : ﴿ لا تأسوا على ما فاتكم ﴾ مما خصّ به علي عليه السلام ﴿ ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ من الفتنة التي عرضت لكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال الرجل : أشهد أنكم أصحاب الحكم الذي لا اختلاف فيه ثم قام الرجل وذهب فلم أره]١ . أقول : ما ورد في هذا المتن من شدّة الحجج وثبات منطقها دليلٌ بليغٌ على ما استدلّ به الشيعة ، وما ثبّته أهلُ البيت عليهم السلام على ألسنتهم . فكرّر ما ورد فيه فإنّه دليلٌ تامّ ، صافي الحجّة ..

---

١ الكافي : ج ١ ص ٢٤٢ – ٢٤٧ ح ١

رسول المهدي إلى أهل مكّة
(النفس الزكية)

بخصوص النفس الزكيّة وردت نصوص كثيرة تؤكّد طابع الميزة الرفيعة التي تكون لهذه الشخصيّة العظيمة ، وانّه يكون من أصحاب الإمام ﷺ . بل في بعضها هو الذي يبعثه المهدي إلى أهل مكّة ليقتلوا على أمره ﷺ ، فيذبحونه . وفي رواية صالح مولى بني العذراء قال : سمعت أبا عبد الله الصادق ﷺ يقول : [.. ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمسة عشر ليلة (هكذا وردت)][1] .

وفي الارشاد عن صالح بن ميثم قال : سمعت أبا جعفر ﷺ يقول : -كما في كمال الدين - وفيه : [.. بين قيام القائم ﷺ .. أكثر من خمس عشرة ليلة][2] .

وعلى أثر مقتل النفس الزكيّة تصبحُ المنطقة بتطوُّراتٍ مختلفة ، والأهم فيها انّ المهدي يعلن ظهوره الشريف بشكلٍ عام ، ويخطب في المسجد الحرام أمام الملأ ، ويراهُ أهل الشرق والغرب . على انّ أصل مقتل النفس الزكيّة أمرٌ تهتزُّ له السماء ، ويغضب لهم اقوام في الأرض . وقد ورد في النصوص ما يشير إلى جلالة وعظمة صاحب النفس الزكيّة ، وأنّ مقتله أمرٌ عظيم في الأرض وفي السماء .

---

[1] الفضل بن شاذان : - على ما في غيبة الطوسي . ه : كمال الدين : ج ٢ صه ٦٤٩ ب ٥٧ ح ٢ -

[2] . صه ٣٦٠

حركة الإمام المهدي ﷺ إلى المسجد الحرام

من الأمور المؤكّدة انّ المهدي ﷺ يُعلن عن ظهوره العام من مكّة المكرّمة ، مع الإلتفات إلى أنّ ظهور الإمام يمرُّ بمرحلتين : خاص ويستمر لأشهر ، يعمل من خلاله على تهيئة أمر حركته ﷺ . وعام يعلن خلاله للعالم الظهور الأعظم . ويبدأ منذ تلك اللحظة السير بمرحلة المشروع العالمي في إحقاق الحق وإبطال الباطل .

ويشكّل المسجد الحرام الإطلالة الأولى التي من خلالها يعلن ظهوره الشريف ﷺ . وفي رواية أبي بصير عن أبي جعفر ﷺ قال : [.. إنّ القائم ﷺ ينتظر من يوم ذي طوى في عدّة أهل بدر ، ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً ، حتى يسند ظهره إلى الحجر ، ويهزُّ الراية المغلبة][1] .

أي من هنا يعلن ظهوره المبارك ، أمّا الراية فهي تعبير عن لواء النصر والفتوحات بإذن الله تعالى ..

---

[1] كتاب السيد علي بن عبد الحميد : - على ما في البحار . * : البحار (الطبعة الحجرية) : ج ١٣ صـ ١٨٠

يظهر المهدي ﷺ يوم عاشوراء

.. تفيد النصوص أنَّ المهدي ﷺ يظهر يوم عاشوراء ، بعد أن ينال اليأسُ من الناس ، ويأكلهم الجدبُ والفتنُ والهمُّ والفزع . وقد تكررت الروايات التي تشيرُ إلى انَّ ظهوره ﷺ يكون يوم عاشرواء . وفي رواية أبان بن عثمان الأحمر عن كثير النوا عن أبي جعفر ﷺ قال : [لزقت السفينة يوم عاشورا على الجودي ، فأمر نوح ﷺ مَن معه مِن الجن والانس أن يصوموا ذلك اليوم . وقال أبو جعفر ﷺ : أتدرون ما هذا اليوم ؟ هذا اليوم الذي تاب اللهُ عزوجل فيه على آدم وحوا ﷺ ، وهذا اليوم الذي فلق اللهُ فيه البحر لبني إسرائيل فأغرق فرعون ومَن معه ، وهذا اليوم الذي غلب فيه موسى ﷺ فرعون ، وهذا اليوم الذي وُلِدَ فيه إبراهيم ﷺ . وهذا اليوم الذي تاب اللهُ فيه على قوم يونس ﷺ . وهذا اليوم الذي وُلِدَ فيه عيسى بن مريم ﷺ . وهذا اليوم الذي يقوم فيه القائم ﷺ][1] ..

تأكيداً منه ﷺ على عظمة هذا اليوم الذي يعلنُ فيه المهديُّ ﷺ عن ظهوره الشريف بما يعني من حدث تاريخيٌّ سيغيِّرُ العالم ويعيد هيكلته على نحوٍ شديدٍ بعد زمنٍ غير كبير من مقارعة الباطل وأئمة الجور والفساد ..

---

[1] التهذيب : ج ٤ ص ٣٠٠ ب ٦٧ ح ١٤

وفي رواية علي بن مهزيار قال : قال أبو جعفر ﷺ : [كأنّي بالقائم ﷺ يوم عاشوراء يوم السبت قائماً بين الركن والمقام ، بين يديه جبرئيل ﷺ ينادي : البيعة لله . فيملؤها عدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً][1] . وفي لفظ آخر له ﷺ : [يخرج القائم ﷺ يوم السبت يوم عاشوراء يوم (كذ) الذي قُتِلَ فيه الحسين ﷺ][2] .

هذه النصوص تحدّدُ زمن الخروج بيوم عاشوراء ، وتسمّي يوم الخروج بيوم السبت . وهو اليوم الذي قُتِل فيه الإمام الحسين ﷺ في الزمن الرهيب من سنة ٦١ للهجرة على يد جند يزيد الأموي .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : قال أبو جعفر ﷺ : [.. يخرج القائم ﷺ . . في اليوم الذي قتل فيه الحسين ﷺ ، ويقطع أيدي بني شيبة ويعلّقها في الكعبة][3] .

وقال في تاج المواليد : [.. وجاءت عنهم ﷺ الأخبار أنّه ﷺ يقوم يوم السبت يوم عاشوراء][4] .

وفي عقد الدرر عن أبي جعفر ﷺ قال : [يظهر المهدي ﷺ في يوم عاشوراء ، وهو اليوم الذي قُتِلَ فيه الحسين بن علي ﷺ ، وكأني به يوم السبت العاشر من المحرم قائم بين الركن والمقام ، وجبرئيل ﷺ عن يمينه وميكائيل ﷺ عن يساره ، وتصير إليه شيعته من أطراف الارض ، تُطوى

---

[1] م . س .

[2] الفضل بن شاذان : - على ما في غيبة الطوسي .

[3] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٣ - ٦٥٤ ب ٥٧ ح ١٩ -

[4] : ص ١٥٠ -

لهم طيّاً ، حتى يبايعوه ، فيملأ بهم الارض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً][1] .

ومنذ تلك اللحظة تبدأ المرحلة الكبيرة من العالم الجديد ، بما تعينه من فتوحاتٍ وأمنٍ وأمانٍ ومقارعةٍ للباطل ، على أنّ النصوص أكّدت أنّ كلّ أرضٍ يدخلها المهدي يدخلها الأمن والأمان ويسود فيها الإطمئنان ، بخلاف غيرها من الأرض التي تكون تحت قبضة أئمّة القساد وأباطرة الضلال .

واللافت في النصّ أنّ الإمام ﷺ يتنزّل العقاب بكلّ مَن يحقّ عليه العقاب ، ويجعلهم آية لمن خلفهم .

فإذا خرج المهديُّ ﷺ في ذلك اليوم الشريف ، خطب خطبةً جليلةً عظيمة ، بيّن فيها معالم السماء ، وحدّد فيها وظيفة الإنسان ، وعطف القول على بعثة النبيين ، وذكّر العالم بجدّه النبيّ المصطفى محمّد وآله الميامين ﷺ .

ففي رواية أبي بصير عن أبي جعفر ﷺ - في حديث طويل - قال ﷺ : [.. يقول القائم ﷺ لأصحابه : يا قوم ، إنّ أهل مكة لا يريدونني ، ولكني مُرسلٌ إليهم لأحتجّ عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتجّ عليهم . فيدعو رجلاً من أصحابه فيقول له : امضِ إلى أهل مكة فقل : يا أهل مكّة ، أنا رسولُ فلان إليكم ، وهو يقول لكم : إنّا أهلُ بيت الرحمة ، ومعدن الرسالة والخلافة ، ونحن ذريّةُ محمّد وسلالة النبيين ، وإنّا قد ظُلمنا واضطُهدنا ، وقُهرنا وابتُزّ منّا حقُّنا منذ قُبض نبيُّنا إلى يومنا هذا ، فنحن نستنصركم فانصرونا . فإذا تكلّم هذا الفتى (رسول المهدي ﷺ) بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوهُ بين الركن والمقام ، وهي النفسُ الزكيّة ، فإذا بلغ

---

[1] : ص٦٥ و ٤ ف ١ -

ذلك الامام قال لأصحابه : ألَا أخبرتُكُم أنّ أهل مكّة لا يريدوننا ، فلا يَدَعُونَهُ حتى يخرج فيهبط مِن عقبة طوى في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، عدّة أهل بدر ، حتى يأتي المسجد الحرام ، فيُصلّي فيه عند مقامِ إبراهيم أربع ركعات ، ويُسنِد ظهرهُ إلى الحجر الاسود ، ثم يحمد الله ويثني عليه ويذكر النبي ﷺ ويُصلّي عليه ، ويتكلّم بكلام لم يتكلّم به أحدٌ مِن الناس . فيكون أوّل مَن يضرب على يده ويبايعه جبرئيل وميكائيل ﷺ .. ويبايعه الثلاثمائة وقليلٌ مِن أهل مكة . ثم يخرج مِن مكّة حتى يكون في مثل الحلقة .

قلت : وما الحلقة ؟ قال ﷺ : عشرة آلاف رجل ، جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ، ثم يهزُّ الراية الجليّة ، وينشرها ، وهي رايةُ رسولِ الله ﷺ السحابة (السحاب) ، ودرع رسول الله ﷺ السابغة ، ويتقلّد بسيف رسول الله ﷺ ذي الفقار [1] . إشارة إلى تقلّده بالقوّة والعلامات . ويتمُّ له الأمر بمكّة دون ان يهرق محجمةَ دم أبداً كما تشير النصوص العديدة إلى ذلك ..

وعن ساعة الظهور والتطوّرات السريعة ، تشيرُ بعض النصوص إلى انّ المهدي ﷺ بعد أن يسيطر على زمام الأمور في مكّة ، يستخرج مَن كان مِن بني هاشم في السجن ، وهذا يعني أنّ بني هاشم وأتباع المهدي ﷺ يتعرّضون قبل ذلك لنوعٍ شديدٍ من الملاحقة ، بل إنّ النفس الزكيّة تُذبحُ ذبحاً بين الركن والمقام .

لكنّ الحجاز رغم كلّ هذا الضجيج تكون أمام فراغٍ سياسي واضطراب وانقسام بين أهلها بسبب نزاعٍ طاغٍ بينهم ، فيظهر المهديُّ ﷺ

---

[1] السيد علي بن عبد الحميد : – على ما في البحار . * : البحار : ج ٥٢ صـ ٣٠٧ ب ٢٦ ح ٨١

على اثر ذبح النفس الزكيّة بشكلٍ علني كبير ، منحسور بالرعب ، عن يمينه جبرائيل وعن شماله إسرافيل ، فضلاً عن أصحابه الذين يبعث اللهُ بهم من الآفاق ، وهذا يعني بداية الفتوحات ، على أنّ مكّة تقع في قبضة المهدي دون قطرة دم .

وفي رواية جابر عن أبي جعفر قال : [.. ثم يظهر المهدي ﷺ بمكة عند العشاء ، ومعه راية رسول الله ﷺ وقميصه وسيفه ، وعلامات ، ونور ، وبيان ، فإذا صلى العشاء نادى بأعلا صوته يقول : أذكّركم الله أيها الناس ، ومقامكم بين يدي ربّكم ، فقد اتّخذَ الحجّة ، وبعثَ الانبياء ، وأنزل الكتاب ، وأمركم أن لا تشركوا به شيئاً ، وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله ، وأن تحيوا ما أحيا القرآن ، وتُميتوا ما أمات ، وتكونوا أعواناً على الهدى ، ووزراً على التقوى ، فإنّ الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها ، وآذنت بالوداع ، فإني أدعوكم إلى الله وإلى رسوله ، والعمل بكتابه ، وإماتة الباطل ، وإحياء سنّته .

فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر ، على غير ميعاد ، قزعاً كقزع الخريف ، رهبان بالليل ، أسد بالنهار ، فيفتح اللهُ للمهديّ ﷺ أرض الحجاز ، ويستخرج مَن كان في السجن من بني هاشم ، وتنزل الرايات السود الكوفة ، فتبعث بالبيعة إلى المهدي ، فيبعث المهديُّ ﷺ جنوده في الآفاق ، ويميت الجور وأهله ، وتستقيم له البلدان ، ويفتح الله على يديه القسطنطينية][1] . إشارة إلى إصلاح أمر المهدي ﷺ السريع ، ونهوضه الشريف ، ثم بداية الفتوحات ، أمّا تعبير القسطنطينيّة ،

---

[1] ابن حماد : ص ٩٥

فقد أشرت فيما سبق إلى ان النصوص اشارت إلى عاصمة الروم وإلى القسطنيطينيّة ، وكأنّ النصوص تشيرُ إلى تواجد الروم في الغرب والشرق وأن المهدي ﷺ يهزمهم بإذن الله تعالى ..

على أنّ صاحب هذا الأمر ﷺ إذا خرج لقي من الناس التكذيب والتحزُّب والتجمُّع لقتاله كما لقي جدُّهُ رسولُ الله من قبل . وفي رواية أبي حمزة الثمالي قال : سمعت أبا جعفر ﷺ يقول : [.. إنّ صاحب هذا الامر ﷺ لو قد ظهر لقي من الناس مثل ما لقي رسول الله ﷺ وأكثر][1] .

تأكيداً على طابع المجابهة والعداء الذي تلقى الكيانات والأمم السياسيّة به المهدي ﷺ على أنّ أقواماً يدخلون سلماً وطواعيةً ورغبةً وحبّاً تحت ولاء المهدي وطاعته ﷺ ..

---

[1] النعماني : ص ٢٩٧ ب ١٧ ح ٢ ..

حركته ﷺ من مكة إلى المدينة فالعراق

تبدأ حركة الإمام المهدي ﷺ من مكّة ، حيث يقيمُ أوّلَ تجمُّعٍ لدولته ، ومنها يبدأ شوط تحرير البلاد ، ومنها مَن يبعث إليه بالنزول على حكمه وبايعُهُ ، ومنها مَن يبعث إليه بإعلان الحرب على جبهته ﷺ . ويبدو أنّ السفياني أوّل مَن يُعلن الحرب على دولة المهدي ﷺ ، ويجهّز جيشاً لغزو الحجاز وفتح البلاد .

فقد روى الكابلي عن أبي جعفر ﷺ قال : [يبايع القائم ﷺ بمكّة على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، ويستعمل على مكّة ، ثم يسير نحو المدينة فيبلغه أنّ عامله (واليه) قُتِل ، فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة ولا يزيد على ذلك . ثم ينطلق فيدعو النّاس بين المسجدين إلى كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ ، والولاية لعلي بن أبي طالب ﷺ ، واليراءة من عدوّه حتى يبلغ البيداء ، فيخرج إليه جيشُ السفياني فيخسف اللهُ بهم][1] .

تجدرُ الإشارة هنا إلى انّ جيش السفياني يُخسفُ به في البيداء في وقت يكون المهدي ﷺ قد كوّن نواة دولته في مكّة . على أنّ هناك بعض التفاوت في أيّ والي هو الذي يُقتل ؟ والي مكّة أم والي المدينة . يستفاد من

---

[1] السيد علي بن عبد الحميد : – على ما في البحار . ط : البحار : ج ٥٢ : ص ٣٠٨ ب ٢٦ ح ٨٣

طائفة أخرى أنّ الذي يُقتل هو والي المدينة ، ففي الحديث عن الإمام الباقر ﷺ قال : [يخرج إلى المدينة فيُقيم بها ما شاء ، ثم يخرج إلى الكوفة ويستعمل عليها رجلاً مِن أصحابه ، فإذا نزل الشفرة جاءهم كتاب السفياني إنْ لم تقتلوه لأقتلنّ مُقاتليكُم ولأسبينّ ذراريكم ، فيقبلون على عامله فيقتلونه ، فيأتيه الخبر فيرجع إليهم فيقتلهم ويقتل قريشاً حتى لا يبقى منهم إلا أكلة كبش ثم يخرج إلى الكوفة ، ويستعمل رجلاً مِن أصحابه فيُقبل وينزل النجف][1] ..

هذا يعني أنّ انقلاباً عسكرياً يقع في المدينة ، يُقتل على أثره والي المدينة المنصوب من قبل المهدي ﷺ ، وبطبيعة الحال يعني أنّ جماعةً من أنصار المهدي يُقتلون ، وهم الجند الذين يتولّون حراسة مركز الحكم وتوابعه هناك ، وبذلك تنتقل السلطة إلى قومٍ من قريش يعلنون ولاءهم للسفياني . فيعود إليه جيشُ المهدي ﷺ فيخوض معهم معركةً تنتهي بانكسارهم وقتل من يُقتل منهم ، ثم ينصّب والياً جديداً على المدينة . فإذا تمّ الأمر له تابع شوطَهُ الذي يصل به إلى دخول العراق .

---

[1] السيد علي بن عبد الحميد : – على ما في البحار . * : البحار : ج ٥٢ ص ٣٠٨ ب ٢٦ ح ٨٣

تشيرُ النصوص انّهُ إذا دخل المهدي ﷺ العراق ، تقاطرت عليه الشيعةُ من النواحي المختلفة لمبايعته والإنضواء في جيشه ، والنزول تحت أمره ، وبذلك تصبح العراق مهداً مهماً في إعادة تجميع الجيوش ، وهيكلة الجبهات وشبه ذلك .

وفي رواية أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر ﷺ قال : [إذا دخل القائمُ ﷺ الكوفة لم يبقَ مؤمنٌ إلا وهو بها ، أو يجيئ إليها ، وهو قول أمير المؤمنين ﷺ . ويقول ﷺ لأصحابه : سيروا بنا إلى هذه الطاغية فيسير إليه][1] .

أي بعد أن يجتمع عليه الناس ويُجهّز جيشهُ يأمر ﷺ بقتال الطاغية الذي يُعتقد أنّه السفياني ، لأنّ المستفاد من مضامين النصوص أنّه يدخل من الحجاز إلى العراق ، إلا أن يُقال بأنّ المستفاد من النصوص أنّه يهبط من الحجاز إلى قتال السفياني ونقع بينهم معركة ضارية قرب ظهريه .. والأرجح حسب النصوص أنّه يدخل العراق من الحجاز أولاً . ويكون جيشُ

---

[1] الفضل بن شاذان : – على ما في غيبة الطوسي . ه : غيبة النوسي : صه ٢٧٥

الخراساني قد فتح العراق . على انّ اليماني أيضاً يشارك في فتح العراق ، إلا انّ المعركة الأعنف والأكبر تكون من نصيب الجيش الخراساني الذي يدخل العراق فاتحاً .

وما يلفت في روايات دخول المهدي ﷺ إلى الكوفة ما أشارت إليه بعضُ النصوص من أنّ المهدي ﷺ يدخل الكوفة وفيها ثلاث رايات قد اضطربت . فقد روى عمرو بن شمر عن أبي جعفر ﷺ قال – ذكرَ المهدي ﷺ – فقال : [.. يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت ، فتصفو له ، ويدخل حتى يأتي المنبر ، فيخطب فلا يدري الناسُ ما يقولُ من البكاء ! فإذا كانت الجمعة الثانية سأله الناس أن يصلي بهم يوم الجمعة ، فيأمر أن يخط له مسجد على الغري ويصلي بهم هناك ، ثم يأمر من يحفر من ظهر مشهد الحسين ﷺ نهراً يجري إلى الغريين ، حتى ينزل الماء في النجف ، ويعمل على فوهته القناطير والأرحاء . فكأني بالعجوز على رأسها مكتل فيه بر تأتي تلك الأرحاء فتطحنه بلا كرى][1] .

النص يؤكّد على الطابع المدني العبادي ، والرخاء الذي يكون على يد المهدي ﷺ في تلك المنطة ، والتعظيم الذي يكون في الكوفة والنجف وكربلاء بالقسبة إلى العبادة ..

بالنسبة إلى الرايات فإنّ العراق تكون فيه آنذاك راية الخراسانيين ، وبقايا العباسيين[2] . وراية اليماني . على أنّ الرايات الوثاميّة آنذاك عند دخول المهدي ﷺ تكون : راية المهدي ﷺ وراية اليماني وراية

---

[1] الفضل بن شاذان : – على ما في البحار عن كتاب السيد علي بن عبد الحميد . * : الارشاد : صـ ٣٦٢ –

[2] وربما بعض السفيانيين .

الخراساني وكلّها تكون تحت طاعة المهدي ﷺ . راية الخراساني يكون لها الوقع الكبير بعد معركة ضارية ، فيما تخوض راية اليماني معركة اقل ، ومع دخول المهدي ﷺ يهدأ الوضع ، ويستتبّ الأمن ، وتنتهي بقايا العباسيين وربّما السفيانيين أيضاً .

وفي غيبة الطوسي عن عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن أبي جعفر ﷺ – في حديث طويل – قال : [.. يدخل المهدي ﷺ الكوفة .. قد اضطربت بينها .. فيدخل ﷺ .. ويخطب ولا يدري الناس ما يقول من البكاء .. – وهو قول رسول الله ﷺ – : « كأنّي بالحسني والحسيني وقد قادا « فيسلمها إلى الحسيني فيبايعونه ، فإذا كانت الجمعة الثانية قال الناس : يا ابن رسول الله الصلاة خلفك تضامي الصلاة خلف رسول الله ﷺ ، والمسجد لا يسعنا ، فيقول : أنا مرتاد لكم ، فيخرج إلى الغري فيخط مسجدا له ألف باب يسع الناس ، عليه أصيص ، ويبعث فيحفر من خلف قبر الحسين ﷺ لهم نهراً يجري إلى الغريين حتى ينبذ في النجف ويعمل على فوهته قناطر وأرحاء في السبيل ، وكأني بالعجوز وعلى رأسها مكتل فيه بر حتى تطحنه بكربلاء][1] .

النص في داعي التأكيد على انّ أتباع المهدي وشيعته يفدون إليه من كلّ ناحية وصوب ، بما في ذلك أصحاب الرايات التي قاتلت لنصرة الحقّ ، راية الخراساني التي تضم الخراساني والحسني وشعيب بن صالح ، بالإضافة إلى راية اليماني . الحسني والحسيني يدخلان إلى المسجد فيعلنان أمام الملأ البيعةَ الكبرى والولاء المُطلق للمهدي ﷺ بعد طولِ جهاد

---

[1] ص : ٢٨٠

في سبيل الدعوة إلى المهديُّ ﷺ ونصرة أهل الحقّ ورفع قيم الإسلام . النصوص تؤكّد الطابع الوصفي في عاصمة المهدي ﷺ آنذاك ، والتي تقوم على حكومة المسجد ، المسجد الذي يُعاد له المفهوم الذي كان على أيّام رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي ﷺ ، المسجد الذي يُشكّل نواة التجمُّع الديني ..

من هنا فإنّ المهدي ﷺ يبني مسجداً له ألف باب ، إشارة إلى الضخامة التي يكون عليها المسجد من جهة ، والتزاحم البشري الكبير الذي لم تسعه المساجد فكان لا بدّ من إنشاء مسجد ضخم لمحاولة استيعاب ما أمكن من الجموع الموالية التي تزحف من كلّ حدبٍ وصوبٍ لمبايعة المهدي والتشرُّف بلقاءه العظيم .

وقد قال أبو جعفر ﷺ : [.. إذا دخل المهدي ﷺ الكوفة قال الناس : يا ابن رسول الله ، إنّ الصلاة معك تضاهي الصلاة خلف رسول الله ، وهذا المسجد لا يسعنا فيخرج إلى الغري ، فيخطُّ مسجداً له ألف باب يسع الناس ، ويبعث فيجري خلف قبر الحسين ﷺ نهراً يجري إلى الغري ، حتى يجري في النجف ، ويعمل هو على فوهة النهر قناطر وأرحاء في السبيل][1] .

على أنّ الكوفة ستشكّل عاصمة الإمام المهدي ﷺ ومنها سيدير العالم الإسلامي أولاً بأول ، على أن تصبح عاصمة العالم بعد أن يتمّ الفتح الكامل لبقاع الدنيا . وبها تجتمع القيادة السياسيّة الدينيّة اللازمة لإدارة المجتمع العالمي آنذاك .

---

[1] بشارة الإسلام : ص ٢٢٥ ب ٣

فقد روى أبو بكر الحضرمي عن أبي عبد الله[1] عليه السلام قال قلت له : أي بقاع الارض أفضل بعد حرم الله عزّوجلّ وحرم رسوله صلى الله عليه وآله ؟ فقال عليه السلام : الكوفة يا أبا بكر ، هي الزكيّة الطاهرة ، فيها قبورُ النبيين المرسلين وقبور غير المرسلين والأوصياء الصادقين ، وفيها مسجد سهيل (السهلة) الذي لم يبعث اللهُ نبياً إلا وقد صلّى فيه ، ومنها يظهر عدل الله ، وفيها يكون قائمه عليه السلام والقوّام من بعده ، وهي منازل النبيين والاوصياء والصالحين][2] .

النص شديد الوضوح في أنّ الكوفة تشكّل آنذاك قلب العالم ، والمهد الذي يحتوي على أهمّ القيادات التي تكون بين يدي المهدي عليه السلام .. ومعلوم أنّ إدارة العالم تعني تركيزاً شديد الكثرة والنوعيّة في هذه المنطقة التي يدير منها عليه السلام اقاليم العالم تحت كنف دولة الإسلام الواحدة ..

ولا يمنع ذلك من تعيين حكّام للأقاليم ، وترسيخ فكرة اللامركزية الإداريّة مثلاً ، لكنّ العاصمة تعني قلب القرار ، ومرجعيّة المراجع ، والقيمة الأضخم على الإطلاق في مجتمع الدولة التي ينتشر لواءها على كافّة أقاليم الأرض . على أنّ المهدي عليه السلام – قبل أن يستتب له الأمر – يَلقَى من العناء والصعاب الكثير الكثير ، وقد اشارت طائفة من النصوص أنّه يلقى فيي الناس جاهليّةً وعداء أكثر ممّا لقي جدُّهُ النبيُّ صلى الله عليه وآله من قبل . هذا ما تشيرُ إليه طائفة من النصوص ركّزت على القتل وشبه ذلك . أي أنّها تريد أن تقول بأنّ المهدي عليه السلام يتعرّض لجبهات مختلفة ، جبهات عديدة تعلن عليه

---

[1] أو عن أبي جعفر عليه السلام

[2] كامل الزيارات : ص ٣٠ ب ٨ ح ١١

الحرب . وجماعات أخرى تحاول أن تقوم بانقلابات ، فيتعامل معها المهدي ﷺ بما يُبطِلُ أمرها ، ويقاصصها وفق حدود الله لا تأخذه في ذلك لومة لائم .

وقد روى زرارة عن أبي جعفر ﷺ قال : قلتُ له : صالحٌ من الصالحين سمه لي – أريدُ بذلك القائم ﷺ – فقال : [إسمه اسمي (محمّد) قلت : أيسير بسيرة محمّد ﷺ ؟ قال ﷺ : هيهات هيهات يا زرارة ما يسيرُ بسيرته . قلت : جُعلت فداك لِمَ ؟ قال : إنّ رسولَ الله ﷺ سار في أمّته بالمنّ ، كان يتألّفُ الناسَ ، والقائم ﷺ يسير بالقتل ، بذلك أُمِرَ في الكتاب الذي معه أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً . ويلٌ لِمَن ناواه][1] .

أي أنّ المهدي ﷺ يُقيم أحكام الله تعالى اللازمة على القتلة والمجرمين والمستبدّين وأصحاب النهب والفتن والملاحم لا تأخذه في الله لومة لائم ، هذا ما يريد النصُّ التأكيد عليه ..

وفي رواية محمد بن مسلم قال : سمعتُ أبا جعفر ﷺ يقول : [لو يعلم الناسُ ما يصنع القائم ﷺ إذا خرج لأحبّ أكثرهم ألّا يروه ، ممّا يقتُل من الناس . أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف ، ولا يعطيها إلا السيف ، حتى يقول كثيرٌ من الناس : ليس هذا من آل محمد ، ولو كان من آل محمد لرحم][2] . أي أنّ المهدي ﷺ لا يتألّف ، فمَن طغى وبغى وجار عليه إنزال العقاب عاقبه ، لا تأخذه في الله لومةُ لائم . أمّا تخصيص قريش في أوّل الأمر ، لأن دولة السفياني ودولة الحجاز هي أوّل من تعلن

---

[1] النعماني : ص ٢٣١ ب ١٣ ح ١٤

[2] النعماني : ص ٢٣٢ ب ١٣ ح ١٨

الحرب عليه . وتبعث الجيوش في قتل آل محمّد وأتباعهم ، فإذا ألقى المهديُّ القبض على القتلة قتلهم ، أو واجههم في ساحة المعركة ، فيُنزل بهم الجزاء الذي جاء به القرآن وثبت بالسنّة . هذا ما يريد النصُّ أن يقوله .

بل هناك مَن يخرجُ عليه ﷺ من الشيعة ، ويقف في صفّ الجبابرة ، ويدعو إلى قتل المهديّ ﷺ وتركه والخروج عليه ، ويقود الفتن ويأمر بالقتل ، ويستغلّ موقعه في عمليات منحرفة بالتدليس والباطل وشبه ذلك . هذا ما يشيرُ إلى مرسل أبي أبي جعفر محمد بن علي ﷺ قال : [لو قد قام قائمنا ﷺ بدأ بالذين ينتحلون حبّنا فيضرب أعناقهم][1] . أي يبدأ بتلك الفئة الضالّة المُضلّة التي تتقنّع الدِّين وتدّعي أنّها شيعة ، فإذا خرج قالت له : لا حاجة لنا بك يا ابن رسولِ الله ، عُد من حيثُ أتيت . وتقود عمليّة تدعيم جبهات الباطل ، وتنخرط في جبهاتِ الإنحراف والتهويل ..

وفي العديد من النصوص أنّ المهدي ﷺ يخرجُ بعد إياسٍ من الشيعة ، أي يخالط الشكّ يقينَ العديدين منهم ، فمنهم مَن يسخر من فكرة خروج المهدي ، ومنهم مَن يقول : هلك ، في أيِّ وادٍ سلك !! ومنهم مَن يكون مُبرّزاً من أعوان الظالم وأهلِ الباطل والإثم والعدوان ..

وأنّ المهدي ﷺ إذا خرج نادى بالناسِ فيمتنعوا أو بعضهم أوّل الأمر ، فينصرهُ اللهُ تعالى بالملائكة الذين نصر اللهُ بهم رسولَ الله ﷺ من قبل ، ويجتمع عليه ٣١٣ رجلاً ، ثم يجتمع عليه الناس من هنا وهناك ، ويخرج قرب الكعبة ، لا يهرق دماً في بيعتِه ، فلا يستيقظ نائم ، ولا يضطرب مستيقظ ، إشارة إلى الأمن والهدوء الكبير الذي يسيطر على

---

[1] الايضاح : ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩

ظهوره وبيعته ﷺ .. وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر قال : سألته متى يقوم قائمكم ﷺ ؟ قال : [يا أبا الجارود لا تدركون . فقلت : أهل زمانه . فقال ﷺ : ولن تدرك أهل زمانه ، يقومُ قائمنا بالحقّ بعد إياسٍ من الشيعة ، يدعو الناس ثلاثاً فلا يجيبه أحدٌ ، فإذا كان اليوم الرابع تعلّق بأستار الكعبة ، فقال : يا ربِّ انصرني . ودعوتُهُ لا تسقط ، فيقول تبارك وتعالى للملائكة الذين نصروا رسولَ اللهِ يوم بدر ولم يحضُّوا سروجهم ولم يضعوا أسلحتهم ، فيبايعونه ، ثم يبايعه من الناس ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، يسير إلى المدينة فيسير الناسُ حتى يرضى اللهُ عزوجل فيقتل ألفاً وخمسمائة قرشي ليس فيهم إلا فرخ زنية .. ويهدم قصر المدينة . ويسير إلى الكوفة فيخرج منها ستة عشر ألفاً من البترية شاكين في السلاح ، قرّاء القرآن ، فقهاء في الدّين ، قد قرحوا جباههم وسمروا سماماتهم وعمّهُم النفاق ، وكلُّهم يقولون : يا بن فاطمة ارجع لا حاجة لنا فيك ، فيضع السيف فيهم على ظهر النجف عشية الاثنين من العصر إلى العشاء فيقتلهم أسرع من جزر جزور ، فلا يفوت منهم رجل ، ولا يصاب من أصحابه أحد ، دماؤهم قربان إلى الله .

ثم يدخل الكوفة فيقتل مقاتليها حتى يرضى الله . قال : فلم أعقل المعنى فمكثتُ قليلاً ثم قلت : جُعلتُ فداك وما يدريه جعلت فداك متى يرضى الله عزوجل ؟ قال : يا أبا الجارود إنّ الله أوحى إلى أم موسى وهو خيرٌ من أم موسى ، وأوحى الله إلى النّحل وهو خيرٌ من النحل ، فعقلت المذهب ؟ فقال لي : أعقلت المذهب ؟ قلت : نعم . فقال : إنّ القائم ليملك ثلاثمائة وتسع سنين ، كما لبث أصحابُ الكهف في كهفهم ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئَت ظلماً وجوراً ، ويفتح اللهُ عليه شرق الارض وغربها .

يقتل الناس حتى لا يرى إلا دين محمد ﷺ . يسير بسيرة سليمان بن داود ، يدعو الشمس والقمر فيجيبانه ، وتُطوى له الأرض ، فيوحي الله إليه فيعمل بأمر الله][1] .. أي أنّ الإمام عليه السلام يُجابَهُ بقوم خارجين عليه هم في نظر الناس فقهاء علماء ، يقفون في وجهه ، يقولون له : إرجع لا حاجة لنا بك ، وهذا تعبير عن إعلان الإفتراق عنه ، واتّخذوا طريقاً غير طريقه ، وانضووا تحت غير لوائه ، بل في ذيل الفقرات ما يشير إلى إعلانهم الحرب عليه ، فيضع عليه السلام السيفَ فيهم حتى يُهلكَهُم .

مع التأكيد على أنّ الشيعة وفقهاءها وعلماءها يعلنون بتعظيم أمرَ المهدي عليه السلام وولائهم له ، لكنّ قسماً منهم ينجرُّون مع أممٍ منحرفة ، ويندسّون في سمك الحكّام الضالين ، فيناصروهم ويتخرطون في لعبة التضليل فينفون أمرَ المهدي ويحاربوه ، فإذا خرج قالوا : إرجع . أي لا نعترف بك ، لا نؤمن بك ، أنت لستَ المهدي ، المهدي هلك وشبه ذلك .. ويكونون مع قومٍ يعلنون الحرب على المهدي عليه السلام ، بخلاف الشيعة الذين يعلنون ولاءهم للمهدي وتضحيتهم أمامه ، وبذل الجهد العظيم للتوطئة وإعلان أمره عليه السلام[2] ..

وهناك صنفٌ ممّن يكيدون في السرّ ، أو يضمرون الخروجَ على المهدي عليه السلام ، فإذا قام بتنفيذ بعض الأحكام اعترض عليه فئات محددة ،

---

[1] الفضل بن شاذان : - على ما في غيبة الطوسي . * : دلائل الامامة : ص ٢٤٦ - كما في غيبة الطوسي ، مرسلا ، من قوله (إن القائم يمتك ثلاثمائة) .

[2] في المرسل عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال : « إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة ، فيخرج منها بضعة عشر ألفاً يدعون البترية عليهم السلاح . فيقولون له : ارجع من حيث جئت ، فلا حاجة لنا في بني فاطمة ، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم . ثم يدخل الكوفة فيقتل بها كل منافق مرتاب ، ويهدم قصورها ، ويقتل مقاتلها حتى يرضى الله عز وعلا »

تريد بذلك إبطال أمر المهدي ﷺ وتضليل الناس عنه ، فيأمر بإقامة الحدود عليهم . وفي رواية أبي بصير عن أبي جعفر ﷺ : [يقضي القائم بقضايا ينكرها بعض أصحابه ممّن قد ضرب قدامه بالسيف ، وهو قضاء آدم ﷺ ، فيقدمهم فيضرب أعناقهم . ثم يقضي الثانية فينكرها قوم آخرون ممّن قد ضرب قدامه بالسيف وهو قضاء داود ﷺ ، فيقدّمُهُم فيضرب أعناقهم . ثم يقضي الثالثة فينكرها قوم آخرون ممّن قد ضرب قدامه بالسيف ، وهو قضاء إبراهيم ﷺ ، فيقدمهم فيضرب أعناقهم . ثم يقضي الرابعة وهو قضاء محمد ﷺ فلا ينكرها أحد عليه][1] . على انّ هذا النصّ بحاجةٍ إلى عناية خاصّة في بيان مراده ، وفي الحقيقة لا توجد بين أيدينا تفاصيل حول المضامين والظروف ، ما يفوّت علينا معرفة مجريات الأمر وحقائق الحال .. نعم النص يعرض علينا نتاجاً من تلك الفتنة التي يحاول بعضهم تضليل الناس عبرها وإعلان أنّ المهدي ﷺ لا يحكم بالحقّ .. رغم الآيات المعجزات التي تعني ضرورة نزولهم عند حكمه وتسليمهم بذلك تسليماً . وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ . وفي آية أخرى قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ . لكنّ هؤلاء يكونون من الجاحدين أمرَ المهديّ روحي فداه ، منتظرين لأيّ أمرٍ من شأنه أن يشتّت الناسَ من حوله فيعمدون إلى التشهير والإنكار عليه بهدف فضّ الناس عنه ﷺ وإعلان الحرب عليه ..!

---

[1] كتاب الغيبة ، للسيد علي بن عبد الحميد : - على ما في البحار . * : البحار : ج ٥٢ ص ٣٨٩ ب ٢٧ ح ٢٠٧

انّ المهدي إذا خرج عاقب قوماً كانوا يتولّون أمر الكعبة فلم يرعوا حقّها

تشير طائفةٌ من الروايات أنّ المهدي ﷺ إذا خرج في مكّة أقام حدّاً على قومٍ كانوا يتّخذونَها متاعاً ومنفعةً ، وتزلُّفاً إلى الدنيا ، ومغنماً لهم على حساب الحقوق الربّانيّة وتوابعها . ففي رواية سدير الصيرفي عن رجلٍ من أهل الجزيرة كان قد جعل على نفسه نذراً في جاريةٍ وجاء بها إلى مكة ، قال : فلقيتُ الحجبةَ فأخبرتهم بخبرها وجعلت لا أذكر لأحد منهم أمرها إلا قال لي جئني بها ، وقد وفى اللهُ نذرك . فدخلني من ذلك وحشة شديدة ، فذكرت ذلك لرجلٍ من أصحابنا من أهل مكة ، فقال لي : تأخذ عنّي ؟ فقلت : نعم ، فقال : انظر الرجلَ الذي يجلس بحذاء الحجر الأسود وحوله الناس ، وهو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ﷺ ، فأته فأخبرهُ بهذا الأمر ، فانظر ما يقول لك فاعمل به .

قال فأتيته فقلت : رحمكَ اللهُ ، إنّي رجلٌ من أهل الجزيرة ومعي جارية جعلتها عليّ نذراً لبيت الله في يمينٍ كانت عليّ ، وقد أتيتُ بها وذكرتُ ذلك للحجبة ، وأقبلت لا ألقى منهم أحداً إلا قال : جئني بها ، وقد وفى اللهُ نذرك . فدخلني من ذلك وحشة شديدة ؟

فقال ﷺ : [يا عبد الله ، إنّ البيتَ لا يأكل ولا يشرب ، فَبِعْ جاريتك واستقصِ ، وانظر أهل بلادك ممّن حجّ هذا البيت فمَن عَجِزَ منهم عن نفقته

فأعطه حتى يقوى على العود إلى بلادهم . قال : ففعلتُ ذلك ثم أقبلت لا ألقى أحداً مِن الحجبة إلا قال ما فعلتَ بالجارية ؟ فأخبرتهم بالذي قال أبو جعفر عليه السلام . فيقولون : هو كذّابٌ جاهلٌ لا يدري ما يقول .

فذكرت مقالتهم لأبي جعفر عليه السلام فقال : قد بلغتني ، تُبلّغ عني ؟ فقلت : نعم ، فقال عليه السلام : قل لهم قال لكم أبو جعفر : كيف بكم لو قد قُطّعَت أيديكم وأرجلكم وعلّقَت في الكعبة ، ثم يقال لكم : نادوا نحن سرّاق الكعبة . فلمّا ذهبت لأقوم قال : إنني لست أنا أفعل ذلك ، وإنما يفعله رجل مني [1] ..

تأكيداً منه عليه السلام أنّ الذي يفعل ذلك مِن تقطيع أيديهم وإنزال العقاب بهم هو غيره ، أي الإمام المهدي عليه السلام . وقد ورد في طائفة بوضوح أنّ الذي يقيم الحدود على هؤلاء هو المهدي عليه السلام ، ففي رواية بشير بن أبي أراكة النبال [2] قال : لما قدمت المدينة انتهيتُ إلى منزل أبي جعفر الباقر عليه السلام ، فإذا أنا ببغلته مسرّجة بالباب ، فجلستُ حيال الدار ، فخرج فسلّمتُ عليه ، فنزل عن البغلة وأقبل نحوي فقال : « ممّن الرجل ؟ فقلتُ : مِن أهل العراق . قال مِن أيّهَا ؟ قلتُ : مِن أهل الكوفة . فقال : مَن صحبك في هذا الطريق ؟ قلتُ : قومٌ مِن المحدثة . فقال : وما المحدثة ؟ قلت : المرجئة . فقال : ويحٌ هذه المرجئة إلى مَن يلجؤون غداً إذا قام قائمنا عليه السلام ؟

قلت : إنّهم يقولون : لو قد كان ذلك كُنّا وأنتم في العدل سواء . فقال عليه السلام : مَن تاب تابَ اللهُ عليه ، ومن أسرّ نفاقاً فلا يبعد الله غيره ، ومَن أظهر شيئاً أهرق اللهُ دَمَه . ثم قال عليه السلام : يذبحهم والذي نفسي بيده كما يذبح

---

[1] * ٨٤٢ – المصادر : / صفحة ٣٠٥ / ؛ النعماني : ص ٢٣٦ ب ١٣ ح ٢٥

[2] – ولفظ الحديث على رواية ابن عقدة –

القصّابُ شاتَهُ – وأومأ بيده إلى حلقه – قلت : إنَّهُم يقولون : إنَّه إذا كان ذلك استقامت له الامور فلا يهريق محجمة دم ، فقال ﷺ : كلّا ، والذي نفسي بيده حتى نمسح وأنتم العرق والعلق – وأومأ بيده إلى جبهته [1] .

أي أنَّ المهدي ﷺ إذا خرج أقام الحدَّ على هؤلاء القوم ، ومَن تبعهم من المُحدثة وأتباعهم ومَن هو من أصنافهم . فيكون هذا من باب ضميمة البيان التفصيلي الوصفي إلى ما سبق .

وهناك بعض النصوص تشير إلى معاملة المهدي ﷺ مع النواصب معاملة أهل الذمّة ، والنواصب هم فئة تنصب العداء لأهل بيت النبيّ ﷺ . وفي رواية سلام بن المستنير قال : سمعت أبا جعفر ﷺ يحدث : [إذا قام القائم عرض الايمان على كلّ ناصب ، فإنْ دخل فيه بحقيقة وإلا ضرب عنقه أو يؤدي الجزية كما يؤدّيها اليوم أهلُ الذمة ، ويشد على وسطه الهميان ، ويخرجهم من الامصار إلى السواد][2] . والناصبي هو مَن أعلن العداء لأهل البيت ﷺ ، وعمل على هدم أمرهم وجاهر ببغضه وعداءه لهم ، أو أعلن العداء للشيعة من جهة أنّهم أتباع أهل البيت ﷺ فحلّل دمهم ومالهم وعرضهم وشبه ذلك ﷺ ..

---

[1] النعماني : ص ٢٨٢ ب ١٥ ح ١ – وفي ص ٢٨٤ ب ١٥ ح ٢ عن بشير النبّال قال : قدمت المدينة : – وذكر مثله ، وفيه : فقدمت المدينة فلقيت لابي جعفر عليه السلام : إنهم يقولون إن المهدي لو قام لاستقامت له الامور عفوا ولا يهريق محجمة دم فقال : كلا والذي نفسي بيده لو استقامت لاحد عفوا لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله ، حين أدميت رباعيته ، وشج في وجهه . كلا والذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق ، ثم مسح جبهته).

[2] الكافي : ج ٨ ص ٢٢٧ ح ٢٨٨ .

المهدي هو المنتقم من أعداء الله تعالى

تركّز طائفة من النصوص أنّ المهدي عليه السلام فيه صفات متعدّدة ، منها إقامة أمر الله ، وإعلان واحدة من مفاصل تطبيق شريعة الله على أرض الله كلّها ، بالإضافة إلى هذه العناوين هناك صفات في القائم عليه السلام وردت في النصوص منها أنه الطالب بالثأر ، ثأر أهل البيت ، وبالأخص : ثأر الإمام الحسين عليه السلام ، وهذا واحد من معاني ما يجابه الإمام المهدي عليه السلام الذي يقاتله قومٌ مسمّيتون مع السفياني الذين يعلنون البغضاء الكبرى في وجه عليه السلام .

ففي رواية أبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : يا بن رسول الله ، لِمَ سُمّي علي عليه السلام أمير المؤمنين وهو اسم ما سُمّي به أحدٌ قبله ولا يحلّ لأحد بعده ؟ قال عليه السلام : [لأنّه ميرة العلم ، يمتار منه ولا يمتار من أحد غيره . فقلت : يا بن رسول الله ، فلِمَ سُمّي سيفه ذا الفقار ؟ فقال عليه السلام : لأنّهُ ما ضرب به أحد من خلق الله إلا أفقره من هذه الدنيا من أهله وولده ، وأفقره في الآخرة من الجنة . فقلت : يا بن رسول الله ، فلستم كلّكم قائمين بالحق ؟ قال عليه السلام : بلى . قلت : فلِمَ سُمّي القائم عليه السلام قائماً ؟ قال : لمّا قُتِلَ جدّي الحسين عليه السلام ضجّت عليه الملائكة إلى الله تعالى بالبكاء والنحيب ، وقالوا : إلهنا وسيّدنا ، أتغفل عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك ؟ فأوحى الله عزّوجلّ إليهم : قرّوا ملائكتي ، فوعزّتي وجلالي لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين . ثم

كشف الله عزوجل عن الائمة من ولد الحسين ﷺ للملائكة فسرّت الملائكةُ بذلك ، فإذا أحدهم قائم يُصلّي ، فقال الله عزوجل : بذلك القائم أنتقم منهم][1] .

ويبدو من النصوص أنّ قوماً يُعلنون جهراً أنّهم ضدّ المهدي إبن بنت رسول الله ﷺ ، وأنّهم يقاتلون على رايات أجدادهم ، وضمن منحنى ومفاهيم شديد التصادم مع أمر المهدي وإعلاناته ﷺ .. وفي الروايات خريطة شديدة التنوُّع حول الجبهات والفتن والصدامات ، والبارز منها عدّة ، والأسماء والصفات متنوّعة ، وهي تشير إلى نتائج صدامات أو عناوين تتشكّل جبهات ، لكنّها لا تشير إلى التفاصيل والأفعال الكثيفة قبل وأثناء وبعد الحرب ، نعم تشير إلى نتائج مختصرة ، تؤكّد على طابع المعركة المتعددة ، المتنوعة ، والأمم المتصادمة هنا وهناك ، على أن يكون من بين تلك الأمم أمةٌ تعلن انتصارها للواء السفيانيين وتجاهر بحربها ضدّ المهدي ابن بنت رسول الله ﷺ وتفتخر بمناقب الماضين من السفيانيين الذين قتلوا الحسين ﷺ ، وتعلن حربها الشعواء على المهدي ﷺ حتى قبل أن يكتمل جيشه ﷺ ، ويكون إعلان حرب السفياني إبتدائياً ، بل في بعض النصوص أنّه يمثّل ثكنة متقدّمة للنصارى الروم الذين يدعمونه لقتال المهدي وتخريب أي منظومة جديدة يمكن أن تساعد المهدي ﷺ في هذه المنطقة من العالم ..

وفي طائفة أخرى إشارة إلى تقويم وتصحيح عمراني يقوم به المهديُّ ﷺ في خصوص بيوت العبادة ، بالإضافة إلى تنظيم يتّصل

---

[1] علل الشرايع : صـ ١٦٠ ب ١٢٩ ح ١

بضرورات النظام العام وحاجة الجماعة والإجتماع ، وإبطال التعدّي وشبه ذلك ، فقد ورد في المرسل عن أبي جعفر : [.. إذا قام القائم ﷺ سار إلى الكوفة فهدم بها أربعة مساجد ، ولم يبق مسجدٌ على وجه الارض له شرف إلا هدمها وجعلها جماء ، ووسّع الطريق الأعظم ، وكسر كلّ جناح خارج في الطريق ، وأبطل الكنف والميازيب (المزاريب) إلى الطرقات ، ولا يترك بدعةً إلا أزالها ، ولا سنّةً إلا أقامها ، ويفتح قسطنطينية والصين وجبال الديلم . فيمكث على ذلك سبع سنين كلّ سنة عشر سنين من سنينكم هذه ، ثم يفعل الله ما يشاء .

فقال الرواي : جعلت فداك فكيف يطول السنين ؟ قال : يأمر الله تعالى الفلك باللبوث وقلّة الحركة فتطول الأيّام لذلك والسنون . (قانون استعارة له وجه محدّدة في الإستعمال أو وارد على أصله لبيان أمر معجز) .

قال قلت له : إنّهم يقولون : إنّ الفلك إنْ تغيّر فسد ، قال : ذلك قول الزنادقة ، فأمّا المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك ، وقد شقّ الله تعالى القمر لنبيه ﷺ ، وردّ الشمس من قبله ليوشع بن نون ﷺ ، وأخبر بطول يوم القيامة وأنه كألف سنة ممّا تعدّون][1] ..

---

[1] الفضل بن شاذان : - على ما في سند غيبة الطوسي . * : الفقيه : ج ١ ص ٢٣٤ ح ٧٠٦ - مرسلا عن أبي جعفر عليه السلام : - وفيه (أول ما يبدأ به قائمنا سقوف المساجد فيكسرها ، ويأمر بها فيجعل عريشا كعريش موسى) . عن أبي بصير - تمّ الإختصار منه - قال : - (إذا قام القائم عليه السلام دخل الكوفة وأمر بهدم المساجد الاربعة حتى يبلغ أساسها ويصيرها عريشا كعريش موسى ، وتكون المساجد كلها جماء لا شرف لها كما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويوسع الطريق الاعظم فيصير ستين ذراعا ، ويهدم كل مسجد على الطريق ، ويسد كل كوة إلى الطريق وكل جناح وكنيف وميزاب إلى الطريق ، ويأمر الله الفلك في زمانه فيبطئ في دوره حتى يكون اليوم في أيامه كعشرة من أيامكم ،

في هذا النص تأكيد على أمورٍ عدّة ، منها : شمول حكم المهدي ﷺ للأرض ، منع التعدّي وإصلاحه ، إبطال مظاهر العبادة المبتدعة أو عناوينها الخارجة على السنّة ، إبطال مظاهر البدع بمختلف أساليبها حتى الإشارات العمرانيّة أو القيم السلوكيّة الخارجة على الشرع ، ثم إعلان السنّة فريضةً علنيّةً وقيمةً لازمةً ضمن حدودها ووظائفها وما نزلت به وقامت عليه ، فلا يدع سنّةً إلا أقامها ، ويخوض مجموعة واسعة من الحروب التي تشكّل مظهراً من مظاهر الجبهات ، وعنواناً شديد التعقيد من ظروف آخر الزمن ، في ظلّ محاور مختلفة ، وأمم متنوّعة ، ورايات حرب متكثّرة ، وبسط غلو كبير في اعتماد الأمم المنحرفة على لغة الحرب وقرع طبول النار والدمار وغزو الأمم وحلّ الأزمات عن طريق العنف وآلة الحديد والحرب ، ويكون على أثر جبهات مختلفة : دبلوماسيّة وسياسيّة وإعلاميّة تُكوِّن جبهات وتكتُّل أنماط صراع ، تتجلّى فيها بأكثر من ناحيةٍ وجهة جبهة حرب ، ويخوض المهدي ﷺ جبهة حرب متنوّعة ، وهو ﷺ الذي يُواجَه بحروبٍ متسارعة من قبل أعدائه بهدف القضاء على حركته في مهدها ، إلا انّ الله تعالى ينصره ، ويصبح العنوان المركزي في سِكَك الأرض وبقاعها ، والسمة الأكبر ، والقوّة الأكثر تماسكاً وتأثيراً إلى أن يعمّ حكمه كلّ الأرض ، ويفتح فيما يفتح الصين وجبال الديلم والقسطنطينيّة ، وهي تعابير يُراد منها الإشارة إلى جبهات عدائيّة ، روميّة وغيرها تقف في وجه مشروع

والشهر كعشرة أشهر والسنة كعشر سنين من سنيكم ، ثم لا يلبث إلا قليلا حتى يخرج عليه سارقة الموالي بزميلة الدسكرة عشرة آلاف شعارهم : يا عثمان يا عثمان ، فيدعو رجلا من الموالي فيقلده سيفه فيخرج إليهم فيقتلهم حتى لا يبقى منهم أحد ، ثم يتوجه إلى كابل شاه وهي مدينة لم يفتحها أحد قط غيره فيفتحها ، ثم يتوجه إلى الكوفة فينزلها وتكون داره ، ويبعث سبعين قبيلة من قبائل العرب ، وفي خبر آخر : يفتح قسطنطينية والرومية وبلاد الصين . : روضة الواعظين : ج ٢ صد ٢٦٤

المهدي عليه السلام .. ثم يشير ذيل النص إلى أنّ المهدي عليه السلام يمكث على ذلك سبع سنين ، لكنّ هذه السنين مختلفة من حيث الكم الزمني ، أي على خلاف السنة التي عندكم لأمرٍ ما ، هل هو اختلاف في اليوم والليلة أو عوامل التحكم بالزمان والمكان ، أو طبيعة البقاع أو ظاهرة كونيّة مختلفة ، كلُّ الأمور ممكنة . فالنص واضح في أنّ كل سنة تساوي عشر سنين من سنيننا ، أي تفوق الكم الزمني المعهود عندنا ، ثم يؤكّد عليه السلام أنّ هذا الأمر ممكن كونيّاً بل سيقع . وربّما يُفهم من النص أنّ ذلك يحصل بإعجاز رباني ، خاصّةً أنّ المعصوم عليه السلام اشار إلى شق القمر للنبيّ صلى الله عليه وآله ، وتجدرُ الإشارةُ إلى انّ الكم الزمني يختلف من كوكبنا إلى غيره من الكواكب ، وهذا الكلام أصبح اليوم من الأمور البديهيّة في علم الفلك بخلاف تلك الأزمان السابقة التي لم يكن فيها أي شيئ من الفتوحات الفلكيّة سوى التنبّؤات الحقانيّة التي كشف الزمن دقّتها . لكن كيف ..؟ واين ..؟ وضمن أي ظروف ..؟ وفي أيّ تطوُّر ..؟ وضمن أي بقاع ..؟ وهل المستوى إعجازي بالغ أم تطوّر بشري استثماري لتكنولوجيا ما ..؟ كلُّ هذه العناوين ممكنة ..

مع التأكيد على أنّ موضوع الإختلاف بالكم الزمني أمر شديد البداهة في الكتاب الديني الإسلامي ، فقد قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ، وفي سورة أخرى قال تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ، والأمر في التجربة والفتوحات البشريّة اصبح من الأمور شديدة البديهيّة ، فالإختلاف الكمّي للزمن أمر واقع وفعلي ودقيق وصحيح ومثير ، أصبح من الأمور الحسيّة التي عاينها البشر بأكثر من صيغة في أكثر من جانب

كوكبي وكوني . ثمّ إذا كان الأمر من ناحية إعجاز رباني فالأمر بغاية البساطة . ويبدو من طائفة من النصوص أنّ مجموعة من الإعجازات تقع زمن المهدي عليه السلام ..

ويبدو من طائفة أخرى أنّ طبيعة المعارك تكون معقّدة ، نعم كُنه وحقائق الظروف والصورة الترابطية التفصيلية والهيكل التطبيقي للحركة العامّة للأمم آنذاك والتي هي بطبيعة الحال متداخلة وغزيرة وكثيفة غير واضحة في شكلها النهائي لنا عبر النصوص ، لكنّ النصوص تشير إلى المفاصل والنتائج ، إلى العناوين العامّة للحركة المهدويّة وانتصاراتها ، وبهذا يفوتنا عامل الزمان وحدوده والدور الوظيفي للمشروع السياسي والإجراء الدبلوماسي والفكر التواصلي بين الأمم : كيف ، وضمن أي ظروف ، وأي إجراءات وأي تعقيد ، لكنّ النتاج العام واضح في الروايات بالإضافة إلى جملة تفاصيل .

من هنا لا بدّ من الحذر في الفهم التفسيري بهدف منع السقوط في عقدة المتن الحرفي الضيّق في بعض المتون ، لأنّ الكلمة وظيفتها الإشارة إلى معانٍ غزيرة ذات عمق حركي للجبهات والأمم والتعقيدات المختلفة ، دون ربط تفصيلي في ملحقات تامّة ، على نحو الأنباء ومظاهرها . هذا قانون بيان المستقبل ..

مثلاً في موضع السفياني تشير طائفة إلى انّ السفياني يستسلم على أثر جيش المهدي الذي يمتاز بتماسك قوي وعلامات قوّة تدفع السفياني للنزول على أمر المهدي عليه السلام أوّل الأمر ، ثمّ محاولة الإنقلاب على الطاعة عبر خلعها ، ثم يشير النص إلى تقليب الكلبيين وهم نواة قيادة

السفياني بهدف الإنقضاض على دولة المهدي ﷺ ، بل على رأس الحكم في المشروع الإسلامي الذي يقودهُ المهدي ﷺ ، ويعيّرونه أنّه خلع قميصاً ألبسه إياهُ الله ، يريدون من ذلك خلع العزّة ولبس الذلّ .

النص يشير إلى ذلك بعبارات مختصرة ، تركّز على موضوع انهزامه في الشام ، وتسليمه بالطاعة في إيلياء القدس حسب بعض النصوص . ثمّ محاولته الإنقلاب ليبدأ من جديد مشروع الإنقضاض عبر بعض جندهِ الكامن في الشام . ففي رواية أبو زرعة عن محمد بن علي قال : [.. إذا سمع العائذ (المهدي) الذي بمكة بالخسف (الخسف بجيش السفياني) ، خرج مع اثني عشر ألفاً ، فيهم الأبدال حتى ينزلوا إيليا (القدس) ، فيقول الذي بعث الجيش (السفياني) حين يبلغه الخبر بإيليا : لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة ، بعثتُ إليه ما بعثتُ فساخوا في الأرض ، إنّ هذا لعبرة وبصيرة . ويؤدّي إليه السفياني الطاعة ، ثم يخرج حتى يلقى كلباً وهم أخواله فيُعيّرونهُ بما صنع ويقولون : كساك اللهُ قميصاً فخلعته ، فيقول : ما ترون أستقيله البيعة ؟ فيقولون : نعم . فيأتيه إلى إيليا فيقول : أقلني ، فيقول : إني غير فاعل ، فيقول : بلى ، فيقول له أتحب أن أقيلك فيقول : نعم ، فيقيله ، ثم يقول : هذا رجل قد خلع طاعتي فيأمر به عند ذلك فيذبح على بلاطة إيليا . ثم يسير إلى كلب فينهبهم فالخائب من خاب يوم نهب كلب][1] . النص يشير إلى تحوّل كبير في أوّل معركة ، ويكون ذلك حسب نصوص أخرى على أثر انهزام عنيف يصيب جيش السفياني ، بل

---

[1] ابن حماد : ص ٩٥ وقال (أخرجه الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن من طرق كثيرة ، وفي بعضها قال : يسبقه حتى يترك إيليا ، ويتابعه الآخر فرقاً منه ، ثم يندم فيستقيله ، ثم يأمر بقتله وقتل من أمره بالغدر) .

في غيرها تقع حرب عنيفة بين جيش السفياني وجيش المهدي ينتصر على أثرهُ جيش المهدي ﷺ ، ولا ندري في أي ظرفٍ يؤدّي السفياني الطاعة . وهل هي طاعة أم تكتيك وخوف . يبدو من بعض النصوص م ي إلا تكتيك وقرع ، على انّ الصورة في واقعها مشبّعة بتعقيداتٍ متواد تؤدّي إلى ما تؤدّي إليه ، والنص يختصرها في إشاراتٍ متينة ، وتعد لائقة بتلقين الأمم صورة مختصرة عن معالم الزمن الذي يخرج به المهدي ﷺ ويلاقي الجبهات وتكون فيها الإنتصارات محققّة في جانبه ﷺ .

لكنّ طائفة أخرى تجيد التعبير عن حلقةٍ ذات ربط وظيفي في واحد من التحوّلات فتؤكّد انّ السفياني يقود مشروع انقلابي ، وبخصوص حركة في وجه جيش المهدي الهدف منه الإنقضاض على المهدي وهزيمة وقتله فيفشل وعلى الأثر يُذبح . وتكون المعركة في طبريّة ، وهي في ناحية من نواحي الشام المعهودة تاريخيّاً صوب فلسطين . ففي الرواية عن أبي جعفر ﷺ قال : [يهزم المهديُّ ﷺ السفياني وجيشه ويقتلهم أجمعين ، ويذبح السفياني تحت شجرةٍ أغصانُها مُدلّاة في بحيرة طبريّة عن يلي الشام][1] .

وفي لفظٍ آخر قال أبو جعفر ﷺ : [المهدي والسفياني وكلب يقتتلون في بيت المقدس حين يستقيله البيعة ، فيؤتى بالسفياني أسيراً ، فيأمرُ به فيُذبح على باب الرحبة ، ثم تُباع .. غنائمهم على درج دمشق][2] .

---

[1] كتاب الفضل بن شاذان : – على ما في البحار . » : منتخب الانوار المضيئة : صـ ١٩٢ ف ٢ ... وبإسناده إلى السيد علي بن عبد الحميد في كتاب الغيبة) عن أبي جعفر عليه السلام قال (يهزم المهدي عليه السلام السفياني تحت شجرة أغصانها مدلاة في الحيرة طويلة) . .

[2] ابن حماد : صـ ٩٦ .

هذا يعني بيان صُوَر متنوّعة للسفياني . السفياني الذي يبعث الجيوش للقضاء على حركة الإمام المهدي في الحجاز ، ثم يبعث الجيوش على العراق ، ويقتل الناس في الشام وغيرها ، ويخوض معارك عنيفة في قرقيسيا وغيرها ، ويستولي على مناطق ذات اثر بالغ في كنوزها الباطنيّة من معادن وجواهر وغيرها ، يخضع لقانون التحوّلات الضخم الذي يحيله مهزوماً جداً بعد الخسف الذي يطال جيشهُ المتوجّه لدخول مكّة ، ثم انهزام أمام جيش المهدي الخارج من الحجاز ، ثمّ محاولة طاعنة تكتيكيّة ، ثمّ انقلاب دموي ومعركة عنيفة تنتهي بذبح السفياني ..

وهنالك نص يصبُّ في هذا السياق ، وهو أكثر تفصيلاً من حيث مضمون الأثر الذي يقع بعد مقتل السفياني ، فيشير أنّه مع ذبح السفياني يعقد القائم ﷺ ثلاث رايات : لواء إلى القسطنطينية يفتح الله له ، ولواء إلى الصين فيفتح له ، ولواء إلى جبال الديلم فيفتح له . ويكون عقد الألوية هذه ، من تلك المنطقة ، أي من طبريّة ، أو أرض فلسطين ، وبصورةٍ عامّة من أطراف الشام ..

ففي نص جابر بن يزيد عن أبي جعفر ﷺ قال : [إذا بلغ السفياني أنّ القائم قد توجّه إليه من ناحية الكوفة يتجرد بخيله حتى يلقى القائم ، فيخرج فيقول : أخرجوا إلي ابن عمي ! فيخرج عليه السفياني فيكلمه القائم ﷺ فيجئ السفياني فيبايعه ، ثم ينصرف إلى أصحابه (الكلبيين) فيقولون له : ما صنعت ؟ فيقول : أسلمت وبايعت ، فيقولون له : قبّحَ اللهُ رأيك بين ما أنت خليفة متبوع فصرت تابعاً ! فيستقيله فيقاتله ثم يمسون تلك الليلة ثم يصبحون للقائم ﷺ بالحرب فيقتتلون يومهم ذلك ، ثم إن الله تعالى يمنع القائم وأصحابه أكتافهم فيقتلونهم حتى يفنوهم ، حتى أن

الرجل يختفي في الشجرة والحجرة فتقول الشجرة والحجرة : يا مؤمن هذا رجل كافر فاقتله فيقتله ، قال : فتشبع السباع والطيور من لحومهم ، فيقيم بها القائم ﷺ ما شاء ، قال : ثم يعقد بها القائم ﷺ ثلاث رايات : لواء إلى القسطنطينية يفتح الله له ، ولواء إلى الصين فيفتح له ، ولواء إلى جبال الديلم فيفتح له [1].

وهناك نصٌ يشير بشكلٍ لائقٍ وهام إلى موضوع المهدي ﷺ والخراسانيين الذين يقاتلون السفياني ، ويتضمّن إشارات توضيحيّة حول الربط المتناسقي بين الأحداث في تلك الجبهات التي تعانق بعضها في حربٍ ضروس ..

فقد روى جابر عن أبي جعفر قال : [يبعثُ السفياني جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد ، فيبلغه فزعة من وراء النهر من أهل خراسان ، فيقتل أهل المشرق عليهم قتلاً ويذهب جهم . فإذا بلغه ذلك بعث جيشاً عظيماً إلى إصطخر ، عليهم رجلٌ من بني أمية ، فتكون لهم وقعة بقومش ، ووقعةٌ بدولات الري ، ووقعة بتخوم زرع ، فعند ذلك يأمرُ السفياني بقتل أهل الكوفة وأهل المدينة ، وعند ذلك تُقبلُ الرايات السود من خراسان على جميعِ النّاسِ شابٌ من بني هاشم (الزعيم السياسي) بكفّهِ اليُمنى خال (علامة) ، يسهّلُ اللهُ أمره وطريقه ، ثم تكون له وقعة بتخوم خراسان ، ويسير الهاشمي في طريق الريّ فيسرح رجلاً من بني تميم (قائد عسكري) من الموالي ، يقال له « شعيب بن صالح » إلى إصطخر إلى الاموي ، فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء اصطخر ، فتكون بينهما

---

[1] الغيبة (السيد علي بن عبد الحميد) : – على ما في البحار ـ ه : البحار : ج ٥٢ ص ٣٥٨ ب ٢٧ ح ٢٠٦

ملحمة عظيمة حتى تطأ الخيل الدماء إلى أرصاغها ، ثم تأتيه جنود من سجستان عظيمة عليهم رجل من بني عدي ، فيُظهِرُ اللهُ أنصارَهُ وجنوده ، ثم تكون وقعةٌ بالمدائن بعد وقعتي الري ، وفي عاقر قوفا وقعة صيلميَّة يخبر عنها كلُّ ناجٍ . ثم يكون بعدها ذبحٌ عظيم بباكل ، ووقعة في أرض من أرض نصيبين ، ثم يخرج على الاخوص قومٌ من سوادهم ، وهم العصب (عصائب العراق) ، عامتهم من الكوفة والبصرة حتى يستنقذوا ما في يديه من سبي كوفان [1] .

أهميَّة هذا النص أنّه ناظر إلى أكثر من جهةٍ في معركة السفياني وتمدّده وطموحاته الميدانيَّة ومشاريعه القتاليَّة ، ويخصّ منها بالذكر مشروعه الإستراتيجي في القضاء على آل محمّد وأتباعهم ، فهو يخطّط لقتل أهل المشرق وإضعافهم ، ويعمل على قهرهم ما أمكن ، ويبث جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد . ويرى فيما رواء النهر وما يشكّله أهل المشرق مشكلةً في آفاق أمنه الطموح ومشاريعه المذهبيّة الخارجة على كلّ القيم من دينٍ وفطرة سليمة ، لذلك يهمّه أن يبعث الجنود في الآفاق ، وتقع على الأثر أكثر من وقعة : في موصل ، ودولات الري وتخوم زرع ، وعلى الأثر يأمر بقتل أهل الكوفة أي شيعة آل محمّد ، وأهل الناحية هناك ، يأمر بقتلهم كما يأمر بقتل أهل المدينة أي الشيعة وآل محمّد الموجودين في المدينة ، وعلى الأثر يشكّل جيشاً وظيفتُهُ إتمام هذه المهمة تحت هذا الهدف . فإذا فعل ذلك ، نهض إليه جيش خراسان حامل الرايات السود يقودهُ رجلٌ من نسل الرسول ، وتكون وقعة في تخوم خراسان ، ثم يسير الهاشمي بين يديه قائد عسكري من بني تميم في طريق الري ويسرّع

---

[1] ابن حماد : ص ٨٦

القميمي شعيب بن صالح إلى إصطخر ، ليقاتل الأموي ، ويشير النص انّ الهاشمي يلتقي مع المهدي في وجه الأموي ببيضاء اصطخر ، وتكون معركة عنيفة جداً ، معركة هائلة ، تتصادم فيها الجيهات على نحوٍ كبير ، فتنتصر فيها جبهة المهدي ﷺ ، معركة تمزّق جيش السفياني ، يندهش من آثارها السفياني . ثم تكون وقعة في المدائن بعد وقعتي الري ، واللافت انّ وقعة ضخمة تقع في عاقر قوفا وتكون من الحدّة والعنف ان وصفها النص بوقعة صيلميّة ، يخبر عنها كلُّ ناجٍ لشدّة القتال والعنف والنار والموت الذي يقع ، ثم يتسلسل عالم الوقعات والمطاحنات ، فيكون بعد تلك الوقعة الصيلميّة ذبحٌ عظيمٌ في باكل ، ووقعة في أرض من اراضي نصّيبين ، إلى أن يخرج على السفياني قومٌ من عصائب العراق يكمنون لجيش السفياني ، عامّتُهم من الكوفة والبصرة يستنقذون ما في يدي جيش السفياني من سبي وغنائم ، دلالةٌ على الهزيمة التي تصيب السفياني . لحن بعض النصوص يؤكّد أن جيش الخراساني أيضاً يكمن للسفياني ويقضُّ عليه ، وهذا يعني انّ هذه الجماعة تكون تابعة للجيش الخراساني أو موالية له أو مُأتمِرَة بأمرهِ وضمن الرعاية الولائيّة للقيادة في خراسان ..

وبذلك تبدأ مرحلة الإنهيار الذي يصيب جيش السفياني في العراق . وعلى الجهة الثانية يتابع الجيش الخراساني زحفه نحو العراق ، فيخوض معركة شديدة العنف ، معركة ضارية ، لا يكلُّ منها إلى أن يفتح العراق ومنها يبعث البيعة للمهدي ﷺ .

بعض النصوص تشير إلى مشاركة اليماني في فتح العراق . نعم المعركة الطاحنة تكون على يد الخراسانيين الذين يفتحون العراق بصلابة عظيمة ، حيث يُواجهون الحشد الأكبر من ناحيتهم .

شمول دولة المهدي ﷺ كل العالم

تشير النصوص انّ المهدي ﷺ يخرج والروم أكثر الناس . وتقع وقعات بينه وبين الروم تنتهي بهدنة تخون بها الروم فتقع الحرب بينهما وبينه ﷺ إلى أن يفتح بلادها ، لكنّه مع فتح بلاد الروم يُواجه جبهات أخرى ، ينتصر على أثرها بعد مسيرة مختلفة من الحروب والعمل الدؤوب والقيادة السياسيّة ..

على أنّ بعض الروايات تشير إلى أنّ الروم يفتحون عاصمتهم لأصحاب المهدي ﷺ دون حرب . وهي بطبيعة الحال غير موافقة للحسن مجموعة من النصوص ، فلا بدّ من تأويلها على نحوٍ من مواجهة خاصّة أو ظرفٍ خاص ، لأنّه يبدو واضحاً من النصوص أنّ مواجهاتٍ تقع بين الروم وبين جبهة المهدي ﷺ ، تنتهي بفتح عاصمة القرار الرومي . كما في رواية محمد بن جعفر بن محمد ﷺ عن أبيه ﷺ قال : [إذا قام القائم ﷺ بعث في أقاليم الارض ، في كلّ إقليم رجلاً يقول : عهدك في كفّك ، فإذا ورد عليك أمرٌ لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفّك ، واعمل بما فيها . قال : ويبعث جنداً إلى القسطنطينية ، فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً ومشوا على الماء ، فإذا نظر إليهم الروم يمشون على الماء ، قالوا : هؤلاء أصحابه يمشون على الماء ، فكيف هو ؟ فعند ذلك يفتحون لهم

أبواب المدينة ، فيدخلونها ، فيحكمون فيها ما يشاؤون][1] . ما أشار إليه النص لا يوافق مجموعة واسعة من النصوص تقول بوقوع الحرب بين المهدي ﷺ والروم . وانّ آخر تلك المعارك تكون في عقر الروم ، في عاصمتهم . إلا أن يُراد من ذيل هذا النص شيئ آخر . وقد ورد أنّ الروم أول الأمر تنزل على طاعته بعد سلسلة من المعارك ، فإذا جاء النداء بظهور الدجّال وعاد قسم كبير من جيش المسلمين انقلبت الروم وقتلت ما بقي من جيش المسلمين ، ثم تقع المعركة الأعنف التي يُطلق عليها إسم الملحمة حيث يفتح المهدي ﷺ على أثرها عاصمة الروم ، أي الغرب المسيحي .

فإذا قضى على جبهة الروم بقي أمامه مجموع جبهات يبدو ظاهراً انّ جبهة الدجّال من أقواها[2] ، فإذا انتصر المهدي ﷺ عليها ، ثم خرج الياجوجيُّون وقُتلوا جميعاً .. نشر المهدي ﷺ راية السلام والهدى في ربوع الأرض ، وأعلن الإسلام وثيقةً ربانيّة مطلقة لحكم الدنيا وما يمتدّ إليه أثر الإنسان .

---

[1] النعماني : ص ٢١٩ – ٢٢٠ ب ٢١ ح ٨ – أبان بن تغلب ، عن أبي جعفر أنه قال : [إذا قام قائمنا بعث في أقاليم الارض . . فيقول عهدك في كفك واعمل بما ترى] .

[2] روي أنّ الصادق ﷺ ذكر الدجال فقال : [لا يبقى منها سهل إلا وطئه إلا مكة والمدينة ، فإنّ على كلّ نقب من أنقابهما ملكاً يحفظهما من الطاعون والدجال] [الفقيه : ج ٢ ص ٥٦٤ ح ٣١٥٦ –] . لكن بضميمة طائفة من النصوص يبدو انّ الدجال يكون مسيطراً على بعض الأرض . وبالتالي تكون جبهة الإمام المهدي ممتدّة بشكلٍ واسع . وأذكّر هنا بأن النصوص الواردة من طرف العامّة تضخّم موضوع الدجال . ولا يبدو انّ موضوعه ضخم إلى هذا الحد ، كما انّ النصوص الواردة من طرُقنا التي تعطيه ضخامة غير عاديّة هي ضعيفة السند أيضاً فلا بدّ من التثبّت للأمر . ويبدو انّ للإسرائيليات يداً في بعض التصرفات التي طرأت على موضوع تضخيم الدجال ، والأمر يحتاج إلى حنكة في الوقوف عند المتون .

شمول ملكه ﷺ ومدته وإعلانه الإسلام كما نزل

.. الوارد في نصوص أهل البيت ﷺ انّ حكم المهدي ﷺ يطول . من هنا نجد في بعض النصوص كناية عن طول المدّة مثل تعبير : سنته كعشرٍ من سنينكم ، إشارة إلى طول مدّة عهد المهدي ﷺ ورعايته للحكم الذي يعمُّ الأرض . وفي بعضها الآخر ورد صريحاً انّ مدّة حكم المهدي المباشر على رأس الحكم الإسلامي العالمي الذي يعمُّ الأرض يدوم مثل مدة أهل الكهف ، فقد قال الباقر ﷺ : [يملك القائم ثلاث مائة سنة ، ويزداد تسعاً كما لبث أهل الكهف في كهفهم . يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ، فيفتح الله له شرق الارض وغربها .. حتى لا يبقى إلا دين محمد ، (ويسير) بسيرة سليمان بن داود ، ويدعو الشمس والقمر فيجيبانه ، وتُطوى له الارض ، ويُوحى إليه فيعمل بالوحي بأمر الله][1] .

هذا النص فيه تأكيد على انّ قيادة المهدي المباشرة عمرها طويل وليس قصيراً كما يُفهم من بعض نصوص أهل السنّة . بل في نصوص أهل البيت تأويل على قاعدة انّ السنة كعشر سنوات . تعبير يُراد منه الإشارة إلى الإختلاف الكمّي في الزمن . وهو يتضمّن تأكيداً واضحاً عن انّ مدّة قيادة المهدي ﷺ لدولته المباركة تطول . ويتضمّن النص إشارة إلى

---

[1] الغيبة ، للسيد علي بن عبد الحميد : – عنى ما في البحار . البحار : ج ٥٢ ص ٣٩٠ ب ٢٧ ح ٢١٢

سلطنة للمهدي ﷺ في موضوع الشمس والقمر وغيره تأكيداً لأمر الولاية التكوينيّة التي يمتاز بها المعصوم ﷺ ، ويستعرض الإمام ﷺ كمثال تطبيقي إسم سليمان بن داود كتعبير عن الولاية التكوينيّة ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾٨١/٢١﴾

ثم يشير النصُّ إلى أنَّ دولة المهدي ﷺ تكون شموليّة ، تشمل كافّة البشر ، وتحكم على كلِّ البقاع ، وتكون وثيقتُها في الحكم وقيادة المجتمع العالمي معتمدةً على القرآن والعترة النبويّة . وبطبيعة الحال : يُبطِلُ المهديُّ ﷺ البدعَ في دين الله ودين رسوله ، ويُعلن السُّنَن والفرائض ، ويقيم الحقَّ ويبطل الباطل ، ويتبرأ من الزيف الذي نادى به جماعاتٌ وجماعات بإسم الإسلام . هذا معنى من معاني انَّ المهدي ﷺ إذا خرج دعا الناس إلى أمرٍ جديد ، أي دعا إلى الإسلام بحقائقه النازلة لا المخترعة والمبتدعة ، فيبطل المبتدع منها ويبقي على ما هو حقيقي تام . وكلُّ مطالع لأحكام الإسلام وما جرى من أحداث ومَن تولّى الحُكم يدرك القداحة الصعبة التي اصابت هذا المجال . وفي رواية كامل عن أبي جعفر ﷺ قال : [إنَّ قائمنا إذا قام ، دعا الناس إلى أمرٍ جديد ، كما دعا إليه رسول الله ﷺ وإنَّ الاسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً ، كما بدأ فطوبى للغرباء][1] ..

أي يُخرج الإسلام من التعطيل إلى العمل . ومن يتصفَّح عالمنا هذا يجد أنَّ المُعطَّل في نواديا وأُممنا هو الإسلام والقرآن .. فإذا خرج المهديُّ ﷺ وبسط أمرهُ أعلن الإسلام ديناً للعالم ووثيقةً للإنسان ، ومهداً

---

[1] النعماني : ص ٣٢٠ ب ٢٢ ح ١

وجودياً يعبر البشرُ منه إلى عالم الله الأعظم نحو شاطئ الأمان في أطياف الآخرة ..

وفي رواية عبيد الله بن عطاء قال : سألت أبا جعفر الباقر ﷺ فقلت : إذا قام القائم ﷺ بأيِّ سيرةٍ يسيرُ في الناس ؟ فقال ﷺ : [يهدم ما قبله كما صنع رسول الله ﷺ ، ويستأنف الاسلام جديداً][1] . أي يهدم البدع التي ابتدعها ممَّن خرجوا على أحكامه ، ويعلن أحكام الشريعة كما هي ، فيحقّ الحقَّ ويُبطِلُ الباطل . ومعه يصبح القرآن حيّاً بعد أن عطّله الحكّام والسلاطين . ويبدو اتباع أهل البيت ﷺ في هذا المجال من ذوي الحظّ العظيم لأنّهم تابعوا واحتلوا أحكامهم وفقههم ومعارفهم التي نزلت بها السماء .

وفي رواية محمد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر ﷺ عن القائم عجل الله فرجه إذا قام بأي سيرة يسير في الناس ؟ فقال : [بسيرة ما سار به رسول الله ﷺ حتى يظهر الاسلام ، قلت : وما كانت سيرة رسول الله ﷺ ؟ قال : أبطل ما كان في الجاهلية ، واستقبل الناس بالعدل ، وكذلك القائم ﷺ إذا قام يبطل ما كان في الهدنة ممّا كان في أيدي الناس ، ويستقبل بهم العدل][2] ..

فيُعلن الإسلام كما نزل على رسول الله ﷺ ، الإسلام الذي تابعه أهل البيت ﷺ وبلّغوه لأصحابه ، لا البدع والأباطيل التي اختُرعت مرّةً لإرضاء السلاطين ومرّةً للتشويه وشبه ذلك . فضلاً عن تعطيل القرآن

---

[1] النعماني : ص ٢٣٢ ب ١٣ ح ١٧

[2] التهذيب : ج ٦ ص ١٥٤ ب ٧٠ ح ٢٧٠

وأحكام الإسلام .. وفي رواية عبد الله بن عطاء قال : قلت لأبي جعفر الباقر ﷺ : أخبرني عن القائم ﷺ ؟ فقال : [.. والله ما هو أنا ، ولا الذي تمدون إليه أعناقكم ، ولا يعرف ولادته . قلت : بما يسير ؟ قال : بما سار به رسول الله ﷺ ، هدر ما قبله واستقبل][1] .

وكأنه يقول : انّه ﷺ يبطل أموراً عديدة تكون بين ايدي الناس . وبطبيعة الحال : يبطل ما ابتدع أهلُ البدع لا ما رواهُ أهل البيتِ ﷺ وسلّموه يداً بيدٍ إلى اصحابِهم الذين حفظوه جيلاً بعد جيلٍ ونقلوه في الكتب والنصوص إلى أجيالنا وعلمائنا الذين أفتوا به في زمنٍ قلّ فيه مَن يفتي بما يقول أهل البيت ﷺ . ويكفي في أهل البيت ﷺ أنّهم ليسوا من أهل أرأيت ..!

---

[1] النعماني : ص١٦٩ ب١٠ ح١٠

إعلان القرآن دستور دولة المهدي العالمية

مِن المتّفق عليه بين جميع المسلمين انّ القرآن الموجود بين أيدينا هو نفسه الذي نزل على رسولِ الله ﷺ ، ليس فيهِ نقصان حرف ولا زيادة حرف . وهو نفسهُ الذي يعتمدهُ المهدي ﷺ دون زيادة حرف أو نقصان حرف . فإذا خرج ﷺ أعلنَ القرآن دستورَ الوجود والحياة . وأخرجه من حدّ التعطيل . وأمر ببيان أحكام القرآن كما هي لا كمثل « أهل أرأيت ..! » كأهل الظنّ والتردُّدِ والإستحسانات . بل فسّره كما هو في مخطوط الوحي ، وكما هي سنّة رسولِ الله ﷺ ، وفي النصّ انّ جبرائيل كان ينزلُ على رسولِ الله ﷺ بالسنّة كما كان يتزلُ عليهِ بالوحي . من هنا فإنّ العديد من المشروحات التي يُعلنها المهدي ﷺ تكون على خلافِ أهل أرأيت ..! هذا مفاد جملة من النصوص الواردة في انّ المهدي ﷺ إذا قام أمر بتعليم القرآن كما هو ، كما أُنزل على النبيّ ﷺ وكما بيّنته السنّة .

وفي مُرسل جابر عن أبي جعفر ﷺ قال : [إذا قام قائمُ آل محمد ضرب فساطيط ، يعلّمُ النّاسَ القرآن على ما أنزل الله عزوجل ، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم ، لانه يخالف فيه التأليف][1] . أمّا نص القرآن فثبّته ﷺ كما هو ، لأنّه كما نزل على رسولِ الله ﷺ لا زيادة فيهِ بحرف

---

[1] الارشاد : ص ٣٦٥

ولا نقصان لحرف . هذا ما تؤكّدهُ النصوص الكثيرة المعتبرة والتي عليها كلمةُ فقهاءنا دون استثناء ..

وهنالك طائفة تؤكّد أنّ المهدي ﷺ لا يكتفي بشرح وتفسير القرآن ، بل يعلنه ميثاق الجماعة البشريّة ، فيحقّ الحقّ على أساسه ويُبطِلُ الباطل على أساسه . وهذا أعظم قيام للقرآن : قيامُهُ ببيان معانيه كما بيّنتها السنّة ، وقيامُهُ بإقامة أحكامه في مجتمع الإنسان في كلّ بقاعه . ففي رواية أحمد بن عمر قال : أتى رجلٌ إلى أبي جعفر ﷺ فقال له : إنكم أهل بيت رحمة اختصّكُم اللهُ تبارك وتعالى بها ، فقال له : [كذلك نحن والحمد لله ، لا نُدخِلُ أحداً في ضلالة ، ولا نُخرِجُهُ مِن هُدَى . إنّ الدنيا لا تذهب حتى يبعث الله عزوجل رجلاً منّا أهل البيت يعمل بكتاب الله لا يرى فيكم منكراً إلا أنكره][1] ..

أي انّ المهدي ﷺ يُعلن القرآن دستوراً للأمّة البشرية . يُعلنُ القرآنَ وما يتبعهُ من سنّة الرسول وأهل البيت ﷺ ميثاقَ حركة الوجود وقيادة دولة العالم .. وبذلك يُخرِجُ ﷺ القرآنَ من حدّ الإبطال والعزل إلى حدّ الحكم والقيادة والحياة ..

وأينما أدرتَ نظرك اليوم تجد القرآنَ مُعطّلاً معزولاً إلا في موتٍ أو خوفٍ أو فزع ..

---

[1] الكافي : ج ٨ ص ٣٩٦ ح ٥٩٧ – عن جابر بن يزيد الجعفي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : – وفيه (لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله منا رجلا أهل البيت . ولا يرى منكرا إلا أنكره) .

عدل المهدي وعطاؤه

تؤكّد النصوص أنّ عدل المهدي ﷺ شرط ضمانة أهل الأرض لما يعنيه من سعةٍ وسلامة وشمول ، فهو مَن يقيم العدل ، وينشر الرحمة فيها ، ويعلن القيم والمبادئ والعناوين الكفيلة بالسعادة الميثاقيّة والسلوكيّة ، بشقّي الضمانة النظريّة والإجراءات العمليّة الكفيلة بترجمة الرحمة الإلهيّة على نحوٍ فردي ومجتمعي ، اعتباري كوني وتناسقي في مسيرة بني الإنسان ..

وفي رواية جابر قال : دخل رجلٌ على أبي جعفر الباقر ﷺ فقال له : عافاك اللهُ ، اقبَض منّي هذه الخمسمائة درهم ، فإنها زكاة مالي ، فقال له أبو جعفر : [خذها أنت فضعها في جيرانك من أهل الاسلام والمساكين من إخوانك المؤمنين . ثم قال : إذا قام قائمُ أهل البيت ﷺ قسم بالسويّة ، وعدل في الرعيّة ، فمَن أطاعه فقد أطاعَ اللهَ ، ومن عصاهُ فقد عصى الله . وإنّما سُمّي المهديُّ مهديّاً لأنّهُ يهدي إلى أمر خَفي ، ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عزّوجل من غار بأنطاكية ، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة ، وبين أهل الانجيل بالانجيل ، وبين أهل الزبور بالزبور ، وبين أهل القرآن بالقرآن . وتُجمَعُ إليه أموالُ الدنيا من بطن الارض وظهرها ، فيقول ﷺ للناس : تعالوا إلى ما قطعتم فيه الارحام وسفكتم فيه الدماء

الحرام ، وركبتم فيه ما حرّمَ اللهُ عزّوجلّ ، فيُعطِي شيئاً لم يُعطه أحدٌ كان قبله ، ويملأ الارض عدلاً وقسطاً ونوراً كما مُلئت ظلماً وجوراً وشراً][1] ..

في هذا النص تأكيد على شمول العدل التطبيقي للناس ، ليس في مجال الفهم القانوني ، والمساواة العامّة أمام القانون ووثيقة الموجبات ، وباقي الصفات القانونيّة من حقوقٍ ونُظمٍ وتدابير ، بل توسيع رقعة العدالة والشمول إلى كلّ ما يمكن أن يتّصل بحاجة الفرد والجماعة بالمعنى الوجودي الذي يتقاطع مفهوم الإنسان مع الكون ، والكون مع الوجود وخالق الوجود .

ثم يشير إلى أمرٍ أساسي وهو انّ إعطاء المال زمن المهدي ﷺ لا محاباة فيه كما هي سيرة الحكّام والملوك والسلاطين حتى في أرقى الديمقراطيّات اليوم التي تنوء من الثراء ، وما لجان الأمن والقضاء وحظوظ البعثات والإستنسابيّات المختلفة الضخمة في المجالات المتنوّعة إلا واحدة من مفاهيم الظلم المغطّى بالقوانين ، على قاعدة « المحظوظيّة » ، في كلّ دول العالم التي تدّعي اليوم انّها وصلت إلى حقّة نهاية التاريخ لجهة الإشباعات المتنوّعة والرقي القانوني المادّي ، في المجتمعات الصناعيّة التي أوصلت الإنسان إلى القمر ، أوصلت ارمسترونغ إلى القمر في أوّل رحلة بشريّة مدهشة ، لكنّها لم توصله إلى أن يعرف : من اين وفي أين وإلى أين ..! رقّته إلى الفضاء ، لكنّها لم ترقّ هويّته الكشفيّة وفق مقاييس الضرورات المُلحّة عند البشر بفطرتهم . لذلك ظلّ يضجّ حنيناً لمعرفة

---

[1] النعماني : ص ٢٣٧ ب ١٧ ح ٢٦

الوجود ومعانيه ، معرفة الحياة وداعيها ، معرفة محرك المادّة الترابيّة الموجودة وراء هذا الجسيم .. ومن يقرأ شيئاً مِن هذا القبيل في صدر هذا الرجل يدرك أنّ الرقي المادّي لا يمكن أن يساوي شيئاً على الإطلاق أمام ضرورات الإنسان المُلحّة في صدرِه وعقله العاصفة القاصفة لتحقيق مفاهيم الأمن الوجودي بضمانة معتبرة ..

ويركز النص على انّ المهدي ﷺ إنّما هو حجّة الله تعالى ، مَن أطاعه فقد اطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله تعالى . وانّه سُمّي المهدي لأنّه يهدي إلى أمرٍ خفي ، وكيف لا يكون ذلك ، والإسلامُ يكون في آخر الزمن في غربةٍ شديدةٍ ، وهناك مَن يبيع التزوير والتحريف على رؤوس السلاطين طمعاً بمالٍ أو زلفى أو جاهٍ وقربى ..

وأنّ المهدي ﷺ يستخرج التوراة النازلة وحياً من الله تعالى من غارٍ في انطاكية ، وكذلك الإنجيل ، فيحكم بما أنزل اللهُ تعالى ، فيحقُّ الحق ويبطل الباطل . ويصبح للمهدي ﷺ مركز قيادة أهل الأرض ، فتُجمَعُ إليه أموال الأرض كلّها ، أي الحقوق ، من ظهر الأرض وبطنها ، فيوزّعها على الناس حتى ينشر الرحمة والعدل والضمانة الكبرى في الأرض ، حتى لا يجد متصدَّقٌ مَن يتصدَّق عليه !! ويزهد الناسُ بالمال ، ويقف ﷺ على رؤوس الأشهاد فيقول للناس : تعالوا إلى ما قطعتم فيه الارحام وسفكتم فيه الدماء الحرام ، وركبتم فيه ما حرَّمَ اللهُ عزّوجلّ . فيوزّع المال فيهم ، وتتكاثر الأموال ، وتُظهرُ الأرضُ خيراتها ، وكذا السماء ، حتى يُقال للرجل خذ من المال فيمتنع من شدّة الوفرة والمال والثراء الذي أنعم اللهُ به في زمن دولة المهدي العظيم ﷺ . ويتابع ﷺ أمرهُ حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، بكلّ أمرٍ وناحية وعنوان من عناوين البشر : صغيراً أو كبيراً ،

فردياً أم جماعياً أو مجتمعياً . فيعم العدل والرخاء ، والأمن والطمأنينة الوجودية ، ويبطل الفساد ، وينكسر الشرُّ وتنهزم الآثام[1] ..

وفي نصٍّ آخر يؤكّد طابع السخاء والرخاء والوفرة الكبيرة والعدل الشامل زمن المهدي ﷺ عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال : [إذا ظهر القائم ودخل الكوفة بعث اللهُ تعالى من ظهر الكوفة سبعين ألف صدّيق فيكونون في أصحابه وأنصاره ، ويرد السواد إلى أهله ، هم أهله ، ويعطي الناس عطايا مرّتين في السنة ، ويرزقهم في الشهر رزقين ، ويسوّي بين الناس حتى لا ترى محتاجاً إلى الزكاة ، ويجيئ أصحاب الزكاة بزكاتهم إلى المحاويج من شيعته فلا يقبلونها .! فيصرُّونَها ويدُورُون في دورهم فيخرجون إليهم ، فيقولون : لا حاجة لنا في دراهمكم – وساق الحديث إلى أن قال – : ويجتمع إليه أموالُ أهل الدنيا كلُّها من بطن الارض وظهرها ، فيقال للناس : تعالوا إلى ما قطعتم فيه الارحام ، وسفكتم فيه الدم الحرام ، وركبتم فيه المحارم ، فيُعطي عطاءً لم يعطه أحد قبله][2] . ما ورد في النص هو تأكيد للنعمة والبركات المتزايدة ، ليس في الثروة فحسب ، بل في إعادة

---

[1] وفي لفظ آخر عن عمرو بن شمر ، عن جابر قال : أقبل رجل إلى أبي جعفر ﷺ وأنا حاضر فقال : رحمك الله أقبض هذه الخمسمائة درهم فضعها في موضعها فإنها زكاة مالي ، فقال له أبو جعفر ﷺ [بل خذها أنت فضعها في جيرانك والايتام والمساكين وفي إخوانك من المسلمين ، إنما يكون هذا إذا قام قائمنا فإنه يقسم بالسوية ، ويعدل في خلق الرحمان البر منهم والفاجر ، فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله ، فإنما سُمّي المهدي لانه يهدي لأمر خفي ، يستخرج التوراة وسائر كتب الله من غار بأنطاكية فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة ، وبين أهل الانجيل بالانجيل ، وبين أهل الزبور بالزبور ، وبين أهل الفرقان بالفرقان ، وتجمع إليه أموال الدنيا كلها ما في بطن الارض وظهرها ، فيقول للناس : تعالوا إلى ما قطعتم فيه الارحام ، وسفكتم فيه الدماء ، وركبتم فيه محارم الله ، فيعطي شيئا لم يعطه أحدا كان قبله] . عقد الدرر : صـ ٢٩ بـ ٣

[2] الغيبة ، للسيد علي بن عبد الحميد : – على ما في البحار ـ ٥ : البحار : ج ٥٢ صـ ٣٩٠ بـ ٢٧ حـ ٢١٢

توزيعها واستثمارها ، حتى لا يجد الرجلُ مَن يتصدَّق عليه .! هنا يمكننا الحديث عن نهاية التاريخ ، عن الإشباعات المذهلة ، عن الضمانات الوجوديّة ، أمّا أن تتراكم الثروات وتتكرّس في يدِ مجالس إدارة الشركات العابرة للقارات وسط توحُّش وخواء بشري معرفي عن الوجود ومعانيه ومحطات الإنسان ودواعيه ، فهذا حديث عن خواء وجودي .! عن انهزام خارق ، عن ترقّق مخيف يصيب هيكل البشر ويقتل هويّتهم .

وتشير طائفة من النصوص إلى أنّ هذا الدِّين يبقى في عناء ، وأهلهُ في غربة ، وسط عالم شديد الإنحراف ، وتعارض مع قيمه ، وسلاطين متوحّشين ، لا يهمُّهم مَن يقتلون ولا مَن يُجوّعُون ، وأنّ ذلك ينقضي بزمن الظهور ، أي مع الظهور المبارك الذي على أثرهِ يقيمُ المهديُّ عليه السلام دولة السماء على بقاع الأرض وأين وُجِدَ الإنسان ، بنوعٍ رفيعٍ من العدالة والرخاء والنعم والبركات .

ففي نص حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال : [كأنني بدينكم هذا لا يزال متخضخضاً ، يفحص بدمه ، ثم لا يردُّهُ عليكم إلا رجلٌ منّا أهل البيت ، فيُعطيكم في السنة عطاءين ، ويرزقكم في الشهر رزقين ، وتُؤتُون الحكمة في زمانه حتى أنّ المرأة لتَقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله][1] .

نعم النص يشيرُ إلى غربة الدِّين ، ولا يمنع من ظهور دول إسلاميّة أو رايات تنادي بالدِّين وتجاهر بالإسلام ، مثل الدولة التي اشارت إليها النصوص ، دولة الخراسانيين الذين يصرُّون على دينهم ، ويرفعون

---

[1] الغيبة للنعماني : ص ٢٣٨ – ٢٣٩ ب ١٢ ح ٢٠

القرآن ، ويشهرون انتمائهم النظري العملي للإسلام . لكنّ مثل هذه الدولة رغم عزّتها تعيش وسط دولٍ وأممٍ شديد الجحود بقيم الإسلام ، في عالمٍ مزدحمٍ بالفساد والباطل والآثام والإنحراف والطغيان المتنوّع . فإذا ظهر المهديُّ ﷺ وأقام دولة الحقّ عمّ العدل بكل ما يعنيه من : مادّي ومعنوي ، مجتمعي وأممي ، فردي ومؤسساتي ، كوني وروحي ، عمّ العالَم وسط مسيرةٍ ضخمة يقودها المهدي ﷺ ..

تكامل الوعي البشري في عصر المهدي

يبدو من طائفة النصوص أنّه زمن المهدي ﷺ يبلغ الوعي البشري مراحل شديدة التقدُّم ، وانّ عقول البشر آنذاك تصبح على نحوٍ مهم من الشمول والكمال .. وهل يُراد بذلك الإشارة إلى العلوم بمختلف أنواعها ، وإلى التقدّم الذي يحرزه أهلُ الأرض ، وإلى التقنيّة والتكنولوجيا الذي تتوصّل إليه الجماعة البشريّة آنذاك ؟ أعتقد انّ هذا مصداق كبير من مصاديق تلك النصوص التي تشيرُ إلى كمال العقول آنذاك . ففي رواية مولى لبني شيبان عن أبي جعفر ﷺ قال : [إذا قام قائمنا وضع اللهُ يده على رؤوس العباد ، فجمع بها عقولهم ، وكملت به أحلامهم][1] .

ولا يكفي أن تتكامل العقول ، بل يصاحبها نوعٌ كبير من عفّة النفوس والحلم والرحمة والإحسان والأخلاق الكبيرة والمعاني المتّصلة بضمانات النظريّة الأخلاقيّة التطبيقيّة ، بالإضافة إلى كفالات الفقه الوجودي وهيكلة المجتمع العالمي على نحوٍ من العدل الذي يُرسيه المهديُّ في الأرض .

على أنّ النصوص التي تشيرُ إلى النهضة العلميّة الهائلة التي ينشرها المهديُّ ﷺ كثيرة ، وسنتعرّض لبعضها فيما بعد إنْ شاء اللهُ تعالى .

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٢٥ ح ٢١ .

تسخير قوى الطبيعة للمهدي

بموضوع التسخير الكوني هناك نصوص كثيرة ، منها ما هي في موضع الإشارة إلى ولاية المهدي التكوينيّة عليه السلام ، ومنها ما هو يتحدّث عن الولاية التكوينيّة التي أعطاها اللهُ تعالى للأئمّة والأنبياء والرسل ..

وعليه : الولاية التكوينيّة أمرٌ ثابت قطعاً للمعصوم ، سواء كان إماماً أم نبيّاً ، والنصوص أكثر من الكثير في هذا المجال ، بل القرآن كلُّه دليلٌ على ذلك . نعم استعمال المعصوم لها وضمن أيّ حدود أمرٌ آخر لغايات تتعلّق بإلقاء الحجج ، وقد قال تعالى : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ ، المهم انّ الله تعالى سخّر للمعصوم ولايةً تكوينيّة عظيمة . وهذا أمر لا شكّ فيه أبداً ..

وفي جملة نصوص آخر الزمن انّ المهدي عليه السلام يخرج ويسير بين يديه الرعب ، ويخرج بين يديه الملائكة الذين نصروا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك . وفي المُرسل عن الباقر عليه السلام قال : « إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً ناصحَ اللهَ سبحانه فناصحَهُ وسخّرَ له السَّحاب ، وطُوِيَت له الارض ، وبُسطَ له في النُّور ، فكان يُبصر بالليل كما يُبصر بالنهار ، وإنّ أئمة الحقّ كلّهم قد سخّرَ اللهُ تعالى لهم السَّحاب ، وكان يحملهم إلى المشرق والمغرب لمصالح المسلمين ، ولإصلاح ذات البين ، وعلى هذا حالُ المهديّ عليه السلام ، ولذلك يُسمّى « صاحب المرئي والمسمع » ، فله نورٌ يرى به

الأشياء مِن بعيد كما يرى مِن قريب ، ويسمع مِن بعيد كما يسمع مِن قريب ، وإنَّه يسيحُ في الدنيا كلِّها على السحاب مرَّة ، وعلى الريح أخرى .! وتُطوى له الارض مرَّة .! فيدفع البلايا عن العباد والبلاد شرقاً وغرباً][1] ..

إنَّه نموذج مختصر عن الولايتة التكوينيّة التي قرنها اللهُ تعالى بأهل العصمة والإصطفاء .

وزيادةً على هذه المعاني التي يبدو منها أنّها شاملة للمفهوم الإعجازي مرّة ، والتطوُّر التقني مرّةً أخرى من باب المصداق والتفاوت بين أفراده ، مع التأكيد على العامل الإعجازي الخاص بالمهدي ﷺ والولاية التكوينيّة التي تطوِّع الطبيعة والنواميس الخاصة بالمهدي ﷺ هناك ما يشير إلى تطوُّر ضخم يطرأ على العقل البشري والتقنيّة والأدوات والتكنولوجيا التي يستغلُّها ويترجمها في عالم التطوُّر والإنجازات ..

وبطبيعة الحال يكون منها ما يستغلُّه عبر النور والطاقة ، وما أكثر أمثلته اليوم ، عبر الكهرومغناطيس ، عبر الريح والسحاب وطوي الأرض .. ربّما كانت هذه العبارات غريبة عن ذهن السائل يوم سمعها من الإمام أبي جعفر ﷺ ، إلا انّها اليوم ليست غريبة عن زمن القارئ في بعض معانيها ، حيث يلجأ البشر اليوم إلى استغلال الأنظمة الكونيّة في مجال الكهرباء الجويّة ، والنور الشمسي وغيره ، والكهرمغناطيس ، والرياح ، والموجات المختلفة التي استطاعت أن تحوِّل الأرض إلى قرية كونيّة ، فيرى أهلُ الشرق أهل الغرب والعكس عبر تلفون لا يزيد عن ٥ سنتم عبر نظام الموجات اللاسلكي الذي تتوسّطه أنظمة الأقمار الصناعيّة مستغلّةً

---

[1] الخرائج : ج ٢ ص ٩٢٠ - ٩٢١ ب ١٧

الكهرمغناطيس وغيره . والموعود في حقل التجارب والتطوُّر التكنولوجي كثير ومذهل .! وقد قال اللهُ تعالى : ﴿ .. حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ، وَازَّيَّنَتْ ، وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ، أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ، كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، هذا تأكيد قرآني حاسم انَّ الإنسان يصل إلى مراحل شديدة التطوُّر والتأثير واستغلال للأنظمة والقوانين الطبيعيّة حتى يظنّ معه أنّه قادر على الأرض قبل ساعة القيامة ..

الموعد مع المهدي ﷺ .. النصوص صريحة جداً في أنَّ العلم الذي ينشره المهدي ﷺ لم يرهُ البشريّةُ أبداً من قبل . إنها أعظم ثورة علميّة يشهدها البشر على يد المهدي المنتظر ﷺ .

ولقد اشتهر إسمه المهدي ﷺ الذي يقيم العدل في البقاع والبلاد ، وينشر الرخاء في دولة بني الإنسان ، ويقود البشر بنحو من دولة ربانيّة تامّة .. حتى انَّك تجدُ العديد من النصوص التي تقفز نحو المستقبل لتؤكّد ضرورة الوقوف عند تلك المحطّة التي تشكّل الكمال الأكبر في حياة الكون الإنساني ..

بل في بعضها تأكيد إظهاري بسبب العظمة التي قرنها اللهُ تعالى في وُلْدِ النبي ﷺ والدور الوظيفي ، وبالأخص في المهدي ﷺ ، لما له من دور تطبيقي هائل في إعلان دولة الإسلام تامّة كاملة على وجه الأرض وأين تطأ قدما الإنسان . ففي رواية عمرو بن عبد الله بن هند الجملي ، عن أبي جعفر محمد بن علي ﷺ قال : [انَّ فاطمة بنت علي بن أبي طالب لمَّا نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين بنفسه من الدأب في العبادة ،

أتت جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام الانصاري فقالت له : يا صاحب رسول الله ، إنَّ لنا عليكم حقوقاً ، مِن حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يُهلِكُ نفسه اجتهاداً أن تذكِّروهُ اللهَ وتدعُوهُ إلى البقيا على نفسه ، وهذا علي بن الحسين بقيَّةُ أبيه الحسين قد انخرم أنفه وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه أدب منه لنفسه في العبادة .

فأتى جابر بن عبد الله باب علي بن الحسين ﷺ ، وبالباب أبو جعفر محمد بن علي ﷺ في أغيلمة مِن بني هاشم قد اجتمعوا هناك ، فنظر جابر إليه مقبلاً فقال : هذه مشيةُ رسولِ الله ﷺ وسجيَّتُه ، فمَن أنت يا غلام ؟ فقال : أنا محمد بن علي بن الحسين ، فبكى جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، ثم قال : أنت واللهِ الباقر عن العلم حقّاً ، ادنُ مني بأبي أنت وأمي ، فدنا منه فحلَّ جابر إزاره ووضع يده على صدرِه فقبَّلهُ وجعل عليه خدَّهُ ووجهه وقال له : أُقرِئُك عن جدِّك رسول الله ﷺ السلامَ ، وقد أمرني ﷺ أن أفعل بِك ما فعلت ، وقال ﷺ لي : يُوشك أن تعيش وتبقى حتى تلقى مِن وُلدِي مَن اسمه محمَّد ، يبقر العلم بقراً . وقال لي : إنَّك تبقى حتى تعمى ثم يُكشف لك عن بصرك . ثم قال لي (كذا) إئذنْ لي على أبيك ﷺ . فدخل أبو جعفر على أبيه فأخبره الخبر وقال : إنَّ شيخاً بالباب ، وقد فعل بي كيت وكيت . فقال : يا بُني ذلك جابر بن عبد الله . ثم قال : أمِن بين ولدانِ أهلك قال لك ما قال وفعل بك ما فعل ؟ قال : نعم ..

ثم أذن لجابر فدخل عليه فوجده في محرابه قد أنضته العبادة فنهض علي ﷺ فسأله عن حاله سؤالاً خفيّاً ثم أجلسه بجنبه ، فأقبل جابر عليه يقول : يا بن رسول الله ، أما علمت أنَّ الله تعالى إنَّما خلقَ الجنَّة لكم ولِمَن أحبَّكُم ، وخلق النَّار لِمَن أبغضكم وعاداكم ، فما هذا الجهد الذي كلَّفتَهُ

نفسك ؟ فقال له علي بن الحسين ﷺ : يا صاحب رسول الله ، أما علمتَ أنَّ جدّي رسول الله ﷺ قد غفر اللهُ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر فلم يدع الاجتهادَ له ، وتعبَّد بأبي هو وأمي حتى انتفخ الساق وورم القدم ، وقيل له : أتفعل هذا وقد غُفِرَ لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر ؟ قال ﷺ : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ فلما نظر جابر إلى علي بن الحسين ﷺ وليس يغني فيه من قول يستميله من الجهد والتعب إلى القصد قال له : يا بن رسول الله البقيا على نفسك ، فإنَّك لَمن أسرة بهم يُستدفع البلاء ، وتستكشف اللاواء ، وبهم يُستمطر السماء . فقال : يا جابر لا أزال على منهاج أبوي ، مؤتسّياً بهما صلوات الله عليهما حتى ألقاهما . فأقبل جابر على مَن حضر وقال : والله ما رُؤي في أولاد الانبياء مثل علي بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب ﷺ ، والله لَذريَّةُ علي بن الحسين ﷺ أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب ، إنَّ منهم لَمَن يملأ الارضَ عدلاً كما مُلئتَ جوراً [1] .

ففي ذيل هذا النص قفزة نوعيّة أراد جابر بن عبد الله أن يعبّر فيها عن عظمة أمر المهدي ﷺ وانّ ذلك سمعهُ من النبي ﷺ . وفيه ما فيه من عظمة الدور الذي يقوم به المهدي ، وهو الذي يكون في زمن تصل فيه البشرية إلى مرحلة من التطوُّر الجبار ، والتقنية العالية ، وتطويع أنظمة مختلفة في الأرض والجو . وانّ المهدي هو كفيل البشر وعنوان الرعيّة الطائعة ، ورمز أهل الإيمان العالمي الذي ينبع من مسرح الحياة في ظل دولة المهدي المنتظر ﷺ الذي يقيم الحق ويعلن العدل ويقود الأمم تحت ميثاق الإسلام بركني القرآن والعترة النبويّة .

---

[1] أمالي الطوسي : ج ٢ ص ٢٤٩ مجلس ٢٥

إنّـه الشخصـيّة العملاقـة التـي أعـدّها اللهُ تعـالى لقيـادة العـالم الجديد . وفي رواية خلاد بن الصفار قال : سُئِل أبو عبد الله ﷺ : هـل وُلِـدَ القائمُ ﷺ ؟ فقال : [لا ، ولو أدركته لخدمته أيام حياتي][1] . تأكيداً منه ﷺ على الأمر العظيم الذي ينتظر البشريّة زمن ظهور المهدي الذي يعدُّ الخاتم في الأئمة ﷺ ..

---

[1] النعماني : ص ٢٤٥ ب ١٢ ح ٤٦ – علي بن أحمد البندنيجي ، عن عبيد الله بن موسى العلوي ، عن الحسن بن معاوية ، عن الحسن بن محبوب ، عن خلاد بن الصفار قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام هل ولد القائم عليه السلام ؟ فقال : – * : عقد الدرر : ص ١٦٠ ب ٧ –

غيبة المهدي واختبار الناس

كثيرة هي النصوص التي تتحدّث عن غيبة المهدي ﷺ، بل عن الغيبتين، النصوص واردة على لسان المعصومين بطُرقٍ مختلفة وواسعة، وهي متعدّدة تشيرُ بوضوحٍ مطلق إلى الغيبتين، وأنّ الثانية يخرج ﷺ على أثرها فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.. ونقرأ في النصوص الكثيرة تركيزاً كثيفاً على غيبة المهدي ﷺ، وأنّها من الأمر المحتوم. هذا التركيز كان منذ يوم رسول الله ﷺ، ومع الأئمة ﷺ إماماً إماماً. النصوص شديدة الصراحة والحتميّة للغيبة منها:

- في المرسل عن أبي عبد الله ﷺ قال: [لو قد قام القائم لأنكرهُ الناس، لانه يرجع إليهم شاباً موفقا، لا يثبت عليه إلا مَن قد أخذ اللهُ ميثاقه في الذرّ الأوّل][1]. وفي غيرها قال ﷺ: .. [وإنّ أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شاباً وهم يحسبُونَهُ شيخاً كبيراً].

- عن الصادق ﷺ قال: [إنّ الليلة التي يُولد فيها القائم ﷺ لا يولد فيها مولود إلا كان مؤمناً، وإنْ ولد في أرض الشرك نقله الله إلى الايمان ببركة الامام ﷺ][2].

---

[1] النعماني: ص ١٨٨ ب ١٠ ح ٤٣ .. في المرسل عن أبي عبد الله (الحسين بن علي ﷺ) وفيه: [لو قام المهدي لأنكره الناس، لانه يرجع إليهم شاباً موفقا، وإن من أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شابا، وهم يحسبونه شيخا كبيرا].

[2] الشهيد الاول، محمد بن مكي العاملي: على ما في إثبات الهداة، والبحار. * : إثبات الهداة: ج ٣ ص ٨١ ب ٣٢ ف ٥٨ ح ٧٦٠ –

- قال الصادق ﷺ : [أمَا واللهِ لَيغيبنَّ عنكم مهديكُم حتى يقول الجاهل منكم : ما للهِ في آلِ محمَّد حاجة ، ثم يُقبل كالشهاب الثاقب فيملؤها عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً][1] .

- أبو بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : [لا بدَّ لصاحب هذا الامر من غيبة ، ولا بدَّ له في غيبته من عزلة ، ونِعْمَ المنزل طيبة وما بثلاثينَ من وحشة][2] .

- عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : سمعتُ الصادق جعفر بن محمد ﷺ يقول : [إنَّ لصاحب هذا الامر غيبة لا بد منها ، يرتابُ فيها كلُّ مُبطِلٍ ، فقلتُ : ولِمَ جُعلت فداك ؟ قال ﷺ : لأمر لم يُؤذن لنا في كشفه لكم ؟ قلتُ : فما وجهُ الحكمةِ في غيبته ؟ قال ﷺ : وجهُ الحكمةِ في غيبته وجهُ الحكمةِ في غيباتِ مَن تقدَّمَهُ من حجج الله تعالى ذكره ، إنَّ وجهَ الحكمة في ذلك لا ينكشفُ إلا بعد ظهوره ، كما لم ينكشف وجهُ الحكمة فيما أتاهُ الخضر ﷺ من خرق السفينة وقتلِ الغلام وإقامةِ الجدار لموسى ﷺ إلى وقتِ افتراقهما . يا ابن الفضل : إن هذا الامر أمرٌ من أمرِ الله تعالى ، وسرٌ من سرِّ الله ، وغيبٌ من غيبِ الله ، ومتى علمنا أنه عزَّوجلَّ حكيمٌ صدَّقنا بأنَّ أفعالَهُ كلَّها حكمة وإنْ كان وجهُها غير منكشف][3] .

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٣٤١ بـ ٣٢ حـ ٢٢

[2] الفضل بن شاذان : على ما في سند غيبة الطوسي . * : الكافي : جـ ١ صـ ٣٤٠ حـ ١٦

[3] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٨١ – ٤٨٢ بـ ٤٤ حـ ١١

- بيان التمار قال : كُنَّا عند أبي عبد الله ﷺ جلوساً فقال لنا : [إنَّ لصاحب هذا الامر غيبة ، المتمسكُ فيها بدينه كالخارط للقتاد - ثم قال هكذا بيده - فأيُّكم يُمسك شوك القتاد بيده ؟ ثم أطرقَ مليّاً ثم قال : إنَّ لصاحبِ هذا الامر غيبة ، فليتَّقِ اللهَ عبدٌ وليتمسَّك بدينه][1] .

- محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [.. إنَّ بلغكم عن صاحب هذا الامر غيبة فلا تنكروها][2] .

- حيان السرَّاج قال : سمعتُ السيِّد بن محمد الحميري يقول : كنتُ أقول بالغلوِّ وأعتقدُ غيبة محمد بن علي بن الحنفية ، قد ضللتُ في ذلك زماناً ، فمنَّ اللهُ عليَّ بالصادقِ جعفر بن محمد ﷺ وأنقذني به من النار ، وهداني إلى سواء الصراط ، فسألتُهُ بعدما صحَّ عندي بالدلائل التي شاهدتُها منه أنَّهُ حجَّةُ اللهِ عليَّ وعلى جميعِ أهلِ زمانه وأنه الامامُ الذي فرض اللهُ طاعته وأوجبَ الاقتداءَ به . فقلت له : يا ابن رسولِ الله ، قد رُوِي لنا أخبارٌ عن آبائك ﷺ في الغيبة وصحَّة كونها ، فأخبرني بمَن تقع ؟ فقال ﷺ : [إنَّ الغيبة ستقع بالسادس من وُلدي (أي بالمهدي) ، وهو الثاني عشر من الائمة الهداة بعد رسول الله ﷺ أوَّلُهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم بالحقِّ بقية اللهِ في الارض وصاحب الزمان . واللهِ لو بقي في غيبتِهِ ما بقي نوحٌ في قومِهِ لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملأ

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ح ١ - كمال الدين : ج ٢ ص ٣٤٣ ب ٣٣ ح ٢٥ - بسند عن هاني التمار ، وفيه (إن لصاحب هذا الامر غيبة فليتق اللهَ عبدٌ وليتمسك بدينه) .

[2] الكافي : ج ١ ص ٣٣٨ ح ١٠ -

الارضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئَت جوراً وظلماً[1] . قال السيد : فلما سمعتُ ذلك مِن مولاي الصادق جعفر بن محمد ﷺ تبتُ إلى الله تعالى ذكره على يديه . وقلت قصيدتي التي أولها :

فلما رأيتُ النَّاسَ في الدِّين قد غووا *

تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفروا .

وناديتُ باسم الله واللهُ أكبر *

وأيقنتُ أنَّ اللهَ يعفوُ ويغفر

ودنتُ بدينِ الله ما كنتُ دَيِّناً به *

ونهاني سيِّدُ الناس جعفرُ

فقلت : فهبني قد تهوَّدتُ برهة *

وإلا فديني دين من يتنصر .

وإني إلى الرحمن مِن ذاك تائب *

وإني قد أسلمتُ والله أكبر .

قلستُ بغالٍ ما حييتُ وراجع *

إلى ما عليه كنت أخفي وأظهر .

ولا قائل حي برضوى محمد *

وإنْ عاب جهالٌ مقالي وأكثروا .

ولكنه ممَّن مضى لسبيله *

على أفضل الحالات يقفى ويخبر .

مع الطيبين الطاهرين الاولى لهم *

من المصطفى فرعٌ زكي وعنصر[2] ..

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ٢٣

[2] باقي آخر القصيدة ، وهي طويلة .

- حازم بن حبيب قال : دخلتُ على أبي عبد الله ﷺ فقلت له : أصلحك اللهُ ، إنّ أبوي هلكا ولم يحجّا ، وإنّ الله قد رزق وأحسن ، فما تقولُ في الحجّ عنهما ؟ فقال ﷺ : افعل ، فإنه يبرد لهما ، ثم قال لي : [... يا حازم إنّ لصاحب هذا الأمر (أي المهدي ﷺ) غيبتين ، يظهرُ في الثانية . فمَن جاءك يقول إنه نقض يده من تراب قبره فلا تصدّقهُ][1] .

- مفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [لصاحب هذا الامر غيبتان ، إحداهما يرجعُ منها إلى أهل ، والأخرى يُقال : هلك ، في أيّ وادٍ سلك ! قلتُ : كيف نصنعُ إذا كان كذلك ؟ قال : إذا ادّعاها مُدّعٍ فاسألوهُ عن أشياء يجيب فيها مثله][2] . أي اسألوهُ اسألة لا يُجيبها إلا معصوم ﷺ ، فهذه علامةُ الإختبار وبيان الحال ..

- إسحاق بن عمار قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [للقائم غيبتان : إحداهما قصيرة والاخرى طويلة . الغيبة الاولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصةُ شيعته ، والاخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصةُ مواليه][3] .

- المفضل بن عمر الجعفي عن أبي عبد الله الصادق ﷺ قال : [إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين ، إحداهما تطولُ حتى يقول بعضهم : مات ، وبعضهم يقول : قُتل ، وبعضهم يقول : ذهب . فلا يبقى على

---

[1] كتاب علي بن أحمد العلوي العوسوي : - على ما في غيبة الطوسي . القمماني : صـ ١٧٢ بـ ١٠ حـ ٦

[2] الكافي : جـ ١ صـ ٣٤٠ حـ ٣٠

[3] الكافي : جـ ١ صـ ٣٤٠ حـ ١٩

أمره من أصحابه إلا نفرٌ يسير ، لا يطّلع على موضعه أحدٌ من وليٍّ ولا غيره ، إلا المولى الذي يلي أموره][1] . وقال : [ولو لم يكن يُروى في الغيبة إلا هذا لكان فيه كفاية لمن تأمّله][2] .

- عبد الاعلى مولى آل سام قال : خرجتُ مع أبي عبد الله ﷺ ، فلما نزلنا الرويحاء نظر إلى جبلها مُطلّاً عليها ، فقال لي : [ترى هذا الجبل ، هذا جبل يُدعى رضوى من جبال فارس ، أحبّنا فثقّله الله إلينا ، أما إنّ فيه كلّ شجرة مطعم ، ونعم أمان للخائف مرّتين ، أما إنّ لصاحب هذا الامر فيه غيبتين : واحدة قصيرة والاخرى طويلة][3] .

- صفوان بن مهران عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ قال : [مَن أقرّ بجميع الائمة وجحد المهدي ﷺ كان كمَن أقرّ بجميع الانبياء وجحد محمّداً ﷺ نبوّتَهُ . فقيل له : يا ابن رسول الله ، فمَن المهديُّ من ولدك ؟ قال ﷺ : الخامسُ من ولدِ السابع ، يغيبُ عنكم شخصُهُ ولا يحلُّ لكم تسميته][4] . أي الخامس من ولد الإمام موسى الكاظم ﷺ . يعني به ولد الإمام العسكري : المهدي ﷺ .

- سليمان بن مهران الاعمش عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ﷺ قال : [نحن أئمّةٌ

---

[1] الفضل بن شاذان : - على ما في غيبة الطوسي . النعماني : ص ١٧١ - ١٧٢ ب ١٠ ح ٥

[2] الفضل بن شاذان : - على ما في غيبة الطوسي . النعماني : ص ١٧١ - ١٧٢ ب ١٠ ح ٥

[3] غيبة الطوسي : ص ١٠٢

[4] كمال الدين : ج ٢ ص ٣٣٣ ب ٣٣ ح ١ - عن كمال الدين ، بسند روايته الاولى ، وفيه (المهدي من ولدي ، الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته) .

المسلمين وحجةُ الله على العالمين .. ثم قال ﷺ : ولم تخلُ الارضُ منذ خلق الله آدم من حجّة الله ، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعةُ مِن حجّةِ الله فيها ، ولولا ذلك لم يُعبَد اللهُ . قال سليمان : فقلتُ للصادق ﷺ : فكيف ينتفعُ الناسُ بالحجّة الغائب المستور ؟ قال ﷺ : [كما ينتفعون بالشمسِ إذا سترها السحاب][1] .

- زائدة بن قدامة ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إنّ القائم إذا قام يقولُ الناس : أنّى ذلك ! وقد بليت عظامُهُ][2] . إنكاراً منهم للمهديّ ﷺ ورمياً له بالموت والهلاك . في حين يؤكّد ﷺ أنّ المهدي ﷺ يغيب غيبةً طويلة ثم يظهر بعدها . وهذا من الأمر المحتوم .

- محمد بن مسلم الثقفي عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إذا فقد النّاسُ الإمامَ مكثوا سنين لا يدرون أيّاً مِن أيّ ، ثم يُظهِرُ اللهُ عزّوجلّ لهم صاحبهم][3] . أي لصاحب الأمر غيبتين : صغيرة وكبيرة . الكبيرة تكون على أثر الصغيرة ثمّ بعدها يظهر بعد طول زمان .

- زرارة قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [يأتي على الناس زمانٌ يغيبُ عنهم إمامهم ، فقلتُ له : ما يصنعُ النّاس في ذلك الزمان ؟ قال ﷺ : يتمسّكُون بالامر الذي هُم عليه حتى يتبيّن لهم][4] . أي يلتزمون

---

[1] كمال الدين . ج ١ صـ ٢٠٧ ب ٢١ ح ٢٢ -

[2] الفضل بن شاذان : - على ما في غيبة الطوسي . * : النعماني : صـ ١٥٤ ب ١٠ ح ١٢

[3] النعماني : صـ ١٥٨ ب ١٠ ح ١

[4] كمال الدين : ج ٢ صـ ٣٥٠ ب ٣٣ ح ٤٤

الإسلام بشتَّى القرآن والعترة النبويَّة ومواثيقها . فإنَّها سفينة الأمان حتى ظهور الإمام عليه السلام .

- سدير الصيرفي قال : سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : [إنَّ في صاحب هذا الامر شبهاً مِن يوسف عليه السلام . قلت له : كأنَّك تذكر حياته أو غيبته ؟ فقال لي : وما ينكر من ذلك ، هذه الامة أشباهُ الخنازير ، إنَّ اخوة يوسف عليه السلام كانوا أسباطاً أولاد الانبياء تاجروا يوسف وبايعوهُ وخاطبوه وهم إخوتُهُ وهو أخوهم ، فلم يعرفوه حتى قال : أنا يوسف وهذا أخي ، فما تنكر هذه الامة الملعونة أن يفعل اللهُ عزَّ وجلَّ بحجَّته في وقت مِن الاوقات كما يفعل بيوسف ، إنَّ يوسف عليه السلام كان إليه مُلكُ مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً ، فلو أراد أن يُعلمه لَقَدِرَ على ذلك . لقد سار يعقوبُ عليه السلام ووُلدُه عند البشارة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر ، فما تنكر هذه الامة أن يفعل الله عزوجل بحجَّته كما فعل بيوسف ، أن يمشي في أسواقهم ويطأ بسطهم حتى يأذنَ اللهُ في ذلك له كما أذنَ ليوسف ، قالوا : أئنَّك لأنتَ يوسف . قال : أنا يوسف][1] .

إشارة إلى غيبة المهديِّ عليه السلام .

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ حـ ٤ ، عن سدير الصيرفي قال : سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول : – كما في الكافي بتفاوت يسير ، وفيه (.. لشبهها .. فقلت : كأنك تخبرنا بغيبة أو حيرة ؟ فقال : ما ينكر هذا الخلق الملعون .. من ذلك) . كمال الدين : ج ١ صـ ١٤٤ ب ٥ حـ ١١ – كما في الكافي بتفاوت ، بسنده عن سدير ، وفيه (إن في القائم سنة من يوسف ، قلت . كأنك تذكر خبره) . مرسلا عن الصادق ، وفيه (وفي القائم عليه السلام ما سنة من موسى بن عمران ، وهو خفاء مولده وغيبته عن قومه ، وفيه سنة من يوسف ، قيل : كأنك تذكر خبره وغيبته . قال : وما ينكر هؤلاء .. من ذلك . إن إخوته وهم أسباط لم يعرفوه حتى قال لهم : أنا يوسف ، فما تنكرون أن يسير القائم في أسواقهم ويطأ بسطهم ، وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله أن يعرفهم نفسه) .

- أبو بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : [صاحبُ هذا الامر تعمّى ولادتُهُ على هذا الخلقِ لئلّا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج][1] .

- أبو بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : [صاحبُ هذا الامر تغيبُ ولادتُهُ عن هذا الخلقِ كيلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ، ويصلح اللهُ عزوجلَّ أمرَهُ في ليلة واحدة][2] .

- هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ قال : [يقومُ القائم ﷺ وليس لأحدٍ في عنقه عهدٌ ولا عقدٌ ولا بيعة][3] .

- عبيد بن زرارة قال : سمعتُ أبا عبد الله ﷺ يقول : [يفقد الناسُ إمامَهُم ، يشهد الموسمَ فيراهم ولا يرونه][4] . إشارة إلى الغيبة ، في حين هو ﷺ حاضرٌ يراهم ولكن هم لا يرونه ..

- عبيد بن زرارة ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : [للقائم غيبتان ، يشهد في إحداهما المواسم ، يرى الناسَ ولا يرونه][5] .

- علي بن محمد الرازي عمّن رواه عن أبي عبد الله ﷺ قال : [العالم الذي لا يشهد صاحب هذا الامر الموسمَ لا يُقبل من الناس حجّتُهُم][6] .

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٧٩ بـ ٤٤ حـ ١

[2] إثبات الهداة : جـ ٣ صـ ٤٨٦ بـ ٣٢ ف ٥ حـ ٧٠ -

[3] الكافي : جـ ١ صـ ٣٤٢ حـ ٢٧ - عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال (يقوم القائم وليس في عنقه بيعة لاحد) .

[4] الكافي : جـ ١ صـ ٣٣٧ ، ٣٣٨ حـ ٦ -

[5] النعماني : صـ ١٧٥ بـ ١٠ حـ ١٢ - عن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول (إن للقائم غيبتين يرجع في إحديهما ، وفي الاخرى لا يُدرى أين هو ، يشهد المواسم يرى الناس ولا يرونه) .

النصوصُ صريحة جداً وكثيرة في أنَّ للمهدي ﷺ غيبتين : الأولى قصيرة ، والثانية طويلة ، من دون تحديد مدّة . وأتبعهما أهل البيت ﷺ بنصوصٍ تلعن المؤقّتين الذين يؤقّتون مدّة لغيبته ﷺ .

وهذه النصوص تردُّ بعض ما ورد في غيرها من انَّ اللهَ تعالى يُصلح امرَ المهديِّ ﷺ في ليلة ، أي في مدة شديدة القصر . وهذا ما تضمّنته نصوص التفاصيل التي تشيرُ إلى أمر المهدي وإعلان الكثيرين الولاء له رغم الجبهات المتلاحمة لقتالِه . وأنَّ المهدي إذا قام يقوم معه جبرائيل والملائكة الذين نصروا رسولَ الله ﷺ ، بالإضافة إلى الولاية التكوينيّة التي أعدَّها اللهُ للمعصومين من أنبياء وأوصياء . وانَّ المهدي إذا سار سار الرعب بين يديه .. إلى غير ذلك من عناوين ونصوص تؤكّد صلاح أمر المهدي وغلبته إذا خرج ﷺ ..

وانَّ المهدي ﷺ إذا ظهر ظهرت المعجزات الدالّة عليه ، المُظهِرة لأمرِه ، بل في النص عن عبد الله بن أبي يعفور قال : قال أبو عبد الله جعفر بن محمد ﷺ : [ما من معجزة من معجزات الانبياء والاوصياء إلا ويُظهرُ اللهُ تبارك وتعالى مثلها في يدِ قائمنا ﷺ ، لإتمام الحجّة على الاعداء][1] . تأكيداً لكرامة الله تعالى ورحمته ، ومنعاً للجهل به ﷻ ، وكشفاً لأساليب التضليل التي يرميه بها أهل الكفر ووسائل المعسكرات الأخرى الذين يعملون بشكل حثيث لإبطال مفعول النداء من السماء باسم المهدي ﷺ .. وانَّ المهدي ﷺ طيلة الغيبة يكون في رعاية الله تعالى ، في مقرٍّ أعدَّهُ اللهُ

---

[1] دلائل الامامة : ص ٢٦١ –

[2] إثبات الرجعة ، للفضل بن شاذان : – على ما في إثبات الهداة . * : إثبات الهداة : ج ٣ ص ٧٠٠ ب ٣٣ ف ٦ ح ١٣٧ –

تعالى له ، منه يخرج وإليه يعود ، يخرج فيسيح في الأرض ، يرى الناسَ ولا يرونَهُ ، وإليه يعود ، بيتٌ ترعاه الملائكة ، وهو مهبط رحمة الله وفي رعايته تعالى .

وفي رواية المفضل قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [إنّ لصاحب هذا الامر بيتاً يُقال له « بيت الحمد » ، فيه سراج يزهر منذ يوم وُلدَ إلى يوم يقوم بالسيف ، لا يُطفأ][1] . تأكيداً للأنس والراحة والطمأنينة والرعاية التي يشمل اللهُ بها المهديَّ ﷺ إلى ان يأذن له بالخروج .

وأنّ المهدي ﷺ لا يقوم بأمرٍ إلا هو بأمرِ الله تعالى ، فمن أطاعهُ فقد أطاع الله ، ومن عصاهُ فقد عصا الله تعالى ، كما ورد في طائفة من النصوص مضت ، بل في بعضها تنبيه أنّ المهدي ﷺ لا يقوم إلا بما تُمليه الشريعة ، فإنّه معصومٌ من جميع الجهات وحجّةُ الله المُطلَقة على الخلق . وفي رواية رفيد مولى ابن هبيرة قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [إذا رأيتَ القائم أعطى رجلاً مائة ألف وأعطى آخر درهماً فلا يكبُر في صدرك – وفي رواية أخرى : فلا يكبر ذلك في صدرك – فإنّ الامر مفوّضٌ إليه][2] .

أي لا يقوم المهدي ﷺ بأمرٍ إلا وفيه الحكمة والمشرعيّةُ وضبط الأمر وإتمام الحجّة الربانيّة .. بل في طائفة واسعة من النصوص انّ المهدي ﷺ ينشر الحجج ويُظهرُ البراهين ويُتمُّ الأمر على ظاهر ما يراهُ الناس حتى لا يبقى للناس على الله حجّة ..

---

[1] النعماني : ص ٢٣٩ ب ١٣ ح ٢١ .

[2] بصائر الدرجات : ص ٢٨٦ ب ٥ ح ١٠

حرمة التوقيت لخروجه ﷺ

من المُتَّفق عليه – والنصوص فيه ظاهرةٌ تامّة – انَّه يحرمُ توقيتُ خروجِهِ ﷺ ، ولا يوجد نصٌّ يحدِّدُ ساعة خروجِهِ . بل أهل البيت ﷺ أخرجوا من النصوصِ ما يمنع من تحديد وقتِهِ ﷺ . نعم لا بأس بسرد العلامات والخصائص ، فهذه ليس فيها من التوقيت الممنوع ، لكن ساعة التوقيت وتحديد زمن الخروج ولحظته أمر ممنوع في النص . وهو سرٌّ من سرِّ الله تعالى كما في النصوص .

وإليك جملة من النصوص في ذلك :

- محمد بن مسلم قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [.. يا محمد ، مَن أخبرك عنّا توقيتاً فلا تهابنَّ أن تُكذِّبَهُ . فإنّا لا نُوقِّت لأحد وقتاً][1] .

- أبو بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : سألته عن القائم ﷺ ؟ فقال : [.. كذب الوقّاتون ، إنّا أهل البيت لا نوقّت][1] .

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : القمّاني : ص ٢٨٩ ب ١٦ ح ٢ – عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من وقت لك من الناس شيئا فلا تهابن أن تكذبه فلسنا نوقت لاحد وقتا) . عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كذب الموقتون ، ما وقتنا فيما مضى ، ولا نوقت فيما يستقبل) . * : البحار : ج ٥٢ : ص ١٠٢ ب ٢١ ح ٦

- في المُرسل عن أبي جعفر (محمد بن النعمان الاحول) عن الصادق ﷺ - في حديث طويل - قال : [.. يا ابن النعمان ، إنّ العالمَ لا يقدر أن يُخبرك بكلّ ما يعلم ، لأنّهُ سرٌّ الله الذي أسرّهُ إلى جبرئيل ﷺ ، وأسرّهُ جبرئيلُ ﷺ إلى محمّد ﷺ ، وأسرّهُ محمد ﷺ إلى عليّ ﷺ ، وأسرّهُ عليٌّ ﷺ إلى الحسن ﷺ ، وأسرّهُ الحسن ﷺ إلى الحسين ﷺ ، وأسرّهُ الحسين ﷺ إلى عليّ ﷺ ، وأسرّهُ علي ﷺ إلى محمّد ﷺ ، وأسرّهُ محمّد ﷺ إلى مَن أسرّهُ ، فلا تعجلوا ، فوالله لقد قرب هذا الأمر - ثلاث مرات - فأذعتموه ، فأخّرهُ الله ، والله ما لكم سرٌّ إلا وعدوكم أعلم به منكم][1] .

إلى غيرها من النصوص الكثيرة الواضحة في منع التوقيت ، وانّ الأمر بيد الله تعالى ، بل في النصّ الأخير يذمّ المعصوم الذين يفشون السرّ في زمنٍ كان الأعداء يلاحقون الأئمّة وأتباعهم ، وانّ الإمام منهم ﷺ - ما عدا صاحب الأمر - لم يمت موتاً إلا قتلاً بالسيف أو قتلاً بالسمّ .

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٢٦٨ ح ٢ - وفيها : ح ٤ - أحمد بإسناده قال : قال : أبي الله إلا أن يخالف وقت الموقتين) .

[2] تحف العقول : ص ٣١٠ -

المهدي ﷺ هو الذي يأخذ بثأر الحسين ﷺ

.. أكّدت النصوص انّ المهدي ﷺ هو الذي يأخذ بثأر الحسين ، ويقيم شرع الله ، وينتقم من أعداء الدّين ، ويحفظ شريعة الإسلام والمسلمين ، ويبطل باطل الناس أجمعين . وأنّه ﷺ الذي يطلب ثأر الحسين ﷺ . وبتعبيرٍ آخر : هو الذي يقيم أمر الله ويشمل كون الوجود بنعمة الدولة الربانيّة .

وفي رواية رزين قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [.. لما ضُرِبَ الحسينُ بن علي ﷺ بالسيف فسقط رأسه ، ثم ابتدر ليقطع رأسه ، نادى منادٍ من بطنان العرش : ألا أيّتُها الامة المتحيِّرة الضالّة بعد نبيها ، لا وفّقكُم اللهُ لأضحى ولا لفُطر . قال : ثم قال أبو عبد الله ﷺ : فلا جرم والله ما وُفّقُوا ولا يُوفّقُون حتى يثأرَ ثائرُ الحسينِ ﷺ][1] . يعني المهدي ﷺ الذي يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً .

وفعلاً : مَن ينظر في أحوال المسلمين – بصورةٍ عامّة – لا تجدُ فيها إلا أهولاً وذلاً وانكساراً وهزائم ، لا لأنّ الله عاقب الأبناء بفعلة الآباء ، بل لأنّ الأبناء ساروا على نهج الآباء ، ساروا على نهجٍ تضليليٍّ مخيف ، أحالوا

---

[1] الكافي : ج ٤ ص ٥٧٠ ح ٣ – الفقيه : ج ٢ ص ٨٩ ح ١٨١٢ – قال [إنما قاله الصادق عليه السلام ..] وفيه [لما قتل الحسين بن علي عليهما السلام أمر الله عزوجل ملكاً فنادى : أيتها الامة الظالمة القاتلة عترة نبيها ، لا وفقكم الله تعالى لصوم ولا فطر] . وفيها : ح ١٨١٢ – قال [وفي حديث آخر : لا وفقكم الله لفطر ولا أضحى] .

معه القرآن رسماً بلا قيمة ، والإسلام إسماً بلا معنىً ، فأبطلوا الحجج ، وأثبتوا الوهن . وهذا جزاءٌ من أبطل أمر الله . جزاءهُ الهوان والذل والإندثار..

وعلى كلٍّ حال : في النصوص إشارات جديرة بالإنتباه ، وانّ الحسين قضيّة رئيسيّة من قضايا السماء ، ومفصل تاريخي ضخم يدلُّ على الإنحراف الصارخ الذي أصاب أمة النبيِّ ﷺ من بعده حتى وصل الأمر إلى حدّ تقتيل أهل بيت النبي وسبي نساءه وذبح أطفاله ..! حتى النصراني صرخ في قصر يزيد : انّ السماء تتفجّع ممّا تفعلون ، وانّنا النصاري ما زلنا إلى اليوم نُقدّسُ موضع حافر حمار كان يركبُهُ المسيح .! فماذا فعلتم من قتلِ ابن بنت نبيّكم وأهل بيته ..!

وفي شأن الصلة بثأر الحسين عليه السلام يعني قضيّة لها كُنه وجوهر شديد الإتصال بمفصل رئيسي من مفاصل الدلالة على انحراف الزعامات والحكّام بعد الرسول ﷺ الذين حوّلوا الإسلام إلى ترف ونزعة قبليّة وفتح شهواني وربح مالي وعرش وراثي ومشروع ذاتي .. هنالك نصوص كثيرة تؤكّد الرابط العميق بين المهدي عليه السلام وبين الحسين عليه السلام كقضيّة . وما المهدي عليه السلام إلا ولد الحسين عليه السلام . من تلك النصوص :

- الحلبي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : [لمّا قُتِلَ الحسينُ عليه السلام سمع أهلنا قائلاً يقولُ بالمدينة : أليوم نزلَ البلاء على هذه الامة ، فلا ترون فرحاً حتى يقوم قائمكم عليه السلام ، فيشفي صدوركم ، ويقتل عدوكم ، وينال بالوتر أوتاراً][1] .

---

[1] كامل الزيارات : ص٢٣٦ ب١٠٨ ح١٤ -

- محمد بن حمران قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [.. لمّا كان من أمرِ الحسين ﷺ ما كان ، ضجّت الملائكةُ إلى اللهِ بالبكاء وقالت : يُفعل هذا بالحسين صفيّك وابن نبيك ؟ قال : فأقسام اللهُ لهم ظلّ القائم ﷺ وقال : بهذا أنتقم لهذا][1] .

- عبد الله بن عبد الرحمن الاصم ، عن كرام قال : حلفتُ فيما بيني وبين نفسي ألّا آكل طعاماً بنهارٍ أبداً حتى يقوم قائم آل محمد ، فدخلت على أبي عبد الله ﷺ ، قال فقلت له : رجلٌ من شيعتكم جعلَ لله عليه ألّا يأكل طعاماً بنهارٍ أبداً حتى يقوم قائم آل محمد ﷺ ؟ فقال ﷺ : [فصم إذاً يا كرام ، ولا تصم العيدين ، ولا ثلاثة التشريق ، ولا إذا كنتَ مسافراً ولا مريضاً ، فإنّ الحسين ﷺ لمّا قُتل عَجّت السماواتُ والارض ومَن عليهما والملائكةُ فقالوا : يا ربّنا ائذَن لنا في هلاك الخلق حتى نجدهم عن جديد الارض بما استحلُّوا حرمتَك وقتلوا صفوتَك ، فأوحى الله إليهم : يا ملائكتي ويا سماواتي ويا أرضي اسكنوا . ثم كشفَ حجاباً من الحُجُب فإذا خلفه محمّد ﷺ وإثنا عشر وصيّاً له ﷺ . وأخذ بيد فلان القائم ﷺ من بينهم فقال : يا ملائكتي ويا سماواتي ويا أرضي بهذا أنتصر (لهذا ، أي للحسين ﷺ) -- قالها ثلاث مرات -][2] .

إلى العديد من النصوص الواردة في هذا المعنى كتلك التي تحدّد وظيفة القائم ﷺ على انّه يثار للإسلام ، ولدين الله تعالى ، فيعمد إلى الأمم الظالمة والشعوب الضالّة والحكّام المستبدّين فيدعوهم إلى دين الله تعالى

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٤٦٥ ح ٦ –

[2] الكافي : ج ١ صـ ٤٣٤ ح ١٩ –

والنزول على حكمِ الشريعة ، فيقفون في وجهِهِ ، ويُعلنون مطامعهم في احتكار الأرض ، وهم فيها كثير ، أصلهم يقوم على الظلم والفساد بشتّى المواثيق والسلوك . لا يراعون فيها حرمة دين أو مواثيق فطرة أو قيم حسنة ، يستبدلون بها كتاب الفقه الوجودي بدواعي النزوة والآثام والطغيان . فينادي بهم المهديُّ عليه السلام أن عودوا لى الله وإلى ما خُلقتُم من أجلِه .. فيرفضون ويتجمّعون في وجهِهِ ، فيقف في وجههم حتى يقيم دول الحقّ وينشر محراب العدل ، وبذلك يُتمّمُ اللهُ تعالى أمر الحسين عليه السلام الذي خرج ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحقّ الحق ويبطل الباطل ويُعظّم الإسلام ..

راية رسول الله ﷺ تكون بيد المهدي ﷺ

رايةُ النبيِّ ﷺ المشهورة التي استفاض تكرارها على لسان أهلِ البيت ﷺ وأحاديثهم . ولقد كان الإمام علي ﷺ كثيرَ العهد بها يخرجها معه إلى الحروب ، ينشرها بين يدي الناس . وهي نموذج من العهد المستمر من النبيِّ ﷺ مع الأئمّة الإثني عشر ﷺ تكون مع المهدي ﷺ آخر الزمان ، بالإضافة إلى أمورٍ أخرى تخصُّ النبي ﷺ . تأكيداً على العهد الرباني وإشارة إلى الوراثة التي تجلّت بالإمامة . ويبدو واضحاً من المتون أنّ لها وصفاً إعجازيّاً في التأييد والإنتصار . والنصوص في هذا المجال عديدة منها :

- أبو بصير قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [لمّا التقى أميرُ المؤمنين ﷺ وأهل البصرة نشرَ الرايةَ ، راية رسول الله ﷺ ، فزلزلت أقدامهم ، فما اصفرّت الشمس حتى قالوا : آمنّا يا بن أبي طالب ، فعند ذلك قال : لا تقتلوا الأسرى ، ولا تُجهِزُوا على الجرحى ، ولا تتّبِعُوا مولّياً . ومَن ألقى سلاحه فهو آمن . ومَن أغلق بابَهُ فهو آمن . ولمّا كان يوم صفّين سألوهُ نشر الراية فأبى عليهم فتحملوا عليه بالحسن والحسين ﷺ وعمار بن ياسر رضي الله عنه . فقال ﷺ للحسن : يا بني ، إنّ للقوم مدّة يبلغونها ، وإن هذه راية لا ينشرها بعدي إلا القائم صلوات الله عليه][1] . إشارة إلى مفهوم الغلبة في هذه الراية . وأنّها تكون بيد المهدي ﷺ ، وعلامة من علامات الغلبة التي يتمظهر بها ﷺ .

---

[1] النعماني : ص ٢٠٧ ب ١٩ ح ١ –

- أبو بصير قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [لا يخرج القائم ﷺ حتى يكون تكملة الحلقة . قلت : وكم تكملة الحلقة ؟ قال ﷺ : عشرة آلاف ، جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، ثم يهزُّ الراية ويسير بها ، فلا يبقى أحد في المشرق ولا في المغرب إلا لعنها ، وهي راية رسول الله ﷺ ، نزل بها جبرئيل يوم بدر . ثم قال : يا أبا محمد ، وما هي والله قطن ولا كتان ولا قز ولا حرير . قلت : فمن أي شيئ هي ؟ قال : من ورق الجنة . نشرها رسولُ الله ﷺ يوم بدر ، ثم لفَّها ودفعها إلى علي ﷺ . فلم تزل عند علي ﷺ حتى إذا كان يوم البصرة نشرها أمير المؤمنين ﷺ ففتح اللهُ عليه . ثم لفَّها وهي عندنا هناك . لا ينشرها أحدٌ حتى يقوم القائم ﷺ ، فإذا هو قام نشرها فلم يبق أحد في المشرق والمغرب إلا لعنها . ويسيرُ الرعب قدّامَها شهراً ، ووراءها شهراً ، وعن يمينها شهراً ، وعن يسارها شهراً . ثم قال : يا أبا محمد ، إنه يخرج موتوراً غضبان أسفاً لغضب الله على هذا الخلق ، يكون عليه قميصُ رسولِ الله ﷺ الذي عليه يوم أحد ، وعمامته السحاب ، ودرعه درع رسول الله ﷺ السابغة ، وسيفه سيف رسول الله ﷺ ذو الفقار ، يجرُّ السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجاً ، فأوّل ما يبدء ببني شيبة فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة ، وينادي مناديه : هؤلاء سرّاق الله ، ثم يتناول قريشاً ، فلا يأخذ منها إلا السيف ، ولا يُعطيها إلا السيف ، ولا يخرج القائم ﷺ حتى يُقرَء كتابان : كتاب بالبصرة ، وكتاب بالكوفة بالبراءة من علي ﷺ][1] .

---

[1] النعماني : صـ ٣٠٧ - ٣٠٨ ب ١٩ حـ ٢ - البحار : جـ ٥٢ صـ ٣٦٧ - ٣٦٨ ب ٢٧ حـ ١٥٢ - عن النعماني إلى

- في المرسل عن الصادق ﷺ قال : [.. علمُنا غابرُ ومزبورُ ، ونكتٌ في القلوب ، ونقرٌ في الأسماع . وإنَّ عندنا الجفر الاحمر والجفر الابيض ومصحف فاطمة ﷺ ، وإنَّ عندنا الجامعة فيها جميعُ ما يحتاجُ الناسُ إليه . فسئل ﷺ عن تفسير هذا الكلام ؟ فقال ﷺ : أمّا الغابرُ فالعلمُ بما يكون ، وأما المزبورُ : فالعلم بما كان ، وأما النكتُ في القلوبِ فهو : الإلهام . والنقرُ في الاسماع : حديثُ الملائكة ، نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم . وأما الجفرُ الأحمر : فوعاءُ فيه سلاحُ رسولِ الله ﷺ ، ولن يخرج حتى يقومَ قائمنا أهل البيت ، وأما الجفرُ الابيض : فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود ، وكُتُب الله الأولى . وأما مصحف فاطمة ﷺ : ففيه ما يكونُ من حادثٍ وأسماء كل مَن يملك إلى أن تقوم الساعة . وأما الجامعة : فهي كتابٌ طولُهُ سبعون ذراعاً ، أملاهُ رسولُ الله ﷺ من فلق فيه (فمه) وخطَّ علي بن أبي طالب ﷺ بيده ، فيه والله جميعُ ما يحتاجُ النّاسُ إليه إلى يوم القيامة ، حتى أنَّ فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة][1] . وكان عليه السلام يقول : [إنَّ حديثي حديثُ أبي ، وحديثُ أبي حديثُ جدّي ، وحديثُ جدّي حديثُ علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ ، وحديث رسول الله قول الله عزوجل][2] .

قوله (إلا لعنها) وفيه (لا يخرج القائم من مكة . . ثم يهز الراية المغلبة) وزاد فيه (ثم يجتمعون قزعا كقزع الخريف من القبائل ما بين الواحد والاثنين والثلاثة والاربعة والخمسة والستة والسبعة والثمانية والتسعة والعشرة) .

[1] الارشاد : صد ٢٧٤ –

[2] الارشاد : صد ٢٧٤ –

- أبو بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : قلت له : جُعلت فداك ، إني أريدُ أن ألمس صدرك ؟ فقال : افعل ، فمسستُ صدره ومناكبَهُ . فقال : ولِمَ يا أبا محمد ، فقلت : جُعلت فداك ، إني سمعتُ أباك وهو يقول : إنَّ القائمَ واسعُ الصَّدرِ ، مسترسل المنكبين ، عريضٌ ما بينهما ، فقال ﷺ : [يا أبا محمّد ، إن أبي لبس درع رسول الله ﷺ وكانت تستخب على الارض ، وأنا لبستها فكانت وكانت ، وإنها تكون من القائم كما كانت من رسول الله ﷺ مشمّرة كأنه ترفع نطاقها بحلقتين ، وليس صاحب هذا الامر مَن جاز أربعين [1] . أي إذا ظهر المهدي ﷺ ظهر شاباً مثل ابن أربعين . أو كما في بعض الروايات : ما بين ثلاثين واربعين .

- الحسن بن علي رفعه قال : قلتُ لأبي عبد الله ﷺ : أنت صاحبنا ؟ أعني صاحب الامر ؟ فقال ﷺ : [ألبستُ درعَ رسول الله ﷺ فانجرت عليَّ ، وإنَّه ليأخذ لي بالركاب ، وإنَّ صاحبكم يلبس الدرعَ فتستوي عليه ولا يُؤخذ له بالركاب . ثم قال لي : أنَّى يكونُ ذلك ولم يُولد الغلام الذي تربِّيه جدَّتُهُ] [2] .

- يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله ﷺ قال : [ألا أريك قميصَ القائمِ ﷺ الذي يقومُ عليه ؟ فقلت بلى ، قال : فدعا بقمطر ففتحه وأخرج منه قميص كرابيس فنشره فإذا في كمّه الأيسر دم ، فقال : هذا قميصُ رسول الله ﷺ الذي عليه يوم ضُربَت رباعيَّتُهُ (أي

---

[1] بصائر الدرجات : صـ ١٨٨ - ١٨٩ ب ٤ ح ٥٦ –

[2] إثبات الوصية : صـ ٢٢٣ –

رباعيَّة وجهه) ، وفيه يقومُ القائمُ ﷺ . قال : فقبَّلتُ الدم ووضعتُهُ على وجهي . ثم طواهُ أبو عبد الله ﷺ ورفعه][1] .

- عبد الاعلى بن أعين قال : سمعتُ أبا عبد الله ﷺ يقول : [عندي سلاحُ رسول الله ﷺ لا أُنازَعُ فيه . ثم قال : إنَّ السلاح مدفوعٌ عنه لو وضع عند شرِّ خلق الله كان أخيرهم . ثم قال : إنَّ هذا الامر يصير إلى مَن يُلوى له الحنك ، فإذا كانت مِن الله فيه المشيَّة خرج فيقول الناس ما هذا الذي كان ، ويضع اللهُ له يده على رأسِ رعيَّتِه][2] . يعني أنَّ سلاح الرسول ﷺ يكون للمهدي ﷺ ، ويبدو من طائفة انَّ هذا السلاح له صفة الغلبة . وانَّ نشر راية الرسول ﷺ يعني الغلبة والنصر بإذن الله تعالى .

- عبد الاعلى قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : المتوثِّبُ على هذا الامر ، المدَّعي له ، ما الحجة عليه ؟ فقال ﷺ : [يُسأل عن الحلال والحرام . قال : ثم أقبل عليَّ فقال : ثلاثة مِن الحجة لم تجتمع في أحدٍ إلا كان صاحبَ هذا الامر : أن يكون أولى الناس بمَن كان قبله ، ويكون عنده السلاح ، ويكون صاحبَ الوصية الظاهرة التي إذا قدمت المدينة سألت عنها العامة والصبيان : إلى مَن أوصى فلان ؟ فيقولون : إلى فلان بن فلان][3] . إشارة إلى خصائص مشهورة تكون في المهدي ﷺ .

---

[1] النعماني : ص ٢٤٣ ب ١٢ ح ٤٢ – عن النعماني ، وقال .. أما القطر فهو ما يصان فيه الكتب .

[2] بصائر الدرجات : ص ١٨٤ ب ٤ ح ٣٩ –

[3] الكافي : ج ١ ص ٢٨٤ ح ٢ –

- عبد الله بن سنان قال : سمعتُ أبا عبد الله ﷺ يقول : [عصا موسى قضيب آس من غرس الجنة أتاهُ بها جبرئيل ﷺ لمّا توجّهَ تلقاء مدين ، وهي وتابوت آدم في بحيرة طبرية ، ولن يبليا ولن يتغيّرا حتى يخرجهما القائم ﷺ إذا قام][1] .

.. في هذه النصوص وغيرها تأكيد على أنّ مسار النبوّة والإمامة واحد ، وأنّ إرث النبيين والأوصياء بعضهُ متّصل ببعض ، والنصوص ناظرة إلى وحدة الدائرة التي تتّسع للنبوات ومسار المنصب الإلهي في النبوّة والإمامة ، وانّ عهد الأنبياء في جوهره واحد ، وكُنه البلاغ متّصل بمقام الهداية ، وانّ لهذه المقامات رجالاً مُعيّنون من قبل الله تعالى في منصب النبوّة أو الإمامة ، وانّ الأمر توقيفي على الله تعالى . وانّه مع ظهور المهدي ينشر ﷺ صُحُف الله وكتبه مثل التوراة والإنجيل وغيره ، وأنواع متعدّدة من مواريث الأنبياء ، مثل تابوت آدم وعصا موسى ورايةَ النبيّ وسلاحه والجامعة وغير ذلك ..

وفي النصوص مزيد من التأكيد على انّ المهدي ﷺ فيه العديد من سُنن الأنبياء ، وانّه العهد والبشارة التي بشّرَ اللهُ بها الأنبياءَ والأولياءَ وهو الذي يتمُّ على يده تحويل الأرض إلى مهدٍ عظيمٍ لدولة الله تعالى ، لتبدأ مرحلة ما قبل نهاية التاريخ على نحوٍ موافقٍ لأصل ولادة الأرض وعمارتها بالبشر ، على نحوٍ من عبادةٍ عليا وطاعةٍ صافيةٍ وخلاصٍ تام ..

وقد تكاثرت النصوص التي تشيرُ إلى تنوُّع الخصائص التي يترجمها شخصُ المهديّ بدوره الوظيفي العظيم ، ففي رواية أبي بصير

---

[1] النعماني : ص٢٣٨ ب ١٣ ح ٢٧

قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [إنَّ سنن الانبياء ﷺ بما وقع بهم من الغيبات حادثة في القائم منّا أهل البيت ، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة . قال أبو بصير فقلت : يا ابن رسول الله ، ومَن القائمُ منكم أهل البيت ؟ فقال ﷺ : يا أبا بصير ، هو الخامس من وُلد ابني موسى ، ذلك ابن سيدة الاماء ، يغيب غيبةً يرتابُ فيها المُبطِلُون . ثم يُظهِرُهُ اللهُ عزوجل فيفتح الله على يده مشارق الارض ومغاربها ، وينزل روح الله عيسى بن مريم ﷺ فيصلّي خلفه ، وتُشرِقُ الارضُ بنور ربها ، ولا تبقى في الارض بقعة عُبِدَ فيها غيرُ الله عزوجل إلا عُبِدَ اللهُ فيها ، ويكون الدِّينُ كلُّه لله ولو كره المشركون][1] ..

مضمون النص يتّسع لتمجيد المهدي ﷺ وإظهار نعمة عظيمة تقع على يده ، وهي تحويل الوجود البشري إلى أمّةٍ واحدة تحت طاعة الله وتكوين دولة شاملة تعلن الولاء للقرآن وصحف الله تعالى وتترجم قوانين السماء إلى دوحةٍ وجوديّةٍ امتثاليّة ..

ثم لا يترك اللهُ تعالى الأرض دون هادٍ أو مرشدٍ إلى أمرِ المهدي ودين الله تعالى . هذا ما ورد في نصوصٍ كثيرة تؤكّد طابع الحجّة على الخلق ، الحجّة المتنوّعة الشاملة ، الحجّة التي تلائم الأمم باختلاف عقائدها وميولها وثقافتها وبُنى مجتمعاتها في تلقّي الحجج وتحليلها ..

هذا أمر في غاية الأهميّة ، فبلاغُ الله أبدي ، وحجّتُه على الناس باقية لازمة إلى قيام يوم الساعة ، وهي متنوّعة ، متعدّدة متلازمة ، متتابعة لا

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٢٤٥ -- ٢٤٦ ب ٢٣ ح ٣١ ..

تخلو من جيلٍ أو أمّة أو زمانٍ أو مكان . سواء كان الأمر متّصلاً بدين الله تعالى أو بالمهدي ﷺ . بل في النصوص انّه بعدما يُنادى في السماء بإسم المهدي يصبحُ المهديُّ حديثَ الناس ..

نعم القنات في بقاع الأرض مختلفة ، منهم من يضمرون الشكّ والإسقاط ، ومنهم من يضمرون الجحود والنفاق ، ومنهم أهل اليقين الذين يمتثلون الحقيقة بمجرّد قيام الحجّة والبرهان .. ..

وقد ورد عن زيد الشحام عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إنّ صالحاً ﷺ غاب عن قومه زماناً ، وكان يوم غاب عنهم كهلاً ، مبدح البطن ، حسن الجسم ، وافر اللحية ، خميص البطن ، خفيف العارضين مجتمعاً ، ربعة من الرجال ، فلما رجع إلى قومه لم يعرفوه بصورته ، فرجع إليهم وهم على ثلاث طبقات : طبقة جاحدة لا ترجع أبداً ، وأخرى شاكّة فيه ، وأخرى على يقين . فبدأ ﷺ حيث رجع بالطبقة الشاكّة فقال لهم : أنا صالح ، فكذّبوهُ وشتموه وزجروه وقالوا : برئ اللهُ منك ، إنّ صالحاً كان في غير صورتك . قال : فأتى الجُحّاد فلم يسمعوا منه القول ، ونفروا منه أشدّ النفور . ثم انطلق إلى الطبقة الثالثة وهم أهلُ اليقين فقال لهم : أنا صالح . فقالوا : أخبرنا خبراً لا نشكّ فيك معه أنّك صالح ، فإنّا لا نمتري أنّ اللهَ تبارك وتعالى الخالق ينقل ويحوّل في أيّ صورة شاء ، وقد أُخبرنا وتدارسنا فيما بيننا بعلامات القائم إذا جاء ، وإنما يصحّ عندنا إذا أتى الخبرُ من السماء ، فقال لهم صالح : أنا صالح الذي أتيتكم بالناقة ، فقالوا : صدقت وهي التي نتدارس فما علامتها ؟ فقال : لها شربٌ ولكم شربُ يومٍ معلوم . قالوا : آمنّا بالله وبما جئتنا به ، فعند ذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿ انّ

صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ . قَالُوا (أي أهل اليقين) : إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ ، ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا (وهم الشكّاك والجحّاد) : إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ . قلت : هل كان فيهم ذلك اليوم عالمٌ به ؟ قال ﷺ : اللهُ أعدل من أن يترك الارضَ بلا عالمٍ يدلُّ على الله عزّوجلّ . ولقد مكثَ القومُ بعد خروجِ صالحٍ سبعةَ أيامٍ على فترة لا يعرفون إماماً ، غير أنّهم على ما في أيديهم من دين الله عزوجل ، كلمتهم واحدة ، فلمّا ظهر صالح ﷺ اجتمعوا عليه . وإنما مثل القائم (المهدي ﷺ) مثل صالح ﷺ][1] .

هذا تأكيد مقارن لافت يُضاف إلى مجموع النصوص التي تعيد تكرار رسم أنماط الحجّة وبراهينها وتعدُّد أنواعها لئلا يكون للناس على الله حجّة . وانّه إذا خرج المهدي ﷺ كانت الحجج متتالية والبراهين متراكمة ، وانّه كالشمس المنيرة في بطن السماء . وانّه لا يخفى على أحد ، وانّه واضح الحجّة عند اهل اليقين . أمّا أهل الشكّ والجحود فهؤلاء أصلٌ أنماطهم تقوم على الجحد والإمتناع والتزييف والإلحاد بالحقائق وإبطالها ..

ولله في أمر المهدي ﷺ حجّتين : حجّة زمن غيبته ، وحجّة زمن ظهوره ، ولكلٍّ حجّة واسعة حسبُها وشرطُها ووظيفتُها تُناسبُ الموقعين ، لكافّة أهل الأرض كلّهم ..

أمّا بالنسبة إلى السُنَن التي تجري في المهدي ﷺ كما جرت في الأنبياء قبله ، وانّه يأخذ من هذا وذاك ، إنما هي خصائص وإشارات إلى صفاتٍ وأنماط وظواهر محدّدة دون أن تكون متّفقة معها من جميع الخصائص . فغيبة موسى ﷺ عن قومه دامت ٢٨ عام ، في حين غيبة

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ١٣٦ - ١٣٧ ب ٢ ح ٦

المهدي ﷺ هي أكبر من ذلك ، ربي يعلم عددها ، إذاً سنّتُهُ مِن موسى أصل الغيبة دون نظر إلى المدّة . وفي رواية عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : [في القائم ﷺ سنّة مِن موسى بن عمران ﷺ ، فقلت : وما سُنّتُهُ مِن موسى بن عمران ؟ قال ﷺ : خفاءُ مولدِهِ وغيبته عن قومه ، فقلت : وكم غاب موسى عن أهله وقومه ؟ فقال : ثماني وعشرين سنة][1] .

وفي النصوص مُتّسع للإشارة إلى سُنَن متعدّدة تكون مِن نبيٍّ واحدٍ في المهدي ﷺ ، كعيسى بن مريم ، فقد قيل فيه ما قيل من الألوهيّة وشبه ذلك ، وهذا حسب بعض النصوص يقع بعضُهُ في المهدي ﷺ فيقال فيه . في حين طائفة أخرى تشير إلى انّ سنّته من عيسى انّه يسيح في الأرض . ففي رواية أبي بصير قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [إنّ في صاحب هذا الامر سُنَناً من الانبياء ﷺ : سنّة من موسى بن عمران ، وسُنّة من عيسى ، وسنّة من يوسف ، وسنة من محمد صلوات الله عليهم ، فأمّا سنة من موسى بن عمران فخائف يترقّب ، وأما سنة من عيسى فيُقال فيه ما قيل في عيسى ، وأما سنة من يوسف فالستر ، يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه ، وأما سنة من محمد ﷺ فيهتدي بهداه ويسير بسيرته][2] .

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ١٥٢ ب ٦ ح ١٤

[2] كمال الدين : ج ٢ ص ٣٥٠ - ٣٥١ ب ٢٢ ح ٤٦ - مرسلا عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال : (في القائم سنة من موسى ، وسنة من يوسف ، وسنة من عيسى ، وسنة من محمد صلى الله عليه وآله ، فأما سنة موسى فخائف يترقب ، وأما سنة يوسف فإن إخوته كانوا يبايعونه ويخاطبونه ولا يعرفونه ، وأما سنة عيسى فالسياحة ، وأما سنة محمد صلى الله عليه وآله فالسيف) .

وما التعدّدُ في التشبيه إلا هو تركيز على التنوّع الوظيفي والظواهر التي تتمظهر طيلة أمر المهدي غيبةٌ وظهوراً وانتصاراً وحكماً . وما المهدي إلا بشارة الله للأنبياء والأوصياء . هذا ما أكّدته النصوص وتنوّعت في الإشارة إليه .. وفي بعضها تركيز على الفترة والغيبة والظروف القاسية التي تُواجِهُ المؤمنين بالمهدي ﷺ . وفي مجموعة متعدّدة تركيز على حالة الفسق التي تصيب المسلمين والحكّام الذين يستبدلون القرآن بغيره ، والعالم الذي يموج آنذاك بقيم الإنحلال الميثاقي والعرف الإجتماعي الفاسد والقيم المعاندة للمواثيق وفطرة الوجود الناظرة إلى معالم الكتاب الكوني من منظار الفقه الوجودي ..

وأنّ العلم السماوي والعمل به يُحارب بأساليب شتّى ، فيُحتجَز بشكلٍ وآخر ، وتضيق رقعة اتّساعه ، ويصبحُ هدفاً للتنكيل ، وتضعف المناداة به ، وتظهر في عامّة المسلمين مشكلة الحُكّام الضالّين الذين يُعطّلون القرآن ويُفسدون . وتكون غيبة المهدي ﷺ : غيبة كبرى بعد الصغرى ، يخرج بعدها في زمن الفتن الصعبة والحروب المتبدّلة والقيم الفاسدة والتوحُّش الهائل الذي يصيب البشر آنذاك ..

وفي رواية أبان بن تغلب عن أبي عبد الله ﷺ قال ﷺ : [يا أبان ، يصيب العالم سبطة ، يأرز العلم بين المسجدين كما تأرزُ الحيّةُ في جحرها ، قلت : فما السبطة ؟ قال : دون الفترة ، فبينما هم كذلك إذ طلع لهم نجمهم ، فقلت : جعلت فداك ، فكيف نصنع ، وكيف يكون ما بين ذلك ؟ فقال لي : ما أنتم عليه حتى يأتيكم اللهُ بصاحبها][1] . وفي لفظٍ آخر قال

---

[1] النعماني : ص ١٥٩ ب ١٠ ح ٦ – عن أبان بن تغلب قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام يأتي على الناس زمان يصبحهم فيه سبطة يأرز العلم فيها بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها ، يعني بين مكة

ﷺ : [.. يأتي على الناس زمان يصيبهم فيها سبطة يأرز العلم فيها كما تأرز الحية في جحرها ، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم نجم ، قلت : فما السبطة ؟ قال : الفترة (والغيبة لإمامكم) ، قلت : فكيف نصنع فيما بين ذلك ؟ فقال : كونوا على ما أنتم عليه حتى يطلع الله لكم نجمكم][1] .

تعبير « كونوا على ما أنتم عليه » يشيرُ إلى التمسُّك بالإمامة ، والحفاظ على الدِّين والتزام المواثيق ، والإمتناع على الباطل ، وهيكلة أمورنا على تقوى الله والتزام الشريعة ، وتأسيس مشروع الإسلام ونصرة الدِّين ، والتمهيد لقيام أمر الله في دولته ، وهو فرضٌ لازمٌ في جماعتنا زمن الإنتظار .

أي وجوب التزام كل ما من شأنه التمهيد والتأسيس لحكم الله وشرعه ونصرة ابن بنت رسول الله المهدي ﷺ . وهذا يعني تكثيف التربية على الإسلام ، وتنسيق الجهود لإحكام أمر الإيمان بنماذجه المتعدِّدة في شتَّى القطاعات ، وتضييق الخناق على الكفر والفسق والفجور والفساد ما أمكن . وانَّ تأسيس الإجتماع الإسلامي يجب أن يكون بحكمة بالغة ، معتمداً على الأسس التي من شأنها بناء الإجتماع على نحو ديني متين ، وتحقيق

والمدينة ، فبينما هم كذلك إذ أطلع الله عزوجل لهم نجمهم ، قال : قلت : وما السبطة ؟ قال : الفترة والغيبة لامامكم ، قال : قلت : فكيف نصنع فيما بين ذلك ؟ فقال : كونوا على ما أنتم عليه حتى يطلع الله لكم نجمكم) .

[1] النعماني : ص ١٥٩ ب ١٠ ح ٦ – عن أبان بن تغلب قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام يأتي على الناس زمان يصيبهم فيه سبطة يأرز العلم فيها بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها ، يعني بين مكة والمدينة ، فبينما هم كذلك إذ أطلع الله عزوجل لهم نجمهم ، قال : قلت : وما السبطة ؟ قال : الفترة والغيبة لامامكم ، قال : قلت : فكيف نصنع فيما بين ذلك ؟ فقال : كونوا على ما أنتم عليه حتى يطلع الله لكم نجمكم) .

القوّة المتنوّعة القادرة على التأثير في هيكل أهل الكفر والنفاق والجور والإنحراف لتعزيز الإسلام وإضعاف الباطل ..

وانّه في عصر الغيبة لا بدّ من التمسُّك بالشُّرع ، بقيم الإسلام ، بالعلماء المخوّلين ببيان الحكم الشرعي السليم . النصوص الكثيرة تُؤكّد انّ طابع التزام المسلم المؤمن هو الشرع الحنيف والإنصياع له والوقوف على أحكامه – أمّا الضرورات – فلها أحكامُها الشرعيّة أيضاً وضمن حدودها . وانّ على المؤمن السعي لتثبيت حكم الشريعة ، الشريعة التي تسعد أبناءها وناسها ، الشريعة السمحة السهلة ، لا الشريعة الضيّقة ذات المفهوم المتزمّت لفئة أو هيكلٍ يلفظ باقي المؤمنين من محورهِ وسوره ..

ولاية الفقيه زمن الغيبة

تأسيساً على ما مضى ، فإنّ ولاية الفقيه هي أساس مركزي في عصر الغيبة ، وضرورة لإلتزام الشرع وقيام مجتمع الإسلام . للفقيه محوران وظيفيّان : الأوّل بيان الحكم الشرعي ، والثاني : إدارة وقيادة الإجتماع السياسي والرقابة عليه لحماية وضمان تطبيق الشريعة .

ثم طاعة الشريعة لا يجوز أن تكون كيفما كان ودون ضوابط . بل لا بدّ من طاعة الحكم الشرعي الذي أوجبه الله تعالى ، وهذا يتوقّف على منهج خصوصي عميق لبيان الحكم الشرعي ، وهذا بدوره يحتاج إلى جهود وخبرة جبّارة يقوم بها الفقيه ، ما يعطيه الولاية الإستنباطيّة لبيان الأحكام الشرعيّة .

ولا يكفي بيان الحكم الشرعي . بل لا بدّ من وضعه موضع التنفيذ . إنّما شرّعَ اللهُ الإسلامَ للعمل لا للحفظ والقراءة النظريّة . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ ، أي لا بدّ من امتثاله والنزول عند مواثيقه وقوانينه . وفي ذيل آية أخرى يقول تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، أي هو الوثيقة العامّة ، ومنظومة الحقوق الفرديّة الجماعيّة المتنوّعة والشاملة ، وأطروحة الإجتماع السياسي

الواجبة الإمتثال . بتعبير آخر : الإسلام عقيدة وشريعة يجب أن يُوضع موضوع التنفيذ بكافّة قوانينه ومعالمه ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، لسان شامل لمفهوم الحكومة الأعم من القضاء ، وآيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل شمولي ومطلق . . وعليه : لا بدّ من جماعة تعمل على تطبيق الإسلام في كافّة شؤون الحياة ، بحيث تكون وظيفتُها إحقاق الحق وإبطال الباطل ، تثبيت المعروف ومنع المنكر واستئصاله من شتّى سلوكيّات الحياة . يقول الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، إذن لا بدّ من قيام أمّة أو فئة عارفة . لها القدرة على إحقاق الحق وإبطال الباطل . أمّة أو فئة تعرف الحكم الشرعي وأوصافه ، قادرة على رقابة سلوك الجماعة والإجتماع والمواضيع المتّصلة بسلوك الأمّة ، فئة تُلزم الجماعة على الإنقياد تحت لواء الشريعة ومواثيقها . وفي آية أخرى قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ، إذن القيمة تكمن في تحويل المواثيق إلى سلوكيّات موافقة لشرع الله وقوانين الإسلام عبر فئة عارفة عالمة بالأحكام ومواصفاتها ورقابة المجتمع وشرعنة الأمور .

بل وظيفة الأنبياء والعلماء إقامة العدل وإحقاق الحق وإبطال الباطل وقد قال تعالى : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، والعدل ومشتقاته وما يتّصل بمواثيق الشريعة أمر لازمٌ بحقّ المسلم واجب النفاذ والإعتماد في شتّى الشؤون ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، وهذا يحتاجُ

بالضرورة إلى تكوين جماعة ومؤسسات وقوة وظيفيّة متنوّعة الأدوار بين قضاء وتنفيذ وبيان تشريعي وأجهزة تعمل على حفظ قوانين الشريعة ومنع ارتكاب الجريمة أو الخروج عليها ، والحؤول دون التمادي بالجريمة ، وحفظ القيم والعناوين التي نقطع من الشارع أنّه يريدها ، وهو قطعاً يريد الإسلام ميثاقاً للأمّة وميزاناً للسلوك والحكم . وهذا يعطي الفقيه دوراً آخر هو دور قيادة وإدارة الإجتماع السياسي في بيان الحكم ووضعه موضع التطبيق ..

والثابت عندنا انّ الشريعة تعني الإلتزام بالأحكام كافّة والإلزام بها للآخرين ، وظوائف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والآيات الكثيرة في غيرها شديدة الوضوح في أمر الناس بالتزام الإسلام ، وكلّها دليلٌ على ضرورة وضع الإسلام موضع التنفيذ في الإجتماع العام والخاص .

والفقيه هو المخوّل توصيف الموضوعات والطوارئ وتقريع الفروع وبيان الأُطر ووصف الحوادث الجديدة وغيرها ، وتنظيم أمر الجماعة وفق أُسس وقيم الشريعة ، وهو المصداق الأبرز بل الوحيد الذي له ذلك دون غيره . نعم له أن يُوكل أمر الرئاسة إلى أي شخصٍ قادرٍ على تطبيق البيان الشرعي الذي يستنبطهُ من المدارك الشرعيّة ، شرط أن تكون للفقيه عليه سلطنةُ الإلزام بمرجعيّة الشريعة وضوابطها .

وبتعبير آخر :

لا يجوز للوليّ الفقيه ان يُضعف نفسه أو موقعه ، أو يسلب صلاحيات الرقابة والإلزام من نفسه وموقعه فيعطيها لغيره ، لأنّه بإضعاف موقعه إضعاف لقيمومة الشرع وسلطنة الإمرة والنفاذ من هذه الجهة .

وعليه : الفقيه في وجهٍ من وجوه الحُجَج يحتلُّ موقعاً رئيسيّاً جداً زمن الغيبة ، فلا بدَّ من الركون إليه والحفاظ عليه . وفي رواية عبد الله بن سنان قال : دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله ﷺ فقال : [كيف أنتم إذا صرتم في حالٍ لا ترون فيها إمام هدى ولا علماً يُرى ؟ فلا ينجو من تلك الحيرة إلا من دعا بدعاء الغريق ، فقال أبي : هذا والله البلاء ، فكيف نصنع جعلت فداك حينئذ ؟ قال ﷺ : إذا كان ذلك – ولن تدركه – فتمسَّكُوا بما في أيديكم حتى يتَّضِحَ لكم الامر][1] .

وبديهي أنَّ الحفاظ على ما أيدينا من الشرع متوقّف على الفئة القادرة على سبر كُنه وقوانين استنباط الحكم الشرعي ، وهو أمر ثقيل معقّد يحتاجُ إلى جهودٍ جبّارة واحترافيّة من قبل فئة الفقهاء أكرمهم الله تعالى بتأييده ، وهذا يعني العودة إلى الفقهاء ، ليكونوا على نحوٍ مركزي في حياة المسلمين وقيادة اجتماعهم العام .

ثم غيبة المهدي ﷺ يلازمُها ظهورُ الحجج ووسائط الله في الأرض ، حتى لا يبقى للناس على الله حجّة . أهل العلم والمنصفين وأهل اليقين هؤلاء لا يرتابون . مع التأكيد على انَّ حجج الله متنوّعة ، ووظائفها متعدّدة ، تخاطب الأمم بتنوّعها وتنوُّع وظيفتها لتكون برهاناً احتجاجيّاً عليهم إلى يوم الدين ..

وفي رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله ﷺ قال : [أقرب ما يكون العباد من الله جل ذكره وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله عزوجل ولم يظهر لهم ولم يعلموا مكانه ، وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل

---

[1] الغماتي : ص ١٥٩ ب ١٠ ح ٤ .

حجة الله جلّ ذكرُهُ ولا ميثاقه ، فعندها فتوقعوا الفرجَ صباحاً ومساءً ، فإنّ أشد ما يكون غضبُ اللهِ على أعدائه إذا افتقدوا حُجّتَهُ ولم يظهر لهم ، وقد علم أنّ أولياءه لا يرتابون ، ولو علم أنهم يرتابون ما غيّبَ حُجّتَهُ عنهم طرفةَ عين ، ولا يكون ذلك إلا على رأس شرار الناس][1] ..

أي أنّ الله تعالى لا يترك الناسَ دون حجّة ، وانّ أهل اليقين لا يمكن ان يرتابوا بحقيقة الحجّةِ التي منها غياب القائم ﷺ ..

فمَن لم تثبت الحجّةُ عليه ، لقصورٍ فيه أو لأمرٍ ما ، فما كان من الله فاللهُ أولى بالعذر ، شرط انّ حجّة العقل ومجموع تراث العقلاء فضلاً عن العلماء هي نموذج من حجج الله في أرضه ، وما أكثر أنواع الحجج من عقلٍ وإقراراتٍ وبراهين مختلفة . وفي رواية زرارة ، عن جعفر بن محمد ﷺ قال : [حقيقٌ على الله أن يدخل الضلال الجنة . فقال زرارة : كيف ذلك جعلت فداك ؟ (قال) : يموت الناطق ، ولا ينطق الصامت ، فيموت المرء بينهما فيدخله الله الجنة][2] .

فمن تمّت الحجّة عليه يُحتجُّ عليه بمقدارها . ومن لم يصل إليه من الحجّة إلا بعضها ، فالحجّة عليه يوم القيامة تكون بهذا النحو ..

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٣٢ ح ١ –

[2] غيبة الطوسي : ص ٢٧٧ –

الحيرة آخر الزمن وثواب الصبر

يبدو أنَّ بعضاً من الحيرةِ يطلُّ برأسِه بعض الأحيان ، وهو نوعٌ واضح من أنواع البلوى التي تصيب ناس آخر الزمان ، على انّ هذه الحيرة يصاحبها دوماً أُصول وحجج وبراهين مختلفة تبطل مزاعم المبطلين ، وتؤكّد حقانيّة الدِّين وبراهينه . وكما في تعبير العديد من النصوص : « اللهُ أعدل من أن يترك الارضَ بلا حجّة تدلُّ على اللهِ عزَّوجلَّ » ، إذاً : لا بدَّ من حجّة يُستدلُّ بها على دين الله وإمامه ومنهاجه المستقيم .. الله أعدل من أن يترك الخلق بلا حجّة وهداية وإرشاد ودليل إليه تعالى ..

على هذا يتمُّ تفسير النصوص التي تشير إلى تزاحم البعض على مقام الإمامة ، بل بعضهم يدّعي انّه المهدي ﷺ لكنّه لا يقوم مقام الحجّة والبرهان في إثبات ذلك ، في حين إذا خرج المهدي سطعت الشمسُ ومعالم الوجود في إثبات ذلك ، الشمس تشرق من المغرب ، والنداء يعلو في السماء من جبرائيل ﷺ بلغة أهل الأرض كلّهم : انّ المهدي قائم آل محمّد خرج . والحجج والبراهين الكونيّة والوجوديّة والإثباتيّة على مختلفها أكثر من أن تُحصى في هذا المجال .

وفي رواية يعقوب بن شعيب ، قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : « إنَّ الناسَ ما يمدون أعناقهم إلى أحد من ولد عبد المطلب إلا هلك ، حتى

يستوي وُلدُ عبد المطلب لا يدرون أياً مِن أيٍّ ، فيمكثون بذلك سنين مِن دهرهم ، ثم يبعث لهم صاحب هذا الامر][1] . أي انّ صاحب الأمر يظهر والحجج والشهادات الكونيّة الوجوديّة تصحبه حتى الشمس تشهد له بمغيبها الغير عادي وإشراقها المغربي الشاذ عن حقائق ومعارف أهل الفلك وعلوم ذلك الزمان ، بالإضافة إلى سلسلة مذهلة من بيّنات الله ومعجزاته ..

وعن ملاحم ابن طاووس قال : ومِن المجموع عن الصادق ﷺ أنه قال لشيعته : [كيف أنتم إذا بقيتم شيئاً (سبتاً) من دهركم لا ترون إماماً ، واستوت أقدام بني عبد المطلب كأسنان المشط ، فبينما أنتم كذلك إذ أطلع الله لكم نجمكم ، فاحمدوا الله واشكروه][2] . تأكيداً منه ﷺ على سطوح برهانه وبيان حجّته التي لا تخفى على أحد ، إلا المبطلين الذين يجحدون الحائق ، حتى انّ الشجرة اقتلعت من الأرض وأقبلت تشهد لرسول الله ﷺ بالنبوّة ، فقال القرشيّون : سَحَرَ أبصارنا ..!

على انّ الصابر زمن الغيبة لهو على أمرٍ عظيم ، بل أفضل العبادة انتظار الفرج كما ورد عن الإمام الحسين بن علي ﷺ ..

وعلى قدر المشقّة يكون الأجر ، وهذا ما يمكننا من خلاله الجمع بين طائفتين من المنصوص واحدة أشارت إلى أفضليّة أصحاب آخر الزمان الثابتين على أمر المهدي من غيرهم ، في حين طائفة أخرى اشارت إلى أفضليّة غيرهم ، نظراً إلى المشقّة والمكاره وأنواعها ، وضمن حدودها .

---

[1] دلائل الإمامة : ص ٢٩٢ –

[2] : ص ١٨٥ –

فمن تلك النصوص ما رواه أمية بن علي ، عن رجلٍ قال : قلتُ لأبي عبد الله ﷺ : أيما أفضل ، نحن أو أصحاب القائم ﷺ ..؟ قال ﷺ : [أنتم أفضل من أصحاب القائم ، وذلك أنكم تُمسون وتصبحون خائفينَ على إمامكم وعلى أنفسكم من أئمة الجور . إنْ صلَّيتم فصلاتُكُم في تقيَّة ، وإنْ صُمتم فصيامُكُم في تقيَّة ، وإنْ حججتم فحجُّكُم في تقية ، وإنْ شهدتم لم تُقبل شهادتُكُم . وعدَّ أشياء من نحو هذا مثل هذه . فقلت : فما نتمنَّى القائم ﷺ إذا كان على هذا ؟ قال : فقال لي : سبحان الله .! أما تحبُّ أن يظهر العدل وتأمن السُّبُل ويُنصف المظلوم ![1] .

النصُّ يقارن بين أصحاب الإمام أبي عبد الله الصادق ﷺ الذين يُلاحقون بالموت والحبس والتُّهم والغدر والفتك . وبين أصحاب القائم ﷺ بعد تمام الأمر ونشر العدل في كون بني البشر .. وفي غيرها توصيف بالأفضليّة للصابرين زمن الغيبة الذين آمنوا بسواد على بياض . وهذا يعني النظر إلى نواحٍ في التفضيل وعلى اساسها تكون الأرجحيَّة من هذه الجهات ..

ومَن صبر زمن الغيبة فتمسَّك بالقرآن والعترة النبويَّة وعمل بمواثيق الشريعة حتى مات او قُتِل كان له من الأجر كمَن قُتِل مع المهدي ﷺ أو مع النبيِّ ﷺ كما ورد في العديد من النصوص ، منها :

- عبد الله بن عجلان عن أبي عبد الله ﷺ قال : [.. مَن عرف بهذا الامر ثم مات قبل أن يقوم القائم ﷺ كان له أجر مثل مَن قتل معه][2] .

---

[1] الاختصاص : صـ ٢٠ – ٢١ –

[2] الفضل بن شاذان – على ما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : صـ ٢٧٧

أي من عرف أمر أهل البيت ﷺ فامتثله وتمسّك به حتى مات ، كان له ثواب من قُتِل مع المهدي ﷺ .

- العلاء بن سيابة قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [مَن مات منكم على أمرنا هذا فهو بمنزلة من ضرب فسطاطه إلى رواق القائم ﷺ ، بل بمنزلة مَن يضرب معه بسيفه ، بل بمنزلة مَن استشهد معه ، بل بمنزلة من استشهد مع رسول الله ﷺ][1] .

- مالك بن أعين قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [مَن مات منكم على أمرنا هذا ، كان كمن استشهد مع رسول الله ﷺ][2] .

- السندي عن جده قال قلت لأبي عبد الله ﷺ : ما تقول فيمَن مات على هذا الامر منتظراً له ؟ قال ﷺ : هو بمنزلة مَن كان مع القائم ﷺ في فسطاطه . ثم سكت هنيئة ثم قال : هو كمن كان مع رسول الله ﷺ][3] .

- سأل أبو بصير أبا عبد الله ﷺ وأنا أسمع فقال : تراني أدرك القائم ﷺ ؟ فقال : [يا أبا بصير ألستَ تعرف إمامك ؟ فقال : إي والله وأنت هو - وتناول يده - فقال : والله ما تُبالي يا أبا بصير ألا تكون محتبياً بسيفك في ظل رواق القائم صلوات الله عليه][4] . أي يكفي التزام مواثيق الإسلام والنزول عند حكم القرآن والعترة

---

[1] المحاسن : ص ١٧٣ ب ٣٨ ح ١٤٥ -

[2] نفس المصدر .

[3] نفس المصدر .

[4] الكافي : ج ١ ص ٣٧١ ح ٤

النبويَّة حتى يكون لك أجر مَن يُقتَل بين يدي المهدي ﷺ ، بل بين يدي رسولِ الله ﷺ . .

- مالك الجهني قال : قال لي أبو عبد الله ﷺ : [يا مالك أما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفوا وتدخلوا الجنة ؟ يا مالك ، إنه ليس مِن قومٍ ائتمُّوا بإمامٍ في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلا أنتم ومَن كان على مثل حالكم ، يا مالك ، إنَّ الميت والله منكم على هذا الامر لَشهيدٌ بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله][1] .

- الحسين بن أبي حمزة عن أبيه قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : جُعلت فداك ، قد كَبُرَ سنِّي ، ودقَّ عظمي ، واقترب أجلي ، وقد خفتُ أن يدركني قبل هذا الامر الموتُ . قال : فقال لي : [يا أبا حمزة أو ما ترى الشهيد إلا مَن قُتِل ؟ قلت : نعم جعلت فداك ، فقال لي : يا أبا حمزة ، مَن آمن بنا وصدَّق حديثنا وانتظر أمرنا كان كمَن قُتِلَ تحت راية القائم ﷺ ، بل والله تحت راية رسول الله ﷺ][2] .

- مسعدة قال : كنتُ عند الصادق ﷺ إذ أتاهُ شيخٌ كبيرٌ قد انحنى متَّكئاً على عصاه ، فسلَّم ، فردَّ أبو عبد الله ﷺ الجواب ، ثم قال : يا ابن رسول الله ناولني يدك أقبلها ، فأعطاهُ ﷺ يده فقبَّلها ثم بكى ، فقال أبو عبد الله ﷺ : [ما يُبكيك يا شيخ ؟ قال : جعلت فداك أقمتُ على قائمكم منذ مائة سنة أقول : هذا الشهر وهذه السنة . وقد كبرت

---

[1] الكافي : ج ٨ صـ ١٤٦ ح ١٢٢

[2] البشارات : – على ما في تأويل الآيات . * : تأويل الآيات الظاهرة : ج ٢ صـ ٦٦٥ ح ٢١

سنّي ودقّ عظمي واقترب أجلي ولا أرى ما أحبّ . أراكم مُقتّلين مُشرّدين ، وأرى عدوّكم يطيرون بالأجنحة ، فكيف لا أبكي ! فدمعت عينا أبي عبد الله ﷺ ثم قال : يا شيخ ، إنْ أبقاك الله حتى ترى قائمنا ﷺ كنتَ معنا في السنام الاعلى ، وإنْ حلّت بكَ المنيّة جئتَ يومَ القيامة مع ثقل محمّد ﷺ ونحن ثقله . قال ﷺ : إنّي مخلّف فيكم الثقلين فتمسّكوا بهما لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي . فقال الشيخ : لا أبالي بعدما سمعتُ هذا الخبر . قال ﷺ : يا شيخ ، إنّ قائمنا يخرج من صلب الحسن ﷺ ، والحسن يخرج من صُلب علي ﷺ ، وعلي يخرج من صلب محمد ﷺ ، ومحمد يخرج من صلب علي ﷺ ، وعلي يخرج من صلب ابني هذا - وأشار إلى موسى ﷺ - وهذا خرجَ من صلبي ، نحن اثنا عشر ، كلّنا معصومُونَ مُطهّرون . فقال الشيخ : يا سيدي بعضكم أفضل من بعض ؟ قال ﷺ : لا ، نحن في الفضل سواء ، ولكن بعضنا أعلم من بعض ، ثم قال : يا شيخ ، والله لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوّلَ اللهُ ذلك اليوم حتى يخرجَ قائمنا أهل البيت ، ألا وإنّ شيعتنا يقعون في فتنة وحيرة في غيبته ، هنالك يثبّتُ اللهُ على هداهُ المُخلصين . أللهم أعنهم على ذلك][1] .

---

[1] كفاية الاثر : صـ ٢٦٠ - وفي بشارة المصطفى ، صـ ٢٧٤ ، عن معاوية بن وهب قال : كُنتُ جالساً عند جعفر بن محمد ﷺ إذ جاءه شيخٌ قد انحنى من الكبر فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال له أبو عبد الله : وعليك السلام ورحمة الله يا شيخ ، قال : ادنُ منّي فدنا منه وقبّلَ يدهُ وبكى فقال له أبو عبد الله ﷺ : ما يُبكيك يا شيخ ؟ فقال له : يا ابن رسول الله أنا مقيم على رجاء منكم منذ نحو من مائة سنة أفول هذه السنة وهذا الشهر وهذا اليوم ولا أراه فيكم فكدمني أن أبكي ! قال فبكى أبو عبد الله ﷺ ثم قال يا شيخ إنْ أدركت منيّتك كنت معنا ، وإنْ عُجّلت كنتَ مع ثقل رسول الله ﷺ ، فقال الشيخ : ما أبالي ما فاتني بعد هذا يا ابن رسول الله ، فقال أبو عبد الله : يا شيخ إن رسول الله ﷺ قال : إني تارك فيكم

- عمار الساباطي قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : أيُما أفضل : العبادةُ في السرّ مع الامام منكم المستتر في دولة الباطل ؟ أو العبادة في ظهور الحقّ ودولته مع الامام منكم الظاهر ؟ فقال : [يا عمار الصدقةُ في السرّ والله أفضلُ من الصدقة في العلانية ، وكذلك والله عبادتُكُم في السرّ مع إمامكم المُستترِ في دولة الباطل وتخوّفكم من عدوّكم في دولة الباطل وحال الهدنة أفضل ممّن يعبدُ اللهَ « عزوجل ذكرُهُ » في ظهور الحقّ مع إمام الحق الظاهر في دولة الحق ، وليست العبادةُ مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة والأمن في دولة الحق . واعلموا أنّ مَن صلّى منكم اليوم صلاة فريضة في جماعة ، مستتراً بها من عدوّه في وقتها فأتمّها كتبَ اللهُ له خمسين صلاة فريضة في جماعة ، ومَن صلّى منكم صلاة فريضة واحدة مستتراً بها من عدوّه في وقتها فأتمّها كتب اللهُ عزوجل بها له خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانية ، ومن صلّى منكم صلاة نافلة لوقتها فأتمها كتب اللهُ له بها عشر صلوات نوافل ، ومن عمل منكم حسنة كتب الله عزوجل له بها عشرين حسنة ويضاعف الله عزوجل حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله ودانَ بالتقيّة على دينه وإمامه ونفسه وأمسك من لسانه أضعافاً مضاعفةً إنّ الله

الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله المنزل وعترتي أهل بيتي . تجيء وأنت معنا يوم القيامة ، ثم قال يا شيخ ما أحسبك من أهل الكوفة ؟ قال : لا . قال : فمن أين ؟ قال : من سوادها جعلت فداك . قال : أين أنت من قبر جدي المظلوم الحسين ؟ قال : إني لقريب منه . قال : كيف إتيانك له ؟ قال : إني لآتيه وأكثر . قال ﷺ : يا شيخ دم يطلب الله تعالى به . وما أصيب وك فاطمة ولا يصابون بمثل الحسين ، ولقد قتل ﷺ في سبعة عشر من أهل بيته نصحوا لله وصبروا في جنب الله فجزاهم الله أحسن جزاء الصابرين ، إنه إذا كان يوم القيامة أقبل رسول الله ﷺ ومعه الحسين ﷺ ويده على رأسه تقطرُ دماً فيقول يا ربّ سل أمتي فيمَ قتلوا ولدي] .

عزوجل كريم . قلت : جعلت فداك قد والله رغّبتني في العمل وحثثتني عليه ، ولكن أحبُّ أن أعلم كيف صُرنا نحن اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الامام الظاهر منكم في دولة الحق ونحن على دينٍ واحد ؟ فقال عليه السلام : إنكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عزوجل إلى الصلاة والصوم والحج وإلى كلُ خير وفقه وإلى عبادة الله عزّ ذكرُهُ سرّاً من عدوكم مع إمامكم المستتر ، مطيعينَ له ، صابرين معه ، منتظرين لدولة الحقّ ، خائفينَ على إمامكم وأنفسكم من الملوك الظلَمَة ، تنتظرون إلى حقّ إمامكم وحقوقكم في أيدي الظلمة ، قد منعوكم ذلك ، واضطرُّوكم إلى حرث الدنيا وطلب المعاش ، مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف مع عدوكم . فبذلك ضاعفَ اللهُ عزوجل لكم الاعمال ، فهنيئاً لكم . قلت : جُعلتُ فداك ، فما ترى إذاً أن نكون من أصحاب القائم ويظهر الحق ونحن اليوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمالاً من أصحاب دولة الحق والعدل ؟ فقال : سبحان الله ، أمَا تُحبُّونَ أن يُظهرَ اللهُ تبارك وتعالى الحقَّ والعدلَ في البلاد ، ويجمع اللهُ الكلمةَ ويُؤلّفُ اللهُ بين قلوبٍ مختلفة ، ولا يعصون الله عزَّ وجلَّ في أرضه ، وتُقامُ حُدودُهُ في خلقه ، ويرد اللهُ الحقَّ إلى أهله فيظهر حتى لا يستخفي بشيئٍ من الحق مخافةَ أحد من الخلق . أما والله – يا عمار – لا يموتُ منكم ميت على الحال التي أنتم عليها إلا كان أفضل عند الله من كثير من شهداء بدر وأحد . فأبشروا][1]

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٣٢ ح ٢

تأكيداً منه ﷺ على أمورٍ مختلفة ، منها الصبر والخوف والإنتظار والمشاقّ ، وانّ لكلٍّ واحدةٍ من هذهِ أجراً وثواباً ، وانّ الأجر على قدر المكارهِ والخوف والشدّة التي تقع على عباد اللهِ المؤمنين . ولهذا يختلفُ حالُ الصابرين زمن الغيبة والإضطهاد والإنحراف زمن الجور وسط بحرٍ عميقٍ من جبروت الكفر والضلال ، عن أولئك الذين يُولدون في دولة الحقّ بعد الظهورِ وانتصار المشيئة وقيام دولة الدّين ونشر العدل وقيامه في الربوع كافّة ..

نعم الصبر زمن الغيبة من أعظم العبادات . هكذا ورد في مضمون العديد من النصوص . أفضل العبادة انتظار الفرج . هي واحدة من معاني الرحمة الإلهيّة والثواب الجزيل لأولئك الذين يصبرون عاملينَ بحكم الله ، مؤسّسين لأمر الله ، ناهضين بقيم الشريعة ، حافظين التربية الشرعيّة ، باذلين الجُهد والزخم في سبيل كلمة الله وإحقاق الحقّ وإبطال الباطل ما أمكنهم ..

طبيعة التقاليد والأعراف والقيَم آخر الزمان

كثيرة النصوص التي تشيرُ إلى آخر الزمان وما يكون فيه من مظاهر فسق وضلال وفجور وانحراف أخلاقي وسياسي واجتماعي وغيره ، فضلاً عن التحطيم الشديد لسكّة القيم الضرورية في ضمان مسيرة الوجود البشري .. وإليك نصّاً رواهُ حمران عن الإمام الصادق عليه السلام ، وهو قريب ممّا قاله النبيُّ صلى الله عليه وآله وسقناه في السابق . وإنّما أوردهُ لأنّ فيه بعض الأمور الإضافيّة التي تكاد تنطبق على واقع زمننا اليوم في مظاهر كنّا حتى الأمس القريب نراها مستحيلةً شاذّة عن الطبع ، غريبة عن الغريزة ، مستبعدة في الدواعي . في وقت تصرُّ النصوص على وقوعها آخر الزمان ، وإذا بها تقع . من تلك : إصرار الإمام عليه السلام على انّ النساء تتزوّج النساء .! مقابل نصوص تشير إلى سحاق النساء .! أي إلى الوقعة الجنسيّة دون ان يتّخذ هذا الطابع « شكل الزواج » ليستفيد من حماية قانونيّة ومنافع اجتماعيّة وغيرها مرصودة لصيغة الزواج . وبالتالي : أصبح الزواج موضوعاً جنسيّاً محميّاً بالقانون سواء كان بين ذكرٍ أو أنثى أو ذكرٍ وذكر أو أنثى وأنثى .. وهذا ما أطبقت عليه جملة من الدول والولايات في الغرب بشكلٍ مثير . ثمَّ هناك في النص إشارة إلى نكاح الحيوانات والبهائم من البشر والعكس ، واليوم الذين يمارسون جنس الحيوانات خاصّة الكلاب وأشباهها وتوابعها أكثر من ان يحصون ، فاقوا الملايين وأكثرهم في الغرب ..

مجموع عناوين وردت في هذا النصُ دعتني أن أعرضه بشكلٍ تفصيلي . ففي رواية حمران قال : قال أبو عبد الله ﷺ – وذكر هؤلاء عنده سوء حال الشيعة عندهم – فقال :

[.. إني سرتُ مع أبي جعفر المنصور وهو في موكبه وهو على فرس ، وبين يديه خيلٌ ومن خلفه خيلٌ وأنا على حمار إلى جانبه فقال لي : يا أبا عبد الله قد كان ، فينبغي لك أن تفرح بما أعطانا اللهُ من القوّة ، وفتح لنا من العزّ ، ولا تخبر الناس أنّك أحقّ بهذا الامر منّا وأهل بيتك ، فتغرينا بك وبهم . قال : فقلت : ومَن رفع هذا إليك عنّي فقد كذب . فقال لي : أتحلف على ما تقول ؟ فقلت : إنّ الناس سحرة يعني يُحبّون أن يُفسدُوا قلبك عليّ ، فلا تُمكّنهم من سمعك ..

فقال لي : تذكر يوم سألتك : هل لنا مُلك ؟ فقلت : نعم ، طويل عريض شديد . فلا تزالون في مهلةٍ من أمركم ، وقسحةٍ من دنياكم ، حتى تُصيبوا منّا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام . يقول : فعرفتُ أنه قد حفظ الحديث . فقلت : لعلّ اللهَ عزوجل أن يكفيك ، فإنّي لم أخصّك بهذا . وإنما هو حديثٌ رويتُه . ثم لعلّ غيرك من أهل بيتك يتولّى ذلك . فسكت عني . فلمّا رجعتُ إلى منزلي أتاني بعضُ مواليّنا فقال : جعلت فداك ، والله لقد رأيتُك في موكب أبي جعفر وأنت على حمار وهو على فرس ، وقد أشرف عليك يُكلّمك كأنّك تحته .! فقلت بيني وبين نفسي : هذا حجّةُ الله على الخلق وصاحبُ هذا الامر الذي يُقتدى به . وهذا الآخر يعمل بالجور ويقتلُ أولاد الانبياء ويسفك الدماء في الارض بما لا يُحبُّ اللهُ ، وهو في موكبه وأنتَ على حمار .! فدخلني من ذلك شكٌ ، حتى خفتُ على ديني ونفسي . قال فقلت : لو رأيت مَن كان حولي وبين يديّ ومَن خلفي وعن

يميني وعن شمالي من الملائكة لاحتقرته واحتقرتُ ما هو فيه . فقال : الآنَ سكن قلبي .

ثم قال : إلى متى هؤلاء يملكون ، أو متى الراحة منهم ؟ فقلت : أليس تعلم أنَّ لكلِّ شيءٍ مدة ؟ قال : بلى . فقلت : هل ينفعك علمك أن هذا الامر إذا جاء كان أسرع من طرفة العين ؟ إنَّك لو تعلم حالهم عند الله عزوجل وكيف هي ، كنت لهم أشد بغضاً ، ولو جهدت أو جهد أهلُ الارض أن يدخلوهم في أشدَّ ممَّا هم فيه من الاثم لم يقدروا . فلا يستفزنَّك الشيطان ، فإنَّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون . ألا تعلم أنَّ مَن انتظر أمرنا وصبر على ما يرى من الاذى والخوف هو غداً في زمرتنا ؟

ثم قال عليه السلام :

فإذا رأيتَ الحقَّ قد مات وذهب أهله ، ورأيت الجور قد شمل البلاد ، ورأيتَ القرآن قد خُلِّق وأُحدث فيه ما ليس فيه ، ووُجِّهَ على الاهواء ،

ورأيتَ الدِّينَ قد انكفأ كما ينكفئُ الماء ،

ورأيتَ أهل الباطل قد استُعملُوا على أهل الحق ،

ورأيتَ الشرَّ ظاهراً لا يُنتَهى عنه ويعذرُ أصحابه ،

ورأيتَ الفسقَ قد ظهر ، واكتفى الرجالُ بالرجال والنساءُ بالنساء ،

ورأيتَ المؤمنَ صامتاً لا يُقبل قولُهُ ، ورأيتَ القاسقَ يكذبُ ولا يُردُّ عليه كذبُهُ وفريتُهُ ،

ورأيتَ الصغير يستحقرُ الكبير ، ورأيتَ الارحام قد تقطَّعت ،

ورأيتَ مَن يَمتَدِحُ بالفسق يُضحَكُ منهُ ولا يُردُّ عليه قولُهُ ،

ورأيتَ الغلامَ يُعطي ما تُعطي المرأةَ ،
ورأيتَ النساءَ يتزوَّجنَ النساء ، (..!) ،
ورأيتَ الثناءَ قد كثُر ، ورأيتَ الرجلَ ينفقُ المالَ في غيرِ طاعةِ الله ، فلا يُنهَى ولا يُؤخذ على يديه ،
ورأيتَ الناظرَ يتعوَّذُ بالله ممَّا يرى المؤمنُ فيه من الاجتهاد ،
ورأيتَ الجار يُؤذِي جاره ، وليس له مانع ،
ورأيتَ الكافرَ فَرِحاً لِمَا يرى في المؤمن ، مرحاً لما يرى في الأرض من الفساد ،
ورأيتَ الخمورَ تُشرَبُ علانيةً ويجتَمِعُ عليها مَن لا يخاف اللهَ عزوجل ،
ورأيتَ الآمرَ بالمعروفِ ذليلاً ، ورأيتَ الفاسقَ فيما لا يُحبُّ اللهُ قوياً محموداً ،
ورأيتَ أصحابَ الآيات يُحتَقَرون ويُحتقَر مَن يُحبُّهُم ،
ورأيتَ سبيلَ الخيرِ منقطعاً وسبيل الشر مسلوكاً ،
ورأيتَ بيتَ اللهِ قد عُطِّلَ ويُؤمَرُ بتركِه ، ورأيتَ الرجلَ يقول ما لا يفعله ،
ورأيتَ الرجال يتسمَّنُون للرجالِ والنساء للنساءِ ، ورأيتَ الرجلَ معيشتُهُ من دبره ومعيشةُ المرأةِ من فرجها ،
ورأيتَ النساءَ يتَّخذنَ المجالسَ كما يتَخذها الرجالُ ، ورأيتَ التأنيث في وُلد العبَّاس قد ظهر ، وأظهروا الخضاب وامتشطوا كما تمتشطُ المرأةُ لزوجها ،
وأعطوا الرجال الأموال على فروجِهم ، وتُنُوفِسَ في الرجل وتغاير عليه الرجالُ ،

وكانَ صاحبُ المالِ أعزَّ مِن المؤمن ، وكانَ الربا ظاهراً لا يُغيَّر ،
وكانَ الزنا تُمتَدَحُ به النساء (..!) ، ورأيتَ المرأةَ تُصانِع زوجَهَا على نكاحِ الرجال ،
ورأيتَ أكثرَ الناس وخيرَ بيتٍ مَن يساعدُ النساءَ على فسقهنَّ (..!) ،
ورأيتَ المؤمنَ محزوناً محتقراً ذليلاً ، ورأيتَ البِدَعَ والزنا قد ظهر ،
ورأيتَ الناسَ يعتدُّون بشاهدِ الزور ،
ورأيتَ الحرام يُحلَّلُ ورأيتَ الحلالَ يُحرَّمُ ،
ورأيتَ الدِّينَ بالرأي ، وعُطِّلَ الكتابُ وأحكامه ،
ورأيتَ الليلَ لا يُستخفَى به مِن الجرأةِ على الله ، ورأيتَ المؤمنَ لا يستطيع أن يُنكِر إلا بقلبه ،
ورأيتَ العظيمَ من المال يُنفَقُ في سخطِ اللهِ عزَّوجلَّ ،
ورأيتَ الوُلاةَ يُقرِّبُون أهلَ الكفر ويباعدونَ أهلَ الخير ، ورأيتَ الولاةَ يرتشون في الحكم ،
ورأيتَ الولايةَ قبالةً لمَن زاد ،
ورأيتَ ذواتِ الأرحامِ يُنكَحنَ ويُكتَفَى بهنَّ ، ورأيتَ الرجلَ يُقتَلُ على التهمةِ وعلى الظِّنَّة ، ويُتغايَرُ على الرجلِ الذَّكَرِ فيبذل له نفسه وماله ،
ورأيتَ الرجلَ يُعيَّرُ على إتيانِ النساء (..!) ،
ورأيتَ الرجل يأكل مِن كسبِ امرأته مِن الفجور يعلم ذلك ويقيم عليه ،
ورأيتَ المرأةَ تقهر زوجها وتعمل ما لا يشتهي وتنفقُ على زوجها ،
ورأيت الرجل يكري امرأته وجاريته ويرضى بالدنيِّ مِن الطعام والشراب ،

ورأيتَ الايمانَ باللهِ عزوجل كثيرُهُ على الزور ، ورأيتَ القمار قد ظهر ،

ورأيتَ الشراب يُباع ظاهراً ليس له مانع ،

ورأيتَ النساء يبذلنَ أنفسهنَّ لأهل الكفر ، ورأيتَ الملاهي قد ظهرت يُمَرُّ بها لا يمنعها أحدٌ أحداً ، ولا يجترئ أحدٌ على منعها ،

ورأيتَ الشريفَ يستذلُّهُ الذي يخافُ سلطانه ، ورأيتَ أقربَ النَّاسِ مِن الولاةِ مَن يمتدح بشتمنا أهل البيت ، ورأيتَ مَن يحبُّنا يُزوَّرُ ولا تقبل شهادته ، ورأيتَ الزُّورَ مِن القول يُتَنَافَسُ فيه ،

ورأيتَ القرآنَ قد ثقُلَ على الناس استماعُهُ ، وخفَّ على الناس استماعُ الباطل ،

ورأيتَ الجارَ يُكرِمُ الجارَ خوفاً مِن لسانه ،

ورأيتَ الحدودَ قد عُطِّلَت وعُمِلَ فيها بالاهواء ، ورأيتَ المساجدَ قد زُخرِفَت ،

ورأيتَ أصدقَ الناس عند الناس المُفتري الكذب ، ورأيتَ الشر قد ظهر ، والسعي بالنميمة ،

ورأيتَ البغي قد فشا ، ورأيتَ الغيبةَ تُستَملَح ويبشِّرُ بها الناسُ بعضُهُم بعضاً ،

ورأيتَ طلبَ الحج والجهاد لغيرِ الله ، ورأيتَ السلطانَ يذِلُّ للكافرِ المؤمنَ ،

ورأيتَ الخرابَ قد أُدِيلَ مِن العمران ، ورأيتَ الرَّجُلَ معيشتُهُ مِن بخسِ المكيال والميزان ،

ورأيتَ سفكَ الدماء يُستخفُّ بها ، ورأيتَ الرجلَ يطلبُ الرئاسة لعرضِ الدنيا ويشهر نفسه بخبثِ اللسان ليُتَّقى وتُسندَ إليه الامور ،

ورأيتَ الصلاةَ قد استُخِفَّ بها ، ورأيتَ الرجل عندهُ المال الكثير ثم لم يزكِّه منذ ملكه ،

ورأيتَ الميت يُنبَشُ من قبره ويُؤذى وتُبَاع أكفانه ، ورأيتَ الهرج قد كثُرَ .

ورأيتَ الرجلَ يُمسي فنشوان ويُصبح سكران ، لا يهتمُّ بما الناس فيه :

ورأيتَ البهائم تنكح ، ورأيت البهائم يفرسُ بعضُهَا بعضاً ،

ورأيتَ الرجلَ يخرجُ إلى مُصلَّاهُ ويرجعُ وليس عليه شيئ من ثيابه ،

ورأيتَ قلوبَ الناس قد قست وجمدت أعينهم وثقل الذكرُ عليهم ،

ورأيتَ السُّحتَ قد ظهر يُتَنَافسُ فيه ، ورأيتَ المُصلِّي إنَّما يُصلِّي ليراهُ الناس ،

ورأيتَ الفقيه يتفقَّه لغير الدِّين ، يطلب الدنيا والرئاسة ، ورأيتَ النَّاسَ مع مَن غلب ،

ورأيتَ طالبَ الحلالِ يُذمُّ ويُعيَّرُ وطالبَ الحرام يُمدَحُ ويُعظَّم ،

ورأيتَ الحرمين يُعمل فيهما بما لا يحبُّ الله ، لا يمنعهم مانعٌ ولا يحول بينهم وبين العمل القبيح أحدٌ ،

ورأيتَ المعارفَ ظاهرة في الحرمين ،

ورأيتَ الرجل يتكلَّم بشيئ من الحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقوم إليه مَن ينصحه في نفسه فيقولُ : حدِّثْ عنك بموضوع ،

ورأيتَ الناسَ ينظرُ بعضُهم إلى بعض ويقتدون بأهل الشرور ،

ورأيتَ مسلكَ الخيرِ وطريقه خالياً لا يسلكه أحد ،

ورأيتَ الميت يُهزَأُ به فلا يفزع له أحد ،

ورأيتَ كلَّ عام يحدثُ فيه من الشر والبدعة أكثر مما كان ، ورأيتَ الخلق والمجالس لا يُتابعون إلا الأغنياء ،

ورأيتَ المحتاج يُعطى على الضحك به ويُرحم لغير وجه الله ،

ورأيتَ الآياتِ في السماء لا يفزعُ لها أحد ، ورأيتَ النَّاسَ يتساقدون كما يتساقد البهائم لا ينكر أحدٌ مُنْكَراً تخوُّفاً من الناس ،

ورأيتَ الرجل يُنفق الكثير في غير طاعة الله ويمنع اليسيرَ في طاعة الله ،

ورأيتَ العقوق قد ظهر واستُخِفَّ بالوالدين وكانا من أسوء الناس حالاً عند الولد ويفرح بأنْ يفتري عليهما ،

ورأيتَ النساء وقد غَلَبْنَ على المُلك ، وغلبنَ على كلِّ أمر لا يؤتي إلا ما لهنَّ فيه هوى ،

ورأيتَ ابن الرجل يفتري على أبيه ويدعو على والديه ويفرح بموتهما ،

ورأيتَ الرجل إذا مرَّ به يومٌ ولم يكسب فيه الذنب العظيم من فجور أو بخس مكيال أو ميزان أو غشيان حرام أو شرب مسكر كئيباً حزيناً يحسبُ أن ذلك اليوم عليه وضيعة من عمره ،

ورأيت السلطانَ يحتكر الطعام ، ورأيتَ أموال ذوي القربى تُقسم في الزور ويُتقامَرُ بها وتُشرَبُ بها الخمور ،

ورأيت الخمر يُتداوَى بها وتوصفُ للمريض ويُستشفَى بها ،

ورأيتَ الناس قد استووا في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك التديُّن به ،

ورأيتَ رياح المنافقين وأهل النفاق قائمة ورياح أهل الحق لا تحرك ، ورأيت الأذانَ بالأجر والصلاةَ بالاجر ،

ورأيتَ المساجد محتشية ممّن لا يخاف الله ، مجتمعونَ فيها للغيبة وأكل لحوم أهل الحقّ ويتواصفون فيها شراب المسكر ، ورأيتَ السكران يصلي بالناس وهو لا يعقل ولا يُثانُ بالسكر ، وإذا سكر أُكرِمَ واتُّقِي وخِيفَ وتُرِك لا يُعاقب ويُعذَرُ بسكره ،

ورأيتَ مَن أكل أموال اليتامى يُحمد بصلاحه ، ورأيتَ القضاة يقضون بخلاف ما أمرَ اللهُ ، ورأيتَ الولاة يأتمنون الخونة للطمع ، ورأيتَ الميراث قد وضعته الولاةُ لأهل الفسوق والجرأة على الله يأخذون منهم ويخلّونهم وما يشتهون ،

ورأيت المنابر يُؤمر عليها بالتقوى ولا يعملُ القائلُ بما يأمر ، ورأيتَ الصلاة قد استُخفَّ بأوقاتها ، ورأيت الصدقة بالشفاعة لا يُراد بها وجهُ الله وتُعطى لطلب الناس ،

ورأيتَ الناس همُّهُم بطونُهُم وفروجُهُم ، لا يبالون بما أكلوا وما نكحوا ، ورأيتَ الدنيا مقبلةً عليهم ، ورأيتَ أعلام الحقّ قد درست ، فكن على حذرٍ واطلب إلى الله عزوجل النجاةَ ، واعلم أنّ الناس في سخط الله عزوجل ، وإنما يُمهِلُهُم لأمرٍ يُرادُ بهم ،

فكُن مترقّباً واجتهد ليراكَ اللهُ عزّوجلّ في خلاف ما هم عليه ، فإنْ نزل بهم العذاب وكنتَ فيهم عُجِّلتَ إلى رحمة الله ، وإنْ أُخِّرت ابتلوا وكنتَ قد خرجت ممّا هم فيه من الجرأة على الله عزوجل ، واعلم أنّ الله لا يضيع أجر المحسنين وأن رحمة الله قريب من المحسنين .[1] ..

ففي هذا النص تأكيد منه ﷺ على انّ العالم في تحوّل ضخم ، هذا التحوّل يكون على حساب القيم الإسلاميّة والفطرة الوجوديّة ، وأنّ سلوك

---

[1] الكافي : جـ ٨ صـ ٣٧ حـ ٧ .

البشر سيصل إلى مرحلة مثيرة من تفسُّخ القيم وانحلالها ودمارها ، وانَّ سوقيّة الأشياء ، ومرجعيّة الغريزة ، ودوافع الهوى ، وضغط الشهوة سيشكّل بُنية مركزيّة لبناء قانوني عرفي سلوكي جديد ، سيتم على أساسه تعريف هويّة الفرد والجماعة والمجتمع ، وسيكون سمة رئيسيّة في عالم آخر الزمان .

بتعبير آخر : النص يؤكّد طابعاً انحرافيّاً أمميّاً ، هذا الإنحراف يطال الأسس والبُنى التي يرتكز عليها عالم الفرد والجماعة التعددية التي تشكّل الإجتماع السياسي في العالم ، وسيكون على نحو استقطابي .

وللتأكيد على هذا النحو من الخرق العنيف لقيم الشريعة أشار ﷺ إلى أمورٍ منها : موت الحق ، انطماس أعلام الدين ، شمول الجور للبلاد ، الحقول دون نفوذ أحكام القرآن بل الإحداث فيه وتوجيههُ على الأهواء ! وهذا ما اكثرهُ على لسان وعّاظ السلاطين أو طالبي الجاه والشهرة كما في أيّامنا هذه ! ومع هذا الإنقلاب يتسلّق أهلُ الباطل إلى مراكز القرار وقيادة البلاد ومفاصل إدارة القيم وتسويق الأعراف والتقاليد ، فينشرون الشرّ والفساد الذي يصبح بنظر ذلك العالم نوعاً من قيم الساعة ، وواحداً من ركائز المواثيق القانونيّة العرفيّة !

ومع ذلك الجرف الضخم تظهر إلى عالم الوجود أمور خطيرة ، مثل شياع اللواط والسحاق ومعها يصل الأمر إلى حدّ اعتباره زواجاً كما في النص ! ويشيع الزنا ، وتتعاظم السخريةُ من الدّين ونظريّة الأخلاق التي تنادي بها شريعة الإسلام ، وتتكاثر مواضيع مختلفة مثل الربا والإتّجار المطلق الذي لا يهمّه موضوع المعاوضة وأطُرها بل نفعها وقيمتها

السوقيّة ، ويشيع الزنا بالمحارم ، والجنس مع القاصرين .! ويتحوّل الجنس إلى قطاع سوفي تجاري في عالمٍ يعيش على المدح في معايير تتّصل بالغريزة والسطو النفعي وأشباه ذلك ، وسط جماعاتٍ نافذة واسعة تسخر من الدّين وأهله ، تصف المتديّن بالمجنون والمعقّد .! في حين يحتلّ الكافر والفاسق والمنحل والسفيه أعلى المناصب ويقود وكالات السوق وسلّعه ويحدّد قواعده المطلقة على نحوٍ طاعنٍ في مواثيق الوجود أولاً ، وفقه الحياة ثانياً .

في ذلك العالم تشيع أمور مثل الزنا والشواذ والخمور والطبل والمزمار وعصيان الله جهراً وفخراً .! ويتعاظم الباطل والخروج السافر على الشريعة بل السخرية منها ، وتتبدّل قيم المعروف والمنكر وتُقمع أسس وعناوين الخير ، وتطمس الدوافع النبيلة ، ويتحوّل الإنسان إلى شاةٍ قتيلة .! ونفس بالية وقطعة غريزيّة شديدة التعلّق بالأرض .! بعيدة عن السماء .! فاجرة .! والناس في معصية الله فرحة مسرورة ، لا ترى إلا ذلك هيمنةً منها وتسلّطاً في وجه أي وثيقة أو شريعة حميدة .

ومعها تجد المؤمنَ محتقَراً ، هيْكَلُ المجتمع وقيمُهُ تنبُذُهُ ألفَ نبذ وتذلّه ألفَ ذُلّ .! فلا تجد أعزّ من صاحب المال والقرج والسلطان في ذلك الزمان ..! وما لفتني قوله ﷺ : « ورأيتَ الرجلَ يُعيّرُ على إتيان النساء » ، أي اللواطيُّون يعيّرون مَن يأتي النساء ..! ومظاهر هذا النص في عالمنا اليوم كثيرة وفاحشة خاصّة في أوروبا وأمريكا ، وصولاً إلى آسيا وأفريقيا ..! لسان النصّ يشيرُ في فقراته الدقيقة إلى انّ بُنى الإلتزام ومواثيق الرحمن وفطرة الوجود وكتاب الكون المرشد تتعرّض لأعنف طعناتٍ في الصميم ، فتتساقط أعمدتُها بشكلٍ مثيرٍ أمام الهيكل الجديد للقيم

التي تجوب الشرق والغرب ، ويكون المسلمون شريكاً فعليّاً في امتثال الهزيمة والدخول في عالم الإنحراف إلا قلّة قليلة منهم ..

يؤكّد انّ العالم يعيش وسط قطبيّة واحدة تعانق الكفر والفسق والطعن في قيم الكون وضرورات الشرائع ، في حين المؤمنون يكونون قلّة قليلة .! لا قطبيّة كبرى لهم ، يعيشون في عالم حوّل قيم الإنحراف إلى مواثيق قانونيّة ، وأقام الأنماط على مواثيق عرفيّة وتقاليد قذرة قلبت الموازين ، وغيّرت مفهوم التقبيح والتحسين . هذا يعني كما في كثير من النصوص خراباً متعدّد الأطر ، خراب طبيعي ، خراب إجتماعي ، انهيار أخلاقي – اقتصادي . أزمات عنيفة تطال الإنسان في ضروراته حتى المادية ، المزيد من أزمات التوحّش بين الأفراد ، المزيد من الإضطهاد والإستبداد ، تحوّل البشر نحو نمطيّة العنف والإفتراس ، تأكيد الأنا كعنوان مركزي في العلاقات ، تحوّل هيكل الجماعة إلى زعزعة مثيرة ..

ومن رواء هذا وذاك سُنَن وقوانين مترابطة (سنن التاريخ والطبيعة) تضرب بعنف في بُنى بقاع هذا الإنسان جرّاء انحرافه عن قوانين الطبيعة وشروط الفطرة .. أمّا حظّ المؤمنين ..؟ فعليهم الصبر والثبات والإعداد والإلتزام بالشريعة والإحتياط والحذر ، ورصّ الصفوف ، وبذل الأموال والإمكانات والمُهَج في سبيل ثبات أمر الإسلام وعلوّ شأنه . وأن يكون البذل في كلّ شيئ بحسبه ، وضمن غاياته ووظائفه وألويّاته ، وليس الأمر إلا بحكمة ، وليس البناء والإلتزام إلا بحكمة ، وما العاقل إلا الذي عقل دورهُ ووظيفتَهُ والنمط الذي من خلاله يحترم الشريعة ويحفظها ويقوّي أمرها : حلالاً بحلال ، وإبطالاً للآثام والحرام . والمفروض في أتباع أهل البيت ﷺ العلم والعمل ، أمران لا يفترقان أبداً . وما أمرُ أهل البيت إلا

الخير والحُسن في الدنيا والآخرة . فمن سمع قولهم وترك فعلهم ما اتّبعهم . وفي رواية المفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [إفترقَ الناسُ فينا على ثلاث فرق : فرقةٌ أحبوا انتظار قائمنا ليصيبوا من دنيانا ، فقالوا وحفظوا كلامنا وقصروا عن فعلنا ، فسيحشرهم الله إلى النار . وفرقة أحبونا وسمعوا كلامنا ولم يقصروا عن فعلنا ليستأكلوا الناس بنا فيملأ اللهُ بطونهم ناراً ويسلّط عليهم الجوعَ والعطش . وفرقة أحبُّونا وحفظوا قولنا وأطاعوا أمرنا ولم يخالفوا فعلنا فأولئك منّا ونحن منهم][1] .

فإذاً لا بدَّ من الحبِّ لهم وحفظ القول والتزام الحلال والإمتناع عن الحرام والطاعة لله تعالى ، حتى نكون من المنتظرين لأمرهم القائمين على وصيّتهم ، الحافظين لهم في الدنيا والآخرة .. وانتظارُ الفرجِ يعني الإلتزام بمواثيق الشريعة ، والعمل على بناء مشروع الإسلام ، وتأسيس النظام وتوثيق العلاقات على نحو صادق أمين على الشرع والشريعة .

وعليه : التزام أمر الإسلام أعظم معاني انتظار الفرج . وفي الرواية عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : جُعلتُ فداك ، متى الفرج ؟ فقال ﷺ : [يا أبا بصير ، وأنت ممّن يريد الدنيا ؟ مَن عرف هذا الامر فقد فُرِّجَ عنه لانتظاره][2] .

ولا يكون انتظاراً إلا بالعمل والتفاني في سبيل الإسلام ، والإمتناع ومنع النفس والأهل والولد وما أمكن من الناس عن الحرام والفسق والفجور والآثام .

---

[1] تحف العقول : ص ٥١٤

[2] الكافي : ج ١ ص ٣٧٠ ح ٣

فإذا غاب شخصُ المهدي ﷺ عن أبصارنا فإنَّ شريعة الله بين أيدينا ، وهي واجبة الحفظ والصون ، ملزمةٌ لنا بالقول والعمل . نافذةٌ في حقِّنا إلى يوم الظهور . وفي رواية الحرث بن مغيرة عن أبي عبد الله ﷺ قال : [القائم إمام ابن إمام ، يأخذون منه حلالهم وحرامهم قبل قيامه ، قلت : أصلحك الله إذا فَقَدَ الناسُ الامامَ عمَّن يأخذون ؟ قال ﷺ : إذا كان ذلك فأحب مَن كنتَ تُحبُّ ، وانتظر الفرجَ فما أسرع ما يأتيك][1] . أي التزم طاعتنا ونهجنا وميثاقنا الذي كنتَ تحبُّ ، واعمل على ما أنت عليه من التزام الشريعة والدِّين وحفظ ميثاق رسول ربِّ العالمين ، وخُذ ببناء النفس والأهل والأسرة وما أمكن من الجماعة على نهج الإسلام تكُنْ من المنتظرين ..

وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال ذات يوم : [.. ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزوجل من العباد عملاً إلا به ؟ فقلت : بلى ، فقال ﷺ : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمَّداً عبدُه ورسوله والاقرار بما أمر الله ، والولاية لنا والبراءة من أعدائنا -- يعني الائمة خاصة -- والتسليم لهم ، والورع والاجتهاد والطمأنينة ، والانتظار للقائم ﷺ .

ثم قال : إنَّ لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء . ثم قال : مَن سرَّهُ أن يكون من أصحاب القائم ﷺ فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الاخلاق وهو منتظر . فإن مات وقام القائم بعده كان له من الاجر مثل أجر من أدركه . فجدوا وانتظروا ، هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة][2] ..

---

[1] إثبات الوصية : صـ٢٢٦ – ٢٢٧

[2] النعماني : صـ ٢٠٠ بـ ١١ حـ ١٦ –

هـذه أمانـةُ الله وأمانـة النبيِّ وأهـل البيـت بأعناقنـا : أنْ نعمـل بالشريعة ، أن نـأمر بـالخير ونقيمـه ، ونمنـع الشرَّ والفسـاد . وأن نُكَوِّن مجتمعنا وأُسرنا وأهلنا ومؤسساتنا على ذلك . أن نحفظ الحقَّ بما أمكن ، ونمنع الباطل بما أمكن ، وأن نبذل المجهود كلَّهُ في سبيل ترسـيخ الإسـلام في النفوس والسلوك . وقد قال عليه السلام : مَن سرَّهُ أن يكون مِن أصـحاب القائم عليه السلام فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الاخلاق وهو منتظر .

وكثيراً ما أكَّد أهلُ البيتِ عليهم السلام انَّ في الغيبة حكمـةً مـن الله تعـالى ، وانَّهـا تظهـرُ بظهـوره عليه السلام ، وانَّ النـاس ينتفعـون بالمهـديِّ زمـن غيبتـه كانتفاعهم بضوء الشمس التي تحجبها الغيوم .

وفي رواية إبراهيم بن مهزم عن أبيه عـن أبـي عبـد الله عليه السلام قـال : ذكرنا عندهُ ملوك آل فلان فقال : [.. إنما هلك الناس مِن استعجالهم لهـذا الامر . إنَّ الله عزوجل لا يعجل لعجلة العباد . إنَّ لهذا الامر غايةً ينتهي إليها فلو قد بلغوها لم يستقدموا ساعة ولم يستأخروا][1] ..

وشرطُ الإنتظار : العمل بالشريعة وامتثال أحكامها كما هو صـريح النصوص . ولقد بذل أهلُ البيت عليهم السلام وأتباعُهُم الأرواحَ والأنفس فـي سـبيل الإسلام ، حتى انَّ الصـحابي إذا عُـرف بصـحبته الحميـدة مـع الإمـام عليه السلام اصابه العذابُ والتنكيل من قبل جبابرة بني أميّة وبنـي العبـاس ..! وتـاريخُ الشيعة تطوِّقُهُ الدماء وتلفُّه الأحزان جرَّاء ما اصـابهم للحفـاظ علـى قداسـة الإمامة والإرتباط فيها والسير على نهج الله ونهج رسوله والأئمة عليهم السلام .

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٦٨ ح ٧

بل كان الأئمّة بعض الأحيان يسُرُّون إلى بعض أصحابهم أن يبتعدوا عنهم ، وانّه قد يصدر من الإمام ما يشير إلى انقطاع العلاقة مع أحد الأصحاب حفاظاً عليه من الطاغوت الذي قتل ونكّل وعذّب وسفك دماء الشيعة ، ولَلحَق من له حُسن صحبة مع المعصوم .

وفي رواية عبد الله بن زرارة قال : قال لي أبو عبد الله ﷺ : [إقرأ على والدك السلام وقُل له : إنّي إنّما أعيبُك دفاعاً منّي عنك . فإنّ النّاسَ والعدو يسارعون إلى كلّ مَن قرّبناهُ وحمدنا مكانه لإدخال الأذى فيمَن نُحبُّهُ ونقرّبُهُ ، ويرمونه لمحبتنا له وقربه ودنوه منّا ، ويرون إدخالَ الاذى عليه وقتله ، ويحمدون كلّ مَن عِبناه نحن (وإنْ تحمد أمره) فإنما أعيبُك لأنك رجلٌ اشتهرت بنا وبميلك إلينا ، وأنت في ذلك مذمومٌ عند الناس غير محمود الأثر لمودّتك لنا وبميلك إلينا ، فأحببتُ أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدّين بعيبك ونقصك ، ويكون بذلك منّا دافع شرهم عنك . يقول الله عزوجل ﴿ أمّا السّفينةُ فكانَتْ لمساكينَ يعملُونَ في البحرِ فأردتُ أنْ أعيبَها وكانَ وَرَاءهم مَلِكٌ يأخُذُ كلَّ سفينةٍ غصْبًا ﴾ ، هذا التنزيلُ من عند الله ، لا والله ما عابها إلا لكي تسلم من الملك ولا تعطب على يديه ، ولقد كانت صالحةً ليس تلعيب فيها صباغ والحمد لله . فافهم المثل يرحمك الله ، فإنّك والله أحبُّ النّاس إليَّ وأحبُّ أصحاب أبي ﷺ حيّاً وميتاً ، فإنك أفضل سُفُنِ ذلك البحر القمقام الزاخر ، وإنّ من ورائك ملكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كلّ سفينة صالحة ترِدُ من بحر الهدى ليأخذها غصباً ثم يغصبها وأهلها . ورحمة الله عليك حياً ورحمتُهُ ورضوانه عليك ميتاً . ولقد أدّى إليَّ ابناك الحسن والحسين رسالتك حاطهما اللهُ وكلاهما ورعاهما وحفظهما بصلاح أبيهما كما حفظَ الغلامين . فلا يضيقنّ صدرُك من الذي أمرك أبي ﷺ

وأمرتك به وأتاك أبو بصير بخلاف الذي أمرتاك به . فلا والله ما أمرناك ولا أمرناه إلا بأمر وسعنا ووسعكم الأخذ به . ولكلٍّ ذلك عندنا تصاريف ومعانٍ توافقُ الحقَّ . ولو أذِنَ لنا لعلمتم أنَّ الحق في الذي أمرناكم به ، فردُّوا إلينا الأمر وسلِّموا لنا واصبروا لأحكامنا وارضوا بها . والذي فرَّق بينكم فهو راعيكم الذي استرعاهُ اللهُ خلقه ، وهو أعرف بمصلحة غنَمِه في قسادِ أمرها ، فإنْ شاء فرَّق بينها لتسلم ، ثم يجمع بينهما ليأمن من فسادها وخوف عدوها ، في آثار (كذا) ما يأذن الله ويأتيها بالأمن من مأمنه والفرج من عنده . عليكم بالتسليم والرد إلينا وانتظار أمرنا وأمركم وفرجنا وفرجكم .

ولو قد قام قائمنا ﷺ وتكلَّم مُتكلِّمُنا ثم استأنف بكم تعليمَ القرآن وشرائعَ الدِّين والأحكام والفرائض كما أنزله الله على محمد ﷺ لأنكر أهلُ البصائر فيكم ذلك اليوم إنكاراً شديداً ، ثم لم تستقيموا على دين الله وطريقه إلا من تحت حد السيف فوق رقابكم . إنَّ الناس بعد نبي الله ﷺ ركب الله بهم سُنَّةَ مَن كان قبلكم ، فغيَّرُوا وبدَّلُوا وحرَّفُوا وزادوا في دين الله ونقصوا منه ، فما من شيء عليه الناسُ اليوم إلا وهو منحرف عما نزل به الوحي من عند الله ، فأجب رحمك الله من حيث تُدعَى إلى حيث تُدعى حتى يأتي مَن يستأنف بكم دينَ الله استئنافاً ..[1] .

---

[1] ثم يتابع في النص قائلاً ﷺ : وعليك بصلاة الستة والاربعين ، وعليك بالحج أن تهل بالافراد وتنوي الفسخ إذا قدمت مكة وطفت وسعيت فسخت ما أهللت به وقلبت الحج عمرة أحللت إلى يوم التروية ، ثم استأنف الاهلال بالحج مفردا إلى منى وتشهد الشافع بعرفات والمزدلفة ، فكذلك حجُّ رسولُ الله ﷺ ، وهكذا أمر أصحابه أن يفعلوا أن يفسخوا ما أهلوا به ويقلبوا الحج عمرة ، وإنما أقام رسول الله ﷺ على إحرامه ليسوق الذي ساق معه ، فإنَّ السائق قارن والقارن لا يحل حتى يبلغ هديه محله ، ومحله النحر بمنى . فإذا بلغ أحل . فهذا الذي أمرناك به حج التمتع فالزم ذلك ولا يضيقنَّ صدرك ، والذي أتاك به أبو

إلى هذا الحدّ كان الظلم والإضطهاد مصبوباً على أهلِ البيت ﷺ وأتباعِهم . حتى انّ الرجل كما في بعض الروايات كان يلتقي بالإمام فيخشى من السلام عليه بسبب العيون المرابطة هناك ، التي تراقب أتباع الإمام ﷺ لتتّهمَهُم وتسجنهم وتقتلهم وتنكّل بهم .. لذلك تجد في رواياتٍ كثيرة الصحابة يسألون الإمام ﷺ : متى الفرج ..؟ متى يقوم قائمكم ..؟ متى يخرج المهدي ﷺ ..؟ وذلك لأنّ الإئمّة كانوا قد أخبروا اصحابهم انّ دولتهم في آخر الزمان ، وانّ قيام أمر الله وحكم آل رسولِ الله يكون على يد المهدي ﷺ ..

كثيرة هي النصوص التي يسأل فيها الأصحاب الأئمّة : متى الفرج ..؟ لشدّة الضيق وللعذاب البالغ الذي ينصبُّ عليهم ويلاحقهم في أقطارٍ مختلفة من الأرض .. لا لشيء سوى انّهم يؤمنون بالله العزيز الحميد . وفي رواية محمد بن أبي عمير قال : كان الصادق جعفر بن محمد ﷺ يقول : [لكلّ أناس دولة يرقبونها ، ودولتنا في آخر الدهر تظهر][1] ..

وعليه : في آخر الزمان يتعرّض الشيعة وغيرهم لبلاءٍ عظيم . ففي غيبة الإمام ﷺ يتعرّض العالم لموجةٍ عاصفة من الإنحراف بالموائيق والقيم والأعراف التي تؤسّس المجتمعات على نحوٍ مُعَطِّلٍ لأحكام القرآن ، مؤسّسٍ لمدارس حقوقيّة غريزيّة بهيميّة تعتمد الدواعي الغريزيّة بالمعنى الأشمل مصدراً للتشريع وكتابة فقه السوق والتجارة والمال والإقتصاد

بصير عن صلاة إحدى وخمسين والاغلال بالتمتع بالعمرة إلى الحج ، وما أمرنا به من أن يهل بالتمتع فلذلك عندنا معانٍ وتصاريف لذلك ، ما يسعنا ويسعكم ولا يخالف شيئ منه الحق ولا يضاده ، والحمد لله رب العالمين] الكشي : ص ١٢٨ رقم ٢٢١

[1] أمالي الصدوق : ص ٣٩٦ المجلس ٦٤ ح ٢ –

والسياسة وخيارات السلم والحرب . وبعضهم تستهويه شهوة الدنيا بما تعنيه من جاه أو اعتبار أو غريزة أو سوقية باطلة وآثام محرّمة ، فيتابع أهل الهوى ، في حين يبقى أهلُ الحقّ من الشيعة أعلامَ الشريعة وركائزَ أهل الحقّ وعلامة الإسلام والتشيُّع . وهم المُمَهِّدون لظهور مولانا المهدي ﷺ . بل في خراسان تكون راية الشيعة عماداً رئيسيّاً قبل الظهور المبارك . وهي الدولة التي تصمد في وجه التيارات العالميّة المناهضة للدِّين وأهله . فبعد أن أشارت النصوص إلى البيئة العالميّة في آخر الزمن أشار بعضُها إلى ضغط هذه البيئة وعالمها الإفتراسي على البعض الذي تستهويه فيقع ، في حين أهل الحقّ يبقون كالطود لا تهزُّه الرياح . وقد ورد من النصوص ما يشيرُ إلى تلك المحن منها :

- مهزم بن أبي بردة الاسدي وغيره عن أبي عبد الله ﷺ قال : [.. والله لَتُكسَّرُنَّ تكسُّرَ الزجاج ، وإنَّ الزجاج لَيُعاد فيعود كما كان . والله لَتُكسَّرُنَّ تكسُّرَ الفُخَّار ، فإنَّ الفخَّار لَيتكسَّر فلا يعود كما كان . والله لَتُغربلنَّ . والله لَتميَّزُنَّ . والله لَتُمحَّصُنَّ حتى لا يبقى منكم إلا الأقل ، وصعر كفّه][1] .

- عبد الكريم قال : ذُكِرَ عند أبي عبد الله ﷺ القائم فقال : [أنَّى يكون ذلك ولم يستدر الفلك حتى يقال : ماتَ أو هلك ، في أيِّ وادٍ سلك !! فقلتُ : وما استدارةُ الفلك ؟ فقال ﷺ : اختلافُ الشيعة بينهم][2] .

---

[1] النعماني : ص ٢٠٧ ب ١٢ ح ١٣

[2] النعماني : ص ١٥٧ ب ١٠ ح ٢٠ ...

- عبد الرحمن بن سيابة عن أبي عبد الله ﷺ قال : [كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هُدىً ولا علم يُرى ، يتبرأ بعضكم من بعض ، فعند ذلك تميّزون وتمحّصون وتغربلون . وعند ذلك اختلاف السيفين ، وأمارة من أول النهار ، وقتل وخلع من آخر النهار][1] .

- الفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [لو قام قائمنا ﷺ بدأ بكذّابي الشيعة فقتلهم][2] .

- أبو بصير قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [لَيَنصُرنَّ اللهُ هذا الأمرَ بمَن لا خلاق له ، ولو قد جاء أمرُنا لقد خرج منه مَن هو اليوم مُقيم على عبادة الاوثان][3] .

- في المُرسل عن جعفر بن محمد الصادق ﷺ قال : [مَن ترك تقيّةً قبل خروج قائمنا ﷺ فليس منّا][4] . إشارة إلى الإضطهاد الذي يلاحق الشيعة المؤمنين ، وليس بالضرورة إضطهاد مباشرة ، بل منه اضطهاد المواثيق المنحرفة الخارجة على دين الله المحميّة بالسجن والحبس والتفريم وغير ذلك والقائمة على نحوٍ من جورٍ فاسدٍ وباطلٍ ظاهرٍ وبهيميّةٍ ميثاقيّة جبريّة وخلاف ذلك ..

- محمد بن مسلم عن أبي عبد الله ﷺ قال : [كلّما تقارب هذا الامر كان أشد للتقيّة][5] . أي كلّما كان أقرب إلى الضغط والإكراه والجبر بقيم ومواثيق ظالمة يلازمها القهر والعنف والسجن وشبه ذلك .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٣٤٧ – ٣٤٨ ب ٣٣ ح ٣٦ –

[2] رجال الكشي : ص ٢٩٩ رقم ٥٢٢ --

[3] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . ه : غيبة الطوسي : ص ٢٧٢

[4] جامع الاخبار : ص ٩٥ ف ٥٣ --

[5] المحاسن : ص ٢٥٩ ب ٣١ ح ٣١١ –

- في المرسل عن الصادق ﷺ قال : [.. التقية واجبة لا يجوز تركها إلى أن يخرج القائم ﷺ ، فمن تركها فقد دخل في نهي الله عزوجل ونهي رسول الله ﷺ والائمة صلوات الله عليهم][1] . ومعنى ذلك أنّ موجبات التقيّة بصورة عامّة تظلّ راسخة موجودة بقوّة بسبب ما يدعو إليها حتى ظهور المهدي ﷺ .

- المفضل بن عمر قال : قال لي أبو عبد الله ﷺ : [أكتب ، وبث علمك في إخوانك ، فإنْ متُّ فأورث كُتُبَك بَنِيَّ ، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم][2] . إشارة إلى ضرورة الحفاظ على مواثيق الشريعة والتزام قوانين الإسلام زمن الغيبة والإنتظار ..

- عنبسة بن مصعب عن أبي عبد الله ﷺ قال : [لولا أن يقع عند غيركم كما قد وقع عندهُ ، لأعطيتُكُم كتاباً لا تحتاجون إلى أحد حتى يقوم القائم][3] . أيضاً هذا النص وارد في نفس المعنى السابق .

على أنّ ضغط معسكر الكفر والإنحراف سيكون شاملاً واسعاً يطال المسلمين وغيرهم ، كما يطال الفرق المختلفة من المسلمين . لكنّ النصوص تؤكّد انّ قلّة نافذةٌ راسخةٌ من الشيعة يبقون على الإسلام ملتزمين مواثيق الشريعة ، يبنون قوّة قادرة على مواجهة الزحف ، يصمدون رغم الإستبداد العالمي والإضطهاد الثقافي والسوقيّة العارمة .

---

[1] الهداية ، للصدوق (الجوامع الفقهية) : ص ٤٧ –

[2] الجامع في الحديث لمحمد بن الحسن بن الوليد : على ما في كشف الحجة . الكافي : ج ١ ص ٥٢ ح ١١

[3] بصائر الدرجات : ص ٤٧٨ ب ٦ ح ٢ –

مثل أهل خراسان الإماميين الذين يُوطئون للمهدي ﷺ سلطانه . اللافت في النصوص الكثيرة أنّ أتباع أهل البيت ﷺ ، نموذج كبير منهم ، يبقون على نحوٍ صامدٍ أمام أباطرة الإنحراف ، ثابتين في الدعوة إلى الإسلام والحفاظ على قوانينه والتزام ولاية آل بيتِ رسولِ الله والتنادي باسم المهدي وضرورة الحفاظ على هيكلٍ تصاعديٍّ من البناء والتأسيس والتوطئة لظهوره ﷺ .

على أنّ أمر المهديّ ﷺ غيبةً وظهوراً أوضح من الشمس الراسخة في كبد السماء . والله أعدل من أن يترك الناس بلا هادٍ وحجّةٍ بالغة كما في مضمون نصوص عديدة . فلا ينفع معه ادّعاء مَن يدّعي المهدويّة ، أو من يحاول أن يستغلّها ، فكلُّ شيءٍ من أمرِ الله تعالى قائم بالحجج والبراهين . حتى الغربلة والتمحيص لا كينونة له في أمر الله ومواثيق الشريعة إلا بعد كاشف من بيّنة وبرهان جلي . لا تُطمسُ معه المعالم ، ولا تتقسّخ أمامه الحجج . ومعلوم أنّه قبل المهدي يحاول أكثر من واحد أن يستغلّ إسم المهدي فيدّعي المهدويّة . وفي رواية الوليد بن صبيح قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [إن هذا الامر لا يدّعيه غير صاحبه إلا تبّر الله عمره][1] . وفي نصوصٍ أخرى مضامين متعدّدة انّه يُقتضح .

وفي رواية أبي خديجة عن أبي عبد الله ﷺ قال : [لا يخرج القائم حتى يخرج قبله اثنا عشر من بني هاشم كلُّهم يدعو إلى نفسه][2] .. ورغم كلّ ذلك – بالإضافة إلى التمحيص والغربلة – الله تعالى اعدل من أن يدحض الحجّة أو يبطل البراهين .

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٣٧٢ ح ٥ –

[2] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . ؛ الارشاد : صـ ٣٥٨

ففي رواية مفضل بن عمر قال كنتُ عند أبي عبد الله ﷺ ، وعنده في البيت أناسٌ ، فظننتُ انه إنّما أراد بذلك غيري ، فقال : [أما والله ليغيبنّ عنكم صاحبُ هذا الامر ، وليخملن هذا حتى يقال : مات ، هلك ، في أيّ واد سلك ؟! ولتُكفأنّ كما تُكفأ السفينة في أمواج البحر ، لا ينجو إلا مَن أخذ اللهُ ميثاقه وكتبَ الايمانَ في قلبه وأيّدَهُ بروحٍ منه ، ولترفعنّ اثنتا عشرة راية مشتبهة ، لا يُدرى أيٌّ مِن أيٍّ .

قال : فبكيت . فقال ﷺ : ما يُبكيك يا أبا عبد الله ؟ فقلت : جُعلت فداك ، كيف لا أبكي وأنت تقول : اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يُدرى أي من أي ؟! قال : وفي مجلسه كوّة تدخل فيها الشمس فقال ﷺ : أتبيّنُ هذه ؟ قلت : نعم . قال ﷺ : أمرنا أبينٌ مِن هذه الشمس [1] . أي أمرُ الله وحجّةُ ولي الله تعالى أسطع وأظهر من الشمس في كبد السماء ..

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في سند غيبة الطوسي . * : الكافي : ج ١ صـ ٣٢٨ - ٣٢٩ ح ١١ – أيضاً : المفضل بن عمر قال : كنت عند أبي عبد الله ﷺ في مجلسه وعندي غيري ، فقال لنا : إياكم والتنويه – يعني باسم القائم ﷺ – وكنتُ أراه يريد غيري ، فقال لي : يا أبا عبد الله إياكم والتنويه ، والله ليغيبنّ سبعاً من الدهر ، وليخملن حتى يقال : مات أو هلك ، بأي واد سلك ؟ ولتفيضنّ عليه أعينُ المؤمنين ، وتتكفأن كتكفّؤ السفينة في أمواج البحر حتى لا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه وكتب الايمان في قلبه وأيده بروح منه ، ولترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يعرف أي من أي ، قال المفضل : فبكيت ، فقال لي : ما يبكيك ؟ قلت : جعلت فداك كيف لا أبكي وأنت تقول : ترفع اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يعرف أي من أي ، قال : فنظر إلى كوة في البيت التي تطلع فيها الشمس في مجلسه فقال : أهذه الشمس مضيئة ؟ قلت : نعم ، فقال : والله لامرنا أضوء منها ! . وفي : صـ ١٥٢ ب ١٠ ح ١٠ – عن المفضل بن عمر الجعفي قال : سمعت الشيخ – يعني أبا عبد الله ﷺ – يقول : كما في روايته الاولى بتفاوت يسير ، وفيه (إياكم والتنويه . . ولتدمعن عليه عيون المؤمنين . . تكفأ . . قال : فبكيت ثم قلت له : كيف نصنع ؟ فقال : يا أبا عبد الله – ثم نظر إلى شمس داخلة في الصفة أترى هذه الشمس ؟ فقلت : نعم ، فقال : لامرنا أبين من هذه الشمس) . الهداية الكبرى : صـ ٨٧ – بسنده إلى المفضل بن عمر ، وفيه (إياكم والتنويه باسم المهدي والله ليغيبن مهديكم سنين من دهركم تخوض عليكم وتقولون أي أو أني وليت وكيف ؟ وتمحصوا وتصلح (وتطلع) الشكوك في أنفسكم حتى يقال مات أو هلك فبأي واد سلك ، ولتدمعن عليه أعين المؤمنين ولتكفؤن كما تتكفى

وعليه : براهين الله حاضرةٌ زمن الغيبة والظهور بشكلٍ هائل . وأمر المهدي أجلى من الشمس في بطن السماء . نعم الخطورة تكمن في عالم الإغراء والفحش والغريزة والحرام والآثام الذي يضغط لإثقال عقول البشر بنوعٍ حاد من الإنكار والجحود والإبتذال والإنصراع في ساحة الشهوة والآثام .

وكان بعضُ العباسيين – لشدّة تواتر خبر المهدي ﷺ – قد حاولوا استغلال إسم المهدي ﷺ والتقمُّص به للخروج على الأمويين[1] ، فأبطل

المدفن في أدواج . . ولترفعن اثني عشر (كذا) راية مشتبهة لا تدرون (كذا) أمرها ما يصنع قال المفضل : فبكيت وقلت : سيدي وكيف نصنع أولياؤكم ؟ فنظر إلى شمس قد دخلت في الصفة فقال : ترى هذه الشمس يا مفضل ؟ قلت : نعم يا مولاي ، قال : والله لأمرنا أنور وأبين منها ، وليقال ولدي (كذا) المهدي في غيبته ومات ، ويقولون بانوله منه ، وأكثرهم شجب ولادته وكونه ، أولئك عليهم لعنة الله والناس أجمعين) . إثبات الوصية - ص ٢٢٤ – كما في رواية النعماني الثانية بتفاوت يسير ، بسند آخر عن المفضل بن عمر ، وفيه : (إياكم والتنويه باسمه والله ليغيبن إمامكم دهرا من دهركم وليمحصن حتى يقال : هلك بأي واد سلك وليدمعن . . مشتبهة بعضا بعضا . . والله لأمرنا أبين منها) .

[1] ملاحظة : ما أشار إليه من نصوص هو موجزاً ، واضح انّه غير تام ، لكن فيه إخبار جعفر بن محمّد ما سيؤول إليه الأمر . لكنّه موجزاً لا يعطي صورة كاملة عن ذلك الإجتماع . فهم يبيّن نتائج مجتزأة . وفيه انّه روي انّ جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وأبو جعفر المنصور ، وصالح بن علي ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن ، وإبناه محمد وإبراهيم ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فقال صالح بن علي : قد علمتم أنّكم الذين تمد الناس أعينهم إليهم ، وقد جمعكم الله في هذا الموضع ، فاعقدوا بيعةً لرجلٍ منكم تعطونهُ إيّاها من أنفسكم ، وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين . فحمد الله عبد الله بن الحسن وأثنى عليه ثم قال : قد علمتم أنّ ابني هذا هو المهدي فهلموا فلنبايعه . وقال أبو جعفر : لأيّ شيء تخدعون أنفسكم ، ووالله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أطول أعناقاً ولا أسرع إجابةً منهم إلى هذا الفتى ، يريد محمد بن عبد الله . قالوا : قد والله صدقت ، إنّ هذا لهُو الذي نعلم . فبايعوا جميعاً محمّداً ومسحوا على يده . قال عيسى : وجاء رسول عبد الله بن الحسن إلى أبي : أن اثبتا فإنّنا مجتمعون لأمر ، وأرسل بذلك إلى جعفر بن محمد ﷺ هكذا قال عيسى . وقال غيره : قال لهم عبد الله بن الحسن : لا نريد جعفراً لئلا يفسد عليكم أمركم . قال عيسى : فأرسلني أبي أنظر ما اجتمعوا عليه . وأرسل جعفر بن محمد ﷺ محمد بن عبد الله الأرقط بن علي بن الحسين فجئتهم فإذا

بمحمد بن عبد الله يصلي على طنفسة برجل مئنة ، فقلت - أرسلني أبي إليكم لأسألكم لأيّ شيء اجتمعتم فقال عبد الله : اجتمعنا لنبايع المهدي محمد بن عبد الله . قالوا : وجاء جعفر بن محمد فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه فتكلم بمثل كلامه فقال جعفر : لا تفعلوا فإن هذا الأمر لم يأت بعد . إن كنت ترى يا عبد الله أنّ ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أوانه ، وإنْ كنتَ إنّما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإنّا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونبايع ابنك . فغضب عبد الله وقال : علمت خلاف ما تقول ، ووالله ما أطلعك الله على غيبه ، ولكن يحملك على هذا الحسد لابني . فقال : والله ما ذاك يحملني ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم وضرب بيده على ظهر أبي العباس ، ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن ، وقال : إنها والله ما هي إليك ولا إلى ابنيك ولكنها لهم . وإن ابنيك لمقتولان . ثم نهض ونوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري . فقال : أرأيت صاحب الرداء الأصفر يعني أبا جعفر ؟ قال : نعم قال فإنّا والله نجده يقتله . قال له عبد العزيز : أيقتل محمداً ؟ قال : نعم . قال : فقلت في نفسي : حسده ورب الكعبة . قال : ثم والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيته قتلهما . قال : فلما قال جعفر ذلك انفض القوم فافترقوا ولم يجتمعوا بعدها ، وتبعه عبد الصمد وأبو جعفر فقالا : يا أبا عبد الله أتقول هذا ؟ قال : نعم أقوله والله وأعلنه] ز مقاتل الطالبيين : صـ ١٤٠ – ١٤٢ حدثنا الحسن بن الحسين عن عنبسة بن نجاد العابد قال : « كان جعفر بن محمد إذا رأى محمد بن عبد الله بن حسن تغرغرت عيناه ثم يقول : بنفسي هو إن الناس ليقولون فيه إنه المهدي وإنه لمقتول ليس هذا في كتاب أبيه علي من خلفاء هذه الامة » . وفي رواية الحسن بن أيوب حوالي بني تمير ، عن عبد الاعلى بن أعين – كلّ هؤلاء قد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة ومعان قريبة ، فجمعت رواياتهم تلافياً لطول الكتاب بتكرير الاسانيد – : إنّ بني هاشم اجتمعوا فخطبهم عبد الله بن الحسن ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنكم أهل البيت قد فضلكم الله بالرسالة ، واختاركم لها ، وأكثركم بركة يا ذرية محمد ﷺ بنو عمته وعترته ، وأولى الناس بالقرع في أمر الله ، من وضعه الله موضعكم من نبيّه ﷺ ، وقد ترون كتاب الله مُعطّلاً ، وسنّة نبيّه متروكة ، والباطل حيّاً ، والحق ميتاً ، فاطلبوا الله في الطلب لرضاه بما هو أهله ، قبل أن ينتزع منكم اسمكم ، وتهونوا عليه كما هانت بنو إسرائيل وكانوا أحبّ خلقه إليه . وقد علمتم أنّا لم نزل نسمع أنّ هؤلاء القوم إذا قتل بعضهُم بعضاً خرج الأمر من أيديهم ، فقد قتلوا صاحبهم – يعني الوليد بن يزيد – فهلم نبايع محمّداً ، فقد علمتم أنه المهدي . فقالوا : لم يجتمع أصحابنا بعد . ولو اجتمعوا فعلنا ، ونحنا نرى أبا عبد الله جعفر بن محمد ، فأرسل إليه ابن الحسن فأبى أن يأتي . فقام وقال : أنا آتي به الساعة ، فخرج بنفسه حتى أتى مضرب الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث ، فأوسع له الفضل ولم يصدره ، فعلمت أن الفضل أسنّ منه ، فقام له جعفر وصدره ، فعلمت أنه أسنّ منه . ثم خرجنا جميعاً حتى أتينا عبد الله ، فدعي إلى بيعة محمد ، فقال له جعفر : إنّك شيخ ، وإنْ شئت بايعتك ، وأما ابنك فوالله لا أبايعه وأدعك . وقال عبد الله الاعلى في حديثه : إنّ عبد الله بن الحسن قال لهم : لا ترسلوا إلى جعفر فإنه يفسد عليكم ، فأبوا ، قال : فأتاهم وأنا معهم ، فأوسع له عبد الله إلى جانبه وقال : قد علمت ما صنع بنا بنو أمية ، وقد رأينا أن نبايع لهذا الفتى ، فقال : لا تفعلوا ، فإنّ الامر لم يأت بعد . فغضب عبد الله وقال : لقد علمت خلاف ما تقول ، ولكنه يحملك

الإمام الصادق ﷺ ما كانوا يريدون عبره طمس الحقائق أو استغلالها . فانتقم العباسيُّون منه انتقاماً عظيماً إنتهى في آخر الأمر على شكل سمٍّ دُسَّ له زمن المنصور الدوانيقي . ومنعاً لاستغلال العلامات التي حدَّدها النبيُّ والأئمة ﷺ كانوا ﷺ يشيرون إلى ما يبطل الإدّعاءات الباطلة ، مثل تفريقهم ﷺ بين رايات بني العباس السود والرايات السود التي توطِّئ للمهدي ﷺ قبل ظهوره . وغير ذلك من النصوص التي وردت في هذه المضامين[1] .

على ذلك الحسد لابني ، فقال : لا والله ، ما ذاك يحملني ، ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم ، وضرب يده على ظهر أبي العباس ، ثم نهض وانثنيه ، ولحقه عبد الصمد ، وأبو جعفر فقالا : يا أبا عبد الله ، أتقول ذلك ؟ قال : نعم والله أقوله وأعلمه . قال أبو زيد : وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبي الكرام بهذا الحديث ، عن أبيه ، أن جعفراً قال لعبد الله بن الحسن : إنهما والله ما هي إليك ، ولا إلى ابنيك ، ولكنها لهؤلاء ، وإن ابنيك لمقتولان . فتفرق أهل المجلس ولم يجتمعوا بعدها . وقال عبد الله بن جعفر بن المسور في حديثه : فخرج جعفر يتوكأ على يدي فقال لي : أرأيت صاحب الرداء الأصفر ، يعني أبا جعفر ؟ قلت : نعم ، قال : فإنا والله نجده يقتل محمداً ، قلت : أو يقتل محمداً ؟ قال : نعم ، فقلت في نفسي : حسده ورب الكعبة . ثم ما خرجت والله من الدنيا حتى رأيته قتله . وفي نقط آخر قال أبو عبد الله : (. . إيها والله ما هي إليك ولا إلى ابنك ، وإنما هي لهذا - يعني المنصور - يقتله على أحجار الزيت ، ثم يقتل أخاه بالمأفوف وقوائم فرسه في الماء ، فتبعه المنصور فقال : ما قلت يا أبا عبد الله ؟ فقال : ما سمعته وإنه لكائن ، قال : فحدثني من سمع المنصور أنه قال : انصرفت من وقتي فهيأت أمري فكان كما قال) . إثبات الهداة : ج ٣ صـ ٦١٢ ب ٢١ ف ١٨ ح ١٣٠ - ١٣١ وعن يزيد بن أبي حازم قال : خرجت من الكوفة ، فلما قدمت المدينة دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ، فسلمت عليه ، فسألني : (هل صاحبك أحد ؟ ، فقلت : نعم ، فقال : أكنتم تتحدثون ؟ قلت : نعم ، صحبتي من المغيرية ، قال : فما كان يقول ؟ قلت : كان يزعم أن محمد بن عبد الله بن الحسن هو القائم ، والدليل على ذلك أن اسمه اسم النبي ﷺ فقلت له في الجواب : إن كنت تأخذ بالاسماء فهو ذا في ولد الحسين . فقال لي : إن هذا ابن أمة - يعني محمد بن عبد الله بن علي - وهذا ابن مهيرة يعني محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، فقال أبو عبد الله : فما رددت عليه ؟ فقلت : ما كان عندي شيء أرد عليه ، فقال : أو لم تعلموا أنه ابن سبية - يعني القائم ﷺ] (النعماني : صـ ٢٢٩ - ٢٣٠ ب ١٣ ح ١٢) .

[1] من تلك الروايات التي تشيرُ إلى رايات بني العباس وهي غير رايات آل محمد التي تخرج قبل قيام القائم المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر من آل محمد ، والنصوص في هذا كثيرة شديدة الوضوح ، لكنني

ولقد كثر الذين خرجوا في التاريخ وهم يدَّعون انَّهم القائم المهدي ﷺ كضرب من ضروب الإستغلال للنصوص المتواترة في خروج قائم آل محمَّد الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويفتح الممالك ويقهر السلاطين ويعلن دولة الإسلام في الأرض قاطبة . فكان جواب الأئمة ﷺ انَّ قائم آل محمَّد هو الثاني عشر من أئمة أهل البيت ، وله علامات ودلالات خاصة جداً .

سأعرض هناك لنصين يشيران على رايات خراسان التي تخرج زمن العباسيين على يد أبي مسلم الخراساني ، ففيها قال بشير الدبال : كُنتُ عند أبي عبد الله ﷺ إذ استأذن عليه رجلٌ فدخل عليه ، فقال أبو عبد الله ﷺ : [ما نقاءُ ثيابك ؟ فقال : جُعلت فداك هي لباسُ يلدن ، ثم قال : لقد جئتك بهديةٍ فقال له أبو عبد الله : هديَّة ـ قال : نعم . قال فدخل غلام ومعه جراب فيه ثيابٌ فوضعه . ثم تحدَّث ساعة ثم قام ، فقال أبو عبد الله : إن بلغ الوقت وصدق الوصف فهو صاحب الرايات السود من خراسان ، يا قانع ، انطلق فسله ما اسمك ـ لوصيف قائم على رأسه ـ قال : فنحفه فقال له أبو عبد الله يقول لك ما اسمك ؟ قال : عبد الرحمان ، قال : فرجع الغلام فقال أصلحك الله يقول اسمي عبد الرحمان ، فقال أبو عبد الله : عبد الرحمان وفقه ثلاث مرات ، هو وربِّ الكعبة ـ قال بشير فلما قدم أبو مسلم الكوفة جئت فنظرت إليه فإذا هو الرجل الذي دخل علينا] (نوادر الحكمة ـ لمحمد بن أحمد بن يحيى : ـ عني ما في إعلام الورى . دلائل الامامة : ص ١٤٠ ـ) : إثبات الوصية : ص ١٥٨ ـ و « روى » عنه ﷺ من تقدَّم ذكره من رجاله قالوا : كنا عنده إذ أقبل رجل فسلم وقبل رأسه وجلس فمس أبو عبد الله عليه السلام ثيابه ثم قال : ما رأيت اليوم أشد بياضا ولا أحسن من هذه فقال الرجل يا سيدي هذه ثياب بلادنا وقد جئتك منها بجرابين ، فقال : يا معتب اقبضها منه ، ثم خرج الرجل فقال عليه السلام : إن صدق الوصف وقرب الوقت فهذا الرجل صاحب الرايات السود الذي يأتي بها من خراسان ، ثم قال : يا معتب الحقه فاسأله عن اسمه وهل هو عبد الرحمن قال لنا إن كان اسمه فهو هو ، فرجع معتب فقال اسمه عبد الرحمن ، ثم عاد إلى أبي عبد الله عليه السلام سرا فعرفه أنه قد دعا إليه خلقا كثيرا فأجابوه ، فقال له أبو عبد الله : إن ما توصي إليه غير كائن لنا حتى يتلاعب بها الصبيان من ولد العباس ، فمضى إلى محمد بن عبد الله بن الحسن فدعاه فجمع عبد الله أهل بيته وهم بالامر ودعا أبا عبد الله ﷺ للمشاورة فحضر فجلس بين المنصور وبين السفاح وعبد الله ابني محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ووقعت المشاورة فضرب أبو عبد الله يده على منكب أبي العباس عبد الله السفاح فقال : لا والله إما أن يملكها هذا أو لا ، ثم ضرب بيده الاخرى على منكب أبي جعفر عبد الله المنصور وقال : وتتلاعب بها الصبيان من ولد هذا ، ووثب فخرج من المجلس .

ويجب أن تتذكّر انّه ليس في النصوص عنهم ﷺ منعاً من الخروج على الظالم ، أو إدانة لحمل الراية الحقّة والدعوة إلى الإسلام ومواثيق الشريعة . لكن كل ذلك يجب أن يتم ضمن شروط وحدود الدواعي الشرعيّة وألويّاتها وقيمومة الفقيه العارف . . نعم الخروج الأكبر الذي يتمّ به العدل الأعظم إنّما يكون على يد المهدي ﷺ . هذا ما يفسّر النصوص التي أكّدت الطابع الشرعي لخروج زيد بن علي بن الحسين . مكرّرةً : أنّه صدّوق ، ولم يدعو إلى نفسه . وانّه لو انتصر لوفى وأنزل الناسَ على الإمامة الحقّة التي نصبها اللهُ تعالى وحدّدها النبيُّ ﷺ بالإسم .

وفي رواية عيص بن القاسم قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : إ عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له ، وانظروا لأنفسكم ، فوالله إنّ الرجل لَيكُون له الغنم فيها الراعي ، فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها يُخرجُهُ ويجيئ بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها . والله لو كانت لأحدكم نفسان يُقاتل بواحدة يُجرّبُ بها ، ثم كانت الأخرى باقية فعمل على ما قد استبان لها ! ولكن له نفسٌ واحدةٌ ، إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة . فأنتم أحقُّ أن تختاروا لأنفسكم ، إنْ أتاكم آتٍ منّا ، فانظروا على أي شيئ تخرجون ؟ ولا تقولوا خرج زيد ، فإنّ زيداً كان عالماً وكان صدُوقاً ولم يدعُكُم إلى نفسه . إنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمد ﷺ . ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه ، إنّما خرجَ إلى سلطانٍ مُجتَمِعٍ ليَنقُضَهُ ، فالخارجُ منّا اليوم إلى أيّ شيئ يدعوكم ؟ إلى الرضا من آل محمّد ﷺ ؟ فنحن نُشهدكم أنّا لسنا نرضى به ، وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد ، وهو إذا كانت الرايات والألوية أجدر أن لا يسمع منا ، إلا مع مَن اجتمعت بنو فاطمة معه ، فوالله ما صاحبكم إلا مَن اجتمعوا عليه . إذا كان

رجب فأقبلوا على اسم الله عزّوجلّ ، وإن أحببتم أن تتأخّروا إلى شعبان فلا ضير ، وإنْ أحببتم أن تصوموا في أهاليكم فلعلّ ذلك أن يكون أقوى لكم ، وكفاكم بالسفياني علامة][1] .

أي أنّ الخروج الأعظم الذي يملأ الدنيا عدلاً ورخاءً انّما موعدهُ مع المهدي عليه السلام ، وهذا النص بخصيصة طائفة أخرى ظاهر جداً في جواز رفع راية الحقّ ، ولا يشيرُ إلى أصل منع قيام الرايات الداعية إلى الحقّ على طول الزمن إنْ توفّرت فيها شروط الحقانيّة وطابعها ومفهوم الأولويّة فيها . بل هذا عين ما يشيرُ فيه الإمام إلى أصل الشرعيّة عبر تعليله شرعيّة خروج زيد انّه صدُوق وانّه دعا للرضا من آل محمّد ، أي للإمام المنصوب من قبل الله تعالى في زمنه . فإذا عمّ الفساد وكثُر الإضطهاد ، وظهرت العلامات ، وحكمت الأمم بالإستبداد ، وتعدّدت الألوية الباطلة ، وتداول القومُ السلطة الفاسدة على نحوٍ من تراكم الولايات ، هذا يقول حكمت ، وهذا يقول تسلطت ، هنالك وضمن شرط الله تعالى يظهر المهدي عليه السلام .

وفي رواية هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [ما يكون هذا الامر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد ولُّوا على الناس ، حتى لا يقول قائل : إنّا لو وُلّينا لعدلنا . ثم يقوم القائم بالحق والعدل][2] .

---

[1] الكافي : ج ٨ ص ٢٦٤ ح ٣٨١ ، عن الفيض بن القاسم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : [إتقوا الله وانظروا لانفسكم ، فإن أحق من نظر لها أنتم ، لو كان لأحدكم نفسان فقدّم احديهما وجرب بها واستقبل التوبة بالاخرى كان ، ولكنها نفس واحدة إذا ذهبت فقد ذهبت والله التوبة ، إن أتاكم منا آت يدعوكم إلى الرضا منا ، فنحن ننشدكم أنا لا نرضى ، إنه لا يطيعنا اليوم وهو وحده ، فكيف يطيعنا إذا ارتفعت الرايات والاعلام] .

[2] النعماني : ص ٢٧٤ ب ١٤ ح ٥٢

بهذا تتمُّ حجَّةُ الله تعالى ، وتظهر علاماتُ البشارة العظيمة ، وتبدأ أولى مراحل الوجوديَّة الأكثر امتيازاً في التاريخ الأخير من زمن البشر ..

قبل الظهور المبارك يصيب الناس موتان

يبدو من بعض النصوص انّ الفترة التي تسبق ظهور المهدي ﷺ تعيش فيها الأرض تحت وطأة عنف مُسلّح بين الأمم من جهة ، وتفشّي عنيف للأمراض من جهة أخرى . تظهر نتائجُهُ في النسب العالية للموتى والإجتياح التصاعدي للوفيات التي تدور في الأرض ، وإن كان الأمر بطبيعة الحال يقع ضمن خانة التفاوت النسبي بين الأمم ، القويّة والضعيفة ، بين المحتل والواقع تحت الإحتلال ، بين الأمم التي لديها إمكانات وغيرها ممّن لا تملك إمكانات لمواجهة العنف أو الأمراض .

في النصوص إشارات إلى أمراضٍ طاحنة ، وعنفٍ متجوّل وموتٍ كبيرٍ في الناس . ففي رواية سليمان بن خالد ، قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [قبّام القائم ﷺ موتان : موت أحمر وموت أبيض ، حتى يذهب من كلّ سبعةٍ خمسةٌ . الموت الاحمر السيف ، والموت الابيض الطاعون][1] .

أهميّة هذا الحديث انّه يشيرُ إلى صدامٍ عسكري وعنف زاحف يقع بين الأمم ، تستعمل فيه أسلحة فتّاكة ، والإشارة إلى السيف إنّما هي إشارة إلى أداة الحرب ببعد النظر عن طبيعة أداة الحرب ما قبل الظهور ، وهي

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٥ ب ٥٧ ح ٢٧ .

بطبيعة الحال مختلفة عن السيف . ثمّ يشيرُ إلى موضوعٍ آخر وهو تفشّي الأمراض المهلكة التي تنوء البشريّةُ منها . والإشارة هنا للطاعون إنّما لتوظيف هذا التعبير في خانة الأمراض الخطرة القاصمة التي لا تُبقي ولا تذر . أي يشيرُ عليه السلام إلى أمراضٍ فتّاكة تظهر آخر الزمان يكون على أثرها – أي على أثر الصّدام العسكري وتفشّي الأمراض – موتٌ عنيف يجتاح الناس ، يكون معها ميزان الموتى أكثر من ميزان الباقين أحياء ، وتعبير « من أصل سبعة يموتون جراء ذلك ، إنّما يشيرُ إلى حالة الموت الفظيع والتصاعد الضخم الذي يجتاح العالم آنذاك . نعم الروايات غير تامّة السند لكنّها متنوّعة في الطبقة والراوي .

وفي بعض النصوص إشارة إلى كثرة الموت ليس إلا . وبعضها ليس في مقام توصيف نسبة الأحياء إلى الأموات والعكس . بل مردّهُ إلى لفت الأنظار للموت الذي يجتاح البقاع بشكلٍ كارثي . ثم في بعضها الآخر إشارة إلى انّ أتباع أهل البيت عليهم السلام لا يذوقون نفس الحالة من الموت الهائل ، رغم تعرّضهم للبلاء التي يجتاح الدنيا بنسبٍ مختلفة ، وهذا يعني انّ الصدامات العسكريّة الحاقلة تقع بين أممٍ وشعوبٍ ليس لأتباع أهل البيت عليهم السلام فيها يد ، إلا بنسبٍ عارضة ، ما خلا بعض الأمور . ففي رواية أبي بصير ومحمد بن مسلم قالا : سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول : [لا يكون هذا الامر (أي خروج المهدي عليه السلام) حتى يذهب ثلثُ الناس . فقيل له : إذا ذهب ثلثُ الناس فما يبقى ؟ فقال عليه السلام : أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي][1] .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٦٥٥ – ٦٥٦ ب ٥٧ ح ٢٩ .

تأكيداً منه ﷺ أنّ شيعة أهلِ البيتِ ﷺ لا يطالهم الصوت الفظيع ، ولا تجتاحُهم عاصفة الإفناء . وهذا النص يخفي وراءه بياناً مفادهُ انّ صدامات هائلة تقع بين الأمم المتناحرة تودي بكثيرٍ من الخلق في دولهم بالإضافة إلى المرض الذي يلازم وقوع تلك الحرب .. وهل في الأمر إشارة إلى حروبٍ جرثوميّة وفيروسات وشبه ذلك ؟ النص مفتوح على ذلك وغيره ..

كما يبدو من النصوص انّ الموت يدور في الأرض ، أي في بقاعٍ متنوّعة مختلفة فليس هو محصور في شرقٍ أو غرب ، بل في بقاعٍ مختلفة ، والناس يعانون الويل قبل خروجه ﷺ . بل في طائفة أنّ الأرض تضيقُ بهم من شدّة البلاء والعناء ، وانّهم أصبحوا مُهَيّئين لمفهوم الإتقاذ بعد تجربة جبّارة من انحراف الإنسان وسفكه وطغيانه المذهل .

وفي رواية زرارة قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : النداءُ حقٌ ؟ قال ﷺ : [إي والله حتى يسمعه كلُ قوم بلسانهم . وقال ﷺ : لا يكون هذا الأمر حتى يذهب تسعة أعشار الناس][1] . تأكيداً منه ﷺ لقضيّة الموت والفناء الذي يجتاح البقاع والأمم بنسبٍ مختلفة قبل ظهور القائم ﷺ . وهناك طائفة تؤكّد البلاء البالغ الذي يصيب الأمم ، وهو نتيجة فعل بشري يصيب الأمم المتوحّشة التي تتّخذ التصادم أسطولها الفاعل لاجتياح الثروات والموارد والمواقع ..

ويصاحبُ هذا الأمر عنفٌ شديد وبلاء فظيع يقع على عاتق الإنسان المشرّد بين الدول والوحدات المتناحرة ، ففي رواية أبي بصير قال : قلت

---

[1] النعماني : ص ٢٧٤ ب ١٤ ح ٥٤

لأبي عبد الله ﷺ : كان أبو جعفر ﷺ يقول : لقائم آل محمد غيبتان ، إحداهما أطول من الاخرى ، فقال ﷺ : [نعم ، ولا يكون ذلك حتى يختلف سيفُ بني فلان (بني العباس) ، وتضيقُ الحلقة ، ويظهرُ السفياني ، ويشتدُّ البلاء ، ويشمل الناسَ موتٌ وقتلٌ ، يلجأون فيه إلى حرمِ الله وحرمِ رسوله ﷺ][1] .

أي يصيب الناس قبل خروج المهديّ ﷺ أثر فظيع من الموت والقتل والحروب بالإضافة إلى ما ورد من المرض الذي يجتاح البقاع المختلفة ، فيضيق على الناس أمرُهُم ، وتطوِّقُهم الفتن ومعاقل القتل والنار والحديد ، ويختلف سيفان في العراق ، وكذا في الحجاز ، ويظهر السفياني بكلِّ ما يعنيه من قتلٍ وعنفٍ وتوسُّع وإعلان حروب مختلفة وسط تشابك في الأحلاف بين غربٍ وشرق ، وتسابق على ثرواتٍ تكون في منطقة مثلث العراق سوريا تركيا ، فيشمل الناس موتٌ فظيع ، ويتعاظم أمر القتل والفناء ، إلى أن يلجأ القائم ﷺ إلى الحرم ، ومعه ثلّة طاهرةٌ من أنصاره ، ثم يعلن ظهوره المبارك ضمن ظروف معقّدة وأحداث متتالية .. وفي رواية أبان بن تغلب قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [كيف أنتَ إذا وقعت البطشة بين المسجدين ، فيأرز العلم كما تأرز الحيّةُ في جحرها ، واختلفت الشيعة

---

[1] كتاب المشيخة ، للحسن بن محبوب الزراد : على ما في إعلام الورى . * : التحصاني : : ص ١٧٢ – ١٧٣ ب ١٠ ح ٧ – بعد فشل الدولة العراقيّة – المحكومة من العباسيين في دولتهم الثانية التي تكون زمن الظهور – في إسقاط دولة الموحّدين الخراسانيّة ، بن عدم قدرة الدولة العراقيّة العباسيّة من منع دولة الموحّدين من الزحف نحو بيت المقدس تنشأ قوى بارزة في العالم « الروم » على تنفيذ مشروع انقلاب السفياني : في وقت يكون الجيش الخراساني قد اخترق دولاً عدة حتى انّه ينصب رايات النصر في بيت المقدس ، وفجأةً تفتح جبهة الروم في قلب الحكم في دمشق ودعم السفياني ليحكم هذه البلاد ، فيكون أوّل مشروع السفياني مقاتلة الخراسانيين لإخراجهم من بيت المقدس بمساعدة الروم والشرك وجملة من جيوش العرب .

وسمّى بعضُهُم بعضاً كذّابين ، وتفلَ بعضُهُم في وجوهِ بعض ؟ قلتُ : جُعِلتُ فداك ، ما عند ذلك مِن خير . فقال لي : الخيرُ كلُّه عند ذلك - ثلاثاً [1] . إشارة منه ﷺ إلى انّه عند ذلك يخرج المهدي ﷺ .

معنى ذلك : انّه مع فتن الحرب وبلاء الجوع ، وكوارث المرض وعاصفاته تشتدُّ القطيعةُ بين قسم من الشيعة ، فيكون بعضُهُم ظهيراً للظالمين . في حين أتباعُ أهل البيت ﷺ يكونون على نحوٍ من منعةٍ واضحةٍ خاصّةً في خراسان التي ترفع الرايات السود وتقف مواقف جبّارةً للحفاظ على شريعة الإسلام واحترام تراث أهل البيت ﷺ ، فإذا وقعت البطشة بين فريقين في العراق ، وانقسم أهل الحجاز ، وظهر السفياني ، وتعدّدت الفتن ، وتمّ الخسف بجيشِ السفياني القاصد مكّة ، تمّ إعلان الظهورِ المبارك بإذن الله تعالى . ويتمّ ذلك عبر السماء بصوت جبرائيل ﷺ .

وفي وصفٍ يشيرُ إلى عنوانٍ من عناوين البلاء آنذاك قال عبد الله بن سنان : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [.. يشملُ الناسَ موتٌ وقتلٌ حتى يلجأ الناسُ عند ذلك إلى الحرم ، فينادي منادٍ صادقٍ مِن شدّة القتال : قيام القتلُ والقتال ! صاحبكم فلان][2] . يعني المهدي ﷺ الذي يظهر في مكّة قرب الركن والمقام . ويكون هذا النداء بعد قتلٍ فظيع وموتٍ مريع وعنفٍ هائلٍ وحروب يشيب منها الحزور ، تجتاز اليابسة والبحر والجو من قُطرٍ إلى قطر .

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٤٠ ح ١٧ - عن عبد الله بن جبلة ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال (لا يكون ذلك الأمر حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض ، وحتى يلعن بعضكم بعضا ، وحتى يسمي بعضكم بعضا كذابين) .

[2] النعماني : ص ٢٦٧ ب ١٤ ح ٣٤

وتسرد النصوص إسماً مفصلياً كعلامة من علامات قرب الفرج ، تعني به إسم عبد الله ، فإذا قُتِلَ عبدُ الله ذهب مُلك السنين واضطرب الأمر في ذلك القُطر ، وتزعزع الحكم ، وانقسم الناس ، فلا يقع إلا بيد المهدي ﷺ وأنصاره .

ففي رواية أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [مَن يضمن لي موتَ عبد الله أضمنُ له القائم ﷺ . ثم قال ﷺ : إذا مات عبدُ الله لم يجتمع الناسُ بعدَهُ على أحد ، ولم يتناهَ هذا الامرُ دون صاحبكم إنْ شاءَ الله ، ويذهب مُلكُ السنين ، ويصيرُ مُلك الشهورِ والأيام . فقلت : يطول ذلك ؟ قال ﷺ : كلّا [1] . يعني بذلك « عبد الله » العباسي في العراق ، الذي يكون على نحوٍ من بطشٍ وقهرٍ شديد ، فإذا مات خَلَفَهُ رجلٌ ضعيف ، ونشب الخلافُ على المُلك والإقتتال بين العباسيين . وانتهى الأمر بزوالهم سريعاً .

بل في طوائف تأكيد على عنوان الذعر في ذلك الزمن من شدّة القتل والفناء والبلاء الهائل . ففي رواية أبي الفرج – أبان بن محمد المعروف بالسندي – قال : كان أبو عبد الله ﷺ تحت الميزاب وهو يدعو ، وعن يمينه عبد الله بن الحسن ، وعن يساره حسن بن حسن ، وخلفه جعفر بن حسن قال : فجاءه عبّاد بن كثير البصري فقال له : يا أبا عبد الله ، قال : فسألت عنه حتى قالها ثلاثاً ، ثم قال له : يا جعفر ، فقال له : قُل ما تشاء يا أبا كثير ، قال : إنّي وجدتُ في كتابٍ لي علم هذه البِنْيَة ، رجلٌ ينقضها حجراً

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . ه : غيبة الطوسي : صـ ٢٧١ – العدد القوية : صـ ٧٧ ح ١٢٠ – مرسلاً عن الصادق عليه السلام ، وفيه : (من يضمن لي موت عبد الله أضمن له قيام القائم ، لا تجتمع الناس بعده على أحد) .

حجراً . فقال ﷺ له : [كذب كتابُك يا أبا كثير ، ولكن كأني والله بأصفر القدمين ، حمش الساقين ، ضخم البطن ، رقيق العنق ، ضخم الرأس ، على هذا الركن – وأشار بيده إلى الركن اليماني – يمنعُ الناسَ من الطواف حتى يتذعَّروا منه . قال : ثم يبعثُ اللهُ له رجلاً منّي – وأشار بيده إلى صدره – (إشارة إلى المهدي القائم ﷺ) فيقتُله قتلَ عادٍ وثمودٍ وفرعون ذي الأوتاد . فقال له عند ذلك عبد الله بن الحسن : صدق والله أبو عبد الله ، حتى صدَّقوهُ كلُّهُم جميعاً][1] .

اللافت هنا أمران : الأول تأكيد الإمام ﷺ أنَّ الأمر يكون بيد المهديِّ ﷺ وهو من صلبه وتصديق الجميع لذلك اعتباراً أنهم سمعوا ووعوا ذلك روايةً معتبرةً متواترةً عن النبيِّ وآله ﷺ . الثاني : انَّ العالم قبل ظهور المهدي يتعرَّض لنوعٍ من البلاء الشديد وحُكَّام يعتمدون البطش فيضطرب الناس منه لشدَّة سفكه وطعنه في مأمن الناس آنذاك .

وهناك من المتون ما يشير إلى البيئة التي يكون فيها المهديُّ ﷺ ، وانه يخشى على نفسه الذبح . تأكيداً مجازياً منه ﷺ على الطابع الدموي الهائل الذي يلفُّ العالم آنذاك . ففي رواية زرارة قال : سمعتُ أبا عبد الله ﷺ يقول : [.. إنَّ للغلامِ (أي للمهدي ﷺ) غيبةً قبل أن يقوم . قلت : ولِمَ ؟ قال ﷺ : يخاف – وأومأ بيده إلى بطنه – ثم قال : يا زرارة وهو المنتظر ، وهو الذي يُشَكُّ في ولادته ، منهم مَن يقول مات أبوهُ بلا خَلَف ، ومنهم مَن يقول حمل ، ومنهم مَن يقول إنَّه وُلِدَ قبل موتِ أبيه بسنتين وهو المنتظر ، غير أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُحبُّ أن يمتحن الشيعة ، فعند ذلك يرتابُ

---

[1] إقبال الاعمال : ص ٥٨٢

المبطلون يا زرارة . قال قلت : جُعِلتُ فداك إنْ أدركتُ ذلك الزمان أي شيئ أعمل ؟ قال : يا زرارة إذا أدركتَ هذا الزمان فادعُ بهذا الدعاء : اللهم عرِّفني نفسك ، فإنَّك إنْ لم تعرِّفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولَك ، فإنَّك إنْ لم تعرِّفني رسولك لم أعرف حُجَّتَك ، اللهم عرِّفني حُجَّتَك ، فإنَّك إنْ لم تُعرِّفني حجتك ضللتُ عن ديني .

ثم قال : يا زرارة لا بدَّ من قتلِ غلامٍ بالمدينة ، قلت : جعلت فداك ، أليس يقتله جيشُ السفياني ؟ قال : لا ، ولكن يقتله جيشُ آلِ بني فلان ، يجيء حتى يدخل المدينة فيأخذ الغلام فيقتله ، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لا يُمهَلُون ، فعند ذلك توقَّع الفرج (أي ظهور المهدي ﷺ) إنْ شاء الله [1] .

وقصَّةُ قتل الغلام أشرنا إليها فيما سبق ، وهي تقع وسط تزاحم في أحداث العنف واحتدام القتال وانهيار القيم ، وتلاشي عِصَم الرأي الصحيح ، واندفاع الأمم إلى غمارك دامية من حروبٍ تقع بدوافع ثروة ومواقع وحسابات تدخل ضمن مفاهيم الجبروت العام للقوى الكبرى في الوسطين الدولي والإقليمي .

وفي رواية زياد القندي عن غير واحد من أصحابه عن أبي عبد الله ﷺ قال : قلنا له : السفياني من المحتوم ؟ فقال ﷺ : [نعم ، وقتلُ

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٣٧ ح ٤ – كما في رواية الكافي الاولى بتفاوت . وفيه (إن للقائم عليه السلام .. قبل وفاة .. وسنهم من يقول غائب .. قلوب الشيعة .. حتى أدركت ذلك .. لم أعرف نبيك .. جيش بني فلان يخرج حتى يدخل المدينة ، ولا يدري الناس في أي شيئ دخل .. لم يمهلهم الله فعند ذلك يتوقع الفرج) . عن زرارة ، وفيه (.. للقائم غيبة قبل قيامه ، قلت : ولم ؟ قال : يخاف على نفسه الذبح) . مرسلاً عن الصادق عليه السلام ، وفيه (إن للغلام غيبة قبل أن يقوم ، فقال له زرارة : ولم ؟ قال : يخاف على نفسه) .

النَّفس الزكيَّة من المحتوم ، والقائمُ ﷺ من المحتوم ، وخسفٌ بالبيداء من المحتوم ، وكفٌّ تطلعُ من السماء من المحتوم ، والنداء من السماء من المحتوم . فقلت : وأيُّ شيء يكونُ النداء ؟ فقال ﷺ : مناد ينادي باسم القائم واسم أبيه ﷺ][1] .

ويكون النداءُ بإسم المهدي ﷺ بعد فناء شديد يصيب الناس ، وبلاء عظيم يقع عليهم ، وحروب متتالية تجوب بقاعهم ، وسيوف مختلفة تتناوب الحرب والقتل والسفك . ويكفي انَّ السفياني يقوم وسط الحروب ولا تغمض له عين إلا في الحروب وعليها ، وهو الذي يُفرِّق جندهُ في الحرب يميناً وشمالاً . وفي رواية حمران بن أعين عن أبي عبد الله ﷺ قال : [من المحتوم الذي لا بدَّ أن يكون من قبل قيام القائم : خروجُ السفياني ، وخسفٌ بالبيداء ، وقتلُ النَّفسِ الزكيَّة ، والمنادي من السماء][2] .

أي ظرف خروج المهدي ﷺ انَّ البيئة العالمية آنذاك تكون على نحوٍ متزاحمٍ عنيفٍ في القتل والصدام والترويع والفساد . وفي النصوص إشارات شديدة العمق والمخزون في التعبير عن العنف والقتل والإبادة ، ففي رواية محمد بن الصامت عن أبي عبد الله ﷺ قال : قلت له : ما علامةُ بين يدي هذا الامر ؟ فقال ﷺ : [يلي ، قلت : وما هي ؟ قال ﷺ : هلاكُ العبَّاسي ، وخروج السفياني ، وقتلُ النَّفسِ الزكيَّة ، والخسفُ بالبيداء ، والصوتُ من السماء . فقلت : جُعلتُ فداك ، أخافُ أن يطولَ هذا الامر ؟ فقال ﷺ : لا إنَّما هو كنظامِ الخرز يتبعُ بعضهُ بعضاً][3] . فهلاك العباسي

---

[1] النعماني . ص٢٥٧ ب ١٤ ح ١٥ .

[2] النعماني : ص٢٦٤ ب ١٤ ح ٢٦ .

[3] النعماني : ص٢٦٢ ب ١٤ ح ٢١ .

وخروج السفياني وقتل النفس الزكية ذات الشأن العظيم وخسف البيداء ما بين مكّة والمدينة وما قبله وبينه وبعدهُ يقع وسط ازدحام هائل في الحرب والقتل والإبادة والصدام والحصار . إلى أن يقع الصوت بخروج المهدي ﷺ من السماء مُؤذِناً ببدايةٍ جديدةٍ ومعلمٍ كوني وجودي من نوعٍ آخر .

وفي رواية بكر بن حرب عن أبي عبد الله ﷺ قال : [لا يكون فساد مُلكِ بني فلان حتى يختلف سيفا بني فلان . فإذا اختلفا كان عند ذلك فسادُ ملكهم][1] . وعلى الأثر تقع فتنٌ وانقساماتٌ دامية وحروبٌ متتالية وأطماعٌ من خارج حدود البلد وتحوّلات سريعة واسعة ، تشارك في بعض أطرافها الروم والترك وغيرهم من قوى وامبراطوريات العالم آنذاك . حتى أنّ سلمان الفارسي – مع طول الفارق الزمني – حين دخل الكوفة أشار إلى طرف من معاني الهلاك ومظاهرها المختصرة .

ففي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : [لمّا دخل سلمان رضي الله عنه الكوفة ونظر إليها ، ذكر ما يكون من بلائها ، حتى ذكر مُلْكَ بني أمية والذين من بعدهم ، ثم قال : فإذا كان ذلك فالزموا أحلاسَ بيوتكم ، حتى يظهر الطاهرُ بنُ الطاهرِ المطهَّر ذو الغيبة ، الشريد الطريد (يعني المهدي ﷺ بذلك][2] . أي انتظروا أمرَ المهدي ﷺ بعد زمن الهلاك ومكث الأحلاس والحؤول دون الوقوع في فتن الجبابرة وحيتان الغرائز وأساطير الشهوات الذين لا يدعون إلا إلى فساد وهلاك ..

---

[1] الفضل بن شاذان : -- على ما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : صد ٢٧١ - ٢٧٢ –

[2] الفضل بن شاذان : على ما في سند غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : صد ١٠٣

ثم هناك من الأحاديث كالتي ذكرت أنّ النداءَ السماوي يكون على أثر قتال تؤيّد الاحاديث الدالّة على حدوث صراع وانقسام في الحجاز - مع التأكيد على أنّ صراعاً موصوفاً على السلطة وموت خليفة يقع في العراق - فضلاً عن تضمينها نوعاً واضحاً من الإشارة إلى البيئة المضطربة المنقسمة . وبضميمتها إلى المئُون التي تشير إلى القتال والعنف والتذابح وهجمة الروم والترك وخروج السفياني وراية الأبقع والأصهب والراية المغربيّة وغيرهم يظهر بين أيدينا لحمة متداخلة من القتن ومشهد عنيف من البلاء الفظيع ..

فمن تلك النصوص التي تتضمّن بوضوح أزمة الإنقسام والإقتتال في الحجاز بما تعنيه من فتنة قال عبد الله بن سنان قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [.. ينادي باسم صاحب هذا الامر مناد من السماء ، ألا إنّ الأمر لفلان بن فلان ، ففيمَ القتال .!][1] .

إشارة إلى الإنقسام والفتنة والإقتتال الواقع المستحكم في البلاد . وانّ خروج المهدي ﷺ الذي يشكّل مفصلاً عظيماً في مسيرة البشر ، ويغيّر هويّة العالم على أثر تثبيت دولته المباركة لا يكون إلا بعد يأس يصيبُ الناس . وفي رواية داود بن كثير الرقي قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : جُعلتُ فداك قد طالَ هذا الامر علينا حتى ضاقت قلوبنا ومتنا كمداً ؟ فقال ﷺ : [إنّ هذا الامر آيسُ ما يكون منه وأشدّه غمّاً ، ينادي مناد من السماء باسم القائم واسم أبيه . فقلت : جعلت فداك ما اسمه ؟ قال : اسمه اسمُ نبي واسم أبيه اسم وصي][2] . أي أمرُ المهديّ شديد العظمة . لا يخرجُ

---

[1] النعماني : ص٢٦٦ ب١٤ ح٣٣ ..

[2] النعماني : ص١٨١ ب١٠ ح٢٩ –

إلا بعد يأسٍ في الناس ، وهو على إسم نبيٍّ (محمّد) ، وأبوه على « إسم وصي » أي كإسم الوصيِّ الحسن عليه السلام .

وفي لفظٍ عبد الله بن سنان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : [.. لا يكون هذا الامر الذي تمدُّون إليه أعناقكم حتى ينادي منادٍ من السماء : ألا إنَّ فلاناً صاحب الامر ، فعلام القتال !][1] . النص واضح تماماً في ذمِّ القتال الخارج على مواثيق الشريعة والطاغي على نحوٍ من استبداد وتوحُّش . ذلك القتال الذي يجوب البقاع في منطقة الجزيرة إلى تركيا والعراق وسوريا وضواحي تلك الأقطار ، وصولاً إلى الحجاز ، ثم يتوسَّع شيئاً فشيئاً وبشكلٍ دراماتيكي سريع جداً . إلا قتال الخراسانيين الذي مدحته النصوص ، وأكَّدت على أنَّ قتلاهم شهداء ، وأوجبت على الأمَّة نصرتهم والنزول تحت إمرتهم . وكذا طائفة من أهل الإيمان الذين يقفون في وجه الباطل : وبكلمة : النصوص تذمُّ قتال الظلمة وتوحّشهم مقابل مدح رايات أهل الحقِّ والإيمان .

أمَّا عن طبيعة وجود المهدي عليه السلام آنذاك ، واللحظة التي يتمُّ فيها الإعلان عن المهدي عليه السلام ، تشير طائفة من النصوص أنَّ المهدي عليه السلام يكون آنذاك قرب الكعبة . ففي رواية عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [يُنَادَى باسم القائم ، فيُؤتَى وهو خلف المقام ، فيُقَال له : قد نُودِي باسمك فمَا تنتظر ؟ ثم يُؤخَذ بيده فيُبَايَع . قال : قال لي زرارة : الحمدُ لله ، قد كُنَّا نسمع أنَّ القائم عليه السلام يُبايع مُستكرهاً ، فلم نكن نعلم وجه استكراهه فعلمنا أنه استكراهٌ لا إثم فيه][2] .

---

[1] نفس المصدر .

[2] النعماني : ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤ ب ١٤ ح ٢٥ —

هذا النص يشيرُ إلى وحدة زمن في النداء والبيعة تقريباً . فيما غيرهُ يشيرُ إلى فرق زمني بسيط بين النداء والبيعة . إلا أن يُقال بتعدُّد الصوت . أو بغلبة طائفة على غيرها من النصوص . مع التأكيد على انّ نصوص « الصوت في شهر رمضان » أكثر عدداً . وقد أشرنا فيما سبق إلى طائفة من النصوص تؤكّد طابع الإستكراه ، وتشرحهُ بشكل وافٍ ، مفصّلةً الظرف والبيئة التي تجوب فيها أنواع القتال والإنقسام وتتربّص بالمهديّ ﷺ القتل . بل يبعث السفياني إلى المدينة من يأتيه بالمهدي ، ويأمر صاحبها أن يقتله مباشرةً . ثم حين لا يجد المهدي في المدينة يبعث بجيشه الجرار إلى مكّة ليقضي على المهدي ﷺ وأمره ، فيخسف اللهُ به البيداء . وبعدها يتمُّ الإعلان عن خروج المهدي ﷺ ..

وفي رواية أبي بصير قال : حدثنا أبو عبد الله ﷺ قال : [.. يُنادى باسم القائم يا فلان بن فلان قم][1] . وفي لفظ الحارث بن المغيرة عن أبي عبد الله ﷺ قال : [الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان][2] .

هذا النص يفرّق زمنياً بين الصيحة والظهور الإعلاني من مكّة . الصيحة في شهر رمضان فيما الخروج في محرّم . وهذا يعني انّ هناك فرقاً زمنياً بين الإعلان السماوي عن الظهور وبين بيعة المهدي ﷺ قرب الركن والمقام . على أنّ صيحة جبرائيل ﷺ التي تُعلن زمن المهدي ﷺ وظهوره المبارك تتبعها صيحةٌ من إبليس في الأرض ومن الأبواق الإعلاميّة لممالك والقوى الأرضيّة الملحدة والمنحرفة التي تعمل بكلّ كيدها

---

[1] النعماني : ص ٢٧٩ ب ١٤ ح ٦٤ –

[2] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٠ ب ٥٧ ح ٦ –

لإبطال مفعول الإعجاز السماوي الذي تمثّل بصوت جبرائيل ﷺ ، فيطال التضليل الفئات التي استحكم فيها الإنحراف ، أمّا الذين يقرءون العلامات ، ويؤمنون بالمعجزات ، وينزلون عند سلطان العقل ، فهؤلاء لا يضلّهم صوتٌ إبليس أبداً . ففي رواية زرارة عن أبي عبد الله ﷺ قال : [ينادي مناد باسم القائم ﷺ . قلت : خاص أو عام ؟ قال ﷺ : عام يسمعه كلُّ قومٍ بلسانهم . قلت : فمَن يخالف القائم وقد نودي باسمه ؟ قال : لا يدعهم إبليس حتى ينادي في آخر الليل ، ويُشكّك الناس][1] ..

وفي غيره من النصوص تأكيد على تفاعل وتضامن أرضي تشكيكي بين إبليس والأمم الجائر المنحرفة التي ترى أعناق الناس وقد التفتت إلى حقيقة أنّ النداء سماوي ، والأمر متّصل بنوع الإعجاز ، فتعمل على إدخال مادّة التشكيك بكلّ ما أُوتيت من قوّة إعلاميّة وغيرها . ويبدو انّ تلك الأمم المنحرفة تملك من الأدوات ما يساعدها على اجتياح مناطق واسعة من الدنيا للعمل على تضليلها . ففي رواية زرارة بن أعين قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : عجبتُ أصلحك اللهُ وإني لأعجب من القائم ﷺ كيف يُقاتَل مع ما يرون من العجائب من خسف البيداء بالجيش ومن النداء الذي يكون من السماء ؟ فقال ﷺ : [إنّ الشيطان لا يدعهم حتى ينادي كما نادى برسول الله يوم العقبة][2] .

يبقى أنّ خلافاً شرحيّاً وقع حول مصدر الصوت .؟ هل هو صوت إبليس مباشرةً أم صوت الأمم التي تسيرُ في ركبه من جبابرة أهل الأرض ..؟ يبدو من لحن طائفة من النصوص أنّه صوت الأمم الجائرة

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٠ ب ٥٧ ح ٨ –

[2] النعماني : ص ٢٦٤– ٢٦٥ ب ١٤ ح ٢٩ –

وأساطينها الأمميّة المنتشرة . أي هناك جبابرة وأمم ضالّة ينصرون خطّ إبليس فيعملون بكلّ قوّتهم للتشويش على الصوت السماوي الإعجازي الذي ينادي بظهور المهدي ﷺ .

لذلك ينجو أصحاب البراهين الذين يُدقّقون بالإعجاز فإنْ تمّ عليهم أعلنوا إيمانهم به . وبطبيعة الحال تخصّص النصوص أتباع أهل البيت ﷺ بحقيقة أنّهم يؤمنون بالصوت الأول ، أي صوت جبرائيل ﷺ ، ويعلمون حقيقة صوت إبليس التشكيكي الضال أو أممه المنحرفة . ففي رواية هشام بن سالم قال : سمعتُ أبا عبد الله ﷺ يقول : [هما صيحتان : صيحةٌ في أوّلِ الليل ، وصيحةٌ في آخرِ الليلة الثانية . قال : قلت : كيف ذلك ؟ فقال : واحدةٌ من السماء وواحدةٌ من إبليس . قلت : وكيف نعرف هذه من هذه ؟ فقال ﷺ : يعرفها مَن كان سمع بها قبل أن تكون][1] .

وفي غيرها من النصوص تؤكّد طابع انّ الإعجاز يكون شاملاً وحجّة على الخلائق أجمعين . لكنّ قوماً يُؤمنون وقوماً يلتفّون على حقيقة الإعجاز ، لكنّهم يلوون أعناقهم على الصوت التشكيكي ، ويؤثرون الجحد دون برهان .

وفي طائفة صريحة تحذير من اتّباع صوت إبليس بما يعنيه من معسكر تشكيكي واضح لكلّ ذي عقلٍ سليم . ففي رواية المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله ﷺ قال : [صوتٌ جبرئيل من السماء ، وصوتٌ إبليس من الارض ، فاتّبِعُوا الصوتَ الأوّل ، وإيّاكُم والاخير أنْ تُفتَنُوا به][2] .

---

[1] النعماني : ص ٢٦٥ ب ١٤ ح ٣١ –

[2] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٢ ب ٥٧ ح ١٣ –

وأهلُ التشكيك كُثُر ، يرون البيِّنةَ فيسخرون منها ، فإذا وقع الأمر تصارخوا من حقائقه . وقد قال هشام بن سالم : قلتُ لأبي عبد الله ﷺ : إنَّ الجريدي أخا إسحاق يقول لنا : إنَّكم تقولون : هُما نداءانِ فأيُّهما الصادقُ من الكاذب ! فقال أبو عبد الله ﷺ : [قولوا له : إنَّ الذي أخبرنا بذلك – وأنت تُنكر أنَّ هذا يكون – هو الصادق][1] .

تأكيداً منه ﷺ انَّ الأمر واقع ، وأنَّه كما أخبر بهِ النبيُّ ﷺ ، وانَّ يقين ظهور المهدي ﷺ وتواتر خبرهِ بإقراركم هو عينهُ دليلُ وقوع البشرى فيهِ وإعلان أمرهِ ﷺ في آخر الزمن ، وانَّ صوت السماء الأوَّل هو الحقُّ والبرهان ، وغيرهُ صوتُ ضلالٍ وشيطان . بل في متون أخرى تفصيل أكثر حول مضمون النداء ، بحيث يكون متضمِّناً من الحجج ما لا يبقى فيهِ للخلق حجَّة ، أي لكلِّ قومٍ علامة على بيان الحقيقة الإعجازيَّة تلك ، فالسفيانيين ومَن في فلكهم النداءُ يُبيِّنُ لهم انَّ المهدي الإمام الثاني عشر من آل رسولِ ﷺ قد خرج ، وهو محمَّد بن الحسين – الذي يتابع بيان أسماء آبائه وصولاً إلى رسولِ الله ﷺ – ثم يؤكِّد في النداء أنَّ عليّاً وشيعته هم الفائزون . تأكيداً من اللهِ للحجة على هذهِ الجماعة التي مع هذا التفصيل والبيان تقوم عليها الحجَّة بإطلاقها فضلاً عمَّا في أصل الصوت من إعجاز وإعجاز . ففي رواية زرارة بن أعين قال : سمعتُ أبا عبد الله ﷺ يقول : [يُنادي منادٍ من السماء : إنَّ فلاناً هو الامير ، وينادي منادٍ : إنَّ عليّاً وشيعته هم الفائزون . قلت : فمَن يقاتل المهدي بعد هذا ؟ فقال : إنَّ الشيطان ينادي : إنَّ فلاناً وشيعته هم الفائزون – لرجل من بني أمية . قُلت : فمن يعرف الصادقَ من الكاذب ؟ قال ﷺ : يعرفه الذين كانوا يروون

---

[1] النعماني : ص ٢٦٥ ب ١٤ ح ٣٠ –

حديثنا ويقولون إنّه يكون قبل أن يكون ، ويعلمون انّهم هم المُحقُّون الصادقون [1].

وهذا النوع من النصوص يُفسِّر لنا بعض نداءات الشيطان والدعاية الضخمة التي يقودها جماعات سفيانيين يعملون على طمس ظهور المهدي ﷺ ، فيتقاطرون وهم ينادون : إنّ فلاناً قد مات مظلوماً . كشعار ترويجي لهم . ففي رواية محمد بن علي الحلبي قال : سمعتُ أبا عبد الله ﷺ يقول : [إختلافُ بني العباس من المحتوم ، والنداء من المحتوم ، وخروجُ القائم من المحتوم . قلت : وكيف النداء ؟ قال ﷺ : ينادي منادٍ من السماء أوّلَ النهار : ألا إنّ عليّاً وشيعته هم الفائزون . قال : وينادي منادٍ في آخر النهار : ألا إنّ عثمان وشيعته هم الفائزون][2] .

وهنا يصبح التقابل من بابِ أولئك الذين يُعلنون الولاءَ للمهديّ ﷺ وآخرين يُعلنون الولاء في مقابله . ويكون للسفياني دورٌ خطير جداً في

---

[1] النعماني : ص ٢٦٤ ب ١٤ ح ٢٨ .

[2] الكافي : ج ٨ ص ٣٦٠ ح ٥٨٤ - عن أبي حمزة الثمالي قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام - إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول : إن خروج السفياني من الامر المحتوم ؟ قال (لي) : نعم . واختلاف ولد العباس من المحتوم ، وقتل النفس الزكية من المحتوم ، وخروج القائم عليه السلام من المحتوم ، فقلت له : كيف يكون (ذلك) النداء ؟ قال : ينادي منادٍ من السماء أول النهار : ألا إن الحق في علي وشيعته ، ثم ينادي إبليس لعنه الله في آخر النهار : ألا إن الحق في السفياني وشيعته ، فيرتاب عند ذلك المبطلون) . كما في كمال الدين بتفاوت ، بسند إلى أبي حمزة الثمالي وفيه (إن أبا جعفر كان يقول : خروج السفياني من المحتوم ، والنداء من المحتوم ، وطلوع الشمس من المغرب من المحتوم وأشياء كان يقولها من امحتوم . . واختلاف بني فلان . . وكيف يكون النداء ؟ . . يسمعه كل قوم بألسنتهم . . إبليس في آخر النهار من الارض . . في عثمان . . فعند ذلك يرتاب) . الخرائج : ج ٣ ص ١١٦٦ ح ٦٣ - كما في رواية الطوسي الاولى بتفاوت ، مرسلا عن الصادق عليه السلام : - وفيه (إختلاف بني العباس . . وخروج السفياني في شهر رجب . . وقتل النفس الزكية . . وينادي منادٍ) .

متابعة مشروع التشكيك وإبطال مفعول صوت جبرائيل ﷺ ، رغم انّ الإعجاز السماوي واضح مطلقاً من النداء الأوّل . لكنّ أكثر الناس يتابعون المفعول التشكيكي ويفضّلونه على غيره ، إلا أتباع أهل بيت النبيّ ﷺ وفئات ترى أنّ الإعجازَ برهانُ اللهِ لخلقِهِ في تلك الآونة المفصليّة . كما تؤكّد النصوص على بعض الظواهر الغير عاديّة التي تطرأ قبيل ظهور المهدي ﷺ ، مثل كسوف الشمس الغير عادي وفق القواعد والعلوم الفلكيّة آنذاك . ففي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : [تنكسف الشمسُ لخمسٍ مضين من شهر رمضان قبل قيام القائم ﷺ][1] .

وفي لفظٍ آخر لأبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : [علامةٌ خروج المهدي : كسوفُ الشمس في شهر رمضان في ثلاث عشرة وأربع عشرة منه][2] .

والنصوص في هذا المجال متعدّدة ، وهي تتّفق على انّ أصل كسوف الشمس الغير عادي أبداً ، يقع قبل الظهور المبارك ، ويكون من العلاقات القريبة ، وكذا خسوف القمر . ببعد النظر عن بعض المتون التي لم تتوفّق في تحديد اللحظة التفصيليّة . ويبدو أنّ علامة الكسوف والخسوف كانت من السمعيّات المشهورة على لسان الرواة كدليل على قرب ظهور المهدي ﷺ . ففي رواية أم سعيد الأحمسية قالت : قلت لأبي عبد الله : جُعلتُ فداك يابن رسول الله ، اجْعَل في يدي علامة من خروج القائم . قالت : قال لي : [يا أم سعيد ، إذا انكسفَ القمر ليلةَ البدر من رجب وخسف رجلٌ

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٥ ب ٥٧ ح ٢٨ -

[2] النعماني : ص ٢٧٢ ب ١٤ ح ٤٧

من تحته ، فذاك عند خروج القائم][1] . وهذا أصل تتّفق عليه الروايات ، أعني بذلك أصل الخسوف والكسوف بيعد النظر عن المواقيت التفصيليّة التي يبدو فيها بعض الإختلاف ..

وهناك طائفة من النصوص تشيرُ إلى الكسوفين ، أي كسوف الشمس وخسوف القمر – عند العرب يستعملون كلمة كسوف للشمس والقمر – وانّهما يقعان على نحوٍ يستغربُ معه أهلُ الفلك حقيقة ما وقع ، لأنّه يكون على خلاف المعهود من قواعد هذا العلم . على أنّ العلامات المسموعة كثيرة وعديدة ، منها ما أرضي ومنها ما هو سماوي . فكما تقع علامة الخسف والكسف والنداء ، كذا تقع علامات أرضيّة أخرى مثل ذبح النفس الزكيّة واختلاف بني فلان (بني العباس) وقتل عبد الله واقتتال بين أهل المُلك على العرش ، واليماني ، وزحف الراية المغربيّة تمهيداً لظهور السفياني . السفياني من العلامات المحتومة التي لا بدّ أن تقع ، وهو صاحب ملحمة فظيعة ، يوجّهُ أصل حرابه وسفكه في أكثر معاركه إلى أتباع أهل البيت ﷺ ، ويعمل بكلّ ما أوتي من قوّة لاجتثاث أمر المهدي ﷺ من أوّله فيفشل . وهو الذي يثير حروباً عصبيّةً بإسم السفيانيين ، ويتركب الآثام ، ويجاهر بالمعاصي ، ولا يشبعهُ إلا سفك الدماء . فيجوب قتلاً وتفظيعاً في الكور الخمسة التي يسيطر عليها . وفي رواية عيسى بن أعين عن أبي عبد الله ﷺ قال : [السفياني من المحتوم ، وخروجه في رجب ، ومن أوّل خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً : ستة أشهر يُقاتل فيها ، فإذا ملك الكُوَر الخمس ملك تسعة أشهر ، ولم يزد عليها يوماً][2] .

---

[1] دلائل الإمامة : صـ ٢٧٩

[2] النعماني : صـ ٢٩٩ – ٣٠٠ ، ١٨ جـ ١ ..

أي لا يملك أكثر من تسعة أشهر بعد أن يحقّق انتصاراته . والمجموع العام من ظهوره حتى ذبحه لا يزيد على خمسة عشر شهراً . ستّة يُقاتل فيها ، وتسعة يملك فيها الكور الخمس ويثير الحروب هنا وهناك . ثم يقتله المهدي ﷺ . وفي رواية هشام بن سالم عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ قال : [إذا استولى السفياني على الكُوَر الخمس ، فعدُّوا له تسعة اشهر] . قال : « وزعم هشام أنّ الكور الخمس : دمشق ، وفلسطين ، والاردن ، وحمص وحلب »[1] .

وقبيل مُلكه وأثناء ملكه يثير السفياني فِتَناً عظيمة ، فيُهلك الناس ويحتكر الثروات والغلّل وغيرها ما أمكن ، ويجوب في بقاعه تلك قتلاً وتعنيفاً وآثاماً عظيمة ، ويشنّ على العراق حربَ استئصال لأتباع أهل البيت ﷺ ، حتى يجد الشيعةُ منه الأمنَ العظيم . وفي رواية عبد الله بن أبي منصور البجلي قال : سألت أبا عبد الله ﷺ عن اسم السفياني ؟ فقال ﷺ : أ وما تصنع باسمه ؟ إذا مَلَك كُوَر الشام الخمس : دمشق ، وحمص ، وفلسطين ، والاردن ، وقنسرين (حلب) ، فتوقّعُوا عند ذلك الفرج . قلت : يملك تسعة أشهر ؟ قال ﷺ : لا . ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً[2] .

أقول : التردُّد هنا من الراوي بشهادة النصوص المتعدِّدة برواتها الكُثُر . وكذا ورد التردُّد في رواية من روايات محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [إنّ السفياني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة (تسعة أشهر) ، ثم قال : أستغفر الله حمل جمل ، وهو من الامر

---

[1] كمال الدين : ج٢ صـ ٦٥١ ـ ٦٥٢ ب ٥٧ ح ١١

[2] م . س .

المحتوم الذي لا بد منه] (لاحظ : التردُّد هو شديد الوضوح من الراوي)[1] . على كلٍّ حال : النصوص متّفقة تماماً على انّ أمر السفياني لا بدّ أن يقع ويصبحه فتن وقتل وعنف ، وهو يكون في الأصل وكيل جبهة نصرانيّة غربيّة حربيّة يهمّها السيطرة على ما نسمّيه اليوم منطقة الشرق الأوسط . وفي رواية معلى بن خنيس قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [من الأمر المحتوم ، ومنه ما ليس بمحتوم . ومن المحتوم خروج السفياني في رجب][2] .

أي لا بدّ من خروج السفياني . وحركة السفياني مقترنة في النصوص بسفك الدماء والقتل والتعنيف والترويع وشبه ذلك . فإذا خرج السفياني فترقّبوا خروج المهدي ﷺ . وفي رواية خلاد الصائغ عن أبي عبد الله ﷺ قال : [السفياني لا بدّ منه ، ولا يخرج إلا في رجب . فقال له رجل : يا أبا عبد الله ، إذا خرج فما حالنا ؟ قال ﷺ : إذا كان ذلك فإلينا][3] . أي يكون ظهورُ المهدي ﷺ وبداية حركة جديدة تشمل بآثارها العالم بأجمعه ، وسط أهوال مختلفة تقوم بها أمم وجبهات متضامنة مرّة ومتفرّقة مرّة أخرى لمنع أمر الله . ويأبى الله إلا أن يُتمّ نوره ولو كره المشركون ولو كره الكافرون .

على انّه قبل ظهور المهدي ﷺ تقع أمورٌ مختلفة منها : السفياني واليماني وقتل النفس الزكية والنداء وغير ذلك . ففي رواية عبد الله بن

---

[1] الفضل بن شاذان : – على ما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : صد ٢٧٣ –

[2] النعماني : صد ٣٠٠ و ١٨ ح ٢ – وفي لفظ آخر للحلبي بن خنيس عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إنّ أمر السفياني من الامر المحتوم ، وخروجه في رجب] .

[3] نفس المصدر .

سنان عن أبي عبد الله ﷺ قال : [النداءُ مِن المحتوم ، والسفياني مِن المحتوم ، واليماني مِن المحتوم ، وقتلُ النفس الزكيّة مِن المحتوم ، وكفٌّ يطلع مِن السماء مِن المحتوم . قال : وقرعةٌ في شهر رمضان تُوقظ النائم وتُفزِعُ اليقظان وتخرج الفتاة مِن خدرها][1] .

ولقد أسهبَ أهلُ البيت ﷺ في ظروف متنوّعة وهم يؤكّدون طابع الحقانيّة ودولة آل محمّد الكبرى التي تشمل العالم ، وانّها تتمّ على يد المهدي ﷺ ، وهو الثاني عشر من أئمّة أهل البيت ﷺ . منها ما رواه الفضل الكاتب قال : كُنت عند أبي عبد الله ﷺ فأتاهُ كتابُ أبي مسلم فقال : [ليس لكتابك جواب ، اخرج عنّا ، فجعلنا يُسَارُّ بعضُنا بعضاً . فقال ﷺ : أيّ شيء تسارُّونَ يا فضل ؟ إنّ الله عزّ ذكرُهُ لا يعجل لعجلة العباد ، ولإزالة جبل عن موضعه أيسر مِن زوال مُلْكٍ لم ينقضِ أجلُهُ .

ثم قال : إنّ فلان بن فلان حتى بلغ السابع مِن وُلد فلان . قلتُ : فمَا العلامةُ فيما بيننا وبينك جُعلتُ فداك ؟ قال ﷺ : لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفياني ، فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا – يقولها ثلاثاً – وهو مِن المحتوم][2] . الإمام ﷺ يؤكّد بما لا يقبل الشك أنّ أمر أهل البيت ودولتهم الضخمة التي تشمل العالم تكون زمن المهدي الذي يخرج السفياني قبله ولو بقليل . والسفياني مِن المحتوم . وانّ ما حاول العباسيّون أن يستغلّوه مِن التسمية مرة بإسم المهدي ﷺ ومرّة عبر تظاهرهم بالرايات السود بدا فشلهُ وبطلانُهُ بسرعة ، حتى كذّب العباسيّون بعضُهم

---

[1] النعماني : ص٢٥٢ ب ١٤ ح ١١ –

[2] الكافي : ج ٨ ص ٢٧٤ ح ٤١٢ –

بعضاً ، بل قتل بعضُهم بعضاً ، وأشرنا فيما سبق إلى حديثٍ جرى بينهم وبين الإمام الصادق ﷺ أكّد ﷺ لهم انّهم سيقتلون بعضهم بعضاً ، وانّهم يُطلبون أمراً باطلاً ، ويرفعون أعلاماً تحرف الحائق عن محلّها .

وفي رواية المعلى بن خنيس قال : ذهبتُ بكتاب عبد السلام بن نعيم وسدير ، وكتب غيرُ واحدٍ إلى أبي عبد الله ﷺ حين ظهرت « المسوّدَةُ » قبل أن يظهر وُلدُ العباس : بأنّا قد قدّرنا أن يؤُولَ هذا الأمرُ إليك فَمَا ترى ؟ قال : فضرب بالكُتُب الأرضَ ثم قال : إ أُفٌّ أُفٌّ ، ما أنا لِهؤلاء بإمام ، أما علموا أنه إنّما يقتل السفياني [1] . أي أمرنا الشامل زمن المهدي ، وانّه ﷺ هو الذي يقتل السفياني ويقيم حكم الله المطلق في الأرض . وما دولة العباسيين إلا لأنفسهم وخروجاً على الإمام الحقّ من اهل البيت ﷺ . وقد رأى أصحابُ الإمام ﷺ ما رءوا آنذاك فكانوا يبكون من شدّة ما أخبرهم ﷺ .

وقد تكرّرت الصورة الإعتراضيّة جداً من الإمام ﷺ على دولة بني العباس وتزييفهم بمواقف مختلفة . ففي رواية عبد الحميد بن أبي الديلم قال : [كُنتُ عند أبي عبد الله ﷺ فأتاهُ كتاب عبد السلام بن عبد الرحمن بن نعيم ، وكتاب الفيض بن المختار وسليمان بن خالد ، يخبرونَهُ أنّ الكوفة شاغرةٌ برجلها ، وأنه إنْ أمرهم أن يأخذوها أخذوها . فلمّا قرأ كتابهم رمى به ، ثم قال : ما أنا لهؤلاء بإمام ، أما علموا أنّ صاحبهم السفياني] [2] . إشارة منه ﷺ أنّ بني العباس استولوا على الأمر وأحكموا سلطانهم ظلماً وعدواناً ، وانّ ما ينادون به من البيعة للرضا من آل محمّد إنما ينادون به

---

[1] الكافي : جـ٨ صـ ٣٣١ حـ ٥٠٩ .

[2] نفس المصدر .

للعباسيين وليس للطالبيين . وأنّهم جنّدوا مَن يقتل الطالبيين أو من تطلّعت عنقُهُ منهم لهذا الأمر . لكنّ الناس في الظاهر لا يعلمون حقيقة الأمر ، وأنّهم يظنّون انّ العباسيين سيفون بدعوتهم لآل محمّد فيعلنون البيعة للإمام المرضي عنه من السماء قبل الأرض من أولاد علي بن أبي طالب ﷺ ، لكنّ العباسيين قد أحكموا أمرهم وسيطروا على مكامن الضعف ، واستغلّوا فرصة الخناق الهائل الذي ضربه الأمويون على الطالبيين فراحوا يعقدون الجلسات ويعبّئون الجماعات خاصة في خراسان بأهل بيت النبيّ ﷺ وأهل بيت عليّ ﷺ ، وقد ألفّوا لذلك جيشاً ، في حين بالسرّ يريدونها في بني العباس فقط ، وقد شكّلوا من الجيش ما يخلُصُ لهم في منع وصول هذا الأمر إلى الطالبيين من آل البيت ﷺ ..

وفي رواية أبي بكر الحضرمي قال : دخلتُ أنا وأبان على أبي عبد الله ﷺ ، وذلك حين ظهرت الراياتُ السودُ بخراسان ، فقلنا : ما ترى ؟ فقال ﷺ : [إجلسوا في بيوتكم ، فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجلٍ ، فانهدوا إلينا بالسلاح][1] . أي هذا الأمر ليس لنا ، وانّما هو مُلكُ عباسي دنيوي لا يراعون فيه أُطُرَ الشرعيّة وحدودها . لقد أحكمه بنو العباس على هذا النحو وهم يكمنون لأهل البيت ﷺ أكثر من كمائنهم للأمويين الذين انقرضوا . وكان سدير يسألهُ عن المفهوم الإفتراضي للخروج في ذلك الزمن ، في وقتٍ أحكم بنو العباس الأمر ، فقال أبو عبد الله ﷺ : [يا سدير ، الزم بيتك وكُن حلساً من أحلاسه . واسكن ما سكن الليلُ والنهار ، فإذا بلغك أنّ السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك][2] .

---

[1] الغيبة للنعماني : ص١٩٧ ب ١١ ح ٦ .

[2] الكافي : ج ٨ ص ٢٦٤ ح ٣٨٢ .

أيضاً عن سدير في نصٍّ مماثلٍ قال : – وفيه – [.. قلتُ : جُعلتُ فداك ، هل قبل ذلك شيئ ؟ قال ﷺ : نعم . وأشار بيده بثلاث أصابعه إلى الشام وقال : ثلاثُ رايات : راية حسنيّة ، وراية أموية ، وراية قيسية ، فبينا هم على ذلك إذ قد خرج السفياني فيحصدهم حصد الزرع ما رأيت مثله قط][1] . أي ليس لنا نحنُ الأئمّة في علم الله تعالى دولة نقودها بشكل مباشر إلا للأخير منّا ، وهو المهدي القائم ﷺ الذي يخرجُ في آخر الزمن . ومن علاماته انّ السفياني يخرج قبله ، وهناك علامات أخرى منها اليماني والنداء من السماء وقتل النفس الزكيّة وغير ذلك من العلامات الوصفيّة العامة والخاصة .

ومن النصوص التي تحدّثت عن الظرف العام لظهور المهدي ﷺ ما أشار إلى عناوين أخرى ، منها مثلاً هلاك واحد من القادة الذين يرجعون إلى بني العباس ، هؤلاء الذين تتجدّد لهم دولة آخر الزمان قبل ظهور المهدي ﷺ ، فإذا هلك أحدهم المسمّى عبد الله توقّعوا الفرج . وفي بعض النصوص : من يضمن لي هلاك عبد الله أضمن له الفرج . وفي رواية ابن أبي يعفور قال : قال لي أبو عبد الله ﷺ : [أمسك بيدك هلاك الفلاني (اسم رجل من بني العباس) وخروج السفياني وقتل النفس ، وجيش الخسف ، والصوت . قلت : وما الصوت أهو المنادي ؟ فقال ﷺ : نعم ، وبه يُعرف صاحبُ هذا الامر ، ثم قال ﷺ : الفرجُ كُلُّه هلاك الفلاني (من بني العباس)][2] . أي ضمن سلسلة الأحداث المتعدّدة والتي بعضها متعاقب ، وبعضها الآخر في عرضٍ واحد ، في مساحة زمنيّة متعدّدة متنوعة ، يكون

---

[1] نفس المصدر .

[2] النعماني : ص ٢٥٧ – ٢٥٨ ، ب ١٤ ، ح ١٦ .

ظهور السفياني ، وهلاك العباسي ، وقتل النفس الزكية ، وتعاظم أمر الفتن والحروب والأمراض التي تضرب بقاع الأرض بعنف شديد ، كما يقع الكسوفان : كسوف الشمس والقمر . وخروج اليماني ، بالإضافة إلى قيام دولة خراسان قبل ذلك ، وتتعاقب الأحداث وصولاً إلى النداء من السماء بظهور المهدي المنتظر ﷺ ، اللهم اجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشهدين بين يديه ، فإن لم نوفّق لذلك اللهمّ فأمتنا على ولايته وولاية أهل بيته ﷺ ، وشفّعهم بنا بمحمّد وآل محمّد .

ويبدو من خيط الزمن ومختبر الأمم وبيان النصوص أنّ ما وقع في أوّل تاريخ بعثة النبيّ ﷺ من قتال أبي سفيان للنبيّ ﷺ سيقابله آخر الزمن قتالُ السفياني للمهديّ ﷺ حفيد الرسول ﷺ وولد عليّ ﷺ . ففي رواية الحكم بن سالم عمّن حدّثهُ عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إنّا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله . قلنا : صدق اللهُ ، وقالوا : كذبَ الله . قاتل أبو سفيان رسولَ الله ﷺ ، وقاتل معاويةُ عليَّ بنَ أبي طالب ﷺ ، وقاتَلَ يزيدُ بنُ معاوية الحسينَ بنَ عليّ ﷺ . والسفياني يقاتلُ القائم ﷺ][1] ..!

وهذا أمر حقيقي تشهد له وقائع التاريخ كما تشهد النصوص للقسم الباقي منه ، وهو قتال السفياني للمهدي ﷺ آخر الزمن ، والذي ينتهي بذبح السفياني الذي ينهزم جيشه على يد المهدي ﷺ . وتؤكّد النصوص طابع الإجرام في حركة السفياني . في النصوص تأكيد على المظهر الدموي السافح . ففي رواية عمر بن يزيد قال : قال لي أبو عبد الله الصادق ﷺ : [إنّك لو رأيت السفياني لرأيت أخبثَ الناس ، أشقر أحمر أزرق ، يقول : يا

---

[1] معاني الاخبار : ص٣٤٦ ح ١ .

ربّ ثاري ثارَي ثمّ النار . وقد بلغ من خبثه أنه يدفن أمّ ولد له وهي حيّة ، مخافة أن تدلّ عليه][1] .

ويكون نصيب الشيعة كبيراً من فتن السفياني وجموحه الدموي . ففي رواية يونس بن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : [إذا خرج السفياني يبعث جيشاً إلينا وجيشاً إليكم ، فإذا كان كذلك فأتونا على كلّ صعب وذلول][2] . أي يُوجّه قتاله وعنفه وطاقاته وإمكاناته لاجتثاث أتباع أهل البيت ، كما يوجّه جيشهُ للقضاء على حركة المهدي عليه السلام في الحجاز . لكنّه يفشل . وانّ ظهور السفياني علامةٌ على ظهور الإمام المهدي عليه السلام .

وللسفياني وقايع فظيعة ومواقف لئيمة وقرارات مشبعة بالقتل وسفك الدماء والترويع لأهداف تتّصل بالمال والثروة والجاه والإعتبار . منها بطبيعة الحال ما يقع في المعركة العنيفة جداً التي تُدعى قرقيسيا ففي الرواية عن حذيفة بن المنصور عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [إنّ لله مائدة[3] بقرقيسياء يطّلع مُطّلع من السماء فينادي : يا طيرَ السماء ويا سِباعَ الأرض هلمّوا إلى الشِّبَعِ من لحوم الجبارين][4] . تأكيداً على المعركة الطاحنة التي تقع بين ثلاث رايات كلّها تدعو إلى النار والتي يُقتَل فيها خلقٌ كثير . ثم من العلامات العامّة لخروج القائم عليه السلام خروج الخراساني . والروايات تؤكّد قيام

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥١ ب ٥٧ ح ١٠ ...

[2] النعماني : ص ٢٠٦ ب ١٨ ح ١٧ -

[3] وفي غير هذه الرواية ورد لفظ مأدبة

[4] النعماني : ص ٢٧٨ ب ١٤ - ح ٦٣ -

دولة خراسانيّة قويّة تحمي نفسها في ذلك الزمن المرتكز على قيم منجرفة في آثامٍ صعبة . هذه الدولة تدعو إلى المهدي ﷺ وتوطّئ له ، وتخوض الحروب لحفظ خياراتها وحقوقها ، تأكيداً لطابع انتمائها الولائي الإيماني في زمنٍ متزلزلٍ منكرٍ لقيام دولة تُعلن الدين اساساً بنيوياً في القيادة والحكم والإجتماع .

ففي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : قلتُ له : جُعلتُ فداك ، متى خروج القائم ﷺ ؟ فقال : [يا أبا محمد إنّا أهلُ بيتٍ لا نوقّت ، وقد قال محمد ﷺ : كَذَب الوقّاتُون . يا أبا محمد ، إنّ قدّام هذا الأمر خمس علامات : أولاهنّ النداءُ في شهر رمضان ، وخروجُ السفياني ، وخروج الخراساني ، وقتلُ النفسِ الزكيّة ، وخسفٌ بالبيداء . ثم قال : يا أبا محمد : إنه لا بدّ أن يكون قدّام ذلك الطاعونان : الطاعون الابيض ، والطاعون الاحمر . قلت : جُعلتُ فداك ، وأيُّ شيءٍ هما ؟ فقال ﷺ : أمّا الطاعون الابيض فالموتُ الجارف ، وأما الطاعونُ الأحمر فالسيف . ولا يخرج القائم ﷺ حتى يُنادَى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان ليلة جمعة . قلت : بِمَ يُنادي ؟ قال ﷺ : باسمه واسم أبيه : ألا إنّ فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه . فلا يبقى شيئ خلَقَ اللهُ فيه الروح إلا يسمع الصيحة ، فتوقظ النائم ويخرج إلى صحنِ داره ، وتخرج العذراء من خدرها ، ويخرجُ القائم ﷺ ممّا يسمع (أي بعد النداء) ، وهي صيحةُ جبرئيل ﷺ][1] . أي يكونُ خروجُ المهدي ﷺ على أثر أحداثٍ متنوّعة متلاطمة في بعض جوانبها ، منها ما يتّصل بوصف لبيئة العالم ، ومنها ما يتّصل بصفاتٍ محدّدة للفتن وأصحاب الملاحم والمقاتل .

---

[1] النعماني : ص٢٨٩ ب١٦ ح٦ .

أو ما يقع من قتلٍ أو ما يحدثُ على قومٍ عظام مثل النفس الزكيّة ، إلى أن تصل النوبة إلى الآيات الإعجازيّة والنداء السماوي الذي يخرج على أثره المهدي عليه السلام .

على أنّ بعض النصوص تشيرُ إلى خروجٍ متزامنٍ بين الخراساني والسفياني واليماني . ففي رواية بكر بن محمد الازدي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [خروج الثلاثة الخراساني والسفياني واليماني في سنةٍ واحدةٍ ، في شهرٍ واحدٍ ، في يومٍ واحد ، فليس فيها راية بأهدى من راية اليماني ، تهدي إلى الحق][1] . النص يشيرُ إلى الخروج . في حين دولة خراسان يكون قيامُها سابق ، وقوتُها ودعوتُها وغيرها تكون قبل ذلك ، بل هي التي تقوم بالتوطئة لظهور المهدي عليه السلام . وهذا يستدعي قيامها قبلاً . والنصوص شديدة التأكيد على هذه الحقيقة من قيام دولة خراسان وتوطئتها لظهور المهدي عليه السلام . والخراساني هو الذي يعلن الولاء للمهدي عليه السلام قبل خروجه كما يجدّد الولاء والتضحية أيضاً للمهدي عليه السلام بعد ظهوره المبارك . والنصوص في مدح الخراساني ودولة خراسان وثباتها كثيرة وجديرة بالإلتفات . أمّا موضوع راية اليماني أهدى ؟ فيُراد من النص لفت الأعناق إلى أمرٍ صرّحت به بعض النصوص ضمناً ، وهو انّ جيش اليماني يُدارُ بطريقةٍ وأخرى من قبل المهدي عليه السلام أوّل ظهوره .

مع التذكير بأنّه يكون لأهل « قُم » دورٌ عظيم ومهمّة بالغة ، فهي التي تقوم بحمل تراث أهل البيت ، وكذا الحال مع النجف ، بل هي مصنع شخصيات قيادة الحكم الخراساني الذين يُوطّئون للمهدي سلطانه . وهم

---

[1] مختصر إثبات الرجعة : ح ١٧ – عن بكر بن محمد الازدي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : – وفيه [. . السفياني والخراساني واليماني . . أهدى . . لانه يدعو إلى الحق] .

الذين ينصرون المهديَّ ﷺ ويُقدِّمون التضحيات المذهلة بين يديه كما ذكرت النصوص . ففي رواية عفان البصري عن أبي عبد الله ﷺ قال : قال لي : [أتدري لِمَ سُمِّي قم ؟ قلتُ : الله ورسوله وأنت أعلم ، قال ﷺ : إنما سُمِّي « قم » لأنَّ أهله يجتمعون مع قائم آل محمد ﷺ ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه][1] . تأكيداً للدور التاريخي الضخم الذي تقوم به قم ، والذي على اساسه تقود أعظم مشروع دولة توطِّئ لظهور قائم آل محمد ﷺ .

وقد روى الحسن بن محمد بن الحسن القمي صاحب كتاب « تاريخ قم » بأسانيد عن الصادق ﷺ أنه ذكر الكوفة فقال : [ستخلو كوفة (الكوفة) من المؤمنين ، ويأرز عنها العلم كما تأرزُ الحيَّةُ في جحرها . ثم يظهر العلمُ ببلدةٍ يُقال لها « قم » ، وتصير معدناً للعلم والفضل ، حتى لا يبقى في الأرض مُستضعَف في الدِّين حتى المخدَّرات في الحجال ، وذلك عند قرب ظهور قائمنا ﷺ ، فيجعل اللهُ قم وأهله قائمينَ مقامَ الحجَّة . ولولا ذلك لساخت الارض بأهلها ولم يبقَ في الارض حجة ، فيفيضُ العلمُ منه إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب . فتتمُّ حجةُ الله على الخلق ، حتى لا يبقى أحدٌ على الارض لم يبلغ إليه الدِّين والعلمُ . ثم يظهر القائم ﷺ ويصير سبباً لنقمة الله وسخطه على العباد ، لأنَّ الله لا ينتقم من العباد إلا بعد إنكارهم حجة][2] . ففي هذا النص تعظيم لقم وأهلها ، وانَّها تحتل مركزاً احتجاجيّاً عالميّاً عظيماً ، هذا الإحتجاج ينبع من الحجّة الإلهيّة ، ويكون على

---

[1] تاريخ قم : الحسن بن محمد بن الحسن القمي : – على ما في البحار . * : البحار : ج ٦٠ ص ٢١٦ ب ٣٦ ح ٣٨ – عن تاريخ قم .

[2] تاريخ قم : – على ما في البحار . * : البحار : ج ٦٠ ص ٢١٣ ب ٣٦ ح ٣٣ –

نحو مُركَّزٍ وموضوعي وبعلاماتٍ تصلح للإحتجاج على أهل الأرض كلِّهم بلغاتِهم المتنوِّعة وعقولهم المتعدِّدة . لذلك تحاول فئة مدعومة من الجبَّارين والقوى الخارجيَّة تشكيل انقلاب في هذه البلدة المعظَّمة لضرب أهم ركن في دولة خراسان ، لكن بفضل الله تعالى يفشل الإنقلاب بعد جهدٍ عظيم يبذله أهلُ خراسان أتباعُ آل محمَّد ﷺ . وفي رواية أبي مسلم العبدي عن أبي عبد الله الصادق ﷺ قال : [تربة قم مقدسة ، وأهلها منَّا ونحن منهم ، لا يريدهم جبَّارٌ بسوءٍ إلا عجلت عقوبته ما لم يخونوا إخوانهم . فإذا فعلوا ذلك سلَّط الله عليهم جبابرة سوء . أما إنَّهُم أنصار قائمنا ودعاةُ حقِّنا . ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم اعصمهم من كلِّ فتنة ، ونجِّهم من كلِّ هلكة][1] . وفعلاً يفشل الإنقلاب وتبدو دولة خراسان على نحوٍ من صلابةٍ وثباتٍ وتماسكٍ كبير . ثم تتابع مسيرة الدعوة إلى قائم آل محمَّد ﷺ .

وتشكِّل « قم » عاصمة التراث الإسلامي الكبير على الإطلاق ، وتصل إلى مرحلة ذات وصفٍ عالمي لافت ، تقوم معه مقام المعقل الأكثر احتجاجاً وبرهاناً وتماسكاً في صفِّ الثقافة الوجوديَّة والدولة الدينيَّة والدعوة إلى الله وتثبيت شريعة السماء . خاصَّةً أنَّ قم تقود صناعة الإجتماع السياسي ونماذج قيادة حكم دولة خراسان العظيمة . وفي رواية أبي الاكراد علي بن ميمون الصائغ عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إنَّ الله احتجَّ بالكوفة على سائر البلاد ، وبالمؤمنين من أهلها على غيرهم من أهل البلاد ، واحتجَّ ببلدة « قم » على سائر البلاد ، وبأهلها على جميع أهل المشرق والمغرب من الجن والانس ، ولم يدع الله قم وأهله مستضعفاً ، بل وفَّقَهُم وأيَّدَهُم . ثم قال : إنَّ الدِّين وأهله بقُم ذليل ، ولولا ذلك لأسرع الناسُ إليه فخرب قم وبطل أهله

---

[1] تاريخ قم : – على ما في البحار . م : البحار : ج ٦٠ ص ٢١٨ ب ٣٦ ح ٤٩ – عن تاريخ قم .

فلم يكن حجّة على سائر البلاد . وإذا كان كذلك لم تستقر السماء والارض ولم يُنظَرُوا طرفة عين . وإنّ البلايا مدفوعة عن قم وأهله . وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجّة على الخلائق ، وذلك في زمان غيبة قائمنا ﷺ إلى ظهوره ، ولولا ذلك لساخت الارض بأهلها ، وإنّ الملائكة لَتدفع البلايا عن قم وأهله ، وما قصده جبار بسوء إلا قصمه قاصمُ الجبارين وشغله عنهم بداهية أو مصيبة أو عدو ، وينسي اللهُ الجبّارين في دولتهم ذكر قم وأهله كما نسوا ذكر الله)[1] .

واللافت في هذا النص أنّ أهل قم يعيشون مرحلةً ما من العناء والتعب في تعظيم أمر الله وصناعة الإجتماع السياسي بل بالتمسّك بمواثيق السماء بسبب مناحرة الأمم الظالمة لهم بأشكالٍ مختلفة ، رغم ما هم عليه من قوّة الحجّة وتعاظم البرهان ومنطق السماء وأساطين الإحتجاج العالمي . وانّ الله يعظّم أمر قم ، ويقيمها مقام الإحتجاج الأعظم ، وانّه لا بدّ أن يقيم الله تعالى حجّة بالغة ، فيكون من أبرزها ما تنادي به قم وتذيعهُ وتنشرهُ وما تبلّغه عبر نماذج مختلفة تستغل فيها تكنولوجيا الزمن وشبه ذلك مثل الأقمار الصناعيّة والإنترنت والستلايت وكل شبكة من شأنها أن تتدفّق المعلومات المتنوّعة عبرها بالصوت والصورة والأشخاص والكتابة والتقنيّة وغيرها من الوسائل .

كل ذلك رغم العناء الذي يصيب أهل هذه البلاد والذي منه نماذج من القطيعات الإقتصادية والثقافيّة والسياسيّة وغيرها ، بالإضافة إلى الإنعكاس المادّي والتعب والعناء الملازم لمشروع العالميّة الجديد الذي

---

[1] تاريخ قم : – على ما في البحار . * : البحار : ج ٦٠ ص ٢١٢ – ٢١٣ ب ٣٦ ح ٢٢ – عن تاريخ قم .

يعادي دولة خراسان ودعوتها الدينيّة بأشكالٍ مختلفة وعناوين بارزة . وتكون دولة الخراساني حجّة بارزة من حججِ الله تعالى . حجّة تدعو إلى الله ، تبني أُسس الحق ، ترفع معالم الرشاد ، تصرخ في وادي البشر أنْ عودوا إلى مواثيق الكتاب الأوّل ، من العقل والنقل وباقة الحجج والبراهين ومواثيق الإعجاز التامّة . وقد ورد في رواية أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : قال : اللهُ أجلّ وأكرم وأعظم من أن يترك الأرض بلا إمامٍ عادل . قلت له : جُعلتُ فداك ، فأخبرني بما أستريحُ إليه ؟

قال ﷺ : يا أبا محمّد ، ليس يرى أمة محمّد ﷺ فرجاً أبداً ما دام لولد بني فلان ملك ، حتى ينقرض ملكهم ، فإذا انقرض ملكُهُم أتاحَ اللهُ لأمّة محمد رجلاً منّا أهل البيت يشير بالتقى ويعمل بالهدى ، ولا يأخذ في حُكمه الرَشى (يعني الخراساني) ، والله إني لأعرفه باسمه واسم أبيه . ثم يأتينا الغليظ القصرة ، ذو الخال والشامتين القائم العادل الحافظ لما استُودِعَ يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملأها الفجّارُ جوراً وظلماً][1] . تأكيداً للدور الذي تلعبهُ خراسان والخراساني في مواثيق دعوتها وسلوكها الإقليمي والدولي ، وإعلانها نماذج برهانيّة رفيعة شديدة التركيز والعمق وشبه ذلك .. وفي المتون اقاصة إضافيّة حول العلامات .

ففي رواية هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ قال : [اليماني والسفياني ، كفرسي رهان][2] . إشارة إلى التقارب الشديد بين خروج السفياني واليماني . وفي النصوص العديدة انّ علامة الظهور المبارك خروج السفياني .

---

[1] الملاحم ، للبضائني : – على ما في إقبال الاعمال ، والبحار . * : إقبال الاعمال : صد ٥٩٩ – ٦٠٠ –

[2] النعماني : صد ٢٠٥ ب ١٨ ح ١٥ –

وفي طائفة من الروايات انّ خروج اليماني يكون على أثر أحداث متعاقبة وظروف شديدة التعقيد . وهذا يعني انّه يستفيد من البيئة الخاصّة والبيئة العامّة لإعلانِ خروجِهِ ، ويكون خروجُهُ على نحوٍ من تدبيرٍ ونفوذٍ وقدرة ، بل يستفاد من بعضها أنّ اليماني يكون على صلة مباشرة بالمهدي ﷺ وهو يقود تلك الجبهة . وتشير بعض النصوص أنّ اليماني يكون له أثر بارز في التضييق على السفياني ، وصولاً إلى قهرهِ زمن الخروج الأكبر بجيش الإمام المهدي ﷺ . وفي رواية عبيد بن زرارة قال : ذُكِرَ عند أبي عبد الله ﷺ السفياني فقال ﷺ : [أنّى يخرج ذلك ؟ ولمّا يخرج كاسر عينيه بصنعاء][1] . إشارة إلى اليماني .

وعن معاذ بن مطر عن رجلٍ قال : ولا أعلمه إلا مسمعاً أبا سيار ، قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [قبل قيام القائم تحرّك حرب قيس][2] . قال : ومن كتاب عجائب البلدان قال عمار : قلت للصادق ﷺ : متى يقوم قائمكم ؟ قال ﷺ : [عند هدم مدينة الاشعري][3] . الحديث في مقام الإشارة إلى مدينة تخصّ الأشعريين اليمانيّة ، وهي تصبُّ في مضمون النصوص التي تشير إلى شخصيّة اليماني المهمّة . ويمكن أن تكون هذه المدينة في اليمن أو غيرها ، لكن لا بدّ أن تكون لها نسبة إلى شخصية بارزة فيها من قبيلة الاشعريين اليمانية .

---

[1] النعماني : ص ٢٧٧ ب ١٤ ح ٦٠ –

[2] النعماني : ص ٢٧٧ ب ١٤ ح ٥٩ –

[3] عجائب البلدان : – على ما في الصراط المستقيم . * : الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٢٥٨ ب ١١ ف ١١ –

أحداث العراق قبل ظهور المهدي ﷺ

تبدو منطقة العراق مركزاً رئيسياً للأزمات ما قبل ظهور المهدي ﷺ ، وهي شديدة الإتصال بمجموع أحداث لها بُعد عالمي يدفع الروم والترك إليها ، كما تساهم الروم في التأسيس للسفياني للخروج بهذه المنطقة ، ليلعب دور الوكيل السياسي ، لكنّه ينقلب على الروم حين يجد من نفسه القوّة فيعلن نفسه قوّةً إقليميّة فاعلة . وفي النصوص تأكيد على صراع عنيف وحرب ضارية تقع بسبب مالٍ ينكشف عنه الفرات ، أي منطقة الفرات . وانّه لا تقوم الساعة حتى يتقاتل أهل الشرق والغرب على كنزٍ ينكشف عنه الفرات . إشارة إلى ثروة تتنافس عليها القوى .

ثم النصوص لا تعطي العراق حدّاً جغرافيّاً . فقط تسمّيه العراق . وهناك ما يسمّى منطقة الكوفة والبصرة . وهناك ما يشير إلى بغداد .. لكن هل العراق يكون واحداً آنذاك أم متعدّداً ؟ استفدت من بعض النصوص وكأنّ العراق آنذاك يكون إمّا دولة واحدة بنظام فيدرالي ومناطق حكم ذاتي أو لامركزي ، أو دُول مجزّأة . نعم لا يمكنني أن استبعد وجود دولة واحدة زمن الظهور . لكنّ لحن بعض النصوص يستفاد منه نوع من استقلال الوحدات ولو على نحوٍ من حكم ذاتي . في حين بعض النصوص تتحدّث عن العراق ككُلٍّ .

وبهذا تكون أحداثُ العراق جزءاً رئيسيّاً يختلط فيه معنى التدويل قبيل ظهور القائم ﷺ . وفي رواية منذر الجوزي عن أبي عبد الله ﷺ قال : سمعته يقول : [يُزجَرُ النّاسُ قبل قيامِ القائم ﷺ عن معاصيهم بنارٍ تظهرُ في السماء ، وحمرةٍ تجلّلُ السماءَ ، وخسفٍ ببغداد ، وخسفٍ ببلدة البصرة ، ودماءٍ تُسفَكُ بها ، وخراب دُورِها ، وفناءٍ يقعُ في أهلها ، وشمول أهل العراق خوفٌ لا يكون لهم معه قرار][1] .

النص يؤكّد طابعاً واسعاً للفتن والملاحم التي تقع في هذه المنطقة ، وقد تحدّثنا عن جانبٍ منه فيما سبق . مثل النار التي تحدث في المشرق . في حين النص يشير هنا إلى خسفٍ يحدث في بغداد والبصرة . وفتن وأهوال مخيفة يكون من شمولها واستطالتها أنّها تُدخِلُ الذعر على أهل العراق فلا يكون لهم معها قرار ! فهل الأحداثُ نتيجة فعل طبيعي أم بشري مثل الحروب والملاحم ؟ يبدو انّ النص مفتوح على العنصرين : عنصر الغضب الطبيعي وعنصر الفتن والحروب البشريّة .

إلا انّ بعض النصوص تركّز على البلاء الذي ينزل على رؤوس الشيعة جرّاء فعل السفياني الذي يضع الشيعة كهدفٍ لمرماهُ ونيرانه – وقبل ذلك الخليفة العباسي – ففي رواية عمر بن أبان الكلبي عن أبي عبد الله ﷺ قال : [كأنّي بالسفياني – أو بصاحب السفياني – قد طرَحَ رحله في رحبتكم بالكوفة ، فنادى منادِيه : مَن جاء برأسِ شيعة عليٍّ فله ألف درهم ، فيَثِبُ الجارُ على جاره ويقول : هذا منهم . فيُضرَبُ عُنُقُه ، ويأخذ ألف درهم . – ثم قال ﷺ – : أما إنّ إمارتكُم يومئذٍ لا تكونُ إلا لأولادِ البغايا .

---

[1] الارشاد : ص ٣٦١ –

وكأنّي أنظر إلى صاحب البرقع ، قلت : ومَن صاحبُ البرقع ؟ فقال ﷺ : رجلٌ منكم يقول بقولكم ، يلبسُ البرقع فيحوشكم فيعرفكم ، ولا تعرفونَهُ ، فيقمز بكم رجلاً رجلاً ، أما إنه لا يكون إلا ابن بغي [1] .

وقد تعدّدت الروايات التي تشيرُ إلى قتلٍ وبلاءٍ عظيمٍ يُصيبُ الشيعة في ناحية العراق على يد السفياني . وانّ رجلاً يتسترُ ببيتهم وهو يعرف رموزهم وعلماءهم وأهل الفضل والجهاد وباقي الشيعة يتّخذ دوراً جاسوسياً مقنّعاً فيدل عليهم حتى يُساقوا إلى القتل والذبح وشبه ذلك . وانّ السفياني يغدق الأموال في مشروعه الإغنائي للشيعة الذين يقتل منهم الكثيرَ على الإسم والنسبة والتهمة والظنّة .

وفي رواية الحسين بن المختار عن أبي عبد الله ﷺ قال كما ورد في النعماني بتفاوت يسير ، وفيه : [. . ملك القوم ، وعند زواله خروجُ القائم ﷺ][2] . أي انّ ذلك يحصل قرب موعد ظهور المهدي ﷺ ..

وفي طائفة أخرى تأكيد على أنّ دولةً ما ، تكون آخر الزمن لقومٍ يرجعون في النَّسب إلى العباسيين ، يسيطرون على مقاليد الحكم في العراق ، فيسومون الشيعة بلاءً وظلماً وقتلاً وتنكيلاً بشكلٍ متصاعد . لكن نموذج القوّة أين ..؟ وضمن أي حدود ..! هذا الأمر فيه كلام أو بعض الكلام بسبب طائفة يُستفاد منها وجود قوي للشيعة ، ونفوذ متعاظم لهم في العراق أو ضمن هيكل محدّد . لكنّهم مع ذلك يتعرّضون لظلم الجبابرة والتنكيل بهم ..

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . ؛ غيبة الطوسي : ص ٢٧٣ .

[2] وليس فيه [. . من مؤخره . . أما إن هدمه لا يبنيه] .

وعليه : يُنكَّل بالشيعة من الفريقين : السفيانيين والعباسيين ، وانّ دولة العباسيين تُحتَلُّ من قبل جيش السفياني الذي يدخل مناطق الشيعة فيعلن سياسة القتل والتنكيل والذبح والإفناء لهم . وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : [لا يذهب مُلكُ هؤلاء حتى يستعرضوا النّاسَ بالكوفة في يوم الجمعة ، لَكَأنّي أنظرُ إلى رؤوسٍ تندر فيما بين باب الفيل وأصحاب الصابون][1] . إشارة إلى البطش والتجبُّر الهائل .

وفي رواية أبي بصير الثانية عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إنّ لِوُلْدِ فلان عند مسجدكم – يعني مسجد الكوفة – لَوقعة في يوم عروبة ، يقتل فيها أربعة آلاف من باب الفيل إلى أصحاب الصابون ، فإيّاكم وهذا الطريق فاجتنبوه ، وأحسنهم حالاً مَن أخذ في درب الانصار][2] . أي ينتقل مشروع القتل والتصفية الجسديّة إلى العلن ، قرب المساجد والأزقّة والشوارع ..!

قال : وروي عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ أنه سُئِل عن ظهور قائم أهل البيت ﷺ ؟ فتنهّد وبكى ثم قال : [يا لَها من طامّة إذا حكمت في الدولة الخصيانُ والنسوانُ والسودانُ ، وأحدث الامارة الشبّان والصبيان ، وخرب جامع الكوفة من العمران ، وانعقد الجسران ، فذلك الوقت زوالُ مُلكِ بني العباس ، وظهور قائمنا أهل البيت ﷺ][3] . وكما أشرت : فإنّ احتلال دولة العباسيين الثانية – جزئيّاً – يكون على يد السفياني الذي يتابع ما بدأه العباسيُّون من التنكيل بالشيعة طيلة نفوذه هناك . لكنّ القضاء النهائي على دولة بني العباس العراقيّة يكون على يدِ أهل خراسان .

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : الارشاد : صـ ٣٦٠

[2] الارشاد : صـ ٣٦٠ –

[3] ملاحم ابن طاووس : صـ ١٩٨ –

سنة ظهور المهدي عليه السلام

.. في سنة ظهور المهدي عليه السلام تقع أحداثٌ مختلفة متسارعة لافتة جداً أشرنا إلى العديد منها فيما سبق . وهنا أشير إلى أمورٍ أخرى لها صلة بموضوعنا . فمن حيث أصل خروج المهدي عليه السلام أشارت مجموع نصوص أنّ المهدي عليه السلام يخرج في وترٍ من السنين . منها ما رواه أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [لا يخرج القائم عليه السلام إلا في وترٍ من السنين ، سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع][1] . أي أنّه يخرج في وقتٍ فردي من الزمن .

وانّ من علامات ظهورهِ عليه السلام وقوع حادث لافت جداً ، وهو موت خليفة أو ملك أو رئيس يكون على رأس دولة ، يكون على أثر موتهِ فرج ، وهو يعني بذلك قرب الظهور . ففي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [بينا الناسُ وقُوفٌ بعرفات إذ أتاهم راكبٌ على ناقةٍ ذعلبة يُخبرهم بموتِ خليفةٍ يكون عند موته فرجُ آلِ محمّد صلى الله عليه وآله وفرجُ الناسِ

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : البصائر : على ما في الصراط المستقيم . * : الارشاد : ص ٣٦١ – عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [لا يخرج القائم إلا في وتر من السنين ، تسع وثلاث وخمس وإحدى] [لا يقوم المهدي إلا على وتر من السنين] وقال [ومن كتاب البصائر : لا يقوم القائم إلا على وتر من السنين . ونحوه في كتاب النعماني أيضاً وفي إرشاد المفيد أيضاً .

جميعاً . وقال ﷺ : إذا رأيتم علامةً في السماء : ناراً عظيمةً من قِبَل المشرق تطلعُ ليالي ، فعندها فرجُ النَّاسِ وهي قدّام القائم ﷺ بقليل][1] .

ويبدو أنَّ هناك تقارباً بين موت خليفة وظهور النار في المشرق ، الحجاز ..! مع ما يعنيه ظهور النار من بلاءٍ وفتن ..! وقد اختلف الشُراح في هذا الملك أو الرئيس مَن هو ..؟ هل عباسي عراقي ..؟ أم قرشي حجازي ..؟ هناك نصوص صريحة في عبد الله العباسي العراقي ، في حين هناك طائفة تشيرُ إلى أزمةٍ دمويّة تقع في الحجاز وانقسام واقتتال في الحجاز وأزمة تحيل الدولة الحجازيّة إلى دولة هشّة ضعيفة وسط انقسام كبير ، لا يُستبعد فيها موتُ حاكم أو سلطان وخلاف على المُلك ، أو هي ناظرة إلى انقسام أهلي سياسي .. كلا المعنيين ممكن ولحن الروايات يؤكّده .

أيضاً من العلامات أمور لها صلة بالمفهوم الطبيعي مثل الزلزال والأمراض وغير ذلك . ومنها أيضاً هطول الأمطار بشكلٍ غزيرٍ جداً وبشكلٍ غير معهود ، ما يهلك معه الثمار والتمر ، إشارة إلى الزراعة وتوابعها . في رواية أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إنَّ قدّام القائم ﷺ لسنة غيداقة (سنة كثيرة المطر) ، يفسد فيها الثمار والتمر في النخل ، فلا تشكُّوا في ذلك][2] . وهذا يكون شاملاً للعراق أيضاً كجُزء من بُقرة الصراع المتعاظم . بل هناك ما يشيرُ إلى وضع العراق المائي بعينه من النصوص ،

---

[1] النعماني : ص٢٦٧ ب ١٤ ح ٣٧ -

[2] الفضل بن شاذان : - على ما في غيبة الطوسي . * : الارشاد : ص ٢٦١ - عن الارشاد ، وقال (الغدق بالتحريك الماء الكثير القطر ، وغدقت الارض ابتلت ، فالمراد من قوله عليه السلام (سنة غيداقة كثيرة المطر ، ومن كثرته تفسد الثمار والتمر في النخل ، فالمطر ربما يكون نقمة وربما يكون رحمة - قوله عليه السلام : فلا تشكوا في ذلك أي : في خروجه عليه السلام بعد ذلك) .

ففي رواية جعفر بن سعد عن أبيه عن أبي عبد الله ﷺ قال : [سنة الفتح ينبثق الفراتُ حتى يدخل في أزقة الكوفة][1] . أي تهطل السماءُ مطرها بكثافة حتى يفيض الفرات ، ويخرب الزرع ، وتبدو كارثة طبيعيّة من نوع استثنائي .

م من تلك العلامات الكونيّة ما يشيرُ إلى تدخُّل إعجازي . ففي رواية داود بن سرحان عن أبي عبد الله ﷺ قال : [العام الذي فيه الصيحة ، قبله الآية في رجب ، قلت : وما هي ؟ قال ﷺ : وجهٌ يطلع في القمر ، ويدٌ بارزة][2] .

أي في السنة التي يخرج فيها المهدي على أثر الصيحة التي يطلقها جبرائيل ﷺ في السماء تظهر آية في رجب وهي عبارة عن وجهٍ يطلع في القمر ويد بارزة . أمّا عن طبيعة هذا الوجه واليد : كيف ، وبأيّ هيئة ، وضمن أي مقاييس ، وبأيّ وصفٍ ..؟ النص لا يشيرُ إلى ذلك . بل يشيرُ إلى أصل النموذج الذي يظهر . ويبدو انّه مظهر إعجازي غير عادي يشيرُ إلى تحوُّل كوني يطال البشر ، تكشف عنه الصيحة في شهر رمضان بإعلان ظهور المهدي ﷺ . ثم هناك مَن يخرج ويدّعي رؤية المهدي ﷺ قبل ظهوره العام ، تمهيداً للظهور الشريف . ففي رواية عبد الكريم بن عمرو الخثعمي عن رجلٍ عن أبي عبد الله ﷺ قال : [لا يقوم القائم ﷺ حتى يقوم اثنا عشر رجلاً كلُّهم يُجمعُ على قولٍ : أنهم قد رأوهُ فيكذبونهم][3] .

---

[1] الارشاد : صـ ٣٦١ –

[2] النعماني : صـ ٢٥٢ ب ١٤ ح ١٠ –

[3] النعماني : صـ ٢٧٧ ب ١٤ ح ٥٨ –

ويبدو انَّ هذا يحدث في سنة ظهور المهدي ﷺ ، ويمكن أن يكون هؤلاء الاثنا عشر سفراء خاصّين في الشهور الستة قبل ظهوره ﷺ كما يفهم من روايات أخرى مثل رواية الإمام علي ﷺ : [يظهرُ في شُبهةٍ ليَستَبينَ أمرُهُ][1] ..

كلُّ ذلك بالإضافة إلى أحداث القتل والعنف والملاحم والفتن والموت الأحمر والموت الأبيض واجتياح السيف والأمراض لبقاعٍ واسعةٍ متنوّعةٍ من الأرض .

---

[1] النعماني : حـ ٢٧٧ ب ١٤ حـ ٥٨ –

حركة ظهور المهدي ﷺ

تعرُض النصوصُ بين أيدينا نماذج من حركة الإمام المهدي ﷺ ، إلا انّها جاءت على شكل صُوَر مختصرة تشير إلى العناوين ببعض التفاصيل المُلازِمة لعرض المشهد . أمّا خريطة الحركة السياسيّة الدبلوماسيّة وظروف تشكيل الجيش وتعقيدات الجبهات وعمق القرارات ودواعيها ومجموع المعترك العام في خوض الحروب وتداعيات الشعوب والتحام الأمم السياسيّة في بحرٍ من الحروب كلُّ هذه تبقى ضمن مشهد الواقع المستقبلي الذي لا بدَّ أن يتحقَّق لكنّه غير واضح تفصيلاً في الروايات لضوابط القانون والبشارة المستقبليّة .

المهم انَّ النصوص تضع بين أيدينا مشاهد جزئيّة من هنا وهناك حول الحركة السياسيّة العسكريّة والصدام الأمني والتطوُّرات الضخمة والنتائج التي تطرأ على واقع التجربة البشريّة . أهم تلك التطوُّرات على الإطلاق ظهور المهدي الذي يبدأ مرحلة بناء العالم الجديد . واللافت في النصوص انّها تتّفق على انَّ أمر المهدي يتم في وقت قصير جداً . وانَّ الله تعالى يُصلِحُ أمرهُ في ليلة ، فيخرج وقد تهيّأت له الأسباب . ويكفي أنَّ المهدي ﷺ منصور بالرعب . والملائكةُ بين يديه . ورحمةُ الله تُظلّله . وفي المرسل عن الصادق ﷺ قال : [.. كُن لِمَا لا ترجو أرجى منك لما ترجو ،

فإنّ موسى بن عمران ﷺ خرج ليقتبس لأهله ناراً فرجع إليهم وهو رسولٌ نبي . فأصلح اللهُ تبارك وتعالى أمرَ عبده ونبيِّه موسى ﷺ في ليلة . وهكذا يفعل الله تبارك وتعالى بالقائم الثاني عشر من الائمة ﷺ ، يُصلِحُ له أمرَهُ في ليلةٍ كما أصلح أمر نبيِّه موسى ﷺ ويخرجه من الحيرة والغيبة إلى نورِ الفرج والظهور][1] .

بتعبيرٍ آخر : يخرجُ المهدي ﷺ في وقتٍ تتعاظمُ فيه الشكوى من الوهن الذي يضربُ ركن التجربة البشريّة ، في زمنٍ تتكاثرُ فيه فتن الإفتراس والعنف والتشفّي والقتل والموت ، في زمن تتحوّل فيه هويّة الإنسان إلى سوقيّة الغريزة وأنماط البيع والشراء دون أي قيمة للجانب التكويني بعد أن نسفت البنية التشريعيّة المجحفة أي ضمانة للإنسان .

فإذا حان زمن الظهور أصلح اللهُ أمره في ساعة أو ليلة وهذا ما تؤكّدهُ النصوص الكثيرة المعتبرة . وتكون الصيحة من جبرائيل ﷺ بإسم المهدي علامةً ضخمة ذات مدلول وجودي وبرهان سماويّ وعظمة هائلة على بداية المصير الجديد للعالم البشري . ففي رواية أبي بصير قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [يُنادَى باسم القائم ﷺ في ليلة ثلاث وعشرين ، ويقوم في يوم عاشوراء ، وهو اليوم الذي قُتِلَ فيه الحسينُ بن علي ﷺ . لكأنّي به في يوم السبت العاشر من المحرم[2] ، قائماً بين الركن والمقام ، جبرئيل ﷺ

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ١٥١ - ١٥٢ ب ٦ -

[2] وردت بعض النصوص وهي غير تامة سنداً تشير إلى انّ يوم ظهور المبارك يكون في يوم النوروز . وفي الحقيقة هناك طائفتان من النصوص في موضوع قيمة النوروز منها ما تشيرُ إلى قيمته ومنها ما تنفيه . مع التأكيد على انّ ما ورد في خصوص خروجه ﷺ في يوم النوروز غير تام السند . منها : قال المعلى بن خنيس عن الصادق ﷺ : إن يوم النوروز ، هو اليوم الذي أخذ فيه النبي ﷺ لامير المؤمنين ﷺ العهد بغدير خم . . .وفي حديث عن يوم النوروز جاء فيه : [. . وهو اليوم الذي يظهر فيه

عن يمينه ينادي : البيعةَ لله ، فتصير إليه شيعتُهُ مِن أطراف الارض تُطوى لهم طيّاً حتى يبايعوه . فيملأ اللهُ به الارض عدلاً كما مُلئَت جوراً وظلماً][1] .

وعليه : مركزُ الظهورِ العام للمهدي ﷺ يكون في مكّة قرب الركن والمقام على أثر أحداث ضخمة وانقسام هائل في الحجاز وفتن وملاحم تتعاظم بشكل غريب في المنطقة التي ندعوها اليوم منطقة الشرق الأوسط خاصة منطقة العراق سوريا تركيا وتوابعها ونواحي البلاد الأخرى وصولاً إلى الحجاز وخراسان وغيرها . فضلاً عن التحوّلات الضخمة في هويّة القيم ونوعيّة الثقافة ودواعي العرف العام وأنماط الحريّة التي تتحوّل إلى جنونٍ قاتلٍ وهشاشةٍ تتكسّر على أثرها ضمانات الوجود السليم . بحيث يصبح الإنسان أقرب إلى الكائن الغريزي من غيره .

ففي رواية محمد بن مسلم قال : سأل رجلٌ أبا عبد الله ﷺ : متى يظهر قائمكم ؟ فقال ﷺ : [إذا كثرت الغوايةُ وقلّت الهداية ، وكثر الجورُ والفسادُ وقلَّ الصلاحُ والسداد ، واكتفى الرجالُ بالرجالِ والنساءُ بالنساء ، ومالَ الفقهاءُ إلى الدنيا ، وأكثرَ الناسُ إلى الاشعارِ والشعراء ، ومُسِخَ قومٌ مِن أهل البِدَع حتى يصيروا قردةً وخنازير ، وقُتِلَ السفياني ، ثم خرجَ الدجّالُ وبالَغَ في الإغواء والاضلال ، فعند ذلك يُنادى باسم القائم ﷺ في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان ، ويقوم في يوم عاشوراء ، فكأني

قائمنا أهل البيت وولاة الامر ، ويظفره الله تعالى بالدجال فيصلبه على كناسة الكوفة ، وما من يوم تورون إلا ونحن نتوقع فيه الفرج ، لانه من أيامنا ، حفظه الفرس وضيعتموه] . المهذب البارع : ج ١ صـ ١٩٤ – ١٩٥ .

[1] الفضل بن شاذان . على ما في غيبة الطوسي . الارشاد : صـ ٣٦١ – ٣٦٢ - عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : يقوم القائم يوم عاشوراء) .

أنظر إليه قائماً بين الركن والمقام ، وينادي جبرئيل بين يديه : البيعة لله ، فتقبل إليه شيعته][1] . وفي لفظ آخر قال ﷺ : [. . فتقبل شيعته إليه من أطراف الارض تُطوَى لهم طيّاً حتى يبايعوا ، ثم يسير إلى الكوفة فينزل على نجفها ، ثم يفرّق الجنود منها إلى الامصار لدفع عمال الدجال ، فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . قال فقلت له : يابن رسول الله ، فداك أبي وأمي ، أيعلم أحد من أهل مكة من أين يجيئ قائمكم إليها ؟ قال : لا . ثم قال لا يظهر إلا بغتة بين الركن والمقام][2] .

أقول : هذا الحديث ينفرد بأنّ الدجّال يكون قبل ظهور المهدي ﷺ ، وأنه يكون مسيطراً على مناطق من العالم . وهذا بخلاف النصوص الكثيرة المعتبرة التي تُؤكّد أنّ المهدي ﷺ يخرج قبل الدجال . فلا بدّ أنّ الخطأ من الراوي . كما ينفرد أيضاً بالإشارة إلى انّ قتل السفياني يكون قبل ظهور المهدي ﷺ . بينما الاحاديث الكثيرة المعتبرة تؤكّد أنّ السفياني يخرج ويكون علامةً على ظهور المهدي ﷺ . ويبطش السفياني طيلة ١٥ شهراً . ثم يقتله المهديُّ ﷺ في معركةٍ ضارية تجري بين جيش المهدي وجيش السفياني قرب طبرية . لذلك نجد في بعض فقرات هذا الحديث خللاً واضحاً يعود إلى اضطراب الراوي فلا بدّ من ملاحظتها . نعم ما أشار إليه من اللواط والسفاح والإنحراف والتوحُّش الذي يصيب البشر صحيح بدلالة النصوص الكثيرة التي تؤكّد هذه الفقرات . وهناك ما يشيرُ إلى بعض رَوايا مهمّة من لحظات الخروج ، وهي مقطوعات تأكيديّة لبعضٍ من المشهد العام

---

[1] كتاب إثبات الرجعة ، الفضل بن شاذان : على ما في إثبات الهداة . * : مختصر إثبات الرجعة : صـ ٢١٧ حـ ٢٠ –

[2] أربعون الخاتون آبادي : صـ ١٨٧ حـ ٣٢ – كما في مختصر إثبات الرجعة بتفاوت يسير ، وفيه : ..

للظهور . فقد روى المفضل بن عمر الجعفي قال سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد ﷺ يقول : [إذا أذنَ اللهُ تعالى للقائم ﷺ في الخروج ، صعد المنبر فدعَى النّاسَ إلى نفسه وناشدهم بالله ودعاهم إلى حقّه ، وأن يسير فيهم بسنّةِ رسول الله ﷺ ويعمل فيهم بعمله ، فيبعث اللهُ جلَّ جلاله جبرئيل ﷺ حتى يأتيه فينزل على الحطيم يقول : إلى أيِّ شيئ تدعو ؟ فيخبره القائم ﷺ فيقول جبرئيل : أنا أوّل مَن يبايعك ، أبسط يدك فيمسح على يده ، وقد وافاهُ ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً ، فيبايعونه ويقيم بمكة حتى يتم أصحابه عشرة آلاف نفس ، ثم يسير منها إلى المدينة][1] .

في هذا النص تأكيد على ناحيةٍ من مزايا الظهور العظيم وانّ جبرائيل ﷺ أوّل مَن يشهد له ويكون بين يديه . وانّ صلاح أمر المهدي ﷺ يكون في ليلة بإذن الله تعالى ، وأنّ شيعته ﷺ يُسرعون في المسير إليه ، منهم مَن تُطوى به الأرض ، أي يقطعون المسافة بسرعة كبيرة ، وهي إشارة ضمنيّة إلى أداةٍ بريّة سريعة . ومنهم مَن يُحمَل فوق الغيم ، أي يطير بأداةٍ جويّة . حتى يتزلون مكّة ويُعلنُون الطاعة والبيعةَ للمهدي ﷺ كما يحملون بيعةَ مَن وراءهم له ﷺ . واعلم انّ انتصارَ المهديّ ﷺ حتمٌ لا بدّ منه ، فإذا ظهر أطاعتهُ التواميس ، وهذا معنى من

---

[1] كتاب الغيبة ، الفضل بن شاذان : على ما في كشف النوري . * : الارشاد : صـ ٣٦٢ - ٣٦٤ - إعلام الورى : صـ ٤٢١ بـ ٤ ف ٣ - كما في الارشاد بتفاوت ، مرسلا عن المفضل ، وفيه [. . بالخروج . . فدعا الناس إلى الله عزوجل وخوفهم بالله . . على أن يسير فيهم بسيرة . . حتى يأتيه ويسأله ويقول له . . فأنا أول من يبايع ، ثم يقول له : مد كفك فيمسح على يديه . . فيقيم بهم بمكة . . أنفس ثم يسير إلى المدينة] . عن الارشاد بتفاوت . وفيه [. . ودعا إلى نفسه ، وناشد الناس بحق ربه ، وسار فيهم بسيرة رسوله ، فبايعه جبرئيل وثلاثمائة وبضعة عشر من أنصاره فيقيم بمكة حتى تتم أصحابه عشرة آلاف ، فيسير فيه إلى المدينة] .

معاني الولاية التكوينيّة التي أعطاها اللهُ عزّ وجلّ للأنبياء والأوصياء . وفي رواية محمد بن حمران قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : [إنّ القائم منّا منصورٌ بالرعب ، مُؤيّدٌ بالنصر ، تُطوى له الارض ، وتظهر له الكنوزُ كلها ، ويُظهِرُ اللهُ تعالى به دينَهُ على الدِّين كلّه ولو كره المشركون . ويبلغ سلطانُهُ المشرقَ والمغربَ ، ولا يبقى في الارض خرابٌ إلا عُمِّر ، وينزل روحُ اللهِ عيسى بن مريم عليه السلام فيُصلّي خلفه .

قال ابن حمران : قيل له يا ابن رسول الله : متى يخرج قائمكم عليه السلام ؟ قال عليه السلام : إذا تشبّهَ الرجالُ بالنساء ، والنساءُ بالرجال ، واكتفى الرجالُ بالرجال والنساءُ بالنساء ، وركبت ذواتُ الفروجِ السروجَ ، وقُبِلَت شهادةُ الزُّورِ ، ورُدّت شهادةُ العدل ، واستخفَّ الناسُ بالدماءِ وارتكابِ الزنا وأكلِ الربا والرشا ، واستيلاء الاشرار على الابرار ، وخروج السفياني من الشام ، واليماني من اليمن ، وخسف بالبيداء ، وقتل غلام من آل محمّد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن ولقبه النَّفسُ الزكية ، وجاءت صيحةٌ من السماء بأنّ الحقّ مع عليٍّ وشيعته . فعند ذلك خروجُ قائمنا عليه السلام . فإذا خرجَ عليه السلام أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع عنده ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وأوّل ما ينطق به هذه الآية : ﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ، ثم يقول : أنا بقية الله وحجّتُهُ وخليفتُهُ عليكم . فلا يُسلِّم عليه مسلمٌ إلا قال : السلام عليك يا بقيّةَ الله في أرضه . فإذا اجتمع له العقد وهو أربعة آلاف رجل خرج من مكة ، فلا يبقى في الارض معبودٌ دون الله عزّوجلّ من صنم وغيره إلا وقعت فيه نارٌ فاحترق ، وذلك بعد غيبة طويلة][1] .

---

[1] الغيبة ، الفضل بن شاذان - على ما في مستدرك الوسائل ، وكشف الغوري : إثبات الرجعة ، الفضل بن شاذان - على ما في إثبات الهداة . * : مختصر إثبات الرجعة : ص٢١٦ – ٢١٧ ح١٨ -

وبضميمة النصوص : يخرجُ المهدي ﷺ بعد الخسف الذي يطال جيش السفياني في البيداء والذي يكون قاصداً مكة لتدميرها وقتل المهدي ﷺ بعد أن سمع السفياني بظهوره . وانَّ المهدي ﷺ منصورٌ بالرعب ، مُؤيَّدٌ بالنصر ، تُطوَى له الارض ، وتظهر له الكنوزُ كلّها ، ويُظهِرُ اللهُ تعالى به دينَهُ على الدِّين كلِّه . ويسيطر على مشرق الأرض ومغربها . فيعيد بناء الأرض على نحوٍ من عمارةٍ وشروط سعادة واستقرار . كما يُعيد بناء الإنسان ومواثيقه ومجتمعه المدني على نحوٍ متّصلٍ بمفهوم قيمومة الشريعة وسلطان كتاب الله وسنّة الرسول والأئمّة المعصومين ﷺ .

أمّا عن « بيئة القيم » ساعة الظهور العظيم ؟ فهي على نحوٍ شديد الإنحراف وعميق التجذُّر في باطله وآثامه على أيدي جبابرة مشركين ، ملحدين ، منحرفين ، طغاة مستبدين ، من لواطٍ وسحاقٍ وتجارة بالدِّين والدنيا وسخرية من الذين آمنوا ، وإبطال لكتاب الله وعزل ، ومحاصرة الشريعة ، وامتهان للقيم الحسنة ، وانتصار للغريزة العمياء والفحش والحرام ، وتفاخر بالعدوان والإنتقام ، وتظاهر بالعصبيّة والآثام ، ونسف ضخم لضوابط الحق وضمانات الحقيقة في القضاء ، وانهيار كبير في أمن الإنسان على نفسه ، في زمنٍ يصبح فيه قتلُ الناس أو موته ولأسبابٍ بشريّةٍ فاحشةٍ كشربة الماء لا تُلفت نظرَ أحدٍ ، فلا منكر أو متوعِّد .!

وانَّ المهدي ﷺ أوّل أمره قبل أن يظهر قرب المقام يخرج خائفاً يترقَّب ، في ظلِّ فتن هائلة وانقاسات جبّارة وحروب أهليّة وعداءات أمميّة ، وملاحم قريبة وبعيدة . وفي رواية سماعة عن أبي عبد الله ﷺ قال : [كأني بالقائم بين ذي طوى قائماً على رمسه خائفاً يترقَّب على سُنَّة موسى ﷺ

حتى يأتي المقام فيدعو[1] . وأنّ موعد الظهور عند المقام ، وانّ موعد أنصار المهدي ﷺ هناك ، وانّه يخطب في جهرٍ فيراهُ النّاس في المشرق والمغرب ، ويسمعون صوتَه ، ويتفاجؤون لطبيعة الظهور . في حين يكون الصوتُ قد سبقه من السماء .

وفي رواية بكير بن أعين قال : سألتُ أبا عبد الله ﷺ : لأيّ علّة وُضِعَ الحجرُ في الرُّكنِ الذي هو فيه ولم يُوضع في غيره .؟ ولأيّ علّة يقبل .؟ ولأيّ علّة أخرج من الجنة .؟ ولأيّ علّة وُضِع الميثاقُ والعهدُ فيه ولم يُوضع في غيره .؟ وكيف السبب في ذلك .؟ تخبرني جعلني الله فداك فإنّ تفكّري فيه لَعَجَب ، قال فقال : [سألتَ وأعضلتَ في المسألة واستقصيتَ فافهم الجواب وفرّغ قلبك وأصغِ سمعك أُخبِرْكَ إنْ شاء الله :

إنّ الله تبارك وتعالى وضع الحجر الاسود وهي جوهرةٌ أُخرجت من الجنة إلى آدم ﷺ فوضعت في ذلك الركن لعلة الميثاق ، وذلك أنه لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريّتَهُم حين أخذ اللهُ عليهم الميثاق في ذلك المكان ، وفي ذلك المكان ترائى لهم (أي ظهرت آياتُهُ) ، ومن ذلك المكان يهبط الطيرُ على القائم ﷺ ، فأوّل مَن يبايعه ذلك الطائر وهو والله جبرايل ﷺ ، وإلى ذلك المقام يسند القائمُ ظهره ، وهو الحجّة والدليل على القائم ، وهو الشاهد لمن وافاهُ في ذلك المكان ، والشاهد على مَن أدّى إليه الميثاق والعهد الذي أخذ اللهُ عزوجل على العباد]. أي أنّ هذه المنطقة من العالم وهذا الموقع بالذات هو من مواقع الميثاق لما يعنيه على طول البعثات وكفالات الوجود ومنشأ الشهادة الأولى من جهة الرحمة الميثاقيّة

---

[1] الغيبة للسيد علي بن عبد الحميد : على ما في البحار : ٥٢ : منتخب الانوار المضيئة : ص ١٨٩ – ١٩٠ ف ١٢

[2] الكافي : ج ٤ ص ١٨٤ – ١٨٥ ح ٢ –

وعناوينها المتتابعة . وأنّ المهدي ﷺ الذي قرن اللهُ به أهم مرحلة في الحقبة الأخيرة ما قبل نهاية التاريخ يخرج في هذا الموضع ، فيعلن مشروع الوجوديّة الجديد منه ، ويصرخ بالأمم أن تعود إلى دين الفطرة وقيم الكون وكتاب السماء . لكنّ غالب الأمم في وادٍ آخر ، تعيشُ في أكناف المفهوم التحوُّلي الذي يشكّل البُنى المتجذّرة المُستلهَمة في قوانينها وأعرافها وتقاليدها ومفاصل مجتمعاتها وأسس مبانيها التعامليّة في السوق والنقد والمال والإجتماع والسياسة في عالمي السلم والحرب .

وبتعبيرٍ آخر : يكون العالَمُ غارقاً في حضارة العراة وربوبيّة الغريزة وتوحُّش الأنا التي يُعبَّر عنها بنظريّة التدمير الأخلاقي والكوني .

ومع ظهور العلامات والآيات البالغة يبقى القوم على نحوٍ من تذمُّرٍ غريب .! وعنادٍ مدهش .! يُصرُّون على القيم ذات المفهوم المُدمَّر لضمانات الإنسان الكوني وشفاعاته الوجوديّة . حتى انّ القوم يذبحون النفس الزكيّة بعد ان يروا الآيات البالغة المُعجِزة ، ومع ذلك لا يقيمون لما يفعلون وزناً .! فإذا قُتِلت النَّفسُ الزكيّة غضب مَن في الأرض ومَن في السماء . وعلى أثرها يكون ظهور القائم المهدي ﷺ .

ففي رواية صالح مولى بني العذراء قال : سمعتُ أبا عبد الله الصادق ﷺ يقول : [ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمس عشرة ليلة][1] . فيكون ذبحُ النفس الزكيّة - التي لها شأنٌ عظيم في

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : كمال الدين : ج ٢ ص ٦٤٩ ب ٥٧ ح ٢ - كما في كمال الدين . وفيه (. . بين قيام القائم عليه السلام . . أكثر من خمس عشرة ليلة) . عن شعيب الحداد ، عن صالح (قال) : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : - كما في الارشاد ، وفيه (. . إلا خمس عشرة) .

الأرض والسماء – مفصلاً رئيسياً في زمن القرب من ظهور مولانا المهدي عليه السلام .

وفي طائفة من النصوص انّ يوم ظهور المهدي عليه السلام يوم الجمعة ، وفي طائفة أخرى : يوم السبت . على انّ الطائفتين تتّفق انّ يوم ظهوره يكون يوم مقتل الحسين عليه السلام من عاشوراء . ففي رواية محمد بن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام : [.. السبتُ لنا ، والاحدُ لشيعتنا ، والاثنين لأعدائنا ، والثلاثاء لبني أمية ، والاربعاء يوم شرب الدواء ، والخميس تُقضَى فيه الحوائج ، والجمعة للتنظُّف والتطيُّب ، وهو عيد المسلمين وهو أفضل من الفطر والاضحى . ويوم الغدير أفضل الأعياد ، وهو ثامن عشر من ذي الحجة وكان يوم الجمعة . ويخرج قائمنا أهل البيت يوم الجمعة ، وتقوم القيامة يوم الجمعة ، وما من عمل يوم الجمعة أفضل من الصلاة على محمد وآله (اللهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد ما دامت أنفاسي في جسدي إلى أبد الأبد)][1]

مع التأكيد على انّ للمهدي عليه السلام ظهورين : ظهور خاص في بداية الأمر يدوم لأشهر . وظهور عام تبدأ معه التحوّلات الجديدة الهائلة التي ستتمّ حتماً إنْ شاء اللهُ تعالى[2] .

---

[1] الخصال : ج ٢ ص ٢٩٤ ب ٧ ح ١٠١ .

[2] أقول : بخصوص غيبة الإمام المهدي عليه السلام لا تحديد على الإطلاق لمدّتها وما ورد من النصوص الغير تامّة السند يمكن حملها على المجاز أو شبهه ولا تصريح فيها بالمدّة . والنصوص الكثيرة جداً متّفقة على انّه كذب الموقّتون . لا يجوز توقيتُ ظهوره المبارك . كما انّ هناك نصوص تشير إلى اختلاف في مدّة حكمه عليه السلام ، لكن طائفة من النصوص تؤكّد انّ سنته غير سنتنا أو انّ معايير حساب السنة بالنسبة لمكوثه بعد ظهوره الشريف تكون مختلفة عن معاييرنا . من هنا يمكننا أن نجمع بين الطوائف التي اختلفت في تحديد المكث في الأرض بعد الظهور . ففي الرواية عن علي بن عمر بن علي بن الحسين عليهما

ثم تشير طائفة من النصوص إلى أنّ ظهور المهدي ﷺ يكون بعد ظرفٍ تتمخّض فيه التجربة البشريّة عن أسوأ مراحلها في انحراف القيم والأعراف والمفاهيم القانونيّة والمشاريع التقييميّة والدواعي والغايات . بل تتجسّد معه طموحات جماعاتٍ لا قيمة لهم ، سفهاء ، تافهون ، يحكمون فيُوردُون الناسَ في المهالك ، لا عقل لهم ، ولا ضوابط في تحسين أو تقبيح ، بل يكونون على نحوٍ بارزٍ من الإنحدار في التفريق بين الحسن

السلام ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ أنه قال : [يملك القائم ﷺ تسع عشرة سنة وأشهرا] [النعماني : ص ٣٣١ ب ٢٦ ح ١] – وفي رواية عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله ﷺ قال : [القائم من ولدي ، اسمه اسم عمر الخليل .. ثم يغيب غيبة في الدهر ، ويظهر في صورة شاب موفق ابن اثنين وثلاثين سنة ، حتى ترجع عنه طائفة من الناس ، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا] النعماني : ص ١٨٩ ب ١٠ ح ٤٤ – وعن ابن عمر بن علي بن الحسين ، عن أبي عبد الله قال : القائم من ولدي يسمى عمر خليل الرحمن ، يقوم في الناس وهو ابن ثلاثين سنة ، ويلبث فيها أربعين سنة ، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما " . ثم بقية سنة النعماني ، وفيه " إن ولي الله عمر عمر إبراهيم الخليل عشرين ومائة سنة .. ويظهر في صورة فتى موفق ابن ثلاثين سنة " . وهناك ما يخالف مضامين الكمّي لكنّه يشير إلى مقاييس مختلفة في احتساب الزمن ، منها ما رواه عبد الكريم الخثعمي [الجعفري] قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : كم يملك الناس من القائم ﷺ قال : [سبع سنين ، تطول له الأيام حتى تكون السنة من سنيه مقدار عشرين سنة من سنيكم ، فيكون سنو ملكه سبعين سنة من سنيكم هذه . وإذا آن قيامه مطر الناس جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم ير الخلائق مثله ، فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم ، فكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب] [الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي] . وفي الارشاد : ص ٣٦٣ – عبد الكريم بن عمرو الخثعمي [قال] : قلت لأبي عبد الله ﷺ : كم يملك القائم ؟ قال : سبع سنين يكون سبعين سنة من سنيكم هذه] . ما يعني أنّ نصوص تحديد الزمن مختلفة قياساً إلى المعايير . وهذا يؤكّد أنّ بعض النصوص تعمّدت ذلك . لكنّ ضعف مجموعة من الأسانيد يسمح لنا بالتأكيد أنّ نعلن أنّ عمر المهدي ﷺ بعد الغيبة طويل لما ثبت بالنصوص القائمة أنه يقيم العدل في العالم ويحكم بالقسط ، ويقود دولة الله في الأرض ويأمن الناس في عهده ﷺ وتتمّ الحجّة ، وأنّ أمره يدوم . والأكيد أنّ عهد المهدي ﷺ بعد ظهوره الكريم يطول . هذا ما تثبته النصوص . ولا بدّ من التذكير بأنّ طوائف النصوص الواردة عن لسان أهل البيت والقائمة من حيث السند تجدها نظيفة جداً وشديدة التوازن فلا تشير إلى مدة الغيبة . كما تؤكّد أنّ عمر المهدي ﷺ مديد بعد الظهور . بل تؤكّد أنّ سنة الحساب الزمني بالنسبة إليه مختلفة عمّا في أيدينا الآن .

وغيره . ومن مظاهر ذلك الزمان أنَّ العرب تخلع أعنَّتها . فلا ضابط لها من عقلٍ أو دين أو نخوةٍ أو مروءةٍ أو أخلاق . ولا حائل دون انحدارها إلى التعرِّي والفجور والآثام والجور والمفاسد المختلفة ، فهي شريدةٌ أمام غريزتها . مُتفلِّتة من مواثيقها . ضائعة في بيداءها .

وفي رواية يعقوب السراج قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : متى فرجُ شيعتكم ؟ فقال عليه السلام : [إذا اختلف وُلْدُ العباس ووهَى سلطانُهُم ، وطمع فيهم مَن لم يكن يطمعُ فيهم ، وخلعَت العربُ أعنَّتَهَا ، ورفَعَ كلُّ ذي صيصيةٍ صيصيته ، وظهر الشامي ، وأقبل اليماني ، وتحرَّكَ الحسني ، وخرجَ صاحبُ هذا الأمر من المدينة إلى مكَّة بتراث رسولِ الله صلى الله عليه وآله .

فقلت : ما تراثُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : سيفُ رسولِ الله ودرعُهُ وعمامتُهُ وبردُهُ وقضيبُهُ ورايتُهُ ولامتُهُ وسرجه ، حتى ينزل مكَّة فيخرج السيف من غمده ويلبس الدرع وينشر الراية والبردة والعمامة ويتناول القضيب بيده ، ويستأذن اللهَ في ظهوره ، فيطلع على ذلك بعض مواليه ، فيأتي الحسني (صاحب النفس الزكيَّة) فيخبره الخبر ، فيبتدر الحسني إلى الخروج ، فيثب عليه أهلُ مكَّة فيقتلونه ويبعثون برأسه إلى الشامي (السفياني) ،

فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر عليه السلام ، فيبايعه الناسُ ويتبعونه . ويبعث الشامي عند ذلك جيشاً إلى المدينة فيُهلكُهُم اللهُ عزَّوجلَّ دونها ، ويهرب يومئذ من كان بالمدينة من وُلْدِ عليٍّ عليه السلام إلى مكَّة ، فيلحقون بصاحب هذا الأمر ، ويقبل صاحبُ هذا الامر نحو العراق ، ويبعث جيشاً إلى

المدينة فيأمن أهلها ويرجعون إليها][1] . في هذا النص تأكيد على صفة من إرث النبيّ ﷺ يكون مع المهديّ عليه السلام . النصوص العديدة تؤكّد هذا الأمر لما يعنيه من وارث ميثاقي ووصاية تامّة بين النبي والإمام فضلاً عن وظيفة لهذه الأدوات أشرنا إليها فيما سبق خاصّةً راية النبيّ ﷺ بما تعنيه من « راية نصر » مقرون بها على نحوٍ إعجازي .

كما فيه إشارة إلى خروج السفياني وذبح النفس الزكيّة إرضاءاً للشامي السفياني الذي يصر على توسيع رقعة نفوذه إلى الحجاز الضعيف المقسوم ويهدّد والي المدينة بضرورة النزول تحت رغبته وسلطانه ، ويأمره بقتل أتباع أهل البيت ، بل يبعث جيشاً لتحقيق هذه المهمّة .

وعلى أثر ذبح الحسيني يظهر المهدي عليه السلام ويكون ظهوره العام في مكّة . وفي رواية أبي الطفيل قال : قال لي عامر بن واثلة : [إنّ الذي تطلبون وترجون إنّما يخرج من مكة ، وما يخرج من مكة حتى يرى الذي يحب ، ولو صار أن يأكل الاغصان أغصان الشجر][2] . وأبو الطفيل هو عامر بن واثلة فيكون القائل – قال لي – سالم المكي .

وفي بعض النصوص تحديد لخروج المهدي عليه السلام عند العشاء ، منها ما روي عن الإمام الصادق انّهُ قال عليه السلام : [يظهر المهدي عليه السلام بمكّة عند العشاء ، معه راية رسول الله ﷺ وقميصه وسيفه وعلامات ونور وبيان ، فإذا صلّى العشاء خطب خطبة بأعلى صوته ..

---

[1] الكافي : ج ٨ صـ ٢٢٤ – ٢٢٥ ح ٢٨٥ - كما في الكافي بتفاوت يسير ، وفيه [.. ووهي سلطانهم .. حتى ينزل بأعلى مكة .. ويعتم بالعمامة .. فيبتدره .. ويبعث عند ذلك الشامي .. ويهرب من المدينة يومئذ من كان بالمدينة من ولد .. فيلحقون بصاحب الأمر].

[2] النعماني : صـ ١٧٩ ب ١١ ح ٢٥ –

ثم قال ﷺ : فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدد أهل بدر على غير ميعاد ، رهبان بالليل أسد بالنهار ، فيفتح اللهُ له أرض الحجر ، ويستخرج من كان في السجن من بني هاشم ، وتنزل الرايات السود بالكوفة ، فتبعث بالبيعة إلى المهديِّ ، ويبعث المهديُّ جنوده إلى الآفاق ، ويميت الجور وأهله ، وتستقيم له البلدان ، ويفتح الله على يديه القسطنطينية][1] .

هذا يعني أنَّ المهدي ﷺ يخرج من جهة الحجاز فيما الرايات السود تخرجُ من جهة خراسان . بينما اليماني يكون خارجاً من جهة اليمن ينادي بنصرة المهدي ﷺ . ويلاقي المهديُّ ﷺ ساعةَ خروجه جُحداً في الناس ، واعتراضاً عليه ، حتى انَّ فقهاء وأمراء يتأوَّلون الدِّين عليه ، كما تأوَّلوا الدِّين من قبل على السيد الخراساني الذي يقود دولةَ خراسان ويوطِّئ لظهورِ المهدي ﷺ ، لكنَّ التأويل على المهدي ﷺ يكون أكبر ، بهدف تضليل الناس وإنكار إقبالهم عليه . وهذا واحد من معاني الإنحراف الخطير الذي يُصيب الناس على أثر الصيحة التي يُنادي بها جبرائيل ﷺ بظهور المهدي ﷺ .

وفي رواية الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [إنَّ قائمنا ﷺ إذا قام استقبل من جهل الناس أشدَّ ممَّا استقبله رسولُ الله ﷺ من جُهَّال الجاهلية .

قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إنَّ رسولَ الله ﷺ أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة ، وإنَّ قائمنا ﷺ

---

[1] الفتاوى الحديثية : صـ ٣١ –

إذا قام أتى الناس وكلُّهم يتأوّلُ عليه كتابَ الله ، يحتجُّ عليه به .! ثم قال : أما والله لَيَدخُلَنَّ عليهم عدلُهُ جوفَ بيوتهم كما يدخل الحرُّ والقر [1] .

النص واضح في أنّ عدل المهديّ ونفوذَ أمره لا بدّ أن يقع ، وانّه عليه السلام منصورٌ بنصرة الله تعالى وانّ سلطانه سيعمُّ المشرقَ والمغرب . ويضرب خيشوم الظالمين والمشكّكين ويدحض زوبعة المُبطلين . وفي رواية أبان بن تغلب قال : سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول : [إذا ظهرت رايةُ الحق لعنها أهلُ المشرق وأهل المغرب . أتدري لِمَ ذاك ؟ قلتُ : لا . قال عليه السلام : للذي يلقى الناس من أهل بيته قبل خروجه][2] .

غريبٌ أن يصل الأمر إلى حد أنّ أهل المشرق والمغرب يتّفقون على الجحود بأمر المهدي عليه السلام ! فيسلّطون كلّ طاقاتهم الإعلاميّة لحرف الناس عن الصيحة التي يُنادي بها في السماء جبرائيلُ عليه السلام بإسم المهدي عليه السلام ! المدهش انّ قوماً من الفقهاء والأمراء الضالّين المُضلّين يتأوّلون الإسلام والمواثيق على المهدي عليه السلام ويدعون إلى حربه وقتاله ..!

ولا يقف الأمر على جماعاتٍ من الصفّ الآخر ، بل يتجاوزهم إلى بعض مَن يعرف هذا الأمر ، لكنّ قلبه على غيره ، حبّاً في السلطة وطمعاً بالإمتياز والمركز وشبه ذلك . ومثال بلعم بن باعورة ما زال يضربُ في أعواد التاريخ . كل ذلك رغم الآيات البيّنات المعجزات .! وفي رواية إبراهيم

---

[1] النعماني : ص ٢٩٦ – ٢٩٧ ب ١٧ ح ١ – عن محمد بن أبي حمزة ، عمن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول (القائم عليه السلام ينقى في حربه ما لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتاهم وهم يعبدون حجارة منقورة وخشبا منحوتة ، وإن القائم يخرجون عليه فيتأولون عليه كتاب الله ويقاتلونه عليه) .

[2] النعماني : ص ٢٩٨ – ٢٩٩ ب ١٧ ح ٤ –

بن عبد الحميد قال : أخبرني مَن سمع أبا عبد الله ﷺ يقول : [إذا خرج القائم ﷺ خرج مِن هذا الامر مَن كان يرَى أنه مِن أهله ، ودخَلَ فيه شبهُ عبدة الشمس والقمر][1] .

في حين تبقى دولة خراسان وطوائف مِن أهل الحق موزّعة هنا وهناك مثل راية أهل الحق قرب أكناف بيت المقدس مِن برّ الشام وهم الأبدال من أتباع أهل البيت ﷺ تبقى على يقينها ودينها ، وتبلغ جهداً عظيماً في المحافظة عليه ، بل وتخوض غماراً صعبة للتمسّك به ، وتطالها معالم الجهد في أكثر من ناحية فتصرُّ على إعلان المهدي سلطان المواثيق في أرض الله تعالى وذلك قبل ظهوره وبعد ظهوره الشريف .

وتبدأ حركة المهدي ﷺ من الحجاز ، وتتموضع في العراق ، ويبعث المهدي ﷺ جنودهُ في الآفاق في ظروف مختلفة وضمن جبهات متعدّدة ، وفق غايات محدّدة دقيقة . النصوص تؤكّد انّ المهدي ﷺ يتّخذ العراق مقاماً له . وبالأخصّ منطقة الكوفة التي تصبح عاصمة العالم ومنها يدير المجتمع الدولي . ومعلوم أنّ النجف هي ظهر الكوفة أي تابعة لها . وفي رواية صالح بن أبي الأسود قال : قال أبو عبد الله ﷺ – وذكر مسجد السهلة – : [.. أما إنّه منزل صاحبنا (أي المهدي ﷺ) إذا قام بأهله][2] . إشارة منه ﷺ إلى منطقة الكوفة والنجف وناحية هذه المنطقة أي العراق .

والكوفة كانت عاصمة حكم الإمام علي ﷺ وتكون عاصمة حكم المهدي ﷺ ، ويبدو أنّ لها أثراً في التاريخ الروحي القائم على صلة مواثيق

---

[1] النعماني : ص ٢١٧ ب ٢١ ح ١ –

[2] الفضل بن شاذان : – على ما في غيبة الطوسي . * : الكافي : ج ٣ ص ٤٩٥ ح ٢ –

الأرض بالسماء . ففي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : [يا أبا محمّد كأنّي أرى نزولَ القائم في مسجد السهلة بأهله وعياله . قلت : يكون منزله ؟ قال ﷺ : نعم هو منزلُ إدريس ﷺ ، وما بعث اللهُ نبيّاً إلا وقد صلّى فيه ، والمقيم فيه كالمقيم في فسطاط رسول الله ﷺ ، وما من مؤمن ولا مؤمنة إلا وقلبُهُ يحنُّ إليه ، وما من يوم ولا ليلة إلّا والملائكةُ يأوونَ إلى هذا المسجد يعبدونَ اللهَ فيه . يا أبا محمد أما إنّي لو كنتُ بالقربِ منكم ما صلّيتُ صلاةً إلا فيه . ثم إذا قام قائمنا ﷺ انتقم اللهُ لرسوله ولنا أجمعين][1] .

ففي هذا النص تأكيد على الرابط التواصلي بين هذه المنطقة وما جرى عليه الزمان من بعثة بعض النبيين في السابق ، وانّ لهذه البقعة بركةً وتأييداً يتمظهر زمن المهدي ﷺ .

ولقد نالت هذه الأرض من الإشارات والعلامات ما يؤكّد طابع البركة التي تنتظرها فضلاً عمّا مرّ عليها . فقد روى أبان بن تغلب قال : كُنت مع أبي عبد الله ﷺ ، فمرَّ بظهرِ الكوفة ، فنزل فصلّى ركعتين ، ثم تقدّم قليلاً فصلّى ركعتين ، ثم سار قليلاً فنزل فصلّى ركعتين ثم قال : [هذا موضعُ قبر أمير المؤمنين ﷺ . قلت : جُعلتُ فداك والموضعين اللذين (كذا)

---

[1] المزار الكبير : – على ما في البحار . * : قصص الراوندي : هـ ٨٠ ح ٦٣ – عن أبي بصير . عن أبي عبد الله عليه السلام : – كما في قصص الانبياء بتفاوت . وفيه (. . وكان منزل إبراهيم خليل الرحمان . . قلت جعلت فداك ؟ لا يزال القائم فيه أبدا ؟ قال : نعم ، قلت : فمن بعده ؟ قال : هكذا من بعده إلى انقضاء الخلق ، قلت : فما يكون من أهل الذمة عنده ؟ قال : يسالمهم كما سالمهم رسول الله صلى الله عليه وآله ويؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون ، قلت فمن نصب لكم عداوة ؟ فقال : لا يا أبا محمد ، ما لمن خالفنا في دولتنا من نصيب ، إن الله قد أحل لنا دماءهم عند قيام قائمنا ، فاليوم محرم علينا وعليكم ذلك ، فما يفرنك أحد ، إذا قام قائمنا انتقم لله ولرسوله ولنا أجمعين) .

صلّيت فيهما .؟ قال عليه السلام : موضعُ رأسِ الحسين عليه السلام وموضع منزل القائم عليه السلام][1] .

النص يؤكّد الصلة بين أقطابٍ عمالقة من أوصياء النبيّ صلى الله عليه وآله مثل الإمام علي والحسين عليهما السلام ثم مقام المهدي عليه السلام للتأكيد على طابع الصفة المركزية التي تؤول إلى هذه الأرض . ويكفي فيها أنّها تصبح عاصمةَ المهديّ زمنَ الظهور المبارك . وفي نصٍّ آخر عن فرات بن الاحنف قال : [كنتُ مع أبي عبد الله عليه السلام ونحن نريد زيارةَ قبر أمير المؤمنين عليه السلام فلما صرنا إلى الثوية نزل فصلّى ركعتين ، فقلت : يا سيّدي ما هذه الصلاة ؟ فقال عليه السلام : هذا موضعُ منبر القائم عليه السلام أحببتُ أن أشكرَ اللهَ في هذا الموضع .

ثم مضى ومضيتُ معه حتى انتهى إلى القائم الذي على الطريق فنزل فصلّى ركعتين ، فقلت : ما هذه الصلاة ؟ قال عليه السلام : ها هنا نزل القومُ الذين كان معهم رأسُ الحسين عليه السلام في صندوق ، فبعث اللهُ عزوجل طيراً فاحتمل الصندوق بما فيه فمرّ بهم جمال فأخذوا رأسه فجعلوه في الصندوق وحملوه ، فنزلت وصلّيت ها هنا . ثم مضى ومضيت معه حتى انتهى إلى موضع فنزل وصلى ركعتين وقال : ها هنا قبر أمير المؤمنين عليه السلام . أما إنه لا تذهب الايام حتى يبعث الله رجلاً منتحناً في نفسه

---

[1] مقتل أمير المؤمنين ، للثقفي : على ما في إثبات الهداة عن ابن طاووس . * : الكافي : جـ ٤ صـ ٥٧١ – ٥٧٢ حـ ٢ – بسند آخر : عن مبارك انخياز قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : أسرجوا البغل والحمار في وقت ما قدم وهو في الحيرة قال : فركب وركبت حتى دخل الجرف ، ثم نزل فصلى ركعتين ثم تقدم قليلا آخر فصلى ركعتين ، ثم تقدم قليلا آخر فصلى ركعتين ، ثم ركب ورجع فقلت له : جعلت فداك ما الاوليتين والثانيتين والثالثتين ؟ قال : الركعتين الاوليتين موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام والركعتين الثانيتين موضع رأس الحسين عليه السلام والركعتين الثالثتين موضع منبر القائم عليه السلام) .

بالقتل يبني عليه حصناً فيه سبعون طاقاً [1]. قال حبيب بن الحسين: سمعت هذا الحديث قبل أن يبني على الموضع شيئ، ثم إنَّ محمد بن زيد وجَّهَ فبنى عليه، فلم تمضِ الايام حتى امتُحِنَ محمدٌ في نفسِهِ بالقتل [2].

إنه نوع تركيزي عميق على الخيط الوجودي والآثار المكتومة وما تعنيه في فقه الحياة ونقل الرسالات ومعاني الموكب البشري وصلتها بعالم الظهور ومقام مولانا المهدي عليه السلام الذي يقود أعظم حركة وجوديَّة لتطبيق الإسلام الشريف على مستوى دنيا الإنسان كلِّها ..

..

[1] المصادر : * : دلائل الامامة : ص ٢٤٤ —

[2] المصادر : * : دلائل الامامة : ص ٢٤٤ —

نواة جبهة المهدي ﷺ في الحجاز وغيرها

يبدو من النصوص أنّ أوّل تجمُّع مباشر للمهدي ﷺ يكون في مكّة . وأوّل نواة هناك تتكوّن من أنصارِه الذين يأتي اللهُ بهم من الآفاق ، منهم من تُطوى له الأرض ، ومنهم من يُحمل على الغيم . إشارة إلى أداة بريّة وأداة جويّة سريعة - وقد يكون النصُّ في مقام بيان نحو إعجازي ينقلهم اللهُ تعالى عبره – المهم انّ أوّل نواة للمهدي ﷺ تتكوّن من أنصارِه الذين أعدّهم اللهُ لنصرتِه . ثم تكون نواة ثانية هي نواة جيش يتكوّن أوّل الامر من عشرة آلاف .

وفي رواية أبي بصير قال : سأل رجلٌ من أهل الكوفة أبا عبد الله ﷺ : كم يخرج مع القائم ﷺ ؟ فإنهم يقولون : إنّه يخرج معه مثل عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ؟ قال ﷺ : [وما يخرج إلا في أُولي قوّة ، وما تكون أُولوا القوّة أقل من عشرة آلاف][1] . إشارة إلى نواة الجيش الأوّل الذي لحظته نصوص مختلفة حين إعلان الظهور والإعلان عن الزحف الأوّل . وعليه : هو يشيرُ إلى نواة الجيش الأوّل لميزة لحظها في السؤال ومقاصده .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٤ ب ٥٧ ح ٢٠ –

وفي إشارةٍ رمزيّةٍ إلى نواة الأنصار الأوّل الذين يُشكّلون مركز القيادة روى العوام بن الزبير قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [يُقبل القائم ﷺ في خمسة وأربعين مِن تسعة أحياء : مِن حَيٍّ رجلٌ ، ومِن حَيٍّ رجلانِ ومِن حَيٍّ ثلاثة ، ومِن حيٍّ أربعةٌ ، ومن حيٍّ خمسةٌ ، ومِن حي ستّة ، ومن حي سبعة ، ومن حي ثمانية ، ومن حي تسعة ، ولا يزال كذلك حتى يجتمع له العدد][1] . النص هنا يشيرُ إلى جماعة مِن الذين ينصرونهُ لا على سبيل الحصر بل على سبيل المثال ، مؤكّداً على طابع التجمّع إليه مِن مناطق مختلفة ، فلا إشارة إلى الحصر العددي . وهذا واضح من جمع طوائف النصوص وملاحظة استعمال المعصوم لهذهِ العبارات في مواضع مختلفة . على انّ النصوص الكثيرة تتّفق على أنّ نواة المهدي الأولى تتكوّن من عدّة بدر : ٣١٣ من أعظم خواصه .

وتؤكّد النصوص طابع إلتحاقهم بالمهدي ﷺ دون ميعاد سابق ، بل يتمّ ذلك على أثر الظهور المبارك وهو الظهور الأوّل الخاص الذي يتبعه ظهور عام قرب المقام في الكعبة المكرّمة . وفي رواية علي بن أبي حمزة قال : قال أبو عبد الله جعفر بن محمد ﷺ : [بينا شباب الشيعة على ظهور سطوحهم نيام إذ تواقوا إلى صاحبهم في ليلة واحدة على غير ميعاد ، فيصبحون بمكة][2] . ويكون لهذهِ النواة قدرة لافتة ، بالإضافة إلى النواة العامّة التي تتكوّن من شيعة المهدي ﷺ الذين يمتلكون من القدرة أضعافاً .

---

[1] الخصال : ص ٤٢٤ ح ٢٦ –

[2] النعماني : ص ٣١٦ ب ٢١ ح ١١ .

وقد قال أبو عبد الله ﷺ : [يكون من شيعتنا في دولة القائم ﷺ سنام الارض وحكامها ، يُعطى كلُّ رجلٍ منهم قوة أربعين رجلاً][1] . تأكيداً منه ﷺ على التحوُّلات التي تطرأ على العالم ، والقدرات التي تصبُّ في خانة شيعة الإمام ﷺ والتوسُّع الكبير الذي يتمحور حول النواة المتوسِّعة للمهدي التي تشمل الأرض كلّها مشرقاً ومغرباً . وفي طائفة أخرى نصوص تحثُّ على ضرورة تكوين ما أمكن من القوَّة بشتّى معاني القوَّة ومستلزماتها ومحاورها بهدف التوطئة له ﷺ رغم انَّ المهدي ﷺ إذا خرج يصلحُ اللهُ أمره في ليلة . لكنَّ النصوص تشرح طابع الإبتلاء والإمتحان والجهد الذي يصيب العالم ومنهم الشيعة آنذاك . وفي رواية أبي بصير قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [لَيُعدَنَّ أحدُكُم لخروج القائم ﷺ ولو سهماً ، فإنَّ اللهَ تعالى إذا علم ذلك من نيَّتِه رجوت لأن يُنسئَ في عمره حتى يدركه فيكون من أعوانه وأنصاره][2] .

وفي المرسل عن الحسين بن علوان عمن ذكره عن أبي عبد الله ﷺ قال : [المؤمنُ كان عنده من ذلك شيئ ينفقه على عياله ما شاء ، ثم إذا قام القائم ﷺ فيحمل إليه ما عنده ، فما بقي من ذلك يستعين به على أمره فقد أدَّى ما يجب عليه][3] . النصُّ والمتون الواردة في هذا المعنى واضحة انّها في مقام التأكيد على ضرورة التهيُّئ والتوطئة والإنضباط والتضامن والإعداد لزمن الظهور ولو طال الزمن تحت صفّ قيادة مشروع التمهيد الكبير الذي يضمن حماية وضمانة وقوَّة الأتباع قبل الظهور الشريف

---

[1] الاختصاص : ص ٨ –

[2] النعماني : ص ٢٣٠ ب ٢١ ح ١٠

[3] العياشي : ج ٢ ص ٨٧ – ٨٨ ح ٥٥

وبعده . مع الإشارة إلى أنّ الحديث الثاني فيه إجابة عن سؤال لم تذكره الرواية . والذي يبدو منه أنه كان عن الخمس أو الخراج .

على أنّ النواة الأولى التي تتشكّل منها جبهة المهدي ﷺ تكون مخصوصة بقدراتٍ خاصّة من الله تعالى ذات دور وظيفي في تلك اللحظات من أولى معالم تشكيل الجبهة . ربّما رمّز النص إليها بعبارات السيف إشارة منه إلى القوّة . وفي رواية ابن أبي حمزة عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إذا قام القائم ﷺ نزلت سيوفُ القتال ، على كلّ سيف اسم الرجل واسم أبيه][1] . إلا انّ النص هنا مفتوح على معانٍ جديرة بالإنتباه . وهي تهيئة أدوات القتال المناسبة لقهر الطغيان الأممي . وهذا أمر لافت لا بدّ من التركيز عليه . على الأقل هو مصداق من مصاديق القوّة التي تمتاز بها جبهة الإمام المهدي ﷺ في ظل عالم متحشّد بأدوات الحرب والدمار والنار والترهيب وشبهه .

وفي النصوص تأكيد على نحوٍ خاص من الصلة بين أتباع المهدي ﷺ ، وانّهم يصلون إلى مرحلةٍ من الكمال التضامني بصورةٍ غير مسبوقة من قبل . ففي رواية علي بن سالم عن أبيه قال : سألت أبا عبد الله ﷺ عن الخبر الذي رُوي أنّ مَن كان بالرهن أوثق منه بأخيه المؤمن فأنا منه بريء ؟ فقال ﷺ : [ذلك إذا ظهر الحق وقام قائمنا أهل البيت . قلت : فالخبر الذي رُوي أنّ ربع المؤمن على المؤمن ربا ، ما هو ؟ قال ﷺ : ذاك إذا ظهر الحقّ وقام قائمنا أهل البيت ، وأما اليوم فلا بأس بأن يبيع من الاخ المؤمن ويربح عليه][2] .

---

[1] النعماني : صد ٢٤٤ ب ١٣ ح ٤٥ .

[2] الفقيه : ج ٣ صد ٢١٢ ح ٤١١٩ .

ما يعني لفتة إلى صفاتٍ رفيعة تطرأ على الدواعي الباعثة زمن المهدي ﷺ وهي نوع من أنواع الكمال النخبوي في القيم وغاياتها . وفي رواية إسحاق بن عمار قال : [كنتُ عند أبي عبد الله ﷺ فذكر مواساة الرجل لاخوانه وما يجب لهم عليه ، فدخلني من ذلك أمرٌ عظيم ، عُرِفَ ذلك في وجهي ، فقال ﷺ : [إنما ذلك إذا قام القائم ﷺ وجب عليهم أن يُجهِّزُوا إخوانهم وأن يقووهم][1] .

أي هذا الأمر الذي ترونه عسيراً عليكم بحكم أشياء كثيرة تحول دون تطبيقه في زمنكم ، وهو يسيرٌ جداً زمن المهدي ﷺ ببركة الله تعالى وضمن كفالات ومعايير وضمانات تقودها دولة المهدي ﷺ . ومن معاني التوطئة للمهدي ﷺ بذل النفس والمال والولد في سبيل هذا الخطّ . وفي رواية علي بن ميسر عن أبيه عن أبي عبد الله ﷺ قال : [ولد واحد يُقدِّمُهُ الرجلُ أفضل من سبعين ولد يبقون بعده يدركون القائم][2] . يريد بذلك تقديمه في سبيل الله تعالى .

ثمّ لِظُهُورِ المهدي ﷺ صفات منها ما هو عام ومنها ما هو خاص . منه اكتمال عدد الأنصار المخصوصين . على أنّ علامات الظهور لا بدّ لها من صفات وشروط فإذا اكتملت كلّها اذِنَ اللهُ بالخروج . فلا يكفي أن يكتمل العدد دون خروج السفياني . وكذا لا يكفي اكتمال العدد دون مجموع

---

[1] مصادقة الاخوان : صد ٢٠ ب٦ ح ٣ –

[2] ثواب الاعمال : صد ٢٢٣ ح ٤ – قال الشيخ المفيد رضي الله عنه : حضرت مجلس رئيس من الرؤساء ، فجرى كلام في الامامة فانتهى إلى القول في الغيبة ، فقال صاحب المجلس : أليست الشيعة تروي عن جعفر بن محمد ﷺ أنه قال ... : فقلت : قد روي هذا الحديث: " لو اجتمع على الامام عدة أهل بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً لوجب عليه الخروج بالسيف] رسائل المفيد : صد ٢٩٠ – وقد أوردنا هذا الحديث باعتباره يشمل الامام المهدي ﷺ وإلا فهو عام .

الصفات التي قالت النصوص انّها من المحتوم الذي لا بدّ أن يقع . وعليه : لا بدّ من فهم النصوص على هذا النحو المترابط . ويحضرني هنا نصٌ يركّز على وصفٍ شديد الأهميّة في صفات الشيعة وضرورة القيم التي يجب أن يتحلّوا فيها في ذلك الزمن وفي كلّ زمن وزمن الظهور المبارك .

ففي رواية عبد الله بن حماد الانصاري (سنة تسع وعشرين ومائتين) عن رجلٍ عن أبي عبد الله ﷺ : أنه دخل عليه بعض أصحابه فقال له : جعلت فداك ، إني والله أُحبُّك وأُحبُّ مَن يحبك ، يا سيدي ما أكثر شيعتكم ، فقال ﷺ له : اذكرهم ، فقال : كثير ، فقال ﷺ : تحصيهم ؟ فقال : هم أكثر من ذلك ، فقال أبو عبد الله ﷺ : [أما لو كملت العدّةُ الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذي تريدون ، ولكن شيعتنا مَن لا يعدو صوته سمعه ولا شحناؤه بدنه ، ولا يمدح بنا معلنا ، ولا يخاصم بنا قالياً ، ولا يجالس لنا عايباً ، ولا يحدث لنا ثالباً ، ولا يحب لنا مبغضاً ، ولا يبغض لنا محبّاً .

قلت : فكيف أصنع بهذه الشيعة المختلفة الذين يقولون إنّهم يتشيّعون ؟ فقال : فيهم التمييز ، وفيهم التمحيص ، وفيهم التبديل ، يأتي عليهم سنون تفنيهم ، وسيف يقتلهم ، واختلاف يبدّدُهُم . إنما شيعتنا مَن لا يهر هرير الكلب ، ولا يطمع طمع الغراب ، ولا يسأل الناس بكفّه وإنْ ماتَ جوعاً . قلت : جعلت فداك ، فأين أطلبُ هؤلاء الموصوفين بهذه الصفة ؟ فقال ﷺ : أطلبهم في أطراف الارض ، أولئك الخفيض عيشهم ، المنتقلة دارهم ، الذين إنْ شهدوا لم يُعرَفُوا ، وإنْ غابوا لم يُفتَقَدُوا ، وإنْ مرضوا لم يُعادُوا ، وإنْ خطبوا لم يُزوَّجُوا ، وإنْ ماتوا لم يُشهَدُوا ، أولئك الذين في أموالهم يتواسون ، وفي قبورهم يتزاورون ، ولا تختلف أهواؤهم ، وإنْ

اختلفت بهم البلدان][1] . هذه الصفات المذهلة تؤكّد طابع القيم الرفيعة التي يجب أن تكون حافلةً في صدور الشيعة الذين يجب أن ينتظروا المهدي ﷺ . وهذا أمر إعدادي ضروري لهيكلة الصفات الأخلاقيّة والسلوكيّة الإجتماعيّة المتنوّعة ذات الشمول الكبير والتام لتكون على مطابقة من قيم الإسلام بمعانيه ومضامينه ، بل بناء الأفراد والجماعات على هذا النحو . فإنّ هذا طريق من طُرق الإعداد والبناء والتمهيد للظهور المبارك .

الإمام ﷺ يقول له : انّ القيام بثورة يحتاجُ إلى شيعة بهذه الصفات . وعليه : الشيعي هو التقي العامل بالقيم ، الحافظ للحسنى ، الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر ، القائم بالكتاب ، الداعي إلى السنّة . المتلزم كتاب الأخلاق والإجتماع كما قررته الشريعة . الذي لا يهر هرير الكلب ، ولا يطمع طمع الغراب . الشيعة تمرُّ عليهم ظروف قاسية وعقبات صعبة مذهلة ، فهم الخفيض عيشهم ، المعتقلة دارهم ، الذين إنْ شهدوا لم يُعرَفُوا ، وإنْ غابوا لم يُفتَقَدُوا ، وإنْ مرضوا لم يُعادُوا ، وإنْ خطبوا لم يُزوَّجُوا ، وإنْ ماتوا لم يُشهَدُوا ، أولئك الذين في أموالهم يتواسون ، ولا تختلف أهواؤهم ، وإنْ اختلفت بهم البلدان . هم جماعة يجمعهم الكتاب والسنّة والتزام ولاية المعصوم في قوله وفعله وتقريره ، تراهم كنفسٍ واحدة ، كجسمٍ واحد ، لا يتحاسدون ولا يتباغضون . وهم مع ذلك متضامنون بالجهد والمال والإمكانات . فإنْ فقدوا هذه الصفات فالويلُ لهم !.

---

[1] النعماني : ص ٢٠٣ – ٢٠٤ ب ١٢ ح ٤ – عن إبراهيم بن مهزم الأسدي ، عن أبيه مهزم ، عن أبي عبد الله عليه السلام : – منه ، وزاد فيه " وإن رأوا مؤمنا أكرموه ، وإن رأوا منافقا هجروه ، وعند الموت لا يجزعون ، وفي قبورهم يتزاورون " ثم تمام الحديث " .

وبطبيعة الحال : على رأس هذه الصفات الكبرى يأتي أنصارُ المهدي ﷺ ألـ : ٣١٣ رجلاً ، الذين يُشكِّلون النواة الرئيسيَّة الأولى للجبهة المهدويَّة . وفي رواية أبان بن تغلب قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [سيأتي من مسجدكم هذا يعني مكة ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، يعلم أهلُ مكَّة أنه لم يلدهم آباؤهم ولا أجدادهم (أي غرباء) ، عليهم السيوفُ ، مكتوبٌ على كلِّ سيف كلمةٌ تفتح ألف كلمة ، تبعث الريح فتنادي بكلِّ وادٍ : هذا المهديُّ ، هذا المهدي ، يقضي بقضاء آل داود ولا يسأل عليه بينة][1] .

تأكيداً على صفات مخصوصة في هذه الفئة التي تُشكِّل النواة الأولى في جبهة المهدي ﷺ الذي إذا خرج أقام الحقَّ واستقامَ معه العدلُ وحكم بالأحكام الواقعيَّة التي لا تحتاجُ إلى بيِّنةٍ أو شهادة بعدما يحكم بحكم داود ﷺ الذي فيه الكشف الكامل عن الحقائق . كما تشير نصوص أخرى إلى صفات زائدة في هذه الفئة الأولى من مثل أنَّهم يمتازون بخصائص قوَّة مميزة . وهذه بطبيعة الحال ناظرة إلى معانٍ متعدِّدة ذات دور وظيفي . ويكفي فيهم أنَّهم النواة التي تُشكِّل مجلس قيادة في جبهة المهدي ﷺ . ففي رواية يونس بن ظبيان قال : كُنتُ عند أبي عبد الله ﷺ فذكر أصحاب القائم ﷺ فقال : [ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وكلُّ واحدٍ يرى نفسه في

---

[1] بصائر الدرجات : ص ٢١١ ب ١٨ ح ١١ – عن أبان بن تغلب قال : كنت مع جعفر بن محمد عليهما السلام في مسجد بمكة وهو آخذ بيدي ، فقال : يا أبان ، سيأتي الله بثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا في مسجدكم هذا ، يعلم أهل مكة أنه لم يخلق آباؤهم ولا أجدادهم بعد ، عليهم السيوف مكتوب على كل سيف اسم الرجل واسم أبيه وحليته ونسبه ، ثم يأمر مناديا فينادي : هذا المهدي يقضي بقضاء داود وسليمان لا يسأل على ذلك بينة " . عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبد الله أنه قال : سيبعث الله ثلاثمائة وثلاثة عشر (رجلا) إلى مسجد بمكة يعلم أهل مكة أنهم لم يولدوا من آبائهم ولا أجدادهم ، عليهم سيوف مكتوب عليها ألف كلمة كل كلمة مفتاح ألف كلمة ، ويبعث الله الريح من كل واد تقول : هذا المهدي يحكم بحكم داود ، ولا يريد بينة " .

ثلاثمائة][1] . تثبيتاً وصفياً منه ﷺ للدور الخاص الذي يُناط بهم في استجماع عناصر القوّة كنواة أولى في جيهة المهدي ﷺ .

وعن مُوجبات الاخوة في شيعة المهدي ﷺ ؟ تجيب طائفة من النصوص إلى نحوٍ تكاملي ضروري يتّصف به شيعةُ المهدي ﷺ وسط حكومته الكبرى التي تملأ الدنيا قسطاً وعدلاً . ففي رواية زيد الزراد قال : قلتُ لأبي عبد الله ﷺ : نخشى أن لا نكون مؤمنين . قال ﷺ : ولِمَ ذاك ؟ فقلت : وذلك أنّا لا نجد فينا مَن يكون أخوه عنده آثر من درهمه ودينار ه ، ونجد الدينار والدرهم آثر عندنا من أخٍ قد جمع بيننا وبينه موالاةُ أمير المؤمنين ﷺ . فقال ﷺ :

[كلّا ، إنّكُم مؤمنونَ ولكن لا تكملون إيمانكم حتى يخرج قائمنا ﷺ ، فعندها يجمع اللهُ أحلامكم فتكونون مؤمنينَ كاملين ، ولو لم يكن في الارض مؤمنين كاملين (كذا) إذاً لرفعنا اللهُ إليه وأنكرتكم الارض وأنكرتكم السماء . بل والذي نفسي بيده إنّ في الارض في أطرافها مؤمنينَ ما قدر الدنيا كلها عندهم تعدل جناح بعوضة][2] . أي سيصل شيعةُ المهدي ﷺ إلى نحوٍ تكاملي تتوسّع معه موجبات الاخوّة على نحوٍ كبير . في حين هو غير مطلوب من شيعة الأئمّة السابقين بسبب اختلاف الوصف والشروط بين ما هم فيه وبين ما يكون فيه شيعة المهدي الذي يحكم الأرض ويسود العالم . كما يؤكّد النص طابع الحجّة الذي يشكّله الشيعة في العالم ، أي بهم يحتجّ اللهُ تعالى ، بالإضافة إلى الحجج الأُخرى .

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٣٠ -

[2] الاصول الستة عشر . جـ ٦

ولفت نظري أنّ بعض النصوص تريد أن تؤكّد طابع صلة النسوة في مشاركتها جبهة المهدي ﷺ وهذا أمر صحيح جداً . فالنساء من الشيعة زمن المهدي ﷺ يُكوّنّ السندَ القوي في دعم الجبهة ودفعها وإمدادها بالأولاد والبنين وغيره وهذا دور عظيم عظمةَ الكرم الوجودي . وهو دور مدحته الشريعة ومدحه النبيُّ ﷺ والأئمة ﷺ . وفي رواية مفضل بن عمر قال : سمعتُ أبا عبد الله ﷺ يقول : [يكون مع القائم ثلاث عشرة امرأة . قلت : وما يصنع بهنّ ؟ قال : يُداوينَ الجرحى ، ويقمنَ على المرضى كما كُنّ مع رسول الله ﷺ . قلت : فسمّهنّ لي قال : القنواء بنت رشيد ، وأم أيمن ، وحبابة الوالبية ، وسمية أم عمار بن ياسر ، وزبيدة ، وأم خالد الاحمسية ، وأم سعيد الحنفية ، وصبانة الماشطة ، وأم خالد الجهنية][1] .

أهميّة هذا النص في المعنى الكلّي أنّ نواة جبهة المهدي ﷺ تُحافظ على قسمة الطابعين من ذكر وأنثى ، لكن ضمن الدور الوظيفي للعنصرين اللذين يُؤجَرانِ الأجر الكامل على مساهمتهما في حصانة ومدّ ونصرة الجبهة الإلهيّة العظيمة التي تشكّل المفصل الأعظم في الحقبة الأخيرة من زمن الأحداث وبنيان الأرض[2] .

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٥٩ – ٢٦٠ –

[2] أقول : هناك ، بعض ، الروايات التي عدّدت أسماء أنصار المهدي الذين يُؤتى بهم من الأرض لكنها لا تخلو من نقاش في السند أو المتن ، أو بعضها يحتاجُ إلى تأويل ، أو يكون صدورها على نحوٍ من رموزٍ وإشاراتٍ وفق قانون البشارات التي تصدر . وإنّما أذكرها – أي ما لم تتم به الشرائط – من باب المُعطى التاريخي أو عرض نوع من الشهادات التاريخيّة الواردة في هذا المجال . ففي رواية مسعدة بن صدقة عن أبي بصير أنّ الصادق سمّى أصحاب القائم ﷺ لأبي بصير فيما بعد فقال : [أما الذي في طازبند الشرقي بندار أحمد بن سكتة يدعى بازان وهو السياح العرابط ، ومن أهل الشام رجلين يُقال لهما إبراهيم بن الصباح ويوسف بن صريا فيوسف عطار من أهل دمشق وإبراهيم قصاب من قرية صويقان ، ومن الصابغان أحمد بن عمر الخياط من سكتة بزيع وعلي بن عبد الصمد التاجر من سكتة التجارين ، ومن

أهل السراف سلم الكوسج البزاز من سكنة الباغ وخالد بن سعيد بن كريم الدهقان والكليب الشاهد من دانشاه ، ومرو رود جعفر الشاه الدقاق وجور مولى الخصيب ، ومن مرو اثنى عشر رجلاً وهم بندار بن الخليل العطار ومحمد بن عمر الصيداني وعريب بن عبد الله بن كامل ومولى قحطب وسعد الرومي وصالح بن الرحال ومعاذ بن هاني وكردوس الازدي وديم بن جابر بن حميد وطاشف بن علي القاجاني وقرعان بن سويد وجابر بن علي الاحمر وخوشنب بن جرير ، ومن بارود تسعة رجال زياد بن عبد الرحمان بن جحدب والعباس بن الفضل بن قارب وسحيق بن سليمان الحناط وعلي بن خالد وسلم بن سليم بن الفرات البزاز ومحمودية بن عبد الرحمان بن علي وجرير بن رستم بن سعد الكيساني وحرب بن صانع وعمارة بن معمر ، ومن فوس أربعة رجال شهمرد بن حمران وموسى بن مهدي وسليمان بن خليق من الواد وكان الواد موضع قبر الرضا وعلي بن سندي الصيرفي ، ومن الفاريات شاهويه بن حمزة وعلى بن كلثوم من سكنة تدعى باب الجبل ، ومن الطالقان أربعة وعشرين رجلا المعروف بابن البرازي الجيلي وعبد الله بن عمير وإبراهيم بن عمر وسهل بن رزق الله وجبريل الحداد وعلي بن أبي علي البزاف وعبادة بن مهور ومحمد بن جيهار وزكريا بن حبة وبهرام بن سرح وجميل بن عامر بن خالد وخالد وكثير مولى جرير وعبد الله بن قرط بن سلام وفزارة بن بهرام ومعاذ بن سالم بن جليد التمار وحميد بن إبراهيم بن جمعة الغزال وعقبة بن وفر بن الربيع وحمزة بن العباس بن جنادة من دار الرزق وكانان بن حنيذ الصائغ وعلقمة بن مدرك ومروان بن جميل بن ورقا وظهور مولى زرارة بن إبراهيم وجمهور بن الحسين الزجاج وزياش بن سعيد بن نعيم ومن سجستان الخليل بن نصر من أهل زنج وشرك بن شعبة وإبراهيم بن علي ، ومن غور ثمانية رجال مسيح بن خريوذ وشاهد بن بندار وداود بن جرير وخالد بن عيسى وزياد بن صالح وموسى بن داود وعرف الطويل وبركرد ، ومن نيسابور ثمانية عشر رجلا سمعان بن فاخر وأبو لبابة بن مدرك وإبراهيم بن يوسف القصير ومالك بن حرب بن سكين وزيود بن سوكن ويحيى بن خالد ومعاذ بن جبرئيل وأحمد بن عمر بن زفر وعيسى بن موسى السواق ويزيد بن درست ومحمد بن حماد بن شيث وجعفر بن طرخان وعلان شاهويه وأبو مريم وعمر بن عمير بن مخرف وبليل بن وهايد بن هو مرديار ، ومن هرات أثنى عشر رجلا سعيد بن عثمان البوراق وماسح بن عبد الله بن نبيل والمعروف بغلام الكندي وسمعان القصاب وهارون بن عمران وصالح بن جرير والمبارك بن معمر بن خالد وعبد الاعلى بن إبراهيم بن عبده ونزل بن حزم وصالح بن نعيم وارم بن علي وخالد القواتس ومن أهل بوسنج أربعة رجال طاهر بن عمرو بن طاهر المعروف بالاصلع هشام ومن الري سبعة رجال إسرائيل القطان وعلي بن جعفر بن حرزاد وعثمان بن علي بن درخت ومسكان بن جبلة بن مقاتل وكردين بن شيبان وحمدان بن نكر وسليمان بن الديلمي ومن طبرستان أربعة رجال حرشام بن كردم وبهرام بن علي والعباس بن هاشم وعبد الله بن يحيى ، ومن قم ثمانية عشر رجلا غسان بن محمد عتبان وعلي بن أحمد بن بقرة بن نعيم بن يعقوب بن بلال وعمران بن خالد بن كليب وسهل بن علي بن صاعد وعبد العظيم بن عبد الله بن الشاه وحسكة بن هاشم بن الداية والاخوص بن محمد بن إسماعيل بن نعيم بن ضريف وبليل بن مالك بن سعد بن طلحة بن جعفر بن أحمد بن جرير

وموسى بن عمران بن لاحق والعباس بن بقر بن سنيم والحويد بن بشر بن بشير ومروان بن علابة بن جرير المعروف بابن رأس الزق والصقر بن إسحاق بن إبراهيم وكامل بن هشام . ومن قومس رجلان محمود بن محمد بن أبي الشعب وعلي بن حموية بن صدقة من قرية الخرقان . ومن جرجان اثنى عشر رجلا أحمد بن هارون بن عبد الله وزرارة بن جعفر والحسين بن علي بن مطر وحميد بن ثابع ومحمد بن خالد بن قرة بن حوتة وعلا بن حميد بن جعفر بن حميد وإبراهيم بن إسحاق بن عمرو وعلي بن علفمة بن محمود وسلمان بن يعقوب والعريان بن الخفاف الملقب بضال روت وشعبة بن علي وموسى بن كردويه . ومن حوفان رجل وهو عبيد بن محمد بن ماجور . ومن السند رجلان سيباب بن العباس بن محمد ونضر بن منصور يعرف بناقشت . ومن همذان أربعة رجال هارون بن عمران بن خالد وطيفور بن محمد بن طيفور وابان بن محمد بن الضحاك وعتاب بن مالك بن جمهور . ومن جابروان ثلاثة رجال كرد بن حنيف وعاصم بن خليط الخياط وزياد بن رزين . ومن الشورى رجل لقيط بن فرات . ومن أهل خلاط وهب بن خريت بن سروين . ومن تفليس خمسة رجال جحدر بن الزيت وهاني العطاردي وجواد بن بدر وسليم بن وحيد والفضل بن عمير وقرياب الابواب جعفر بن عبد الرحمان . ومن سنجار أربعة رجال عبد الله بن زريق وسميع بن مطر وهبة الله بن زريق بن صدقة وحبل بن كامل . ومن تمانيف كردوس بن جابر . ومن سميساط موسى بن زرقان . ومن نصيبين رجلان داود بن المعق وحامد صاحب البواري . ومن الموصل رجل يقال له سليمان بن صبيح من القرية الحديثة . ومن بلمورق رجلان يقال لهما بادصبا بن سعد بن السمير وأحمد بن حميد بن سوار . ومن بلد رجل يقال له بور بن زائدة بن ثوابن . ومن الرها رجل يقال له كامل بن عقير . ومن حران زكريا السعدي . ومن برقة ثلاثة رجال أحمد بن سليمان بن سليم وفوقل بن عمرو الاشعث بن مالك . ومن الرابعة عباس بن عاصم بن سمرة بن جحش ومليح بن سعد . ومن حلب أربعة رجال يونس بن يوسف وحميد بن قيس بن سحيم بن مدرك بن علي بن حرب بن صالح بن ميمون ومهدي بن هند بن عطارد ومسلم بن هو أمرد . ومن دمشق ثلاثة رجال نوح بن جوير وشعيب بن موسى وحجر بن عبد الله الفزاري . ومن فلسطين سويد بن يحيى . ومن بعلبك المنزل بن عمران . ومن الطبرية معاذ بن معاذ . ومن بانيا صالح بن هارون . ومن قومس رياب بن الجلد والخليل بن السميد . ومن تنيس يونس بن الصقر وأحمد بن مسلم بن سلم . ومن دمياط علي بن زائدة . ومن أسوان حماد بن جمهور . ومن الفسطاط أربعة رجال نصر بن حواس وعلي بن موسى الفزاري وإبراهيم بن صفير ويحيى بن نعيم . ومن القيروان علي بن موسى بن الشيخ وغنيرة بن قرطة . ومن باغة شرحبيل السعدي . ومن ثلبيس علي بن معاذ . ومن بالسين همام بن الفرات . ومن صنعاء الفياض بن حمزار بن ثروان وميسرة بن غندر بن المبارك . ومن ملزن عبد الكريم بن غند . ومن طرابلس ذو الفور بن عبيدة بن علقمة . ومن أبنه رجلان يحيى بن بديل وحواشة بن الفضل . ومن وادي القرى الحر بن الزبرقان . ومن الجيزة رجل يقال له سليمان بن داود . ومن ريدان طلحة بن سعيد بن بهرام . ومن الجار الحارث بن ميمون . ومن المدينة رجلان حمزة بن طاهر وشرحبيل بن جميل . ومن الربذة حماد بن محمد بن نصير . ومن الكوفة أربعة عشر رجلا ربيعة بن علي بن صالح وقسيم بن الياس بن أسد

والخضرم بن عيسى ومطرف بن عمر الكندي وهارون بن صالح بن ميثم وزكريا بن سعد ومحمد بن رواية والحرب بن عبد الله بن سلمان وقودة الاعلم وخالد بن عبد القدوس وإبراهيم بن مسعود بن عبد الحميد وبكر بن خالد وأحمد بن ريحان بن حارث وغوث الاعرابي . ومن القلزم المرجئة بن عمرو وشبيب بن عبد الله ومن الحيرة بكر بن عبد الله بن عبد الواحد . ومن كرثا ربا بن حفص بن مروان . ومن الطاهي النجاب بن سعيد وصالح بن طيفور . ومن الاهواز عيسى بن تمام وجعفر بن سعيد الضرير يعود بصيرا . ومن الشام علقمة بن إبراهيم . ومن اصطخر المتوكل بن عبد الله وهشام بن فاخر . ومن المولبان حيدر بن إبراهيم . ومن التيل شاكر بن عبدة . ومن القنديل عمرو بن فروة . ومن الصدائن ثمانية نفر الاخوين الصالحين محمد وأحمد أبني المنذر وتيمور بن الحرث وعماد بن علي بن عامر بن عبد الرحمان بن معروف بن عبد الله والحرسي بن سعيد وزهير بن طلحة ونصر ومنصور . ومن عكبرا زايدة بن هبة . ومن حلوان ماهان بن كثير وإبراهيم بن محمد . ومن البصرة عبد الرحمان بن الاعتف بن سعد وأحمد بن مليح وحماد بن جابر . وأصحاب الكهف سبعة نفر مكسلمينا وأصحابه . والمتاجران الخارجان من انطاكية موسى بن عون وسليمان بن حر وغلامهما الرومي . والمستأمنة إلى الروم أحد عشر رجلا صهيب بن العباس وجعفر بن . . وخلال بن حميد وضرار بن سعيد وحميد القدوسي والمنادي ومالك بن خليد وبكر بن الحر وحبيب بن حنان وجابر بن سفيان . والنازلان بسراديب وهما جعفر بن زكريا ودانيال بن داود . ومن سمرا أربعة رجال خور بن فرخان وسعيد بن علي وشماه بن يزدج وحر بن جميل . والمفقود من مركبه بسلاهط اسمه المنذر بن زيد . ومن سيراف وقيل شيراز الشمك من مسعدة الحسين بن علوان . والهاربان إلى سورانية السري بن اغلب وزيادة الله بن رزق الله . والمتخلي بصقلية أبو داود الشمشاع . والطواف لطلب الحق من بخشب وهو عبد الله بن صاعد بن عقبة . والهارب من بلخ من عشيرته ادس بن محمد . والمحتج بكتاب الله على الناصب من سرخس نجم بن عقبة بن داود . ومن قرغانة ازدجاه بن الوابص . ومن البرية صخر بن عبد الصمد القنابلي ويزيد بن القادر . فذلك ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدد أهل بدر] [دلائل الامامة : ص ٣١٤ - ٣٢٠ —] . وفي نص آخر عن سماعة بن مهران قال : سأل أبو بصير الصادق عدة أصحاب القائم فأخبره بعدتهم ومواضعهم فلما كان العام القابل قال عدت إليه فدخلت فقلت ما قصة المرابط السائح قال :[هو رجل من أصبهان من أبناء دهاقينها له عمود فيه سبعون منا لا يقله غيره ، يخرج من بلده سياحاً في الارض وطلب الحق فلا يخلو بمخالف إلا أراح منه ، ثم إنه ينتهي إلى طازبند وهو الحاكم بين أهل الاسلام . فيصيب بها رجلا من النصاب يتناول أمير المؤمنين ويقيم بها حتى يسري به . وأما الطواف لطلب الحق فهو رجل من أهل بخشب وقد كتب الحديث وعرف الاختلاف بين الناس فلا يزال يطوف بالبلدان لطلب العلم حتى يعرف صاحب الحق فلا يزال كذلك حتى يأتيه الامر وهو يسير من الموصل إلى الرها فيمضي حتى يوافي عكة . وأما الهارب من عشيرته ببلخ فرجل من أهل المعرفة لا يزال يعلن أمره يدعو الناس إليه وقومه وعشيرته فلا يزال كذلك حتى يهرب منهم إلى الاهواز فيقيم في بعض قراها حتى يأتيه أمر الله فيهرب منهم . وأما المتخلي بصقلية فإنه رجل من ابناء الروم من قرية يقال يسلم فسبيتوا من الروم ولا يزال يخرج إلى بلد الاسلام يجول

بلدانها ويتنقل من قرية إلى قرية ومن مقالة إلى مقالة حتى يمن الله عليه بمعرفة هذا الأمر الذي انتم عليه فاذا عرف ذلك وايقنه أيقن أصحابه فدخل صقلية مع عبد الله حتى يسمع الصوت فيجيبه . وأما الهاربان إلى السروانية من الشعب رجلان أحدهما من أهل مدائن العراق والآخر من حبابا بجرجان إلى حكة فلا يزالان يتجران فيها ويعيشان حتى يتصل متجرهما بقرية يقال لها الشعب فيصيران إليها ويقيمان بها حينا من الدهر فإذا عرفهما أهل الشعب آذوهما وافسدوا كثيرا من أمرهما فيقول أحدهما لصاحبه يا أخي إنا قد أوذينا في بلادنا حتى فارقنا مكة ثم خرجنا إلى الشعب ونحن نرى أن أهلها ثائرة علينا من أهل مكة وقد بلغوا بنا ما نرى فلو سرنا في البلاد حتى يأتي أمر الله من عدل أو فتح أو موت يريح فيتجهزان ويخرجان إلى برقة ثم يتجهزان ويخرجان إلى سروانة ولا يزالان بها إلى الليلة التي يكون بها أمر قائمنا . وأما التاجران الخارجان من عانة إلى انطاكية فهما رجلان يقال لاحدهما مسلم وللآخر سليم ولهما غلام أعجمي يقال له سلموية يخرجون جميعا في رفقة من التجار يريدون انطاكية فلا يزالون يسيرون في طريقهم حتى إذا كان بينهم وبين انطاكية أميال يسمعون الصوت فينصتون نحوه كأنهم لم يعرفوا شيئا غير ما صاروا إليه من أمرهم ذلك الذي دعوا إليه ويذهلون عن تجارتهم ويصبح القوم الذين كانوا معهم من رفاقتهم وقد دخلوا انطاكية فيفقدونهم فلا يزالون يطلبونهم فيرجعون ويسألون عنهم من يلقون من الناس فلا يقفون على أثر ولا يعلمون لهم خبرا فيفرق القوم بعضهم لبعض هل تعرفون منازلهم فيقول بعضهم نعم ثم يبيعون ما كان معهم من التجارة ويحملون إلى أهاليهم ويقتسمون ميراثهم فلا يلبثون بعد ذلك إلا ستة أشهر حتى يوافوا إلى أهاليهم على مقدمة القائم فكأنهم لم يفارقوهم . وأما المستأمنة من المسلمين إلى الروم فهم قوم ينالهم أذى شديد من جيرانهم وأهاليهم ومن السلطان فلا يزال ذلك بهم حتى أتوا ملك الروم فيقصون عليه قصتهم ويخبرونه بما هم من أذى قومهم وأهل ملتهم فيؤمنهم ويعطيهم أرضا من أرض قسطنطينية فلا يزالون بها حتى إذا كانت الليلة التي يسري بهم فيها ويصبح جيرانهم وأهل الارض التي كانوا بها قد فقدوهم فيسألون عنهم أهل البلاد فلا يحسون لهم أثرا ولا يسمعون لهم خبرا ويخبرون ملك الروم بأمرهم وأنهم فقدوا فيوجه في طلبهم ويستقصي آثارهم وأخبارهم فلا يعود مخبر لهم بخبر فيغتم طاغية الروم غما شديدا ويطالب جيرانهم بهم ويحبسهم ويلزمهم إحضارهم ويقول ما قدمتم على قوم آمنتهم وأويتهم جميلا ويوعدهم القتل ان لم يأتوا بهم ويخبرهم وإلى أين صاروا فلا يزال أهل مملكته في أذية ومطالبة ما بين معاقب ومحبوس ومطلوب حتى يسمع بما هم فيه راهب قد قرأ الكتب فيقول لبعض من يحدثه حديثهم لانه ما بقي في الارض أحد يعلم علم هؤلاء القوم غيري وغير رجل من يهود بابل فيسألونه عن أحوالهم فلا يخبر أحدا من الناس حتى يبلغ ذلك الطاغية فيوجه في حمله إليه فإذا حضره قال الملك قد بلغني ما قلت وقد ترى ما أنا فيه فاصدقني إن كانوا مرتابين قتلت بهم من قتلهم ويخلص من سواهم من التهمة قال الراهب لا تعجل أيها الملك ولا تحزن على القوم فإنهم لن يقتلوا ولن يموتوا ولا حدث بهم حدث يكرهه الملك ولا هم ممن يرتاب بأمرهم وتائتهم قبلة ولكن هؤلاء قوم حملوا من أرض الملك إلى أرض مكة إلى ملك الاعجم وهو الاعظم الذي تبشر به وتحدث عنه وتعد ظهوره وعدله وإحسانه قال له الملك من أين لك هذا قال ما كنت

بعض إجراءات النصر

عن معالم النصر الذي ينتظر المهدي ﷺ أشرنا إلى العديد من النواحي . امّا عن أدوات النصر يكفي فيها انّ المهدي ﷺ يُنصَر بالرعب ، ويكون معه جبرائيل ﷺ وشملٌ من الملائكة المُوكلين بالنصر بمشيئة الله تعالى ضمن قواعد ومعانٍ محدَّدة في مواثيق التكاليف ومضامين بلاء

لاقول إلا حقا فإنه عندي في كتاب قد أتى عليه أكثر من خمسمائة سنة يتوارثه العلم آخر عن أول فيقول له الملك فإن كان ما تقول حقا وكنت فيه صادقا فاحضر الكتاب فيمضي في إحضاره ويوجه الملك معه نفرا من ثقاته فلا يلبث حتى يأتيه بالكتاب فيقرأه فإذا فيه صفة القائم واسمه واسم أبيه وعدة أصحابه وخروجهم وأنهم سيظهرون على بلاده فقال له الملك ويحك أين كنت عن إخباري بهذا إلى اليوم قال لولا ما تخوفت انه يدخل على الملك من الاثم في قتل قوم برىء ما أخبرته بهذا العلم حتى يراه بعينه ويشاهده بنفسه قال أو تراني أراه قال نعم لا يحول الحول حتى تطأ خيله أواسط بلادك ويكون هؤلاء القوم أدلاء على مذهبكم فيقول له الملك أفلا أوجه إليهم من يأتيني بخبر منهم واكتب إليهم كتابا قال له الراهب أنت صاحبه الذي تسلم إليه وستتبعه وتموت فيصلي عليك رجل من أصحابه والنازلون بسراديب وسمندار أربعة رجال من تجار أهل فارس يخرجون عن تجاراتهم فيستوطنون سراديب وسمندار حتى يسمعون الصوت ويمضون إليه والمفقود من مركبه بسلاقط رجل من يهود أصبهان يخرج من سلاقط قافلة فبينا هو يسير في البحر في جوف الليل إذ نودي فيخرج من المركب في أعلى الارض أصلب من الحديد وأوطأ من الحرير فيمضي الربان إليه وينظر إليه وينظر فينادي أدركوا صاحبكم فقد غرق فينادبه الرجل لا بأس على أني على جدد فيحال بينهم وبينه وتطوى له الارض فيوافي القوم حينئذ مكة لا يتخلف منهم أحدا] (دلائل الامامة : صـ ٣١١ – ٣١٤ –) . أقول : في سند هذه الرواية والتي قبلها نقاش . ومع قطع النظر عن السند فلو صحت يمكن تأويلها على انّ هؤلاء المذكورين أباء أصحاب المهدي ﷺ . لان عدداً من البلاد المذكورة زال وعدداً من الظروف المذكورة انتهت . كما هناك بعض النصوص التي تشير إلى انّ للمهدي ﷺ أصحاباً مذخورين ففي الرواية عن أبي بصير قال : كنت عند أبي عبد الله ﷺ وعنده رجلٌ من أهل خراسان وهو يكلّمهُ بلسانٍ لا أفهمه ثم رجع إلى شيئ فهمتُهُ فسمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : أركض برجلك الأرض فإذا بحر تلك الارض على حافتيها فرسان قد وضعوا رقابهم على قرابيس سروجهم ، فقال أبو عبد الله ﷺ : هؤلاء أصحاب القائم ﷺ] الاختصاص : صـ ٣٢٥ – .

الناس وامتحانِهم حتى لا يسقط ثوابٌ ولا عقاب ، وحتى لا يكون للناس على الله حجّة . لذلك يُواجِهُ معسكر المهدي ﷺ أنواعاً متعدّدة من البلاء كنمطٍ من أنماط البلاء الذي يقع على المؤمنين ليبلوهم أيّهم أحسنُ عملاً .

والروايات التي تشيرُ إلى نصرة المهديِّ ﷺ بالملائكة كثيرة . منها ما أشار إلى عددٍ بعينه ، ومنها ما أشار إلى أكثر من ذلك ، ومنها ما فتح اللفظ على معانٍ واسعة . والقانون العلمي يضمن الجمع بينها وانّ لسان النصوص جاء للبيان من أصلِه لا في حدّه وعدّه . يكفي انّ أصل النصوص تتّفق على انّ المهدي ﷺ منصور بنصر الله تعالى ، وكفى بنصر الله ضمانة . وفي موضوع الملائكة روى أبو بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : [وكّلَ اللهُ تعالى بالحسين ﷺ سبعين ألف ملك يصلّون عليه كلّ يوم ، شعثاً غبراً منذ يوم قُتِل إلى ما شاء الله ، يعني بذلك قيام القائم ﷺ][1] . أي حتى زمن القائم ﷺ وتشير طائفة أخرى انّه إذا خرج القائم ﷺ نصروه .

وعن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله ﷺ قال : [كأنّي بالقائم ﷺ على نجف الكوفة ، وقد لبس درعَ رسولِ الله ﷺ ، فينتفض هو بها فتستدير عليه ، فيغشيها بحداجة من استبرق ، ويركب فرساً أدهم بين عينيه شمراخ ، فينتفض به انتفاضةً لا يبقي أهل بلد إلا وهم يرون أنّه معهم في بلادهم . فينشر رايةَ رسول الله ﷺ ، عمودها من عمود العرش ، وسائرها من نصر الله . لا يهوي بها إلى شيءٍ أبداً إلا هتكه اللهُ . فإذا هزّها لم يبقَ مؤمنٌ إلا صار قلبُهُ كزبرِ الحديد . ويُعطَى المؤمن قوّةَ أربعين رجلاً ، ولا يبقي مؤمن إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قبره ، وذلك حين يتزاورون في

---

[1] كامل الزيارات : ص ٨٤ ب ٢٧ ح ٥ –

قبورهم ويتباشرون بقيام القائم ﷺ ، فينحط عليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلثمائة وثلاثة عشر ملكاً . قلت : كلُّ هؤلاءِ الملائكة ؟ قال ﷺ : نعم ، الذين كانوا مع نوح في السفينة ، والذين كانوا مع إبراهيم حين أُلقي في النار ، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبني إسرائيل ، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه ، وأربعة آلاف ملك مع النبي ﷺ مسومين (كذا) وألف مردفين (كذا) ، وثلثمائة وثلاثة عشر ملائكة بدريين (كذا) ، وأربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتالَ مع الحسين ﷺ فلم يُؤذَن لهم في القتال فهم عند قبره شُعثٌ غُبُر يبكونه إلى يوم القيامة ، ورئيسهم ملك يقال له منصور ، فلا يزُورُهُ زائرٌ إلا استقبلوه ، ولا يودّعُهُ مودّعٌ إلا شيّعُوه ، ولا يمرض مريضٌ إلا عادُوه ، ولا يموت ميت إلا صلُّوا على جنازته واستغفروا له بعد موته ، وكلُّ هؤلاءِ في الارض ينتظرون قيام القائم ﷺ إلى وقت خروجه عليه صلوات الله والسلام][1] .

كلُّ النصوص مُتّفقةٌ على نصرة الملائكة بيعد النظر عن العدد . وهذا يأتي كتأكيد للنصرة المُعدّة لقيام جبهة المهدي ﷺ وبناء العالم على نحوٍ لا يُعبدُ فيه إلا اللهُ تعالى . وهذا معنى من معاني انّ المهدي ﷺ إذا خرج أصلحُ اللهُ أمره في ليلة . فهو يملك من أدوات النصر والثبات والفتح ما لا تملكه أيُّ قوةٍ في الأرض . ومع ذلك نجد في بعض النصوص انّ المهدي ﷺ لا يستعمل بعض الأدوات المخوّل أن يستعملها لما بين يديه من ولاية تكوينيّة لزيد من إلقاء الحُجَج والبيات على الناس وحتى لا يكون للناسِ على الله حجّة . على انّه يعمد إلى استعمالات منها في ظروفٍ متنوّعة بعد تمام الحجّة وفراغ الإمتحان النظري والعملي .

---

[1] كامل الزيارات : ص ١١٩ – ١٢٠ باب ٤١ ح ٥ .

ثم في النصوص ما يشيرُ إلى تنوُّع في الملائكة ، وهذا يعني تنوُّع وظائفهم ﷺ .. ففي رواية علي بن أبي حمزة قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [إذا قام القائم صلوات الله عليه نزلت ملائكة بدر وهم خمسة آلاف ، ثلثٌ على خيولٍ شهب ، وثلثٌ على خيولٍ بلق ، وثلثٌ على خيول حو ، قلت : وما الحو ؟ قال : هي الحمر][1] .

وهي كما ترى تعابير ذات مفهوم تاريخي بالنسبة إلى الدواب ، لكنّها في مضمونها تشيرُ إلى زمن المهدي ﷺ الذي تختلف فيه التقنيات والأدوات ، خاصّةً انّ نصوص آخر الزمان تحدّثت عن تطوّرات هائلة في جانب الإكتشاف والإستغلال البشري للطبيعة والقوانين يرى على أثره أهلُ الشرقِ اهلَ الغرب والعكس ، ويُحمَلون على الغيم ، وتُطوى بهم الأرض ، وتتقاذفهم الطير ، والشهب وشبه ذلك ! بحيث يظنُّ الإنسانُ انّه وصل إلى مرحلة هائلة في السيطرة على الأرض . من هنا فإنَّ الإستعمال التاريخي يُساق في النص كإشارة معبَريّة مع الإحتفاظ بالفارق بين المعنى التاريخي والمعنى الحادث زمن التطوُّرات الهائلة كما أشارت إليها النصوص .

وتشير المتون أنَّ مجموعاتٍ مختلفة وأمم متنوّعة وجبهات متعدّدة ﷺ تُقاتل المهديَّ ﷺ وتُعلن حربها وعدائها في وجهه . من هنا يمكننا أن نقرأ بعض الروايات التي اشارت إلى أنَّ المهدي ﷺ يُعمِلُ السيف في الناس . فبضميمة باقي النصوص التي تؤكّد طابع العدل العظيم والرحمة البالغة والأبوّة الكبرى التي يقوم بها المهديُّ ﷺ ويسير فيها بالناس ، وضميمة النصوص التي تشير إلى إعلان جبهات متعدّدة الحربَ

---

[1] النعماني : ص ٢٤٤ ب ١٣ ح ٤٤ –

على المهديُّ ﷺ والتي تعمد إلى استعمال مخزونها من أدوات الحرب والقتال لإبادة جبهة المهدي ﷺ يصبح المعنى انَّ المهدي ﷺ يُعلن حربه على الطغاة والظالمين بلا رحمة . أما المستضعفين والذين لا يد لهم في ذلك فيشملهم ﷺ برحمة الإسلام العظيمة .

وتتنوّع الرايات التي تُعلن الحربَ على المهدي ﷺ ، حتى الخوارج يُعلنُون حربهم عليه ﷺ . ففي رواية يونس بن ظبيان قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [أولُ خارجةٍ خرجت على موسى بن عمران بمرج دابق وهو بالشام . وخرجت على المسيح بحران . وخرجت على أمير المؤمنين ﷺ بالنهروان . وتخرجُ على القائم ﷺ بالدسكرة دسكرة الملك . ثم قال لي : كيف مسالح دير بين ساكي مسالح ، يعني : عند قريتك وهو بالنبطية ، وذاك أنَّ يونس كان من قرية دير بين ما يقال الدسكرة إلى عند دير بين ما][1] .

وتكون أولى الجبهات الكبرى ضدَّه في المشرق ، جبهة السفياني التي تعبّر عن جبهةٍ واسعةٍ يقودها بعض طغاة العرب . وكذا من قوى العالم مثل الروم والترك والدجّال ويأجوج ومأجوج وغيرها . ما يعني تسلسلاً عنيفاً في إعلان الحرب والإبادة بوجه المهدي ﷺ ، فينتقم اللهُ منهم فيقتلهم المهديُّ ﷺ ويقيم دولةَ اللهِ على جميع أرجاء الأرض .

على انَّ أولى الجبهات تتكوّن في وجهه بالشرق – مقابل الغرب – . وفي رواية يعقوب السراج قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [ثلاث عشرة مدينة وطائفة يحارب القائم ﷺ أهلها ويحاربونه : أهل مكة ، وأهل

---

[1] بصائر الدرجات : صـ٣٣٦ بـ١١ حـ١٢ .

المدينة ، وأهل الشام ، وبنو أمية ، وأهل البصرة ، وأهل دست ميسان ، والاكراد ، والاعراب ، وضبة ، وغني ، وباهلة ، وأزد ، وأهل الري][1] . النص واضح انّه في مقام بيان الكثرة لا الحصر - كما فيه وهن بالسند - .

ثم هناك نصوص كثيرة تؤكّد انّ المهديّ ﷺ يبعثه اللهُ رحمةً وفرجاً . في حين طائفة تشير انّه يبعثُه انتقاماً . أي انتقاماً من الجبابرة والمفسدين . ومعنى هذا انّ المهدي يكون للعالم والكون ومسيرة الوجود رحمة . لكنّه نقمة على الظالمين والطغاة والأئمّة الضالين المُضلّين . وفي رواية معاوية بن عمار عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إذا تمنّى أحدُكُم القائمَ ﷺ فليتمنْهُ في عافية فإنّ اللهَ بعث محمّداً ﷺ رحمةً ويبعث القائم نقمةً][2] . الإمام ﷺ هنا يؤكّد على طابع النقمة من الظالمين ، ويركّز في ذهن السائل انّ المهديّ ﷺ منتقمٌ من أعداء الله ، عظيم في أمرهِ . لا يُهادن في حقّ الله تعالى . بل يخرج في آخر الزمن ليقيم العدل مهما كلّف من أرواحٍ وأنفس وبذلٍ وشبه ذلك .

واللافت أنّ المهدي ﷺ يخرج فيلاقيه الناسُ بإعلان الحروب في وجههِ ﷺ . فيدعوهم إلى دين الله ، وضمانات الدنيا والآخرة ، فيُصرُّون على حربهم . بل يبعث السفياني إليه جيشاً يخرّب المدينة ويسير منها إلى مكّة حتى يقضي على حركة المهدي ويبيد كلّ من يطيعه ويقتل الناس على التهمة والظنّة فيخسف اللهُ به البيداء . عندها يعلن المهدي ﷺ ظهوره المبارك ويسير بجيشٍ كلّه رحمة على الذين آمنوا أو الذين لا يعلمون حتى يعلموا . في حين يصبُّ الغضبَ والنقمة على الطغاة والمستبدّين ، لا يسكن

---

[1] النعماني : صـ ٢٩٩ ب ١٧ - ح ٦ -

[2] الكافي : جـ ٨ صـ ٢٢٣ ح ٣٠٦ -

جيشه إلا بإحقاق الحق وإبطال الباطل وتحويل العالم إلى ساحةٍ وجوديّة تدين لله تعالى بالطاعة .

وفي رواية المفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ وقد ذكر القائمَ ﷺ فقلت : إنّي لأرجو أن يكون أمره في سهولة . فقال ﷺ : [لا يكون ذلك حتى تمسحوا الحلق والعرق][1] .

إشارة إلى حالة الصدّم والترويع التي يعلنها كثيرٌ من جبهات العالم في وجه المهدي ﷺ فيردّ عليها بما مكّنه الله تعالى من الإنتقام لدينه وشريعته لإحقاق الحق وإبطال الباطل ، دون فرق بين رومي أو عربي أو أي شخصٍ آخر . ويجد المهديُ ﷺ من بعض الطغاة أمراً عظيماً ، خاصّةً زمن السفياني ومَن يلتفُّ حوله . فعندها تقع بينه وبينهم حربٌ عظيمة ينتصر على أثرها . فذلك واحد من مصاديق مسح العلق والعرق .

وفي نصٍّ مُعتبَرٍ عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إذا خرج القائمُ ﷺ لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف ، ما يأخذ منها إلا السيف ، وما يستعجلون بخروج القائم ! والله ما لباسه إلا الغليظ ، وما طعامه إلا الشعير الجشب ، وما هو إلا السيف ، والموت تحت ظل السيف][2] . إشارة إلى هذا النحو المثير من نصب العدالة الكبرى والإنتقام من الجبابرة والمفسدين . كما يتضمّن نوعاً من بيان إعلانات الحرب في

---

[1] النعماني : صـ ٢٨٤ بـ ١٥ حـ ٣ .

[2] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : النعماني : صـ ٢٣٤ بـ ١٢ حـ ٢١ ، عن السيد علي بن عبد الحميد في كتاب الغيبة . قال : وبإسناده رفعه إلى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام : - قال ' : إذا خرج القائم عليه السلام لم يكن بينه وبين العرب والفرس إلا السيف ، لا يأخذها إلا بالسيف ، ولا يعطيها إلا به ' . ملاحظة : النص مرفوع .

وجهِ المهدي ﷺ والإلتفاف الكبير الذي يلتفُّ حول السفياني في وجه المهدي ومعسكره فتقع بينهم وبينه حربٌ ضروس خاصّةٌ تلك التي تقع قرب بحيرة طبريّة والتي يُذبح على أثرها السفياني فضلاً عن غيرها من الوقعات التي تشيرُ إلى حربٍ بين أتباع السفيانيين وأتباع المهدي ﷺ . وانّ السفيانيين يواجهون المهدي ﷺ كما واجه أبو سفيان النبيّ ﷺ من قبل ، وكما واجه معاويةُ الإمامَ عليّاً ﷺ من قبل ، وكما واجه يزيدُ الإمامَ الحسينَ ﷺ من قبل . وإذا خرج المهديُّ ﷺ فإنّما يخرج والناسُ يقيمون على أعراف وقيم ودواعي جديدة هي أكثر بُعداً عن الدّين وشريعته .

وتؤكّد النصوص انّ المهدي ﷺ لا يترك لباطلٍ ركناً يُركنُ إليه ولا عدّة يتقوّى بها ولا وصفاً يعدلون به . وانّه ﷺ يُقيم الحقّ والقسطاس المستقيم منذ لحظة خروجه . فإذا واجهته بعضُ أقسام العرب بقتالها الذي يُعبّر عنه السفياني يوجّه إليها جيشهُ حتى ينتقم منها . وينتقم ﷺ بالخصوص من أعداء أهل البيت ﷺ الذين يُعلنون الحرب بحقد دفين على جبهته ﷺ ، ففي رواية بكار بن أبي بكر الحضرمي قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [لَسيرةُ علي بن أبي طالب ﷺ في أهل البصرة كانت خيراً لشيعته ممّا طلعت عليه الشمس ، إنه علم أنّ للقوم دولةً ، فلو سباهم لَسُبيت شيعتُهُ . قلت : فأخبرني عن القائم ﷺ أيسيرُ بسيرته ؟ قال ﷺ : لا ، لأنّ عليّاً ﷺ سار فيهم بالمنّ لِمَا علم من دولتهم ، وإنّ القائم ﷺ يسير فيهم بخلاف تلك السيرة لانه لا دولة لهم][1] . واضح من هذه الرواية وأمثالها

---

[1] المحاسن : ص ٣٣٠ ح ٥٥ – عن الوليد بن صبيح قال : سأل المعلى بن خنيس أبا عبد الله عليه السلام ، فقال : جعلت فداك ، حدثني عن القائم إذا قام يسير بخلاف سيرة علي عليه السلام ؟ قال فقال له نعم ، قال : فأعظم ذلك معلى ، وقال : جعلت فداك ، ممن ذاك ؟ قال فقال : لان عليا سار بالناس سيرة وهو يعلم أن عدوه سيظهر على وليه من بعده ، وإن القائم إذا قام ليس إلا السيف .. " - عن الحسن بن هارون

انّها تاظرة إلى النواصب الذين ينصبون العداءَ لأهل البيت ﷺ ويُعلنون الحرب في وجه المهدي ﷺ مع التأكيد انّ كثيراً من المسلمين سيستجيبون للمهدي ويعلنون الولاء والطاعة له وينضمّون إليه في وجه الأنظمة والجبهات .

وحين يرى السفيانيُّون وأتباعُهم وحلفاءُهم من المهديّ عظيمَ أمره وبطشه الذي يُسقط جبهتهم ويُبطل توحّشهم ويقذف في قلوبهم الرعب يصيحون في الناس : انّه لو كان هذا المهدي من نسل الرسول لمّا قتل كلّ الذي قتل . وانّ النبي دخل مكّة فلم يقتل أهلها . ويبثّون في الناس الدعاية حتى يوهّنوا أمر المهدي ﷺ . والمهديُّ في كل يوم يعظم شأنُهُ وتثبت دولته .

فقد روى يحيى بن العلاء الرازي قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [ينتج الله تعالى في هذه الامة رجلاً منّي . وأنا منه ، يسوقُ اللهُ تعالى به بركات السماوات والارض ، فتُنزِلُ السماءُ قطرها ، وتُخرِجُ الارضُ بذرها ، وتأمن وحوشها وسباعها ، ويملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً ، ويقتُل حتى يقول الجاهل لو كان هذا من ذرية محمّد ﷺ لَرَحِم][1] .

إشارة منه ﷺ إلى دعايةٍ تُثار يُراد منها التشويش على دعوة المهدي ﷺ ، وطمس الحق ، ومنع العدالة ، وعزل قوانين الشريعة من

بياع الانماط قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله المعلى بن خنيس : أيسير القائم إذا قام بخلاف سيرة علي عليه السلام ؟ فقال نعم ، وذاك أن عليا سار بالمن ، والكف لانه علم أن شيعته سيظهر عليهم من بعده ، وإن القائم إذا قام سار فيهم بالسيف .

[1] غيبة الطوسي : صد ١١٥ -

الوجود ، لكنّهم يفشلون في ذلك . ففي طائفة مِن النصوص تأكيدٌ مطلق على أنّ المهدي ﷺ ما دخل أرضاً إلا دخلها الأمن والعدل والسلام . فإذا تمّ ذلك تصايح الناس انّ العدل في المهدي ، داعينَ الشعوب أن يعلنون ولاءهم له . عندها تقوم ضجّة الأنظمة والأمم الجائرة وأساطيلهم الإعلاميّة لتمنع إيصال صوت الحقيقة ، فتستغلّ أناساً مِن المسلمين يتبعون للسفياني أو هم مِن حلفاء الروم والترك وغيرهما بهدف تقليب الناس على المهدي ﷺ ، داعين الناس أن ينضمّوا إليهم في حربهم على المهدي ﷺ .. لا شكّ انّها حرب نفسيّة إعلاميّة تصاحب القتل والفتن والملاحم التي تخوضها الأمم الجبّارة . وهذه لا بدّ للشرّاح مِن الإنتباه إليها جيّداً .

وتشير طائفة من النصوص أنّ بعض الناس يرون في العدل معضلةً بعد ان سكتوا زمناً طويلاً على الظلم والفساد في المواثيق والقيم . فلا يحبّون أن يروا العدل ، فيثيرون الفتن هنا وهناك ، ويساعدون الأمم الجائرة على الإجتياح والظلم والإضطهاد ، فلا يرون من المهديّ ﷺ إلا العدل ، العدل في العقوبة ، العدل في منع الظلم ، العدل في إحقاق الحق وإبطال الباطل . وفي رواية عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ﷺ قال : [.. يقتل القائم ﷺ حتى يبلغ السوق . قال : فيقول له رجلٌ من وُلد أبيه : إنّك لَتُجفِل الناسَ إجفالَ النعم ! فبعهدٍ مِن رسول الله ﷺ أو بماذا ؟ قال : وليس في الناس رجلٌ أشد منه بأساً ، فيقوم إليه رجلٌ مِن الموالي فيقول له : لَتسكُتنّ أو لَأضربنّ عنقَك . فعند ذلك يُخرِجُ القائمُ ﷺ عهداً من رسول الله ﷺ][1] .

---

[1] الفضل بن شاذان على ما في البحار . * : كتاب الغيبة لعلي بن عبد الحميد : على ما في البحار . * : إثبات الهداة : ج ٣ ص ٨٥٥ ب ٣٢ ف ٥٩ ح ٧٩٢ –

لا نعرف تفاصيل عن هذه الحادثة . لكنّها تتضمّن إنزال العدل من المهدي ﷺ على جماعاتٍ اقترفت جرائم خطيرة ، جرائم قتل وإبادة وسعي في الإفساد وإعلان الحرب على الله الرسول والإنسانيّة . كما يمكن أن يكون النص في مقام الإشارة إلى فتنة ما تحصل من جماعةٍ مُفسدةٍ جائرة ، فيقع على أثرها قتل متواصل في تلك الجماعة المنحرفة التي تخوض بالدماء وتساعد أعداء الله والرسول ، فلا يكون جزاءها إلا القتل والقتال ، فيقوم مَن يضطرب من هول القتل دون أن يعرف حقيقة الحال . فإذا أخرجَ المهديُّ البيّنةَ التي تُعجِزُ السائل علم المعترضُ أنّه وقع في أمرٍ لا يجب أن يقع فيه .

أقول : هناك أيضاً بعض النصوص التي تشير إلى مشاهد من القتل ، لكنّها لا تشير إلى الظرف والدواعي فتبقى مخفيّة عنّا . لكنّها تأتي في سياق طابع الحروب المتتابعة والصدامات المختلفة وإعلانات الحروب المتوسّعة التي تُعلنها الأمم الأخرى على جبهة المهدي ﷺ وتستفيد من حركة بعض الأعوان لها في الداخل من أجل القتل والتخريب بأيّ طريقةٍ ممكنة . من تلك النصوص المختصرة التي لا نعرف بيئة حصولها الخاصة ودواعيها التفصيليّة ما وراه سعدان بن مسلم عن بعض رجاله عن أبي عبد الله ﷺ – وهو حديث غير تام السند – قال : [.. بينا الرجلُ على رأسِ القائم يأمره وينهاهُ إذ قال : أديروه ، فيديرونه إلى قدّامه ، فيأمر بضرب عنقه ، فلا يبقى في الخافقين شيئ إلا خافه][1] . فرغم ضعف الحديث واختصاره الشديد إلا انّي نقلتُهُ لأشيرُ إلى أمرٍ رئيسي تُجمعُ عليه النصوص وهو أنّ المهدي ﷺ يقيمُ الحقَّ مطلقاً ، لا تأخذه في الله لومةُ لائم . ميزانُهُ الشريعة ، فمَن يقترفُ الجريمة التي يكون جزاءُها القتل نفّذ فيه حكم القتل دون مواربة أو تأجيل . وهذا بدوره دليلٌ على أنّ المهدي ﷺ يُقيم مواثيق الربِّ مطلقاً ،

لا تأخذهُ في الله لومة لائم ، فإذا أقامه في قضاءه وحُكمه خافه كلُّ شيء في الخافقين ، وعلموا انهم أمام رجلٍ ربانيٍّ لا تأخذه شفقةٌ في أمرِ اللهِ تعالى . على أنَّ بعض النصوص تحتاجُ إلى بيئتِها وفهم الدواعي ومجموع العلامات والصفات حتى نفهمها بشكلٍ أفضل .

ويبدو من النصوص انَّ المهديَّ ﷺ يلقى من بعض القرشيين ما يلقى ، منهم بطبيعة الحال السفيانيين الذين يشكّلون العمود الفقري للجبهة التي تُعلن دون سبب حربها على المهديِّ ﷺ وأتباعِه ، وتبعث بالجنود في الآفاق لطلب أهل البيت وشيعتهم . ومع إعلانِهم الحرب على المهدي ﷺ وتقليب الناس عليه ، بل ومشاركتهم ايضاً في بعض الإنقلابات الدمويَّة ، التي منها انقلاب المدينة . وتصايحهم في الأمم محاربةَ المهديِّ ودخولهم الحرب العنيفة في وجهِه ﷺ يوجِّه إليهم بجنده ويخوض معهم حرباً ضروساً ينتصر على أثرها . ويبدو من النص أنَّ هناك جماعات قرشيّة مسؤولة عن دماء وقتل وإبادة وجرائم خطيرة جداً جزاءُها القتل فيعاقبها المهدي ﷺ بذلك . ففي رواية عبد الله بن المغيرة عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إذا قام القائم من آل محمد صلوات الله عليهم أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم ، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم ، ثم خمسمائة أخرى ، حتى يفعل ذلك ست مرات . قلت : ويبلغ عدد هؤلاء هذا ؟ قال : نعم منهم ومن مواليهم][1] . وتحدّثنا النصوص عن أنَّ تلك الزعامات تكرّس وقتها وإمكاناتها وعلاقاتها وأحلافها لإجهاض حركة المهدي ﷺ والقضاء عليها ، وتخوض مجموع حروب وانقلابات لهذا الهدف ، فلا يكون نصيبها إلا القتل على يد المهدي ﷺ ..

---

[1] الارشاد : ص ٣٦٤ .

كما يطال عدلُ المهديِّ وإثباتُهُ للحقِّ أولئكَ الذين ينضمُّون إلى جبهات الباطل كعيون وجواسيس ووعّاظ ومرشدين ودعامات يتقطّعون بالظاهر ويضمرون الباطل ويجهّزون حركة الإنقلابات والقتل والتخريب ، فينتقم اللهُ منهم ، ويسلّط عليهم وصيَّهُ المهديَّ ﷺ حتى يقيم الحق فيهم . ففي رواية أبي حمزة الثمالي قال : قال أبو عبد الله ﷺ : إ .. لن تبقى إلا وفيها منّا عالمٌ يعرفُ الحقَّ من الباطل . قال : إنّما جُعلت التقيّة ليُحقن بها الدم ، فإذا بلغت التقيّةُ الدمَ فلا تقيّة . وأيم الله لو دُعيتم لتنصرونا لقلتم لا نفعل إنّما نتّقي ، ولكانت التقية أحب إليكم من آبائكم وأمهاتكم . ولو قد قام القائم ﷺ ما احتاج إلى مسائلتكم عن ذلك ، ولأقام في كثير منكم من أهل النفاق حدَّ الله [1] .

لاحظ : الموضوع يتّصل بالمنافقين ، الذين يشكّلون ظاهرةً إضافيّةً يكون همُّها إضعاف دولة المهدي ﷺ والتربُّص به لقتله وإجهاض دولته ، ومعاونة أهل الفساد والجبابرة لتكريس امتيازاتهم وربح منافع الدنيا . وهذا ما لا يستطيعه المنافقون الذين يُنزِلُ المهديُّ ﷺ فيهم حدَّ الله تعالى . وفي التصريح تأكيد على معرفة المهديِّ ﷺ بأهل النفاق ، ميزةٌ من الله تعالى للمهديِّ ﷺ . وبهذا تتماسك جبهة المهدي وتصبح على وحدةٍ تامّة غير ممكن خرقها أو إضعافُها أو معرفة خططها ..

ويبدو أنَّ المهديَّ ﷺ يواجه في الداخل مجموع أعداء ، منهم مَن يتبرّأ من اهل البيت ﷺ ويُعلن الحرب عليهم ، ومنهم مَن يضمر العداءَ ويتخذ الجواسيس ويُحضّرُ للإنقلابات والتخريب ويساهم بأشكال مختلفة

---

[1] التهذيب : ج ٦ ص ١٧٢ ب ٧٩ ح ٣٢٥ .

في ذلك . ومنهم مَن هو في الأصل على غير المذهب ومع هذا فهو شديد العداء لأهل البيت ﷺ وجزء من مخطَّط التخريب ، ومنهم مَن هو على مذهب أهل البيت ﷺ لكنَّه مع الطغاة المفسدين . لهذا فإنَّ المهدي ﷺ يُواجِهُ ظروفاً مختلفة وأعداءً مختلفين في مناطق متعدِّدة في الحجاز والعراق وغيرها . بل يبدو أنَّ محاولة انقلاب تقع في الكوفة في فترةٍ ما ، فيقمعها ﷺ . ويأمر جندهُ أن يُوحِّد لباسه حتى يعرف بعضُهُم بعضاً ثم يخوض معركة ناجحةً في وجه أعداءه ﷺ . ففي رواية عبد الرحمن بن الحجاج عن الصادق ﷺ قال : [إذا قام القائم ﷺ أتى رحبة الكوفة فقال برجله هكذا ، أو أومأ بيده إلى موضع ، ثم قال : أحفروا ههنا ، فيحفرون ، فيستخرجون اثني عشر ألف درع ، واثني عشر ألف سيف ، واثني عشر ألف بيضة ، لكلِّ بيضة وجهان ، ثم يدعو اثني عشر ألف رجل من الموالي من العرب والعجم فيلبسهم ذلك ، ثم يقول : مَن لم يكن عليه مثل ما عليكم فاقتلوه [1] . أي يعلن ﷺ الحربَ على تلك الفئة المعادية التي يبدو أنَّها تقود انقلاباً عسكرياً في تلك المنطقة . ويمكن أن يكون هذا واحداً من مصاديق مواجهة جيش المهدي ﷺ لأتباع السفياني فقد ورد ما يشيرُ إلى ذلك في منطقة العراق .

كما يواجِهُ ﷺ جماعاتٍ تقودُ أفراداً كثيرين من أتباع السفياني والمنحرفين تدَّعي انَّه لا حاجة لها بالمهدي ﷺ ، وانَّ ما لديها من العلم والدراية يكفيها ، وعلى الفور تعلن عداءها وحربها عليه . ففي رواية السيد علي بن عبد الحميد في كتاب الغيبة رفعه إلى أبي عبد الله ﷺ قال : [يقدم القائم ﷺ حيث يأتي النجف فيخرج إليه من الكوفة جيش السفياني

---

[1] الاختصاص : ص ٣٣٤ -

وأصحابه والناس معه وذلك يوم الاربعاء ، فيدعوهم ويناشدهم حقَّهُ ، ويخبرهم أنه مظلوم مقهور ، ويقول : مَن حاجَّني في الله فأنا أولى الناس بالله ... فيقولون : إرجع من حيث شئتَ ، لا حاجة لنا فيك ، قد خبرناكم واختبرناكم ، فيتفرّقون من غير قتال . فإذا كان يوم الجمعة يعاود ، فيجيء سهمٌ فيصيب رجلاً من المسلمين فيقتله ، فيقال : إنّ فلاناً قد قُتل ، فعند ذلك ينشر رايةَ رسول الله ﷺ ، فإذا نشرها انحطّت عليه ملائكةُ بدر ، فإذا زالت الشمسُ هبّت الريحُ له فيحمل عليهم هو وأصحابه ، فيمتحهم اللهُ أكتافهم ويولّون ، فيقتلهم حتى يدخلهم أبيات الكوفة ، وينادي مناديه : ألَا لا تتّبعوا مولّياً ولا تُجهِزُوا على جريح ، ويسير بهم كما سار علي ﷺ يوم البصرة [1] .

واضح أنّ هؤلاء يبدءون حرباً على المهدي ﷺ ، وبعضُ أصحابه يُقتَل . إشارة إلى إعلانهم الحرب . وان هؤلاء من الأعداء ، فيواجههم المهديُّ ﷺ وينتصر عليهم .

هذا يعني انّ معاناة المهدي ﷺ متعدّدة ، وأعداءه كثر ومنتشرون في البقاع . بل يدعون انّهم يملكون من العلم والدراية ما يخوّلهم أن يأمروه بالرجوع وانه لا حاجة لهم به . وإلا فإنهم سيُعلنون القتال في وجهه ، وفعلاً يُعلنون القتال في وجهه ، وهم بطبيعة الحال من الأعداء المُتربّصين به ، فينتصر عليهم ﷺ ، ويقيم حقّ الله في أرضه من تلك البقعة ، ويأمر

---

[1] التبيه للسيد علي بن عبد الحميد : على ما في البحار . وإثبات الهداة . * : البحار : ج ٢ : صـ ٢٨٧ ٢٨٨ ب ٢٧ ح ٢٠٥ —

بالإحسان في الناس حتى يتبيَّنَ لهم الحق [1] . وفي أوّل الأمر لا يجدُ المهديُّ ﷺ راحةً من بعض الأمم . فهو بمجرّد أن يُعلن عن ظهوره الشريف تتجمّع في وجهه الجبهات ، وتتبارى في حربه على نحوٍ متعاقب ، بل هناك فئات تتفاخر في البراءة من المهدي ﷺ ، فتعلن عداءها له ، وتحالفها مع القوى الجبّارة ، وتمتهن أساليب التضليل وغضّ الناس من حوله ﷺ . وفي رواية المفضل بن عمر قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : ما علامة القائم ؟ قال : [إذا استدار الفلك ، فقيل : مات أو هلك ؟ في أي وادٍ سلك ؟ قلت : جعلت فداك ، ثم يكون ماذا ؟ قال ﷺ : لا يظهر إلا بالسيف][2] .

أي يبرءون منه ﷺ ويدّعونه أنّه مات أو انقرض . وهم بذلك يناصرون الأباطرة والجبابرة الذين هم أوّل مَن يخوض غمار هذا المفهوم

---

[1] هناك من النصوص ما يؤكّد انّ الناس يحسنون القرآن في تفسيره على غير معانيه وهذا نوع من أنواع التحريف المعنوي الذي يصيب القرآن . من هنا يعترضون على المهدي وهم يتفاخرون فيما بين أيديهم من التفسير على الأهواء وشبه ذلك . وفي رواية سالم بن أبي سلمة قال قرأ رجل على أبي عبد الله ﷺ وأنا أسمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرأها الناس . فقال أبو عبد الله ﷺ : [مه مه ، كفّ عن هذه القراءة ، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم ﷺ ، فإذا قام قرأ كتاب الله على حدّه ، وأخرج المصحف الذي كتبه علي ﷺ (أي القرآن الذي فسّره ﷺ وبيّن فيه حقائق الأحكام وحدودها) . وقال ﷺ : أخرجه علي ﷺ إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم : هذا كتابُ الله كما أنزل الله على محمد ، وقد جمعته بين اللوحين ، فقالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه ، فقال : أما والله لا ترونه بعد يومكم هذا أبداً ، إنما كان عليّ أن أخبركم به حين جمعته لتقرؤوه] [بصائر الدرجات : ص ١٩٣ ب ٦ ح ٣ –] . أقول : ثبت عندنا في النصوص الكثيرة المعتبرة انّ القرآن الذي يأتي به المهدي ﷺ هو عينه القرآن الموجود بين ايدي الناس الآن ، لكنّ الناس حرّفوا في تفسيره وتحديد مراميه فالذي بقيمه المهدي ﷺ هو تفسيره الذي شرحه الإمام علي ﷺ في الكتاب الذي هو إملاء رسول الله وخط علي بن ابي طالب ﷺ .

[2] النعماني : ص ١٥٦ – ١٥٧ ب ١٠ ح ١٩ –

من المعركة . فإذا ظهر ﷺ تظاهرَ عليه هؤلاء لقتاله وإنهاء حركته ، فيواجههم ﷺ بقوةٍ تهزمُهم وتحقّق له نصرَ الله تعالى . والغريب تأكيدُ بعض المتون أنّ كثيراً من العرب يلتفُّ حول السفياني ، فيما يكونُ القليل منهم مع المهدي ﷺ . ففي رواية أبي المغرا عن ابن أبي يعفور قال : سمعتُ أبا عبد الله ﷺ يقول : [ويلٌ لطغاة العرب من أمرٍ قد اقترب . قلت : جُعلتُ فداك كم مع القائم من العرب ؟ قال ﷺ : نفر يسير . قلت : والله إن من يصف هذا الامر منهم لكثير ، قال ﷺ : لا بدّ للناس من أن يُمحّصُوا ويُميَّزُوا ويُغربَلُوا ويُستخرَجُ في الغربال خلقٌ كثير][1] .

وفي نصٍّ آخر عن موسى الابار عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إتّقِ العربَ ، فإنّ لهم خبرَ سوءٍ ، أما إنه لا يخرج مع القائم منهم واحد][2] .

أقول : مع تغاضينا عن السند ، المقصود أنّ كثرةً من العرب لا تكون مع المهدي ﷺ ، وإلا فالنصوص الكثيرة والمعتبرة تؤكّد انّ طوائف من العرب تكون مع المهدي ﷺ ، تنصرهُ وتنادي به ، وهي على ولايته ، بل منهم أبدال الشام وعصائب العراق ونجباء مصر . وهؤلاء يكونون من صفّ القيادة الأوّل . وعليه : لا بدّ من تأويل هذا المتن بأنّ المقصود به ليس كل العرب . بل المقصود طغاتهم المذكورين في الرواية السابقة ، لأنّ هذا المتن بظاهره الحرفي مُعارَضٌ بروايات كثيرة معتبرة ، تؤكّد خروج قسم من العرب مع المهدي ﷺ ، مثل حركة اليماني ونجباء مصر وأبدال الشام وعصائب العراق وغيرها التي تذكر أنه يكون مع المهدي جماعات من العرب . نعم هم جماعات قليلة بالنسبة إلى عدد العرب الكبير .

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٧٠ ح ٢ .

[2] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : ص ٢٨٤ .

ثم هناك بعض النصوص تشير إلى أنّ المهدي ﷺ يخرج بالذبح ، وهي خلاف النصوص الكثيرة التي تؤكّد انّ المهدي ﷺ يخرج بالفرج والرحمة وشبه ذلك ، والصحيح انّ هذه النصوص يُرادُ منها قتلُ الجبابرة والأباطرة المُفسدين وطغاة العالم ، فإنّ هذا التعبير يناسبُهم قطعاً وواقع فيهم . وعليه : هذا الصنف من الكلام معطوف على مواجهة الأمم المستبدّة للمهدي ﷺ وإعلاناتها للحرب والزحف على دولته المباركة . بل على أوّل مقار إعلان ظهوره وهو الحجاز ، وبالأخص مكة . وعليه : تكون الروم أوّل مَن يدعم السفياني وتدعيم أمره . ثم السفياني يكون اوّل من يعلن الحرب الضخمة على المهدي ﷺ ويجهز الجيش لتدمير الأرض التي يكون فيها المهدي ﷺ . فيواجههم المهدي ﷺ بعد الخسف الذي يقع بجيش السفياني في البيداء . وتكون وقعة عنيفة بينهم وبينه في طبريّة ، يكثر فيها القتل والذبح . بهذا النمط يجب فهم النصوص التي هي عبارة عن مقطوعات تحتاج إلى ضم بعضها إلى البعض الآخر . ففي رواية الربعي عن رفيد مولى أبي هبيرة قال قلت لأبي عبد الله ﷺ : جعلت فداك يا ابن رسول الله ، يسير القائم بسيرة علي بن أبي طالب في أهل السواد ؟ فقال : لا يا رفيد : إنّ علي بن أبي طالب سار في أهل السواد بما في الجفر الابيض ، وإنّ القائم يسير في العرب بما في الجفر الاحمر . فقلت له : جُعلتُ فداك ، وما الجفر الاحمر ؟ قال : فأمر إصبعه إلى حلقه فقال : هكذا ، يعني الذبح ، ثم قال : يا رفيد : إنّ لكل أهل بيت نجيباً شاهداً عليهم شافعاً لأمثالهم [1] . أي

---

[1] بصائر الدرجات : ص ٥٢٢ ب ١٤ ح ٤ – عن ابن سنان ، عن رفيد مولى أبي هبيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي : " يا رفيد ، كيف أنت إذا رأيت أصحاب القائم قد ضربوا فسطاطيطلهم في مسجد الكوفة ، ثم أخرج المثال الجديد على العرب شديد ، قال : قلت جعلت فداك ما هو ؟ قال : الذبح ، قال قلت : بأي شئ يسير فيهم ، بما سار علي بن أبي طالب في أهل السواد ؟ قال : لا يا رفيد ، إن عليا عليه السلام

يقيم المهديُّ ﷺ في خصوص الجبابرة والطغاة وأتباعهم حُكمَ الله تعالى ، فيواجه حروبهم بحربٍ ضروس وقتالٍ شديد لا انهزام فيه ، بل ثباتٌ دائم وقتالٍ هائل ينصرهُ اللهُ على أثره[1] .

ثم حين يظهر المهديُّ ﷺ ينكرهُ كثيرٌ من الناس . ويدعي قومٌ أنّه هلك ، وانقرض ، وذلك يكون حين يموت ذكرُ المهديِّ في الناس . وفي رواية أبي سعيد الخراساني قال قلت لأبي عبد الله ﷺ : [المهدي والقائم واحد ؟ فقال : نعم . فقلت : لأيِّ شيء سُمِّي المهدي ؟ قال ﷺ : لأنّهُ يهدى إلى كلِّ أمرٍ خفي ، وسُمِّي القائم لأنه يقوم بعدما يموت (ذكره) إنّهُ يقوم بأمر عظيم][2] .

سار بما في الجفر الابيض وهو الكف ، وهو يعلم أنه سيظهر على شيعته من بعده ، وإن القائم يسير بما في الجفر الاحمر وهو الذبح وهو يعلم أنه لا يظهر على شيعته " . النعماني : صـ ٢١٩ ب ٢١ ح ٦ – عن جعفر بن يحيى ، عن أبيه ، عن أبي [عبد الله] جعفر [بن محمد] عليهما السلام أنه قال " كيف أنتم لو ضرب أصحاب القائم عليه السلام الفساطيط في مسجد كوفان . ثم يخرج إليهم المثال المستأنف ، أمر جديد على العرب شديد " .

[1] وعلى هذا لا بدّ من تفسير بعض الروايات الواردة بهذه المعاني المبهمة بعض الأحيان لانقطاع الرواية عن البواعث والظروف المبيّنة مثل رواية عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ﷺ قال : [لا تذهب الدنيا حتى تندرس أسماء القبائل ، وتنسى القبيلة إلى رجل منكم فيقال لها آل فلان ، وحتى يقوم الرجل منكم إلى حسبه ونسبه وقبيلته ، فيدعوهم فلا أجابوه وإلا ضرب أعناقهم] الكتاب الغيبة ، للسيد علي بن عبد الحميد : على ما في البحار . * : البحار : ج ٥٢ صد ٣٨٩ ب ٢٧ ح ٢١٠ –] . مع تأكيدي على أنّ في بعضها نقاش بالسند وفي البعض الآخر نقاش في المتن إلا أن يتم جمعها مع النصوص التي تقول بأن المهدي إذا خرج قام بالعدل والرحمة وأظهر الله الفرج على يديه وإذا دخل أرضاً دخلها الأمن والعدل والرحمة .

أقول : لا بدّ من فهم قواعد الشرح والبيان وجمع النصوص وذوق الإستعمال الكلامي قبل أي شيء .

[2] الفضل بن شاذان : عني ما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : صـ ٢٨٢ – وفي : صـ ٢٦٠ – بسند روايته الاولى ، وفيه " قلت لأبي عبد الله عليه السلام لاي شئ سمي القائم ؟ قال : لانه يقوم بعدما يموت ، إنه يقوم بأمر عظيم ، يقوم بأمر الله سبحانه " . وقال " فالوجه في هذه الاخبار وما شاكلها أن نقول يموت ذكره ، ويعتقد أكثر الناس أنه بلي عظامه ، ثم يظهره الله كما أظهر صاحب الحمار بعد موته الحقيقي ، وهذا وجه قريب في تأويل الاخبار ، على أنه لا يرجع بأخبار آحاد لا توجب علما عما دلت العقول عليه ،

أقول : النصوص أكّدت أنّ ظهور المهدي عليه السلام يكون حين يموتُ ذكرهُ في الناس ويقول القائل : هلك أو في أي وادٍ سلك . فإذا ظهر أعلنَ الطواغيتُ الحربَ في وجههِ فيلقاهم المهديُّ بالحرب . ويكون له النصر عليهم بإذن الله تعالى .

وسياق الاعتبار الصحيح إليه ، وعضده الاخبار المتواترة التي قدمناها ، بل الواجب التوقف في هذه والتمسك بما هو معلوم ، وإنما تأولنا بعد تسليم صحتها على ما يفعل في نظائرها ، ويعارض هذه الاخبار ما يتافيها " . يسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله ، في حديث شريف طويل في معاني أسماء محمد وعلي وفاطمة والائمة عليهم السلام ، أنه صلى الله عليه وآله قال ه . . وسمي القائم قائما لانه يقوم بعد موت ذكره ه . ملاحظة : " يقرب إلى الذهن أن في النسخة التي نقل عنها الشيخ الطوسي قدس سره سقطا وأن أصل الرواية يقوم بالدين بعد ما يموت ، أي بعد ما يموت الدين وهو المناسب لقوله " إنه يقوم بأمر عظيم " أي يحيي الدين بعد غربته وموته . وعليه فلا موجب لتأويل معنى موت المهدي عليه السلام بموت ذكره ، خاصة بملاحظة تأكيد الائمة عليهم السلام على حياته وأنه من ضرورات المذهب " . [المعجم] .

من الأمور اللافتة تركيز بعض النصوص على انّ المهديّ ﷺ إذا ظهر يجد بين أيدي الناس أموراً مختلفة عما هو في مواثيق الشريعة ، منه تفسيرات منحرفة ، وتأويلات باطلة ، ونصوص مُنتَحَلة ، وأمور أُميتَت رغم صحّتها وظهورها البيّن . يجد القرآن بلا عمل ، معزول ، منبوذ من حياة الجماعة والأمّة والإجتماع السياسي ، والسنّة مهجورة متروكة . هذا معنى من معاني النصوص التي قالت : آخر الزمان يصبح القرآن رسماً والإسلام إسماً . أي كلاهما مهجور معزول بلا عمل . فيبدأ ﷺ مرحلةً كبرى من إعلان الإسلام كما نزل على النبيّ ﷺ ، ويأمر بتثبيته وإعلانه وثيقةً وجوديّة في عالم الإنسان بشرق الأرض وغربها . وفي النص عن محمد بن عجلان عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إذا قام القائم ﷺ دعا الناس إلى الاسلام جديداً ، وهداهم إلى أمرٍ قد دُثِر فضلَّ عنه الجمهور . وإنّما سُمّي القائم مهديّاً لانه يهدى إلى أمرٍ مضلول عنه ، وسُمّي بالقائم لقيامه بالحق][1] .

النص شديد الوضوح في انّ شيئاً من الإسلام ضلّ القومُ عنه ، بل اندثر . فهو مهجور معزول ، فضلاً عن التأويلات الباطلة التي تمثّل خدمةً

---

[1] الارشاد : صـ ٣٦٤ –

للبلاط مرّة والإمتيازات مرّةً أخرى . ومن يراقب أزماننا هذه يجد انّ اكثر الإسلام مهجور . حتى انّ بعض الزعامات تقول : ليس في الإسلام إلا بنية أخلاقيّة . أي هو مجرّد مبادئ لا إلزام لها ..! والنساء المتعريات تقول : ما للإسلام ونظريّة الأخلاق .! والفسقة من القوم يقولون : نريد المزيد من إباحية الغرائز . إلا من قلّة ما زالوا يلتزمون الإسلامَ كميثاق وسلوك ويُضحُّون بكلّ غالٍ ورخيصٍ من أجله .

وفي رواية عبد الله بن عطاء المكي عن شيخ من الفقهاء يعني أبا عبد الله ﷺ قال : سألته عن سيرة المهدي كيف سيرته ؟ فقال : [يصنع كما صنعَ رسولُ الله ﷺ ، يهدم ما كان قبله كما هدمَ رسولُ الله ﷺ أمرَ الجاهلية ، ويستأنف الاسلامَ جديداً][1] . أي يُعيد العملَ بالإسلام بعد عزلٍ شديدٍ بطائه .

وعليه : يخرجُ المهديُّ ﷺ والناسُ على مواثيق وقيم وأعراف وتقاليد ومعايير شديدة الإنحراف عن الإسلام . ويكفي اليوم انْ أنظمتنا تتباهى بالعلمنة مرجعاً لشرعنة المجتمع في وقت تُحيل الإسلامَ جانباً .! وتتركه مهجوراً .! بلا قيمة وظيفيّة إلا في موتٍ أو دفنٍ أو خدمة لسلطان زائف ..!

وفي رواية أبي بصير قال : قلتُ لأبي عبد الله ﷺ : أخبرني عن قول أمير المؤمنين ﷺ : إنّ الاسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء . فقال : [يا أبا محمد ، إذا قام القائم ﷺ استأنف دعاءً جديداً كما دعا رسولُ الله ﷺ قال : فقمت إليه وقبّلتُ رأسه وقلت : أشهد أنّك إمامي

---

[1] النعماني : ص ٢٣٠ - ٢٣١ ب ١٣ ح ١٣ -

في الدنيا والآخرة أُوالِي وليَّك وأُعادي عدوَّك ، وأنك وليُّ الله . فقال ﷺ : رحمك الله][1] .

بحيث يدعو المهديُّ إلى الإسلام ليس دعاء التنظير بل دعاء التثبيت والحكم وشرعنة الأمم وبقاع الأرض على مواثيق الشريعة ومنطق القرآن والسنّة . فيحكم في الشعوب على هذا النحو ، فيراهُ بعضُ الناس والأباطرة الذين تعوَّدوه غريباً عن طباعهم ومشاربهم يرونه خطراً بعد أن ألفوا مفاهيم وأعراف وتقاليد وقيم ومواثيق ترتبط بالغريزة والهوى والإحتكار الذاتي والمفهوم المادّي الضيّق والنزعة الترابيّة وشبه ذلك .

وعلى الأثر يقوم المهديُّ ﷺ بجهدٍ جبّارٍ لإعادة تثبيت الإسلام في سكّة مرجعيّة الوجود وشرعنة الأمم ، فتقف بوجهه أعظمُ قوى العالم آنذاك ، وبلا إنذار تعلن الحروب عليه في أكثر من قُطرٍ وحلفٍ وجبهة . فيواجههم بالقوّة ، فينتصر عليهم ، ويقيم فيهم حكم الله تعالى . وفي رواية أبي خديجة عن أبي عبد الله ﷺ أنه سُئل عن القائم ﷺ ؟ فقال : [كلنا قائمٌ بأمرِ الله ، واحدٌ بعد واحدٍ ، حتى يجيئ صاحب السيف (المهدي) . فإذا جاء صاحبُ السيف جاء بأمر غير الذي كان][2] .

أي يقيمُ حقّ الله تعالى وشريعة الإسلام الشريف قهراً عن سلاطين وأباطرة الفساد والطغاة المُستبدّين ووحوش الغرائز .

---

[1] النعماني : ص ٣٢٢ ب ٢٢ ح ٥ .

[2] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . ● : الكافي : ج ١ ص ٥٣٦ ح ٢ – الإرشاد : ص ٣٦٤ – وقال " روى أبو خديجة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال " إذا قام القائم عليه السلام جاء بأمر جديد كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله في بدو الاسلام إلى أمر جديد " . عن أبي خديجة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا قام القائم جاء بأمر غير الذي كان " .

والناس آنذاك طوائف : منهم مَن يُعلن الولاية والبيعة والطاعة للمهدي ﷺ . ومنهم من ينضم إلى أخطر وأكبر المعسكرات لقتال المهدي . أما هويّة الجبهات فمختلفة ، منها العربيّة ، ومنها الروميّة ، ومنها التركيّة ، ومنها اليهوديّة ، ومنها غير ذلك مثل جبهة يأجوج ومأجوج الضخمة جداً .

وتكون هذه الجبهات في بقاع مختلفة من الأرض . من الشرق والغرب . ويبدو انّ الغرب المسيحي سواء الأوروبي أو الأمريكي أو كلاهما بالإضافة إلى بعض القوى في الجبهة الآسيويّة الأفريقيّة وهم يبذلون ما بوسعهم لإسقاط وتقويض جبهة المهدي ﷺ . نعم لم يثبت من خلال الروايات انّ العالم يجتمع على المهديّ في وقتٍ واحدٍ وقوّةٍ واحدة . بل يلوح من الروايات انّ جبهات العالم تكون متنافسة مصلحيّاً على المسرح الدولي بأكثر من صيغة وشكل وغاية وبينها خلافات مصلحيّة . وهذا ما يساعد جبهة المهدي على الإنخراط في قتال جبهوي تنتصر فيه بإذن الله تعالى ، فبعض من الجبهات تهادنها مثل الروم التي تغدر فيما بعد بجبهة المهدي . ويخوض المهدي معها حرب ضارية تنتهي بنصره ﷺ بعد معارك وُصفت بالملحمة ..

لذلك فإنّ حركة المهدي ﷺ تُواجه أنماطاً وقيماً وأعرافاً ومعسكرات مختلفة بأزمان متعدّدة وبقاع متنوّعة . وسط انحراف مرير عن شريعة الله وطغيان قيم وأعراف ومرجعيّات ثقافيّة ومواثيق علمانيّة ذات مدلول غريزي ونزعة ماديّة شديدة في ظل تعطيل كبير لشريعة الإسلام وهجران هائل لقيم الكون والفقه الوجودي القائم على ربط الأرض بالسماء . وفي رواية بريد بن معاوية قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [يا بريد ، لا والله ما بَقِيَت لله حرمةٌ إلا انتُهِكَت ، ولا عُمِلَ بكتابِ الله ولا سُنَّة نبيِّه

في هذا العالم ، ولا أقيم في هذا الخلق حدٌ منذ قبَضَ اللهُ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ، ولا عُمِلَ بشيئٍ من الحقّ إلى يوم الناس هذا .

ثم قال : أما والله لا تذهب الايام والليالي حتى يُحيي اللهُ الموتى ويُميت الاحياء ، ويردّ اللهُ الحقّ إلى أهله ، ويقيم دينه الذي ارتضاهُ لنفسه ونبيّه ، فأبشروا ثم أبشروا ثم أبشروا ، فوالله ما الحق إلا في أيديكم][1] .

إشارة منه ﷺ إلى الإنتهاك الضخم الذي وقع على شريعة الإسلام ، وظلّ يتمادى ، حتى يصل آخر الزمان مدعّماً مساحةٍ شاسعة في الدواعي والأعراف والتقاليد والبواعث ومعايير تقييم السلوك ، بل نصب مصادر للقيم والتشريع شديدة التصادم والخصام مع منطق الكون والإنسان . وقد اشرنا إلى الكثير من تلك القيم شديدة الغرابة والإنحراف عن ميثاق الكون والطبيعة .

---

[1] الكافي : ج ٣ ص ٥٣٦ - ٥٣٨ ح ١ -

التطور والرخاء في عصر المهدي ﷺ

من الأمور اللافتة انّ نصوص آخر الزمان تؤكّد على طابع التطوّر والإستغلال الطبيعي للنواميس وشبه ذلك ، وتصرّ على انّ الإنسان يبلغ مرحلةً شديدة التطوّر في مجالاتٍ مختلفة . منها ثورة هائلة في الطب ، وثورة هائلة في الإتصالات والمواصلات والعمران بما تعنيه من تقدّم مذهل في الميكانيك والذرّة وغيرها من علوم الطبيعة ونواميس الكون . ومنها ثورة غير مسبوقة في هندسة الزراعة وعطايا الأرض وغيرها . بحيث ترى الأرض ذات غنى تقني هائل غير معروف من قبل في شتّى ميادين الحياة ..

أقول : ربّما كان معنى هذه النصوص غريباً عن ذهن السامع بالأمس على اعتبار انّه يسمع طلاسم بعيدة عن مشاهدة الحس ، والإنسان بطبعه مَيّال إلى الإستهجان والسؤال . وبالتالي كان المسلمون يؤمنون بهذه النصوص لأنّها واردة عن طريق الوحي والعصمة . فقد كان مستهجناً قول الإمام علي ﷺ : لو شئتُ لجعلتُ من الحديد طائراً . وأيضاً قوله : لو شئت لجعلت من الماء نوراً وغير ذلك . لكنّ الأصحاب والأتباع يُؤمنون بذلك ويرونَهُ ممكناً وواقعاً بمجرد ان يشيرَ إليه المعصوم ﷺ . وهكذا نقرأ الآن نصوصاً نستغرب معانيها وربّما شعرنا بأنّها طلاسم ، لكن ما دام انّها واردة عن لسان المعصوم ستتحقّق ، لا بدّ من ذلك . وما تحقّق من

أحاديثهم دليلٌ مطلق وموضوعي على باقي الأحاديث في وجه كل أصناف الناس العقلاء . ثم النصوص التي وردت عنهم ﷺ كثيرة ، وأعظمها قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾ ففي هذه الآية تأكيد على أنّ الإنسان يصل إلى مرحلة شديدة التطوُّر والسيطرة على الطبيعة يظنُّ الإنسانُ معها انّه قادرٌ على الأرض ، أي قادر بالأنظمة والنواميس التي استغلّها واكتشفها وطوّرَ ما يناسبها من أدوات في شتّى المجالات التي تتقاطع سلوك وغايات الإنسان وضمن الإمكانات التي تسمح بها الطبيعة . لكنّها تبدو كبيرة وهائلة بشهادة الآية الكريمة . هذا معنى النصوص التي تؤكّد انّ العلم يكثر ويكبر ويتمّ الإعلان عن تطور هائل في المجال العلمي الذي يتقاطع قطاعات النفع الوظيفي عند الإنسان .

ففي رواية صالح بن حمزة عن أبان عن أبي عبد الله ﷺ قال : [العلمُ سبعةٌ وعشرون جزءاً ، فجميعُ ما جاءت به الرسل جزءان ، فلم يعرف الناسُ حتى اليوم غير الجزءين ، فإذا قام القائم ﷺ أخرج الخمسة والعشرين جزءاً ، فبثّها في الناس وضمّ إليها الجزئين ، حتى يبثّها سبعةً وعشرينَ جزءا][1] .

إشارة إلى علمٍ مُذهل وتطوُّر جبّار . بل إلى علم لم تحصل البشريّةُ منه قبل الظهور الشريف إلا على ٢ من أصل ٢٧ ..! تأكيد تام ومطلق على أنّ مستوى العلم والتطوُّر الذي سيُترجم إلى أدوات وتقنية وتكنولوجيا سيكون كبيراً جداً ومذهلاً ؛ كبير إلى درجة ٢٥ مرّة زيادة على درجة العلم

---

[1] الخرائج : ج ٢ ص ٨٤١ ـ ١٦ ح ٩٥ .

المُكتشف من قبل . وهذا يعني دهشةٌ وسيطرةٌ على الكون بطريقةٍ لا يمكنُ لعقلنا أن يتصوّرها الآن .. ثمّ النص واضح في أنّ الذي يبثُّ العلم ويخرجه ويكشفه للناس هو المهدي ﷺ . وهذا أمر جدير بالإنتباه والملاحظة .

أهميّةُ النصّ انّه يؤكّد على طابع التطوّر الهائل في المجال العلمي الوظيفي للبشر في آخر الزمان . ويعتبر المتن هذا العلم من جواهر علم آل محمّد ﷺ . وهناك تأكيد من الأئمّة على انّ للمهديّ خصوصيّة خاصّة في مجال ما خصّهُ اللهُ بهِ من العلوم مقابل عصر البشريّة السابق . ففي رواية أبي يحيى قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [إنّ اللهَ خيّر ذا القرنين السحابين الذلول والصعب ، فاختار الذلول ، وهو ما ليس فيه برق ولا رعد ، ولو اختارَ الصعب لم يكن له ذلك ، لأنّ اللهَ ادّخرهُ للقائم ﷺ][1] .

ما يعني انّ هناك من العلوم والتقنيّات الصعبة والقوانين الكونيّة الهائلة التي سيتمُّ الكشف عنها زمنَ المهدي ﷺ وعلى يدِ المهديّ وتكون مخصوصةً لزمن وعصر وحكومة المهديّ ما تقطع معه البشريّةُ مراحلَ مذهلةً لا تُقاس أبداً بما سبق . وهذا يُفسّر النصّ السابق من انّ المهديّ ﷺ يُخرجُ للناسِ من العلم : ٢٥ جزءاً بعدما كانوا قد علموا منه درجتين فقط فوصلوا فيها إلى ما وصلوا إليه .!

هذا يضع بين أيدينا مفهوماً متطوّراً جداً حول المعنى الراسخ في الآية القرآنيّة من قوله تعالى : ﴿ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾ . وبالتالي تكون النصوص التي تشير إلى انّ أهلَ المشرق يرون أهل الغرب والعكس ، وانّ الناس يطيرون في قبابٍ من نور ،

---

[1] بصائر الدرجات : ص ٤٠٩ جزء ٨ باب ١٥ ح ٤ –

وتُطوَى بهم الأرض ، ويُحمَلُون على الغيم وغيرها ، تكون جزءاً بسيطاً من سلسلة التطوُّر الهائل الذي يكون على زمن حكومة المهدي بل على يده الشريفة ﷺ ..

وفي رواية أبي بصير قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [إنه إذا تناهت الامورُ إلى صاحبِ هذا الامر رفع اللهُ تبارك وتعالى له كلَّ منخفضٍ من الارض ، وخفضَ له كلَّ مرتفعٍ منها ، حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته ، فأيكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها][1] .

لا يمكن التفسير النهائي لهذه الرواية من خلال الأقمار الصناعيّة أو طائرات التجسُّس أو المراكب الجويّة وشبه ذلك . لأنَّ النص كما هو واضح أوسع وأكبر معنى من هذه المصاديق البسيطة . إنّها إشارة شديدة الوضوح إلى سلطةٍ هائلة تكون بين يدي المهدي ﷺ وهو الذي يكشف من العلم ٢٥ جزءاً إضافة إلى الجزئين اللذين كُشفا من قبل على طول مسيرة البشريّة ..!

هذا من جهة العلم والقوانين الطبيعيّة المستغلّة .

أمّا من جهة الولاية التكوينيّة التي تكون بيد المعصوم فالحديثُ عنها أمرٌ آخر . لأنّها سلطةٌ من الله تعالى للمعصوم وعلى نحو الإعجاز الخاص به ﷺ ، سواء كان نبيّاً أو وصيّاً . وهذه تشكّل معنىً مذهلاً لأنّها من عالم المعجزات . وقد قال الله تعالى بحقّ نبيّه المسيح ﷺ : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ . أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٧٤ ب ٥٨ ح ٢٩ .

الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فيه فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

وبالإجمال : النصُّ يؤكِّد انَّ كلَّ شيءٍ في هذه الدنيا يصبح تحت نظر المهدي ﷺ ، فلا يحجبه حائل مرتفع أو مهد منخفض ، وهو نحو من سيطرة الكشف فضلاً عن سيطرة الوسائل ، وذلك بعدما تكون الأرضُ كالكرة بين يديه . إشارة إلى الأدوات الهائلة ذات الكشف والسيطرة المذهلة التي يمتلكها المعصوم ﷺ ..

ثم يكون لسكان دولة المهديِّ ﷺ التي تشمل المشرق والمغرب قدرة استغلاليّة نفعيّة من تلك الكشوفات العلميّة الهائلة . وقد عبَّرت النصوص عن هذا التمتُّع التقني الضخم بنصوصٍ مختلفة . منها ما رواه ابن مسكان قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [إنَّ المؤمن في زمان القائم ﷺ وهو بالمشرق ليَرَى أخاهُ الذي في المغرب ، وكذا الذي في المغرب يرى أخاهُ الذي في المشرق][1] .

إنّها إشارة إلى واحد من المصاديق الثوريَّة التي ستكون أعظم بكثير من مبتكرات اليوم . بتعبير آخر : هذا لا يعني تقنيَّة إنترنت أو أقمار صناعيّة أو ستلايت أو هاتف خليوي . النص بضميمة ما سبق أوسع من هذا بكثير . وفي هذا المعنى ما ورد عن أبي الربيع الشامي قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [إنَّ قائمنا ﷺ إذا قام مدَّ اللهُ عزوجل لشيعتنا في

---

[1] الغيبة ، للسيد علي بن عبد الحميد : على ما في البحار – * : إثبات الهداة : ج ٣ ص ٥٨٤ ب ٣٢ ف ٥٩ ح ٧٨٩ –

أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم ﷺ بريد ، يكلّمُهُم فيسمعونَ ويتظرون إليه وهو في مكانه]' .

يشير إلى تطوُّر تقني رفيع ، يختصر عامل الزمان والمكان ، ويستفيد من أنظمة ذات أنماط ثوريَّة ممَّا لا نعلم ، تُستثمَر في الوجهة النفعيَّة في عالم الإتصالات وغيرها من الأمور التي هي حتماً أوسع وأكبر وأقدر وأعظم من تقنية اليوم . بل ستكونَ تطوُّراً ثوريّاً مستغرباً في تلك الأزمان كما تشير النصوص . وقد استُعمِلَ في النصوص ما يشير إلى سلطنة على الجو والأجسام وشبه ذلك برموزٍ لغويَّة تؤكِّد تطوُّراً هائلاً وثورةً مذهلةً جداً في علم التقنيَّات . بالإضافة إلى أمورٍ أخرى في علم الكهرباء والموجات ومفاهيم الجذب والسيطرة على الجسم المادي والتكوينات الأخرى الذريَّة وما لا تعلمون .

أركِّز على هذه العبارة : « ما لا تعلمون » ، للتأكيد على انَّ هنالك مصطلحات تتضمَّن معانٍ غزيرة الشمول والعمق والتنوُّع لكنَّها غير حاضرة أمام مشاهد تجربتنا المعاصرة . لكنني أحاول جاهداً أن استعمل من العبارات ما يساعد على تطوير عالم الشهود المفترض في ذلك العالم الجديد . ويحضرني هنا من القرآن قول الله تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٦/٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿١٦/٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٦/٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً . وَيَخْلُقُ مَا

' الكافي : ج ٨ صـ ٢٤٠ - ٢٤١ ح ٣٢٩ – عن كتاب الشفاء والجلاء ، عن الصادق عليه السلام : - وفيه " يمد الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم ، حتى لا يكون بينهم وبين قائمهم حجاب ، يريد يكلمهم فيسمعونه وينظرون إليه في مكانه " .

لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ .. القرآن يقول : « ما لا تعلمون » .. إنّها إشارة إلى الزمن ، إلى المذهلات من الخلق والإعجاز العظيم . إلى ما يكتشفهُ المهدي ﷺ من وسائل وتقنيّات : ٢٥ جزءاً من العلم إضافةً إلى جزئين مكشوفين فقط حتى الآن . وهذا يُضاف إلى ما سبق ..! إنّها رحمة الله الكبرى زمن المهديّ العظيم . وفي النصوص ألفاظ شديدة الإختصار تشير إلى نتائج دون تفاصيل . لكنّها تعني ثورةً مذهلةً من عالم التطوّر والتقنيّات . ففي رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله ﷺ قال :

[إذا قام القائم ﷺ استنزل المؤمنُ الطيرَ من الهواء فيذبحه فيشويه ويأكل لحمه ولا يكسر عظمه . ثم يقول له : إحيَ بإذنِ الله ، فيحيى ويطير ، (..!) ،

وكذلك الظباءُ من الصحارى ،

ويكون ضوءُ البلاد ونورها ولا يحتاجون إلى شمس ولا قمر ،

ولا يكون على وجهِ الارض مؤذٍ ولا شرٌ ولا سمٌ ولا فساد أصلاً ،

لانّ الدعوة سماوية ليست بأرضية ،

ولا يكون للشيطان فيها وسوسة ولا عمل ولا حسد ولا شيئ من الفساد ،

ولا تشوك الارض والشجر ،

وتبقى الارض قائمةً كلّما أُخِذَ منها شيئٌ نبتَ من وقته وعاد كحاله (..!) .

وإنّ الرجل ليكسو ابنه الثوب فيطول معه كلما طال ويتلون عليه أي لون أحبّ وشاء .

ولو أنّ الرجل الكافر دخلَ جحر ضب أو توارى خلف مدرة أو حجر أو شجر لأنطق اللهُ ذلك الشيئ الذي يتواري فيه حتى يقول يا مؤمن خلفي كافر فخذه ، فيؤخذ ويقتل .

ولا يكون لإبليس هيكل يسكن فيه – والهيكل البدن –

ويصافح المؤمنونَ الملائكةَ ويوحى إليهم ويحيون الموتى بإذن الله (..!) ،

قالوا : يأتي على الناس زمان لا يكون المؤمن إلا بالكوفة أو يحنّ إليها][1] .

لا شكّ أنّ هذه النتائج تعني ثورةً أعمق بكثير من عالم الإستنساخ والهندسة الوراثيّة وعلم الجينات في الإنسان أو الحيوان أو النبات .

وقد لفتني أنني منذ أشهر أقرأ عن ثورةٍ في علم اللباس ، وانّ هناك تجارب عمليّة على لباسٍ مُبرمج على أمورٍ مختلفة ، منها إخبار صاحبه عن بعض الأمور الصحيّة مثل الضغط والسكري وأمور تتّصل بحاجات الدم وأحواله ، بالإضافة إلى أمورٍ تتّصل بحاجة المرأة حالة الحيض وشبه ذلك ، وألوان تتغيّر حسب الحاجة وأمور أخرى مدهشة ، مثل انّ هذه الثياب تتكيّف مع الفصول ، وتعمل على نحوٍ تقني لافت ..

أقول : هذه الأمور اليوم أصبحت من بديهيات القبول البشري في عصرنا ، في حين ما صدر عن الإمام ﷺ كان في تلك الأزمان أشبه بأسطورة ممكنة التحقُّق بلا شكّ لكنّ العقول تراها مندهشةً أمام تصوُّرها .! بتعبيرٍ آخر : لم يكن العقل الذي تعوّد الحسيّات قادراً على توليد

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٤٦ –

مشاهد تشبيهيّة عن تلك التي يمكن أن تحصل رغم إيمانه بأنّ ما يصدر عن المعصوم هو الحق اليقين الذي سيُترجم يوماً ما على أرض الواقع . لقد ضربت هذا المثال مع بعض التحليل فقط لأشير انّ في هذا النص أموراً مذهلة ، فهو يشيرُ إلى تطوّرٍ هائل نستطيع ببعض ما نرى في عصرنا أن نصوّر شيئاً ما نعبر منه إليه بخلاف الأزمان السابقة . أي محاولات تقريب ليس إلّا . مع إقراري بأنّ النص يشيرُ إلى أمورٍ ومصطلحات لها معانٍ جبارة . منها موضوع انّه يأكل الطير ثم يُحييه بإذن الله . هذا إشارة إلى علمٍ جبّارٍ ضخم يكون بمتناول العلماء في هذه العلوم زمن المهدي ﷺ . ويمكنني أن أقرّبه إلى الأذهان اليوم بعلم الإستنساخ والهندسة الوراثيّة وعلم الجينات رغم الفارق الشاسع بين الإثنين .

وأحبُّ أن أشير في هذه العجالة إلى انّ العلم اليوم توصّل إلى انّه يستطيع أن يتعامل مع خلايا الجسم الحيّة بعد موت الإنسان أو الحيوان . لكنّه اليوم أقدر في التعامل مع خلايا الحيوان من الإنسان . ومعلوم انّ الإنسان أو الحيوان إذا مات لا تموت كلُّ خلاياه بشكلٍ مباشر . فبعضها يبقى لساعاتٍ وبعضها أطول من ذلك . ومنذ أقل من شهر أُعلن عن استنساخ قطّة بخمسين الف دولار بعدما توفّيت وذلك عن طريق الإستنساخ عبر أخذ احدى خلاياها الحيّة .. ومنذ أيّام أعلن كوريُّون جنوبيُّون وكذا علماء بريطانيُّون عن استنساخ أجنّة بشريّة لقضايا تتعلّق بالعلاج ..

وقرأتُ عن جماعاتٍ متديّنة بأديانٍ غريبة ، فيها كبار علماء طب وغير ذلك يعملون على تطوير الإستنساخ وتسريع دورة النمو الجيني عند الإنسان حتى يتمّ استنساخ أجنّة بفتراتٍ قصيرةٍ جداً وبأعمارٍ تحت الطلب :

عشرين ، أربعين سنة وشبه ذلك .. النتائج نظريّة ، لكنّ الأدوات والتقنيّة ما زالت تزحفُ بشكلٍ جبّار نحو تحقيق أمور ربما هي مدهشة .. على أنّ العلماء لا يخلُقُون . بل يستغلّون القوانين التي خلقها اللهُ تعالى في البشر ، مثل علم الخلايا والجينات وغيرها من الأسرار التي أودعها اللهُ تعالى في الإنسان[1] .

إنّ هذا مجرد مثال تقريبي لما ورد في النص . وهو مذهل بلا شك . وأنْ يصدر عن الإمام ﷺ يعني انّه يعكس العظمة الإخباريّة الغيبيّة المذهلة التي وضعها اللهُ في النبيين والوصيين ﷺ . بالإضافة إلى ما استُودِعُوا من علومٍ آخرها ما يكون على يد المهديّ ﷺ بحيث يُغيّر وجهَ الكون والمعارف الطبيعيّة ..

امّا عن التقنيّة والأدوات ، ونواميس العلم واستغلالاته ؟ وعن عمق العلم آنذاك وشموليّته ؟ يبدو انّ العمق والشمول والتقنية كبيرة جداً ومذهلة بما لا يُقاس بما سبق . ويكفي أن أؤكّد انّ العلم يزيد ٢٥ مرة عن السابق فبطبيعة الحال سيكون متهلاً بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على عقل بشر .. وفي باقي النص ما يشير إلى غرائب وعجائب وأمور مذهلة سيكشف عنها الزمان وتكون آية من آيات العظمة غير المسبوقة في حكومة القائم المهدي ﷺ .

وما علينا إلا أن نشير إلى بعض مصاديقها أو بالأحرى إلى بعض الأمثلة التقريبيّة . ومؤشرات الإمكان بل التطبيقات التي تؤكّد سلطة البشر

---

[1] للوقوف على هذا الموضوع بدقّة ومعرفة جانب الحرام والحلال ومناقشة الإستنساخ راجع كتابنا : الإستنساخ جدل العصر .

في الناموس والطبيعة خير دليلٍ على صدقِ ما قالوا وبيّنوا وما خفي أعظم وأكبر بكثير . ودليل الإنطباق ما تمّ وحصل ، فهذا من باب شهادة الفعل للقول .. وفي هذه النهاية المختصر أؤكّد انّ هذا من عند اهل البيت عليهم السلام ، فهل فيه من إعجاز البيان ..!

اللهم هؤلاء أنمّتي بهم أتولّى ومن أعداءهم أتبرى في الدنيا والآخرة . بهم أشهد وبرسولِ الله صلى الله عليه وآله خاتم النبيين وسيد المرسلين أبداً في الدنيا والآخرة ..

الكمال الممكن زمن المهدي ﷺ وبعض علامات حكمه

كثيرة هي النصوص التي تؤكّد انّ حكومة المهدي العالميّة تترجم الكمال في الحاجة والمنافع على أفضل ما يمكن . من هنا تجد بعض النصوص وهي تحثّ على فعل الخير ونفع الناس والتصدّق ، لأنّ الصدقة زمن المهديّ تنتفي بانتفاء موضوعها ، حيث لا فقير ولا محتاج ، بل يسير الرجل من افريقيا إلى غيرها يفتّش عن محتاجٍ فلا يجده !

وفي النص عن الكاهلي عن أبي عبد الله ﷺ قال : [تواصلوا وتبارّوا وتراحموا ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليأتينّ عليكم وقتٌ لا يجد أحدُكم لدينار ودرهمه موضعاً – يعني لا يجد عند ظهور القائم ﷺ موضعاً يصرفه فيه لاستغناء الناس جميعاً بفضلِ الله وفضلِ وليّه – فقلت : وأنّى يكون ذلك ؟ فقال ﷺ : عند فقدكم إمامكم ، فلا تزالون كذلك حتى يطلع عليكم كما تطلع الشمس آيسُ ما تكونون ، فإيّاكُم والشك والارتياب ، وانفوا عن أنفسكم الشكوك ، وقد حذّرتكم فاحذروا . أسأل اللهَ توفيقكم وإرشادكم][1] .

النص يؤكّد بالمطلق على طابع الكمال والضمان وتمام إشباعات الحاجة وكفالاتها زمن المهدي ﷺ . ثم هناك طائفة من النصوص تؤكّد على طابع الخير الوفير والرزق الهائل والثمرات الواسعة التي تدرّها الأرض

---

[1] النعماني : ص ١٥٠ – ١٥١ ب ١٠ ح ٨ .

والسماء ، فلا يبقى بعدها حاجة إلى التصدُّق أو ما هو في حُكمِه . ثم في ذيل النص يشيرُ ﷺ محذِّراً انّه للمهدي غيبة ، وانّه يخرج في وقتٍ يكون فيه اليأس صفة المرحلة . ثم يأمرهم ﷺ أن يصبروا ، فإنّ بعد الصبر الفرج وفي نعمة ظهور المهديِّ ما يُذهل السمعَ والبصر .

ثمّ هناك ما يشير إلى أنّ قوماً مذخورين للمهدي ﷺ يخرجون في آخر الزمان معه ﷺ .. وما أنبأ عنه أهل البيت يكفي لتصديق غيره[1] .

---

[1] ففي رواية عن داود الرقي قال : جاء رجلٌ إلى أبي عبد الله ﷺ فقال له : ما بلغ من سؤالكم ، فقال الرجل : بحر ماء هذا هل تحته شيء ؟ قال أبو عبد الله : [نعم ، رأيُ العينِ أحبُّ إليك أو سمعُ الاذن ؟ قال الرجل : بل رأي العين ، لأنّ الاذن قد تسمع ما لا تدري ولا تعرف ، وما يُرى بالعين يُشهد بالقلب ، فأخذ بيد الرجل فأنطلق حتى أتى شاطئ البحر فقال : أيها العبد المطيع لربِّه أظهر ما فيك ، فانفلق البحر عن آخر منه فيه ، وظهر ماءٌ أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك وألذ من الزنجبيل ، فقال له : يا أبا عبد الله جُعلتُ فداك لمن هذا ؟ قال ﷺ : للقائم ﷺ وأصحابه . قال : متى ؟ قال : إذا قام القائم ﷺ وأصحابه فقد الماء الذي على وجه الارض حتى لا يوجد ماء ، فيضجُّ المؤمنون إلى الله بالدعاء فيبعث الله لهم هذا الماء فيشربونه ، وهو محرَّم على من خالفهم .. قال : فأشرب من هذا الماء ؟ قال : إن كنت من شيعته] [دلائل الامامة : ص ٢٤٥ - ٢٤٦ -] . كما هناك بعض النصوص التي تشير إلى أنّ بعد المهدي ﷺ أحد عشر مهدياً وليس إماماً . أي علماء كبار يدعون إلى الحق . ففي الرواية عن أبي حمزة ، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث طويل - أنه قال : " يا أبا حمزة : إن منا بعد القائم أحد عشر مهديا (وليس إماماً) من ولد الحسين عليه السلام " [غيبة الطوسي : ص ٢٨٥] . وعن أبي بصير قال : قلت للصادق جعفر بن محمد ﷺ : [يا ابن رسول الله ، إني سمعت من أبيك ﷺ أنه قال : يكون بعد القائم اثنا عشر مهديا ، فقال : إنما قال اثنا عشر مهديا ولم يقل اثنا عشر إماما ، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى ولايتنا ومعرفة حقنا] [كمال الدين : ج ٢ ص ٣٥٨ ب ٣٣ ح ٥٦ -] .

بعض من معالم حكم المهدي عليه السلام

من علامات المهدي عليه السلام في ذلك الزمان انّه يسيرُ بسيرةِ الإمام علي عليه السلام . وما حكم المهدي وقيام دولته إلا امتداد لحكومة النبيّ والإمام علي وباقي الأئمة . وفي رواية حماد بن عثمان قال : حضرت أبا عبد الله عليه السلام وقال له رجل : أصلحك الله ذكرت أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن ، يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك ، ونرى عليك اللباس الجديد ؟ فقال له : [إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس ذلك في زمانٍ لا يُنكَرُ عليه ، ولو لبس مثل ذلك اليوم شُهِّرَ به . فخيرُ لباسِ كلّ زمانٍ لباسُ أهله ، غير أنّ قائمنا أهل البيت عليهم السلام إذا قام لبس ثياب علي عليه السلام وسار بسيرة علي عليه السلام][1] . تأكيداً منه عليه السلام على صفةٍ ظاهرة في المهدي .

ومن تلك العلامات انّه يشيع العدل في الدنيا كلّها وفي الأصناف كلّها ، وفي أمورٍ لا يطمع فيها طامع . وفي رواية أحمد بن محمد عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [أوّل ما يُظهرُ القائمُ عليه السلام من العدل أن ينادي مناديه أن يسلم صاحب الناقلة لصاحب الفريضة الحجر الاسود

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٤١١ ح ٤ .

والطواف][1] . كما من علاماتِهِ ﷺ انّه يحكم بالحقيقة كما هي في الواقع ، فلا يحتاج إلى بيّنة لما أعطاهُ اللهُ تعالى مِن سلطة تكوينيَّة كاشفة للأمور وبيان الحقائق المطلقة . ففي رواية أبان قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [لا تذهب الدنيا حتى يخرج رجلٌ منّي رجل يحكم بحكومة آل داود ، ولا يسأل عن بيّنة ، يُعطي كلَّ نفس حكمها][2] .

ثم ورد في نصوص أهل البيت ﷺ كما في غيرها ما يشعر بشكلٍ واضحٍ انّهم ﷺ يدركون انّه لا تقوم لهم دولة عالميّة بعد الإمام علي ﷺ

---

[1] الكافي : ج ٤ ص ٤٢٧ ح ١ –

[2] بصائر الدرجات : ص ٢٥٨ ب ١٥ ح ١ – عن فضيل الاعور ، عن أبي عبيدة ، عنه عليه السلام قال " إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان ، لا يسأل الناس بينة " . عن حريز قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول " لن تذهب الدنيا حتى يخرج رجل منا أهل البيت يحكم بحكم داود ولا يسأل الناس بينة " . عن أبي عبيدة الحذاء ، قال : كنا زمان أبي جعفر عليه السلام حين قبض عليه السلام نتردد كانقنم لا راعي لها ، فلقينا سالم بن أبي حفصة فقال : يا أبا عبيدة : من إمامك ؟ قلت : أتمنّي من آل محمد ، فقال : هلكت وأهلكت ، أما سمعته وأنت معي أبا جعفر ، وهو يقول : – أما تعرف أنه قد خلف ولده جعفرا إماما على الامة ؟ قلت : بلى لعمري ، قد رزقني الله المعرفة ، قال : فقلت لأبي عبد الله عليه السلام بعد ما لقيته : إن سالم بن أبي حفصة قال لي كذا وكذا ، قال لي : يا أبا عبيدة ، أما علمت أنه لم يمت منا ميت حتى يخلف من بعده من يعمل مثل عمله ، ويسير بمثل سيرته ، ويدعو إلى مثل الذي دعا إليه ، يا أبا عبيدة ، إنه لم يمنع ما أعطي داود أن أعطي سليمان ، قال : ثم قال : يا أبا عبيدة ، إنه إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله ، حكم بحكم آل داود ، وكان سليمان لا يسأل الناس بينة " . وفي : ص ٥١٠ ب ١٨ ح ١٥ – كما في روايته الاولى ، بتفاوت يسير ، وبسنده ، وفيه " . . فردد . . أتمنّي آل محمد صلى الله عليه وآله . . أما سمعت أنا وأنت وأبا جعفر عليه السلام ، فهو يقول : – . . لقد كان ذلك ، ثم بعد ذلك بثلاث أو نحوها دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فرزق الله لنا المعرفة ، فدخلت عليه ، فقلت له : لقيت سالما فقال لي : كذا وكذا وقلت له كذلي وكذلي ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا ويل لسالم يا ويل لسالم ثلث مرات ، أما يدري سالم ما منزلة الامام ، الامام أعظم مما يذهب إليه سالم والناس أجمعين (كذا) لم يمنع الله ما أعطى سليمان أفضل مما أعطى ، ثم قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ، قال : قلت ما أعطاه الله جعلت فداك ؟ قال : نعم يا أبا عبيدة إنه إذا قام . . يحكم داود وسليمان ، لا يسأل والله الناس بينة " .

إلا زمن المهدي ﷺ ، هذا بيعد النظر عن الدويلات التي قامت بإسمهم بعد زمن الغيبة . من هنا نقرأ بعض الأمور التي تشير إلى القائم ، قائم الحكم والدولة وناشر العدل المطلق في جميع جهات الأرض . ففي رواية الحسين الشيباني عن أبي عبد الله ﷺ قال قلت له : رجلٌ من مواليك يستحلُّ مالَ بني أمية ودماءهم ، وإنه وقع لهم عنده وديعة ، فقال ﷺ : [أدُّوا الامانات إلى أهلها ، وإن كانوا مجوساً ، فإن ذلك لا يكون حتى يقوم قائمنا أهل البيت ﷺ فيحل ويحرم][1] .

أي الحكومة والدولة المعهودة التي يقودها الإمام مباشرةً بعد الإمام علي ﷺ والتي لا تتمُّ لإمامٍ بعده إلا للمهديِّ يقودها المهديُّ ﷺ آخر الزمان فيشمل العالم بدولتِهِ فيحلُّ الحلال كلّه ويحرّم الحرام كلّه ، ويشيع العدل الإلهي في الأرض . على انَّ الناس مأمورون بتطبيق الشريعة والإلتزام بها وتهيئة شرُوطِها وهذا لا يسقط بغيبة الإمام ﷺ .

وبتعبيرٍ آخر : كلُّ أهلِ الإسلامِ مأمورونَ بإقامة حكم الإسلام . وهذا أمر واجبٌ عليهم ، التفريط بهِ من كبائر المحرمات وفجائع الدَّين وكوارث الإنحراف . ثم في زمن المهديِّ ﷺ يكثر الريع والبركة والنعمة وتظهر الأرض رزقها والسماء بركتها . ففي رواية عبد الله بن سنان ، عن أبيه قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : إنَّ لي أرض خراج ، وقد ضقت بها ذرعاً ؟ قال : فسكت هنيهة ثم قال : [إن قائمنا ﷺ لو قد قام كان نصيبك في الارض أكثر منها ، ولو قد قام قائمنا ﷺ كان الاستان أمثل من قطائعهم][2] . يعني أن ما تشكو منه من قلة ريع الارض وثقل خراجها

---

[1] الكافي : ج ٥ صـ ١٣٢ ـ ١٣٣ حـ ٢ -

[2] الكافي : ج ٥ صـ ٢٨٣ حـ ٥ -

سيرتفع زمن المهدي ﷺ فيكون خيراً وفيراً وزرقاً كبيراً مدهشاً . وما الأرض وما فيها إلا لله تعالى ولمَن أعطاها من الأنبياء والأوصياء ، وما الناس إلا يأكلون من مائدة الله التي أوكلها إلى النبيين والأوصياء ضمن قيمومة الله تعالى . وفي رواية عمر بن يزيد قال : رأيتُ مسمعاً بالمدينة ، وقد كان حمل إلى أبي عبد الله ﷺ تلك السنة مالاً فردَّهُ أبو عبد الله ﷺ ، فقلت له : لِمَ ردَّ عليك أبو عبد الله المالَ الذي حملتَهُ إليه ؟ قال : فقال لي : إنّي قلت له حين حملت إليه المال : إني كنت ولّيت البحرين الغوص ، فأصبت أربعمائة ألف درهم ، وقد جئتك بخمسها بثمانين ألف درهم ، وكرهت أن أحبسها عنك ، وأن أعرض لها ، وهي حقك الذي جعله الله تبارك وتعالى في أموالنا ، فقال : [أو ما لنا من الارض وما أخرج الله منها إلا الخمس يا أبا سيار ؟ إن الارض كلها لنا ، فما أخرج الله منها من شيئ فهو لنا . فقلت له : وأنا أحمل إليك المال كله ؟ فقال : يا أبا سيار قد طيَّبناهُ لك ، وأحللناك منه ، فضمَّ إليك مالك ، وكل ما في أيدي شيعتنا من الارض فهم فيه محللون حتى يقوم قائمنا فيجبيهم طسق ما كان في أيديهم ، ويترك الارض في أيديهم ، وأما ما كان في أيدي غيرهم فإنَّ كسبهم من الارض حرام عليهم حتى يقوم قائمنا ، فيأخذ الارض من أيديهم ويخرجهم صغرة][1] . ولا بد أنه يقصد بشيعتهم في زمان المهدي ﷺ كل المسلمين الذين يؤلف الله بـ قلوبهم ويعلي كلمتهم ، فيكون معنى « غيرهم » أي أعداء المهدي ﷺ من الكفار والمنافقين . بل في طائفة من النصوص أنَّ الله تعالى يعطي الأموات من الذين آمنوا أنواعاً من النعم والخير ضمن أنماط ونماذج مختلفة ، وذلك ما بعد الموت وقبل قيام القائم ﷺ ، وكذا الأموات من أهل

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٤٠٨ ح ٣ –

الكفر والجحود يلاقون ألواناً من العذاب ، أيضاً بعد الموت وقبل قيام القائم عليه السلام . وكأنّ النص يشير إلى انّ مفصل قيام القائم مرحلة قريبة نسبياً من عالم الآخرة – وهذا صحيح – وانّ مجموع ظواهر تتمّ بإذن الله تعالى ، ثمّ يكون بعدها قيام الساعة ، مع التأكيد على انّ علم الساعة بيد الله تعالى ، لا أحد يعرف متى تقوم . نعم النصوص أكّدت على انّ النبي بُعِثَ والساعة على نحوٍ قريب ، لكن مسافة الزمن وحدودها غير معروفة لدى البشر ، وإنّما علمها عند ربّي .

وفي رواية زيد النرسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول : [إذا كان يوم الجمعة ويوم العيدين أمر اللهُ رضوان خازن الجنان أن ينادي في أرواح المؤمنين وهم في عرصات الجنان : إن الله قد أذِنَ لكم بالزيارة إلى أهاليكم وأحبائكم من أهل الدنيا . ثم يأمر الله رضوان أن يأتي لكلّ روح بناقة من نوق الجنة ، عليها قبة من زبرجدة خضراء ، غشائها من ياقوتة رطبة صفراء ، وعلى النوق جلال وبراقع من سندس الجنان واستبرقها ، فيركبون تلك النوق عليهم حلل الجنة ، متوّجُون بتيجان الدر الرطب تضيئ كما تضيئ الكواكب الدرية في جو السماء من قرب الناظر إليها لا من البعد ، فيجتمعون في العرصة . ثم يأمر الله جبرئيل في أهل السموات أن يستقبلوهم فتستقبلهم ملائكة كل سماء وتشيعهم إلى السماء الاخرى ، فينزلون بوادي السلام وهو واد بظهر الكوفة ، ثم يتفرقون في البلدان والامصار حتى يزورون (كذا) أهاليهم الذين كانوا معهم في دار الدنيا ومعهم ملائكة يصرفون وجوههم عما يكرهون النظر إليه إلى ما يحبون ويزورون حفر الابدان حتى إذا ما صلّى الناس وراع أهل الدنيا إلى منازلهم من مصلاهم نادى فيهم جبرئيل عليه السلام بالرحيل إلى غرفات الجنان فيرحلون .

قال فبكي رجل في المجلس فقال : جُعلت فداك هذا للمؤمن فما حال الكافر ؟ فقال أبو عبد الله ﷺ : أبدان ملعونة تحت الثرى في بقاع النار ، وأرواح خبيثة ملعونة تجري بوادي برهوت في بئر الكبريت ، في مركبات خبيثات ملعونات ، تؤدي ذلك الفزع والاهوال إلى الابدان الملعونة الخبيثة تحت الثرى في بقاع النار ، فهي بمنزلة النائم إذا رأى الاهوال ، فلا تزال تلك الابدان فزعة ذعرة وتلك الارواح معذبة بانواع العذاب ، في انواع المركبات المسخوطات الملعونات المصفدات مسجونات فيها ، لا ترى روحا ولا راحة إلى مبعث قائمنا ﷺ فيحشرها اللهُ من تلك المركبات فترد في الابدان ، وذلك عند النشرات (النشآت) فيضرب أعناقهم ، ثم تصير إلى النار أبد الآبدين ودهر الداهرين][1] .

ومهما يكن من أمر فإنّ تركيز النصّ هنا على موضوع القائم ﷺ يعني إشارةٌ خاصّة إلى مفصلٍ مركزي في طيات هذا الوجود ، ووصول إلى هيكل رئيسي من محطّات ما قبل حلول الساعة . ومعلوم في النصوص الكثيرة انّ الله تعالى لا يترك الأرض بغير إمام ، سواء ظاهر أو مستتر . ومعنى خروج القائم وإتمام أمره ﷺ يعني ظهور الإمام الأخير من الأئمة الذين نصّ النبي ﷺ عليهم . كما ثبت أيضاً وبالنصّ موضوع الرجعة . والنصوص التي وردت عن لسان أبي عبد الله ﷺ بضرورة وجود إمام في الأرض كثيرة منها :

- أبو بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال : [إن الله عزوجل أجل وأعظم من أن يترك الارض بغير إمام][2] .

---

[1] الاصول الستة عشر ، كتاب زيد النرسي : صـ ٤٣ - ٤٤ -

[2] بصائر الدرجات : صـ ٤٨٥ ب ١٠ ح ٣ -

- إسحاق بن عمار قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [إن الارض لن تخلو إلا وفيها عالم ، كلما زاد المؤمنون شيئاً ردهم إلى الحق ، وإن نقصوا شيئا أتمه لهم][1] . وفي لفظٍ آخر عن إسحاق بن عمار قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [إن الارض لم تخلُ إلا وفيها عالم ، كيما إن زاد المسلمون شيئاً ردّهم إلى الحق ، وإن نقصوا شيئا تمّمهُ لهم][2] .

- عبد الله بن سليمان العامري عن أبي عبد الله ﷺ قال : [ما زالت الارضُ ولله فيها حُجّة يعرِفُ الحلال والحرام ويدعو إلى سبيل الله ، ولا ينقطع الحجّة من الارض إلا أربعين يوماً قبل يوم القيامة . فإذا رُفعَت الحجّة أُغلِقَ بابُ التوبة ولم ينفع نفساً إيمانُهَا لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجة ، وأولئك شرارٌ من خلقِ الله ، وهم الذين تقوم عليهم القيامة][3] .

- الحسين بن أبي العلاء قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : [تُترَكُ الارضُ بغير إمام ؟ قال ﷺ : لا ، فقلنا له : تكون الارض وفيها إمامان ؟ قال ﷺ : لا ، إلا إمام صامت لا يتكلم ويتكلم الذي قبله][4] .

- أبو حمزة الثمالي قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : تبقى الارض بغير إمام ؟ قال : لو بقيت الارض بغير إمام لساخت][5] .

---

[1] بصائر الدرجات : ص ٣٣٢ ب ١٠ ح ٧ –

[2] بصائر الدرجات : ص ٣٣٢ ب ١٠ ح ٧ –

[3] المحاسن : ص ٢٣٦ ب ٢١ ح ٢٠٢ .

[4] المحاسن : ص ٢٣٦ ب ٢١ ح ٢٠٢ –

[5] بصائر الدرجات : ص ٤٨٨ ب ١٢ ح ٢ –

- يعقوب بن شعيب ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : [كان بين عيسى وبين محمد ﷺ خمسمائة عام ، منها مائتان وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر . قلت : فما كانوا ؟ قال ﷺ : كانوا متمسكين بدين عيسى ﷺ ، قلت : فما كانوا ؟ قال ﷺ : كانوا مؤمنين . ثم قال ﷺ : ولا يكون الارض إلا وفيها عالم][1] .

- أبان بن تغلب قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق][2] .

وعليه : مجموع هذه الطائفة يؤكد انّ الله تعالى قرن الأرض واحتجاجه على الخلق بوجود النبيّ أو الإمام والمواثيق . والنصوص شديدة الظهور بهذا المجال . وتعبير عالم الوجود يُراد منه بضميمة باقي الطائفة من النصوص الإمام ، نعم العالمُ الفقيه الآخذ علمه عن المعصوم حجّة ، لكن بطول حجيّة الإمام والنبي ﷺ ..

والنصوص شديدة الوضوح في ضرورة وجود الإمام ، سواء كان ظاهراً مشهوراً أم مستتراً مغموراً كما في لسان مجموعة من النصوص . وفي بعضها : الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق . تأكيداً على شمول الإحتجاج للبشر كافّة منذ أن خلق اللهُ الخلقَ وحتى قيام الساعة ..

أمّا موضوع الأربعين يوماً وانتفاء الحجّة فيها قبل قيام القيامة حسب النص : على قومٍ شرار ، فالنصوص لا تعطينا صورة واضحة حول

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ١٦١ ب ٨ ح ٢٠ –

[2] بصائر الدرجات : ص ٤٨٧ ب ١١ ح ١ –

هذا المشهد : من هم ، ولماذا يتمّ الإنحراف . نعم هناك طائفة عن طريق العامّة تتحدّث عن هذا الموضوع لكن لا صورة مشهديّة فيها ، لا تفاصيل ، في حين أسانيد النصوص غير نظيفة بشكلٍ كافٍ ، ما يعني عدم إمكاننا القطع بهذا الموضوع من جهة . رغم إمكانها في عالم الثبوت .

وإذا تعرّضنا لهذه الزاوية من موضوع الأربعين يوماً وشرار الخلق ، فإنّنا نؤكّد فيها على طابع عرض المشهد الروائي من جهة وبيان النَّفَس التراثي والمُعطى التاريخي للحظة ما تعبّر منه الفكرة عبر النص . ويبقى الأمر في خانة الثبوت لا الإثبات .

وإذا حصل ذلك ، فإنّنا لا نعرف تفاصيل سوى أنّ المؤمنين يموتون قبل ذلك بطريقةٍ طيّبة ، ويبقى مَن في قلبه كفر قبل قيام القيامة بأربعين يوماً فتقوم عليهم كنوعٍ من عذابٍ أليم . ولقد كان الإمام الصادق ﷺ شديد الذكر للقائم ﷺ ، فكان أصحابُهُ يجلسون حوله يخبرهم بعلامات قيام القائم ، ومعالم آخر الزمن ، وقد أشرنا إلى جملة وافية من أخبار الإمام أبي عبد الله الصادق ﷺ في حقّ المهدي وعلامات الظهور ومعالم الدولة الربانيّة العالميّة التي يقودها إن شاء اللهُ تعالى .

بل ثبت في النصوص الكثيرة أنّ الصادق ﷺ كان يدعو ويبتهل إلى الله تعالى في تيسير أمر المهدي وتقوية أنصاره وحفظ دولته وقيام أمره ، ففي مصباح المتهجّد قال : ومن المهمات عقيب الظهر الاقتداء بالصادق ﷺ في الدعاء للمهدي ﷺ الذي بشّر به محمدٌ رسول الله ﷺ أمّتَهُ في صحيح الروايات ، وعن عباد بن محمد المدايني قال : دخلت على أبي عبد الله ﷺ بالمدينة حين فرغ من مكتوبة الظهر وقد رفع يديه إلى

السماء وهو يقول : [يا سامع كل صوت ، يا جامع كل فوت ، يا بارئ النفوس بعد الموت ، يا باعث يا وارث ، يا سيد السادات ، يا إله الآلهة ، يا جبار الجبابرة ، يا ملك الدنيا والآخرة ، يا رب الارباب ، يا ملك الملوك ، يا بطاش ، يا ذا البطش الشديد – أي فعّالاً لما يريد – يا مُحصي عدد الانفاس ونقل الاقدام ، يا من السر عنده علانية ، يا مبدئ يا معيد ، أسألك بحقّك على خيرتك من خلقك وبحقهم الذي اوجبت لهم على نفسك ، أن تصلي على محمد وأهل بيته ، وأن تعجل عليّ الساعة بفكاك رقبتي من النار ، وأنجز لوليّك وابن نبيك الداعي إليك بإذنك وأمينك في خلقك وعينك في عبادك وحجتك على خلقك عليه صلواتك وبركاتك وعدد ، اللهم أيّده بنصرك ، وانصر عبدك وقوّ أصحابه وصبرهم ، واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً ، وعجّل فرجه ، وأمكنه من أعدائك وأعداء رسولك ، يا أرحم الراحمين .

ثم قال : قلت : أليس قد دعوت لنفسك جعلت فداك ؟ قال ﷺ : دعوتُ لنورِ آل محمد ، وسائقهم ، والمنتقم بأمر الله من أعدائهم . قلت : متى يكون خروجه جعلني الله فداك ؟ قال ﷺ : إذا شاء مَن له الخلقُ والامر . قلت : قله علامة قبل ذلك ؟ قال : نعم ، علاماتٌ شتّى . قلت : مثل ماذا ؟ قال ﷺ : خروج راية من المشرق ، وراية من المغرب ، وفتنة تظل أهل الزوراء ، وخروج رجل من وُلدِ عمّي زيد باليمن ، وانتهاب سكارة البيت][1] .

تأكيداً منه ﷺ على أمرِ المهديّ ﷺ وحتميّة ظهورِه وقيام دولته ، وفي ذيل النصّ إشارة إلى بعض العلامات من قبيل خروج راية من المشرق

---

[1] مصباح المتهجد : صد ٥٤ – قال وعما يختص عقيب صلاة الظهر . * : فلاح السائل : صد ١٧٠ .

ورايـة من المغرب والفتنة التي تظلّ الـزوراء وهـي بغداد وخـروج اليمـاني والفتنة التي تصيب الحجاز .. وكان الصادقُ عليه السلام يحثُّ أصحابَهُ على الدعاء اليومي للمهدي عليه السلام بل والتأكيد على انّـه حجّـة الله المـأمول ليـوم الظهـور وقيام دولة الحقّ التي تشمل الكون البشري[1] .

---

[1] من تلك النصوص : روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه يستحب أن يصلي على النبي صلى الله عليه وآله بعد العصر يوم الجمعة بهذه الصلاة : [اللهم إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كما وصفته في كتابك .. اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعلى أئمة المسلمين الاولين منهم والآخرين ، اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعلى إمام المسلمين ، واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، وافتح له فتحاً يسيراً ، وانصره نصراً عزيزاً ، واجعل له من لدنك سلطانا نصيرا ، اللهم عجل فرج آل محمد وأهلك أعداءهم من الجن والانس] [مصباح المتهجد : صد ٣٤٥ – ٣٥٢] . وفي رواية علي بن الحسين العبدي قال : سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول : – في حديث طويل في فضل صيام يوم غدير خم ، وصلاته والدعاء بعدها – جاء في آخره : ز .. اللهم إني أسألك بالحق الذي جعلته عندهم ، وبالذي فضلتهم على العالمين جميعاً ، أن تبارك لنا في يومنا هذا الذي أكرمتنا فيه ، وأن تُتمّ علينا نعمتك ، وتجعله عندنا مستقراً ، ولا تسلبناه أبداً ، ولا تجعله مستودعاً ، فإنك قلت مستقر ومستودع ، فاجعله مستقراً ، ولا تجعله مستودعاً ، وارزقنا نصر دينك مع وليّ هادٍ منصور من أهل بيت نبيك ، واجعلنا معه وتحت رايته شهداء صديقين في سبيلك وعلى نصرة دينك . .] [الدعاء والزيارة لمحمد بن علي الطرازي : على ما في إقبال الاعمال . * : التهذيب : ج ٣ صد ١٤٢ – ١٤٧ ح ٧] . وعن إبراهيم بن عمر اليمني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [.. للامر المخوف العظيم تُصلي ركعتين ، وهي التي كانت الزهراء عليها السلام تصلّيها ، تقرأ في الاولى الحمد وقل هو الله أحد خمسين مرة ، وفي الثانية مثل ذلك ، فإذا سلّمت صلّيت على النبي صلى الله عليه وآله ، ثم ترفع يديك وتقول : اللهم إني أتوجه بهم إليك . . وأسئلك أن تصلي على محمد وآله ، وأن تفرج عن محمد وآله ، وتجعل فرجي مقروناً بفرجهم وتبدأ بهم فيه . . وأسئلك بذلك الاسم فلا شفيع أقوى لي منه . وبحق محمد وآل محمد أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تقضي لي حوائجي ، وتسمع محمداً ، وعليا وفاطمة والحسن والحسين وعليا ومحمدا وجعفرا وموسى وعليا ومحمدا وعليا والحسن والحجة صلوات الله عليهم وبركاته ورحمته صوتي ليشفعوا لي إليك] [مصباح المتهجد : صد ٢٦٦] . وقال عليه السلام – عند ذكر زيارة الحسين عليه السلام وذكر الصلاة عند الرأس المطهر والدعاء بعده - قال : ثم استغفر لذنبك وادع بما أحببت ، فإذا فرغت من الدعاء فاسجد وقل في سجودك : [اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك ، أنك أنت الله لا إله إلا أنت ربي ، والاسلام ديني ، ومحمد نبيي ، وعلي إمامي ، والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والخلف الباقي عليهم (أفضل الصلوات ، أئمتي بهم) أتولى ،

ومن عدوهم أتبرأ . أللهم إني أنشدك دم المظلوم - ثلاثاً - أللهم إني أنشدك بإيوائك على نفسك لاوليائك لتظفرنهم بعدوك وعدوهم أن تصلي على محمد وعلى المستحفظين من آل محمد ، أللهم إني أسألك اليسر بعد العسر - ثلاثا -] [كتاب المزار للشيخ المفيد : صـ ٩٥ - ١٠٥ ، ب ٥٢] . كذا روي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال : [من دعا إلى الله تعالى أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا ، فإنْ مات قبله أخرجه الله من قبره ، وأعطاهُ الله بكل كلمة ألف حسنة ، ومحى عنه ألف سيئة ، وهو هذا : أللهم رب النور العظيم والكرسي الرفيع ، ورب البحر المسجور ، ومنزل التوراة والانجيل والزبور ، ورب الظل والحرور ، ومنزل الفرقان العظيم ، ورب الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين . أللهم إني أسألك بوجهك الكريم ، وبنور وجهك المنير وملكك القديم ، يا حي يا قيوم ، وأسئلك باسمك الذي أشرقت به السموات والارضون ، يا حي قبل كل حي ، ويا حي بعد كل حي ، لا إله إلا أنت . أللهم بلغ مولانا الامام الهادي المهدي - القائم بأمرك ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين عن المؤمنين والمؤمنات في مشارق الارض ومغاربها ، سهلها وجبالها وبرها وبحرها ، وعني وعن والدي من الصلوات زنة عرش الله ومداد كلماته ، وما أحصاه علمه ، وأحاط به كتابه . أللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي ، لا أحول عنها ولا أزول أبداً . اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه الذابين عنه ، والمسارعين إليه في قضاء حوائجه ، والمحامين عنه ، والسابقين إلى إرادته ، والمستشهدين بين يديه . اللهم إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتما فأخرجني من قبري مؤتزرا كفني ، شاهرا سيفي ، مجردا قناتي ، ملبيا دعوة الداعي في الحاضر والباد . اللهم أرني الطلعة الرشيدة ، والغرة الحميدة ، واكحل ناظري بنظرة مني إليه ، وعجل فرجه وسهل مخرجه ، وأوسع منهجه ، واسلك بي محجه ، وأنفذ أمره ، واشدد أزره ، واعمر اللهم به بلادك ، وأحي به عبادك ، فإنك قلت وقولك الحق : ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، فأظهر اللهم وليك وابن بنت نبيك المسمى باسم رسولك ، حتى لا يظفر بشئ من الباطل إلا مزقه ، ويحق الحق ويحققه ، واجعله اللهم مفزعا لمظلوم عبادك وناصرا لمن لا يجد له ناصرا غيرك ، ومجددا لما عطل من أحكام كتابك ، ومشيدا لما ورد من أعلام دينك ، وسنن نبيك صلى الله عليه وآله ، واجعله ممن حصنته من بأس المعتدين . اللهم وسر نبيك محمدا صلى الله عليه وآله برؤيته ومن تبعه على دعوته ، وارحم استكانتنا بعده . اللهم واكشف هذه الغمة عن هذه الامة بحضوره ، وعجل لنا فرجه وظهوره ، إنهم يرونه بعيداً ونراه قريبا برحمتك يا أرحم الراحمين . العجل العجل العجل ، يا مولاي يا صاحب الزمان] [مصباح الزائر : صـ ١٦٩] . وقال الصادق عليه السلام لأصحابه : [من قال بعد صلاة الفجر وبعد صلاة الظهر : اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وعجّل فرجهم ، لم يمت حتى يدرك القائم] [وبضميمة النصوص الأخرى يعني أنه إن مات أخرجه اللهُ من قبره لنصرته عليه السلام ، وفي طائفة ثانية خيّرهُ بين البقاء في قبره وبين نصرته عليه السلام] [مصباح المتهجد : صـ ٣٢٨] . * وهنالك طائفة من النصوص وردت عن لسان الصادق عليه السلام في التوسل إلى الله تعالى بالمهدي عليه السلام . منها : روى عاصم بن حميد قال قال أبو عبد الله عليه السلام : [إذا حضرت أحدكم الحاجة فليصم يوم الاربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة ، فإذا كان يوم الجمعة اغتسل ولبس ثوباً نظيفاً ، ثم

وفي رواية عبد الله بن سنان قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يُرى ولا إمام هدى ، ولا ينجو منها إلا مَن دعا بدعاء الغريق ، قلت : كيف دعاء الغريق ؟ قال : يقول : يا الله يا

يصعد إلى أعلى موضع في داره فيصلي ركعتين ثم يمد يده إلى السماء ويقول : اللهم .. وأتقرب إليك بالبقية الباقي المقيم بين أوليائه الذي رضيته لنفسك ، الطيب الطاهر الفاضل الخير ، نور الارض وعمادها ، ورجاء هذه الامة وسيدها ، الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر ، الناصح الامين ، المؤدي عن النبيين ، وخاتم الاوصياء النجباء الطاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين .] [مصباح المتهجد : صد ٢٨٧ - ٢٩٢] . وروي عن الصادق ﷺ قال : [من قُلّ عليه رزقه أو ضاقت عليه معيشته أو كانت له حاجة مهمة من أمر دنياه وآخرته فليكتب في رقعة بيضاء ويطرحها في الماء الجاري عند طلوع الشمس ، وتكون الاسماء في سطر واحد : بسم الله الرحمن الرحيم ، الملك الحق المبين ، من العبد الذليل إلى المولى الجليل ، سلام على محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والقائم سيدنا ومولانا صلوات الله عليهم أجمعين ، رب عسى الخير والخوف ، فاكشف ضري ، وآمن خوفي ، بحق محمد وآل محمد ، وأسألك بكل نبي ووصي وصديق وشهيد أن تصلي على محمد وآل محمد ، يا أرحم الراحمين ، إشفعوا لي يا سادتي بالشأن الذي لكم عند الله ، فإن لكم عند الله لشأنا من الشأن ، فقد عمني الضر يا سادتي والله أرحم الراحمين ، فافعل بي يا رب كذا وكذا] [البلد الامين : صد ١٥٧] . وروي عن الصادق ﷺ أنه قال : [صم يوم الاربعاء والخميس والجمعة فإذا كان يوم الجمعة اغتسل والبس ثوبا جديدا ، ثم اصعد إلى أعلى موضع في دارك ، وأبرز مصلاك في زاوية وتقول : اللهم إني حللت بساحتك لمعرفتي بوجاهتيك .. وأسألك بالحق الذي جعلته عند محمد وآل محمد وعند الائمة علي والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والحجة عليهم السلام ، أن تصلي على محمد وآل محمد وأهل بيته] [مصباح المتهجد : صد ٢٩٢] . كما يُستحب زيارة النبي والائمة ﷺ في يوم الجمعة وقد روي عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ أنه قال : [من أراد أن يزور قبر رسول الله ﷺ ، وقبر أمير المؤمنين ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وقبور الحجج ﷺ وهو في بلده فليغتسل [في] يوم الجمعة وليلبس ثوبين نظيفين ، وليخرج إلى فلاة من الارض ، ثم يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن ما تيسر من القرآن ، فإذا تشهد وسلم فليقم مستقبل القبلة وليقل : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك أيها النبي المرسل والوصي المرتضى ، والسيدة الكبرى والسيدة الزهراء والسبطان المنتجبان ، والاولاد والاعمام والامناء المنتجبون المستخزنون ، جئت انقطاعا إليكم وإلى آبائكم وولدكم الخلف على بركة حق ، فقلبي لكم مسلم ، ونصرتي لكم معدة ، حتى يحكم الله بدينه ، فمعكم معكم لا مع عدوكم ، إني لمن القائلين بفضلكم مقر برجعتكم ، لا أنكر الله قدرة ولا أزعم إلا ما شاء الله ، سبحان الله ذي الملك والملكوت ، يسبح الله بأسمائه جميع خلقه ، والسلام على أرواحكم وأجسادكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته] [مصباح المتهجد : صد ٢٥٣] .

رحمن ، يا رحيم ، يا مقلّب القلوب ، ثبّت قلبي على دينك . فقلت : يا أنه يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب والابصار ثبّت قلبي على دينك ، قال ﷺ : إن الله عزّ وجلّ مقلّب القلوب والابصار ، ولكن قل كما أقول لك : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك][1] .

أي أنّ الإمام ﷺ كان في مقام التأكيد على ان العالم الجديد ، الذي سيشرق بظهور قائم آل محمّد المهدي سيكون بعد غيبة له ﷺ ، تحتاجُ إلى صبرٍ ورويّة وتثبيت . وقد أشار ﷺ في أكثر من مقامٍ ونصّ انّ محطّة المهدي ﷺ وإعلان ظهوره يكون بعد علاماتٍ وعلامات وانّه يكون بعد غيبتين ..

كلُّ ذلك في وقتٍ يكون العالَمُ فيه على نحوٍ من قرصنةٍ عنيفة في مجال النُّظُم والقيام والهيكل وما يتلوه من سلوك وأعراف وتقاليد وحواجز مختلفة ..

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٣٥١ - ٣٥٢ ب ٣٣ ح ٤٩ -

استحضار القائم ﷺ ونموذج حركته ﷺ في بعض نصوص الإمام موسى الكاظم ﷺ

ملاحظة :

لأنني سردت مجموعة واسعة من النصوص الواردة عن النبي والإمام علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق فيما سبق ، لذلك آثرت هنا أن أخصّص مجموعة من النصوص الواردة في الإمام المهدي ﷺ على لسان الأئمّة الباقين ﷺ لما فيها من كنوز وقيم وإشارات مذهلة تعطينا صورة رفيعة ومدهشة عن عالم الإعجاز الذي أحاط الله به أهل البيت ﷺ ومقام الرفعة الذي أولادُ اللهُ بالمهدي ﷺ .. فمن المعهود انّ الأئمة ﷺ اطنبوا في ذكر المهديُّ ﷺ وسرد علامات أمرهِ وقيام حكمهِ ونشر دولتهِ ، وبثُّوا من الأحاديث ما تهتزُّ له القلوب .

ولقد كان ذكرُ المهدي ﷺ حاضراً بشدة زمن النبيُّ ﷺ على لسانه الشريف . وكذا على لسان الأئمّة جميعاً وبشكل عظيم وظاهر ومُشيَع . والمنقول عن الإمام الكاظم ﷺ انّه كان كآباءهِ ، كثيرَ الذكرِ للمهديِّ ﷺ ، يشيرُ على اصحابهِ ابتداءاً بأخبارهِ ﷺ . ويوماً كان بين أصحابهِ وهم يذكرون المهدي ﷺ فسألوه عن شخصه ؟ فقال ﷺ : (إذا توالت ثلاثة أسماء محمد (و) علي والحسن فالرابع هو القائم صلّى الله

عليهم][1] . وهو يعني بذلك محمّد الجواد ، وعلي الهادي والحسن العسكري ﷺ ، فإذا وُلِدوا ، فإنّ الذي يكون مِن الحسن العسكري هو المهدي محمّد ﷺ ..

وفي مجلسٍ آخر سأله واحدٌ من اصحابه ﷺ عن علامات ظهور المهدي ﷺ ؟ فقال : [تريد الاكثار أم أجمل لك ؟ قال : بل تُجمل لي (أي تختصر) ، فقال ﷺ : إذا ركزت رايات قيس بمصر ، ورايات كندة بخراسان][2] . وفي نصٍّ آخر لم يذكر رايات كندة ، بل ذكَرَ رايات .. في خراسان . وقد مرَّ عليك أنّ مجموع أحداث ضخمة تقع في المنطقة ما بين إيران ومصر ، وتشمل الأقطار المحيطة التي بين هاتين المنطقتين . على انّ أرض خراسان تُعتبر المهد الأكبر الذي يُوطّئ لمولانا المهدي ﷺ . على انّ وقعات دمويّة تقع بين الأبقع والأصهب والسفياني ، بالإضافة إلى الراية المغربية ، والتي يتبلور على أثرها ميزانٌ جديد من القوى في هذه المنطقة .

في حين قوّة خراسان تصل إلى مرحلة تعبُر من خلالها إلى إيلياء (القدس) ، وفي بعض المتون انّها تشقُّ طريقها عبر العراق والشام ومصر والأردن وأكناف بيت المقدس وصولاً إلى قنطرة في مصر ، واجتياز إلى بيت المقدس .. والملاحظ مِن لجنٍ مجموعة من النصوص انّ بعض أصحاب أو أتباع الأئمّة ﷺ كانوا يُلحّون على تحديد وزمن ظهور مولانا المهدي ﷺ ، ومعلوم انّ الشيعة اصابهم اضطهاد عظيم وقتل عنيف ، وقمع لا يُوصف من الدولتين الأمويّة والعباسيّة . ولأنّ بعض الأتباع كانوا

---

[1] رسالة الغيبة للمفيد : ص ٤٠٠ –

[2] الفضل (بن شاذان) – على ما في غيبة الطوسي . * : الارشاد : ص ٣٦٠ – غيبة الطوسي : ص ٢٧٣ – كما في الارشاد بتفاوت ، عن الفضل : – وفيه " إذا تحركت رايات .. بخراسان ، أو ذكر غير كندة " .

يسمعون بقيام دولة لآلِ محمّد ﷺ ذات بُعد عالمي شامل على يد المهدي ﷺ كان بعضهم يُكثّف أسئلتَهُ عن المهديّ ومتى ، وإلى متى .. فكان لأئمة ﷺ يجيبونهم بحكمة ، حكمة تُعطيهم الأمل وتمنع سقوطهم في تيه الإحباط مع الحفاظ على أصل المعنى . وفي وقت كانوا ﷺ يركّزون بطائفة واسعة من النصوص على حقيقة ما يكون في ذلك الزمن وموضوع الغيبة وشروط وصفات الظهور وما يؤول إليه الأمر ليكون بين يدي الأمم والناس أجمعين . كانوا ﷺ بعض الأحيان يُجيبون بعضَ السائلين برموزٍ وعلامات مختصرة فلا يُثيرون أمامه موضوعَ الغيبة الطويلة ، ومرّة يُجيبون بصفاتٍ تتعلّق ببيئة المنظومة والسلوك البشري ، ومرّةً ثالثةً يجيبون بشكلٍ صريحٍ تام حول العلامات والصفات . وبتعبيرٍ آخر : كان الإمام ﷺ يُجيب كلَّ فئةٍ بما يُقيم أمرها ويحفظ تماسكها ، ولا يسقطها في الإحباط ، والناس كما هو معلوم : أصناف في الفهم والتدبُّر . في حين يحفظ في طائفةٍ أخرى كافّةَ ما يجب أن يُقال حول موضوع المهدي ﷺ .

مثلاً : في رواية علي بن يقطين قال : قال لي أبو الحسن ﷺ : [الشيعة تربى بالأماني منذ مأتي سنة . قال : وقال يقطين لابنه علي بن يقطين : ما بالنا قيل لنا فكان ، وقيل لكم فلم يكن ؟ قال : فقال له علي : إنّ الذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد ، غير أنّ أمركم حضر فأُعطيتم محضه فكان كما قيل لكم . وإنّ أمرنا لم يحضر فعلّلنا بالأماني . فلو قيل لنا : إن هذا الامر لا يكون إلى مائتي سنة أو ثلاث مائة سنة لقست القلوبُ ولرجع عامّةُ الناسِ عن الاسلام . ولكن قالوا : ما أسرعه وما أقربه تألُّفاً لقلوب الناسِ وتقريباً للفرج][1] .

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٦٩ ح ٦ .

أقول : هذه الرواية مفتاح رئيسي كبير يجب أن يمتلكه الشرّاح ، إنّها إطار ضروري للفهم والإستيعاب الأشمل . إنّها مقطوعة ذهبيّة شديدة الإرشاد إلى قانون التفسير والشرح . فلاحظْها واحفظها وضعها في ذهنك لتكون شاهداً تدبيرياً شرحيّاً لمجموعة من المقطوعات الواردة على نحو هذا القانون المركوز في متنها . في حين كان ﷺ يخاطب فئةً من أصحابه بنحوٍ أكثر دقّةً وشمولاً وإيضاحاً ، فيؤكّد عليهم أنّ زمن المهدي ﷺ ودولة آل بيت محمّد تكون في الثاني عشر من آل محمّد ﷺ ، وأنّ ذلك يكون بعد تمحيصٍ واختبارٍ صعب يمرّ على العالم ، عالم تكثر فيه الملاحم ويسطو فيه الفساد وتنحرف فيه المواثيق ، وتتعالى فيه أهازيج الباطل وشبه ذلك .

وفي رواية إبراهيم بن هلال قال : قلت لأبي الحسن ﷺ : جُعلت فداك ، مات أبي على هذا الامر ، وقد بلغتُ من السنين ما قد ترى ، أمْوتُ ولا تخبرني بشيء ، فقال ﷺ : [يا أبا إسحاق أنت تعجل ، فقلت : إي والله أعجل ، وما لي لا أعجل ! وقد كبر سني ، وبلغتُ أنا من السنّ ما قد ترى . فقال : أما والله يا أبا إسحاق ، ما يكون ذلك حتى تَمَيَّزوا وتمحَّصُوا ، وحتى لا يبقى منكم إلا الأقل ، ثم صعر كفه][1] .

إذن الأمر رهين صفات وعلامات ومواقيت محدّدة ، وانّ الوصف الذي يطال الشيعة في ذلك الزمن الإختباري الصعب ليس محصوراً فيهم ، بل يطال الأمم والحضارات المختلفة ، نعم خصوص الشيعة يطالهم أذىً لخصوص إنكار الأمم أمرَ المهديّ ﷺ من جهة ، وبسبب الإنحراف الخطير

---

[1] النعماني : صـ ٢٠٨ ب ١٢ ح ١٤ –

الذي يُصيب المواثيق والأمم والتي تتعارض على أثرها النماذج السلوكيَّة مع الإسلام مع إصرار دولة خراسان ورايات إماميّة محدَّدة على التمسُّك بالإسلام مهما كلّفها الأمر من جهدٍ وبذل دماء وقتل وجوع وبلاء وتمحيص في سبيل الله .

وعليه : الشيعة لصقات الحجّة والبرهان تتعلّق بموضوع المهديّ ﷺ والإعداد له ، والتوطئة لسلطانه ، وبذل جهود مختلفة لبناء قاعدة وبنية تأييديَّة تعبويَّة فضلاً عن قيام دولتهم - دولة خراسان - التي يُصيبها جهدٌ واضح تتعرَّض على أثره لظروف صعبة بأشكالٍ متنوِّعة ، بعضها شديد الأثر . وهم مع ذلك - بنصِّ الروايات الصريحة - يصبرون ويصمدون ويملكون من أدوات وأسباب الصمود والمواجهة ما يجعلهم حصناً من فِتَنِ الإنحراف وتوحُّش الجبابرة .

وفي بعض النصوص أنَّ بعضَ الأصحاب كانوا يسألون الإمام ﷺ عن موضوع المهدي ﷺ ضمن مضامين أو شبه مضامين حول عناوين مثل : هل المهدي مَن يسحق العباسيين ..؟ هل قريت دولة المهدي ..؟ متى تقوم دولتُكم ..؟ والملفت في إجابة الإئمّة ﷺ التركيز على انَّ أمر المهدي يكون بعد مظاهر محتَّمة ، وانَّ أمر بني العباس ، أي دولتهم عاصية عن الزوال والإنهيار بفعل شروط التاريخيّة السببيّة وصولاً إلى بداية التحوُّل السببي التاريخي أيضاً . وعليه : دولتُنا ليست في سياق دولة بني العباس التي كان السائل يعيشُ في أكنافها .

الأهم انَّ أهل البيت ﷺ كانوا يؤكِّدون على أمورٍ مذهلة ، وفق مفهوم العلم لا التحليل ، وفق مفهوم الحقائق التامّة لا القراءة المتجزأة أو

المأمولة . كانوا يُقدّمون المعارف المستقبليّة على نحوٍ يقيني تام . رغم انّك تقرأ في متون كثيرة نمطاً للمعصوم ﷺ يُؤثر فيه منعَ أيّ تسلُّل إحباطي إلى صدر السائل ، لقد كان يُعيّشُ بعضهم على الأماني ضمن حدود الحقيقة الربانيّة . في حين كان ﷺ شديد الصراحة والتفصيل مع ثلّة من الأتباع والأصحاب بخصوص تفاصيل محدّدة عن زمن الظهور ، لتكون واحدة من معالم خريطة المستقبل الحتمي ، والتاريخ الذي سيكون مشهوداً في المسرح الوجودي .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان الإمام الكاظمُ ﷺ في واحدٍ من مواقفه يشيرُ إلى انّ دولة بني العباس عصيّة في مساحةٍ من الزمن ، وانّها باقية رغم الأحداث والظروف إلى نهاية دعائمها التاريخيّة . وهذا ما أكّده التاريخ . رغم الصفات التحوّليّة التي طرأت على العصور المتنوّعة للعباسيين بين قوّة ووهن ، بحيث قضت زمناً طويلاً نسبيّاً امتدّ من عام ١٣٢ حتى ٦٥٦ هجريّة . لقد كان هذا من نصوص المستقبل التي تشير إلى عظمة أهل البيت ﷺ في بيان حقائق المستقبل : علماً من عليم . من مصدر الغيب وسببه . نعم بعض النصوص تُفرّق بين دولتين لبني العباس ، أوّلها يظنُّ الرجل أنّها انتهت فتتجدّد ، وهذا ما حصل بشكلٍ مثير . وآخرها تكون إلى ما قبل ظهور المهدي ﷺ . وهي تتحقّق في ناحيةٍ من نواحي العراق ، تقع فريسة السفياني الذي ينتصر عليها فيما بعد ، ثم تكون فترة احداث ظهور المولى الأعظم ، بقيّةُ الله من أئمة آل محمّد ﷺ ..

وفي رواية علي بن أبي حمزة قال : زاملتُ أبا الحسن موسى بن جعفر ﷺ بين مكة والمدينة ، فقال لي يوماً : [.. يا علي ، لو أنّ أهل السماوات والأرض خرجوا على بني العباس لَسُقِيت الارضُ بدمائهم حتى

يخرج السفياني (النص يؤكّد بوضوح على وجود دولة لبني العباس قبل خروج السفياني . وذيل النص كفيل بالتفريق بين دولتين !) ، يقول : قلت له : يا سيّدي ، أمرُهُ مِن المحتوم ؟ (أي السفياني) ، قال ﷺ : نعم . ثم أطرق هنيئة ، ثم رفع رأسه وقال ﷺ : مُلكُ بني العباس مكرٌ وخدع . ويذهب حتى يُقال : لم يبقَ منه شيء ، ثم يتجدّد حتى يُقال : ما مرَّ به شيء][1] . إشارة شديدة الوضوح إلى دولتين : دولة تذهب حتى يُقال انتهت . ثمّ تتجدّد لهم دولة قبل خروج السفياني ويكون لها حضور ظاهر .

وكما هو واضح : الحديث قطعة من مجموع كلام صادر عن المعصوم ، منه هذا البيان الذي يؤكّد طابع العلامات الوصفيّة الواقعة لمعنى من معاني الكيان السياسي زمن الكاظم ﷺ ثم فترة آخر الزمن التي يكون فيها ظهور قائم آل محمّد المهدي ﷺ ..

وعن ذلك العالَم يُؤكّد الكاظم ﷺ على أوصافٍ متنوّعة بخصوص زمن الظهور ، فيشيرُ إلى « قم » وما تعنيه في ذلك الزمن . فقد روى صفوان بن يحيى بياع السابري قال : كنتُ يوماً عند أبي الحسن ﷺ ، فجرى ذكر قم وأهله وميلهم إلى المهدي ﷺ ، فترحَّم ﷺ عليهم وقال : [رضي الله عنهم . ثم قال : إنّ للجنة ثمانية أبواب ، وواحد منها لأهل قم ، وهم خيارُ شيعتنا مِن بين سائر البلاد ، خمر الله تعالى ولايتنا في طينتهم][2] .

---

[1] الخصائص - ص ٣٠٢ ب ١٨ ح ٩

[2] تاريخ قم : لحسن بن محمد بن الحسن القمي : على ما في البحار . * : البحار : ج ٦٠ ص ٢١٦ ب ٣٦ ح ٣٩ - عن تاريخ قم .

تأكيداً منه ﷺ على أمرِ « قم » وأهلها . وما يكون منها في آخر الزمان ، وما تحتلُّه من موقعٍ احتجاجي علمي وصناعي لِعالَم البرهان وقيادة دولة الإيمان في آخر الزمان . وفي طائفة متعدِّدة أنَّهم يُشكِّلون مرجعيَّة رفيعة في سماء العلم والحجَّة والدِّين والمذهب كواحدةٍ من الصفات التي لا بدَّ أن تُشكِّل عناصر مِن حزمة مجتمعة في آخر الزمان ومعالمه المتعدِّدة .

وأمرُ المهدي عنوانٌ شديدُ السطوع والإنتشار ، له وقع واقتران في وقفاتٍ تاريخيَّة محدَّدة . منها مثلاً ما ورد في أمر المهدي ﷺ وما وقع في سَمْعِ عبد المطلب حين احتفر زمزم . ففي الرواية عن الحسنِ بن راشد قال : سمعت أبا إبراهيم ﷺ يقول :

[لما احتفر عبد المطلب زمزم وانتهى إلى قعرها ، خرجت عليه من إحدى جوانب البئر رائحة منتنة أفظعته ، فأبى أن يتثنى ، وخرج ابنه الحارث عنه ، ثم حفر حتى أمعن ، فوجد في قعرها عيناً تخرج عليه برائحة المسك ، ثم احتفر فلم يحفر إلا ذراعاً حتى تجلَّاهُ النومُ فرأى رجلاً طويل الباع ، حسن الشعر ، جميل الوجه ، جيِّد الثوب ، طيِّب الرائحة وهو يقول : احفر تغنم وجُدْ تسلم ولا تدخرها للمقسم ، الاسياف لغيرك والبئر لك ، أنت أعظم العرب قدراً ، ومنك يخرج نبيُّها ووليُّها والاسباطُ النجباء الحكماءُ العلماء البصراء ، والسيوف لهم وليسوا اليوم منك ولا لك ، ولكن في القرن الثاني منك بهم يقير اللهُ الارضَ ويخرج الشياطين من أقطارها ويذلّها في عزّها ، ويهلكها بعد قوتها ، ويذل الاوثان ويقتل عبادها حيث كانوا ، ثم يبقى بعده نسلٌ من نسلك هو أخوه ووزيره ودوته في السن . . فوجد ثلاثة عشر سيفاً مسندةً إلى جنبه ، فأخذها وأراد أن يبث (يبت) ، فقال : وكيف

ولم أبلغ الماء ، ثم حفر ، فلم يحفر شبراً حتى بدا لـه قـرن الغـزال ورأسـه فاستخرجه وفيه طبع : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، عليٌّ وليُّ الله ، فـلان (المهدي) خليفةُ الله . فسألته فقلت : فلان متى كان قبله أو بعده ؟ قال : لـم يجيئ بعد ولا جاء شيئ مِن أشراطه (يعني المهدي) . .

ورأى عبد المطلب أن يبطل الرؤيا التي رآها فـي البئر ، ويضـرب السيوف صفائح البيت ، فأتـاه (أمـر) الله بـالنوم فغشـيه وهـو فـي حجـر الكعبة ، فرأى ذلك الرجل بعينه وهو يقول : يا شيبة الحمد . . ضع السيوف في مواضعها . . فادفع هذه الثلاثة عشر سيفاً إلى ولد المخزومية ولا يبـان لك أكثر من هذا ، وسيف لك منها واحد سيقع من يدك فلا تجد له أثـراً إلا أن يستجنه جبل كذا وكذا ، فيكون من أشراط قائم آل محمد صلى الله عليه وعليهم ، فانتبه عبد المطلب وانطلق ، والسيوف على رقبته فأتى ناحيـةً من نواحي مكّة ففقد منها سيفاً كان أرقها عنده ، فيظهر من ثم . ونحن نقول : لا يقع سيف من أسيافنا في يد غيرنا إلا رجل يعين به معنا إلا صـار فحمـا ، قال : وإن منها لواحداً في ناحيةٍ ، يخرجُ كما تخرج الحيَّـة فيبـين متـه ذراع وما يشبهه ، فتبرق له الارض مراراً ثم يغيب ، فـإذا كان الليل فعل مثل ذلك ، فهذا دأبه حتى يجيئ صاحبه ، ولو شئت أن أسمي مكانـه لسـمَّيتُه ، ولكن أخاف عليكم مِن أن أسمِّيه فتسمّوه فينسب إلى غير ما هو عليه][1] .

وكما ترى : هذا واحد من أنواع البشارة العظيمة التـي تتحـدَّث عـن النبوَّة والإمامة ، النبوَّة في شخص النبيِّ محمَّد ﷺ ، والإمامة في شـخص الإمام علي وصيِّ النبي ، وولده مِن ولدِه الحسين : المهدي الذي يخرج فـي

---

[1] الكافي : ج ٤ ص ٢٢٠ ح ٧ –

آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما مُلئت ظلماً وفساداً . ويبدو من طيّات مجموع نصوص انّ المهدي ﷺ إذا قام وحكم الدنيا ونشر العدل فيها تسلطن القانون ، وانتظم أمرُ الأمّة البشرية وطالها نوع رفيع من السعادة والإنتصاف .

وفي لحن بعضها تأكيد على انّ المحاباة والوساطة أو الخرق للقانون سواء كان مدنياً أو اجتماعيّاً أو غير ذلك أمر ممنوع . وهذا أمر حفحت به النصوص . وفي رواية علي بن سويد عن أبي الحسن موسى ﷺ قال : [إذا قام قائمنا ﷺ قال : يا معشر الفرسان ، سيروا في وسط الطريق ، يا معشر الرجال ، سيروا على جنبي الطريق . فأيما فارس أخذ على جنبي الطريق فأصاب رجلاً عيب ألزمناه الدية . وأيما رجل أخذ في وسط الطريق فأصابه عيب فلا دية له][1] . أي في زمن المهديّ يكون قانون النظام عنواناً ساطعاً طافحاً إلى حدّ انّ أصول الإحتجاج وتحميل المسؤوليّات المدنيّة وغيرها يكون على نحوٍ شديد الإنتشار والنفاذ ..

أمّا لماذا الإشارة إلى هذه العناوين ؟ بطبيعة الحال هي نوع تأكيدي لمعنى سطوع وانتشار القانون المطلق الذي يمنع المحاباة أو الإلتفاف عليه وشبه ذلك . وذيل النص يؤكّد طابع الأصول التي تُشكّل قرائن تحميل للمسؤوليّة وشبه ذلك .. وفي أصل النص إشارة ضمنيّة إلى انّ أمر الشريعة يحكم دون تزييف أو عزل أو إنقاص . إنّها ساعةُ الربّ التي تعلو فيها شريعتُهُ كلّ شيء . ربّما الألفاظ جاءت بسياق تاريخي أو قوالب زمنيّة إلا انّها على قانون المستقبل تشيرُ إلى المعنى الواجب الإلتفات !

---

[1] التهذيب : ج ١٠ ص ٢١٤ ب ٢٨ ح ١١٦٩ –

ومهما يكن من أمر فإنّ موضوع المهديّ ﷺ احتلّ مركزاً عميقاً في مساحة السؤال والجواب للمعصوم ﷺ ، وشكّل ضرورة في مقام الإجابة عن صاحب أمر الإمامة . ومقام الإمامة منصبٌ ربّاني عظيم ، أمرُهُ بيد الله تعالى الذي بيّنَ وحدّد هويّة الأئمّة الإثني عشر ﷺ ، وبدورهم الأئمة ﷺ : بيّنُوا مَن يقوم بالأمر إماماً بعد إمام منعاً للإنحراف والإستغلال . ومع ذلك – ومع سطوع الحجّة – انحرف قومٌ لمطالب دنيويّة وغايات منفعيّة باطلة . وفي رواية موسى بن القاسم البجلي عن علي بن جعفر ﷺ قال : جاء رجلٌ إلى أخي ﷺ فقال له : جعلت فداك ، مَن صاحب هذا الامر ؟ فقال ﷺ : [أما إنّهم يُفتَنُونَ بعد موتي فيقولون : هو القائم . وما القائم إلا بعدي بسنين][1] .

أي لا يكون هذا الذي بعدي القائم . القائم يكون بعد زمن . دون تحديد للزمن ..! أصل المطلب في النص تأكيده ﷺ انّ المهدي ﷺ ليس بعدهُ مباشرةً . وانّه سيكون بعد كرّ السنين دون ان يحدّد مدّة . وانّ قوماً سيستغلّون موضوع المهدي ﷺ المتواتر على لسان المسلمين جميعاً وهم قوم يريدون تمزيق أمر الإمامة فيعمدون إلى إعلان الإمام الكاظم ﷺ الذي توفّي على انّه المهدي ﷺ .! من هنا تبرّئ الإمامُ الكاظمُ ﷺ منهم وحذّر من هذه الأنماط التي تتداخل فيها أيدي العباسيين مع غيرهم بهدف توهين أمر الإمامة ومنعها من النفوذ إلى صدور المسلمين .

وفعلاً نشأت الفرقة الموسوية التي لم يكن لها أمر كبير أو قدرة في النفوذ ، حيث أعلنت انّ الإمام الكاظم ﷺ هو المهدي .! بهدف إبطال أمر

---

[1] الكشي : ص ٤٥٩ رقم ٨٧٠ –

الإمامة . وقد ساق هؤلاء الإمامةَ إلى الإمام جعفر الصادق ﷺ ، ثم زعموا أنَّ الإمام بعده ابنه موسى بن جعفر ﷺ ، كما زعموا أنَّ موسى بن جعفر حي ولم يمت وأنه هو المهدي المنتظر !! وقد أفشل الإمام الكاظم ﷺ ومن بعدَهُ من الأئمة ﷺ أحدوثة هذه الجماعة المنحرفة التي دفعتها الدنيا إلى ذلك ..! وقصتُّها معروفة ..

ومن يقرأ تاريخ الأمويين والعباسيين يجد انه لم يكن لهم من أمرٍ إلا إبطال أمر الإمامة ومحاولة توهين موقعها والتشويش عليها . ويأبى الله إلا أن يُتِمَّ نورَهُ ولو كره المشركون ولو كره الكافرون ، وقد قال تعالى في أصل مطلب إتمام نور الله ودينه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢/٩﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣/٩﴾

وعلى خطٍّ آخر كان الإمام الكاظم ﷺ يُحذِّر من مخطَّطات العباسيين وغيرهم ممَّن يعملون الدسائس ويُشيعون الدعايات ويسوِّقون ما من شأنه المساهمة في إبطال أمر الإمامة . من هنا فقد كان ﷺ يؤكِّد على أمر المهدي ﷺ بشيءٍ من الكناية والبشارة ورموزها على مسامع بعض ، ويتلو التفاصيل على مسامع البعض الآخر في ظرفٍ عباسي مُستبدٍّ طاغٍ بحقِّ أهل البيت ﷺ .. وفي رواية علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر قال ﷺ : [إذا فُقِدَ الخامسُ من ولد السابعِ (يعني المهدي ﷺ) ، فاللهَ اللهَ في أديانكم ، لا يزيلكم عنها أحد . يا بني ، إنه لا بدَّ لصاحب هذا الامر من غيبةٍ حتى يرجع عن هذا الامر مَن كان يقول به . إنما هي محنةٌ من الله عزوجل امتحنَ بها خلقه . لو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً

أصح من هذا لاتبعوه . قال : فقلت يا سيدي : مَن الخامس من وُلد السابع ؟ فقال : يا بني عقولكم تصغر عن هذا ، وأحلامكم تضيق عن حمله ، ولكن إنْ تعيشوا فسوف تدركونه [1] .

الخامس من وُلد الإمام الكاظم هو المهدي ﷺ . وبتعبيرٍ أوضح : يعني بالخمسة : ١. علي بن موسى الرضا ، ٢. محمّد الجواد ، ٣. علي الهادي ، ٤ . الحسن العسكري ثم الخامس : وهو المهدي ﷺ المنتظر من وُلد الكاظم ﷺ . وهو الولد المباشر من الإمام العسكري ﷺ . مؤكّداً انّه له غيبةٌ تشكّل محنة واختباراً بارزاً ، للشيعة والمسلمين من جهة وللعالَم بجميع أصنافه وملَله من جهةٍ أخرى . وفيها تتَّسم معالم الزمن الأخير بظروفٍ وصفاتٍ تدلُّ على الإنحراف الصارخ الذي يصيب قافلة البشر ومواثيقها وقيمها ومفاهيمها الوجوديّة ..

وبطبيعة الحال : محنة أو اختبار الشيعة أو المسلمين أو باقي أصناف البشر تختلفُ بأطر العناوين والقيم المفروض أن تشكّل إطار الحجّة المُعلنة في حقل البشر أينما حلُّوا أو ارتحلوا .. وهذا يعني التنوُّع في مفهوم الحجّة والتعدّد والتكثُّر الذي يلازم كثرة البشر وأصنافها المذهبيّة والمليّة وغير ذلك ..

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٣٦ ح ٢ – وفي : النسخة الخطية : ص ٨٨ – عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ، وفيه " .. فتموت بشك منه ، قال (لا) أنا السابع وابني علي الرضا الثامن ، وابنه محمد التاسع ، وابنه علي العاشر ، وابنه الحسن حادي عشر ، وابنه محمد سمي جدي رسول الله وكنيته المهدي الخامس بعد السابع ، قلت : فرج الله عنك يا سيدي كما فرجت عني " . ملاحم ابن طاووس : ص ١٨٥ – عن المجموع مرسلا ، عن موسى بن جعفر عليه السلام : – وفيه " .. إذا فقد الخامس من ولدي سلبت الرحمة من قلوب شيعتنا حتى يظهر القائم . ألله ألله في أديانكم لا يزيلنكم عنها أحد ، فإنه لا بد لصاحب هذا الامر من غيبة يرجع فيها كثيرون مما (ممن) يقولون بهذا الامر " .

ولقد ركّز الإمام الكاظمُ عليه السلام جداً على موضوع المهدي عليه السلام ، مؤكّداً انّ للمهدي صفةً خاصّةً فيه ، يمتاز بها ويعرف بتحقّقها . وهو الخامسُ من ولده عليه السلام . ففي رواية يونس بن عبد الرحمن قال : دخلتُ على موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له : يا ابن رسول الله أنت القائم بالحق ؟

فقال : [أنا القائمُ بالحق ، ولكن القائم الذي يُطهّرُ الارضَ من أعداء الله عزوجل ويملأها عدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً هو الخامس من وُلدي . له غيبةٌ يطول أمدها خوفاً على نفسه (صفة امتاز بها المهديُّ عن غيره من الأئمة) ، يرتدُّ فيها أقوامٌ ويثبت فيها آخرون . ثم قال عليه السلام : طُوبى لشيعتنا المُتمسّكين بحبلنا في غيبة قائمنا عليه السلام ، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا ، أولئك منّا ونحن منهم ، قد رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة ، فطوبى لهم ، ثم طوبى لهم ، وهم والله معنا في درجتنا يوم القيامة][1] .

وكذا ورد عن كفاية الاثر ، وفيه : [. . هو الخامس من ولدي – إلى أن قال – وهو الثاني عشر منّا ، يُسهّلُ الله تعالى له كلّ عُسر ، ويذلّلُ له كلّ صعب ، ويُظهرُ له كنوزَ الارض ، ويقرّبُ عليه كلّ بعيد ، ويبيرُ به كلّ جبار عنيد ، ويُهلكُ على يده كلّ شيطان مريد . ذلك ابن سيدة الاماء الذي تخفى على الناس ولادتُه ، ولا يحل لهم تسميته حتى يظهره الله فيملأ به الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً][2] .

معنى ذلك : انّ الأئمّة عليهم السلام كانوا يُركّزون بعمق واضح على أمر المهديُّ ورتبته التسلسليّة بين الأئمّة من حيث العدد ، وانّه الثاني عشر ، أي

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٣٦١ ب ٣٤ ف ٥ – مستدرك الوسائل : ج ١٢ ص ٢٨٢ ب ٣١ ح ١٤٠٩٨ –

[2] نفس المصدر .

الخامس من ولد السابع . وانّ له غيبةً يصيب الشيعة والعالم حينها محنة ظاهرة ، ثمّ ييسّر اللهُ يسرهُ بعد عسرٍ ، وظروف ضاغطة جداً على البشرية بمختلف أطيافها وكياناتها مع التفاوت بين كيان وكيان . وانّ العظمة الزاهية هي للشيعة المتمسّكين به في غيبته ، وانّ هؤلاء المُتّبعين هم الصنف الأميز على الإطلاق والطائفة التي يُدعى اللهُ بها ويُرجى لها عظيم الخير والأثر .

وكنّا قد أشرنا إلى انّ موضوع عدم ذكر إسمه ﷺ إنّما ورد لأسباب تدبيرية احترازيّة مرّةً ووظيفيّة مرّةً أخرى ، منها منع استغلال هذا المقام الرفيع . ومعلوم في التاريخ أنّ بني العباس وجماعات أخرى عملوا جاهدين ليستغلّوا إسم المهدي وصفاته بهدف تجميع الدعم لهم والطاعة لسلطانهم . وأولئك الذين خرجوا بثورات أعلن بعضُ قادتها انّه المهديُّ المنتظر بهدف حشد الناس حوله ! بل حدّثنا التاريخ عن بعض الثورات التي أعلن بعضُ قادتها انّه الدجّال بهدف تخويف الناس ودفعهم للتنزول على سلطانه لما شاع وانتشر من انّ أمر الدجّال أوّل الأمر يكون على نحوٍ من نصرٍ ومنفعةٍ وربح وفوائد ..

وعلى كلّ حال : كشّف أهلُ البيت ﷺ من بيان الصفات الفريدة التي تصبُّ في خانة أمر المهدي ﷺ وتكون معلماً دالاً عليه وحده . لما يعنيه أمرُ المهدي من تغيُّر استراتيجي هائل في ثقافة وأنماط وقيم ومعارف دنيا الإنسان في آخر الزمن . ففي رواية العباس بن عامر القصباني قال : سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر ﷺ يقول : [صاحب هذا الامر مَن يقول الناس لم يولد بعد][1] . أي ينكر قسمٌ من الخلق ولادتهُ ويكذّبون الأمر ، ويسخرون

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٣٦٠ ب ٣٤ ح ٢ .

من ذلك ، وهذا كما ترى : جزء من عمليّة نفسيّة وحرب دعائيّة تريد تدمير بُنى الإعتقاد بالمهدي ﷺ . من هنا أشار الكاظمُ ﷺ إلى انّ المهديّ ﷺ بالإضافة إلى صفاته المتعدّدة يُشكّك قسمٌ من الناس بولادته فيقولون : ما وُلد بعد . بل يصل الأمر مع البعض الآخر إلى القول : هلك ، في أيّ وادٍ سلك . ضمن غاية يُراد منها تفتيت أي تماسك في موقف الذين ينادون بأمر المهدي ويصرخون في وادي الأرض أنّ العالم على موعد ضخم ومفصلٍ عظيمٍ حين يخرج المهدي الذي ينادي بالقيم الوجوديّة ومعارف السماء ..

وعليه : كان الإنتظار ، إنتظار المهدي – بما يعنيه هذا الإنتظار من ثقافة وشحن همم واحترام لقيم الشريعة والعمل على تأسيس هياكل وفهم مؤسّسي لها في عمليّة تهميد وتوطئة ظهور المولى المهدي ﷺ – كان هذا الإنتظار بمثابة رقي رفيع في رتبة الشريعة ومعاني الثواب والرضا الرباني العظيم . ففي المرسل عن الامام موسى بن جعفر ﷺ – ضمن حديث طويل – قال : [.. أفضلُ العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج][1] .

تأكيداً منه ﷺ على ضرورة الإنتظار كعمليّة وظيفيّة شديدة التألّق والتعلّق بالإسلام ونُظُمِه وقيمه الإعتقاديّة والعمليّة .. ثم المهديُّ ﷺ يمثّل الثقل الأعظم من آل الرسول والحجّة التي لولاها لساخت الأرض بأهلها . ومعلوم انّ الأرض لا تخلو أبداً من الحجّة . وفي الرواية عن صفوان بن يحيى ، عن أبي الحسن الاول – يعني موسى بن جعفر ﷺ – قال : [ما ترك اللهُ عز وجل الارض بغير إمام قط منذ قبض آدم ﷺ ، يهتدى به إلى

---

[1] تحف العقول : صـ ٤٠٢

الله عزوجل ، وهو الحجة على العباد مَن تركه ضلَّ ، ومَن لزمه نجا ، حقّاً على الله عزوجل][1] . تأكيداً مِن آل النبيِّ ﷺ على انَّ أمر الإمامة كما أمر النبوّة عنوان حجّة الله والبرهان الساطع دوماً حتى نهاية الأرض . وأمرُ المهديِّ في غيبتِه كالشمسِ التي يحجبها الغيم وينتفع الناسُ بضوءها .

بل نرى حضَّ أهل البيت ﷺ الأتباعَ والشيعةَ على الإبتهال والتضرُّع إلى اللهِ تعالى لتعجيل أمرِ المهديِّ وإقامة العدلِ الوجودي على طول مساحة الكوكب الذي يسكنه البشر . لما تعنيه غيبة المهديِّ من غربة لأهل الإيمان في زمنٍ تتمُّ إعلاناتُهُ ومواثيقُهُ وقيمُهُ وأعرافُهُ ومظاهرُهُ على نحوٍ صارخٍ في مخالفة الدِّين والإنحراف عن قيم الكون وضرورات الإنسان[2] .

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ٢٢٠ ب ٢٢ ح ٣ .

[2] ولقد ذاع وشاع نصوصٌ يؤكِّد فيها مولانا الكاظم ﷺ في الدعاء بتعجيل الفرج بالمهدي ﷺ . ففي الرواية عن عبد الله بن جندب قال : سألت أبا الحسن الماضي ﷺ عمّا أقول في سجدة الشكر ، فقد اختلف أصحابنا فيه ؟ فقال ﷺ : قل وأنت ساجد : [اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنك أنت الله ربي والاسلام ديني ومحمدا نبيي وعليا وفلانا وفلانا إلى آخرهم أئمتي ، بهم أتولى ومن عدوهم أتبرأ . اللهم إني أنشدك دم المظلوم – ثلاثا – اللهم إني أنشدك بإيوائك على نفسك لأوليائك لتظفرنهم بعدوك وعدوهم أن تصلي على محمد وعلى المستحفظين من آل محمد ، اللهم إني أسألك اليسر بعد العسر – ثلاثاً – ثم ضع خدك الايمن على الارض وتقول : يا كهفي حين تعييني المذاهب وتضيق علي الارض بما رحبت ، ويا بارئ خلقي رحمة بي وقد كان عن خلقي غنيا صلِّ على محمد وعلى المستحفظين من آل محمد . ثم ضع خدك الايسر وتقول : يا منار كل جبار ويا معز كل ذليل ، قد وعزتك بلغ بي مجهودي – ثلاثا – ثم تقول : يا حنان يا منان يا كاشف الكرب العظام – ثلاثا – ثم تعود للسجود فتقول مائة مرة : شكرا شكرا . ثم تسأل حاجتك إن شاء الله تعالى][الكافي : ج ٢ ص ٢٢٥ – ٢٢٦ ح ١٧ –] . وفي فلاح السائل قال : ومن المهمات بعد صلاة الاقتداء بمولانا موسى بن جعفر الكاظم ﷺ في الدعاء لمولانا المهدي صلوات الله وسلامه وبركاته على محمد جده وبلغ ذلك إليه ، عن يحيى بن الفضل النوفلي قال : دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ببغداد حين فرغ من صلاة العصر

فرفع يديه إلى السماء ، وسمعته يقول : [. . أسألك باسمك المكنون المخزون الحي القيوم الذي لا يخيب من سألك به ، أن تصلي على محمد وآله ، وأن تعجل فرج المنتقم لك من أعدائك ، وأنجز له ما وعدته ، يا ذا الجلال والاكرام] [فلاح السائل : صـ ١٩٩ - ٢٠٠] . ومن ادعاء له عليه السلام بعد صلاة جعفر روى الحسن بن القاسم العباسي قال دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ببغداد وهو يصلي صلاة جعفر عند ارتفاع النهار يوم الجمعة فلم أصل خلفه حتى فرغ ثم رفع يديه إلى السماء ثم قال : [يا من لا تخفى عليه اللغات ، ولا تتشابه عليه الاصوات ، ويا من هو كل يوم في شأن ، يا من لا يشغله شأن عن شأن ، يا عدير الامور ، يا باعث من في القبور ، يا محيي العظام وهي رميم . . . اللهم صل على محمد وآل محمد ، وعلى حناك في عبادك ، الداعي إليك بإذنك ، القائم بأمرك ، المؤدي عن رسولك عليه وآله السلام ، اللهم إذا أظهرته فأنجز له ما وعدته ، وسق إليه أصحابه ، وانصره وقو ناصريه ، وبلغه أفضل أمله ، وأعطه سؤله ، وجدد به عن محمد وأهل بيته بعد الذل الذي قد نزل بهم بعد نبيك فصاروا مقتولين مطرودين مشردين خائفين غير آمنين ، نقوا في جنبك ابتغاء مرضاتك ومجاهدتك الاذى والتكذيب ، فصبروا على ما أصابهم فيك ، راضين بذلك مسلمين لك في جميع ما ورد عليهم وما يرد عليهم ، أللهم عجل فرج قائمهم بأمرك وانصره وانصر به دينك الذي غير وبدل ، وجدد به ما امتحي منه وبدل بعد نبيك صلى الله عليه وآله] [جمال الاسبوع : صـ ٢٨٥] . وعبد الله بن جندب ، عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال : [تقول في سجدة الشكر : اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنك أنت] الله ربي ، والاسلام ديني ، ومحمدا نبيي ، وعليا والحسن والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، والحجة بن الحسن بن علي ، أئمتي بهم أتولى ومن أعدائهم أتبرأ] [الفقيه : ج ١ صـ ٣٢٩ ح ٩٦٧] . * كما يستحب الدعاء له عليه السلام في يوم المباهلة . ففي الرواية عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام قال : يوم المباهلة اليوم الرابع والعشرون من ذي الحجة تصلي في ذلك اليوم ما أردت من الصلاة ، فكلما صليت ركعتين استغفرت الله تعالى بعقبها سبعين مرة ، ثم تقوم قائما وترمي بطرفك في موضع سجودك ، وتقول وأنت على غسل : - من دعاء طويل جاء فيه : [. . اللهم إنا قد تمسكنا بكتابك وبعترة نبيك صلوات الله عليهم . . . فاجعلنا من الصادقين المصدقين لهم ، المنتظرين لأيامهم ، النـاظرين إلى شفاعتهم] [مصباح المتهجد : صـ ٧٠٨] . وفي الرواية عن علي بن مهزيار قال : سمعت مولاي موسى بن جعفر صلوات الله عليه يدعو بهذا الدعاء وهو دعاء الاعتقاد : [. . اللهم وقد أصبحت في يومي هذا لا ثقة لي ولا ملجأ ولا ملتجأ غير من توسلت بهم إليك من آل رسولك صلى الله عليه وعلى أمير المؤمنين وعلى سيدتي فاطمة الزهراء والحسن والحسين والائمة من ولدهم ، والحجة المستورة من ذريتهم ، المرجو للامة من بعدهم ، وخيرتك ، عليه وعليهم السلام أللهم فاجعلهم حصني من المكاره ومعقلي من المخاوف ، ونجني بهم من كل عدو طاغ وفاسق باغ ، ومن شر ما أعرف وما أنكر ، وما استتر علي وما أبصر ، ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم] [منهج الدعوات : صـ ٢٣٢] .

استحضار المهدي ﷺ ومواصفات آخر الزمان

في بعض نصوص الإمام علي الرضا ﷺ

كما أشرت سابقاً : مثّلَ موضوعُ المهديّ العنوان الأعظم في تراث أهل البيت ﷺ . وعليه : كان الإمام الرضا ﷺ كغيرهِ من الأئمة يركّز على عناوين وصفات دقيقة في أمر المهدي ﷺ ، ويشير إلى علامات لها ارتباط بسلسلة الولادات الصادرة عنهم ﷺ . ففي مجلسٍ جمع أصحابه ﷺ يقول صدقة بن موسى قال حدثنا أبي عن الرضا ﷺ قال : [الخلفُ الصالحُ ، من وُلد أبي محمد الحسن بن علي ، وهو صاحب الزمان وهو المهدي][1] . أي كان الامام الرضا ﷺ يخبر بولادة ابنه الثالث الحسن بن علي العسكري ، الذي يكون منه المهدي . وقد سمّاهُ ﷺ بأبي محمّد تأكيداً منه ﷺ على انّ المهدي هو ولده ، وانّه الثاني عشر من الأئمّة الذين نصبهم اللهُ حججاً على الخلق إلى قيام يوم الدّين ..

واللافت انّ السؤال عن المهدي كثيرٌ في طبقات الرواة وأحاديثهم . بل كان قسمٌ منهم يرجع إلى الإمام ويسأله عن نصوصٍ رُويت وسبقت ، ويطلب علامات وشبه ذلك . مع الإشارة إلى انّه مع موت الإمام الكاظم ﷺ خرجت فرقة تقول بإمامته ووقفت عليه . وانّه حيٌّ لم يمت وهو المهديُّ القائم !! وهم الواقفة . وكانت الفرق التي تخرجُ على الأئمّة ﷺ مدعومة من

---

[1] تاريخ مواليد الائمة ووفياتهم : صـ ٢٠٠ –

تيارات الحكم والسلطان العباسي بهدف توهين أمر الإمامة المنصوبة من قبل الله تعالى ، ولم ينجح العباسيون بذلك . رغم انّه بعد موت الإمام الكاظم ﷺ دعمت الفرقة التي تقول بأنّه ما زال حيّاً ، وانّه القائم . وفي بعض النصوص يستفاد انّ بعض مَن يسأل الإمام الرضا ﷺ مثلاً كأنّه كان على الوقف ثم تاب وعاد إلى القول بإمامة الرضا ﷺ .

ففي رواية الحسن بن محمد بن أبي طلحة عن داود الرقي قال : قلت لأبي الحسن الرضا ﷺ : جُعلتُ فداك ، إنه والله ما يلجُ في صدري من أمرك شيئ إلا حديثاً سمعته من ذريح يرويه عن أبي جعفر ﷺ . قال لي : وما هو ؟ قال : سمعته يقول : سابعنا قائمنا إنْ شاء الله . قال : صدقت وصدق أبو جعفر ﷺ ، فازددتُ والله شكّاً . ثم قال : يا داود بن أبي خالد : أما والله لولا أنّ موسى (بن عمران) قال للعالم : ستجدني إنْ شاء الله صابراً ، ما سأله عن شيئ ، وكذلك أبو جعفر ﷺ : لولا أن قال إنْ شاء الله لكان كما قال . قال : فقطعت عليه][1] .

وكانت جماعة الواقفة التي نشأت بعد استشهاد الإمام موسى بن جعفر ﷺ لا تقول بإمامة الرضا ﷺ . وقد قال بعضهم : إنّ الكاظم ﷺ هو المهديُّ الغائب .! وقد رووا أنّ السابع من الائمة هو المهدي القائم . في حين الروايات الكثيرة والصريحة وشديدة الإعتبار تقول انّ المهدي ﷺ السابع من ولد الخامس . لكنّ هؤلاء توقّفُوا عند صدر الرواية أي عند السابع ليقولوا بأنّ الكاظم ﷺ هو المهدي ، واستغلوها في الدعاية إلى مذهبهم . بل في طائفة أخرى عن الامام أبي جعفر الباقر ﷺ أنه السابع من

---

[1] الكشي : ص ٢٧٣ الرقم ٧٠٠ –

وُلده ، أي المهدي من وَلَدِهِ العسكري ﷺ . فالعسكري هو السادس من وُلدِ الباقر والسابع هو المهدي ﷺ . وعليه : ما ورد في النص السابق من وقف السائل الذي يسأل الإمام الرضا ﷺ ، إلى أن أتمّ جوابهُ ، قال : فخرج عن وقفه ، ثم قال بإمامة الرضا ﷺ .

وعليه : معنى قول داود الرقي : قطعت عليه . أي قال بإمامة الرضا ﷺ بعد أبيه الكاظم ، بعد أن كان في شك من ذلك . لِمَا صدر وورد عن دعاية الواقفة . وبالتالي قال بأنَّ المهديَّ هو الثاني عشر من الأئمة ﷺ . وهو الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . واللافت أنَّ الواقفيّة وغيرها من الفرق التي خرجت لتطعن في ناحيةٍ ما من نواحي أهل البيت وإمامة الأئمّة الإثني عشر فشلت فشلاً ذريعاً رغم الدعم الهائل والمنظَّم من قبل العباسيين وشركائهم الذين تقاطعوا مصلحة توهين أمر الإمامة الربانيّة . وهذا أمر بحاجة إلى عناية ودراسة ودقّة لما يعنيه من حيطة الله تعالى لأهل البيت ﷺ الذين شكّلوا سلسلة من إثني عشر إماماً تعاظم أمرهم رغم كيد الجبابرة والمفسدين .

نعم يُلاحظ انَّ الجو العام كان مشحوناً بأفكار أكيدة حول القائم ، هذا ما نقرأهُ في عصورٍ مختلفة وطبقاتٍ متنوّعة . كثيرٌ من أسئلة القوم : يسألون واحداً من أهل البيت ﷺ ، أنت القائم ..؟ ما يعني انَّ أمر القائم ﷺ كان مشاعاً جداً ومنقولاً على نحو الحقيقة المطلقة . لكنّهم في بعض الأحيان لا يدرون أيَّ واحدٍ منهم .. وفي أجوبة أهل البيت ﷺ نجد عناوين : منهم من يشير أنَّ القائم هو الثاني عشر من الأئمّة . ومنهم من يشيرُ إلى القائم ﷺ دون تفاصيل وذلك لغايةٍ تتعلّق بالأماني التي أشرنا إليها سابقاً . أي يريدون ﷺ أن يثبّتوا القلوب على الأصل في الظهور وقيام دولة آل

محمّد . ففي رواية علي بن يقطين قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام : [الشيعة تربى بالأماني منذ مأتي سنة .

قال : وقال يقطين لابنه علي بن يقطين : ما بالنا قيل لنا فكان ، وقيل لكم فلم يكن ؟ قال : فقال له علي : إنّ الذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد ، غير أنّ أمركم حضر فأُعطيتم محضه فكان كما قيل لكم . وإنّ أمرنا لم يحضر فعلّلنا بالأماني . فلو قيل لنا : إن هذا الامر لا يكون إلى مائتي سنة أو ثلاث مائة سنة لقست القلوبُ ولرجع عامّةُ الناسِ عن الاسلام . ولكن قالوا : ما أسرعه وما أقربه تألُّفاً لقلوب الناسِ وتقريباً للفرج [1] .

إنها وظيفة دقيقة من قِبَل المعصوم لحفظ الشيعة وتثبيتهم مع التصريح التام في طائفة واسعة حول التفاصيل ، على قاعدة : لكلٍّ حسبُهُ ضمن شروط الحقيقة ونواحيها والمفهوم الوظيفي . لذلك نجد طائفة من الرواة كانوا صريحين جداً في أنّ القائم هو الثاني عشر من الأئمّة لكن كانوا يسألون : متى يخرج ..؟ متى زمانُهُ .. وموضوع انّ الأئمّة إثنا عشر أمرٌ مفروغ منه بالمطلق . باتّفاق السنّة والشيعة . بل الإمام أحمد بن حنبل ألّف في ذلك كتاباً كاملاً .

لكن السائل في العديد من المواقع كان يسأل عن القائم ، بحيث يعلم بالإجمال انّه لا بدّ من قائم لآل محمّد يحكم بالقسط والعدل وينشر دولة العترة النبويّة . لكنّه إمّا لا يدري أيّ واحد هو من الأئمّة . أو انّه يسلّط السؤال على الزمن الذي يخرج فيه الإمام الثاني عشر .. وقد ورد في هذين المعنيين العديد من المواقع والمسائل ..

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٦٩ ح ٦ –

نعم بعض النصوص يُستفاد منها أنّ السائل كان في مقام تجسيد المفهوم المصداقي لدولة آلِ محمّد ببعد النظر عن المهديّ ﷺ ودولته الكبرى على قاعدة : إمكان أن يكون لآل محمّد دولة على يدِ إمام قبل الإمام المهدي ﷺ . ففي مجلسٍ آخر أقبل الريان بن الصلت على الإمام الرضا ﷺ - بعدما أصبح وليّ العهد زمن المأمون العباسي - فقال له : أنت صاحبُ هذا الامر ؟ فقال ﷺ : [أنا صاحب هذا الامر ، ولكني لستُ بالذي أملؤها عدلاً كما مُلئَت جوراً . وكيف أكونُ ذلك على ما ترى من ضعف بدني . وإنّ القائم هو الذي إذا خرج كان في سن المشيوخ ومنظر الشُبّان ، قوياً في بدنه حتى لو مدّ يده إلى أعظم شجرة على وجه الارض لقلعها . ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها . يكون معه عصا موسى ﷺ ، وخاتم سليمان ﷺ ، ذاك الرابع من وُلدي ، يغيّبُهُ اللهُ في سترهِ ما شاء ، ثم يظهره فيملأ به الارض قسطاً وعدلاً ، كما مُلئت جوراً وظلماً][1] .

وفيه أيضاً : [.. كأني آيس ما كانوا قد نودوا! نداء يسمع من بعد كما يسمع من قرب يكون رحمة للعالمين وعذابا على الكافرين][2] . إجابةُ الإمام ﷺ قرّرت نحوين من المعرفة : الأوّل انّ كلّ إمامٍ هو صاحب الأمر وحجّة الله وسيّدُ الإمامة . الثاني : انّ لفظ « صاحب الأمر » بمعنى إقامة دولة الله على نحوٍ عالمي هو صفة للمهدي ﷺ الذي يخرج على نحوٍ من صفة محدّدة ، ودور وظيفي محدّد ، بحيث يظهر في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٣٧٦ ب ٣٥ ح ٧ - عن كمال الدين .

[2] نفس المصدر .

ثم أشار ﷺ إلى مجموعة من الصفات التي تشير إلى القوة والتمكُّن الذي يكون بجانب المهدي ﷺ . وفي ذيل الحديث إشارة إلى النداء الذي يصدح في السماء ، وهو نداء جبرائيل ﷺ ينادي بأهل الأرض أنّ المهدي محمّد بن الحسن قد خرج . وهكذا في طوائف من النصوص تجد بعض الرجال يسألون الرضا : هل هذه دولتُكم ..؟ ولو على نحو انّها مصداق من مصاديق حكمِ الله تعالى ما قبل ظهور المهدي ﷺ ..؟ فكان الإمام يجيبهم بما يؤول إليه أمرُ المهديِّ ﷺ ، وانّ دولتنا الكبرى في آخر الزمان على يدِ المهدي . ثمَّ يُركِّز على بيان مجموعة من الصفات التي تخصُّ مولانا المهدي ﷺ .

ففي رواية أيوب بن نوح قال : قلت لأبي الحسن الرضا ﷺ : إني أرجو أن تكون صاحب هذا الامر ، وأن يسوقه الله إليك بغير سيف ، فقد بُويعَ لك وضُربت الدراهم باسمك ، فقال ﷺ : [ما منّا أحدٌ اختلف إليه الكُتب ، وأشير إليه بالاصابع ، وسُئِلَ عن المسائل ، وحُمِلَت إليه الاموال ، إلا اغتيل أو مات على فراشه ، حتى يبعثَ اللهُ لهذا الامر غلاماً منّا خفيّ الولادة والمنشأ ، غير خفي في نسبه (يعني بذلك المهدي محمّد بن الحسن ﷺ)][1] .

بتعبير آخر : يشير الرضا ﷺ إلى انّ تمام دولة آل محمّد ، الدولة ذات البعد العالمي الشامل ، التي يقوم فيها الإجتماع البشري على نسق القرآن ومنظومة الإسلام إنّما يكون ذلك على يدِ الإمام الثاني عشر ، الإمام الذي تخفى ولادتُهُ ، كخفاء ولادة موسى بن عمران ، وهو معروف النسب ،

---

[1] النعماني : ١٦٨ ب ١٠ ح ٩

أي مشهور بأنّه من وُلد النبيّ ﷺ من نسل عليٍّ وفاطمة ﷺ . وهكذا في ذيل العديد من النصوص تأكيد على صفات متنوّعة خاصّة بالمهدي ، تتركّز فيه وتكون علامة عليه في لسان النصّ الصادر عن المعصوم ﷺ .

وفي رواية أبي الصلت الهروي قال قلت للرضا ﷺ : ما علاماتُ القائم منكم إذا خرج ؟ قال ﷺ : [علامته أن يكون شيخ السنّ ، شاب المنظر (صاحب غيبة كبيرة لكنّه يظهر بعمر أربعين) ، حتى أنّ الناظر إليه ليَحسَبُهُ ابن أربعين سنة أو دونها ، وإن مِن علاماته أن لا يهرم بمرور الايام والليالي ، حتى يأتيه أجله][1] .

ما أعظم وأدق هذا التعبير ..! انّه يوافق ما ورد في كثيرٍ من النصوص ، ليؤكّد على طابع الغيبة ومرور السنين على المهدي ﷺ . ومع ذلك يكون في منظر الشباب ، حتى يحسبه الناظر إبن أربعين سنة أو دون ذلك . ثم يؤكّد ﷺ على أنّ المهدي ﷺ رغم مرور الزمن عليه ، لا يهرم حتى يأتيه أجله . وهذه كما ترى خاصّة بالمهدي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان ويقيم أمرَ الله وينشر دولة القرآن على كافّة بقاع الأرض[2] .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٢ ب ٥٧ ح ١٢ .

[2] وفي رواية الحسن بن قياما الصيرفي قال : حججتُ في سنة ثلاث وتسعين ومائة وسألت أبا الحسن الرضا ﷺ فقلت : جعلت فداك ما فعل أبوك ؟ قال مضى كما مضى آباؤه ، قلت فكيف أصنع بحديث حدثني به يعقوب بن شعيب عن أبي بصير أنّ أبا عبد الله ﷺ قال : [إن جاءكم من يخبركم أن ابني هذا مات وكفّن وقبر ونفضوا أيديكم (أيديهم) من تراب قبره فلا تصدّقوا به ؟ فقال : كذب أبو بصير (الصحيح : كذبوا على أبي بصير) ليس هكذا حدّثه ، إنّما قال إنّ جاءكم عن صاحب هذا الامر] [الكشي : ص ٤٧٥ الرقم ٩٠٢] . وعن زكريا بن يحيى بن النعمان الصيرفي قال : سمعت علي بن جعفر يحدّث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين فقال : والله لقد نصر الله أبا الحسن الرضا ﷺ ، فقال له الحسن : أي والله جعفت فداك لقد بغي عليه أخوته ، فقال علي بن جعفر : اي والله ونحن عمومته بغينا عليه ، فقال له الحسن : جعلت فداك كيف صنعتم فإني لم أحضركم ؟ قال : قال له إخوته ونحن أيضا : ما كان فينا اعلم

وعليه : من تلك الصفات التي أشار لها الرضا ﷺ عناوين لا تقع إلا في المهديّ من أهل البيت ﷺ . وانّها من خاصّته . السائلُ يسأل الإمام الرضا ﷺ عن نفسه ..؟ فيُجيبهُ عن المهديّ ﷺ .! الله أكبر ما أعظم هذه المقطوعات من الروايات ..! إنّها من أدقّ استعمالات الإرشاد البياني في طول الزمن . وهكذا في متونٍ مختلفة : تركيز عميق على أمر المهديّ الذي يُشكّل أعظم حلقة في مجال تطبيق شريعة السماء على كافّة أقاليم الإنسان أين وُجِد ووصل . وتنبيه إلى ضرورة الصبر واليقظة والحيطة من معاني البلاء . ففي رواية محمد بن أبي يعقوب البلخي قال : قال سمعت أبا الحسن الرضا ﷺ يقول : [إنكم ستُبتَلون بما هو أشد وأكبر . تبتلون بالجنين في بطن أمه . والرضيع حتى يقال : غاب ومات ويقولون : لا إمام . وقد غاب رسول الله وغاب وغاب . وها أنا ذا أموت حتف أنفي][1] . تأكيداً منه ﷺ على انّ ولادة المهدي ﷺ وخفاء أمره سيكون من المواضيع الساخنة في

قط حائل اللون فقال لهم الرضا ﷺ . هو ابني . قالوا : .. فلما جاؤوهم (أي بالقافة) اقعدونا في البستان واصطف عمومته واخوته وأخواته .. ثم جاؤوا بأبي جعفر ﷺ فقالوا : الحقوا هذا الغلام بأبيه . فقالوا : ليس له ههنا أب ولكن هذا عم أبيه . وهذا عمه . وهذه عمته . وإن يكن له ههنا أب فهو صاحب البستان . فإن قدميه وقدميه واحدة . فلما رجع أبو الحسن ﷺ قالوا : هذا أبوه . قال علي بن جعفر : فقمت فمصصت ريق أبي جعفر ﷺ ثم قلت له : اشهد أنك إمامي عند الله فيكني الرضا ﷺ . ثم قال : يا عم . ألم تسمع أبي وهو يقول : قال رسول الله ﷺ : [بأبي ابن خيرة الاماء ابن النوبية الطيبة الفم . المنتجبة الرحم . ويلهم لعن الله الاعيبس وذريته . صاحب الفتنة . ويقتلهم سنين وشهورا وأياما . يسوحهم خسفا ويبعثهم كأسا مصيرة . وهو الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة يقال مات أو هلك . أي واد سلك ؟] قال الرضا ﷺ) أفيكون هذا يا عم إلا مني . فقلت : صدقت . جعلت فداك] [الكافي : ج ١ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ح ١٤ -] [ملاحظة : المقصود بـ « ابن خيرة الاماء النوبية : الامام محمد الجواد ﷺ الذي ورد في صفته انه يميل إلى السمرة . والمقصود بالطريد الشريد صاحب الغيبة الذي يكون من ولده الامام المهدي ﷺ . وقد وردت الاحاديث من طرق الفريقين أنه شبيه جده النبي ﷺ وورد من طرقنا أن أمه من الروم أو المغرب]

[1] الخصائص : ص ١٨٠ ب ١٠ ح ٢٧ -

ظل عاصفة إعلاميّة ضخمة تعمل على تبديد الأمر وإبطال التعلّق به ، فمنهم من يقول : لا مهدي . ومنهم من يقول : هلك ، ومنهم من يقول : في أي وادٍ سلك وشبه ذلك . إصراراً منهم على إعدام ذكر المهدي وإبطال أمره بدعمٍ هائلٍ من « زنادقة النظام الدولي » الذي يجتاح بإعلامه أقطارَ الأرض ..

ثم يؤكّد الإمام الرضا ﷺ في ذيل الحديث أنّه ميّتٌ ، وانّ الأمر الذي يتحقّق معه العدلُ الشامل في دولة آل محمّد يكون في غيره . في الإمام الذي تخفى ولادتُهُ ، يعني بذلك المهدي ﷺ . ويردُ في نفس الوقت على بعض الفرق التي حاولت « تأبيد » بعض الأئمّة السابقين ومنع موتهم قبل المهدي ﷺ في محاولةٍ منهم لإبطال أمر الإمامة بل لإبطال أمر المهدي ﷺ وإبطال مقولة النبي ﷺ : الأئمّة من قريش إثنا عشر . لقد كان مشروع الأمويين والعباسيين وفرَق أخرى هدم ما أمكن من الإسلام ..!

وعليه : ركّز أهلُ البيت ﷺ على انّ أمر المهدي ﷺ من المحتوم الذي لا بدّ منه ، وانّ له صفات محدّدة خاصّة به تدلُّ عليه ، سواء في الولادة أو الرتبة أو الوظيفة أو النتائج التي يحقّقها أو الدلالة عليه ساعة ظهورِه وإعلان أمره ، كالصيحة من السماء وشبه ذلك ، بالإضافة إلى ما يقع من إعجازٍ على يده ، حتى يكون أمرهُ أوضح من عين الشمس في كبد السماء .

وفي رواية الريان بن الصلت قال : سمعت الرضا ﷺ يقول : « القائم المهدي بن الحسن لا يرى جسمه ولا يسمى (سميه) باسمه أحد بعد غيبته حتى يراه ويعلن باسمه ويسمعه كل الخلق . فقلنا له : يا سيدنا

وإن قلنا صاحب الغيبة ، وصاحب الزمان والمهدي ، قال : هو كله جايز مطلق ، وإنما نهيتكم عن التصريح باسمه ، ليخفي اسمه عن أعدائنا فلا يعرفوه][1] ..

أقول : واضح من لحن النصّ أنّ التصريح بالإسم يُراد منه حفظه زمن حضوره منذ ولادته وقبل غيبته . أمّا بعد الغيبة فهو بحفظ الله تعالى . وقد ثبت في متن طائفة من النصوص انّ المنع إنّما هو لحفظ ولادته وشبه ذلك . ومع الغيبة فهو مأمون بأمر الله وصونه ، وبالتالي لا مانع من ذكر إسمه ﷺ .. واللافت في النصّ تأكيدهُ على غيبة المهدي ، وانّه يخرج بعد الغيبة ، دون تحديد لمدّتها أو وصفها . وكان أهل البيت ﷺ كثيراً ما يذكرونه بإسم المهدي بن الحسن ﷺ .. ولقد أكّدوا ﷺ على ضرورة إنتظار الفرج ، ومعناه العمل بالإسلام والتزام المواثيق ، مع إذاعة أمر المهدي ﷺ وإشاعة ذكره ، وتهيئة الأمّة وما أمكن لمشروعه العالمي الأضخم .

ففي رواية الحسن بن الجهم قال : سألت أبا الحسن ﷺ عن شيئ من الفرج ؟ فقال : [أو لست تعلم أن انتظار الفرج من الفرج ؟ قلت : لا أدري إلا أن تعلمني . فقال : نعم انتظار الفرج من الفرج][2] . أي انتظار المهدي عبادة ، عبادة من نوع استثنائي كما في مجموع متون مسموعة عنهم ﷺ .

---

[1] الهداية الكبرى : ص ٣٦٤ –

[2] الفضل : عنى ما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : ص ٢٧٦ – حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال ، عن أبيه ، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ أنه قال : [كأني بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه ، قلت له : ولم ذاك يا ابن رسول الله ؟ قال : لأن إمامهم يغيب عنهم ، فقلت : ولم ؟ قال : لئلا يكون لاحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف] * ١٢٢٢ -- المصادر : * : كمال الدين : ج ٢ ص ٤٨٠ ب ٤٤ ح ٤ –

والإنتظار يعني العمل والتمسُّك بالقرآن وأهل البيت ، والفقهاء الذين يستنبطون أحكام القرآن وأهل البيت ﷺ ويدعون الناس للعمل بها ، فتكون لهم ولاية الإستنباط وقيادة الإجتماع السياسي زمن الغيبة العظيمة ..

وما يُستفاد من بعض النصوص في موضوع الإنتظار على نحو الإعتماد على السلوك الفردي الشرعي في العبادة والمعاملة ، إنّما هو مقابل مسك اليد ومنعها عن نصرة الظالم ، لا مسك اليد عن نصرة الحقّ والمنظومة وإقامة حكم الإسلام . أي الإمام في مقام بيان انّ النصرة لا تكون إلا لأهل الحق ، والنصوص تامّة في بيان انّ الإسلام هو دين الفعل والقول وشتّى الصّيَغ في المعاملات المدنيّة والإجتماعيّة والأخلاقيّة والسياسية وغيرها ، وانّ الإسلام هو دين الفرد كما هو دين الجماعة والإجتماع . لكن إذا لم تتمكّنوا من ذلك ، فلا تنصروا راية الظالم ، بل اعملوا على إعداد جيلكم وأهلكم للإلتزام بالإسلام ما أمكن . والإعداد لنصرة الإسلام أمر واجب بل من أعظم الواجبات ، سواء في عصر الغيبة أم في عصر حضور المعصوم ﷺ .

وفي رواية محمد بن عبد الله قال : قلت للرضا ﷺ : جُعلت فداك ، إنّ أبي حدثني عن آبائك ﷺ أنه قيل لبعضهم : إنّ في بلادنا موضع رباط يقال له « قزوين » وعدوّاً يقال له « الديلم » ، فهل من جهاد أو هل من رباط ؟ فقال ﷺ : [عليكم بهذا البيت فحجُّوه . ثم قال : فأعاد عليه الحديث ثلاث مرات . كلُّ ذلك يقول : عليكم بهذا البيت فحجُّوه . ثم قال في الثالثة : أما يرضى أحدكم أن يكون في بيته ينفق على عياله ينتظر أمرنا ، فإن أدركه كان كمن شهد مع رسول الله ﷺ بدراً ، وإنْ لم يدركه كان كمن كان مع قائمنا ﷺ في فسطاطه هكذا وهكذا - وجمع بين سبابتيه - فقال

أبو الحسن عليه السلام : صدق هو على ما ذكر][1] . أقول : النص واضح في بيان مسلك اليد عن نصرة الظالم ودولة أهل الباطل والإلتفات إلى الملّة الحقّة لنصرتها ، وانّه مع دولة الظالم عليكم بإعداد أنفسكم لجيل توطئة الأمر للإسلام قبل أي شيئ آخر . هذا ما يُستفاد من كثيرٍ من آيات القرآن الآبية عن التخصيص . بل النصوص الصحيحة الواردة في شرعيّة خروج زيد بن علي وانّه صدُّوق وعالم ، وأنّه لوفى بما دعا إليه من النزول على بيعة الإمام الحق وشبه ذلك دليلٌ على ما أقول . ما يعني ضرورة التعامل مع ألفاظ هذه النصوص على نحوٍ من التصرُّف والجمع العلمي بحيث يبقى مضمون خطاب القرآن والنصوص صريحاً في بناء وإعداد مقدّمات قيام الإسلام كنحوٍ من المضامين النهائيّة التامّة في كلّ عصرٍ وزمان قبل وبعد الغيبة .

وتؤكّد المتُون على تعاظم الأمر وصعوبة الموقف وكثرة البلاء في عصر الظهور . بل يبدو من طائفة أنّه قبل المهدي عليه السلام يكون قتلٌ ظاهر . ففي رواية أحمد بن محمد بن أبي نصر قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام .. فقال : [قدام هذا الامر بيوح . قلت وما البيوح ؟ قال عليه السلام : قتل دائم لا يفتر][2] .

اقول رغم ضعف الرواية التي تقول بأنّه قبل ظهور المهدي عليه السلام يفتني ثلثا الناس ، إلا أنّ طائفة من النصوص تشير إلى قتلٍ وموت ظاهر يكون قبل ظهور المهدي عليه السلام ، ودلالة هذه النصوص وتعدّدها تُؤكّد طابع الحروب وغيرها من الأشكال التي تساهم في زيادة الموت في ظل تعارض

---

[1] الكافي : ج ٤ ص ٢٦٠ ح ٣٤ –

[2] غرب الاستناد ص ١٧٠ –

واضح بين الأمم وخلاف بارز وبيئة دوليّة يستفاد منها انّها تكون مفترسة وشديدة الإرتباط بمظاهر الربحيّة والثروة ومزيمة الآخرين والسيطرة على الموارد وشبه ذلك كسبب من اسباب الحرب والغزو وصراع الأمم . بل في بعضها انّه لا تقوم الساعة حتى يتقاتل أهل المشرق والمغرب على مالٍ ينكشف عنه الفرات ..

ويبدو من طائفة أخرى الإشارة إلى نوعٍ من الغلظة والصعوبة في بداية عصر الظهور ، لما يعنيه هذا الأمر من حروبٍ وقتالٍ وعنفٍ وفوضى عالميّة متوسّعة ، واعتماد متزايد على السلاح والقتال وشبه ذلك . ففي رواية معمر بن خلاد قال : ذُكِرَ القائمُ ﷺ عند أبي الحسن الرضا ﷺ فقال : [أنتم اليوم أرخى بالاً منكم يومئذ . قالوا : وكيف ؟ قال : لو خرج قائمنا ﷺ لم يكن إلا العلق والعرق ، والنوم على السروج ، وما لباسُ القائم ﷺ إلا الغليظ ، وما طعامه إلا الجشب][1] ..

مع التأكيد على انّه إذا حكم المهديُّ ﷺ نشرَ الرخاء والعدل والسعادة والرزق والبركة بشكلٍ هائل حتى لا يبقى فقير يُتصدّق عليه .! كما انّ المال والإبتكارات ووسائل سعادة الإنسان تصل إلى مراحل شديدة التكامل والتراكم والإنعام .. هذا ما أشارت إليه النصوص العديدة . نعم أوّل الأمر يُواجَهُ المهديُّ ﷺ بجبهاتٍ متعدّدة تعمل على إجهاض حركته وتدمير جبهته ، فتُبعثُ إليه الجيوش ، ويُراد قتلُهُ بأيّ ثمنٍ ، وتكون جبهة السفياني المدعومة من الروم أوّل جبهة تزحف بجندها وآلتها لقتل المهدي ﷺ ..

---

[1] النعماني : ص٢٨٤ ب١٥ ح٥ ..

وقد اشتهر انّ المهدي ﷺ فيه سُنَن من سنن الأنبياء ، ستن ذات صفة وظيفيّة خاصّة بالمهدي ﷺ . وقد ثبت ذلك على لسان النبي والأئمة ﷺ . وفي رواية الحسن بن قياما الصيرفي قال : سألت أبا الحسن الرضا ﷺ فقلت : جعلت فداك : ما فعل أبوك ؟ قال : [مضى كما مضى آباؤه ﷺ ، قلت : فكيف أصنع بحديث حدّثني به زرعة بن محمد الحضرمي ، عن سماعة بن مهران ، أنّ أبا عبد الله ﷺ قال : إنّ ابني هذا فيه شبه من خمسة أنبياء : يحسد كما حسد يوسف ﷺ ، ويغيب كما غاب يونس ، وذكر ثلاثة أخر ؟ قال : كذب زرعة ، ليس هكذا حديث سماعة ، إنما قال : صاحب هذا الامر يعني القائم فيه شبه من خمسة أنبياء ، ولم يقل ابني]١ ..

وربّما يكون الحديث وُضع من غيره على لسان زرعة . فأكّد الإمام ﷺ انّ سُنَن الأنبياء التي أشرنا إليها في العديد من مقامات هذا الكتاب إنّما هي في المهدي ﷺ الذي يُقيم دولة آل محمّد الشاملة ويقود العالم كلّه على هدي القرآن ..

وأيضاً يشير الرضا ﷺ إلى انّ لبني العباس دولة ، دولة غير دولتهم الأولى ، أي يكون لواحد من أنساب العباسيين دولة ، وقد اشرنا إليها فيما سبق . وأنّ السفياني يقضي عليها . وهي بطبيعة الحال غير دولتهم الأولى التي طالت أكثر من ٥٠٠ عام . والنصوص التي تفرّق بين الدولتين واضحة أشرنا إليها فيما سبق . ففي رواية الحسن بن الجهم قال قلت للرضا ﷺ : أصلحك الله ، إنهم يتحدّثون أنّ السفياني يقوم وقد ذهب

---

١ الكشي : ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧ رقم ٩٠٤ -

سلطان بني العباس فقال : [كذبوا إنه ليقوم وإن سلطانهم لقائم][1] . أي يكون لهم دولة متجدّدة آخر الزمن . وانّ دولتهم تكون سابقة على خروج السفياني . ومعلوم أنّ السفياني يخوض معركة ضدّهم وينتصر عليهم .

وعن رايـة عصر الظهور ؟ عدّة رايات ، منها راية السفياني ، واليماني ، والخراساني وشبه ذلك . وفي رواية أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبي الحسن الرضا ﷺ أنه قال : [قبل هذا الامر السفياني واليماني والمرواني وشعيب بن صالح ..][2] ..

على انّ الرايات تكون كثيرة ، والأحداث متسارعة ، والبيئة الدوليّة تكون في جوانب ظاهرة على نحو من خلاف وافتراس وفوضى ، دون أن يصل الأمر إلى حدّ حرب شاملة أوّلاً ، لكنّ تطوّراً سريعاً يقع على أثر حرب تقع في العراق وصدام رايات يكون منها السفياني في الشام ، ثم يتطوّر أمر الحرب والفوضى والحرب إلى مناطق واسعة من العالم . ومع الإتّساع تأخذ الحرب صفة العالميّة . وفي طائفة يشيرُ الرضا ﷺ إلى موضوع راية المصريين التي تنادي للمهدي ﷺ وتهتفُ بمواثيقه ﷺ ، ففي رواية معمر بن خالد ، عن أبي الحسن ﷺ قال : [كأني برايات من مصر مقبلات خضر مصبغات حتى تأتي الشامات فتهدى إلى ابن صاحب الوصيات][3] . ومعلوم انّ راية (راية النجباء المصريين) تخرج من مصر تنادي بأمر المهدي ﷺ وتدعو إليه ، فتقاتلها جيوش أهل الظلام .

---

[1] النعماني : ص ٢٠٢ ب ١٨ ح ١١ –

[2] النعماني : ص ٢٥٣ ب ١٤ ح ١٢ –

[3] الفضل بن شاذان : على ما في الارشاد . * : الارشاد : ص ٣٦٠ –

وفي بعض النصوص يؤكّد انّ الخضر ﷺ يكون صاحب المهدي ﷺ يُؤنِس وحشته ويخرج معه . ففي رواية الحسن بن علي بن فضال ، قال : سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ يقول : إنّ الخضر ﷺ شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتى يُنفَخُ في الصور ، وإنه لَيأتينا فيُسلِّم فنسمع صوته ولا نرى شخصه ، وإنه لَيحضر ما ذُكر ، فمن ذكره منكم فليُسلِّم عليه ، وإنه لَيحضُر الموسمَ كلَّ سنة ، فيقضي جميعَ المناسك ، ويقف بعرفة فيؤمن على دعاء المؤمنين ، وسيُؤنِس اللهُ به وحشةَ قائمنا ﷺ في غيبته ويصل به وحدته [1] ..

ومعلوم انّ الخضر والمسيح ﷺ حيّانِ يُرزقانِ ، ويخرجان في آخر الزمان مع المهدي ﷺ ولو ضمن أوقات مختلفة . وكذا إلياس .. ثمّ يشير ﷺ إلى موضوع الملائكة الذين يخرجون في ركب المهدي ﷺ ، على انّ موضوع إنتصار المهدي ﷺ بالإعجاز يظلُّ موضع نقاش بين بعض الشرّاح ، منهم من يشير إلى انّ طابع الحرب لا يعتمد على الإعجاز ، ومنهم من يشير إلى انّ للإعجاز بعض الدور الواضح في ذلك ، على انّهم لا يختلفون في انّ المهدي ﷺ لديه الولاية التكوينيّة التي خصّ اللهُ بها أنبياءهُ وأولياءه ، لكنّهم يختلفون في اللجوء إلى استعمالها وعدمه .

والصحيح انّ بعض النصوص صريحة في أنّ الملائكة يكونون في ركب المهدي ومآزرته ، كما انّ راية رسول الله ﷺ كلّما نُشرت نُشرَ معها الإعجاز . النصوص صريحة في ذلك . لكن كيف ، وضمن أي محور ، وبأي ظرف وتحت أي عنوان ..؟ يبقى الأمر ضمن حدود الوظيفة المحدّدة

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٣٩٠ ب ٣٨ ح ٤ –

من الله تعالى وما خُوِّلَ بسببِ المعصوم ضمن عالَمٍ يُراد منه الإمتحان والإختبار للأمم لئلّا يكون للناس على الله حجّة . . مع تأكيدي على أنّ للإعجاز دوراً صريحاً وهو ثابت في مقام الثبوت والإثبات ببعد النظر عن حدوده ودائرة اتساعه وضيقه . ولقد نَصَرَ اللهُ نبيَّهُ المصطفى ﷺ بالملائكة يوم بدر ، وبذلك نزل القرآن . يقول اللهُ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣/٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤/٣﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥/٣﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦/٣﴾

وفي رواية الريان بن شبيب قال : دخلت على الرضا ﷺ في أول يوم من المحرم فقال - في حديث - : [. . ولقد نزل إلى الارض من الملائكة أربعة آلاف لنصره (أي لنصرة الحسين ﷺ) فلم يُؤذَن لهم ، فهم عند قبره شُعْثٌ غُبْرٌ إلى أن يقوم القائمُ ﷺ فيكونون من أنصاره ، وشعارهم يا لثارات الحسين][1] .. بحيث يُستفاد من هذه النصوص وغيرها أنّ المهديَّ ﷺ يُحاطُ بنصرةٍ ربّانية .. نعم يُستفاد من بعض النصوص انّ بعض المعارك تجري بشكلٍ يتوافق والمجرى العادي لأدوات الحرب آنذاك[2] . في حين بعضُ النصوص الأخرى المعتبرة صريحة في تدخُّل

---

[1] عيون أخبار الرضا : ج ١ ص ٢٣٢ ب ٣٨ ح ٥٨ -

[2] ويُستفاد من بعض المتون نوع من مكاشفة بين الملائكة والبشر . ففي رواية محمد بن فضيل ، عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال : [إذا قام القائم يأمر الله الملائكة بالسلام على المؤمنين والجلوس معهم في مجالسهم ، فإذا أراد واحد حاجة أرسل القائم من بعض الملائكة أن يحمله ، فيحمله الملك حتى يأتي القائم ، فيقضي حاجته ثم يرده ، ومن المؤمنين من يسير في السحاب ، ومنهم من يطير مع الملائكة

العامل الإعجازي . ولكلٍّ وظيفة ودور وحدود في علم الله تعالى وما خُوِّلَ به المعصوم ﷺ في ظلِّ تمام الحجّة على البشر .

على أنَّ محور التاريخ آنذاك سيكون واسعاً ، فهناك أحداث الظهور وما بعد الظهور وحكم دولة الإمام التي تملأ أرجاء الدنيا بالعدل ، ثم محور الرجعة الذي يعتبر من متممات هذا التاريخ . وبهذا يشيرُ الإمام الرضا ﷺ إلى انَّ أمر الرجعة حقٌّ واقع وأمر نافذ . وفي رواية الحسن بن الجهم قال : حضرت مجلس المأمون يوما وعنده علي بن موسى الرضا ﷺ وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة . . فقال المأمون : يا أبا الحسن ، فما تقول في الرجعة ، فقال الرضا ﷺ :

[إنها لَحَقٌّ ، قد كانت في الامم السالفة ، ونطق بها القرآن ، وقد قال رسول الله ﷺ : يكون في هذه الامة كلُّ ما كان في الامم السالفة ، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة .. وقال : إذا خرج المهديُّ ﷺ من وُلدي نزل عيسى بن مريم ﷺ فصلّى خلفه . وقال : إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، فطوبى للغرباء . قيل : يا رسول الله ، ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يرجع الحق إلى أهله][1] ..

ومنهم من يمشي مع الملائكة مشيا ، ومنهم من يسبق الملائكة ، ومنهم من يتحاكم الملائكة إليه ، والمؤمن أكرم على الله من الملائكة ، ومنهم من يصيره القائم قاضيا بين مائة ألف من الملائكة] [دلائل الامامة : ص ٢٤١ –] .

[1] عيون أخبار الرضا : ج ٢ ص ٢٠٠ – ٢٠٢ ح ١ – وعن الرجعة روى صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الرضا ﷺ ، قال سمعته يقول في الرجعة : [من مات من المؤمنين قتل ومن قتل منهم مات][مختصر بصائر الدرجات : ص ١٩] . وقد علّق الشيخ الكوراني على هذا الحديث بقوله : هذا من غرائب الاحاديث التي تقول بأن المؤمن لا بد أن يكون شهيداً في سبيل الله تعالى ، فإن لم يقتل في حياته الاولى يرد في الرجعة حتى يستشهد ، ختم الله لنا بخيرها عافية . وقد ورد منها روايات أخر عن أهل البيت ﷺ ومنها في تفسير قوله تعالى [ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات] .

أمّا تاريخ الأحداث وفترة البقاء والمسافة التي تفصل بينها وبين الأحداث ، لا نعرف تفاصيلها ، نعم نعرف انّ دولة الإمام المهدي ﷺ تدوم طويلاً في ظل حكومة الإسلام الذي يجمع بين القرآن والعترة ﷺ . وقد حثّ أهلُ البيت ﷺ شيعتهم بالدعاء للمهدي وخروجه حتى روى مقاتل ابن مقاتل قال : قال أبو الحسن الرضا ﷺ : [أي شيئ تقولون في قنوت صلاة الجمعة ؟ قال قلت : ما نقول الناس ، قال : لا تقل كما يقولون ، ولكن قل : أللهم أصلح عبدك وخليفتك بما أصلحتَ به أنبياءك ورسلك وحفّه بملائكتك ، وأيده بروح القدس من عندك ، واسلكه من بين يديه ومن خلفه رصداً يحفظونه من كل سوء ، وأبدله من بعد خوفه أمناً يعبدك لا يشرك بك شيئا ، ولا تجعل لاحد من خلقك على وليّك سلطاناً ، وائذن له في جهاد عدوك وعدوه واجعلني من أنصاره إنّك على كل شيئ قدير][1] .

تأكيد مذهل على أمر المهدي ﷺ وقداسة مقامه ، والشأن العظيم الذي يتمّ على يده ، حيث تعمّ الأرض خشوعاً وابتهالاً إلى الله تعالى تحت ظلّ المهديّ الذي يقيم حكومةَ القرآن في كافّة بقاعها وأرجاءها[2] .

---

[1] مصباح المتهجد : ص ٢٢٦ –

[2] وهناك بعض الادعية الاخرى المروية في الدعاء لصاحب الامر ويقصد بها الامام المفترض الطاعة في كل عصر ، بحيث تشمل امام عصرنا صاحب الامر المهدي أرواحنا فداه . فقد روى يونس بن عبد الرحمن ، عن الرضا ﷺ أنه كان يأمر بالدعاء لصاحب الامر بهذا : [أللهم ادفع عن وليك وخليفتك وحجتك على خلقك ولسانك المعبر عنك الناطق بحكمك ، وعينك الناظرة بإذنك ، وشاهدك على عبادك ، الجحجاح لتجاحد (كذا) العائد بك العابد عندك ، وأعذه من شر جميع ما خلقت وبرأت وأنشأت وصورت ، واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته بحفظك الذي لا يضيع من حفظته به ، واحفظ فيه رسولك وآباءه أئمتك ودعائم دينك ، واجعله في وديعتك التي لا تضيع ، وفي جوارك الذي لا يخفر ، وفي منعك وعزك الذي لا يقهر ، وآمنه بأمانك الوثيق الذي لا يخذل من آمنته به ، واجعله في كنفك الذي لا يرام من كان فيه ، وانصره بنصرك العزيز ، وأيده بجندك الغالب ، وقوه بقوتك ، وأردفه بملائكتك ، ووال من والاه وعاد من عاداه ، وأليسه درعك الحصينة ،

وحفه بالملائكة حفاً . أللهم اشعب به الصدع ، وارتق به الفتق وأمت به الجور ، وأظهر به العدل ، وزين بطول بقائه الارض ، وأيده بالنصر وانصره بالرعب ، وقو ناصريه ، واخذل خاذليه ، ودمدم من نصب له ، وثمر من غشه ، واقتل به جبابرة الكفر وعمده ودعائمه ، واقصم به رؤوس الضلالة ، وشارعة البدع ، ومميتة السنة ، ومقوية الباطل ، وذلل به الجبارين ، وأبر به الكافرين وجميع الملحدين في مشارق الارض ومغاربها ، وبرها وبحرها وسهلها وجبلها ، حتى لا تدع منهم ديارا ، ولا تبقي لهم اثارا . أللهم ظهر منهم بلادك ، واشف منهم عبادك ، وأعز به المؤمنين ، وأحي به سنن المرسلين ، ودارس حكم النبيين ، وجدد به ما امتحى من دينك ، وبدل من حكمك ، حتى تعيد دينك به وعلى يديه جديدا غضا صحيحا ، لا عوج فيه ولا بدعة معه ، وحتى تنير بعدله ظلم الجور ، وتطفئ به نيران الكفر ، وتوضح به معاقد الحق ومجهول العدل ، فإنه عبدك الذي استخلصته لنفسك ، واصطفيته على غيبك ، وعصمته من الذنوب ، وبرأته من العيوب ، وطهرته من الرجس ، وسلمته من الدنس . أللهم فإنا نشهد له يوم القيامة ويوم طول الطامة أنه لم يذنب ذنبا ولا أتى حوبا ولم يرتكب معصية ، ولم يضيع لك طاعة ولم يهتك لك حرمة ، ولم يبدل لك فريضة ، ولم يغير لك شريعة ، وأنه الهادي المهتدي ، الطاهر النقي التقي الرضي الزكي . أللهم أعله في نفسه وأهله وولده وذريته وأمته وجميع رعيته ما تقر به عينه وتسر به نفسه ، وتجمع له جل الملل كلها قريبها وبعيدها وعزيزها وذليلها ، حتى تجري حكمه على كل حكم ، وتغلب بحقه كل باطل . أللهم اسلك بنا على يديه منهاج الهدى والمحجة العظمى ، والطريقة الوسطى ، التي يرجع إليها الغالي ويلحق بها التالي ، وقونا على طاعته ، وثبتنا على متابعته ، وامنن علينا بمتابعته ، واجعلنا في حزبه القوامين بأمره ، الصابرين معه ، الطالبين رضاك بمناصحته ، حتى تحشرنا يوم القيامة في أنصاره وأعوانه ومقوية سلطانه . أللهم واجعل ذلك لنا خالصا من كل شك وشبهة ورياء وسمعة ، حتى لا نعتمد به غيرك ، ولا نطلب به إلا وجهك ، وحتى تحلنا محله ، وتجعلنا في الجنة معه ، وأعذنا من السأمة والكسل والفترة ، واجعلنا ممن تنتصر به لدينك وتعز به نصر وليك ، ولا تستبدل بنا غيرنا ، فإن استبدالك بنا غيرنا عليك يسير وهو علينا كثير] [مصباح المتهجد : ص ٣٦٦] . وقال الحسن بن محبوب فعرضته (أي الدعاء المروي عن الصادق الذي يقول أوله : إنه قال من دهمه أمر من سلطان . . إلى أن يقول في آخره : بمحمد يا أله صلوات الله عليه وعليهم) على أبي الحسن الرضا ﷺ فزادني فيه : " بجعفر يا أله ، بموسى يا أله ، بعلي يا أله ، بمحمد يا أله ، بعلي يا أله ، بالحسن يا أله ، بحجتك (ثم وخليفتك) في بلادك يا أله ، صل على محمد وآل محمد ، وخذ بناصية من أخافه – وتسميه باسمه - وذلل لي صعبه ، وسهل لي قياده ، ورد عني نافرة قلبه ، وارزقني خيره واصرف عني شره ، فإني بك اللهم أعوذ وألوذ وبك أثق وعليك أعتمد وأتوكل فصل على محمد وآل محمد ، واصرفه عني فإنك غياث المستغيثين وجار المستجيرين ، وملجأ اللاجئين وأرحم الراحمين] [مصباح المتهجد : ص ٣٨٦ –] . وعن التوسل به ﷺ إلى الله تعالى ورد في كتاب أصل يونس بن بكير قال : وسألت سيدي أن يعلمني دعاء أدعو به عند الشدائد فقال لي يا يونس : [. . تحفظ ما أكتبه لك وادع به في كل شدة تجاب وتعطى ما تتمناه ثم كتب لي : بسم الله الرحمن الرحيم : اللهم إن ذنوبي وكثرتها قد أخلقت وجهي عندك . . اللهم وقد أصبحت

ولقد كرّر الرضا ﷺ ما كرّرهُ آباءهُ من أنّ الأرض مقرونةٌ بالحجّة ، وانّها لا تخلو من حجّةٍ أبداً . وفي رواية سليمان الجعفري قال : سألت أبا الحسن الرضا ﷺ قلت : تخلو الارض من حجة الله (لله) قال : [لو خلت الارض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها][1] ..

وفي بعض نصوصه ﷺ إشارة إلى موضوع السفياني والحسني وخروجهما ..

فعن ابن مسكويه صاحب التاريخ بحوادث الاسلام في كتاب سماه نديم الفريد ، حيث ذكر كتاباً كتبه بنو هاشم يسألون المأمون أن يبايع لولده العباس بولاية العهد ويعاتبونه على مبايعته لعلي بن موسى الرضا ﷺ فكتب المأمون جوابهم (إلى أن يقول فيه) : [.. فأما إنْ أبيتم إلا كشف الغطاء وقشر العصا ، فإن الرشيد أخبرني عن آبائه وعمّا وجد في كتاب الدولة وغيرها أنّ السابع هو الذي لا يقوم لبني العباس قائمة بعده ، ولا تزال النعمة متعلّقة عليهم بحياته ، فإذا ودع فودعوها وإذا فقدتم شخصي فاطلبوا لانفسكم معقلا ، وهيهات ما لكم إلا السيف يأتيكم الحسيني الثائر فيحصدكم حصداً ، والسفياني المرغم ، والقائم المهدي .

يوني هذا لا ثقة لي ولا رجاء ولا ملجأ ولا مفزع ولا منجي غير من توسلت بهم إليك متقربا إلى رسولك محمد صلى الله عليه وآله ، ثم علي أمير المؤمنين والزهراء سيدة نساء العالمين والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن ومن بعدهم يقيم الحجة إلى الحجة المستورة من ولده المرجو للامة من بعد اللهم فاجعلهم في هذا اليوم وما بعده حصني من المكاره ومعقلي من المخاوف ونجني بهم من كل عدو وطاغ وباغ وفاسق ومن شر ما أعرف وما أنكر وما استتر عني وما أبصر ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها إنك على صراط مستقيم اللهم بتوسلي بهم إليك وتقربي بمحبتهم وتحصني بإمامتهم افتح علي في هذا اليوم أبواب رزقك وانشر علي رحمتك وحببني إلى خلقك وجنبني بغضهم وعداوتهم إنك على كل شئ قدير] [مهج الدعوات : ص ٢٥٣ – ٢٥٥] ..

[1] بصائر الدرجات : ص ٤٨٩ ب ١٢ ح ٨ –

وعند القائم المهدي تحقن دماؤكم إلا بحقها . . [1] . إشارة إلى زوال دولة بني العباس المتجددة في آخر الزمن بمنطقة العراق ، حيث يزحف إليها السفياني من جهة ، والحسني الطالقاني تحت ظل دولة الخراساني من جهة أخرى ، فتزول دولة العباسيين ، وتقع سلسلة حروب بين السفياني والخراسانيين ، مفصلها يكون في منطقة اصطخر بعد سلسلة معارك ، ويكون الفصل في « اصطخر » التي يتمزَّق فيها جيشُ السفياني تمزيقاً . ومنها يزحف الخراسانيّون مُجدّداً نحو العراق لفتحه فيفتحونه بإذن الله تعالى . ومنها يزحفون نحو الشام ، وعلى الأثر تقع معركة ضارية ضدَّ السفياني الذي يتمركز في الشام وينهزم من بعض مناطقها إلى أن يصل إلى طبريَّة ، وتقع المعركة الفاصلة التي يُهزم فيها السفياني وينتهي إلى الأبد .

وعلى كلٍّ حال : أمرُ المهديّ ﷺ من أركان النصوص وثوابت ما ورد عن النبيِّ والأئمّة والرواة تواتراً . وهو القائم الثاني عشر الذي ينشر حكم القرآن في بقاع الأرض ويقيم دولة الإسلام ، ويقود البشر في الحقبة الأخيرة من الزمن .

---

[1] نديم الفريد / ابن مسكويه : على ما في غاية المرام . * : غاية المرام : صـ ١١٩ ، ١٩ حـ ٨٠ —

نموذج مختصر من نصوص الإمام الجواد ﷺ في المهدي ﷺ

الظاهرةُ البارزة في نصوص أهل البيت ﷺ جرياً على سيرة جدّهم ﷺ انّهم ركزوا على موضوع المهدي ﷺ ، وبشّروا الناس بما يؤول إليه العالَم آنذاك ، وما ينتظر ركب البشر بعد ظهورِه ، ثم ما يعنيه هذا الموضوع على مستوى سفر البشر نحو الموطن الأعظم والمقر الأبدي ، أي القيامة وما تعنيه من مفترقٍ هائل نحو الجنّة أو النار ، واللافت في نصوص أهل البيت ﷺ تأكيدهم على انّ أمر المهدي ﷺ من النوع الذي لا بدّ أن يقع ولا يمكن أن يتخلّف أبداً . ففي رواية أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري قال : كُنّا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا ﷺ فجرى ذكر السفياني وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم ، فقلت لأبي جعفر ﷺ هل يبدو له في المحتوم ؟ قال : [نعم ، قلنا له : فنخاف أن يبدو لله في القائم ، فقال : إن القائم من الميعاد والله لا يخلف الميعاد][1] .

أي أنّ أمر المهدي ﷺ من النوع الذي قطع اللهُ تعالى بوقوعِه ، فلا بدّ أنّه واقع ولا يجري فيه أيُّ بداء مطلقاً ، مع الإشارة إلى انّ لسان طائفة من النصوص متعددة المتن والاسناد كانت في مقام التأكيد على موضوع السفياني وانّه لا بدّ انّه واقع كصيغة للحتم الذي لا بدّ من تحقّقه .

---

[1] النعماني : ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ب ١٨ ح ١٠ -

أمّا النصُّ هنا فهو في مقام الإبراز المطلق على أنّ موضوع المهدي ﷺ من علم الله تعالى الذي لا بدّ من تحقُّقه في آخر الزمان كتأكيد يُراد منه تسليط الضوء عليه كحدث حتمي أعظم تترابط به الأحداث . وجرياً على عهد المعصوم في البيان كان الإمام الجواد ﷺ يجمع صحبه وممّن تقوم به الحجّة ليُظهِرَ علم الدِّين على مسامعهم ويدوّنوه في كتبهم ، فكان يشيرُ إلى الإمامة مرّة ، وإلى أمر المهدي ﷺ مرّةً أخرى ، ويؤكّد على البيئة الصعبة زمن الظهور وما قبله ، وهذا ما تشيرُ إليه طائفة من النصوص : التأكيد على الظرف الصعب والبيئة الدوليّة المشتعلة في أكثر من عنوان وميدان وقضيّة ذات ارتباط شديد بالأثر الخطير الذي يطال البشر آنذاك ..

ففي رواية عبد العظيم الحسني عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا ﷺ أنه سمعه يقول : [إذا مات ابني علي بدا سراج بعده ، ثم خفي فويلٌ للمرتاب ، وطوبى للغريب الفار بدينه ، ثم يكون بعد ذلك أحداث تشيب فيها النواصي ويصير الصغير الصلاب][1] .

وفي لفظٍ آخر قال : [.. ابني علي وابنا علي . ثم أطرق مليّاً ، ثم رفع رأسه ، ثم قال : إنها ستكون حيرة . قلت : فإذا كان ذلك فإلى أين ؟ فسكت ثم قال : لا أين – حتى قالها ثلاثا – فأعدت عليه ، فقال ﷺ : إلى المدينة ، فقلت : أي المدن ؟ فقال : مدينتنا هذه ، وهل مدينة غيرها !][2] . تأكيداً منه ﷺ على أنّ المهديّ ﷺ يكون في هذه الناحية ، أي أوّلُ ظهوره يكون

---

[1] النعماني : ص ١٨٦ ب ١٠ ح ٣٧ –

[2] النعماني : ص ١٨٥ ب ١٠ ح ٣٦ –

فيها وهو الظهور الخاص الذي يدوم لأشهر . ومنها يخرج إلى مكّة . وبمكّة يعلن ظهوره العظيم أي الظهور العام .

بتعبير آخر : يؤكّد ﷺ على الظرف الصارخ الذي تمرُّ به الأرض ، ليس المؤمن فحسب ، لكن يبدو انّ المسلمين بصورةٍ عامّة يعانون من شدّة وافتراس أُممي يسحق قدراتهم وإمكاناتهم ، إلا طائفة من تلك الدول تكون بأرض خراسان ، تملك من أدوات القوّة ما يحفظ كيانَها ودعوتَها لكنّها تعاني من الظروف الدوليّة الضاغطة والإفتراس العنيف الذي يجتاح بقاع لعالم بأنماط وأساليب مختلفة . وكذا ورد نوع من منعة نسبيّة في بعض الرايات مثل راية الأبدال والعصائب ونجباء مصر . وتكون راية الأبدال أعظمهم منعة . ثمّ المعصوم ﷺ في مقام التأكيد على سلسلة بقيّة الأئمّة ﷺ ، وانّ البقيّة الباقية هو المهدي ﷺ الذي يُشكّل خروجُهُ أكبر منعطف تاريخي في تلك الحقبة من العالم ، بل أكبر فجر للهداية الوجوديّة بعد سلسلة الأئمّة ﷺ ، ليتابع نشر الإسلام وفق التأويل الصحيح للإسلام بعد مرحلةٍ هائلة من الضغط والغربة التي تطال الإسلام ..

وفي رواية محمد بن الفضيل ، عن أبي جعفر ﷺ قال : [ستبقون ستة (سبتاً) من دهركم لا تعرفون إمامكم ، قلت : وكم الستة جعلت فداك ؟ قال : ستة أيام أو ستة أشهر أو ست سنين أو ستون سنة][1] . أقول : الظاهر أن نص الرواية الشريفة هو الفقرة الاولى فقط . وقد ورد

---

[1] علل الاشياء : – على ما في إثبات الهداة . ه : إثبات الهداة : ج ٣ ص ٥٧٦ ب ٣٢ ف ٥١ ح ٧٣٢ ~ ' وقال ' : وقد تقدم سبب طول الغيبة وأنه تجدد بعدما كانت قصيرة ولعل التحديد هنا بستين سنة للغيبة الصغرى فإنها تقاربها ، ويكون الحساب تقريبا لمراعاة الحكمة والمصلحة والاخفاء لما مر ، أو للابهام ، ومفهوم العدد غير معتبر '

التعبير عن لسان الائمة بـ « سبت ، وسبت من الدهر » في مقام الإشارة إلى موضوع الغيبة ، والسبت في العربيّة يعني مدّة غير محددة من الزمن . ثم وقع تصحيف سبت من النساخ بست ، وهذا خطأ في النقل ، وعليه : يكون السؤال عن السنة من راوٍ لراوٍ آخر بعد عمليّة التصحيف ، وليس من الراوي الاخير للامام ﷺ . لذلك الصحيح هو السؤال عن السبت وليس السنّة . أي مدّة من الزمن .

وعليه : مدار الحديث يكمن في الإشارة إلى الغيبة ، وانّها فترة صعبة على المؤمنين ، بل على المسلمين عموماً . بل على اهل الأرض قاطبةً وبنسبٍ مختلفة . وانّه في هذه الفترة تعاني الأمّة الإسلاميّة وبالأخص الذين يدعون إلى الإسلام الأصيل ، يعانون من غربة الدّين ، من تصاعد قوّة أهل الجبروت ، من انحراف الموائيق ، من تشكّل قيم تشريعيّة وعرفيّة في الحقلين الخاص والعام والداخلي والدولي تقوم على نحوٍ تعارضي كبير مع الإسلام وقيَمِه ، بل في مخزون التسمية التي أُطلقت على المهدي ﷺ إشارة وتركيز على مضمون ذلك العالم الذي يهيمن زمن الغيبة ، بما يعنيه من غربة للدّين وانحراف للأمم عن الشريعة ، وتعاظم مفاهيم وأعراف الذين يدعون إلى الجبت والطاغوت ، الذين يجسّدون قيم الجماعة والإجتماع على نحوٍ معاند للدّين والشريعة ومبادئ الكون والإنسان .

ففي رواية الصقر بن أبي دلف قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا ﷺ يقول : إنّ الامام بعدي ابني علي ، أمره أمري ، وقوله قولي ، وطاعته طاعتي ، والامام بعده ابنه الحسن ، أمره أمرُ أبيه ، وقوله قولُ أبيه ، وطاعته طاعة أبيه . ثم سكت . فقلت له : يا ابن رسول الله ، فمَن الامامُ بعد الحسن ؟ فبكى ﷺ بكاء شديداً ، ثم قال : إن من بعد الحسن ابنه القائم

بالحق المنتظر . فقلت له : يا ابن رسول الله ، لِمَ سُمّي القائم ؟ قال ﷺ : لانه يقوم بعد موت ذكْره وارتداد أكثر القائلين بإمامته .

فقلت له : ولِمَ سُمّي المنتظر ؟ قال ﷺ : لأنّ له غيبة يكثر أيامها ، ويطول أمدها ، فينتظر خروجَهُ المخلصون ، وينكره المرتابون ، ويستهزئ بذكره الجاحدون ، ويكذب فيها الوقّاتون ، ويهلك فيها المستعجلون ، وينجو فيها المسلمون][1] .

ذيل النص كفيل بالإشارة الصريحة إلى معالم الزمن الذي يكون مسيطراً على أهل الأرض ، خاصّة الأمّة الإسلاميّة ، وبالأخص الأمة التي تنادي بأمر المهدي ﷺ ، وتكمن الصعوبة في سيطرة أبواق الإعلام المعادي للشريعة ، الداعي إلى الفساد الوائيقي القيمي المسلكي الخطير في حقل الجماعة والإجتماع ومبادئ انتماء الفرد والإنسان .

ومع ذلك تطول غيبة المهدي ﷺ فيكثر المُنكِرُون ، ويتزايد المفسدون ، ويبدو أنّ فئة هناك تتاجر بمواقيت الخروج ، وتعمل على استثمار الأمر في مصالحها فتكذّب وتستغل بالباطل ، إلا المخلصون ، اهل اليقين الذين يرون أمر المهدي قريباً حيث يراهُ الناس بعيداً ، يرونه يقيناً حيث يراهُ الناس وهماً ، يرونَهُ مُحقّقاً لا بدّ من ذلك في حين يقول القائل من أهل الفساد والإنحراف : هلك ، في أي وادٍ سلك وشبه ذلك ..

وهذا كما ترى : يشير إلى البلاء الذي يصيب الأمّة المنتمية إلى الإسلام ، أمّا غيرها فالنصوص صريحة في أنّها تكون على شرّ قيم

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٣٧٨ ب ٣٦ ح ٣ .

وأخلاق بالغالب ، في حين تقود مواثيق تدعو إلى تسليع كل شيئ ، فلا تؤمن بقيم وجودية أو مبادئ ذات بُعد نوعي يُوائم بين أنسنة القيم وكونتتها في ظل فساد سلوكي أخلاقي إجتماعي سياسي وبيئة من الإفتراس والغزو والعدوان وسط صراع على المادة والثروة والمواقع وهرم النظام الدولي وشبهه ، دون أي قيمة لمفهوم وجودي عظيم ..

وقد تشدَّدَ أهلُ البيتِ ﷺ في أمرِ المهدي ﷺ ، وأوصوا بانتظار الفرج ، الفرج الذي يقوم على تهيئة الأنفس والعمل بالإسلام وتوطئة المعالم للظهور ، الفرج الذي يقوم على الإرتباط بقيم وقوانين ومفاهيم الشريعة . وفي رواية عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب [الحسني] قال : دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره ، فابتدأني فقال لي :

[يا أبا قاسم ، إنَّ القائم منَّا هو المهدي الذي يجب أن يُنتَظَر في غيبته ، ويُطَاع في ظهوره ، هو الثالث مِن وُلدي . والذي بعث محمَّداً ﷺ بالنبوَّة وخصَّنا بالامامة ، إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوَّل اللهُ ذلك اليوم حتى يخرج فيه ، فيملأ الارضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئَت جوراً وظلماً ، وإن الله تبارك وتعالى لَيُصلِح له أمره في ليلة ، كما أصلح أمر كليمه موسى ﷺ إذ ذهب ليقتبس لأهله ناراً فرجع وهو رسولُ نبي . ثم قال ﷺ : أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج][1] .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٢٧٧ و ٣٦ حـ ١ –

في هذا النص تأكيد على الأمور التالية :

- المهدي من وُلد الحسين .. من علي الرضا ، من محمّد الجود ، من علي الهادي ، من الحسن العسكري عليهم السلام ..
- لا بدّ للمهدي من غيبة ..
- يُصلِحُ اللهُ أمر المهدي بشكلٍ سريع جداً . أي يُهيّئ ظروف ظهوره ودولته وعظمته عليه السلام في وقتٍ قصير جداً عند الظهور .
- المهدي عليه السلام يظهر في آخر الزمن وهو حتمٌ لا خلف فيه ، دون تحديد مدّة . وهو واجب أن يُنتظر في غيبته ، ويُطاع في ظهوره .
- انّه الذي يخرج في آخر الزمن فيملأ الأرض عدلاً ويقود الإجتماع العالمي على هدي القرآن والعترة ودولة الإسلام .

وعليه : المهدي عليه السلام من المسلّمات في تاريخ الإسلام وتاريخ الرواية ، ومن الضرورات على لسان النبي والأئمة والرواة .. لم يتقلّب الأئمة عليهم السلام في مكانٍ أو مقامٍ إلا ذكروا فيه المهدي وبشّروا الأمّة ، وأمروهم بالدعاء له[1] ..

بل نجد في أذكار أهل البيت عليهم السلام دعاءاً مُركّزاً لشيعة المهدي عليه السلام في أكثر من متنٍ ونصٍّ طافح في ذلك . وقد روى أبو الطيب الحسن بن

---

[1] ومن الدعاء للامام المهدي عليه السلام ما رواه محمد بن الفرج قال : كتب إلي أبو جعفر بن الرضا عليه السلام بهذا الدعاء وعلمنيه وقال .. : [وإذا انصرفت من صلاة مكتوبة فقل : رضيت بالله ربّاً ، وبمحمد نبيا ، وبالاسلام دينا ، وبالقرآن كتابا ، وبفلان وفلان أئمة . اللهم وليك فلان ، فاحفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه وتحت تحته . وامدد له في عمره ، واجعله القائم بأمرك ، والمنتصر لدينك ، وأره ما يحب وما تقر به عينه في نفسه وذريته وفي أهله ، وماله وفي شيعته وفي عدوه وأرهم منه ما يحذرون ، وأره فيهم ما يحب وتقر به عينه ، واشف صدورنا وصدور قوم مؤمنين] الكافي : ج ٢ صـ ٥٤٧ – ٥٤٨ ، ج ٦] .

أحمد بن محمد بن عمر بن الصباح القزويني ، وأبو المصباح محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن البغدادي الكاتبان قالا : جرى بحضرة شيخنا فقيه العصابة ذكر مولانا أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين ﷺ فقال رجل من الطالبيين : إنما ينقم منه الناس تسليم هذا الامر إلى ابن أبي سفيان ، فقال شيخنا : رأيت أيضاً مولانا أبا محمد ﷺ أعظم شأناً وأعلى مكاناً - وأوضح برهاناً من أن يقدح في فعل له اعتبار المعتبرين أو يعترضه شك الشاكين وارتياب المرتابين ، ثم أنشأ يحدث فقال :

لما مضى سيدنا الشيخ أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه وأرضاه ، وزاده علوّاً فيما أولاه ، وفرغ من أمره ، جلس الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر - زادَ اللهُ توفيقه - للناس في بقية نهار يومه في دار الماضي رضي الله عنه ، فأخرج إليه غلام الخادم الابيض مدرجاً وعكازاً وحقة خشب مدهونة ، فأخذ العكاز فجعلها في حجره على فخذيه وأخذ المدرج بيمينه والحقة بشماله ، فقال الورثة : في هذا المدرج ذكر ودايع ، فنشرهُ فإذا هي أدعية وقنوت موالينا الائمة من آل محمد ﷺ ، فأضربوا عنها وقالوا : ففي الحقة جوهر لا محالة ، قال لهم تبيعونها ؟ فقالوا بكم ؟ قال : يا أبا الحسن ، يعني ابن شيث الكوثاوي ، ادفع إليهم عشر دنانير فامتنعوا ، فلم يزل يزيدهم ويمتنعون إلى أن بلغ مائة دينار ، فقال لهم : إنْ بعتم وإلا ندمتم ، فاستجابوا البيع وقبضوا المائة دينار ، واستثنى عليهم المدرج والعكاز فلما انفصل الامر ، قال هذه عكاز مولانا أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا ﷺ التي كانت في يده يوم توكيله سيدنا الشيخ عثمان بن سعيد العمري رحمه الله ووصيته إليه وغيبته إلى يومنا هذا ، وهذه الحقة فيها خواتيم الائمة ﷺ ،

فأخرجها فكانت كما ذكر من جواهرها ونقوشها وعددها ، وكان في المدرج قنوت موالينا الائمة ﷺ وفيه قنوت مولانا أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين ﷺ ، وأملاها علينا من حفظه ، فكتبناها على ما سطر في هذه المدرجة ، وقال : احتفظوا بها كما تحتفظون بمهمات الدّين وعزمات رب العالمين عزوجل . ثم ذكر قنوتات الائمة ومنها قنوت الجواد ﷺ وقد جاء فيه :

[. . فأيّد اللهم الذين آمنوا على عدوك وعدو أوليائك فأصبحوا ظاهرين ، وإلى الحق داعين ، وللامام المنتظر القائم بالقسط تابعين . .][1] .

---

[1] مهج الدعوات : صد ٤٥ و ٦٠ - وعن زيارة الإمام المهدي ﷺ وزيارة الأئمة وردت نصوص كثيرة منها : روى موسى بن عمران النخعي قال : قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : علمني يا ابن رسول الله قولا أقوله بليغا كاملاً إذا زرت واحدا منكم فقال : إذا صرت إلى الباب فقف واشهد الشهادتين وأنت على غسل ، فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل : الله أكبر ثلثين مرة ، ثم امش قليلا وعليك السكينة والوقار وقارب بين خطاك ، ثم قف وكبر الله عزوجل ثلاثين مرة ، ثم امش من القبر وكبر الله أربعين مرة ، تمام مائة تكبيرة ثم قل : [. . بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرتي ، أشهد الله وأشهدكم أني مؤمن بكم وبما أتيتم به ، كافر بعدوكم وبما كفرتم به ، مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم ، موال لكم ولاوليائكم ، مبغض لاعدائكم ومعاد لهم ، وسلم لمن سالمكم ، وحرب لمن حاربكم ، محقق لما حققتم مبطل لما أبطلتم ، مطيع لكم عارف بحقكم ، مقر بفضلكم ، محتمل لعلمكم ، محتجب بذمتكم ، معترف بكم ، مؤمن بإيابكم ، مصدق برجعتكم منتظر لامركم ، مرتقب لدولتكم ، آخذ بقولكم ، عامل بأمركم ، مستجير بكم ، مؤمن بسركم وعلانيتكم ، وشاهدكم وغائبكم ، وأولكم وآخركم ، ونصرتي لكم معدة حتى يحيي الله تعالى دينه بكم ، ويردكم في أيامه ويظهركم لعدله ويمكنكم في أرضه ، وجعلني ممن يقتص آثاركم ، ويسلك سبيلكم ، ويهتدي بهداكم ، ويحشر في زمرتكم ، ويكر في رجعتكم ، ويملك في دولتكم ، ويشرف في عافيتكم ، ويمكن في أيامكم ، وتقر عينه غدا برؤيتكم والسلام عليكم ، وحشرني الله في زمرتكم ، وأوردني حوضكم ، وجعلني من حزبكم ، وأرضاكم عني ، ومكنني من دولتكم ، وأحياني في رجعتكم ، وملكني في أيامكم] [عيون أخبار الرضا : ج ٢ صد ٢٧٢ - ٢٧٨ ب ٦٨ ح ٦] .. وعن مصباح الزائر ، قال : قال السيد رحمه الله : في مروية عن أبي الحسن الثالث صلوات الله عليه ، تستأذن بما قدمناه في زيارة صاحب الامر عليه السلام ، ثم تدخل مقدما رجلك اليمنى على اليسرى ، وتقول : [بسم الله وبالله ، وعلى ملة رسول الله ﷺ ، أشهد

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما . ثم تستقبل الضريح بوجهك وتجعل القبلة خلفك وتكبر الله مائة تكبيرة وتقول : بسم الله الرحمن الرحيم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد الله لنفسه ، وشهدت له ملائكته وأولوا العلم من خلقه ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمدا عبده المنتجب ورسوله المرتضى ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، اللهم اجعل أفضل صلواتك وأكملها ، وأتمى بركاتك وأتمها ، وأزكى تحياتك وأتمها ، على سيدنا محمد عبدك ورسولك ونبيك ، ونجيك ووليك ورضيك وصفيك وخيرتك من خلقك وخاصتك وخالصتك وأمينك الشاهد لك والدال عليك ، والصادع بأمرك ، والناصح لك ، المجاهد في سبيلك ، والذاب عن دينك ، والموضح لبراهينك ، والمهدي إلى طاعتك ، والمرشد إلى مرضاتك ، والواعي لوحيك ، والحافظ لعهدك ، والماضي على إنفاذ أمرك ، المؤيد بالنور المضيء والمسدد بالامر الحرضي ، المعصوم من كل خطأ وزلل ، المنزه من كل دنس وخطل ، والمبعوث بخير الاديان والملل ، مقوم الميل والعوج ، ومقيم البينات والحجج ، المخصوص بظهور الفلج ، وإيضاح المنهج ، المظهر من توحيدك ما استتر ، والمحيي من عبادتك ما دثر ، والخاتم لما سبق ، والفاتح لما انغلق ، المجتبى من خلائقك ، والمعتام لكشف حقائقك والموضحة به أشراط الهدى ، والحجلو به غرائب العمى ، دافع حسبات الاباطيل ، ودامغ صولات الاضاليل ، المختار من طينة الكرم ، وسلالة المجد الاقدم ، ومغرس الفخار المعرق ، وفرع العلاء المثمر المورق ، المنتجب من شجرة الاصطفاء ، ومشكاة الضياء ، وذؤابة العلياء ، وسرة البطحاء ، بعثتك بالحق وبرهانك على جميع الخلق ، خاتم أنبيائك ، وحجتك البالغة في أرضك وسمائك ، اللهم صل عليه صلاة ينغمر في جنب انتفاعه بها قدر الانتفاع ، ويحوز من بركة التعلق بسببها ما يفوق قدر المتعلقين بسببه ، وزده بعد ذلك من الاكرام والاجلال ، ما يتقاصر عنه فسيح الآمال ، حتى يعلو من كرمك أعلى محال المراتب ، ويرقى من نعمك أسنى منازل المواهب ، وخذ له اللهم بحقه وواجبه ، من ظالميه وظالمي الصفوة من أقاربه . . . اللهم وصل على الائمة الراشدين ، والقادة الهادين ، والسادة المعصومين والاتقياء الابرار ، مأوى السكينة والوقار ، وخزان العلم ، ومنتهى الحلم والفخار ، ساسة العباد ، وأركان البلاد ، وأدلة الرشاد ، الالباء الامجاد ، العلماء بشرعك الزهاد ، ومصابيح الظلم وينابيع الحكم ، وأوتياد الخلق ، وعصم الامم ، قرناء التنزيل وآياته ، وأمناء التأويل وولاته ، وتراجمة الوحي ودلالاته ، أئمة الهدى ، ومنار الدجى ، وأعلام التقى ، وكهوف الورى ، وحفظة الاسلام ، وحججك على جميع الانام الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وسبطي نبي الرحمة ، وعلي بن الحسين السجاد زين العابدين ، ومحمد بن علي باقر علم الدين ، وجعفر بن محمد الصادق الامين ، وموسى بن جعفر الكاظم الحليم ، وعلي بن موسى الرضا الوفي ، ومحمد بن علي البر التقي ، وعلي بن محمد المنتجب الزكي ، والحسن بن علي الهادي الرضي ، والحجة بن الحسن صاحب العصر والزمان ، وصي الاوصياء وبقية الانبياء ، المستتر عن خلقك ، والمؤمل لاظهار حقك ، المهدي المنتظر ، والقائم الذي به ينتصر ، اللهم صل عليهم أجمعين ، صلاة باقية في العالمين ، تبلغهم بها أفضل محل المكرمين ، اللهم ألحقهم في الاكرام بجدهم وأبيهم ، وخذ لهم الحق من ظالميهم ، أشهد يا مولاي أنكم

المطيعون لله ، القوامون بأمره ، العاملون بإرادته ، الفائزون بكرامته ، إصطفاكم بعلمه ، واجتباكم لغيبه ، واختاركم بسره ، وأعزكم بهداه ، وخصكم ببراهينه ، وأيدكم بروحه ، ورضيكم خلفاء في أرضه ودعاة إلى حقه ، وشهداء على خلقه ، وأنصارا لدينه ، وحجيجا على بريته ، وتراجمة لوحيه ، وخزنة لعلمه ، ومستودعا لحكمته ، عصمكم الله من الذنوب وبرأكم من العيوب ، وائتمنكم على الغيوب . زرتكم يا موالي عارفا بحقكم ، مستبصرا بشأنكم ، مهتديا بهداكم ، مقتفيا لاثركم ، متبعا لسنتكم ، متمسكا بولايتكم ، معتصما بحبلكم ، مطيعا لامركم ، موانيا لاوليائكم ، معاديا لاعدائكم ، عالما بأن الحق فيكم ومعكم ، متوسلا إلى الله بكم ، مستشفعا إليه بجاهكم ، وحق عليه أن لا يخيب سائله والراجي ما عنده لزواركم ، المطيعين لأمركم . اللهم فكما وفقتني للايمان بنبيك ، والتصديق لدعوته ، ومننت علي بطاعته واتباع ملته ، وهديتني إلى معرفته ، ومعرفة الائمة من ذريته ، وأكملت بمعرفتهم الايمان ، وقبلت بولايتهم وطاعتهم الاعمال ، واستعبدت بالصلاة عليهم عبادك ، وجعلتهم مفتاحا للدعاء وسببا للاجابة ، فصل عليهم أجمعين ، واجعلني بهم عندك وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . أللهم اجعل ذنوبنا بهم مغفورة ، وعيوبنا مستورة ، وفرايضنا مشكورة ونوافلنا مبرورة ، وقلوبنا بذكرك معمورة ، وأنفسنا بطاعتك مسرورة ، وجوارحنا على خدمتك مقهورة ، وأسماءنا في خواصك مشهورة ، وأرزاقنا من لدنك مدرورة ، وحوائجنا لديك ميسورة ، برحمتك يا أرحم الراحمين . أللهم أنجز لهم وعدك ، وظهر بسيف قائمهم أرضك ، وأقم به حدودك المعطلة ، وأحكامك المهملة والمبدلة ، وأحي به القلوب الميتة ، واجمع به الاهواء المتفرقة ، واجل به صداء الجور عن طريقك ، حتى يظهر الحق في أحسن صورته ، ويهلك الباطل وأهله بنور دولته ، ولا يستخفي بشئ من الحق مخافة أحد من الخلق . أللهم عجل فرجهم ، وأظهر فلجهم ، واسلك بنا منهجهم . وأمتنا على ولايتهم ، واحشرنا في زمرتهم ، وتحت لوائهم ، وأوردنا حوضهم ، واسقنا بكأسهم ، ولا تفرق بيننا وبينهم ، ولا تحرمنا شفاعتهم ، حتى نظفر بعفوك وغفرانك ، ونصير إلى رحمتك ورضوانك ، إله الحق رب العالمين ، يا قريب الرحمة من المؤمنين ، عفني ، ولو أني قدمت حسنات جميع خلقك ، ثم خالفت طاعة أوليائك ، لكانت تلك الحسنات مزعجة لي عن جوارك ، غير حائلة بيني وبين تاركك ، فلذلك علمت أن أفضل طاعتك طاعة أوليائك . . . . أللهم لو وجدت شفيعا أقرب إليك من محمد وأهل بيته الاخيار ، الاتقياء الابرار ، عليه وعليهم السلام ، لاستشفعت بهم إليك ، وهذا قبر ولي من أوليائك وسيد من أصفيائك ، ومن فرضت على الخلق طاعته ، قد جعلته بين يدي ، أسألك يا رب بحرمته عندك ، وبحقه عليك ، لما نظرت إلي نظرة رحيمة من نظراتك ، تلم بها شعثي ، وتصلح بها حالي ، في الدنيا والآخرة ، فإنك على كل شئ قدير . أللهم إن ذنوبي ، لما فاتت العدد وجاوزت الامد ، علمت أن شفاعة كل شافع دون أوليائك تقصر عنها ، فوصلت التسبب من بلدي ، قاصدا وليك بالبشرى وتعلقا منه بالعروة الوثقى ، وها أنا يا مولاي قد استشفعت به إليك ، وأقسمت به عليك ، فارحم غربتي ، واقبل توبتي . أللهم إني لا أعول على صالحة سلفت مني ، ولا أثق بحسنة تقوم بالحجة عني . . . ثم تدعو ها هنا بدعاء العهد المأمور به في حال الغيبة .. ثم تقول أيضا : أللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرك ، راضية بقضائك ، مولعة بذكرك وبدعائك ، محبة لصفوة أوليائك ، محبوبة في أرضك وسمائك ، صابرة على

تأكيداً منهم ﷺ لعظيم هذا الأمر ورفعة شيعتهِ الثابتين على أمره وهداه ، وما يكون منه ومنهم في آخر الزمن ، وهو الذي يشكّل منفصلاً في رحلة الوجود ، وباباً نحو العالم الآخر ، ومنطقة ذات معالم مذهلة تشمل فيها دولة المهدي بقاع الأرض كلّها .. على أنّ أمر الإمامة كأمر النبوّة ، يبعث الله فيه أناساً يُشكّلون العمقَ الأعظم في الحجّة ، حتى في عمر الصبا ، كما هي الحالُ مع النبي عيسى ﷺ الذي تكلّم في المهد ، وكما هي الحالُ مع النبي يحيى وغيرهم من أنبياء وأولياء الله تعالى ، بل كما هي الحال مع الإمام الجواد والإمام الهادي ﷺ .

وفي الرواية عن محمد بن إسماعيل بن بزيع قال : سألته – يعني أبا جعفر ﷺ – عن شيئ من أمر الامام ، فقلت : يكون الامام ابن أقل من سبع سنين ؟ فقال : [نعم ، وأقل من خمس سنين][1] . وفي قصّة النبي يحيى ﷺ يقول الله تعالى : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢/١٩﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣/١٩﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤/١٩﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥/١٩﴾ .

وعن قصّة المسيح عيسى بن مريم ﷺ يقول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦/١٩﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧/١٩﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨/١٩﴾ قَالَ : إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا

نزول بلائك ، مشتاقة إلى فرحة لقائك ، متزودة التقوى ليوم جزائك ، مستنة بسنن أوليائك ، مفارقة لاخلاق أعدائك ، مشغولة عن الدنيا بحمدك وثنائك] [مصباح الزائر : ص ١٧٨ ، # ؛ البحار : ج ١٠٢ ص ١٧٨ ح ٨] .

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٨٤ ح ٥ –

زَكِيًّا ﴿١٩/١٩﴾ قَالَتْ : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠/١٩﴾ قَالَ : كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ ، هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ، وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ، وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١/١٩﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢/١٩﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ : يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴿٢٣/١٩﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا : أَلَّا تَحْزَنِي ، قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤/١٩﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥/١٩﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ، فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي : إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ، فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦/١٩﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا : يَا مَرْيَمُ ، لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧/١٩﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ ، مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨/١٩﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ، قَالُوا : كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩/١٩﴾ قَالَ : إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ، آتَانِيَ الْكِتَابَ ، وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠/١٩﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ، وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١/١٩﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢/١٩﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ، وَيَوْمَ أَمُوتُ ، وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣/١٩﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤/١٩﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥/١٩﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦/١٩﴾

لا شكَّ أنَّ هذا من عناوين الإعجاز الرباني العظيم ، الذي قدَّرهُ في بعض أنبياءه كما قدَّره في بعض أولياءه ﷺ .. وفي قصَّة الإمام الجواد والإمام الهادي ﷺ ما يُذهل من هذه الجهة . فالحمد لله على نعمه البالغة .

نموذج من أحاديث الإمام الهادي عليه السلام في الإمام المهدي عليه السلام وما يكون عليه زمن الغيبة والظهور

كما أشرتُ سابقاً كان أهل البيت عليهم السلام يركّزون على موضوع المهدي عليه السلام وانّه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً. وانّه ابن الحسن العسكري، من وُلد الحسين عليه السلام، وانّه الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام .. ففي رواية الصقر بن أبي دلف قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا عليهما السلام يقول: [إنّ الامام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً][1].

ولقد كانت هذه المتون من أشباه هذه النصوص تثير حفيظة العباسيين وغيرهم من أعداء أهل البيت عليهم السلام، حيث كان الرواة ينقلون مثل هذه النصوص عن سلسلة أئمّة أهل البيت عليهم السلام فيعمل العباسيّون وغيرهم على قطع النسل ومراقبة المواليد ويعملون بجهدهم الجهيد لإبطال أمر الإمامة، لكنّ جهودهم تفشل أمامَ أمرِ الله وإرادتِه تعالى. فقد وضعوا الإمام العسكري في إقامة جبريّة، وضعوه في العسكر، وراقبوا نساءه، وإذا بفرج تحمل به كحمل أمّ موسى عليه السلام، وتخفى ولادتُهُ كخفاء ولادة النبي موسى عليه السلام، وحين يشيع أمر المهدي عليه السلام يعمل العباسيّون بكلّ طاقتهم للقبض على المهدي عليه السلام فيفشلون بشكلٍ مطلق. حيث أمر

---

[1] كمال الدين: صـ ٣٨٣ و ٣٧ حـ - ١ -

المهدي ﷺ وحفظهُ بيد الله تعالى . وهو الإمام الحجّة الذي صانه اللهُ تعالى ليحقّق أعظم نتائج تاريخيّة في الزمن الأخير من عالم البشر ..

بل تجد بعض العناوين ذات صلة باللطف الإلهي على نحوٍ مخصوص . مثل خفاء أمر أمّ المهدي ﷺ وخفاء ولادته ، وصونه عن يد الأعداء من العباسيين وغيرهم . بل في تأكيد بعض النصوص على انّ أمّ المهدي ﷺ من نسل الحواريين .

ففي رواية كمال الدّين : قال الإمام الهادي ﷺ : [يا بشر ، إنّك من وُلد الانصار ، وهذه الولاية لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف ، فأنتم ثقاتنا أهل البيت ، وإني مزكّيك ومشرّفُك بفضيلةٍ تسبق بها شأو الشيعة في الموالاة بها : بسرٍّ أطلعُكَ عليه وأنفذك في ابتياع أمة ، فكتب كتاباً ملصقاً بخط رومي ولغة رومية ، وطبع عليه بخاتمه ، وأخرج شستقة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً فقال :

خذها وتوجّه بها إلى بغداد ، واحضر معبر الفرات ضحوة كذا ، فإذا وصلت إلى جانبك زوارق السبايا وبرزنَ الجواري منها ، فستحدق بهم طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العباس وشرازم من فتيان العراق ،

فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمّى عمر بن يزيد النخّاس عامة نهارك إلى أن يبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا ، لابسة حريرتين صفيقتين ، تمتنع من السفور ولمس المعترض والانقياد لمن يحاول لمسها .. فيضربها النخّاس فتصرخ صرخة رومية ، فأعلم أنها تقول : وا هتك ستراه ، فيقول بعضُ المبتاعين : عليَّ بثلاثمائة دينار . فقد زادني العفافُ فيها رغبةً ، فتقول بالعربية : لو برزتَ في زيّ سليمان وعلى

مثل سرير مُلكِه ما بدت لي فيك رغبة ، فأشفق على مالِكَ ، فيقول النخاس : فما الحيلةُ ولا بد مِن بيعك ؟

فتقول الجارية : وما العجلةُ ولا بدَّ مِن اختيار مُبتاع يسكن قلبي [إليه و] إلى أمانته وديانته . فعند ذلك قُم إلى عمر بن يزيد النخاس وقل له : إنَّ معي كتاباً مُلصقاً لبعض الاشراف كَتَبَهُ بلغة روميَّة وخطٌّ رومي ، ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه ، فتناولها لتتأمَّل منه أخلاق صاحبه ، فإنْ مالت إليه ورضيته ، فأنا وكيله في ابتياعها منك .

قال بشر بن سليمان النخاس : فامتثلتُ جميع ما حدَّهُ لي مولاي أبو الحسن ﷺ في أمر الجارية . فلمَّا نظرتَ في الكتاب بكت بكاءً شديداً ، وقالت لعمر بن زيد النخاس : بعني مِن صاحبِ هذا الكتاب ، وحلفت بالمحرجة المغلظة إنه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها ،

يقول بشر : فما زلتُ أشاحُّه في ثمنها حتى استقر الامر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي ﷺ مِن الدنانير في الشستقة الصفراء . فاستوفاهُ مني وتسلَّمتُ منه الجارية ضاحكةً مستبشرة ، وانصرفت بها إلى حجرتي التي كنتُ آوي إليها ببغداد . فما أخذها القرارُ حتى أخرجت كتابَ مولاها ﷺ مِن جيبها وهي تلثمُهُ وتضعه على خدِّها ، وتطبقه على جفنها ، وتمسحه على بدنها ، فقلت : - تعجباً منها - أتلثمينَ كتاباً ولا تعرفين صاحبه ؟ قالت : أيها العاجز الضعيف المعرفة بمحلِّ أولاد الانبياء أعرني سمعك ، وفرِّغ لي قلبك : أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم ، وأمي من وُلْدِ الحواريين تُنسبُ إلى وصيِّ المسيح شمعون ، أُنبئك العجبَ العجيب :

إنّ جدي قيصر أراد أن يُزوّجني من ابن أخيه وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة ، فجمع في قصره من نسل الحواريين ومن القسيسين والرهبان ثلاثمائة رجل ، ومن ذوي الاخطار سبعمائة رجل ، وجمع من أمراء الأجناد وقوّاد العساكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف ، وأبرز من بهو مُلكه عرشاً مصوغاً من أصناف الجواهر إلى صحن القصر فرفعه فوق أربعين مرقاة ، فلما صعد ابن أخيه وأحدقت به الصلبان وقامت الاساقفة عكفا ، ونُشِرَت أسفارُ الانجيل تساقلت الصلبانُ من الاعالي فلصقت بالارض ، وتقوّضت الاعمدةُ فانهارت إلى القرار ، وخرّ الصاعد من العرش مغشيّاً عليه ، فتغيّرت ألوانُ الاساقفة ، وارتعدت فرائصهم ،

فقال كبيرهم لجدّي : أيها الملك أعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالّة على زوال هذا الدّين المسيحي والمذهب الملكاني ، فتطيّر جدّي من ذلك تطيُّراً شديداً ، وقال للاساقفة : أقيموا هذه الأعمدة ، وارفعوا الصلبان ، واحضروا أخا هذا المدبر العاثر المنكوس جده لأزوّج منه هذه الصبية فيدفع نحوسه عنكم بسعوده ، فلما فعلوا ذلك حدث على الثاني ما حدث على الاول ، وتفرّق الناس ، وقام جدي قيصر مُغتمّاً ودخل قصره وأُرخِيَت الستور ،

فأُريتُ في تلك الليلة (في عالم الرؤيا) كأنّ المسيح وشمعون وعدّة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدي ونصبوا فيه منبراً يباري السماء علواً وارتفاعاً في الموضع الذي كان جدّي نصب فيه عرشه ، فدخل عليهم محمّد ﷺ مع فتية وعدّة من بَنيه ، فيقوم إليه المسيحُ ﷺ فيعتنقه فيقول ﷺ : يا روح الله إنّي جئتُك خاطباً من وصيّك شمعون فتاتَه مليكة لإبني هذا . وأومأ بيده إلى أبي محمد (الحسن العسكري) ، صاحب هذا

الكتاب ، فنظر المسيحُ إلى شمعون فقال له : قد أتاك الشرفُ فَصِلْ رحمَكَ برحمِ رسولِ الله ﷺ ، قال : قد فعلت .

فصعد ذلك المنبر وخطبَ محمّدٌ ﷺ وزوّجني وشهد المسيحُ عليه السلام ، وشهد بنو محمّد عليهم السلام والحواريون ، فلما استيقظتُ من نومي أشفقتُ أن أقص هذه الرؤيا على أبي وجدّي مخافةَ القتل ، فكنتُ أسرُّها في نفسي ولا أُبديها لهم ،

وضرب صدري بمحبّةِ أبي محمد عليه السلام (الحسن العسكري) ، حتى امتنعتُ من الطعام والشراب ، وضعفت نفسي ، ودقّ شخصي ، ومرضتُ مرضاً شديداً ، فما بقي من مدائن الروم طبيبٌ إلا أحضرَهُ جدّي وسأله عن دوائي ، فلما برح به اليأس قال : يا قرّةَ عيني ، فهل تخطر ببالك شهوة فأزوّدكها في هذه الدنيا ؟

فقلت : يا جدي أرى أبواب الفرج عليّ مُغلقة ، فلو كَشَفْتَ العذابَ عمّن في سجنك من أسارى المسلمين ، وفككت عنهم الاغلال ، وتصدّقت عليهم ، ومننتهم بالخلاص ، لرجوتُ أن يهب المسيحُ عليه السلام وأمّه لي عافيةً وشفاءً . فلما فعل ذلك جدّي تجلّدتُ في إظهار الصحّة في بدني ، وتناولتُ يسيراً من الطعام ، فسُرَّ بذلك جدّي ، وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم ، فرأيتُ أيضاً بعد أربع ليالٍ كأنّ سيدة النساء (فاطمة الزهراء عليها السلام) قد زارتني ، ومعها مريم بنت عمران ، وألف وصيفة من وصائف الجنان ، فتقول لي مريم : هذه سيدةُ النساء أمُّ زوجك أبي محمد (الحسن العسكري عليه السلام) ، فأتعلّق بها وأبكي ، وأشكو إليها امتناعَ أبي محمّد (الحسن العسكري) من زيارتي ،

فقالت لي سيدةُ النساء ﷺ : إنّ ابني أبا محمد ﷺ لا يزورك وأنت مشركة بالله وعلى مذهب النصارى . وهذه أختي مريم تبرأ إلى الله تعالى من دينك . فإنْ ملتِ إلى رضا الله عزوجل ورضا المسيح ومريم عنك وزيارة أبي محمد إياك فتقولي : أشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأشهد أن – أبي – محمداً رسول الله . فلما تكلّمتُ بهذه الكلمة ضمّتني سيدةُ النساء إلى صدرها ، فطيّبت لي نفسي ، وقالت : الآن توقّعي زيارة أبي محمد (الحسن العسكري) إيّاك ، فإني منفذتُهُ إليك .

فانتبهتُ وأنا أقول : واشوقاهُ إلى لقاء أبي محمد . فلما كانت الليلة القابلة جاءني أبو محمد (الحسن العسكري ﷺ) في منامي ، فرأيته كأني أقول له : جفَوتَني يا حبيبي بعد أن شغلت قلبي بجوامع حُبّك ؟ قال : ما كان تأخيري عنك إلا لشُركك ، وإذ قد أسلمتِ فإنّي زائرُك في كلّ ليلة ، إلى أن يجمع اللهُ شملنا في العيان . فما قطع عني زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية .

قال بشر فقلت لها : وكيف وقعتِ في الأسر ؟ فقالت : أخبرني أبو محمد ليلةً من الليالي أنّ جدّك سيسرب جيوشاً إلى قتالِ المسلمين يوم كذا ، ثم يتبعهم ، فعليكِ باللحاق بهم مُتنكّرة في زيّ الخدم مع عدّة من الوصائف من طريق كذا ، ففعلتُ فوَقَعَت عليتا طلائعُ المسلمين ، حتى كان من أمري ما رأيت وما شاهدت وما شعر أحد [بي] بأنّي ابنةُ ملك الروم إلى هذه الغاية سواك ، وذلك باطلاعي إيّاك عليه ، ولقد سألني الشيخُ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته ، وقلت : نرجس . فقال : اسم الجواري . فقلت : العجب إنّك رومية ولسانك عربي ؟ قالت : بلغ من ولوع جدّي وحمله إياي على تعلم الآداب أنْ أوعَزَ إلى إمرأةٍ ترجمان له في

الاختلاف إليّ . فكانت تقصدني صباحاً ومساءً وتفيدني العربية حتى استمرّ عليها لساني واستقام .

قال بشر : فلما انكفأتُ بها إلى « سر من رأى » دَخَلْتُ على مولانا أبي الحسن (أي الإمام الهادي عليه السلام) فقال لها : كيف أراكِ اللهُ عزّ الاسلام وذُلّ النصرانية ، وشرفَ أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله ؟ قالت : كيف أصفُ لك يا ابن رسول الله ما أنت أعلم به مني ؟ قال : فإني أريدُ أن أكرمك فأيما أحبُّ إليك : عشرة آلاف درهم ؟ أم بشرى لك فيها شرفُ الابد ؟ قالت : بل البشرى .

قال عليه السلام : فأبشري بولدٍ يملكُ الدنيا شرقاً وغرباً ، ويملأ الارضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئَت ظلماً وجوراً . قالت : ممَّن ؟ قال عليه السلام : ممَّن خطبك رسولُ الله صلى الله عليه وآله له من ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا بالروميّة . قالت : من المسيح ووصيّه ؟ قال عليه السلام : فممَّن زوَّجك المسيحُ ووصيّه ؟ قالت : من ابنك أبي محمّد (الحسن العسكري) ؟ قال : فهل تعرفينه ؟ قالت : وهل خلوت ليلة من زيارته إيّاي منذ الليلة التي أسلمتُ فيها على يد سيدة النساء أمه .

فقال أبو الحسن عليه السلام : يا كافور ، ادع لي أختي حكيمة ، فلما دخلت عليه قال عليه السلام لها : ها هيه ، فاعتنقتها طويلاً وسُرَّت بها كثيراً . فقال لها مولانا : يا بنت رسول الله أخرجيها إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسُّنَن ، فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم عليه السلام]' ..

' كمال الدين : ج ٢ ص ٤١٧ ب ٤١ ح ١ -

لا شكّ أنّ هذا عنوان مذهل من لُطف الله تعالى ونِعَمِه ، ووصلة وصل بين رحم شمعون الصفا ﷺ ورحم النبي محمّد ﷺ .. وكلّ ما فيها يقشعرّ منه البدن ويخشع له القلب ويتذهل منه العقل .. إنّه إعجاز الربّ رحمةً لهذا الخلق ..

وفي رواية محمد بن علي بن حاتم النوفلي قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشاء البغدادي قال : حدثنا أحمد بن طاهر القمي قال : حدثنا أبو الحسين محمد بن بحر الشيباني قال : وردت كربلاء سنة ست وثمانين ومائتين ، قال : وزرتُ قبر غريب رسول الله ﷺ ، ثم انكفأت إلى مدينة السلام (بغداد) مُتوجّهاً إلى مقابر قريش في وقت قد تضرمت الهواجر وتوقّدت السمائم ، فلما وصلت منها إلى مشهد الكاظم ﷺ واستنشقتُ نسيمَ تربته المغمورة من الرحمة ، المحفوفة بحدائق الغفران أكببتُ عليها بعبراتٍ متقاطرة ، وزفراتٍ متتابعة ، وقد حجبَ الدمعُ طرفي عن النظر ، فلما رقأت العبرة وانقطع النحيب فتحتُ بصري ، فإذا أنا بشيخ قد انحنى صلبه ، وتقوّس منكباهُ ، وثقلت جبهته وراحتاهُ ، وهو يقول لآخر معه عند القبر : يا ابن أخي لقد نال عمُّكَ شرفاً بما حمله السيدان من غوامض الغيوب وشرائف العلوم التي لم يحمل مثلها إلا سلمان ، وقد أشرف عمُّك على استكمال المدة وانقضاء العمر ، وليس يجد في أهل الولاية رجلاً يفضي إليه بسره .

قلت : يا نفس لا يزال العناء والمشقة ينالانِ منك باتعابي الخف والحافر في طلب العلم ، وقد قرع سمعي من هذا الشيخ لفظ يدل على علمٍ جسيم وأثر عظيم ، فقلت : أيها الشيخ ومَن السيدان ؟ قال : النجمان المغيبان في الثرى بسر مَن رأى .

فقلت : إني أقسم بالموالاة وشرف محل هذين السيدين من الامامة والوراثة إني خاطبٌ علمهما ، وطالب آثارهما ، وباذل من نفسي الايمان المؤكَّدة على حفظ أسرارهما . قال : إنْ كنتَ صادقاً فيما تقول ، فأحضر ما صحبك من الآثار عن نقلة أخبارهم ، فلما فتَّشَ الكتب وتصفَّح الروايات منها قال : صدقت ، أنا بشر بن سليمان النخاس من ولد أبي أيوب الانصاري أحد موالي أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام وجارهما بسر مَن رأى .

قلت : فأكرم أخاك ببعض ما شاهدت من آثارهما قال : كان مولانا أبو الحسن علي بن محمد عليه السلام (يعني الهادي) فقَّهني في أمر الرقيق ، فكنت لا أبتاع ولا أبيع إلا بإذنه ، فاجتنبتُ بذلك موارد الشبهات حتى كملت معرفتي فيه فأحسنت الفرق [فيما] بين الحلال والحرام . فبينما أنا ذات ليلة في منزلي بـ « سر مَن رأى » وقد مضى هوي من الليل إذ قَرَعَ البابَ قارعٌ ، فعدوتُ مسرعاً ، فإذا أنا بكافور الخادم رسول مولانا أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام يدعوني إليه ، فلبستُ ثيابي ودخلتُ عليه فرأيته يحدِّث ابنه أبا محمد وأخته حكيمة من وراء الستر ، فلما جلست قال[1] : .. وذكر الحديث الوارد أعلاه . الذي يشرح زواجَ الإمام العسكري عليه السلام من نرجس رضوان الله عليها .

إنَّ هذا وغيره من مداليل اللطف الرباني المدهش بهذا البيت الكريم . وعلامة على الإحاطة التي أحاط اللهُ بها مولانا المهدي عليه السلام من حيث أمِّه وأبيه وظرف ولادته والمهمَّة التي أعدَّهُ اللهُ لها .. وهي مهمَّة كبرى ، وعنوان من عناوين العظمة ، ومرحلة من أكبر المراحل التي تؤرِّخ محطَّة البشر .

---

[1] دلائل الامامة : ص ٢٦٢ –

على أنّ المهدي ﷺ يغيب عن أنظار الناس بأمر الله تعالى ، وتكون له غيبةٌ طويلة ، يكثر فيها القول ، إلى أن يأذن اللهُ له بالظهور . وفي رواية داود بن القاسم قال : سمعت أبا الحسن ﷺ يقول : [الخلفُ من بعدي الحسنُ ﷺ ، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف (أي بالمهدي) ، فقلت : ولِمَ جعلني الله فداك ؟ فقال ﷺ : إنّكُم لا ترون شخصه ، ولا يحلُّ لكم ذكره باسمه . فقلت : فكيف نذكره ؟ فقال قولوا : الحجة من آل محمد عليهم السلام][1] .

وكُنّا أشرنا إلى أنّ المنع من تسمية المهديّ بإسمه في بعض الظوائف من النصوص إنّما كان تدبيريّاً . وبالتالي يجوز ذكر إسمه زمن الغيبة وزمن الظهور بلا إشكال بدلالة الكثير من المتون التي تذكره بالإسم .

وقد ركّز الإمام الهادي ﷺ على أنّ صاحب الأمر القائم المهدي ﷺ يختلف فيه الناس : منهم من يقول : وُلِد ، ومنهم من يقول : لم يُولَد بعد . ومنهم من يقول : هلك في أي وادٍ سلك . وشبه ذلك . وفي رواية إسحاق بن محمد بن أيوب قال : سمعت أبا الحسن علي بن محمد (بن علي بن موسى) ﷺ يقول : [صاحب هذا الامر (أي المهدي) مَن يقول الناس : لم يولد بعد][2] .. أي هنالك قوم يحتارون في ولادته ، ومنهم مَن يجور ويعمل على إبطال أمر الإمامة ويضغط للتشويش رغم المعرفة الحقيقيّة بولادته ﷺ ، أو التقصير الكبير في التحقّق من هذا الأمر . في حين

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٣٢٨ حـ ١٢ –

[2] كمال الدين : ج ٢ صـ ٣٨١ ـ ٣٨٢ بـ ٣٧ حـ ٦ –

هناك طائفة من الناس تُعلن أمرَ المهدي ، وتنادي به ، وانّه وُلِدَ وأحاطه اللهُ تعالى في حمل أمّه ، وولادتِه ، كما أحاط أمُّ موسى ، ومدَّ اللهُ في عمرِه ، كما مدَّ في عمرِ المسيح عيسى بن مريم ، والخضر عليهما السلام ..

ولا يشكُّ أحدٌ من المسلمين بأمر المهدي عليه السلام فهو من الضرورات المتواترات التي أخبر بها النبي والأئمة والرواة . وانّه من ولد النبي ، من عليٍّ وفاطمة ، من وُلد الحسين بن علي لا من وُلد الحسن بن علي كما استشكل البعض من العامّة في ذلك ، وانّه من الإمام الحادي عشر من أهل البيت أي ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام . وانّه وُلِد حتماً ، وقد غيَّبه اللهُ تعالى لوقتٍ لا يعلمهُ إلا اللهُ تعالى ، فيخرج في آخر الزمن في بيئةٍ عالميّة متشعّبة بالفساد والإنحراف العواثيقي والسلوكي ، فيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . ولقد كان الشيعةُ يسألون الإمام الهادي عليه السلام عن صاحب الأمر بعدهُ ؟ فيجيبهم بأنَّ الأمر من بعده لولده الحسن العسكري ، ومن بعده لولده المهدي . وفي بعض النصوص يركّز على بعض الصفات التي تخصُّ المهدي ، أي الغيبة ، الغيبة التي تطول ، ثم يخرج بعدها عليه السلام ليقيم حكومة الإسلام ومنظومة العترة والقرآن في كافّة أرجاء الكون الذي تطالهُ يدُ البشر .

ففي رواية علي بن عبد الغفار قال : لما مات أبو جعفر الثاني عليه السلام كتبت الشيعة إلى أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام (يعني الهادي) يسألونه عن الامر فكتب عليه السلام : [الامر لي ما دمتُ حيّاً ، فإذا نزلت بي مقاديرُ الله عزَّوجلَّ أتاكم اللهُ الخلفَ منّي ، وأنّى لكم بالخلف بعد الخلف][1] . يعني

---

[1] كمال الدين ج ٢ ص ٣٨٢ ب ٣٧ ح ٨ -

المهدي ﷺ . والمحصّل انّ أمر المهدي ﷺ فيه شيئٌ من الصعاب ، فيه غيبة وحيرة ، وطول زمان ومخاطر مختلفة وسط أمم وكيانات يبدو القرآن فيها غريباً ، وفي بعضها الآخر محارَباً ، والإسلام لا يُعمَل به إلا من قلّة ، والجور منشوراً مسطوراً في الأمم ، والفساد السياسي الإجتماعي ، والإنحراف الأخلاقي ، والتشتت القيمي والمفاهيمي على نحوٍ من ظهور كبير .

فإذا غاب المهديُّ ﷺ كان لا بدّ من انتظار الفرج الذي لا يحسن القيام بالإنتظار إلا الذين يلتزمون الإسلام ما أمكنهم ، يعملون لتدعيم أمر الإسلام ، لقيام أمر الإسلام ما أمكن ، يعلمون لتثبيت قيم ومفاهيم وقوانين الإسلام ما أمكن . وعليه : غيبة المهديُّ مقدّمة للفرج الأعظم . وفي رواية علي بن مهزيار قال : كتبتُ إلى أبي الحسن صاحب العسكر ﷺ أسأله عن الفرج ؟ فكتب : [إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعُوا الفرج][1] ..

وقبل الفرج أحداثٌ صعاب متسارعة ، وظروف ضاغطة ، وتداعيات ميتافيّة سلوكيّة خطيرة ، فإذا ظهرت راية تدعو للمهدي ﷺ وتمّت المقادير أمر اللهُ المهديَّ ﷺ بالظهور . وفي رواية أيوب بن نوح ، عن أبي الحسن الثالث ﷺ قال : [إذا رفع علمكم من بين أظهركم فتوقّعوا الفرج من تحت أقدامكم][2] . أي من بين بقاعكم . وهذا ما أشرنا إلى بعض علاماته وبعض الأحداث ذات الطابع الإقليمي والعالمي ، وبعض الصفات ذات المدلول الثقافي والمفاهيمي ، وبعض العناوين ذات الطابع الإقتصادي والحربي والإجتماعي وغيره ..

---

[1] الامامة والتبصرة : صـ ٩٣ ب ٢٣ حـ ٨٣ --

[2] الكافي : جـ ١ صـ ٣٤١ حـ ٢٤ --

منها اختلافٌ في الأمم ، اختلافٌ في المسلمين ، غربة القرآن ، غربة الدين ، ضعف المسلمين ، تهاوي أمرهم ، إلا من أمة ذات كيان محفوظ – وطوائف تؤيّدها في نواحٍ عدّة – هذه الأمة تكون في أرض خراسان ، تدعو للمهدي عليه السلام .

وفي رواية أيوب بن نوح قال : قال لي أبو الحسن العسكري عليه السلام ، وأنا واقف بين يديه بالمدينة ابتداءا من غير مسألة : [يا أيوب ، إنه ما نبأ الله من نبي ، إلا بعد أن يأخذ عليه ثلاث خصال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وخلع الانداد من دون الله ، وأن لله لمشية يقدّم ما يشاء ويؤخّرُ ما يشاء . أما إنه إذا جرى الاختلافُ بينهم لم يزل الاختلاف بينهم إلى أن يقوم صاحب هذا الامر][1] ..

وكنّا أشرنا إلى الإختلاف الذي يصيب مجموعة من الأمم ويتفاقم في ما نسمّيه اليوم منطقة الشرق الأوسط ، ويكون المشاركون فيه أطراف عالميّون ، ومعها تأخذ تلك المرحلة طابع حرب ذات بُعد عالمي نسبةً إلى صفة الأطراف المشاركة في تلك الحرب . ويظل الإختلاف بين الأمم حتى ظهور المهدي عليه السلام ، ويكون ملحوظاً اختلافُ بني العباس في العراق على ملكهم المتجدّد بعد موت طاغيتهم عبد الله ، هذا يكون من علامات قرب الظهور الشريف ، فإذا ظهر المهدي عليه السلام تبدّلت مجموعة من مكوّنات أطراف الحرب ومعادلات الصراع وهويّة الجبهات في ظل عالم جديد أو على مشارف مرحلة جديدة جداً . نعم يكون طموح جبهات ضخمة النيل من راية المهدي عليه السلام ومنع أي تصاعد قوّة في جانبها . لكنّ إرادة الله أكبر ، ما

---

[1] العياشي : ج ٢ ص ٢١٥ ح ٥٦ –

يعطي المهديّ ﷺ الدور الأعظم في إدارة ملفّات البيئة العالميّة آنذاك وصولاً إلى إعلانه قيام الحكومة الإسلاميّة العالميّة التي تحكم وفق منظومة الإسلام بما تعنيه من نصوص القرآن والعترة ﷺ ..

نموذج من أحاديث الإمام الحسن العسكري ﷺ في المهدي ﷺ

(الهجمة العباسية الشرسة للتخلّص من المهدي ﷺ)

في زمن الإمام العسكري ﷺ أصبح لذكر المهدي حيويّة متنامية ، حيث المولود المأمول بتأييد الله تعالى لا بدّ أن يكون من نسل الإمام العسكري ﷺ . كما أنّه في هذا الزمن بدأ الخناق يشتدُّ على أهل البيت بطريقة تتوافق مع سعي العباسيين لإبطال أمر الإمام ما أمكنهم ذلك ، خاصّة انّ العباسيين كانوا على يقينٍ مطلق بأنّ الثاني عشر من الأئمة المُسمّى المهدي هو الذي يُبطِلُ حكم الظالمين ، فما كان منهم إلا أن سعوا لإبطال أمر الله في ولادة المهدي وأبى اللهُ إلا أن يتمّ نوره . والله بالغٌ أمره ..

وفي رواية عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب قال : قال أبو محمد ﷺ : قد وضع بنو أمية وبنو العباس سيوفهم علينا لعلّتين : إحداهما أنهم كانوا يعلمون أنه ليس لهم في الخلافة حقّ فيخافون مِن ادّعائنا إيّاها وتستقر في مركزها . وثانيهما أنهم قد وقفوا من الاخبار المتواترة على أن زوال ملك الجبابرة والظلمة على يد القائم منّا ، وكانوا لا يشكُّون أنهم من الجبابرة والظلمة ، فسعوا في قتلِ أهل بيت رسول الله ﷺ وإبادة نسله ،

طمعاً منهم في الوصول إلى منع تولّد القائم أو قتله ، فأبى اللهُ أن يكشف أمره لواحد منهم ، إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون [1] .

النص شهادة تاريخيّة عميقة على الظلم والإضطهاد الذي نالَ أهلَ البيت ﷺ جرّاء طمع العباسيين والأمويين في حفظ عرشهم وخشيتهم من العلويين وهم يعلمون أنّ أمر الله فيهم . وكانوا - أي العباسيين والأمويين - بذلك يستفيدون من « إمهال الله » تعالى للظالمين « لا إهماله » . فطغوا وأفسدوا .. وفي رواية ابن مسكويه صاحب التاريخ بحوادث الاسلام في كتاب سماه نديم الفريد ، حيث ذكر كتاباً كتبه بنو هاشم يسألون المأمون أن يبايع لولده العباس بولاية العهد ويعاتبونه على مبايعته لعلي بن موسى الرضا ﷺ فكتب المأمون جوابهم (إلى أن يقول فيه) :

[. . فأما إنْ أبيتم إلا كشف الغطاء وقشر العصا ، فإن الرشيد أخبرني عن آبائه وعمّا وجد في كتاب الدولة وغيرها أنّ السابع هو الذي لا يقوم لبني العباس قائمة بعده ، ولا تزال النعمة متعلّقة عليهم بحياته ، فإذا ودع فودعوها وإذا فقدتم شخصي فاطلبوا لانفسكم معقلا ، وهيهات ما لكم إلا السيف يأتيكم الحسيني الثائر فيحصدكم حصداً ، والسفياني المرغم ، والقائم المهدي . وعند القائم المهدي تحقن دماؤكم إلا بحقها . .][2] .

إنّه كشفٌ روائي موثوق من قبل المأمون للعباسيين في مراسلة خاصّة عن حقيقة حادث المستقبل وما يؤول إليه الأمر وما هي حقيقة

---

[1] إثبات الرجعة ، الفضل بن شاذان : على ما في إثبات الهداة . * : إثبات الهداة : ج ٣ ص ٥٧٠ ب ٣٢ ف ٤٤ ح ٦٨٥ -

[2] نديم الفريد ، ابن مسكويه : على ما في غاية المرام . * : غاية المرام : ص ١١٩ ب ١٩ ح ٨٠ .

الشرعيّة وموقع الإمامة ، وما يكون عليه وضع بني العباس الذين يعيشون عقدة المهدي ﷺ ويرتعبون من ذكر إسمه لما ورد من النصوص أنّه قاتل الجبّارين ، وانّ العراق تكون عاصمته ، ما يعني زوال المُلك وتلاشي العرش وانتهاء كل شيء . لذلك حاولوا جاهدين قتلَ المهديّ ﷺ ومنعَ ولادته ، وبذلوا من أجل ذلك كلّ طاقتهم ففشلوا ونفذ أمرُ الله تعالى . والله بالغٌ أمره .

وقد حدّثنا التاريخ في كثيرٍ من مقطوعاته عن العذاب والتشريد والقتل والإبادة المتنوّعة التي طالت أهل البيت ، كما حدّثنا عن خشية الأمويين والعباسيين وانزعاجهم الشديد من أمر الإمامة ، مع إقرارهم الصريح بها . التاريخ يُتحفُنَا بإقرارات مذهلة في هذا المجال ، وهي موجودة بوضوحٍ شديد في كتب التاريخ العام والخاص دون منكر .

وعليه : سعى الظالمون بما امكنهم من وسائل وادوات لمنع إتمام أمر الإمامة سعياً منهم لحفظ عروشهم . وأبى اللهُ إلا أن يُتمّ نوره . وفي المُرسل عن الحسن بن علي العسكري ﷺ قال : [زعمت الظلمة أنهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل ، كيف رأوا قدرة القادر ، وسماه المؤمل][1] ..

تأكيداً منه ﷺ انّ أمر المهدي من المحتوم الذي لا بدّ منه ، بل من المعاد الذي لا بدّ أن يقع في علم الله وإرادته . وهذا ما وقع فعلاً ، وتمّ الحملُ والولادة بالمهدي في ظلّ إعجازٍ مذهل وإرادة ربّانيّة مُحيطَة . وفي قراءة المتن وما يوحي به شهادة عميقة على الظلم والإضطهاد الذي لَحق أهل البيت من العباسيين والأمويين أيضاً تحت باعث إبطال الإمامة وحفظ

---

[1] تاريخ الائمة : ص ٢٢ – غيبة الطوسي : ص ١٢٤

العرش . ودليل إضافي على انّ الأمويين والعباسيين كانوا يعيشون « أزمة ذعر » من حقيقة أمر الإمامة ، ويقين سلسلة الإمامة ، خاصّة موضوع المهدي المنتظر الذي يدكّ قلاع الظالمين ويُبطل العروش الفاسدة وينتقم من أهل الطغيان والإجرام .

بل في قراءة نواحٍ متعدّدة من مقطوعات التاريخ تأكيد صريح على خطط الإنتقام من مقام الإمامة وأشخاصها المتمثّلين بأهل البيت ﷺ . ففي رواية موسى بن جعفر بن وهب البغدادي أنه خرج من أبي محمد ﷺ توقيع : [زعموا أنهم يريدون قتلي ليقطعوا هذا النسل ، وقد كذب الله عزوجل قولهم ، والحمد لله][1] ..

في هذا تأكيد صريح على سياسة التخطيط والفعل الإنتقامي التطبيقي بحق أهل البيت ﷺ لما يُمثّلون من سبب ذعر كبير على العرش الأموي والعباسي في قرارة نفوس الفريقين من الدولتين . ومع ذلك أبى الله إلا أن يُتمّ نوره ..

وفي رواية أحمد بن محمد بن عبد الله قال : خرج عن أبي محمد ﷺ حين قُتِل الزبيريّ لعنه الله : [هذا جزاء مَن اجترأ على الله في أوليائه . يزعم أنه يقتلني وليس لي عقب ، فكيف رأى قدرة الله فيه ؟ وولِدَ له ولد سمّاهُ « محمد » ..][2] . أي أنّ الزبيريّ كان يعمل على قتل الإمام العسكري ﷺ حتى لا يلد المهديّ ﷺ وبذلك تنتفي الإمامة على اعتبار انّ الإمام المهدي حسب النصوص لا بدّ أن يكون من نسل الإمام

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٠٧ ب ٣٨ ح ٣ .

[2] الكافي : ج ١ ص ٣٢٩ ح ٥ .

العسكري ﷺ ، وبقتل الإمام العسكري ينتفي موضوع ولادة المهدي ﷺ . لكنّ الزبيريّ قُتِل ، وحمى اللهُ الإمام العسكري ، الذي بعثَ إلى أصحابه مؤكّداً انّ أمر ولادة الإمام المهدي ﷺ حتمٌ ومعاد واقع لا بدّ من ذلك ..

وفي رواية عيسى بن صبيح قال : دخل الحسن العسكري علينا الحبس ، وكنتُ به عارفاً (أي معتقداً بإمامته) فقال لي : [لك خمس وستون سنة وشهر ويومان . يقول : وكان معي كتاب دعاء عليه تاريخ مولدي ، وإني نظرتُ فيه فكان كما قال . ثم قال ﷺ : هل رُزِقتَ ولداً ؟ قلتُ : لا . فقال ﷺ : اللهم ارزقهُ ولداً يكون له عضداً ، فنعم العضد الولد .

ثم تمثّل ﷺ (قائلاً) : مَن كان ذا عضد يدرك ظلامته * إنّ الذليل الذي ليست له عضد . قلتُ له : ألك ولد ؟ قال ﷺ : إي والله سيكونُ لي ولدٌ يملأ الارض قسطاً (وعدلاً) . فأمّا الآن فلا . ثم تمثّل وقال : لعلّك يوماً أن تراني كأنما * بني حوالي الاسود اللوابد . فإن تميماً قبل أن يك الحصى * أقام زماناً وهو في الناس واحد][1] .

إلى هذا الحدّ كان الإمام العسكري ﷺ يؤكّد على انّ المهدي ﷺ لا بدّ أن يُولد ، ولا يحول دون ذلك جور السلاطين وفعل الأباطرة وسجن العباسيين ولا الإقامة الجبريّة ، ولا تعاهد النساء ، ولا عسس الظالمين ، بل لا بدّ أن يُولد المهدي بمشيئة الله تعالى . وهذا ما حصل بمشيئة الله تعالى في ظلّ إعجاز مذهل يتبع إعجاز . وبعد أن وُلد المهدي ﷺ ابتهلَ الإمامُ العسكريُّ لله تعالى ، حامداً شاكراً في مواقع لا تُحصى بين يدي أصحابه الكثيرين . ففي رواية أحمد بن إسحاق بن سعد قال : سمعت أبا محمد

---

[1] الفرائض : ج ١ ص ٤٧٨ ب ١٣ ح ١٩ –

الحسن بن علي العسكري ﷺ يقول : [الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي ، أشبه الناس برسول الله ﷺ خَلْقاً وخُلُقاً ، يحفظه اللهُ تبارك وتعالى في غيبته ، ثم يُظهِرُهُ الله فيملأ الارض عدلاً وقسطاً كما مُلئَت جوراً وظلماً][1] .

ففي هذا النص تأكيد من الإمام العسكري ﷺ على تحقُّق أمر الله تعالى الذي تجسَّد بولادة المهدي ﷺ والذي حفظه في الحمل والولادة والنشأة والذي يحفظه إلى زمن غيبته وظهوره . وأنّه أشبه الناس خلقاً وخلقاً بجدّه النبي ﷺ ، وانّ له غيبةً ، يُظهرهُ اللهُ بعدها فيقيم دولة الحق والقرآن في أرجاء الأرض بعد فسادٍ وظلمٍ وانحرافٍ يطال الأرض وأهلها .

وكان الإمام العسكري ﷺ قد اخبر أصحابَهُ بأوقاتٍ مختلفة بولادة قائم آل محمَّد المهدي ﷺ ، وانّه الإمام الثاني عشر الذي به تُختمُ الإمامة ، ويقوم الدِّين ، وهو الذي يُبطِلُ جورَ الجائرين ويهدم قلاع الظالمين ويحكم في الأرض بحكم القرآن والعترة .

ففي رواية الحسن بن المنذر ، عن حمزة بن أبي الفتح قال : [جاءني يوماً فقال لي : البشارة ، وُلِدَ البارحةَ في الدار مولودٌ لأبي محمد ﷺ . وأمرَ بكتمانه . قلت : وما اسمه ؟ قال : سمّي بمحمَّد ، وكُنّي بجعفر][2] . هذا النصُّ شهادة حيَّة عن طبيعة تعامل الإمام العسكري ﷺ مع خواصه وبعض أصحابه حول ولادة الإمام المهدي ، كما هو شهادة عظيمة حول طبيعة تلقّي ونشر الأصحاب خبر ولادة الإمام الثاني عشر ، المشهور في

---

[1] الفضل بن شاذان ، إثبات الرجعة : على ما في إثبات الهداة . * : كمال الدين : ج ٢ ص ٤٠٨ ب ٣٨ ح ٧ -

[2] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٣٢ ب ٤٢ ح ١١ -

لسان النبي والأئمة بإسم المهدي ﷺ .. وهناك مقطوعات تاريخيّة شديدة العمق في توزيع ونشر خبر ولادة المهدي ﷺ من قبل الإمام العسكري ﷺ على بعض أصحابه في مناطق وبقاع مختلفة ، منها مناطق بعيدة عن مقرّه مع التأكيد على ضرورة الكتمان لما يسعى له ولاة وأمراء وخلفاء بني العباس من قتل المهدي ﷺ .

ففي رواية أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي قال : لمّا وُلِدَ الخلفُ الصالحُ ﷺ وَرَدَ عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي ﷺ إلى جدّي أحمد بن إسحاق كتاب ، فإذا فيه مكتوب بخط يده ﷺ ، الذي كان ترد به التوقيعات عليه ، وفيه : [.. وُلِد لنا مولود ، فليكن عندك مستوراً ، وعن جميع الناس مكتوماً ، فإنّا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والولي لولايته . أحببنا إعلامك ليسرّك اللهُ به مثلما سرنا به ، والسلام][1] .

قيمة هذا الخبر المهم أنّه يُبيّن لنا نموذجاً من تعامل الإمام العسكري ﷺ بخصوص ولادة المهدي ، وأنّه كيف كان ينشرهُ ، وعند مَن ، وبأيّ طريقة ، وبما يُوصي لحفظه ، والأهم فيه انّه كان يخبرهم بأنّ مخلّص البشريّة المهدي قد وُلِد ، وانّ أمر الله قد تحقّق ، وانّ الإمامة بعد الإمام العسكري ﷺ تعود إلى المهدي إمام أهل الأرض ، الذي له غيبة يطول أمدها ، يحتلّ الفقهاء فيها دور الوسيط الرئيسي في بيان الحكم وتوصيف المواضيع وحلّ المبهمات وقيادة الأمّة ، حتى يُظهِرَ اللهُ المهديّ فيُقيم دولة القرآن في كافّة أرجاء كون البشر . بل في طوائف أنّ جملةً من أصحاب الإمام العسكري ﷺ لقوا الإمامَ المهديّ ﷺ زمن إخفاءه من

---

[1] كمال الدين : صـ ٤٣٣ ب ٤٢ حـ ١٦ .

الإمام العسكري . وفي بعضها انّ الإمام العسكري ﷺ كان يُحضر المهدي ﷺ بين أيديهم ويقول لهم : هذا المهديُّ حجّة الله فأطيعوه .

وكانت بعض المقامات لا تخلو من إعجازٍ عظيم . ففي رواية أبي نعيم محمد بن أحمد الانصاري قال : وجّهَ قومٌ من المفوضة والمقصرة كامل بن إبراهيم المدني المعروف بصناعة ، إلى أبي محمد ﷺ إلى « سر من رأى » يناجيه في أمرهم ، قال كامل بن إبراهيم : فقلت في نفسي أسأله : أنّا يدخل الجنة إلا مَن عرف معرفتي وقال مقالتي ؟ قال : فلما دخلتُ على سيدي أبي محمد ﷺ إذ نظرتُ إليه على ثيابٍ بياض ناعمة ، فقلت في نفسي : وليُّ اللهِ وحجّتُه يلبس الناعم من الثياب ويأمرنا بمواساة إخواننا ، وينهانا عن لبس مثله ! فقال ﷺ – ابتداءاً ومن دون سؤال – :

[يا كامل . وحسرَ عن ذراعيه ، فإذا مسحٌ أسود خشن ، فقال : هذا لله وهذا لكم . فخجلتُ ، وجلستُ إلى بابِ سترٍ مُرخَى ، فجاءت الريحُ فكَشفَ طرفُهُ ، فإذا أنا بفتىً كأنه فلقةُ قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها ، فقال لي : يا كامل بن إبراهيم . فاقشعررتُ من ذلك ، وألهمت أنْ قلت : لبيك يا سيدي ، فقال : جئتَ إلى وليِّ اللهِ وحُجّتِه تريد أن تسأل : لا يدخل الجنّة إلا مَن عرف معرفتك وقال مقالتك ؟ فقلت : إي والله ، فقال : إذن والله يقلُّ داخلها ، والله إنّهُ يدخلها خلقٌ كثير ، قوم يُقال لهم الحقية ، قلت : سيدي ومَن هم ؟ قال : قوم من حبهم لأمير المؤمنين يحلفون بحقّه ولا يدرون ما فضله ، ثم سكت ﷺ ساعة ثم قال : وجئتَ تسأله عن مقالة المفوضة ؟ كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشية الله ، فإذا شاءَ اللهُ شيئاً . والله يقول ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ . قال : ثم رجع الستر إلى حاله ، فلم أستطع

كشفه ، فنظر إليّ أبو محمد ﷺ وتبسّم وقال : يا كامل بن إبراهيم : ما جلوسك ، وقد أنبأك المهديُّ والحجّةُ من بعدي بما كان في نفسك وجئتني تسألني عنه . قال : فنهضتُ وقد أخذت الجواب الذي أسررتُهُ في نفسي من الامام المهدي ﷺ ، ولم ألْقَهُ بعد ذلك . قال أبو نعيم : فلقيتُ كاملاً فسألته عن هذا الحديث فحدّثني به عن آخره بلا نقصان ولا زيادة][1] .

ففي هذا النصّ المهديُّ ﷺ يظهرُ على كامل ، ويُجيبُهُ بما في نفسه إعجازاً ، ويخبره بحكم الله تعالى وهو إبنُ أربع سنين . وكامل بن إبراهيم لا يعرف هذا الطفل ، إلا انّه فلقةُ قمر من شدّة جماله وهيبته ، وينطق بالإعجاز ، فيلتفتُ إليه الإمام العسكري ويخبرهُ بأنّ هذا هو ولدهُ المهدي ﷺ ، المهدي المعروف في نصوص النبيِّ والأئمّة انّه الإمام الثاني عشر ، الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً .

وهكذا كان الإمام العسكري ﷺ يدعو بعض أصحابه أو يستغل حضورهم ، أو يبعث إليهم وشبه ذلك ليواجههم بالمهدي ﷺ عن حضورٍ ومباشرة . ففي رواية يعقوب بن منقوش قال : دخلتُ على أبي محمد ، الحسن بن علي ﷺ ، وهو جالس على دكان في الدار ، وعن يمينه بيتٌ عليه ستر مُسبَل ، فقلت له : سيّدي ، مَن صاحبُ هذا الامر ؟ فقال : [إرفع الستر ، فرفعته ، فخرج إلينا غلامٌ خماسي له عشر أو ثمان أو نحو ذلك ، واضح الجبين ، أبيض الوجه ، دريّ المقلتين ، شثن الكفين ، معطوف الركبتين ، في خدّه الايمن خال ، وفي رأسه ذؤابة . فجلس على فخذ أبي

---

[1] الهداية الكبرى : ص ٨٧ .

محمد ﷺ ثم قال لي : هذا صاحبكم ، ثم وثب فقال له : يا بُنَي ادخل إلى الوقت المعلوم ، فدخل البيت وأنا أنظر إليه ، ثم قال لي : يا يعقوب انظر مَن في البيت ، فدخلت فما رأيت أحداً !][1] ..

النص يؤكّد على حضور للمهدي ﷺ ومكث يمكن سمعه وصفُهُ من قبل الراوي ، وأمر من الإمام العسكري باستحضار المهدي من جهة ، ثمّ بإدخاله مكانه ، ثم ذيل النص يشيرُ إلى مقام إعجازي مفادُهُ انّ الإمام العسكري ﷺ يسأل يعقوب بن منقوش أن يرفع الستار فيرفعه فلا يرى الإمام المهدي ﷺ ، ما يعني تدخُّل إرادة الله تعالى في حفظ المهدي ﷺ ..

وقد تكرّر فعلُ الإمام العسكري بإظهار المهدي وتعريف البعض عليه والتأكيد على ولادته وإمامته . ففي رواية ضوء بن علي العجلي ، عن رجلٍ من أهل فارس سمّاهُ قال : أتيتُ سامرّا ، ولزمتُ بابَ أبي محمد ﷺ ، فدعاني ، فدخلتُ عليه وسلّمتُ فقال : [ما الذي أقدمك ؟ قلت : رغبة في خدمتك ، قال فقال لي : فالزم الباب ، قال : فكنت في الدار مع الخدم ، ثم صرتُ أشتري لهم الحوائج مِن السوق ، وكنت أدخل عليهم مِن غير إذن إذا كان في الدار رجال .

قال : فدخلتُ عليه يوماً وهو في دار الرجال ، فسمعت حركةً في البيت فناداني : مكانك لا تبرح ، فلم أجسر أن أدخل ولا أخرج ، فخَرَجَت عليّ جاريةٌ معها شيءٌ مغطًّى ، ثم ناداني أدخل ، فدخلتُ ونادى الجارية ، فرجَعَت إليه ، فقال لها : اكشفي عمّا معك ، فكشفت عن غلامٍ أبيض حسن الوجه ، فقال : هذا صاحبكم .. ثم أمرها فحملته ، فما رأيته بعد ذلك حتى

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٠٧ ب ٣٨ ح ٢ ـ

مضى أبو محمد ﷺ][1] . وفي بعضِها الآخر كان السائلُ يسألُ الإمامَ العسكري ﷺ : هل لك ولد ؟ فكانَ الإمام يجيب بما تمليه الحقيقةُ والظرف أو الصفة ، فالمهديُّ مثلاً يخرج أوّلَ أمرِهِ في المدينة ، الظهور الخاص ، ومنها ينتقل سراً إلى مكّة ، ويكون إعلان ظهورِهِ العام في مكّة .

وعليه : يروي أبو هاشم الجعفري قائلاً : قلت لأبي محمد ﷺ جلالتك تمنعني من مسألتك ، فتأذن لي أن أسألك فقال ﷺ : [سَلْ ، قلت : يا سيدي ، هل لك ولد ؟ فقال : نعم ، فقلت : فإنْ حدث بك حدثٌ فأين أسأل عنه ؟ قال ﷺ : بالمدينة][2] . أي يكون أمرُ المهديّ ﷺ في المدينة أوّل الأمر ، ومنها يخرج سراً إلى مكّة ، وهناك يظهر الظهور العلني العالمي بعد غيبةٍ يطول أمدها . الإمام ﷺ يُجيب السائل بلسان المستقبل لمخاطبة الأمم القادمة ..

بل في طائفة أنّ الإمام العسكري ﷺ كان يُطلِعُ العشرات على ولادة الإمام المهدي ﷺ ويبشّرهم في ذلك . وفي غيرها كان الخبَرُ يُنقلُ عن أصحاب الإمام إلى أتباع الإمام ﷺ فينتقلون إليه ﷺ ليطّلعوا على خبر ولادة المهدي ﷺ وهكذا .. ففي رواية عيسى بن مهدي الجوهري قال : خرجتُ أنا ، والحسين بن غياث ، والحسين بن مسعود ، والحسين بن إبراهيم ، وأحمد بن حسان ، وطالب بن إبراهيم بن حاتم ، والحسين بن محمد بن سعيد ، ومحجل بن محمد بن أحمد بن الحصيب ، من حلا إلى « سر من رأى » في سنة سبع وخمسين ومأتين ، فعدنا من المدائن إلى كربلا ، فزرنا أبا عبد الله ﷺ في ليلة النصف من شعبان ،

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٢٩ ح ٦ –

[2] الكافي : ج ١ ص ٣٢٨ ح ٢ –

فتلقّانا إخواننا المجاورون لسيّدنا أبي الحسن وأبي محمد ﷺ بـ « سر من رأى » ، وكنّا خرجنا للتهنية بمولد المهديّ ﷺ ، فبشّرنا إخواننا بأنّ المولودَ كان قبل طلوع الفجر يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان[1] ، وهو ذلك الشهر ، فقضينا زيارتنا ودخلنا بغداد ، فزرنا أبا الحسن موسى ، وأبا جعفر الجواد ، محمد بن علي ﷺ ،

وصعدنا إلى « سر من رأى » ، فلما دخلنا على سيدنا أبي محمد ﷺ ، بدأنا بالتهنية قبل أن نبدأهُ بالسلام ، فجهرنا بالبكاء بين يديه ونحن نيّف وسبعون رجلاً من أهل السواد ، فقال ﷺ :

[إنّ البكاء من السرور من نِعَمِ الله مثل الشكر لها ، فطيبوا أنفُسَاً ، وقرُّوا أعيناً ، فوالله إنّكُم لعلى دينِ الله الذي جاءت به الملائكةُ والكُتُب ، وإنكم لَكَمَا قال جدّي رسول الله ﷺ : إيّاكُم أن تزهدوا في فقراء الشيعة ، فإنّ لفقيرهم المحسن المتّقي عند الله يوم القيامة شفاعةٌ يدخل فيها مثل ربيعة ومضر . فإذا كان هذا من فضل الله عليكم وعلينا فيكم فأيُّ شيئ بقي لكم . فقلنا بأجمعنا : الحمد لله والشكر لكم يا ساداتنا ، فيكم بلغنا هذه المنزلة . فقال ﷺ : بلغتموها بالله وبطاعتكم له ، واجتهادكم في عبادته ، وموالاتكم أولياءه ، ومعاداتكم أعدائه . قال عيسى بن مهدي الجوهري : فأردنا الكلام والمسألة ، فقال ﷺ لنا قبل السؤال : فيكم مَن أضمر مسألتي عن وَلَدي المهدي ﷺ ، وأين هو ؟ وقد استودعتُهُ اللهَ كما استودعت أمُّ موسى موسى ﷺ حيث قذفته في التابوت فألقته في اليمّ أن ردَّهُ اللهُ إليها . فقالت طائفة منّا : إي والله يا سيدنا ، لقد كانت هذه المسألة في أنفسنا .

---

[1] يبدو واضحاً معرفة الأصحاب بولادة المهدي ﷺ بشعبان ، لكنّهم لم يعرفوا بالضبط يوم الولادة ، لأنّ يوم الولادة هو ١٥ شعبان . النصوص الكثيرة واضحة في ذلك .

وأخذ عليه السلام يُخبرهم بما في أنفسهم ممّا أضمروا من السؤال - والحديث طويل في هذا المجال - يقول : فضججنا بين يديه ﷺ بالشكر والحمد على ما هدانا له . فقال ﷺ : زيدوا في الشكر تزدادوا في النعم .

قال الحسين بن حمدان : لقيت هؤلاء النيف والسبعين رجل ، وسألتهم عمّا حدثني به عيسى بن مهدي الجوهري ، فحدثوني به جميعاً . ولقيت بالعسكري مولى لأبي جعفر التاسع ﷺ ، ولقيتُ الريان مولى الرضا ﷺ ، فكلٌ يروي ما روته الرجالُ فكان هذا من دلائله ﷺ][1] . هذا يعني انّ خبر المهدي ﷺ ذاعَ وشاعَ خاصّةً بعد فترةٍ من ولادته ﷺ ، ولم يقتصر الأمر على شياعه ، بل وصل إلى حدّ رؤيته ، وظهوره في مقامات محدّدة على نحوٍ إعجازيٍ عظيم ، كان ﷺ يُخبرُ السائل بما في نفسه ممّا أضمر من الأسئلة الشرعيّة وغيرها ويجيبُهُ عليها وسط تأييدٍ ربّاني عظيم ..

وكان موضوع ولادة الإمام المهدي ممّا شغل ذهن الشيعة والأصحاب ، فكانوا مشدودي الأعصاب أمام هذا الموضوع ، ينتظرونه بفارغ الصبر في ظل تشدّد عباسي هائل ، يصرُّ على قتل أيّ مولودٍ يُولد للإمام العسكري ﷺ ، فكان إن أتمّ اللهُ أمر المهدي ﷺ كما أتمّ أمرَ أمّ موسى في ولادة موسى ﷺ وحفظه ..

بل في طائفة من النصوص أنّ الإمام العسكري أطلع بعضاً من أصحابه بعد وقتٍ قصيرٍ جداً من ولادته ﷺ وعرضه عليهم في اليوم الثالث من ولادته . ففي رواية أبي غانم الخادم قال : وُلِدَ لأبي محمد ﷺ

---

[1] الهداية الكبرى : صـ ٦٨ –

ولد فسمّاهُ محمداً ، فعرضه على أصحابه يوم الثالث ، وقال : [هذا صاحبكم مِن بعدي ، وخليفتي عليكم ، وهو القائم الذي تمتدُّ إليه الاعناق بالانتظار ، فإذا امتلأت الارضُ جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً][1] .

وفي رواية عمرو الاهوازي قال : أراني أبو محمد ابنه وقال : [هذا صاحبكم من بعدي][2] .. وقال : [روى الفضل بن شاذان في كتاب إثبات الرجعة قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري قال :

لمّا همّ الوالي « عمرو بن عوف » بقتلي غلب عليَّ خوفٌ عظيم ، فودّعت أهلي ، وتوجّهتُ إلى دار أبي محمد ﷺ لأودّعَهُ ، وكنت أردتُ الهرب ، فلما دخلتُ عليه رأيتُ غلاماً جالساً في جنبه ، وكان وجهه مضيئاً كالقمر ليلة البدر ، فتحيَّرتُ مِن نوره وضيائه ، وكاد يُنسيني ما كنتُ فيه .

فقال (الغلام) : [يا إبراهيم ، لا تهرب ، فإنَّ اللهَ سيكفيكَ شرَّهُ . فازداد تحيري ، فقلتُ لأبي محمدٍ ﷺ : يا سيِّدي ، يا ابن رسول الله صلَّى الله عليه وآله ، مَن هذا ؟ وقد أخبرني بما كان في ضميري .! قال ﷺ : هو ابني وخليفتي مِن بعدي .. وفي آخره يقول : أنه لما خرج أخبره عمُّهُ بأنَّ المعتمد قد أرسل أخاه وأمره بقتل عمرو بن عوف][3] ..! وأضاف في كشف الحق عن الفضل بن شاذان .. وفيه قال ﷺ لإبراهيم : [.. وهو (أي المهدي ﷺ) الذي يغيب غيبةً طويلة ، ويظهر بعد امتلاء الارض جوراً

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٢١ ب ٤٢ حـ ٨ –

[2] الكافي : ج ١ صـ ٣٢٨ حـ ٢ –

[3] إثبات الرجعة ، الفضل بن شاذان : على ما في إثبات الهداة . * : إثبات الهداة : ج ٣ صـ ٧٠٠ ب ٣٣ ف ٧ حـ ١٣٦ –

وظلماً ، فيملؤها عدلاً وقسطاً . فسألته عن اسمه ؟ قال ﷺ : هو سميُّ رسول الله ﷺ ، ولا يحلُّ لأحد أن يسمّيه باسمه أو يكنيه بكنيته ، إلى أن يظهر اللهُ دولته وسلطنته . فاكتم يا إبراهيم ما رأيت وسمعت منّا اليوم إلا عن أهله .

يقول : فصلّيت عليهما وآبائهما وخرجتُ مستظهراً بفضل الله تعالى ، واثقاً بما سمعتُهُ من الصاحب ﷺ ، فبشّرني علي بن فارس بأنّ المعتمد قد أرسل أبا أحمد أخاهُ وأمره بقتل عمرو ، فأخذه أبو أحمد في ذلك اليوم وقطعه عضواً عضواً ، والحمد لله رب العالمين [1] .

ما يعني تسارع الأحداث والرُؤى ، وترابط بيان الإمام العسكري وتوسيع دائرة من يرى ويشاهد ويعلم بولادة مولانا المهدي ﷺ . بل في بعضها كان الإمام العسكري ﷺ يأذن لبعض أصحابه في وقت يكون المهدي ﷺ بين يديه ، بإشارة منه لتعريفهم على ولده المهدي ﷺ بشكل عياني محسوس ، أي يشاهدوهُ عن قرب . ثم يخبرهم ﷺ بما يؤول إليه أمر هذا الإمام العظيم . هذا بالإضافة إلى ما يعجُّ فيها من إعجاز وإخبار وإظهار لعظمة مقام الإمامة بإذن الله تعالى ..

وفي مقطوعات أخرى ، الإمام العسكري ﷺ يجيب سائله أنّ المهدي حيٌّ موجود ، مولود ، قد حقّق اللهُ به أمره ، وانّه يحيطه تعالى من شرّ الظالمين .. ففي رواية أبي سعيد المراغي قال : حدثنا أحمد بن إسحاق : [أنه سأل أبا محمد ﷺ عن صاحب هذا الامر (أي عن المهدي ﷺ) ،

---

[1] : ص ٤٤ -

فأشار بيده ، أي أنه حيٌّ غليظ الرقبة][1] .. يعني انّه آمِنٌ ، حيٌّ ، محفوظٌ بأمر الله تعالى . ومعلوم أنّ الإخبار بالمهدي مشهورة متواترة منذ زمن النبي والأئمة ﷺ ، وهو حديث المقامات والمجالس والسرّ والعلن والقطع واليقين في كل طبقات الإسلام ..

وزمن الإمام العسكري بدأت تظهر العلامات ، والبشارات القريبة ، ومعها كان الإمام العسكري يخبر الخواص بقرب ولادة المهدي الموعود بإذن الله تعالى . ففي حديث علان الرازي قال : أخبرني بعض أصحابنا أنه لما حملت جارية أبي محمد ﷺ قال ﷺ : [ستحملين ذكراً ، واسمه محمد . وهو القائم من بعدي][2] .

وكانت البشارة في ولادة المهدي ﷺ قد تكاثر شياعُها على لسان الأصحاب للإمام ﷺ زمن العسكري ﷺ . فكان الرجل يسألُ الإمام ﷺ : عن المهدي ، عن القائم بعده ، وهم يرون أنّ الوضع حسّاس والعباسيين يصرُّون على قتل أي ولدٍ يولد للإمام العسكري ﷺ .. ما يعني انّ الظرف والأوضاع والخناق كان مشدوداً من قبل العباسيين على الإمام العسكري ﷺ الذي عانى جداً من عيون وفعل العباسيين ، إلا انّ الله يأبى إلّا أن يُتمّ نوره .

ولقد كان الإمام العسكري ﷺ يؤكّد لأصحابه أنّه لا بدّ أن يُولد المهدي ﷺ ، وهو الإمام الثاني عشر الذي أخبر به النبيُّ ﷺ . وفي رواية محمد بن عبد الجبار قال : قلت لسيدي الحسن بن علي ﷺ : يا ابن رسول

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ١٤١ –

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٠٨ ب ٣٨ حـ ٤ –

الله ، جعلني الله فداك : أُحب أن أعلم مَن الامام وحجّة الله على عباده مِن بعدك ؟ فقال ﷺ :

[إنّ الامام وحجة الله مِن بعدي ابني ، سميُّ رسول الله ﷺ ، الذي هو خاتم حجج الله ، وآخر خلفائه ، قال : ممَّن هو يا بن رسول الله ؟ قال ﷺ : من ابنة ابن قيصر ملك الروم ، ألَا إنّه سيُولَد ويغيبُ عن الناس غيبةً طويلة ثم يظهر [1] .. أيضاً عن إثبات الرجعة ، وفيه .. [: . . ويقتُلُ الدجّالَ ، فيملأ الارضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئَت جوراً وظلماً ، فلا يحل لأحد أن يُسمّيه أو يُكنّيه قبل خروجه صلوات الله عليه][2] .

ففي هذا النص تأكيد على حتميّة ولادة المهدي ﷺ ونص على أمّه ، وعلى بعض الظروف ، ثم يشير إلى بعض الصفات التي منها الغيبة التي تطول ، والفساد الذي يطال الأرض بأممها ضمن عناوين متنوّعة متفاوتة ، والجور الذي يُحكِمُ سيطرته بشكلٍ واسع ، ثم يكون ظهور الإمام المهدي ﷺ الذي يقتل الدجّال ، إشارة إلى واحدٍ من رموز تلك الجبهات التي تكون زمن المهدي ﷺ ، أي إلى رمزٍ معروفٍ في التراث والنصوص انّه يكون آخر الزمان ويكون من رجالات ورموز أهل الباطل البارزين ، ومع تطهير الأرض من الظالمين يعلن الإمام المهدي دولة القرآن التي تنشر القيم الوجوديّة والمفاهيم الرساليّة وتعمل بالقرآن ونصوص العترة ﷺ في كلّ أرجاء الأرض .. وبهذا يمنُّ اللهُ على الذين استُضعفوا فيجعلهم الأئمة

---

[1] إثبات الرجعة : الفضل بن شاذان : على ما في إثبات الهداة ، وأربعين الخاتون آبادي . * : إثبات الهداة : ج ٣ ص ٥٦٩ ب ٣٢ ف ٤٤ ح ٦٨٠ –

[2] إثبات الرجعة : الفضل بن شاذان : على ما في إثبات الهداة . وأربعين الخاتون آبادي . * : إثبات الهداة : ج ٣ ص ٥٦٩ ب ٣٢ ف ٤٤ ح ٦٨٠ –

ويجعلهم الوارثين . بل نقرأ في بعض المتون إعلان الإمام العسكري ﷺ عن ولادة الإمام المهدي ﷺ بشكلٍ عظيمٍ خاص ، وبعباراتٍ تدلُّ على مقدار العظمة وتجلِّياتها . ففي رواية محمد بن حمزة بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قال : سمعت أبا محمد ﷺ يقول :

[وُلِدَ وليُّ اللهِ وحجَّتُهُ على عبادِهِ وخليفتي مِن بعدي ، مختوناً ، ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين عند طلوع الفجر . وكان أول من غسله رضوان خازن الجنان مع جمعٍ مِن الملائكة المُقرَّبين بماء الكوثر والسلسبيل . ثم غسلته عمَّتي حكيمة بنت محمد بن علي الرضا ﷺ] . قال : (أي محمد بن حمزة ظاهراً) : أمُّهُ مليكة التي يُقال لها بعض الايام : سوسن ، وفي بعضها ريحانة ، وكان صقيل وترجس أيضاً من أسمائها][1] .. ويظهر من النصوص انَّ الله تعالى أحاط المهدي ﷺ بمجموع مزايا هائلة تشيرُ إلى عظمة مقام الإمامة وما يعنيه .

ومع ولادتِهِ كان الإمام العسكري ﷺ يعرضُه على بعضٍ من الرواة والرُّسل إلى اصحابِهِ ليخبروهم بما منَّ اللهُ على البشريَّة من النعمة الكبرى في ولادة الإمام المهدي ﷺ المُعدُّ لإقامة العدل الكوني . ففي رواية محمد بن الحسن الكرخي قال : سمعت أبا هارون رجلاً مِن أصحابنا يقول : رأيتُ صاحب الزمان ﷺ ووجهُهُ يُضيء كأنه القمر ليلة البدر ، ورأيتُ على سرته شعراً يجري كالخط ، وكشفتُ الثوب عنه فوجدته مختوناً ، فسألت أبا محمد ﷺ عن ذلك فقال : [هكذا وُلِدَ ، وهكذا وُلِدنَا ، ولكنَّا سينمو

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في كشف الحق . * : كشف الحق (أربعون الخاتون آبادي) : ص ٢٣ ح ٢ –

الموسى عليه لإصابة السنة [1] . ففي هذا المتن شهادة إضافيّة ممتازة على الكثرة الفعليّة التي عرض فيها الإمام العسكري ولده المهدي ﷺ على الأصحاب أو ذكر ولادته أمامهم ، أبو بعث بالرُسُل إلى الأصحاب والخواص في النواحي المختلفة من بقاع العالم الإسلامي .

وفي إظهار خريطة نقل وبيان خبر ولادة الإمام المهدي يمكننا القول بأنّ الإمام العسكري ﷺ أخبر الكثيرَ الكثير من أصحابه وأتباعه . والنصوص صريحة جداً في هذا المجال ، والأصحاب والأتباع بدورهم نقلوا ولادة الإمام إلى غيرهم ، وقسم كبير منهم عاينَ الإمام المهدي ﷺ ورآهُ واستمع منه إلى بالغ القول وعظيم الأثر . بل كان الإمام العسكري في بعض الحالات يعرض على العشرات في مجلس واحد ولادةَ المهديّ ﷺ ويؤكّد عليهم أنّه المهدي الذي أخبر به النبي والأئمّة ، المعدُّ لإقامة دولة العدل ونشر دولة القرآن في كافّة أقطار الأرض وما يكون فيه أثر لسكنى أو نفوذ الإنسان .

وقد تنوّعت النماذج التي أخبر بها الإمام العسكري أصحابه والأتباع بولادة الإمام المهدي ﷺ . وقد عرضنا لمجموعة راقية من الأساليب والأنماط التي إمّا أخبر بها الإمام أصحابه بالولادة أو عرض المهدي ﷺ عليهم . وفي الحقيقة الأنماط التي اتّبعها الإمام العسكري كثيرة ، منها ، روى محمد بن إبراهيم الكوفي أنّ أبا محمد ﷺ بعث إليّ بعض مَن سمّاهُ لي بشاة مذبوحة وقال : [هذه عقيقة ابني محمد (أي المهدي)][2] . تأكيداً منه ﷺ على نشر خبر ولادة المهدي ﷺ وتحقُّق أمر الله فيه ، في ظلّ

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٣٤ ب ٤٣ ح ١ -

[2] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٣٢ ب ٤٢ ح ١٠ -

دعاية واسعة من العباسيين وأنصارهم تعمل على إبطال أمر الإمامة بما يمكنهم من وسائل ، منها ، عزل الإمام ﷺ عن الناس ، ومراقبة من يزوره ، وتدبير الدعايات والإشاعات ، ونصرة طائفة من فقهاء السلاطين لمنع الناس عن الإمام وشبه ذلك ، وقد حدّث التاريخُ بفشلِ ذريعٍ أصاب هذه الخطط وغيرها ، ومن تلك الخطط محاولة قتل الإمام العسكري قبل ولادة الإمام المهدي ، وقد مرَّ عليك كيف باءت بالفشل ، وأبى اللهُ إلَّا أن يتمَّ نوره ، إلى أن تحقَّق المحتومُ الذي لا بدَّ منه في ولادة الإمام المهدي ﷺ .. فكان أن وسَّع الإمام العسكري من خبر ولادته ﷺ ، بأنماط وأساليب ونماذج شديدة التنوّع والنفوذ والعظمة .. ويبدو من بعض النصوص تركيز ساتر أو ظاهر محدَّد ، حيطةً من فعل العباسيين وعيونهم . هذا ما تشير إليه بعض المتون التي تُؤكّد طابع الخطورة والحيطة الضرورية ، وتشير بنفس الوقت إلى التدابير الواسعة الجائرة التي كان بنو العباس يتبعونها بالإمام ﷺ ضمن ظروف وأوقات مختلفة .

ففي رواية البشار بن إبراهيم بن إدريس صاحب ثقة أبي محمد ﷺ قال : وجَّهَ إليَّ مولاي أبو محمد كبشين وقال : [اعقرهما عن أبي الحسن ، وكُلْ وأطعِم إخوانك ، ففعلتُ ثم لقيتُهُ بعد ذلك فقال : المولودُ الذي وُلِدَ لي هات ، ثم وجَّهَ لي بأربع أكبشة وكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحمن ، اعقر هذه الاربعة أكبشة عن مولاك ، وكُل هنّأكَ اللهُ ، ففعلتُ ولقيتُهُ بعد ذلك ، فقال لي : إنما ستَرَ اللهُ بابني الحسين (وموسى) لولادة محمّد ، مهدي هذه الامة والفرج الاعظم][1] .

---

[1] الهداية الكبرى : صد ٣٥٨ – وفي لفظ آخر مختصر عن إبراهيم بن إدريس قال : وجّه إليّ مولاي أبو محمد بكبشين وقال . [عقهما عن ابني فلان وكُلْ وأطعم إخوانك ، ففعلت ثم لقيتُهُ بعد ذلك فقال : إنّ

بحيث يستفاد من هذا التعبير انّ الله تعالى ستر ولادة المهدي ﷺ بولادة مولود قبله كان اسمه الحسين ، حيث مات وبلغ خبرُهُ السلطان العباسي فاطمأن أنه لم يبقَ ولدٌ حي للإمام الحسن العسكري ﷺ ، في حين أمرُ الله تعالى لا بدّ من تحقُّقه ، أي لا بدّ من ولادة الإمام المهدي ﷺ وهذا ما حصل ..

المهم في النص الإشارة إلى انّ الإمام يبعث إلى واحد من الصحابة أن يذبح كبشين أو أربعة ، ثم لا يخبره عبر الرسول بسبب ذلك ، إلى أن يراه فيخبرهُ بسبب ذلك ، وهو ولادة طفل أوّلاً توفّاهُ الله ، ثم ولادة المهدي ﷺ إمام أهل الأرض . ما يعني الحيطة الشديدة من الإمام ﷺ بسبب الظروف التي كان يعيشها وسط عيون العباسيين وتغلغل جواسيسهم وسعيهم لجمع المعلومات عن نسل الحسن العسكري ﷺ .

نعم يُستفاد من طائفةٍ أخرى وردت في متون النصوص بعض الإنفراجات التي كانت تسمح للإمام ﷺ بنشر الخبر أمام العشرات ، بل إظهار المهدي مباشرةً أمم جمعٍ من الأصحاب وشبه ذلك .. ومعلوم انّ التاريخ السياسي العباسي في هذه الفترة وقبلها كان يعيش مرحلةً من الإضطراب سواء في مركز القرار أو على مستوى البنية العسكريّة التي تغلغل فيها الترك وغيرهم ، وسط خلاف بين العناصر العربيّة والفارسيّة والتركيّة وشبه ذلك ، وترهُّل واضح في مركز القرار العباسي ، ما يسمح بفترة راحة للإمام العسكري ﷺ كان يستغلّها في نشر السنّة فضلاً عن

المولود الذي ولد مات ، ثم وجّهَ إليّ بكبشين بعد ذلك وكتب إليّ : بسم الله الرحمن الرحيم ، عقّ هذين الكبشين عن مولاك وكل هنّأك الله وأطعم إخوانك ، ففعلت ولفيته بعد ذلك ، فما ذكر لي شيئاً] [إثبات الوصية : صد ٢٢١] .

نشر خبر ولادة المهدي وعرضه أمام جمعٍ من الأصحاب بأوقاتٍ مختلفة إعلاناً منه ﷺ عن بدء مرحلة شديدة الدلالة على معالم رحلة البشر في كون هذا الإنسان ..

وقد تعدَّد تمودَعُ بعثِ الإمام ﷺ إلى خصوصِ أصحابِه وبعض أتباعه بأمرهم بعقيقة أو توزيع الخبز والأطعمة وشبه ذلك تيمُّناً بولادة المهدي ﷺ ، وقد بعث الإمام ﷺ إلى بقاع ومناطق مختلفة ، وإلى أصحاب كُثُر من مناطق شتَّى ، ففي رواية أبي جعفر العمري قال : لمَّا ولِدَ السيِّدُ (المهدي ﷺ) قال أبو محمد ﷺ : [إبعثوا إلى أبي عمرو . فبعث إليه فصار إليه ، فقال له : اشتر عشرة آلاف رطل خبز وعشرة آلاف رطل لحم وفرِّقهُ – أحسبه قال على بني هاشم – وعقَّ عنه بكذا وكذا شاة][1] ..

وفي النصوص شهادةٌ ببعضها على انّ هنالك من أخبرهُ الإمام العسكري ﷺ ساعةَ ولادة المهدي ، أو بعد يومٍ أو يومين وشبه ذلك ، أي في مدَّة قصيرة جداً ، ومنهم من أخبرهُ قبل ولادة المهدي ﷺ ، ومنهم أخبرهُ بعد ولادة المهدي بسنة أو سنتين أو أكثر ، وقد مرَّ عليك نماذج متعدِّدة في هذا المجال ، وفي رواية محمد بن علي بن بلال قال :

[خرج إليَّ من أبي محمد ﷺ قبل مُضيِّه بسنتين ، يُخبرني بالخلَف ﷺ من بعده ، ثم خرج إليَّ من قبل مضيِّه بثلاثة أيَّام يُخبرني بالخلف من بعده][2] . وفي لفظٍ آخر عن أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل الكندي قال : قال لي أبو طاهر البلالي : التوقيع الذي خرج إليَّ من أبي

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٣٠ ب ٤٢ ح ٦ ..

[2] الكافي : ج ١ صـ ٣٢٨ ح ١ – كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٩٩ ب ٤٥ ح ٢٤ ..

محمد ﷺ فعلقوه في الخلف بعده وديعة في بيتك ، فقلت له : أحب أن تنسخ لي من لفظ التوقيع ما فيه ، فأخبر أبا طاهر بمقالتي فقال له : جئني به حتى يسقط الاسناد بيني وبينه ، فخرج إليّ من أبي محمّد ﷺ قبل مضيّه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده ، ثم خرج إليّ بعد مضيّه بثلاثة أيام يُخبرني بذلك ، فلعن اللهُ مَن جحد أولياءَ الله حقوقَهُم ، وحمل الناس على أكتافهم ، والحمد لله كثيراً][1] .

هذا تأكيد على نمط محدّد من المعصوم ﷺ مع فئة من الناس ، أخبرهم بولادة المهدي ﷺ ضمن مدّة محدّدة بعد ولادة المهدي ﷺ ، إمّا بسبب الظروف أو لأهداف محدّدة منعت إشاعة الخبر عندهم بسرعة ، خاصّة انّ العباسيين وجدوا أنفسهم فجأةً أمام ما يؤكّد أنّ الإمام العسكري ﷺ قد وُلد له ولد ، وسعوا طويلاً للقبض عليه فلم يستطيعوا . وقد مرّ عليك ما أشار فيه الإمام العسكري ﷺ انّه استودعه الله كما فعلت أمُّ موسى ﷺ ، أي أنّ الظرف كان قاسياً على الإمام العسكري ، وكان العباسيُّون يطلبون المهديّ ﷺ بأنماط ونماذج مختلفة ، وقد دسّوا العيون والجواسيس لتجميع المعلومات حول ولادة أي ولَد للعسكري ﷺ .

وبكلمة : كانت إرادة اللهُ تعالى تحفظ المهديّ ﷺ بشكلٍ لا جدال فيه . نعم كانت هناك فترات ساعدت على نشر خبر المهدي بشكلٍ أوسع وطمأنينة أكبر ، حتى شاع خبرُ ولادة المهدي في المناطق القريبة والبعيدة ، في ظلّ أزمات تجتاح العرش العباسي وخلافات في نفس البيت العباسي والهرم الإداري والقضايا المختلفة التي كانت تتناوب على العرش العباسي

---

[1] ن . م .

والسيطرة على الحكم والجند وخلافات القادة وشبه ذلك .. بل في طوائف من النصوص كان الإمام العسكري عليه السلام واضحاً في بيان وإشاعة ولادة الإمام المهدي عليه السلام ، كان يُجيب السائل بأنّ المهدي عليه السلام وُلد ، وانّ له غيبةً يحارُ بها بعضُ الناس ، وتشكّل عنصرَ اختبار لفئات متنوّعة من الناس إلى أن يأذن اللهُ له بالظهور . فإذا ظهر أبطل حكم الظالمين وأقام الحقّ في كافّة ارجاء دنيا الإنسان .

ففي رواية أبي علي بن همام قال : سمعتُ محمد بن عثمان العمري قدّس الله روحه يقول : سمعت أبي يقول : سئل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي رُوِي عن آبائه عليهم السلام : إنّ الارض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلى يوم القيامة ، وأنّ مَن مات ولم يعرف إمام زمانه ماتَ ميتةً جاهلية ؟ فقال عليه السلام - :

[إنّ هذا حقٌّ كما أنّ النهار حق . فقيل له : يا ابن رسول الله ، فمَن الحجّة والامام بعدك ؟ فقال عليه السلام : ابني محمّد هو الامام والحجة بعدي ، مَن مات ولم يعرفه ماتَ ميتةً جاهلية . أما إنّ له غيبةً يحارُ فيها الجاهلون ، ويهلك فيها المُبطِلُون ، ويكذب فيها الوقّاتُون . ثم يخرجُ فكأنّي أنظر إلى الاعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة][1] .

في ذيل النص إشارة حيويّة إلى مرحلة شديدة التألّق من زحف المهدي عليه السلام وانتصار جبهته التي تخرج من الحجاز وتطوي الجغرافيا حتى تصل إلى الكوفة التي تعتبر زمن الظهور عاصمةً الإمام المهدي عليه السلام التي يدير منها دولة الإسلام التي تحكم جميع أرجاء الأرض ..

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٠٩ ب ٣٨ ح ٩ -

في ذيل النص بيان يستجمع عنوانين : يشير إلى مرحلة الإنتصارات الباهرة التي يحقّقها المهدي ﷺ حتى يصل إلى نجف الكوفة . كما يشير إلى مركز عاصمة الإمام المهدي ﷺ التي يدير منها مرافق دولته التي تحكم كل بقاء الأرض . ثم يؤكّد الإمام العسكري في العديد من النصوص أنّ أمر المهديّ كأمر النبيّ والإمام ﷺ ، لا بدّ من الإعتقاد به والإلتزام بسلطانه ومواثيقه .

ففي رواية موسى بن جعفر بن وهب البغدادي قال : سمعت أبا محمد ، الحسن بن علي ﷺ يقول : [كأنّي بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف منّي ، أما إنّ المُقرّ بالائمة ﷺ بعد رسول الله ﷺ المُنكر لولدي كمَن أقرّ بجميع أنبياء الله ورُسُله ثم أنكر نبوّة رسول الله ﷺ ، والمنكر لرسول الله ﷺ كمَن أنكر جميع الانبياء ، لأنّ طاعة آخرنا كطاعة أوّلنا ، والمُنكر لآخرنا كالمُنكر لأوّلنا . أما إنّ لوَلدي غيبةً يرتابُ فيها الناسُ إلا مَن عصمَهُ الله عزوجل][1] .

هذا تأكيد شديد الإصرار على انّ أمر المهدي هو أمرُ رسولِ الله والأئمّة بعد النبي ﷺ ، وانّ الخطورة البالغة في إنكار أمرِه ، فمن أنكرهُ كمَن أنكر نبوّةَ النبي محمّد والأئمّة ﷺ .. ومعلوم انّ موضوع المهديّ بلغ تواتراً كاملاً عن النبيّ ﷺ وآله أيضاً ﷺ .

وعلى كلّ حال : المسلمون وعلماءُهم متّفقون جميعاً على أمر المهدي ﷺ ، وانّه من وُلدِ رسول الله ، مِن عليٍّ وفاطمة ﷺ ، وانّه يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٠٩ ب ٣٨ ح ٨ –

وتشير بعض النصوص إلى خلطٍ يصيب بعض الشيعة بسبب الدعاية العباسيّة والحرب الدعائيّة العنيفة التي تقودها دولة بني العباس وأنصارهم في أمر المهدي ، منهم مَن يقول : ليس للعسكري ولد . ومنهم من يقول لم نُخبَر بولد وشبه ذلك بهدف طمس معالم الإمامة . ففي رواية أبي غانم قال : سمعت أبا محمد الحسن بن علي ﷺ يقول : [في سنة مائتين وستين تفترق شيعتي][1] . إشارة إلى ذلك الخلط الذي يُصيب بعض النّاس ، نعم تبدّد مستوى الخلط والغوغاء بسبب شهرة خبر المهدي ﷺ رغم الدعاية الكبيرة التي قادتها حكومةُ بني العباس وأتباعهم بهدف إجهاض موضوع ولادة المهدي ﷺ .

وظهر إعجاز الإمامة بنحوٍ من الأنحاء اللافتة زمن وفاة الإمام العسكري والصلاة عليه ، حيث ظهر المهديُّ ﷺ بين الناس كافّة ، فشدّ إزار عمّه جعفر ، وتقدّم للصلاة على أبيه ﷺ ، قائلاً : أنا أولى منك يا عمّ بالصلاة على أبي . ممّا أذهل العباسيين وأدخلهم في غوغاء واضطراب هائل أدّى إلى عقاب قاسٍ لعيونهم وجواسيسهم الذين لم يستطيعوا أن يحقّقوا ايّ نجاحٍ في القبض على المهديّ أو تجميع معلومات حاسمة عنه وعن موقع وجوده .

ومعلوم انّ أمر المهديّ تحيطُه إرادةُ الله تعالى ، ويأبى اللهُ إلا أن يُتمّ نورَهُ ولو كره المشركون ولو كره الكافرون . ثمّ يؤكّد ﷺ أنّ المهدي له غيبة ، يطول أمدها ، ويكثر منكروها ، وفيها يتنامى حكم الفساد وأهل الطاغوت والجبروت ، فإذا أذن اللهُ له وتمّت الشروط والمواصفات التي

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٠٨ ب ٣٨ ح ٦ .

حدّدها اللهُ بالمقادير ظهر فأقام العدل الكوني وسار بالناس في ظلّ حكومة العترة والقرآن ..

ففي رواية الحسن بن محمد بن صالح البزاز قال : سمعت الحسن بن علي العسكري ﷺ يقول : [إنّ ابني هو القائم من بعدي . وهو الذي يجري فيه سُنَنُ الانبياء بالتعمير ، والغيبة ، حتى تقسو القلوب لطول الامد ، فلا يثبت على القول به إلا من كتب اللهُ عزوجل في قلبه الايمان وأيده بروح منه][1] .

ففي ذلك الزمن تتكاثر المفاسد والقيم الضالّة ، وتبرز أممٌ منقادة في مجتمعاتها على نحوٍ معاند للدِّين وعواثيق الشريعة ومبادئ الحكم الكوني الوجودي . ويقود جبابرةٌ طغاة العالَم السياسيّ الإقتصاديّ الأخلاقيّ على نحوٍ مُتهوِّرٍ منحرف بشدّة . بحيث يطال الفسادُ والظلمُ الطاغي العالمَ بشكلٍ متفاوتٍ لكن بنحوٍ فظيع يشكل سمة رئيسيّة في عالم الغيبة .. وهكذا شكّلت ولادةُ المهديّ ﷺ العنوانَ الأبرز لحوادث المستقبل وما يكون عليه العالَمُ الجديد .

في حين كان الإمام العسكري ﷺ شديدَ الإصرار على نشر خبر ولادة المهدي ﷺ على نِطاقٍ مختلفة من الأرض لدى أتباعِه والخُلَّص من أصحابِه . فكان يكتب لهم ويبشّرهم ويوصيهم بأمر المهدي ﷺ ، وأنّه الإمام الواجب الطاعة ، بل الإمام الذي تتحقّق على يده كونيّة الدولة الإسلامية ، دولة القرآن والعترة . وكان ﷺ يأمر شيعتَهُ بانتظار الفرج ، وانّ انتظار الفرج من أعظم العبادة ، والإنتظار يعني الإلتزام بالقرآن

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٥٢٤ ب ٤٦ ح ٤ .

والعترة ، الإلتزام بالإسلام ، والعمل على توطئة الأمر وتهيئة الإمكانات لحكم العترة والقرآن عبر فقهاء الغيبة في كلّ زمانٍ ومكان لإقامة حكم الإسلام ما أمكن .

ومما كتب الإمام العسكري عليه السلام إلى أبي الحسن ، علي بن الحسين بن بابويه القمي : [اعتصمت بحبل الله ، بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والجنّة للموحّدين ، والنّار للملحدين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، ولا إله إلا الله أحسن الخالقين ، والصلاة على خير خلقه محمّد وعترته الطاهرين .. منها : عليك بالصبر وانتظار الفرج ، قال النبيُّ صلى الله عليه وآله : أفضل أعمال أمّتي انتظارُ الفرج . ولا يزال شيعتنا في حزنٍ حتى يظهر ولَدي الذي بشّرَ به النبيُّ صلى الله عليه وآله ، يملأ الارضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئَت جوراً وظلماً . فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي ، وأمُر جميع شيعتي بالصبر ، فإنّ الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته ، وصلّى اللهُ على محمّد وآله][1] .

وفي الإحتجاج وغيره .. قال : [.. أما بعد ، أُوصيك يا شيخي ومعتمدي وفقيهي يا أبا الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي وفقّكَ اللهُ لمرضاته وجعل من ولدك أولاداً صالحين برحمته ، بتقوى الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، فإنه لا تقبل الصلاة من مانعي الزكاة ، وأوصيك بمغفرة الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، ومواساة الاخوان ، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر ، والحلم عند الجهل ، والتفقُّه في الدّين ،

---

[1] مناقب ابن شهر اشوب : ج ٤ ص ٤٢٥ ..

والتثبُّت في الامور ، والتعهُّد للقرآن ، وحُسن الخُلق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال الله عزوجل : ﴿ لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ، واجتناب الفواحش كلها ، وعليك بصلاة الليل ، فإنّ النبيّ ﷺ أوصى عليّاً عليه السلام فقال : يا علي عليك بصلاة الليل ، عليك بصلاة الليل ، عليك بصلاة الليل . ومَن استخفّ بصلاة الليل فليس منّا . فاعمل بوصيتي ، وأمُر جميع شيعتي بما أمرتُك به حتى يعملوا عليه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير][1] .

فهذا من الشهادات القيّمة التي تؤكّد الأنماط العديدة التي بلّغ بها الإمام العسكري ولادةَ المهديّ عليه السلام قبل ولادته وبعد ولادته بمُدد مختلفة ، بل على الأثر كان يبعث إلى الأصحاب والأتباع بإقامة مراسم وطقوس محدّدة ببشرى ولادة المهدي عليه السلام .. وأصبح واضحاً انّ رؤية الكثيرين للمهديّ عليه السلام كانت على نحوٍ متتابع وضمن ظروف وأُطر محددة . منذ الأيّام الأولى لولادته ، ولكن على نحوٍ نسبي وشديد الحذر . بل في رواية الحسين بن حمدان قدس الله روحه ، عن غيلان الكلابي قال : حدثتني نسيم ، خادمة أبي محمد عليه السلام ، قالت : قال صاحب الزمان المهدي عليه السلام – وقد دخلت عليه بعد مولده بثلاثة أيام فعطست عنده – فقال لي : يرحمك الله . قالت نسيم : ففرحتُ بكلامه بطفولية ودعائه لي بالرحمة . فقال لي : ألَا أبشّرك في العطاس ؟ قلت : بلي يا مولاي ، قال : هو أمان من الموت بثلاثة (لثلاثة) أيام][2]..

---

[1] البحار : ج ٥٠ صـ ٣١٧ ب ٤ – ذيل الحديث ١٤ – عن المناقب . منتخب الاثر : صـ ٢٣١ ف ٢ ب ٢١ حـ ٢ – عن مستدرك الوسائل ..

[2] الهداية الكبرى : صـ ٨٦ – ٨٧ –

ومَن يقرأ طوائف النصوص في هذا المجال يجد الهمّة والطريقة الرفيعة جداً التي استطاع من خلالها الإمام العسكري أن يكسر قلم البلاط والمرتزقة العباسيين الذين حاولوا بطريقة وأخرى أن يُوهموا النّاس انّ الإمام العسكري بلا ولد .. وحين باءوا بالفشل وعلموا حقيقة المهدي ﷺ اعتمدوا على وسائل تنكيل وضغط عنيفة ، لكنّ المهدي ﷺ كان دوماً بحفظ الله ورعايته كما ورد عليك وكما يرد أيضاً من طوائف النصوص ذات العمق التاريخي والدلالة البالغة على حقيقة ما جرى في ذلك الزمان .

فقد علم العبّاسيُّون أنّهم بُغتُوا في أمر المهدي ﷺ ، وانّه وُلد حتماً ، وانّ أمره شاع وذاع ، فاعتمدوا وسائل كثيفة للنيل من المهديّ ﷺ ففشلوا . وقد أعلنوا ذلك مراراً ، وفي شهادات التاريخ العام والخاص تأكيدٌ على عجز العباسيين ويأسهم من المهديّ الذي حقّق اللهُ ولادتَهُ كما حقّق غيبته المباركة .. جعلنا اللهُ من انصاره وأعوانه والذابّين عنه والمستشهدين بين يديه ..

مقام العلماء في غيبته ﷺ

من مجموع النصوص الواردة بحقّ العلماء زمن الغيبة يتبيّن الدورُ الكبير الذي أولاهُ الإسلامُ وأهلُ البيت ﷺ للعلماء ، الذين عليهم أن يحملوا الإسلام ويدعوا إلى تطبيقه وتنفيذه ويُهيئوا ما أمكن ليتشكّل وجه الإجتماع السياسي المعرفي العام . وبهذا دورهم يشكّل واحداً من معاني الحجّة التي لا بدّ منها ، والتي تُعلن قيمومة الشريعة بما تعنيه من قرآن ونصوص صادرة عن المعصوم ﷺ . وفي المرسل عن علي بن محمد ﷺ قال :

[لولا مَن يبقى بعد غيبةِ قائمكم عليه الصلاة والسلام من العلماء الداعينَ إليه ، والدالّين عليه ، والذّابين عن دينِهِ بحُجَجِ الله ، والمنقذين لضعفاء عبادِ الله من شباك إبليس ومردته ، ومن فخاخ النواصب ، لما بقي أحدٌ إلا ارتدَّ عن دين الله . ولكنهم (أي العلماء) الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحبُ السفينة سكانها ، أولئك هم الافضلون عند الله عزوجل][1] ..

وكذا ورد في نصوصٍ كثيرة التأكيد على انّ دور العلماء دورٌ عظيم في دائرتي : بيان الحكم وقيادة الجماعة والإجتماع . كما لهم مقام الإحتجاج

---

[1] التفسير المنسوب إلى الامام العسكري ' ص ٣٤٤ ح ٢٢٥ –

ليس على الشيعة أو المسلمين ، بل على العالم أجمعين لما يملكون من قدرات احتجاج تناسب الأمم والملل وأشباهها . وقد أشرنا إلى طائفة من النصوص ونشير فيما بعد إلى طائفة أخرى إن شاء الله تعالى .

ولكن لا بدَّ هنا من التأكيد على دور « الولي الفقيه » ، الذي يشكّل القطب الأعظم في زمن الغيبة ، وهو المصداق الرئيسي الذي يجب أن يحتلّ رأس الهرم في قيادة الجماعة والإجتماع ، فهو يملك بذلك وظيفة استنباط الحكم الشرعي ، كما يملك « الولاية السياسيّة » التي تعتبر من أهم وظائف الفقيه زمن الغيبة لأسباب كثيرة منها : أنّه العنصر الأهم على الإطلاق في معرفة الأحكام وفي توصيف وتصنيف الموضوعات الطارئة والصيَغ الجديدة التي لا بدَّ أن يعرَّف منها الحلال من الحرام ، في شتّى المجالات المدنية والماليّة والتجارية والنقديّة والإجتماعيّة والسياسيّة والبيئيّة وغيرها من أنواع المعاملات المختلفة التي تطرأ في عالم الجماعة والإجتماع وتحتاج إلى توصيف وتصنيف شرعي ، وهذا بطبيعة الحال من اختصاص الفقيه ..

وعليه : لا بدَّ أن يحتلَّ الوليُّ الفقيه الموقعَ الأكبر والأهم في قيادة الإجتماع السياسي ، سواء مارس الحكم بشكلٍ مباشر أو بصورةٍ غير مباشرة – وهي الصيغة الأكثر تداولاً بسبب مسؤوليات الفقيه الكثيرة – ونعني بالصورة غير المباشرة أنّ الفقيه يُشكّل القناة والمصفاة الرئيسيّة في الدولة .

وعليه : يجب أن يكون بين يديه الأدوات الكفيلة بمنع خرق الدستور الإسلامي ومبدأ الشرعيّة العام . وذلك من خلال مؤسسات الرقابة والمحاسبة والصيانة وصلاحية إعطاء الطابع التنفيذي ومنعه . بالإضافة

إلى وسائل التنفيذ والإجبار على احترام قوانين الشريعة . وسواء كان النظام رئاسيّاً أم برلمانيّاً أو مجلسيّاً أو نظاماً مختلطاً لا بدّ أن يحتل الفقيه فيه منصباً يُعطيه سلطةً على كافّة المؤسسات الدستوريّة ، بمقدار يساوي حماية الشريعة التي تشكّل الدستور الأعلى للدولة . مع التأكيد على أنّ الولي الفقيه أيضاً يكون تحت قيمومة الشريعة ، ويعمل ضمن قوانينها ، ويكون لدى القضاء ومؤسسات الرقابة والمحاسبة من القدرة والنفوذ ما يمنع أيّاً كان من خرق الدستور والخروج على الشريعة . وهذا يعني أنّه لا بدّ من صيغة مؤسّسيّة تكفل ضمانة حفظ الشريعة من كلّ إمكان لخرقها .

على انّ دور الولي الفقيه دورٌ رفيع كبير ، له وظيفة ضخمة ، ويرتبط ارتباطاً شديداً ببيان الحكم الشرعي من جهة وحمايته وتطبيقه من جهة أخرى . في شتّى مجالات السلوك ، الفرديّة والجماعيّة والمجتمعيّة المتنوّعة في كافّة القطاعات . الداخليّة والخارجيّة ضمن الإمكانات والمعايير والأوصاف الشرعيّة التي تسمح بذلك[1] .

وبكلمة : ثبت بمطلق الأدلّة أنّ الإسلامَ منظومةٌ واجبة التنفيذ . وانّه لا بدّ من الإلتزام بالإسلام والإلزام للجماعة به . والذي له سلطةُ بيان الحكم ومعرفة المعايير والتصنيف وإعطاء الأوصاف للموضوعات والمعاملات الطارئة وغيرها هو مَن يملك سلطة قيادة المجتمع السياسي وحفظ الشريعة وحماية قوانينها ورعاية تطبيقها ومنع الخروج عليها . كلُّ القرآن والنصوص دليلٌ على هذا .

---

[1] في هذا المجال المهم جدّاً حول دور العلماء وولاية الفقيه وقيادة المجتمع السياسي يمكن مراجعة كتابنا : ولاية الفقيه والنظام الدستوري الإسلامي .

مقام الإمامة بعد النبوّة

نموذج من أحاديث الأئمة الاثني عشر

موضوع « الأئمّة الإثني عشر » من المواضيع المتواترة منذ زمن النبيّ ﷺ والأئمّة ﷺ . بل ألّف الإمام أحمد بن حنبل فيه كتاباً يؤكّد أنّ الأمر مقرون بإثني عشر خليفة . ولا خلاف في هذا الأصل بين كافّة علماء المسلمين . وأنّ هذا الأمر وهذا العدد في قريش ، بل في بني هاشم ، في عليّ وولديه وولد الحسين التسعة ﷺ .. وفي رواية عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال : دخلت على سيدي علي بن محمد ﷺ فلمّا بصر بي قال لي :

[مرحباً بك يا أبا القاسم ، أنت ولِيُّنا حقّاً . قال : فقلت له : يا ابن رسول الله ، إني أريد أن أعرض عليك ديني ، فإن كان مرضيّاً ثبتُّ عليه حتى ألقى اللهَ عزوجل . فقال ﷺ : هات يا أبا القاسم فقلت : إنّي أقول : إنّ الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء ، خارج عن الحدّين حدّ الابطال وحدّ التشبيه ، وإنّه ليس بجسم ولا صورة ، ولا عرض ولا جوهر ، بل هو مُجَسِّم الاجسام ومُصَوِّر الصُّوَر ، وخالق الاعراض والجواهر ، وربّ كلّ شيء ومالكُهُ وجاعلُهُ ومحدثه . وإنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله خاتم النبيين ، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة ، وإنّ شريعته خاتمة الشرائع فلا

شريعة بعدها إلى يوم القيامة . وأقول : إنَّ الإمام والخليفة وولي الامر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم أنت يا مولاي .

فقال عليه السلام : ومن بعدي الحسنُ ابني ، فكيف للناس بالخلف من بعده ؟ قال : فقلت : وكيف ذاك يا مولاي ؟ قال : لأنَّهُ لا يُرى شخصُه ، ولا يحلُّ ذكرُهُ بإسمه ، حتى يخرج فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئَت جوراً وظلماً . قال : فقلت : أقررتُ ، وأقول إنَّ وليَّهُم وليُّ الله ، وعدوَّهُم عدوُّ الله ، وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصيةُ الله . وأقول : إنَّ المعراج حقٌّ ، والمسألةُ في القبرِ حقٌّ ، وإنَّ الجنة حقٌّ ، والنَّارَ حقٌّ ، والصراطَ حقٌّ ، والميزانَ حقٌّ ، وإنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها ، وأنَّ الله يبعثُ مَن في القبور . وأقول : إنَّ الفرائض الواجبة بعد الولاية : الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فقال علي بن محمد عليه السلام : يا أبا القاسم ، هذا والله دينُ اللهِ الذي ارتضاهُ لعباده ، فاثبُتْ عليه ، ثبَّتَكَ اللهُ بالقول الثابت في الحياة الدنيا و(في) الآخرة][1] .

أقول : حتى أبو بكر لمَّا تنازع الأمر مع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، ووصل النزاعُ إلى حدِّ التهديد بالسيف ، وخيفَت الفتنة ، لم يكن لديه إلا أن يحتجَّ على الأنصار بما تواتر واشتهر على لسان النبيِّ صلى الله عليه وآله من انَّ الأمر هذا لا يكون إلا في إثني عشر خليفة من قريش . هذا ما رواه السنّة والشيعة في احتجاج أبي بكر الذي قطَعَ به نزاعَ القوم وأبطل أمرهم ..

---

[1] الغيبة لابن شاذان : على ما في مستدرك الوسائل . * : كمال الدين : ج ٢ ص ٣٧٩ ب ٣٦ ح ١ –

ثم يذكر التاريخُ نفسَ الإحتجاج بين العباس عمِّ النبيِّ من جهة وأبي بكر وعمر وأبي عبيدة من جهةٍ أخرى ، حيث احتجَّ عليهم العباسُ بنفس هذا الحديث ومضامين كثيرة وردت في أهل البيت ، في الأئمّة الإثني عشر . فلم يجدوا جواباً .. أيضاً ورد في لفظ النبي ﷺ : يكون إثنا عشر أميراً كلّهم من قريش .. وهو حديث مروي بلفظه ومعناه متواتراً في كتب الحديث عند الفريقين . وفيه ألّف أحمد بن حنبل كتاباً مستقلاً ، وهو المروي في صحيحي الترمزي والمستدرك على الصحيحين والبخاري ومسلم ومنتخب كنز العمّال ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول ، وفي تاريخ بغداد ، وتاريخ الخلفاء ، وينابيع المودّة ، وغيرهم من الكتب الكثيرة ، وهو متّفق عليه بين كلّ علماء المسلمين جميعاً دون ناكرٍ أو مانعٍ أو رافض ..

وفي رواية إبن عبّاس أنّ يهودياً قدم إلى النبيِّ ﷺ يُقال له نعثل فقال : يا محمّد ، أسألك عن اشياء تلجلج في صدري منذ حين .. إلى أن قال : فأخبرني عن وصيِّك ؟ مَن هو ؟ فما من نبيٍّ إلا له وصي ..؟ وإنّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون .. فقال ﷺ : إنّ وصيّي علي بن أبي طالب ، وبعدهُ سبطاي الحسن والحسين ، تقتله تسعة أئمّة من صلب الحسين .. فقال يا محمد ، فسمّهم لي : فقال ﷺ : إذا مضى الحسينُ فإبنه علي ، فإذا مضى علي فإبنهُ محمّد ، فإذا مضى محمّد فإبنهُ جعفر ، فإذا مضى جعفر فإبنهُ موسى ، فإذا مضى موسى فإبنهُ علي ، فإذا مضى علي فإبنه محمّد ، فإذا مضى محمّد فإبنهُ علي ، فإذا مضى علي فإبنهُ الحسن ، فإذا مضى الحسن فإبنه الحجّة محمّد المهدي ، فهؤلاء إثنا عشر ..][1] .

---

[1] ينابيع المودة ص ٤٤١

والنصوص في هذا المعنى كثيرة ، وقد وردت في كتب الفريقين وهي شديدة الوضوح .. وكما ترى : الإمامة أمرٌ عظيم ، تكون في أعظم خلق الله تعالى ، صغيراً أم كبيراً ، وفي إمامة الجواد والهادي دليلٌ إعجازي مذهل . كما هي دليلٌ إعجازي عظيم في يحيى والمسيح حال ولادتهما وحال الصبا . وفي رواية علي بن مهزيار قال قلت لأبي الحسن ﷺ وقد نص على أبي محمد : يا سيدي ، أيجوز أن يكون الامام ابن سبع سنين ؟ قال : [نعم ، وابن خمس سنين][1] .

وهي - أي الإمامة - في آل محمد ، في الإثني عشر ، أولُهُم علي بن أبي طالب ﷺ وآخرهم المهدي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . بهذا تواترت النصوص وتكاثرت وشاعت وذاعت منذ يوم البعثة وصولاً إلى يومنا هذا ..

إنتهى الجزء الثاني . يليه الجزء الثالث والأخير . بحمد الله تعالى .

---

[1] إثبات الوصية : ص ٢٢٣ -

الفهرس :

* نصيحة لأهل الدنيا ٣

*** علامات ظهور المهدي عليه السلام ٩

- حال الشيعة قبل ظهور المهدي عليه السلام ٣٣

- النداء باسم المهدي عليه السلام [ظرف النداء] ٣٩

- المهدي عليه السلام ونسبه وبعض أوصافه ٤٣

- الوصية بالإمام المهدي ومعالم الصفات والخصائص فيه ٤٨

** غيبة المهدي عليه السلام ٦٦

- فضل انتظار ظهور المهدي عليه السلام ٨٤

- خصوصية أصحاب الرايات السود الخراسانيين ٨٥

** منطقة الشام زمن حركة السفياني ١٠٢

- أصحاب المهدي عليه السلام [حُكَّام الأقاليم في الأرض] ١٢٥

- بداية التحوُّل في ميزان الجبهات [خروج المهدي عليه السلام من مكة] ١٥٥

*** حركة المهدي ﷺ إلى العراق ١٥٧

- الخوارج زمن المهدي ﷺ ١٧١
- صلابة المهدي ﷺ ١٧٣
- دخول المهدي ﷺ بيت المقدس ١٧٩
- نزول عيسى ﷺ ١٨١

*** جبهة الطغيان المتجسدة [الدجال] (البيئة والظروف) : ١٨٧

- فتح المهدي ﷺ بلاد الروم ٢٠٩
- تجديد المهدي ﷺ الاسلام والقرآن [إخراجه من العزلة إلى الحكم] ٢١١
- حكومة المهدي ﷺ وما بعده ٢١٦
- الرجعة ٢١٨

*** حسرب الأمة اليأجوجية [طغيان قوة يسمأجوج ومأجوج] ٢٢٥

- المهدي ﷺ يظهر شاباً ٢٢٩
- العدل والرخاء في عصر المهدي ﷺ ٢٣١
- ظهور الإسلام كلّه زمن القائم على العالم كلّه ٢٣٤
- تجري في الإمام المهديّ ﷺ سننٌ عديدة من أنبياء الله الكرام ﷺ ٢٣٨

- بداية ظهور المهدي عليه السلام ٢٣٩
- الإهتمام البالغ بأمر المهدي عليه السلام (الدعاء للامام المهدي عليه السلام على لسان المعصومين عليهم السلام) ٢٤٥

*** إبتلاء الشيعة وغربلتهم قبل ظهوره عليه السلام ٢٥١
- فضل المؤمن في غيبة المهدي عليه السلام ٢٥٦
- المهدي عليه السلام يشتهر بخفاء ولادته ٢٦٤
- للمهدي عليه السلام غيبةٌ قبل ظهوره وبعض علامات الظهور والسنن الجارية فيه ٢٦٩
- بيعة الغلام قبل ظهور المهدي عليه السلام ٣٠٩
- دولة آل محمّد مع المهدي عليه السلام ٣١١

*** خروج الشيصباني قبل السفياني ٣١٥
- خروج مصري ويماني قبل السفياني ٣١٦
- نواة الموطّئين للمهدي عليه السلام (خروج أهل المشرق قبل ظهور المهدي عليه السلام والصِّدام مع السفياني) ٣١٧
- السفياني وتفاقم الحروب ٣٢٠
- خروج السفياني سنة ظهوره عليه السلام ٣٢٣
- التدخُّل السماوي (نداء جبرائيل السماوي من المحتوم) ٣٣٣
- النبي إلياس من اصحاب المهدي عليه السلام ٣٣٨

- رسول المهدي إلى أهل مكّة (النفس الزكية) ٣٤٢
- حركة الإمام المهدي ﷺ إلى المسجد الحرام ٣٤٣
- يظهر المهدي ﷺ يوم عاشوراء ٣٤٤

** حركته ﷺ من مكة إلى المدينة فالعراق ٣٥٠

- الكوفة عاصمة المهدي ﷺ ومهد العبادة والمسجد (سمة الحكم العالمي الجديد) ٣٥٢
- انّ المهدي إذا خرج عاتب قوماً كانوا يتولّون أمر الكعبة فلم يرعوا حقّها ٣٦٢
- المهدي هو المنتقم من أعداء الله تعالى ٣٦٥
- شمول دولة المهدي ﷺ كل العالم ٣٧٧
- شمول ملكه ﷺ ومدته وإعلانه الإسلام كما نزل ٣٧٩
- إعلان القرآن دستور دولة المهدي العالميّة ٣٨٣
- عدل المهدي وعطاؤه ٣٨٥

** تكامل الوعي البشري في عصر المهدي ٣٩١

- تسخير قوى الطبيعة للمهدي ٣٩٢
- غيبة المهدي واختبار الناس ٣٩٨
- حرمة التوقيت لخروجه ﷺ ٤٠٩
- المهدي ﷺ هو الذي يأخذ بثأر الحسين ﷺ ٤١١
- راية رسول الله ﷺ تكون بيد المهدي ﷺ ٤١٥

** ولاية الفقيه زمن الغيبة ٤٢٨

- الحيرة آخر الزمن وثواب الصبر ٤٣٣
- طبيعة التقاليد والأعراف والقِيَم آخر الزمان ٤٤٢
- قبل الظهور المبارك يصيب الناس موتان ٤٧٢
- أحداث العراق قبل ظهور المهدي عليه السلام ٥٠٦
- سنة ظهور المهدي عليه السلام ٥١٠

** حركة ظهور المهدي عليه السلام ٥١٤

- نواة جبهة المهدي عليه السلام في الحجاز وغيرها ٥٣٣
- بعض إجراءات النصر ٥٤٧
- إعلان الاسلام وتطبيقه كما نزل على النبي صلى الله عليه وآله في زمن المهدي عليه السلام ٥٦٧
- التطور والرخاء في عصر المهدي عليه السلام ٥٧٢

** الكمال الممكن زمن المهدي عليه السلام وبعض علامات حكمه ٥٨٣

- بعض من معالم حكم المهدي عليه السلام ٥٨٥
- استحضار القائم عليه السلام ونموذج حركته عليه السلام في بعض نصوص الإمام موسى الكاظم عليه السلام ٥٩٩
- استحضار المهدي عليه السلام ومواصفات آخر الزمان في بعض نصوص الإمام علي الرضا عليه السلام ٦١٧

*** نمـــوذج مختصـــر مـــن نصـــوص الإمـــام الجـــواد ﷺ فـــي المهدي ﷺ ٦٣٩

- نموذج من أحاديث الإمام الهادي ﷺ في الإمام المهدي ﷺ وما يكون عليه زمن الغيبة والظهور ٦٥٢

- نموذج من أحاديث الامام الحسن العسكري ﷺ في المهدي ﷺ (الهجمة العباسيّة للتخلّص من المهدي ﷺ) ٦٦٦

- مقام العلماء في غيبته ﷺ ٦٩٦

- مقـام الإمامـة بعـد النبـوّة نمـوذج مـن أحاديـث الأئمـة الاثنـي عشر ٦٩٩

** الفهرس : ٧٠٣